

مَجْمُوعَةُ الْبَيِّنَاتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لمؤلفه

الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من أكاره علماء الإمامية في القرن السادس

يقع في خمسة مجلدات أو عشرة أجزاء

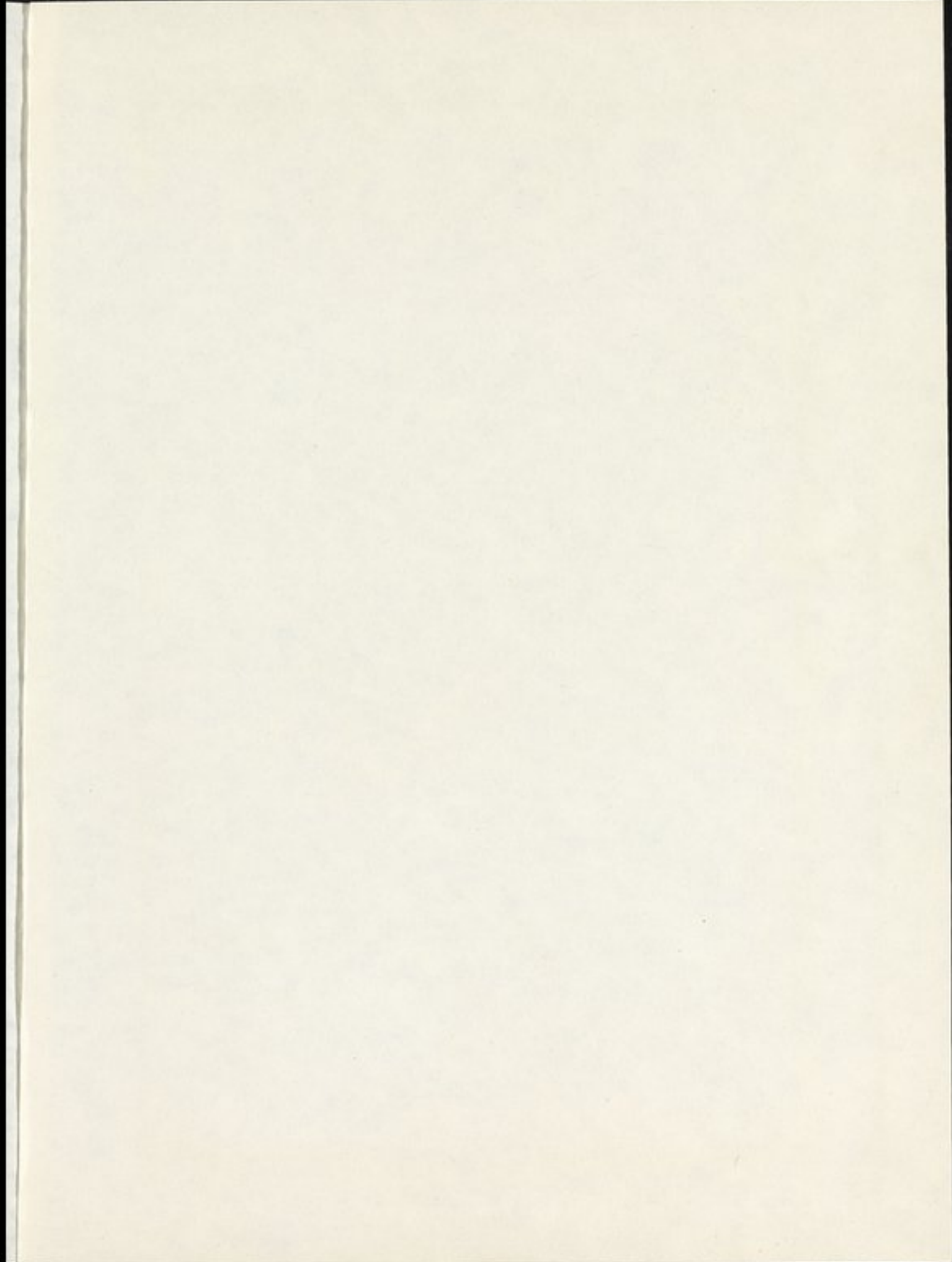
يكون مجموعته مع الفهارس زهاء ثلاثة آلاف صفحة

﴿ المجلد الأول ﴾

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

نم - إيران ١٤٠٣ هـ





مَجْمَعُ الْبَيِّنَاتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لمؤلفه

الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي
من اكابر علماء الامامية في القرن السادس

يقع في خمسة مجلدات

كل مجلد عبارة عن نيف وخمسة صفة بهذا الحجم
ويكون مجموعه مع الفهارس زهاء ثلاثة آلاف صفة

﴿ المجلد الاول ﴾

هذا الجزء جزء من عشرة اجزاء

وقف على تصحيحه فئة من افاضل العلماء

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم - ايران ١٤٠٣هـ ق

هدية از كتابخانه عمومى آية الله العظمى
مرعشى نجفى قم بكتابخانه

١٣٥

سنة ١٣٣٣ مطبوعه دارالكتاب

﴿ كلمة الناشر ﴾

BP
130.4
T843
1989

بسم الله الرحمن الرحيم

هداني الى طبع هذا التفسير الجليل واستبالي المشاق في سبيل شره جودة ترتيبه . وحسن
اسلوبه . بحيث لم ينشر له ند قط فضلا عن مسكونه هو الممول عليه عند الشيعة
الامامية الذين لم يوجد لهم تفسير تتداوله الايدي ويرجع له الباحثون
تعدت التزيمه وصحت النية على طبعه ولو لاقت من المصاحب
ما لاقت . وقاسيت من قلة النفقة ما قاسيت .
والله سبحانه هو ولي التوفيق والسداد .
والهادي الى سبيل الرشاد

احمد عارف الزبيد

صدا

﴿ الفهرس ﴾

نشره مع الجزء الثاني ان شاء الله ليكون فهرسا للمجلد كله

٧٨١

ترجمة المؤلف

هو امين الدين وامين الاسلام ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي السبزواري الرضوي او المشهدي رحمه الله تعالى
(اقوال العلماء في حقّه)

عن كتاب نقد الرجال للسيد الاجل الامير مصطفي التفرشي وفي تعليقه العلامة الآقا محمد باقر البهبهاني علي رجال ميرزا محمد الكبير ثقة فاضل دين عين من اجلاء هذه الطائفة . وعن نظام الاقوال للمولى نظام الدين القرشي تلميذ الشيخ البهائي ثقة فاضل دين عين . وعن فهرست الشيخ منتجب الدين علي بن مبيد الله بن بابويه بعد وصفه بالامام ثقة فاضل دين عين . وفي الوجيزة للعلامة المجلسي ثقة جليل . وفي مستدركات الوسائل فخر العلماء الاعلام وامين الله والاسلام المفسر الفقيه الجليل الكامل النبيل صاحب تفسير مجمع البيان الذي عكف عليه المفسرون وغيره من المؤلفات الرائقة الشانعة حجة منها . وعن رياض العلماء للشيخ الحافظ المتبحر ملا عبد الله الاصفهاني المعروف بالافندي انه وصفه بالشيخ الشهيد الامام وانه قال رأيت نسخة من مجمع البيان بخط الشيخ قطب الدين الكيدري قد قرأها نفسه على نصير الدين الطوسي وعلى ظهرها ايضا بخطه هكذا : تأليف الشيخ الامام الفاضل السعيد الشهيد انتهى قال في مستدركات الوسائل بعد نقل ذلك ولم يذكره ولا غيره كيفية شهادته ولها كانت باسم انتهى . وعن صاحب رياض العلماء ايضا انه قال بعد مدحه له عبارات عالية كان قدس سره وولده رضي الدين ابو نصر حسن بن الفضل صاحب كتاب مكارم الاخلاق وسبطه ابو الفضل علي بن الحسن صاحب مشكاة الانوار وسائر سلسلته واقربائه من اكابر العلماء انتهى . وفي الروضات : الشيخ الشهيد السعيد والخبر الفقيه الفريد الفاضل العالم المفسر الفقيه المحدث الجليل الثقة الكامل النبيل ثم حكى عن صاحب رياض العلماء انه ترجمه بنحو ذلك . وفي المقابيس لرئيس المحققين الشيخ اسد الله التستري عند ذكر القاب العلماء ومنها امين الاسلام للشيخ الاجل الاوحد الاكمل الاسعد قدوة المفسرين وعمدة الفضلاء المتبحرين امين الدين ابني علي الخ قدس الله نفسه الزكية وافاض علي تربته المرام السرمدي . وعن مجالس المؤمنين ما ترجمته : ان عمدة المفسرين امين الدين ثقة الاسلام ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي كان من نحارير علماء التفسير وتفسيره الكبير الموسوم بمجمع البيان بيان كاف ودليل واف جامعيتهم لتنون الفضل والكمال انتهى . وسياقي عند ذكر جملة من آثاره حكاية وصفه بالشيخ الامام الاجل العالم الزاهد امين الدين ثقة الاسلام امين الرواس . وبالجملة ففضل الرجل وجلالته وتبحره في العلوم ووثوقته امر غني عن البيان واعدل شاهد على ذلك كتابه مجمع البيان كما اشار اليه صاحب مجالس المؤمنين بما جمعه من انواع العلوم واحاط به من الاقوال المتشقة في التفسير مع الاشارة في كل مقام الى ما روي عن اهل البيت عليهم السلام في تفسير الآيات بالوجوه المقبولة مع الاعتدال وحسن الاختيار في الاقوال والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالقه في الرأي بحيث لا يوجد في كلامه شيء ينفر الخصم او يشتمل على التهجين والتبجح وقل ما يوجد في المصنفين من يسلّم كلامه من ذلك وانظر الى كلامه في مقدمة جامع الجوامع في حق صاحب الكشاف وما فيه من التعظيم له والثناء بالبلغ على علمه وفضله تعلم انه من الفضل والانصاف وطهارة النفس في مرتبة عالية (مشافحه)

يروي هذا الشيخ الجليل عن جماعة (١) الشيخ ابو علي بن الشيخ الطوسي (٢) الشيخ ابو الوفاء عبد الجبار ابن علي القرني الرازي عن الشيخ الطوسي (٣) الشيخ الاجل الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي الرازي جد منتجب الدين صاحب الفهرست (٤) الشيخ الامام موفق الدين الحسن بن التتح الواعظ البكرابادي عن ابني علي الطوسي (٥) السيد ابو طالب محمد بن الحسين الحسيني القمي الجرجاني (٦) الشيخ الامام السعيد الزاهد ابو الفتح عبد الله بن عبد الكريم بن هوزن القشيري روى عنه صحيفة الرضا المروفة (٧) الشيخ ابو الحسن عبيد الله

ed 2
84/12/07
Giff

محمد بن الحسين البيهقي الذي قال في حقه صاحب رياض العلماء على ما حكى عنه انه فاضل عالم محدث من كبار الامامية يروي عنه الشيخ ابو علي الطبرسي على ما يظهر من تفسير سورة طه في مجمع البيان انتهى (٨) الشيخ جعفر الدوريسي الذي هو من تلامذة المفيد

(تلامذته)

يروى عنه جماعة من افاضل العلماء منهم ولده رضي الدين ابو نصر حسن بن الفضل صاحب كتاب مكارم الاخلاق المشهور الذي طبع مرارا في مصر عرفا تحريفاً قبيحاً ثم تصدى بعض اهل الفضل والغيرة لطبعه طبعاً اصله في بلاد ايران مع التنبية على مواضع التحريف في الطبعة المصرية وهو من تلامذته ايضا كما في المقابيس . ويروي عنه ايضا رشيد الدين ابو جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب وهو من تلامذته ايضا قال في باب الكنى من كتابه معالم العلماء على ما حكى عنه . شيخه ابو علي الطبرسي . والشيخ مستجب الدين صاحب الفهرست وهو من تلامذته ايضا قال في فهرسته شاهدهة وقرأت تفقها عليه . والقطب الراوندي والسيد فضل الله الراوندي صاحب كتاب الخرائج والجرائح (١) والسيد ابو الحمد مهدي بن تزار الحسيني القابري . والسيد شرف شاه بن محمد بن زيادة الافطسي والشيخ عبد الله بن جعفر الدوريسي وشاذان ابن جبرئيل القمي وغيرهم . وعن صاحب الورع انه عد من جملة مشايخ برهان الدين بن محمد بن علي القزويني المهداني

(مصنفاته)

له مصنفات كثيرة نافذة وجيدة منها مشهور . وفي المقابيس له مؤلفات فائقة رائقة وقد سمعت قول الفاضل الزوري ان له مؤلفات رائقة وجيدة منها شائع . وقال السيد مصطفى التفرشي له مصنفات حسنة . وفي التعليقة له تصانيف حسنة الى غير ذلك من اقوال العلماء . ونحن نذكر اسما . ما وصل الينا من مصنفاته وهي (مجمع البيان) لعلوم القرآن فسر به القرآن الكريم في عشر مجلدات المستمد من البيان لشيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي كما ألمع الى ذلك في مقدمة مجمع البيان والفائق عليه في الترتيب والتهديب والتعقيق والتتميق واختصار الفروع النقية التي اكثر الشيخ من ذكرها وهو من احسن التفاسير واجمعها لقنون العلم واحسنها ترتيباً فرغ من تأليفه منتصف ذي القعدة سنة ست وثلاثين وخمسمائة . (قال) في كشف الظنون مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ فقيه الشيعة ومصنفهم ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفى سنة احدى وستين وخمسمائة وهو كبير وقد رأيت تفسيره المسمى مجمع البيان وهو على طريقة الشيعة وقد اختصر الكشاف وسماه جوامع الجوامع (٢) انتهى . وقال في مقام آخر جوامع الجامع في التفسير للشيخ ابي علي الطرطوشي صاحب مجمع البيان انتهى . فقد اشتهر عليه مصنف مجمع البيان بصنف البيان وجعل جوامع الجامع تارة للشيخ ابي جعفر الطوسي وتارة للشيخ ابي علي الطبرسي مع تصحيح الطبرسي بالطرطوشي والاشتباه في تسميته بجوامع الجوامع مع انه انما يسمى بجوامع الجوامع او جوامع الجامع كما ستعرف وجعل تاريخ وفاة الطبرسي تاريخاً لوفاة الشيخ الطوسي فان الطوسي توفي سنة ستين واربعمائة مع ان التاريخ المذكور لا ينطبق على وفاة الطبرسي ايضا كما ستعرف من انه توفي سنة خمسمائة وثمان واربعين او اثنين وخمسين ولم يذكر احد انه توفي سنة احدى وستين وله في بيان كتب الشيعة اشتباهات كثيرة غير هذا يجدها التتبع . (ولتعد) الى ذكر بقية مؤلفات الطبرسي وهي (الكشاف الشاف) من كتاب الكشاف (لجامع الجوامع) او (جوامع الجامع) صنفه بعد اطلاعه على الكشاف لانه صنف مجمع البيان قبل ان يطالع على الكشاف فلما اطالع عليه صنف جامع الجوامع ليكون جامعا بين فوائد الكتابين بوجه الاختصار كما صرح به في مقدمته . وعد الشيخ مستجب الدين على ما نقل عنه في الفهرست في مصنفاته (الوسيط) في التفسير اربع مجلدات (والوجيز) مجلدة وعن نقد الرجال عند ذكر مصنفاته الوسيط اربع مجلدات والوجيز مجلدان وفي المقابيس ان جامع الجوامع هو الوسيط الذي في اربع مجلدات او الوجيز الذي في مجلد او مجلدين والظاهر ان الوسيط

(١) وصاحب الشرح الكبير على نهج البلاغة (٢) مختصر الكشاف انما هو الكشاف لجامع الجوامع كما لا يخفى على من دأب ولعل الاسمين لمسى واحد كما ستراه قريبا

هو الكاف الشاف انتهى ويظهر مما تقدم عن كشف الظنون ان الكاف الشاف هو جامع الجوامع (الوافي) في تفسير القرآن ايضا (اعلام الوري) باعلام الهدى في فضائل الائمة (ع) في مجلدين . قيل ومن الغرائب ان السيد رضي الدين بن طاووس الف كتاب ربيع الشيعة على نهج اعلام الوري وقد وافقه في جميع الابواب والفصول والطالب وبالجملة لا تفاوت بينها اصلا (تاج المواليد) (الآداب الدينية) (اخترانة المعينية) (الثور البين) (القائى) (غنية العابد) (كنوز النجاح) نسبة اليه فيما قيل رضي الدين بن طاووس في ميج الدعوات والكفعمي في الصباح وجواشيه (عدة السفر وعمدة الحضر) نسبة اليه الكفعمي ايضا على ما قيل (معارج السوال) (اسرار الائمة) او الامامة نسبها اليه بعض العلماء على ما قيل واستظهر صاحب الروضات ان الاخير اولده الحسن بن الفضل (مشكاة الانوار) في الاخبار نسبة اليه في كتاب دفع المناواة على ما قيل وفي الروضات الظاهر انه غير مشكاة الانوار في غرر الاخبار التي هي لسبطه الشيخ ابي الفضل علي بن الشيخ رضي الدين ابي النصر وهو كتاب ظريف يشتمل على اخبار غريبة لأن ماله في الاخبار وما لسبطه في الادعية انتهى (رسالة) حقائق الامور (العمدة) في اصول الدين والفرائض والنوافل بالفارسية (كتاب شواهد التزويل) قواعد التفضيل ذكره في مجمع البيان في ذيل آية يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك (كتاب) الجواهر في النحو ولكن في الروضات ظني انه من مؤلفات الشيخ شمس الدين الطبرسي النحوي الذي قد ينقل عنه الكفعمي في البلد الامين . وينسب اليه كتاب (نثر اللآلي) وربما قيل انه للسيد علي بن فضل الله الحسيني الراوندي وهي رسالة مختصرة مجموعة من كلام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) مرتبة على حروف المعجم على نهج كتاب غرر الحكم ودرر الكام الذي جمعه عبد الواحد الآمدي التميمي فيما يزيد عن اربعة آلاف بيت (1) ويؤيد حجه عن نهج البلاغة رأيت منه نسخة بمشق بخط جيد وذكر في مقدمته ان الجاحظ جمع مائة حكمة شاردة من كلام امير المؤمنين (ع) واقتصر بذلك لجمع هو ما يزيد عليها اضمافا مضاعفة قال في الروضات مع ان ما جمع في كتاب غرر الحكم هو غير لائة كلمة المشهورة وغير الالف كلمة التي جمعها ابن ابي الحديد في آخر شرح النهج . وقال ايضا ان كتاب نثر اللآلي المذكور غير كتاب نثر اللآلي في الاخبار والقناوى لابن ابي جمهور الاحسائي انتهى وبالنسبة لاباس ان نذكر هنا ما وجدناه منقولاً عن قطب الدين الكيدري في شرح نهج البلاغة عن صاحب النهج انه قال سمعت بعض العلماء بالحجاز ذكر انه وجد بمصر مجموعا من كلام امير المؤمنين عليه السلام في نيف وعشرين مجلدا انتهى ولا يستغرب ذلك عن باب مدينة العلم . وعد غير واحد من العلماء كتاب الاحتجاج من مصنفاته وهو غلط بل هو من مصنفات احمد بن علي ابن ابي طالب الطبرسي كما درج به ابن شهر آشوب في معالم العلماء وغيره على ما حكى . وفي الروضات قد يوجد في بعض الفهارس نسبة كتاب (الكافي) اليه ولا يبعد اشتباهه بكتاب الوافي اقول بل الظاهر انه هو الكاف الشاف الذي تقدم ذكره

(حكاية غريبة عنه)

عن صاحب رياض العلماء انه قال مما اشتهر بين الخاص والعام انه (ره) اصابته الحكمة فظنوا به الوفاة ففعلوه وكفنوه ودفنوه وانصرفوا فافاق ووجد نفسه مدفونا فنذر ان خلاصه الله من هذه البلية ان يؤلف كتاباً في تفسير القرآن وافق ان بعض النباشين كان قد قصد قبره في تلك الحال واخذ في نبشه فلما نبشه وجعل يتقع عنه الاكفان قبض بيده عليه فضاغ النباش خرقا عظيما ثم كلمه فازداد خوف النباش فقال له لا تخف واخبره بقصته فحمله النباش على ظهره ووصله الى بيته فاعطاه الاكفان ووهب له مالا جزيلاً وتب النباش على يده ثم وفي بنذره والف كتاب مجمع البيان انتهى قال الفاضل النوري في مستدركات الوسائل بعد نقل هذه الحكاية ومع هذا الاشتهار لم اجدها في مؤلف احد قبله وربما نسبت الى العالم الجليل المولى فتح الله الكاشاني صاحب تفسير منهج الصادقين وخلاصته وشرح النهج المتوفى سنة تسعمائة وثمانين انتهى

(1) يراد بالبيت في اصطلاحهم المتر

اقول وما يبعد هذه الحكاية مع بعدها في نفسها من حيث استبعاد بقاء حياة المدفون بعد الافاقة انها لو صحت لذكرها في مقدمة مجمع البيان لارتباطها ولاشكافاعلى بيان السبب في تصنيفه مع انه لم يتعرض لها والله اعلم
(جملة من آراءه)

قال في امل الآمل ومن رواياته صحيفة الرضا (ع) انتهى . قال صاحب رياض العلماء على ما حكى عنه ان في اول بعض نسخ صحيفة الرضا (ع) هكذا : اخبرنا الشيخ الامام الاجل العالم الزاهد امين الدين ثقة الاسلام امين الرواسا . ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي اطال الله بقاءه يوم الخميس غرة شهر الله الاصح رجب سنة ٥٢٩ قال اخبرنا الشيخ الامام السيد الزاهد ابو الفتح عبد الله بن عبد الكريم وفي بعضها يروي تلك الصحيفة عن ذلك السيد قراوة عليه داخل القبة التي فيها قبر الرضا (ع) غرة شهر الله المبارك سنة احدى وخمسةائة قال حدثني الشيخ الجليل العالم ابو الحسن علي بن محمد بن علي الحاتمي ازوزني قراوة عليه سنة ٤٥٧ انتهى موضع الحاجة وتفرد بمقالة في الرضاع معروفة مذكورة في كتب فقهانا وهي قوله بعدم اعتبار اتحاد الفحل في نكاح الحرمة . ويحكي عنه القول بأن المعاصي كلها كبائر وانما يكون اتصافها بالصغيرة بالنسبة الى ما هو اكبر منها
(مدة عمره ومدفنه)

قبل انه عاش تسعين سنة وولد في عشر سبعين واربعائة وتوفي سنة اثنتين وخمسةائة انتهى والظاهر سقوط لقطة خمسين من تاريخ الوفاة وكون الولادة في السنة الثانية من عشر السبعين واربعائة ليكون عمره تسعين سنة ولكن عن رجال الامير السيد مصطفى النريشي انه انتقل من المشهد الرضوي الى سبزوار سنة خمسمائة وثلاث وعشرين وانتقل بها الى دار اخلود سنة خمسمائة وثمان واربعين وقد سمعت عند تعداد مصنفاته قول صاحب كشف الظنون انه توفي سنة احدى وستين وخمسمائة والله اعلم وفي الروضات كانت وفاته ليلة النحر من تلك السنة اي سنة ٥٤٨ ثم نقل نعشه الى المشهد المقدس الرضوي وقبره الآن فيه معروف في موضع يقال له (قتلگاه) اي مكان القتل وذلك لما وقع فيه من القتل العام بأمر عبد الله خان امير الافغان في اواخر دولة الصفوية انتهى وفي القبايس قال نقل انه دفن في مقابر الرضا (ع) بطوس انتهى وقال بعضهم ان قبره بطوس معروف مشهور يزاور ويتبرك به
(نسبه)

الطبرسي بالطاء المهملة والباء الموحدة المفتوحين والراء الساكنة بعدها سين مهمة نسبة الى طبرستان بفتح الطاء والياء وكسر الراء كما في معجم البلدان . وعن رياض العلماء هي بلاد مازندران بعينها وقد يعم بسواد جيلان لاشتراكهم في حمل الطبر انتهى وفي معجم البلدان الطبر بالتحريك هو الذي يشق به الاحطاب وماشاكله بلغة الفرس واستان الموضع او الناحية كأنه يقول ناحية الطبر ثم ذكر سبب تسميتها بذلك فقال سببه ان اكثر اهل تلك الجبال كثير الحروب واكثر اسلحتهم بل كلها الاطبار حتى انك قل ان ترى صلوا كما او غنيا الا ويبدء الطبر صغيرهم وكبيرهم فكانت اكثر تسمياتهم سميت بذلك ومعنى طبرستان من غير تريب موضع الاطبار والله اعلم انتهى والرضوي والمشهدى نسبة الى مشهد الرضا (ع) لأنه سكن فيه ثم ان الطبرسي حيث يطلق ينصرف الى صاحب الترجمة وان كان يطلق ايضا على ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي مصنف كتاب الاحتجاج والشيخ محمد بن علي بن شهر اشوب فيكون معاصرا لصاحب الترجمة لأن ابن شهر اشوب يروي عن صاحب الترجمة ايضا كما مر عند تعداد تلامذته ويطابق ايضا على ولد صاحب الترجمة رضي الدين ابي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي صاحب كتاب مكارم الاخلاق المار ذكره ويطلق ايضا على ابي علي محمد بن الفضل الطبرسي المذكور بهذا العنوان في امل الآمل والموصوف فيه بانه كان عالما صالحا عابدا يروي ابن شهر اشوب عنه عن تلامذة الشيخ الطوسي انتهى فيكون معاصرا لصاحب الترجمة ايضا . هذا ما تيسر لنا جمعه من ترجمة احواله والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلم
دعش
محسن الحسيني العاملي (عني عنه)

﴿ كلمة في التفسير ﴾

اللغة فيه

التفسير مأخوذ من فسر المشتق بالاشتقاق الكبير من السفر وهو الكشف والظهور يقال
اسفر الصبح اذا ظهر واسفرت المرأة عن وجهها اذا كشفته
او هو مأخوذ من فسر يفسر كضرب يضرب او كضرب ينصر فسر أو الفسر هو الابانة وكشف
المغضى تقول فسرت الشيء اذا بينته . وقال اللغويون ايضا ان التفسير هو كشف معنى اللفظ
واظهاره قاله في مجمع البحرين

التأويل

التأويل مأخوذ من الأول كما نقول من آل الأمر الى كذا يؤول اي صار اليه ورجع ومنه
قيل للمرجع مآل . واول الكلام تأويلا دبره وقدره وفسره قاله في القاموس المحيط . وقال ثعلب
ان التأويل والتفسير واحد . وقال غيره ان التفسير هو كشف المراد عن المشكل والتأويل رد احد
المحتملين الى ما يطابق الظاهر كما في القاموس ومجمع البحرين

ماهية

استعمل التفسير في اصطلاح العلماء لمعنيين اولهما التفسير الذي هو قسم من اقسام البديع الراجع
الى المحسنات المعنوية ويراد به عندهم ان يأتي المتكلم بمعنى لا يستقل الفهم باذالك فخواه ما لم
يفسره كلام آخر بعده كما في قول الشاعر

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم في الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابيح تجلوا الدجى والاخريات رجوم

وهذا القسم غير ما يزيد الان

والمعنى الثاني للتفسير فهو ما نعي بالكلام فيه في مقالنا هذا وقد كثر كلام العلماء في شرح
ماهية فقال بعضهم هو علم بأصول تعرف به معاني كلام الله تعالى من الأوامر والنواهي وغيرها
ومثله قول الرازي وهو ما يبحث فيه عن مراد الله تعالى من قرآنه المجيد وقول التفتازاني وهو
العلم الباحث عن احوال الفاظ كلام الله من حيث الدلالة على مراد الله تعالى وعرفه ابو حيان
وادخل فيه علم التجريد بقوله هو علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها
الأفرادية والتركيبية ومعانيها التي هي عنها حالة التركيب وتتمت ذلك . ولكن الزركشي جعل
التعريف موضحا لذكر ما يحتاج اليه علم التفسير فقال هو علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة
والنحو والتصريف والبيان واحوال الفقه والقرآآت ويحتاج الى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ

وقد دقق العلامة الفناري في هذه التعريفات ولم يرتضها لعدم جمعها ومنعها واختار للتفسير تعريفاً آخر على ما في كشف الظنون فقال هو معرفة احوال كلام الله تعالى من حيث القرآنية ومن حيث دلالة على ما يعلم او يظن انه مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية وانت تعلم من اختلاف كلماتهم في التعريفات التي مر بيانها ومن التأمل فيها انهم قد اعملوا الفكر ليكون التعريف جامعاً مانعاً ولكن هذا العلم لكونه يطوي في تضاعيف مسائله مسائل من علوم شتى يدخلها بعضهم فيه ويخرجها بعضهم منه وهي داخلة في حدود غيره من العلوم لا تكاد تجد تعريفاً جامعاً لمسائله مانعاً من دخول غيره فيه ولا تكاد تدلنا على جهة وحدة تضبط مسائله اجمالاً

موضوعه والغرض منه

قالوا ان موضوعه كلام الله تعالى والغرض منه حصول القدرة على استنباط الاحكام الشرعية على وجه الصحة ومعرفة معاني النظم

فائدته

لم يخلق الله تعالى الخلق عبثاً وانما خلقهم ليعملوا بأوامره وطاعته ويحتملوا نواهيه ومعاصيه وليتعبدهوا بما اوحاه الى رسوله من التكليف لا عن حاجة منه تعالى اليهم بل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليفوز المطيع بالطاعة والثواب ويشقى العاصي بالمعصية والعقاب ويدلنا بذلك على انه لم يخلق لهم العقول الا ليفكروا ولم يمن عليهم بالجوارح الا ليعملوا واشرف ثمار العقول والاعمال ما اوصل الى السعادة الابدية والفوز الاخروي باتباع اوامره تعالى وتجنب معاصيه سواء في ذلك امر المعاد والمعاش

وقد بين الله تعالى لعباده طرق الفوز ودلهم على ما يرضيه من الاعمال التي تعود عليهم انفسهم بالصالح بما ائزله من الشرائع الالهية على لسان انبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام الذين اقام بهم الحجة على العباد فصدعوا بامره وزجروا عن معصيته فانزل الله على كل رسول ذي شريعة كتاباً بلسان قومه ليخرجهم من الظلمات الى النور وليسمعوا كلام ربهم ويعرفوا احكامه والرسول هو الزعيم بتفصيل ما اجمل في الكتاب وتبيان ما ابهم منه فكان من ذلك الكتاب وكان من ذلك السنة النبوية للذان هما اول الادلة عند علماء اصول الفقه ثم تعلم الانبياء اوصياؤهم وامنائهم وخواص اصحابهم ما اليه يرجعون وبه يهتدون من معاني كتاب ربهم وسنة نبيهم ليكونوا بعده مناراً به يهتدى ونبراساً بنوره يستضاء اذا دلهم ليل الجهالة وادجن ظلام الاهواء لتلا تذهب بالامة مذاهب الاهواء فتصرف موارد الشريعة عن مجراها ويتأولون احكام الله على ما يريدون لاعلى ما يريد الله ميلاً مع الشهوات وجرياً مع الاهواء المضلة ويتكلمون بالرأي في القرآن بلا سند اليه يستندون ولا استمسك بكلام الراسخين في العلم اليه يرجعون كما صرف بعض الصوفية معنى قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به الى معنى الحب والمشق وكما ذهب اليه بعض الجاهلين من معنى

قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب فنكلم فيه بما لا استحسن ذكره وكما تصرف بعض المنتسبين الى العلم في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فكتبها ووصل ذا بلام الذي وقطع عين يشفع عنها وجعلها كلمة مستقلة فقال فيها من ذل ذني يشفع وجعل ذني اشارة الى النفس ويشف من الشفاء وع امر من الوعي فكان معناها (واستغفر الله) من ذل هذه النفس يُشفّ رفع هذا الامر وانت خبير بما لهذا الشذوذ من القيمة عند اولي العلم نجانا الله من امثال هذه الجهالات ولهذا ورد النهي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم برواية ابن عباس بانه من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وكان الصحابة في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلقون منه ما يصل بهم الى فهم كتاب ربهم ومعرفة ما يراد منه في كثير من الايات فانسمت دائرة السنة النبوية والاحاديث الشريفة كل متسع ونشأ من ذلك علم التفسير الذي عني المسلمون به عناية تامة وصرف جل علمائهم معظم اوقاتهم بحثافه وتدقيقا فعلم التفسير هو اجل العلوم قدرا لانه الموصل الى فهم مراد الله من كتابه ومعرفة احكام الله في وحيه وما فرضه على عباده وهذه الغاية كما لا يخفى هي اشرف الغايات واحسن الطرق لتبيل السعادات

وجه الحاجة اليه

انزل القرآن على النبي العربي بلسان عربي مبين فهو عربي الكلام عربي النظم والاسلوب ببلاغة عربية الا ان لغات العرب مختلفة فلو تم تخالف لغة قريش ولغة عرب الحجاز تمييزا عن لغة اهل اليمن والقرآن الكريم وان نزل بلغة قريش قوم النبي وهم اوضح العرب على الاطلاق الا انه تضمن بعض الالفاظ من غير اللغة القريشية وعليه حمل كثير من المحققين منهم الامام الطبري في مقدمة تفسيره الكبير معنى قوله عليه الصلاة والسلام انزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف وفي بعض الروايات ان القرآن نزل على سبعة احرف فلاترأوا في القرآن فاما المراد كقولهم حملوه على ان المراد بالاحرف السبعة لغات العرب التي نزل بها القرآن وقال بعضهم هم قريش والفاها وقال آخرون المراد الخان العربي في اقوالهم واختلاف لهجاتهم فاذا لكل قوم ان يقرأوا بلسانهم والجانهم المعروفة عندهم وقال آخرون هي القرآآت السبع وعليه الاكثر وكيفا كان تفسير هذا الحديث فان القرآن الكريم عربي البيان واعجازه وورد في النظم والاسلوب الذي يطلق عليه الشيخ عبد القاهر امام علماء البيان اسم النظم والصور والخواص والزيا والكيفيات ونحو ذلك ويحكم قطعاً بان الفصاحة من الاوصاف الراجعة اليها وان الفضية التي يستحق بها الكلام ان يوصف بالفصاحة والبلاغة والبراعة وما شاكل ذلك انما هي فيها لا في الالفاظ المنطوقة التي هي الاصوات والحروف ولا في المعاني التي هي الافراض التي يريد المتكلم اثباتها او نفيها وهي مطروحة في الطريق يعرفها كل احد

وانظم والصور هي التي استحسن السعد التفتازاني ان يطلق عليها عند البحث في عبارات الشيخ عبد القاهر اسم الالفاظ والمعاني الاول ولكن مراتب الكلام تتفاوت في البلاغة بحسب تفاوتها في هذه الالفاظ والمعاني الاول وان شئت قل في هذه التراكيب والصور المبنية في الاكثر على المدلولات الاترامية التي منها البين وغير البين ومع ذلك فانا نجد ان البليغ المتفنن في بيانه قد يسلك لامتبارات بيانية مسالك الاختصار والايجاز او يرد موارد الاطاب والتطوير او يعتمد على الحذف في بعض الاحوال استنادا الى قرائن ظاهرة او خفية حالية او مقالية او يهمل طريق استنتاج بعض المقدمات او يُغفل بعض العلل اعتادا على قرائن تتفاوت الافهام في ادراكها ويكون في ذلك جاريا على سنة من الفصاحة ظاهرة فيغلق كلامه على من لا يعرف الدقائق البيانية وكمن اللوازم غير البيئية بل ومن البيئية ايضا ما لا يتنبه لها الا من راضت البلاغة نفسه وكيفت ذهنه واستملكته فاناس اذا في ادراك ذلك متفاوتوا الافهام

على ان هذه السنة كانت جارية بين فصحاء العرب وكانوا يأتون بالكلام على وجوه يحتملها ومغاز يشير اليها قال ابن قتيبة في كتابه المعروف بشكلات القرآن ما نصه : «والخطيب من العرب اذا ارتجل كلاما في نصائح او محاملة او تحذير او صلح او ماشبه ذلك لم يأت به من واد واحد بل يتغن فيختصر تارة ارادة التخفيف ويضيل تارة ارادة الافهام ويكرر ارادة التوكيد ويحني بعض معانيه حتى تعمض على اكثر السامعين ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الاعجميين ويشير الى الشيء ويكني عن الشيء وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال وقدرا الخفل وكثرة الحشد وجلالة المقام ثم لا يأتي بالكلام كله مهذبا كل التهذيب ولا مصفى كل التصفية بل تجده يمزج ويشوب ليدل بالناقص على الوافر وبالثق على السمين ولو جعله كله من بحر واحد لبخسه بهاء وسلبه ماؤه ومثل ذلك الشهاب من القيس يجره للشعاع والكوكبان يعقران فينقص النوازن . والسحاب ينتظم بالياقوت والمرجان والعقيق والعقيان ولا يجعله كله جنسا واحدا من الرفيع الثمين ولا النفيس المصون»

وقد سرت هذه السنة الى المؤلفين فترى بعضهم يتجرى البلاغة مع الاختصار في مؤلفه بحيث يطوي تحت الفاظ قليلة معاني كثيرة وبعضهم يبسط ويضيل وهكذا حتى احتاج كثير من كتب العلم الى شروح وهوامش تفتح ما استغلق وتفضل ما ابهم بل تجد الخلاف قائما بين الشراح على تأويل عبارة او في مؤداها ولذا كنت عني بعض المؤلفين بشرح كتبهم يدلوا على مقاصدهم ومع ذلك قد يمرض عليهم بان شرحهم بعض الحمل لا ينطبق على مؤداها وما كان ذلك الا لاختلاف الافهام في ادراك ماهية النظم والاسلوب وانا نجد عناية العلماء كانت مصروفة لعقد المجالس اللغوية لشرح المعاني البيانية في كلام الخطباء والشعراء شرحا يفتح مغلقها ويبين مجملها

وفي كل ذلك لم يتخذ احد منه قدحا في الكلام المشروح ولا طعنا فيه مادام جاريا على سنة التراكيب العربية وعلى مقتضى الاسلوب البياني بل كان ذلك دافعا من شأن الكلام مظهرا مزينه في عالم البلاغة وهذا مما امتازت به اللغة العربية وكان من اهم خاصياتها والقرآن الكريم وان كان انزل بالفاظ عربية يفهم معانيها المخاطبون في عصر صاحب الرسالة صلوات الله عليه وآله وكل من عرف اوضاع اللغة في غير ذلك العصر ولكن نظمه المعجز واسلوبه العالي لو كان مغسولا مبذولا لم يكن له قيمة عند العرب الذين كانت تقام اسواقهم وتعمر متدياتهم بالتفاخر في افانين الفصاحة والبلاغة وتبريز الخطباء ونشر شعر الشعراء فاذا كان القرآن مبذول الاسلوب بقصد افهام كل احد ممن سلف وخلف ما يراد منه عارفا بافانين الكلام او غير عارف كان غير جار على سنتهم بل كان دون كلامهم فتصرف عنه القلوب ولا تدع عن تلك الطبايع الحافية ولا تطأطأ له هذه الرووس الشامخة التي اذمنت لبلاغته ووقفت حيرى دون اعجازه وحلبت البابها بفصاحته . وعند ذلك تفوت الفائدة المطلوبة ولا يؤثر الاثر المقصود

والله سبحانه انزله على نبيه الكريم وتحقق البلاغ . بمعجز بلاغته فجزوا عن الاتيان بسورة من مثله بل لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

وانا كان معجزا في نظمه واسلوبه وللنظم في اللغة العربية المتزلة القريفة في لباس الكلام حلة البهاء والنضرة والبر والاهبة والتراكيب افانين ومناهج يستطرقها ارباب الفصاحة بما يختارون لها من متخير الالفاظ وبديع الكتابات والطائف الاستعارات والمجازات والاطافة الاسلوب مما يجذب اليهم القلوب . والعقول متفاوتة فبأزرقة من الادراك قرب مستدل على معنى بجملة يستدل غيره بها على ضده فلا بد اذا من الرجوع الى الراسخين في العلم بعد انحطاط اللغة لتضييع ذلك وبمثل هذا احتاج الكتاب الكريم الى التفسير والبيان وتفسيره من قبيل بسط الالفاظ الوجيزة وكشف معانيها وترجيح بعض الاحتمالات على بعض

وان في القرآن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات وفيه ناسخ ومنسوخ ومجمل ومبين وعام وخاص واحكام وفرائض وسنن وقصص ومواعظ وحكم وامثال وما اشبه ذلك فما كان راجعا الى الاخبار والمواعظ فاللفظ دال بظاهره على معناه وقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عصره يأخذون منه بما يفهمون

يوم كانت ملكة اللسان عند العرب لا يرجع فيها الى كتاب او نقل بل كانت فطرية حتى اذا فسدت اللغة بمخالطة الاعاجم وبعُد زمن العرب عن اهل اللسان المخاطبين بالقرآن تنوسي ذلك واحتج في مثله الى علم التفسير وما كان راجعا الى القرائن والسنن والناسخ والنسوخ وامثال ذلك فلا بد فيه من الوقف حتى زمن نزوله ليعلم النص من قبل من شرع الله هذا الدين على لسانه وبذلك كانت السنة النبوية شارحة لمعاني الكتاب متممة لما فرضه الله او ندب اليه وكان علم التفسير كغلا بايضاح ذلك

وقد تداوله الصحابة في عصره (ص) حتى دونت العلوم وبويت ابوابها وجعل كل علم اصلا برأسه بعد زمن التابعين وكان دخل في الاسلام جماعة من علماء اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وكتب الاخبار ووهب بن منبه وامثالهم وكثير من مشركي العرب الذين اُقتوا علومهم عن علماء اليهود وهو لا. لم تتغير معارفهم فيما يرجع الى الاخبار والمواظ التي لم يتوقف القول فيها على نص النبي (ص) فكانوا يفسلون بمجمل القصص واخبار الملاحم وامثال ذلك بعد عصر النبي على ما هو مفروس في اذهانهم من علومهم الاسرائيلية وكانت العامة يومئذ تتعكف عليهم لاستماع اخبارهم والنفس مولعة بتعلم ما تجمله فكثرت الروايات الاسرائيلية في كتب التفسير واختلط الفث بالسني ولم يعصها العلماء بنقدمه لا هو معروف بينهم من التسامح في ادلة السنن وما جرى مجراها ولا انصراف مهمهم الى نقد ادلة الاحكام التكليفية وتخصيصها اللهم الا قليلا من المحققين لم يغفلوا هذا الامر ولكنهم لم تكن قوتهم هذه لتصد تياره الجارف فلم يؤثر الاثر المطلوب

فاتسعت بذلك دائرة علم التفسير وازدادت في الناس الحاجة الى الوقوف على المصنف المتقي من الاقوال فيه
اختلاف اذواق المفسرين

قد يتصدى للأمر من لا يحسنه فيعجز عن نيل المراد وقد يتصدى له الضليع فيه ولكنه يغلب على طبعه جهة واحدة منه فيطنب فيها حتى يكاد يهمل ما سواها ويحسن بالمفسر لكتاب الله ان يكون جامعاً للعلوم العربية ولعلوم القرآن قال الزمخشري : « ان العلماء كما بينوا في التفسير شرائط بينوا في المفسر ايضا شرائط لا يحل التعاطي لمن عري عنها او هو فيها ضالع وهي ان يعرف خمسة عشر علما على وجه الاتقان والكمال (١) اللغة (٢) النحو (٣) التصريف (٤) الاشتقاق (٥) المعاني (٦) البيان (٧) البديع (٨) القراءات (٩) اصول الدين (١٠) اصول الفقه (١١) اسباب النزول والقصص (١٢) الناسخ والنسوخ (١٣) الفقه (١٤) الاحاديث المبينة لتفسير المجمع والمبهم (١٥) علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم »

فاذا كان العالم جامعا لهذه العلوم مع رسوخ قدم فيها وفضل تحقيق وصلح لأن يكون مفسرا فربما يغلب عليه الجهة التي هو اليها اميل وبها اعرق فينحو في البحث نحوها ويطنب في امرها اطناها يكاد يجعل بحثه مقصوراً عليها والزمخشري نفسه مع سعة باعه وجودة تفسيره المعروف بالكشاف قد نحا فيه منحى الجانب البياني من التفسير اكثر من غيره فكان الكشاف بذلك كتابا يانيا اكثر منه تفسيريا

وقد عني بعض المفسرين بعلوم النحو والاعراب فبحث واطال حتى خرج عن الحد وتمسك بعضهم بعلم الفقه فلم يدع شاردة الا ذكرها وبعضهم نحا منحى الاخباريات وغفل عما عداها وبعضهم شغل بالعلوم الفلسفية فصرف كلامه في التفسير اليها وهكذا حتى اصبحت كتب التفسير كأن كل كتاب منها الف في غير ما الف فيه الآخر بل تكاد تستخرج من مجموعها دائرة معارف عربية قال صاحب كشف الظنون : « ومنهم من ملأ كتابه بما غلب على طبعه من الفن واقتصر على ما تهر فيه كأن القرآن انزل لأجل هذا العلم لاغير مع ان فيه تبيان كل شيء . فالنحوي تراه ليس له الا الاعراب وتكثير الالوجه المحتملة فيه وان كانت بعيدة . وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط واني حيان في البحر والنهر . والاخباري ليس له شغل الا القصص واستيفاءها والاخبار عن سلف سواء كانت صحيحة او باطلة ومنهم الثعلبي والفقيه يكاد يسرد فيه

الفتحة جميعا وربما استطرد الى اقامة ادلة الفروع الفقهية التي لا تتعلق لها بالآية اصلا والجواب عن الادلة للمخالفين
 كاقراطي . وصاحب العلوم العقلية وخصوصا الامام الرازي قد ملأ تفسيره باقوال الحكماء والفلاسفة وخرج من
 شي . الى شي . حتى يقضي الناظر عجباً قال ابو حيان في البحر جمع الامام الرازي في تفسيره اشياء كثيرة طويلة
 لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء . فيه كل شي . الا التفسير

اما قدما . للفسرين فقد كانوا على طريقة مولاني عصرهم من ايراد الاقوال والاحاديث مستندة الى روايتها
 منقولة بوجه متعددة واقتصر وا فيها على شرح المعاني وايراد الاحاديث الدالة على ذلك مع بيان الناسخ والمنسوخ
 واسباب النزول ومقتضيات الحال وما اشبه ذلك مما كان متداولاً في عصر الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله
 ولم يعنوا بشرح اللغة ودقائق الاعراب ونكات البيان لأن ملكة اللغة كانت في زمنهم لم تنحط الى درجتها التي
 وصلت اليها بعدهم بل كانت علوم اللسان يومئذ غير مدونة وكانت معرفتها الى السليقة والفظرة اقرب منها الى التعلم
 ولم تكن هذه المباحث يومئذ معدودة في التفسير حتى اذا دونت الكتب وكثر اللؤلؤ والنون وبعد عصر
 العربية الفصحى اصبح هذا البحث من ارکان علم التفسير وعني به المحققون من القسرين وظهر في العصر
 السادس الهجري كتاب الكشاف للعلامة الزمخشري جامعاً لترائب القنون من علوم اللسان شارحاً دقائق البيان
 ونكات البلاغة شرح خبير علم فكان كتاباً ممتناً في باب

ثم ظهر كتاب مجمع البيان للعلامة الطبرسي فكان غاية في الاتقان وحسن الترتيب والتبويب وجمع الى
 البحث عن اللغة والاعراب بيان النظم وسبب النزول ثم فصل المعنى تفصيلاً لم يكن فيه اطناب بل ولا اختصار
 مخجل وهو بذلك من احسن كتب التفسير تنسيقاً وتأييلاً ومع ذلك فهو يورد الاقوال المختلفة غير متعرض لتقد أو
 اعتراض بل تراه يسرد الاقوال ويترك الحكم فيها للمطالع ليشهد ذهنه باختيار ما يراه صواباً ويتعود به من لم
 يتعود ملكة النقد والتمحيص

اقسام التفسير

تقدم معنا البحث انه بعد ان بعد عصر اللغة الفصيحة وفسدت الملكات اللسانية من العرب اصبح البحث
 عن ما يرجع الى اللسان من بيان اللغة والاعراب والبلاغة في تادية المراد وما اشبه جزءاً من علم التفسير فكان هذا
 قسماً والتسم الآخر ما كان مستنداً الى الآثار المنقولة عن السلف كعرفة الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ومقاصد
 الآي والقراءات وقصص الامم واخبار الملاحم وهذا عزل الرأي عنه وتوقف البحث فيه على ما يرد من الاحاديث
 المستندة الى النبي المحطني (ص) وامنائه الكرام وان كان يمكن في القصص والمواظ الاخذ بظاهر النظم دون
 اعمال الفكر وملكة الاستنباط

ثم ان من التفسير ما يجوز للراسخ في العلم ان يأخذه بطريق النظر والاستدلال ومنه ما لا يجوز بما يتوقف
 البحث فيه على الآثار النبوية فليس للفكر والاستنباط عليه سبيل لأنه وارد في موارد خاصة لا يعرفها الا من
 خبرها وليس للرأي فيها مجال البتة ومنه ما لا يتوقف القول فيه على الآثار النبوية وهو ما كان مبناه على الاقيسة والقواعد
 العلمية كقنون البلاغة وضروب المواظ والحكم في هذا مجال قوة الاستدلال والاستنباط ومنه استنباط الاحكام
 الشرعية مما يصلح ان يكون دليلاً لها في الكتاب المبين واما الآيات التشابهات فقد اختلف في جواز اعمال النظر
 فيها ورجح المحققون ان يرد الحكم فيها الى الله ورسوله

ولما ماورد من النهي عن التفسير بالرأي فقد جعله في كشف الظنون في انواع خمسة اولها التفسير من غير حصول
 العلوم التي يجوز معها التفسير وثانيها تفسير التشابه الذي لا يعلمه الا الله تعالى وثالثها التفسير المقرر للمذاهب الفاسدة
 بأن يجعل التفسير تبعاً للمذهب فيرده اليه بأي طريق كان وان كان ضعيفاً واربعا التفسير بأن مراد الله كذا على
 القطع من غير دليل وخامسها التفسير بالاستحسان والمهورى النهي عنه . وقد قسم ابن عباس (رض) وجوه التفسير الى

اربعة اقسام تفسير لا يعذر احد بجهلته وتفسير تعرفه العرب بكلامها وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله فاما الذي لا يعذر احد بجهلته فهو ما يلزم به الكافة من الشرائع التي في القرآن وجل دلائل التوحيد واما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم واما الذي يعلمه العلماء فهو تلويل المتشابه وفروع الاحكام واما الذي لا يعلمه الا الله فهو ما يجري مجرى الثيوب وقيام الساعة

طبقات المفسرين

اول من تكلم في تفسير القرآن من اصحاب رسول الله (ص) مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وهو اعلم المسلمين بكتاب الله وتأويله بلا مدافع بل هو باب مدينة العلم قال ابن مسعود ان القرآن نزل على سبعة احرف مامنها حرف الا وله ظهر وبطن وان عليا عنده من الظاهر والباطن ثم عبد الله بن عباس حبر الامة وترجمان القرآن ووارث ثاني علوم رسول الله وقد دعا له النبي بقوله اللهم قمه في الدين وعلمه التأويل ولذلك كثرت الرواية في التفسير عنه حتى كان ما يقارب النصف من الاحاديث الواردة في التفسير مستندا اليه

ثم عبد الله بن مسعود ذو المقام العالي بين المفسرين وثاني ابن عباس في كثرة الرواية واني بن كعب وهو احد الاربعة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (ص) والمقدم بين القراء. وفي الصحابة غير من ذكرنا كثيرين تكلموا في التفسير ولكن الرواية عنهم قليلة وفي التابعين اشتهر علي بن ابي طلحة خريج ابن عباس وقيس بن مسلم الكوفي ومجاهد بن جبر المكي وقتادة بن دعامة السدوسي واسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفي وعكرمة مولى ابن عباس وهو اولاهم اشهر التابعين في التفسير وطاوس بن كيسان البائي وعده ابن تيمية من اعلم الناس في التفسير كما في الاتقان وعطاء بن ابي رباح المكي وجابر بن يزيد الجعفي ومحمد بن السائب الكلبي وهو علامة وقته والحسن البصري وهو اشهر من ان يعرف ومالك ابن انس وعامر الشعبي وعطاء بن ابي سلمه وسليان بن مهران الاعشى وابو العالية رفيع بن مهران الراصي والضحاك بن مزاحم وعطية بن سعيد العوفي وكثير غيرهم ممن لا يسع المقام تعدادهم وفي زمن التابعين دون التفسير وصنف فيه واول كتاب ظهر في التفسير كان لسعيد بن جبيرة المتوفى سنة ٦٤ وكان اعلم التابعين في التفسير نص على ذلك قتادة وحكاه السيوطي في الاتقان

ثم ابو محمد اسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي القرشي المعروف بالسدي المتوفى سنة ١٢٧ قال السيوطي ان تفسيره من امثل التفاسير ثم محمد بن السائب الكلابي المتوفى سنة ١٤٦ صاحب التفسير الكبير وابو حمزة الثمالي صاحب الامام ابي محمد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ذكر تفسيره ابن التميمي ثم ابو بصير الاسدي صاحب الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) وله تفسير جليل وهو من تابعي التابعين ومن صنف في التفسير من التابعين جابر بن يزيد الجعفي المتوفى سنة ١٢٧ ومنهم شعبة بن الحجاج وسفيان ابن عيينة ومجاهد وهو اولاهم عدا سعيد بن جبيرة من اهل المائة الثانية للهجرة وعرف بالتصنيف في هذا العلم من اهل هذه المائة عبد الملك بن جريج المكي الاموي بالولاء وزيد بن اسلم العدوي ومقاتل الازدي ووكيع بن الجراح الكوفي وابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ صاحب كتاب الرغيب في علوم القرآن

وفي المائة الثالثة اشتهر بالتفسير محمد بن جبر الطائري صاحب التفسير الكبير الذي جمع فروع وهو البحر الذي ورده اكثر من تأخر عنه من المفسرين ومحمد بن خالد البرقي صاحب كتاب التفسير املاء الامام ابي محمد الحسن العسكري (ع) حكاه ابن شهر اشوب في معالم العلماء وعلي بن ابراهيم القمي وابن ماجه محمد بن يزيد الترمذي والمحدث المشهور والاشج ابو سعيد بن راهويه

وفي المائة الرابعة عرف النيسابوري وابو الحسن الأشعري امام اهل السنة وعلي بن عيسى الرماني النحوي المشهور
وابو هلال العسكري وعبد الله بن محمد الكوفي وابن حبان وابن فورك
وفي المائة الخامسة عرف شيخ الطائفة الامامية وفتيها الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب
البيان الجامع لكل علوم القرآن ثم السيد الشريف الرضي الموسوي صاحب كتاب حقائق التزويل ودقائق التأويل
وامام الحرمين ابو العالي الجويني وعبد الملك النعماني
وفي المائة السادسة اشتهر جار الله الزمخشري صاحب الكشاف الذي لم يوف في بابيه مثله جودة واتقان
واشتهر ابو علي الفضل بن الحسن الفاضل الطبرسي صاحب كتاب مجمع البيان وهو التفسير المشهور الذي لم يسج
على مثواله ابداع منه وابو البقاء المكي وابو محمد البغوي وابن الدهان
وفي المائة السابعة اشتهر البيضاوي صاحب التفسير المشهور المسمى بانوار التزويل الذي تناوله العلماء بالشروح
والتعليق واتخذه طلاب التفسير منارا لهم وعرف ابن زرين والشيخ الاكبر محي الدين بن العربي صاحب الفتوحات
وابن عقيل النحوي ومحمد بن سليمان البلخي المعروف بابن النقيب
وفي المائة الثامنة عرف الشيخ بدر الدين الزركشي الفقيه الشافعي وابن كثير اسماعيل بن عمر القرشي وابو
حيان الاندلسي صاحب كتابي البحر والنهر في التفسير ومحمد بن عرفة المالكي وابن النقاش
وفي المائة التاسعة عرف القعقعي صاحب نظم الدرر في تناسب الآي والسور والمولى الجامي وبرهان الدين بن
جماعة وعلاء الدين القراماني صاحب بحر العلوم في التفسير والجلال السيوطي صاحب كتاب الاقان في علوم القرآن
وفي المائة العاشرة عرف الشيخ علي بن يونس النباطي صاحب مختصر مجمع البيان والعلامة ابن كمال باشا
احمد بن سليمان بن كمال الرومي وابو السعود العمادي مفتي القسطنطينية صاحب التفسير الكبير المسمى بارشاد
العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم الذي اشتهر صيته وانتشرت نسخه والشيخ ابو يحيى زكريا بن محمد الانصاري
وفي المائة الحادية عشرة عرف الشيخ علي القاري والشيخ حسن البوريني والشيخ بهاء الدين العاملي الكركي
صاحب التفسير المسمى بعين الحياة وهو مؤلف الكشكول والشيخ خير الدين الرملي والشهاب الخفاجي .
وفي المائة الثانية عشرة عرف الشيخ العارف عبد الغني التابلسي صاحب التحرير الحاوي في شرح تفسير
البيضاوي والسيد هاشم البحراني صاحب البرهان في تفسير القرآن
وفي المائة الثالثة عشرة اشتهر الالوسي صاحب التفسير المشهور المسمى روح المعاني والسيد محمود الخمزاوي
مفتي دمشق الشام بكتابه در الاسرار وهو تفسير بالحرف المهمل وما اخرج هذا التفسير الى تفسير
وفي المائة الرابعة عشرة اشتهر العلامة المحقق الاستاذ الامام محمد عبده مفتي الديار المصرية بما كان يلقبه من دروس
التفسير المفيدة على طلاب العلوم في الجامع الازهر بالقاهرة سلك فيها مسلكا رائعا على مزيد تبحر وسلامة ذوق وجامعة
كبرى وقد اقتبس دروسه هذه العلامة السيد محمد رشيد رضا فشرها في مجلة المنار التي تصدر عن مصر وزاد
عليها فوائد مهمة في التفسير
وهذا انبؤج من كتب التفسير واسما طائفة من علمائه ذكرناها تكمة للبحث والا فان تعداد مفسري كتاب
الله الكريم في كل عصر ومصر وفي كل لغة من لغات البشر الشائمة لما يفوت الاحصاء والاستقصاء جزى الله
العاملين على اعلاء كلامه واحياء لغة الضاد التي لا حياة لها الا بحياته وهو الكلمة الباقية الخالدة مادامت الارض والسما .



مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارتفعت عن منال الفكر جلالاته. ورجلت عن مقام الحسم عزته. وتعالى عن مشابهة الانام صفته. واعجزت مدارك الافهام حكمته. وفاقته مبالغ الاوهام عظمته الذي له في كل ما رآته الابصار اللاحظة. وذكرته اللسان اللافضة. وبلغته العقول الزاكية. وعرفته القلوب الوافية. آيات واضجة تعمل وحدانيته. ودلالات ناطقة على ربوبيته. الواحد لثاني له في القدم. والمحدث للشيء بعد العدم. انشأها بلا طوية ولا روية. اكل اليها. ولا فريضة غريزة افسر عليها. هو الظاهر عليها بسلفانه وقدرته. الباطن لها بلمسه ولطيف حسنته. الاول الذي لا يتقدمه قبله. الاخر الذي لا يتقبه بعده. لانما لا اعطى. ولا معطى لا منع. ولا ينفع ذا الجدمته الجدم. احمد على آلائه التوالية المتظاهرة. ونسبه الباطنة المتظاهرة. حمدا يستدرش آيب جوده العاطفة. ويمتري اختلاف فضله العاطفة. حمدا يدوم ولا يبيد. ويستدي بئله المتريد. وانهد انه الواحد الاحد السمد. الذي لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا احد. واسأله باوضح بيان. وافصح لسان. ان يصلي على نبيه وصفيه. وحبيبه ونجيه. محمد سيد الانبياء والمرسلين. وخير الأولين والآخرين. الموكد دعوته بالتأييد. المخصوص شرعيته بالتأييد. نسخته جاشرائع الماضين. ولا يبي بعده الى يوم الدين. وعلى آله وعترته الشرف عظيم من نعمته. المستودعين بحكمته. الحافظين لشرعيته. اعلام الاسلام. وائمة الانام. ما اعتقت باليالي والايام. واختلف الضياء والظلام. ثم الحمد لله الذي اتزل القرآن. هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. نورا يتوقد صباحه. وضياء يفلأ صباحه. ودليلا لا يخمد برهانه. وحقا لا تحذل امرانه. وجيلا رثيقا عروته. وجيلا منيعا ذروته. وشفا للصدور ليس وراءه شفا. ودواء للقلوب ليس ماله دواء. واماما يقندي بسنة المتقدمون. وعلما يعتدي بجده المتقدمون. جملة سبحانه لا تحده الائمة ربما مرعا. ولجنوب ذوي المحارب من الائمة جنابا مرعا. ففيه ربح الحكمة واتوارها. وينابيع العلوم بل مجارها. واودية الحق ونيطانه. ومراتب العدل وغدرانه. وهو الكتاب العزيز الذي لا ياتي به الاصل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

«وبعد» فان احق الفضائل بالتعظيم. واسبقها في استحقاق التقدم. هو العلم اذ لا شرف الا وهو نظامه. ولا كرم الا وهو ملاكته وقوامه. ولا سياسة الا وهو ذروعا وسامها. ولا مساعدة الا وهو صحتها وقوامها. به يكسب الانسان رتبة القدر وعلو الامر في حياته. ويموز جزيل الاجر وجليل الذكر بعد وفاته. هو الصديق اذا خان كل صديق. والشقيق اذا لم يوثق بكل ناصح شقيق. والعلما وورثة النبيين. وسادة المسلمين. والدعاة الى الدين. وقد صرح عن النبي (ص) قبا رواه لنا اللغات بالاسانيد الصحيحة مرفوعا الى امام الهدى وكهف الوري الى الحسن علي بن موسى الرضا (ع) عن ابائه سيدنا سيدنا امامنا ان اتصل به عليه وآله السلام. انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم وسلمة. فاطلبوا العلم من مظانه. واقتبسوا من اهلها فان تعلمه لله حسنة. وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح. والعمل به جهاد وتعليبه من لا يملكه صدقة وبذله لأهله قرينة الى الله تعالى لانه عالم الحلال والحرام ومانر سبيل الجنة. والمؤمن في الوحشة والمصاحب في الغربة والوحدة. والمحدث في الخلوة. والدليل على السراء والضراء. والسلاح على الاعداء. والزين عند الاخلاء. يرفع الله به اقواما فيجعلهم في المير قيادة تقبيل آثارهم. ويقندي بفعالهم. وينتهي الى اربابهم. وترغب الملائكة في خلتهم. وبأجنحتها تسبحهم. وفي صلاحها تبارك عليهم. يستغفر لهم كل مطب ويبس حتى حيطان البحر وهوامه. وسباع البر وانعامه. ان العلم حياة القلوب من الجهل. وضياء الاجساد من الظلمة. وقوة الابدان من الضعف. يبلغ بالعباد منازل الاختيار. ويجالس الأبرار. والدرجات العلى في الاخرة والأولى. الذمسكر فيه يبدل بالصيام. ومدارسته بالقيام. يبسطع الرب ويمد. ويوصل الارحام. ويرف الحلال والحرام. العلم امام العمل والعمل تابعه. يلهمه السعداء. ويمر به الاشقياء. فطوبى لمن لم يجرمه الله منه حظه. وفي امثال هذا من الاخبار كثيرة لا تطول بذكرها

ثم ان اشرف العلوم واستانها. وابهرها واوبهاها. واجلها وانضها وانعمها واكملها علم القرآن فانه لجميع العلوم الاصل منه تنفوع افاينها. والبياد عليه تبنى فواينها. وقد قال امير المؤمنين سيد الوصيين علي بن ابي طالب (ع). القرآن قاهره اتقى واطنه عميق لا تنق عجائبه ولا تنق غرائبه. وقد روي عن عبيد الله بن مسعود انه قال اذا اردتم العلم فاطيروا القرآن فان فيه علم الأولين والآخرين وعن سعيد بن قتادة في قوله عز وجل ومن يومت الحسكة فقد اوتى خيرا كثيرا قال هو القرآن وعن رجاء بن حياة قال كنا يوما انا وابي عند معاذ بن جبل فقال من هذا يا حياة فقال هذا ابني رجاء فقال معاذ هل علمته القرآن قال لا نال فعلمه القرآن فاني سمعت رسول الله (ص) يقول ما من رجل علم ولده القرآن الا توج ابواه يوم القيامة بتاج الملك وكسبا حلوتين لمير الناس مثلها ثم ضرب يده على كتفي فقال يا بني اذا استلمت ان تكسو ابوك يوم القيامة حلوتين فافعل وروي عن ابن عباس عن النبي (ص) انه قال من قال في القرآن غير علم فليتبوا مقعده من النار وصح عن النبي (ص) من رواية الامام والمصانعة قال اني نزلت فيكم ما ان تكسكم به لن تفلخوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي واخذ ان يفرقا حتى يردا علي الموض

وانا احذف اسانيد امثال هذه الاحاديث ايثارا للتخفيف . ولاشتهاها عند اصحاب الحديث .
وقد غاض العلماء قديما وحديثا في علم تفسير القرآن . واجتهدوا في ابراز مكنونه . واظهار مصونه .
والقوافيه كتبها جماعة غاصوا في كثير منها الى اعماق لجهه . وشققوا الشعر في ايضاح حججه . وحققوا في تفتيح
ابوابه . وتغافل شامبه . الا أن اصحابنا رضي الله عنهم لم يدونوا في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل
اليهم في ذلك من الاخبار . ولم يعنوا ببسط المعاني وكشف الاسرار . الا ما جمعه الشيخ الأجل السعيد ابو جعفر
محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه من كتاب التبيان . فانه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ويلوح
عليه رواه الصدق . قد تضمن من المعاني الأسرار البديعة . واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة . ولم يقنع بتدوينها
دون تبينها . ولا بتبيينها دون تحقيقها . وهو القدوة استضي . بأنواره . وأظأ مواقع أثره . غير انه خلط في اشياء . مما
ذكره في الامراب والنحو القث بالسعين . والحائر بالزياد . ولم يميز بين الصلاح مما ذكر فيه والفساد . وادى الألفاظ في
مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد . واخل بحسن الترتيب . وجودة التهذيب . فلم يقع لذلك من القلوب السليسة
الموقع الرضي . ولم يعمل من الحواطر الكريمة المكان العلي . وقد كتبت في عهد يعان الشباب وحادثة السن وريان العيش
ونضارة العصف . كثير النزاع قلن التشوق . شديد التشوف الى جمع كتاب في التفسير . ينظم اسرار النحول الطليفة . ولمع
اللغة السريفة . وينفي موارد القرائت من متوجهاتها . مع بيان حججها الواردة من جميع جهاتها . ويجمع جوامع البيان
في المعاني المستنبطة من معادنها . المستخرجة من كوامنها . الى غير ذلك من علومه الجمة . مطعمة من العلف والاكمة . فيعرض
لذلك جوانح الزمان . وعوائق الخلدان . وواردات العموم . وهفوات القدر المحتوم . وهلم جرا الى الآن . وقد ذرف
سني على السنين واشتعل الرأس شيبا . وامتلات العية عيبا . فلداني على تصحيح هذه العزيمة مارأيت من عناية مولانا
الأمير السيد الاجل العالم ولي النعم . جلال الدين ركن الإسلام محض الملوك والسلاطين سيد نقباء . الثرف . تاج
امراء السادة . فخر آل رسول الله (ص) ابي منصور محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني . ادام الله علاه . وكبت اعداءه .
بهذا العلم وصدق رغبته في معرفة هذا الفن . وقصر همه على تحصيل حقايقه . والاحتراف على جلاله ودقايقه . والله عزاسمه
المسؤول أن يجرس للاسلام والمسلمين رفيع حضرة . ويفيض على الفضل والفضلا . سجل سيادته . ويمد على العلم
والعلماء امداد سعادت . ويبيق اقباله في دولة شام السماء لا يرتقي هضباتها . ورفعة سامية البناء لا تبني جنباتها . ويوفي
آماله في ظلال مجد محلول طله مطول حاله . وجلال فضل مزور عليه حله . مضروب عليه كلاله . ويديم جماله في
نقطة رفيعة القل . وبسطة مريعة الظلال .

حتى يجوز من المنى غاياتها	متلقيا	يبينه	راياتها
ويغوز بالآمال غير مدافع	يتلو	عليه	آياتها
وتظل شمس المجد في ساحاته	تجلو	عليه	جرما باناتها

وكل غاية في المجد ادنى درجات قدره . وكل نهاية في الذرف ادون طبقات فخره . فأوجبت على نفسي اجابته
الى مطلوبه . واسعافه بحجوبه . واستخرت الله تعالى . ثم قصرت وهمي وهمي على اقتناء . هذه الذخيرة الحظيرة .
واكتساب هذه الفضية الثنية . وشمرت عن ساق الجدوبذلت غاية الجهد والسكد . واسهرت الناظر . واتعبت خاطر .
واطلت التفكير . واحضرت التفاسير . واستمددت من الله سبحانه التوفيق والتيسير . وابتدأت بتأليف كتاب هوني
غاية التلخيص والتهذيب . وحسن النظم والترتيب . يجمع أنواع هذا العلم وفنونه . ويعوي قصوه وعيونه . من علم
قرايته وامرأيه ولانته وغوامضه ومشكلاته . ومعانيه وجهاته . وتزوله واخباره . وقصصه وآثاره . وحدوده واحكامه
وحلاله وحرامه . والكلام على مطاعن المبطلين فيه وذكر ما ينفرد به اصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلالات
بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتدونه من الأصول والفروع . والمقول والمسوع . على وجه الاعتدال والاختصار

فوق الإيجاز ودون الإكثار فإن الخواطر في هذا الزمان لا تحتمل أعباء العلوم الكثيرة. وتضنف عن الاجراء في الحلقات الخطيرة. اذ لم يبق من العلماء الا الأسماء. ومن العلوم الالذما. وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيا ومدنيا. ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها. ثم ذكر فضل تلاوتها. ثم اقدم في كل آية الاختلاف في الترات. ثم ذكر العلل والاحتجاجات. ثم ذكر العربية واللغات. ثم ذكر الاعراب والمشكلات. ثم ذكر الاسباب والتزولات. ثم ذكر المعاني والأحكام والتأويلات. والقصص والحلقات. ثم ذكر انتظام الآيات. على اني قد جمعت في عربيته كل فرة لا تحتمل. وفي اعرابه كل حجة واضحة. وفي معانيه كل قول متين. وفي مشكلاته كل برهان مبين. وهو بحمد الله للأديب عمدة. وللنحوي عمدة. وللقرى بصيرة وللناسك ذخيرة. وللشكلم حجة وللحدث حجة. وللنقيح دلالة. وللواعظ آلة. وسيسه كتاب (مجمع البيان لعلوم القرآن) وارجو ان شاء الله تعالى ان يكون كتابا كثير الدرر. غزير الثمر. متواصفا للسمات. متناصفا للصفات. سيارا في الاجبار والافوار. طيارا في الأفاق والاقطار. مهذب الترتيب. مذهب التهذيب. احكام الشريعة بمانيه منوطة. واعلام الحقيقة بمانيه مبروطة. وبحول الله اعتم. وببقوته وعونه افتتح واختتم. وياه اسأل الهداية التي هي اقوم. وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب. وقبل ان شرع في تفسير السور والآيات. فنحن نصدرك الكتاب بذكر مقدمات. لا بد من معرفتها لمن اراد الخوض في علومها من سبعة

﴿ الفن الأول ﴾

في تعداد آي القرآن والفائدة في معرفتها

اعلم ان عدد اهل الكوفة اصح الاعداد واعلاها اسنادا لأنه مأخوذ عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وتعضده الرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فاتحة الكتاب سبع آيات احدها بسم الله الرحمن الرحيم ، وعدد اهل المدينة منسوب الى ابي جعفر يزيد بن القعقاع القاري ، وشية بن نصاح وهما المدني الأول والى اسماعيل بن جعفر وهو المدني الاخير وقيل المدني الاول هو الحسن بن علي بن ابي طالب وعبدالله بن عمر والمدني الأخير ابو جعفر وشية واسماعيل والأول اشهر وعدد اهل البصرة منسوب الى عاصم ابن ابي الصباح الجعدي وايوب بن التوكل لا يختلفان الا في آية واحدة في (ص) قوله فاطق والحق اقول عددا الجعدي وتركها ايوب وعدد اهل مكة منسوب الى مجاهد بن جبر ، والى اسماعيل المكي ، وقيل لا ينسب عددهم الى احد بل وجد في مصاحفهم على رأس كل آية ثلاث نقط ، وعدد اهل الشام منسوب الى عبد الله بن عامر ، والفائدة في معرفة آي القرآن ان القارى اذا عدّها باصابعه كان اكثر ثوبا لأنه قد شغل يده بالقرآن مع قلبه ولسانه ، وبالحرى ان تشهد له يوم القيامة فانها مسؤولة ولأن ذلك اقرب الى التحفظ فإن القارى لا يأمن من السهو ، وقد روى عبد الله بن مسعود عن النبي (ص) انه قال تماهدوا القرآن فانه وحشي وقال عليه الصلاة والسلام لبعض النساء اعقدن بالانامل فانهن مسؤولات ومستنطقات ، قال حمزة بن حبيب وهو احد القراء السبعة المدد امير القرآن

﴿ الفن الثاني ﴾

في ذكر اسامي القراء المشهورين في الامصار ورواتهم

اما المدني فابو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة وذكر انه قرأ على عبد الله بن عباس وعلى مولا عبد الله ابن عياش بن المديينة المنزومي وهما قرأ على ابي بن كعب وقرأ ابي علي النبي (ص) وله رواية واحدة ونافع بن عبد الرحمن وقرأ على ابي جعفر ومنه تعلم القرآن وعلى شية بن نصاح وعلى عبد الرحمن بن هرمز الامرج وقرأ على ابن عباس وله ثلاث روايات ورواية قورش وهو عثمان بن سعيد ورواية قالون وهو عيسى بن مينا ورواية اسماعيل بن جعفر واما للمكي فهو عبد الله بن كثير لا غير وقرأ على مجاهد وقرأ مجاهد على ابن عباس وله ثلاث روايات ورواية البري ورواية ابن فليح ورواية لبي الصعيف التوام واذا اجتمع اهل مكة والمدينة قيل حجازي

واما الكوفي فالولهم عاصم بن ابي النجود بهدله وله روايتان رواية حفص بن سليمان البرزوري رواية ابي بكر بن عياش
 ولا يبي بكر بن عياش ثلاث روايات رواية ابي يوسف الاشبي وابي صالح البرجمي ويحيى بن آدم ولفص اربع
 روايات رواية ابي شعيب القواس وهيرة التار وعبيد بن الصباح وعمرون الصباح ثم حمزة بن حبيب الزيات وله
 سبع روايات رواية العجلي عبد الله بن صالح ورواية رجا بن عيسى ورواية حماد بن احمد ورواية خلاد بن خالد
 ورواية ابي عمر الدوري ورواية محمد بن سعدان النحوي ورواية خلف بن هشام ثم ابو الحسن علي بن حمزة
 الكسائي وله ست روايات رواية قتيبة بن مهران ورواية نصير بن يوسف النحوي ورواية ابي الحارث ورواية ابي حمدون
 الزاهد ورواية حمدون بن ميمون الزجاج ورواية ابي عمر الدوري ثم خاب بن هشام البراز وليس من السبعة وله اختيار ،
 فاما عاصم فانه قرأ على ابي عبد الرحمن السلمي وهو قرأ على علي بن ابي طالب (ع) وقرأ ايضا على زر بن حبيش وهو قرأ
 على عبد الله بن مسعود واما حمزة فقرأ على جعفر بن محمد الصادق (ع) وقرأ ايضا على الاعمش سليمان بن مهران
 وقرأ الاعمش على يحيى بن وثاب وهو قرأ على علقمة ومسروق بالاسود بن يزيد وقرأوا على عبد الله بن مسعود
 وقرأ حمزة على حمران بن اعين ايضا وهو قرأ على ابي الاسود الولي وهو قرأ على علي بن ابي طالب عليه السلام
 واما الكسائي فقرأ على حمزة وطي من مشايخ حمزة ابن ابي ايلي وقرأ عليه وعلى ابان بن تغلب وعيسى بن
 عمر وغيرهم ، واما البصري فابو عمرو بن العلاء وله ثلاث روايات رواية ابي حمدة الزاهد وابي عمر الدوري واقوية وابي نعيم غلام شحادة
 وابي ايوب الحيات وابي شعيب السوسي ومن البصرة يعقوب بن اسحق الحضرمي وابو حاتم سهل بن محمد السجستاني
 وليسا من السبعة فاما يعقوب فله ثلاث روايات رواية روح وزيد ورويس واذا اجتمع اهل البصرة والكوفة قيل
 عراقى ، واما الشامي فهو عبد الله بن عامر اليحصبي لا غير وقرأ على المغيرة بن ابي شهاب المغزومي وقرأ المغيرة
 على عثمان بن عفان وله روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمار قالوا وانما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء
 واقتدوا بهم فيها لسببين ، احدهما انهم تجردوا لقراءة القرآن واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ومن كان قبلهم
 او في ازمته من نسب اليه القراءة من العلماء وعدت قراوتهم في الشواذ لم يتجرد لذلك تجردهم وكان الغالب على
 اولئك الفقه او الحديث او غير ذلك من العلوم والآخر ان قراوتهم وجدت مسندة لفظا او سماعا عرفا من اول القرآن
 الى آخره مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجود القرآن فاذا قد تبينت ذلك فاعلم ان الظاهر من مذهب
 الامامية انهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء بينهم من القرائات الا انهم اختلفوا في جواز بين
 القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة والشائع في اخبارهم ان القرآن تزل بجرف واحد ، وما روت العامة عن النبي
 (ص) انه قال تزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف اختلف في ترويجه فاجرى قوم لفظ الاحرف على ظاهره
 ثم حملوه على وجهين ، احدهما ان المراد سبع لغات مما لا يغير حكما في تحليل ولا تحريم مثل هلم واقبل وتعال
 وكانوا يخبرون في مبتدأ الاسلام في ان يقرأوا بما شاءوا منها ثم اجمعوا على احدها واجتهدوا حجة فصاروا اجمعوا عليه
 مانعا مما عرضوا عنه ، والآخر ان المراد سبعة اوجه من القراءات تذكرا للاختلاف في القراءة على سبعة اوجه احدها
 اختلاف اعراب الكلمة مما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله فيضاعفه بالرفع والنصب والثاني
 الاختلاف في الاعراب بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو قوله اذ تلقونه واذ تلقون والثالث الاختلاف في حروف الكلمة
 دون اعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله كيف ننشزها وننشزها بالزا والراء والرابع الاختلاف في الكلمة
 بما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله ان كانت الاصيحة والازقية ، والخامس الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها
 ومعناها نحو طلع منضود وطلع ، والسادس الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله وجات سكرة الموت بالحق وجات سكرة
 الحق بالموت ، والسابع الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله وما عملت ايديهم وما عملته ايديهم

وقال الشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي قدس الله روحه هذا الوجه املح لا روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه وحمل جماعة من العلماء الأحراف على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن دون الالفاظ واختلفت اقوالهم فيها ، فمنهم من قال انها وعدٌ ووعدٌ وامرٌ ونهيٌ وجدلٌ وقصصٌ ومثل ، وروي عن ابن مسعود عن النبي (ص) انه قال نزل القرآن على سبعة احرف زجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال ، وروي ابو قلابة عن النبي (ص) انه قال نزل القرآن على سبعة احرف امر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل ، وقال بعضهم ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ومجمل ومنصل وتأويل لا يعمله الا الله عز وجل

﴿ الفن الثالث ﴾

في ذكر التفسير والتأويل والمعنى وتحرير جملة موجزة اليها ينساق اكثر الكلام فيما يأتي من الكتاب

التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويل رد احد المحتملين الى ما يطابق الظاهر والتفسير البيان ، وقال ابو العباس البرد التفسير والتأويل والمعنى واحد ، رقيب الفسر كشف المعنى والتأويل انتها ، وصيره وما يؤول اليه امره والمعنى مأخوذ من قولهم عنيت فلانا اي قصدته فكأن المراد من قولهم عنى به كذا قصد بالكلام كذا ، رقيب هو من قولهم عنيت بهذا الامر اي تكلفته ، واعلم ان الخبر قد صح عن النبي (ص) وعن الأئمة القائلين بمقامه (ع) ان تفسير القرآن لا يجوز الا بالآثر الصحيح ، والنس الصريح ، وروى العامة ايضا عن النبي (ص) انه قال من فسر القرآن برأيه فاصاب الحق فقد اخطأ ، قالوا وكم جماعة من التابعين القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب وعبيد بن سليمان ونافع وسالم بن عبد الله وغيرهم والقول في ذلك ان الله سبحانه ندب الى الاستنباط ووضح السبيل اليه وودح اقواما عليه فقال لعلمته الذين يستنبطونه منهم وذبم آخرين على ترك تدبيره والاضراب عن التفكير فيه فقال افلا يتدبرون القرآن انما على قلوب اقلها واذكر ان القرآن منزل بانسان العرب فقال انا جعلناه قرآنا عربيا ، وقال النبي (ص) اذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط فبين ان الكتاب حجة ومعروض عليه وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى فهذا وامثاله يدل على ان الخبر مقروك الظاهر فيكون معناه ان صح ان من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل بشواهد الفاظه فاصاب الحق فقد اخطأ الدليل وقد روي عن النبي (ص) انه قال القرآن ذلول ذو وجود فاحملوه على احسن الوجوه وروي عن عبد الله بن عباس انه قسم وجود التفسير على اربعة اقسام تفسير لا يعذر احد بجهاته وتفسير تعرفه العرب بكلامها وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعرفه الا الله عز وجل ، فاما الذي لا يعذر احد بجهاته فهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن وجمل دلائل التوحيد ، واما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم ، واما الذي يعلمه العلماء فهو تأويل المتشابه وفروع الاحكام واما الذي لا يعلمه الا الله فهو ما يجري مجرى النبوء وقيام الساعة واقول ان الاعراب اجل علوم القرآن فان اليه يفتر كل بيان وهو الذي يفتح من الالفاظ الاغلاق ويستخرج من حقاها الاغلاق اذ الاغراض كالمئة فيها فيكون هو المثير لها والباحث عنها والشير اليها وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه ، ومقايسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع اليه ، وقد روي عن النبي (ص) انه قال اعربوا القرآن والتمسوا غرابه واذ اكلن ظاهر القرآن طبقا لمعناه فكل من عرف العربية والاعراب عرف حقاها ويعلم مراد الله به قطعا هذا اذا كان اللفظ غير مجمل يحتاج الى بيان ولا يحتمل لمعنيين او معان وذلك مثل قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وقوله وانهمم له واحد وقوله ولا يظلم ربك احدا واشياء ذلك وما كان مجملا لا يبنى ظاهره عن المراد به مفصلا مثل قوله سبحانه اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واحق يوم حصاده فانه يحتاج فيه الى بيان النبي (ص) بوحى من الله سبحانه اليه فيبين تفصيل اعيان الصلوات واعداد اركانها ومقادير النصب في الزكاة وامثالها كثيرة والشروع في بيان ذلك من

غير نص وتوقيف ممنوع منه ويمكن ان يكون الخبر الذي تقدم محمولا عليه واما ما كان محتملا لمورد كثيرة اولاً مرين فلا يجوز ان يكون الجميع مراداً بل قد دل الدليل على انه لا يجوز ان يكون المراد به الا وجهاً واحداً فهو من باب التشابه لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد فيحمل على الوجه الذي يوافق الدليل وجاز ان يقال انه هو المراد وان كان اللفظ مشتركاً بين معنيين او اكثر ويمكن ان يكون كل واحد من ذلك مراداً فلا ينبغي ان يقدم عليه بحسبارة فيقال ان المراد به كذا قطعاً الا بقول النبي او امام مقطوع على صدقه بل يجوز ان يكون كل واحد مراداً على التفصيل ولا يقطع عليه ولا يقلد احداً من المفسرين فيه الا ان يكون التأويل مجعماً عليه فيجب اتباعه لانعتقاد الاجماع عليه فهذه الجملة التي لحقتها اصل يجب ان يرجع اليه ويعمل عليه ويمتد به وجوه التفسير وما اختلف فيه العلماء من قول القرآن والمعاني والاحكام

﴿ الفن الرابع ﴾

في ذكر اسمي القرآن ومعانيها

القرآن معناه التراءة في الاصل وهو مصدر قرأت اي تلوت وهو الروي عن ابن عباس وقيل هو مصدر قرأت الشيء اي جمعت بعضه الى بعض وقال عمرو بن كلثوم

ذراعي عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقره جنيثا

اي لم تضم جنيثها في رحمتها وهو الروي عن قتادة وانا سمي بالصدر وهو في الحقيقة القرو كما سمي المكتوب كتاباً والمحسوب حساباً ومن اسمائه الكتاب ايضاً وهو مأخوذ من الجمع ايضاً يقال كتبت السقاء اذا جمعتها بالحز و من اسمائه الفرقان سمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل بادله الدالة على صحة الحق وبطلان الباطل عن ابن عباس وقيل سمي بذلك لأنه يودي الى النجاة والمخرج كقوله سبحانه ويجعل لكم فرقاناً ومن اسمائه الذكر قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وهو يحتمل ام بين احدهما ان يريد به انه ذكر من الله لعباده بالفرائض والاحكام والآخرة شرف لمن آمن به وصدق بما فيه كقوله سبحانه وانه لذكر لك ولقومك فهذه اربعة اسماء وقد شاع في الخبر عن النبي (ص) انه قال اعطيت مكان التوراة السبع الطوال ومكان الانجيل الثاني ومكان الزبور الثين وفضلت بالمفضل ، وفي رواية وثلة بن الاسقع اعطيت مكان الانجيل الثين ومكان الزبور الثاني واعطيت فاتحة الكتاب وخواتم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي واعطاني ربي المفصل نافذ فالسبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والانة لمع التوبة لأنها يديان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بدم الله الرحمن الرحيم ، وقيل ان السابعة سورة يونس والطول جمع الطولي تثنية الاطول وانا سميت هذه السور الطول لانها اطول سور القرآن ، واما الثاني فهي السورة التالية للسبع الطول واولها سورة يونس وآخرها النحل وانا سميت مثاني لأنها ثنت الطول اي تثنها وكان الطول هي المبادي والمثاني لها ثواني وواحدة مثني مثل المعنى والمعاني ، وقال الفراء واحدها المثناة وقبل الثاني سور القرآن كلها طولها وقصارها من قوله تعالى كتاباً متشابهاً مثاني وهو قول ابن عباس وانا سميت مثاني لأنه سبحانه ثنى فيها الامثال والحدود والفرائض وقيل ان المثاني في قوله وقد آتيناك سبعا من المثاني آيات سورة الحمد وهو الروي عن ائمتنا (ع) وبه قال الحسن البصري واما الثون فهي كل سورة تكون نحواً من مائة آية او فوي ذلك اودوينه وهي سبع اولها سورة بني اسرائيل وآخرها المؤمنون وقيل ان الثين ما ولي السبع الطول ثم الثاني بعدها وهي التي تقتصر عن الثين وتزيد على المفصل وسميت الثاني لأن الثين مباديها واما المفصل فما بعد احرامهم من قصار السور الى آخر القرآن سميت مفصلاً لكثرة الفصول بين سورها بدم الله الرحمن الرحيم

﴿ الفن الخامس ﴾

في اشياء من علوم القرآن يحال في شرحها وبسط الكلام فيها على المواضع المختصة بها والكتب الموقوفة فيها من ذلك العلم بكون القرآن معجزا خارقا للعادة والاستدلال به على صدق النبي (ص) والكلام في وجه اعجازه وهل هو ما فيه من الفصاحة المفرطة او ماله من النظم المخصوص والاسلوب البديع والصرفه وهو ان الله تعالى عرف العرب عن معارضته وسلبهم العلم الذي به يتمكنون من مجادلته في نظمه وفصاحته فموضع ذلك اجمع كتب الاصول وقد دونه مشايخ المتكلمين في كتبهم لاسيما السيد الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجددين ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي قدس الله روحه في كتابه الموضع عن وجه اعجاز القرآن فإنه فرع الكلام فيه هناك الى غاية ما يتفرع ، ونهاه الى نهاية ما ينتهي فلا يشق غباره غاية الابد ، اذ استولى فيه على الامد ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فإنه لا يليق بالتفسير فاما الزيادة فيه فجمع على بطلان واما النقصان منه فقد روى جماعة من اصحابنا وقوم من حشوية العامة ان في القرآن تغييرا ونقصانا والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات وذكروا في مواضع ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة واشعار العرب المسطورة فإن العناية اشددت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت الى حد لم يبلغه فياذ كراه لان القرآن معجزة النبوة وما أخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية وعلما المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته العناية حتى عرفوا كل شي . اختلف فيه من إعرابه وقرائه وحورفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيرا او متوقفا مع العناية الصادقة والضبط الشديد وقال ايضا قدس الله روحه ان العلم بتفسير القرآن وابعاضه في صحة نقله كالعلم بمجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيويه والمزني فإن اهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من مجملتها حتى لو ان مدخلا دخل في كتاب سيويه بابا في التحويل ليس من الكتاب لعرف وميز وعلم انه ملحق وليس من اصل الكتاب وكذلك القول في كتاب المزني ومعلوم ان العناية بنقل القرآن وضبطه اصدق من العناية بضبط كتاب سيويه ودواوين الشعراء وذكر ايضا (رض) ان القرآن كان على عهد رسول الله (ص) مجموعا موقفا على ما هو عليه الآن واستدل على ذلك بان القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له وان كان يعرض على النبي (ص) ويتلى عليه وان جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما احتسوا القرآن على النبي (ص) عدة ختمات وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على انه كان مجموعا مرتبا غير متبور ولا مشوش وذكروا من خالف في ذلك من الامامية والحشوية لا يمتد بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخبار اضعفت ظنوا صحتها لا يرجع بثبوتها عن المعلوم المقطوع على صحته . ومن ذلك الكلام في النسخ والناسخ والنسخ وحدها واقسام النسخ وشراظله والنسخ بينه وبين البداء والتخصيص وهل يجوز نسخ العبادة قبل وقت فعلها وهل يجوز نسخ القرآن بالسنة وما يعرف به الناسخ وناسخا والنسخ منسوخا فإن ذلك اجمع وان كان من العلوم المتعلقة بالقرآن فإن مواضع الكتب الموقوفة في اصول الفقه وسياقته ما يليق بالتفسير في مظانه من الكتاب مستوفيا انشا الله

﴿ الفن السادس ﴾

في ذكر بعض ما جاء من الاخبار المشهورة في فضل القرآن واهله

انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اهل القرآن هم اهل الله وخاصته ، وعنه انه قال صلى الله عليه وآله وسلم افضل العبادة قراءة القرآن ، وعنه انه قال عليه السلام القرآن غني لا غنى دونه ولا فقر بعده حماد بن سلمة عن ثبث عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حملة القرآن المخصوصون برحمة الله المعلوم كلام الله القريون الى الله ، من والاهم فقد والى الله ، ومن عاداهم فقد عادى الله ، يدفع الله عن مستمع القرآن بلاه الدنيا ويدفع عن قارى القرآن بلاه الآخرة ، يا حملة القرآن تحبوا الى الله بتوقيع كتابه

يزدكم حبا ويحببكم الى عباده وعن مكحول قال جاء ابو ذر الى النبي (ص) فقال يا رسول الله اني اخاف ان اتعلم القرآن ولا اصنع به فقال لا يعذب الله قبا سكنه القرآن وعن عقب بن عامر الجهني ان النبي (ص) قال لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار وعن عطا وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) حملة القرآن عرفاء اهل الجنة يوم القيامة وقال عليه السلام لا ينبغي لحامل القرآن ان يرى ان احدا من اهل الارض اغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها وعن عيسى بن قائد قال حدثني من سمع سعد بن عبادة قال قال رسول الله (ص) ما من احد تعلم القرآن ثم نسيه الا قبي الله اجدم . عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله (ص) اشرف امي حملة القرآن واصحاب الليل عن عبد الله بن مسعود عن صلى الله عليه وآله وسلم قال ان هذا القرآن آية الله فتعلموا من آيته ما استطعتم ان هذا القرآن جبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستمتب ولا تنقض عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فان الله يورثكم على تلاوته بكل حرف عشر حسنة اما اني لا اقول المشر ولكن الف عشر ولام عشر وميم عشر الحديث الحارث بن الاعور عن امير المؤمنين علي عليه السلام قال في حديث طويل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انها ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه خير ما قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي لا يزيغ به الاهراء ولا تشع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة رد ولا تنقض عجائبه وهو الذي من تركه من جبار قصسه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو جبل الله التين وهو الصراط المستقيم هو الذي من عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه دعا الى صراط مستقيم عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كما هم قد وجبت لهم النار عبد الله بن عمر عنه عليه السلام قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلت عند آخر آية تقرأها وعنه عليه السلام انه قال صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن فرأى ان احدا اعطى افضل مما اعطى فقد حقر ما عظمه الله وعظم ما حقره الله وعنه عليه السلام انه قال من قرأ القرآن فكأنما ادرجت الثبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه ابو سعيد الخدري عنه عليه السلام قال حملة القرآن في الدنيا عرفاء اهل الجنة يوم القيامة وقال امير المؤمنين عليه السلام من دخل في الاسلام طائفا وقرأ القرآن ظاهرا فله في كل سنة مائتا دينار في بيت مال المسلمين ، ان يمنع في الدنيا اخذها يوم القيامة وافية اخرج ما يكون اليها ، وهذه الاخبار يسير من كثير ، وغرض من فيض ، وتزد من غير ، اقتصرنا عليها ايتارا للاختصار

﴿ الفن السابع ﴾

في ذكر ما يستحب للقارى . من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن
البراء بن عازب قال قال رسول الله (ص) زينوا القرآن باصواتكم ، حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله (ص)
اقرأوا القرآن بلحون العرب واصواتها وايام ولحون اهل الفسق واهل الكتابين وسيجي . قوم من بعدني يرجعون
القرآن ترجيع الغناء . والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وتلويب الذين يعجبهم شأنهم
علقمة بن قيس قال كنت حسن الصوت بالقرآن فكان عبد الله بن مسعود يرسل الي فاقرأ عليه فاذا فرغت من قراءتي قال
زدنا من هذا فذاك ابي وامي فاني سمعت رسول الله (ص) يقول ان حسن الصوت زينة للقرآن ، انس بن مالك
عن النبي (ص) ان لكل شي حلية وحلية القرآن الصوت الحسن ، عبد الرحمن بن السائب قال قدم علينا سعد بن
ابي وقاص فأنيت مسلما عليه فقال مرحبا يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن قلت نعم والحمد لله قال فاني
سمعت رسول الله (ص) يقول ان القرآن نزل بالحن فاذا قرأتموه فابكوا فاذ لم تبكوا فابتكوا وتغنوا به فن لم يتغن
بالقرآن فليس منا وتغنوا بعضهم تغنوا به بمعنى استغنوا به واكثر العلماء على انه تزيين الصوت وتجزئه ، وهننا سياق
الكلام في التفسير ، والله سبحانه ولي التسهيل والتيسير ، وعليه التكلان في كل الامور وهو حسبنا و اليه المرجع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاتحة الكتاب

مكية عن ابن عباس وقتادة ومدينة عن: عباد وقيل أنزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالدينة

﴿اسماؤها﴾

(فاتحة الكتاب) سميت بذلك لافتتاح المصاحف بكتابتها ولوجوب قراتها في الصلاة فهي فاتحة لا يتلوها من سور القرآن في الكتاب والقراءة (الحمد) سميت بذلك لان فيها ذكر الحمد (ام الكتاب) سميت بذلك لانها مقدمة على سائر سور القرآن والعرب تسمي كل جامع امر او متقدم لأمر اذا كانت له توابع تتبعه - اماً فيقولون ام الرأس للجلدة التي تجمع الدماغ وام القرى لان الارض دحيت من تحت مكة فصارت لجميعها اماً وقيل لانها اشرف البلدان فهي مقدمة على ساورها وقيل سميت بذلك لانها اصل القرآن والام هي الاصل وانما صارت اصل القرآن لان الله تعالى اودعها مجموع ما في السور لان فيها الثبات الربوبية والعبودية وهذا هو المقصود بالقرآن (السبع) سميت بذلك لانها سبع آيات لاخلاف في جماتها (الثاني) سميت بذلك لانها تثنى بقرأتها في كل صلاة فرض ونفل وقيل لانها نزلت مرتين ، هذه اسماؤها المشهورة ، وقد ذكر في اسماؤها (الرافية) لانها لا تتنصف في الصلاة (والكافية) لانها تكفي عما هو الاصل لا يكفي ما سواها منها ويؤيد ذلك ما رواه عباد بن الصامت عن النبي (ص) ام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضاً عنها و(الاساس) لا روي عن ابن عباس ان لكل شيء اساس وساق الحديث الى ان قال واساس القرآن الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم و (الشفاء) لا روي عن النبي (ص) فاتحة الكتاب شفاءً من كل داء. و(الصلاة) لا روي عن النبي (ص) قال قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) يقول الله حمدني لعبدي فاذا قال (الرحمن الرحيم) يقول الله اثنى علي عبدي فاذا قال العبد (مالك يوم الدين) يقول الله عبدني لعبدي فاذا قال (اياك نعبد واياك نستعين) يقول الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم) الى آخره قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ، اورده مسلم بن الحجاج في الصحيح فهذه عشرة اسما.

﴿فضائلها﴾

ذكر الشيخ ابو الحسين البخاري القري في كتابه في الترواة اخبرنا الامام ابو بكر احمد بن ابراهيم والشيخ عبد الله بن محمد قالوا حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن شريك قال حدثنا احمد بن يونس اليربوعي قال حدثنا سلام بن سليمان المدائني قال حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله ايتا مسلم قرأ فاتحة الكتاب اعطى من الاجر كأننا قرأنا ثلثي القرآن واعطى من الاجر كأننا تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وروي من طريق آخر هذا الخبر بعينه الا انه قال كأننا قرأنا القرآن ، وروي غيره عن ابي ابن كعب انه قال قرأت على رسول الله (ص) فاتحة الكتاب فقال والذي نفسي بيده ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها هي ام الكتاب وهي السبع الثاني وهي مقسومة بين الله وبين عبده وابعده ما سأل ، وفي كتاب محمد بن مسعود الباشي باسناده ان النبي (ص) قال اجاب بن عبد الله الانصاري يا جابر الا اعلمك افضل سورة انزلها الله في كتابه قال فقال له جابر بلى يا بني انت وامي يا رسول الله علمتها قال فعلمه اخيراً ام الكتاب ثم قال يا جابر الا اعلمك منها قال بلى يا بني انت وامي فاخبرني فقال هي شفاء من كل داء الا

السام والسام الموت ، وعن سلمة بن محرز عن جعفر بن محمد الصادق قال من لم يبره الحمد لم يبره شي . وروي عن امير المؤمنين (ع) قال قال رسول الله (ص) ان الله تعالى قال لي يا محمد ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم فأفرد الامتتان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بلزآء القرآن وان فاتحة الكتاب اشرف ما في كتوز العرش وان الله خص محمدا وشرفه بها ولم يشرك فيها احدا من انبيائه ما خلا سليمان فانه اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم الا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت اني الي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا فن قرأها معتقدا لوالاة محمد وآله معتادا لامرها . مومنا بظاهاها وباطنها . اعطاه الله بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها افضل له من الدنيا بما فيها من اصناف اموالها وخيراتها ومن استمع الى قاري . يقرؤها . ها كان له قدر ثلث ما للقاري . فليستكثر احدكم من هذا الخير المرغى له فانه غنيمه لا يذهبن لوانه فسقى في قلوبكم الحسرة

﴿ الاستعاذة ﴾

اتفقوا على التلفظ بالتعوذ قبل التسمية فيقول ابن كثير وابو عاصم وابو عمرو: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . ونافع وابن عامر والكسائي : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وحمزة : نَسْتَعِذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وابو حاتم أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ اللغة ﴾

الاستعاذة الاستجارة فعناه استجير بالله دون غيره والموذ والعاذ هو اللجأ و(الشیطان) في اللغة هو كل متبرد من الجن والانس والدواب ولذلك جاء في القرآن شياطين الانس والجن ووزنه فيعال من شطنت الداراي بعدت وقيل هو فعلان من شاط يشيط اذا بطل والأول اصح لانه قد جاء في الشعر شاطن بعناه قال امية بن ابى الدلت

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ
نَمُّ يُلْقِي فِي السَّجَنِ وَالْأَغْلَالِ

والرجيم فعيل بمعنى مفعول من الرجم وهو الرمي

﴿ المعنى ﴾

امر الله بالاستعاذة من الشيطان اذ لا يكاد يخار من وسوسته الإنسان فقال فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومعنى اعوذ الجأ الى الله من شر الشيطان اي البعد من الخير الفارق اخلاقه اخلاق جميع جنسه وقيل البعد من رحمة الله (الرجيم) اي المطرود من السماء . الرمي بالشهب الثاقبة وقيل المرجوم باللعنة (ان الله هو السميع) - السميع لجميع المسوعات (العليم) بجميع المعلومات

قوله تعالى (١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اتفق اصحابنا انها آية من سورة الحمد ومن كل سورة وان من تركها في الصلاة بطلت صلاته سواء . كانت الصلاة فرضا او نفلا وانه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ويستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة . وفي جميع ما ذكرناه خلاف بين فقهاء الأمة ولا خلاف في انها بعض آية من سورة النمل وكل من عدّها آية جعل من قوله صراط الذين الى آخر السورة آية ومن لم يعدّها آية جعل صراط الذين انعمت عليهم آية وقال انها افتتاح للتيسر والتبرك واما القراءة فان حمزة وخلفا ويعقوب واليزيدي تركوا الفصل بين السور بالتسمية والباقون يفتلون بينها بالتسمية الابين الانفال والتوبة

﴿ فضلها ﴾

روي عن علي بن موسى الرضا (ع) انه قال بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى اسم الله الاعظم من سواد العين الى بياضها ، وروي عن ابن عباس عن النبي (ص) انه قال اذا قال المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم

فقال للصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لابويه وبراءة للمعلم وعن ابن مسعود قال من اراد ان يشجيه الله من الزبانية التسعة عشر فيقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفا يجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم وروي عن الصادق (ع) انه قال ما لهم قاتلهم الله عمدا الى اعظم آية في كتاب الله فرعوا انها بدعة اذا اظهروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اللغة﴾

الاسم مشتق من السمو وهو الرفعة اصله سموباواو لان جمعه اسماء مثل قنو واقتنا وحنو وحننا وتصغيره سمي قال الراجز (باسم الذي في كل سورة رسمه) وسمه ايضا ذكره ابو زيد وغيره وقيل انه مشتق من الوسم والسمه والاول اصح لان المحذوف الفاء نحو صلة ووصل وعدة ووعد لاتدخلة همزة الوصل ولانه كان يجب ان يقال في تصغيره وسم كما يقال وعيدة ووصيلة في تصغير عدة وصلة والامر بخلافه (الله) اسم لا يطاق الا عليه سبحانه وتعالى وذكر سيويه في اصله قولين (احدهما) انه الاء على وزن فعال فحذفت الفاء التي هي الهمزة وجعلت الالف واللام عوضا لازما عنها بدلالة استجازتهم قطع هذه الهمزة الداخلة على لام التعريف في التسم والتدأ في نحو قوله انا لله لتنعان ويأفقه اغفر لي ولو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة في الوصل كما لم تثبت في غيره هذا الاسم والقول الآخر ان اصله لاه ووزنه فعل فالتحق به الالف واللام يدل عليه قول الاعشى

كحلقه من أي رباح
يسمها لاه الكبار

وانما ادخلت عليه الالف واللام للتفخيم والتعظيم فقط ومن زعم انها للتعريف فقد اخطأ لان اسماء الله تعالى معارف والالف من لاه منقلبة عن ياء فاصله ليه كقولهم في معناه لاهي ابوك قال سيويه نقلت العين الى موضع اللام وجعلت اللام ساكنة اذ صارت في مكان العين كما كانت العين ساكنة وتركوها آخر الاسم الذي هو لاهي مفتوحا كما تركوا آخر ان مفتوحا وانما فعلوا ذلك حيث غيروا كثرته في كلامهم فغيروا اعرابه كما غيروا بناؤه وهذه دلالة قاطعة لظهور اليا في لاهي والالف على هذا القول منقلبة كما ترى وفي القول الاول زائدة لانها الف فعال وتقول العرب ايضا لاه ابوك تريد لاه ابوك قال ذو الاصبع العدواني

لاه ابن عمك لا افضل في حسب
عيني ولا انت ديان فتخزوني

اي تسوسني قال سيويه حذفوا لام الاضافة واللام الأخرى ولم يتكروها عمل اللام بعد حذفها فقد حكي سيويه من قولهم الله لاخرجن يريدون والله ومثل ذلك كثير يطول الكلام بذكره فلما الكلام في اشتقاقه فنهج من قال انه اسم موضوع غير مشتق إذ ليس يجب في كل لفظ ان يكون مشتقاً لانه لو وجب ذلك لتسلسل هذا قول الغليل ومنهم من قال انه مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه على وجوه : فمنها انه مشتق من الالهية التي هي العبادة وانتأله التبعيد قال روية

الله در الغاريات الملام
سبحن واسترجعن من تالهي

اي تعبدني وقرأ ابن عباس ويندرك وإلهتك اي عبادتك ويقال اله الله فلان إلهة كما يقال عبده مبادعة فعلى هذا يكون معناه الذي يحق له العبادة ولذلك لا يسمى به غيره ويوصف فيما لم يزل بأنه آله ومنها ﴿﴾ انه مشتق من الوله وهو التصيير يقال اله ياله اذا تحير - عن ابي عمرو - فمعناه انه الذي تتحير العقول في كنه عظمته ومنها ﴿﴾ انه مشتق من قولهم الهت الى فلان اي فزعت اليه لان الحلق يألهنون اليه اي ينزعون اليه في حوائجهم فقيل لله الهه كما يقال للموتم به امام ﴿﴾ ومنها ﴿﴾ انه مشتق من الهت اليه اي سكت اليه عن البرد ومعناه ان الخلق يسكتون الى ذكره ومنها انه من لاه اي احتجب فمعناه انه احتجب بالكيفية عن الأوهام ، الظاهر بالدلائل والأعلام ،

(الرحمن الرحيم) اسنان وضما للمبالغة، واشتقا من الرحمة، وهي النعمة، الا ان فلان اشد متباعدة من فيل وحكي عن ابي عبيدة انه قال: الرحمن ذو الرحمة والرحيم هو الراحم وكرر لضرب من التأكيد واماماروي عن ابن عباس انها اسنان رقيقان احدهما ارق من الآخر فالرحمن الرقيق والرحيم العتلف على عباده بالرزق والنعمة فمحمول على انه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل، والنعمة بعد النعمة، فمبتر عن ذلك بالرقمة، لانه لا يوصف بالرقمة، وما حكى عن ثعلب ان لفظة الرحمن ليست بعربية وانما هي ببعض اللغات مستدلاً بقوله تعالى (قالوا وما الرحمن) انكاراً منهم لهذا الاسم فليس بصحيح لأن هذه اللفظة مشهورة عند العرب. ووجوده في أشعارها قال الشنفرى

أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ الْفَتَاةُ هَجِيئَهَا الْأَقْصَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا

وقال سلامة بن جندل (وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق)

﴿الاعراب﴾

(بسم الله) حرف جرّ اصله الاصاق والحروف الجارة موضوعة لعنى المفعولية الا ترى انها توصل الانعزال الى الاسماء وتوقفها عليها فاذا قلت مررت بزيد او قمت بالباء المرور على زيد فالجالب للباء فعل محذوف نحو ابدأوا بسم الله أو قولوا بسم الله فمحله نصب لانه مفعول به وانما حذف الفعل الناصب لأن دلالة الحال أغنت عن ذكره وقيل ان محل الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف وتقديره ابتدائي بسم الله قالوا على هذا متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه اي ابتدائي ثابت بسم الله او ثبت ثم حذف هذا الخبر فأفضى الضمير الى موضع الباء وهذا بمنزلة قولك زيد في الدار ولا يجوز ان يتعلق الباء بابتدائي المضمرة لانه مصدر واذا تعلقت به صارت من صلته وبيد المبتدأ بلا خبر واذا سئل عن تحريك الباء مع ان أصل الحروف البناء وأصل البناء السكون فجوابه انه حرك الزوم الابتداء به ولا يمكن الابتداء بالسكن وانما حرك بالكسر ليكون حركته من جنس ما يجدهه واذالزم كاف التشبيه في كريد فجوابه ان الكاف لا يلزم الحرفية وقد تكون اسما في نحو قوله (يضحك عن كابد اللهم) فخرت بينه وبين الحروف التي لا تفارق الحرفية وهذا قول ابي عمرو الجرمي واصحابه فاما ابو علي الحسن بن عبدالقنار الفارسي فقال انهم لو فتحوا او ضموا لجاز لأن الغرض التوصل الى الابتداء فبأي حركته توصل اليه جاز وبعض العرب يفتح هذه الباء وهي لغة ضعيفة وانما حذفت الهززة من بسم الله في اللفظ لأنها همزة الوصل تسقط في الرفع وحذفت هاهنا في الخط ايضا لكثرة الاستعمال ولوقوعها في موضع معلوم لا يخاف فيه اللبس ولا يحذف في نحو قوله (اقرأ باسم ربك) لغة الاستعمال وانما تغلظ لام الله اذا تقدمت الضمة او النجسة تفخيا لذكره، واجلالا لقدمه، وليكون فرقا بينه وبين ذكر اللات. (الله) مجرور بالاضافة (الرحمن الرحيم) مجروران لأنها صفتان لله

﴿المعنى﴾

(بسم الله) قيل المراد به تضمين الاستعانة فتقديره استعينوا بأن تسعرا الله باسمائه الحسنى، وتصفوه بصفاته العلى، وقيل المراد استعينوا بالله ويلتفت اليه قول ابي عبيدة أن الاسم صلة والمراد هو الله كقول لبيد
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن بينك حولا كاملا فقد اعتذر
اي ثم السلام عليكما والاسم قد يوضع موضع السمي لا كان الملتقى على الاسم ذكراً او خطابا معلقا على السمي تقول رأيت زيدا فتعلق الرومية على الاسم وفي الحقيقة تعانها بالاسمي فان الاسم لا يرى فصن إقامة الاسم مقام السمي وقيل المراد به ابتدئ. بتسمية الله فوضع الاسم موضع المصدر كما يقال اكتمته كرامة اي اكرامها واعتته هوائاً اي اهانة ومنه قول الشاعر

أَكْفَرَا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةِ الرَّعَاةِ

اي بعد اعطائك وقال الآخر

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْبُخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً لَقَدْ كُنْتُ فِي طَوْلِي رَجَائِكَ أَشْبَهًا

اراد في اطالتي رجائك فعلى هذا يكون تقدير الكلام ابتداءً قرا في بتسمية الله او اقرا مبتدئا بتسمية الله وهذا القول اولى بالصواب لاننا انما نؤمن بان نفتح لمرور بتسمية الله لابلنجر عن كبرياء وعظمته كما امرنا بالتسمية على الأكل والشرب والذبايح الا ترى ان الذبايح لو قال بالله ولم يقل باسم الله لكان مخالفا لما أمر به ومعنى الله والآله أنه الذي تحق له العبادة وإنما تحق له العبادة لأنه قادر على خلق الاجسام وحياتها والآنعام عليها بما يستحق به العبادة وهو تعالى آله الحيوان والجماد لأنه قادر على أن ينعم على كل منهما بما معه يستحق العبادة فأما من قال معنى الآله المستحق للعبادة يلزمه ان لا يكون إلهاً في الازل لأنه لم يفعل الانعام الذي يستحق به العبادة وهذا خطأ وانما قدم الرحمن على الرحيم لأن الرحمن بمنزلة اسم العلم من حيث لا يوصف به الا الله فوجب لذلك تقديمه بخلاف الرحيم لأنه يطلق عليه وعلى غيره وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله ان عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة وعن بعض التابعين قال الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمومنين خاصة ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق موثقتهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم هو انشاؤه إياهم وخلقهم احياء قادرين ورزقهم إياهم ووجه خصوص الرحيم بالمومنين هو ما فعله بهم في الدنيا من التوفيق وفي الآخرة من الجنة والاكرام ، وغفران الذنوب والآثام ، وإلى هذا المعنى يؤول ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة وعن عكرمة قال الرحمن برحمة واحدة والرحيم بانه رحمة وهذا المعنى قد اقتبس من قول الرسول أن الله عز وجل مائة رحمة وأنه أنزل منها واحدة الى الأرض فقسها بين خلقه بما يتعاطفون ويتراحمون وأخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة وروى ان الله قابض هذه الى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة

قوله تعالى (٢) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (آية)

﴿القرآنة﴾

اجمع القراء على ضم الدال من الحمد وكسر اللام من لله وروي في الشواذ بكسر الدال واللام . ويفتح الدال وكسر اللام . وضم الدال واللام . واجمعوا على كسر الباء . من رب . وروي عن زيد بن علي نصب الباء . ويحمل على انه بين جوازه لانه قرآنة

﴿اللفظة﴾

الحمد والمدح والشكر متقاربة المعنى والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد تقيض الذم كما ان المدح تقيض اذباً . والشكر تقيض الكفران . والحمد قد يكون من غير نعمة والشكر يختص بالنعمة الا ان الحمد يوضع موضع الشكر ويقال الحمد لله شكراً فينصب شكراً على المصدر ولو لم يكن الحمد في معنى الشكر لا نصبه فإذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعميم ويكون بالقلب وهو الاصل ويكون ايضا باللسان وانما يجب باللسان نفي تهمة الجحود والكفران وانما المدح فهو القول النبي . عن عظيم حال المدوح مع القصد اليه (واما الرب) فه معان (منها) السيد المطاع كقول ليبد

وَأَهْلَكَنْ قَدْ مَا رَبُّ كُنْدَةٌ وَأَبْنَهُ وَرَبِّ مَعْدٍ بَيْنَ حَبْتٍ وَعَرَّعِرْ

اي سيد كندة (ومنها) اللالك نحو قول النبي لرجل ارب غم ام رب ابل فقال من كل ما آتاني الله فاكثروا طيب

(ومنها) صاحب نحو قول ابي ذؤيب

قَدْ رَأَى رَبُّ الْكَلَابِ بِكَفِّهِ
بَيْضُ رِهَابٍ رِيْشُهُنَّ مُعْرَعُ

اي صاحب الكلاب (ومنها) الرب (ومنها) الصالح واشتقاقه من التربية يقال ربته وربته بمعنى وفلان يرب صنيمته اذا كان ينمها ولا يطلق هذا الاسم الا على الله ويقيد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة و(العالمون) جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالتفر والجيش وغيرهما واشتقاقه من العلامة لانه يدل على صانعه وقيل انه من العلم لانه اسم يقع على ما يعلم وهو في عرف اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء لانهم يقولون جاء في علم من الناس ولا يقولون جاء في عالم من البشر وفي المعارف بين الناس هو عبارة عن جميع المخلوقات وتدل عليه الآية (قال وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما) وقيل انه اسم لكل صنف من الاصناف واهل كل قرن من كل صنف يسمى عالما ولذلك جمع قبيل عالمون لعالم كل زمان وهذا قول اكثر المفسرين كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم وقيل العالم نوع ما يعقل وهم الملائكة والجن والانس وقيل الجن والانس لقوله تعالى (ليكون للعالمين نذيرا) وقيل هم الانس لقوله تعالى (اتأتون الذكوان من العالمين)

﴿الاعراب﴾

الحمد رفع بالابتداء والابتداء عامل معنوي غير ملفوظ به وهو خلو الاسم عن العوامل اللفظية ليسند اليه خبر وخبره في الاصل جملة هي فعل مسند الى ضمير الابتداء وتقديره الحمد حق او استقره الا انه قد استغنى عن ذكرها لدلالة قوله لله عليها فانقل الضمير منها اليه حيث سد مسدّها وتسمى هذه جملة ظرفية هذا قول الاخفش وابي علي الفارسي واصل اللام للتحقيق والملك ، واما من نصب الدال فعلى المصدر تقديره احمدا الحمد لله او اجعل الحمد لله الان الرفع بالحمد اقوى وامدح لأن معناه الحمد وجبته واستقره وهذا يقتضي العموم لجميع الخلق واذا نصب الحمد فكان تقديره احمد الحمد كان مدحاً من المتكلم فقط فلذلك اختير الرفع ومن كسر الدال واللام اتبع حركة الدال حركة اللام ومن ضمها اتبع حركة اللام حركة الدال وهذا ايسر من الاول لانه اتبع حركة المبني حركة الاعراب والاول اتبع حركة العرب حركة البناء واتبع الثاني الاول وهو الاصل في الاتباع والذي كسر اتبع الاول الثاني وهذا ليس بأصل واكثر التحويلين ينكرون ذلك لان حركة الاعراب نير لازمة فلا يجوز لاجائها الاتباع ولأن الاتباع في الكلمة الواحدة ضعيف نحو الحلم فكيف في الكلمتين وقال ابو الفتح بن جني في كسر الدال وضم اللام هنا دلالة على شدة ارتباط الابتداء بالخبر لانه اتبع فيها ما في احد الجزئين ما في الجزء الاخر وجعل بجزلة الكلمة الواحدة نحو قولك اخوك وابوك واصل هذه اللام الفتح لان الحرف الواحد لاحظ له في الاعراب ولكنه يقع مبتدأ في الكلام ولا يتبدد بساكن فاختر له الفتح لانه اخف الحركات تقول رأيت زيدا وعمرا قالوا ومن عمرا - مفتوحة - وكذلك الفاء من فعمرا الا انهم كسروها لانهم زادوا ان يفرقوا بين لام الملك ولام التوكيد اذا قلت ان المال لهذا في ملكه وان المال لهذا أي هو هو واذا ادخلوا هذه اللام على مضمير ردوها إلى أصلها وهو الفتح قالوا لك ولله لأن اللبس قد ارتفع وذلك لأن ضمير الجر مخالف لضمير الرفع اذا قلت ان هذا لك وان هذا لأنت الا انهم كسروها مع ضمير المتكلم نحو لي لأن هذه اليا لا يكون ما قبلها إلا مكسورا نحو غلامي وفرسي وهذا كله قول سيويه وجميع التحويلين المحققين وليس من الحروف المبتدأ بها مما هو على حرف واحد حرف مكسور الا الباء وحدها وقدمضى القول فيه وأما لام الجزم في ليفعل فانما كسرت ليفرق بينها وبين لام التوكيد نحو ليفعل فاعلم (رب العالمين) مجرور على الصفة والعامل في الصفة مبتدأ في الحسن الاخفش كونه صفة فذلك الذي يرفعه وينصبه ويجره وهو عامل معنوي كما أن الابتداء انما رفعه الابتداء وهو معنى عمل فيه واستدل على أن الصفة لا يعمل فيه ما يعمل في الموصوف بانك تجدد في الصفات ما يخالف الموصوف في اعرابه نحو أيازيد العاقل لأن النادى

مبني والعاقل الذي صفتة معرب ودليل فمن هو أن في هذه التوابع ما يعرب بأعراب ما يتبعه ولا يصح أن يعمل فيه ما يعمل في موصوفه وذلك نحو اجمع وجمع وجمعا. ولا صح وجوب هذا فيها دل على أن الذي يعمل في الموصوف غير عامل في الصفة لاجتماعهما في انهما تبعا وقال غيره من التحويين العامل في الموصوف هو العامل في الصفة ومن نصب رب العالمين فانما يتصبه على المدح والثناء. كأنه لا قال الجمد فله استدلال بهذا اللفظ على انه ذاك فله فكانه قال اذكر رب العالمين فعلى هذا لوقرى في غير القرآن رب العالمين مرفوعا على المدح ايضا لكان جانزا على معنى هو رب العالمين قال الشاعر

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ
تَأْزِلِينَ لِكُلِّ مُعْتَرِكٍ
سُمُّ الْعِدَاةِ وَأَقْفُ الْجَزْرِ
وَالطَّيْبُونَ مَعَاقِدُ الْأَزْرِ

وقد روي التازلون والتازلين والطييون والطينين والوجه في ذلك، ما ذكرناه (العالمين) مجرور بالاضافة والياء. فيه علامة الجر وحرف الأعراب وعلامة الجمع والتون هنا عوض عن الحركة في الواحد وانما فتحت فرقا بينها وبين نون التثنية تقول هذان عالمان فتكسر نون الاثنين لالتقاء الساكنين وقيل لنا فتحت نون الجمع وحققا الكسر لتقل الكسرة بعد الواو كما فتحت الفاء من سوف والتون من اين ولم تكسر لتقل الكسرة بعد الواو والياء.

﴿ المعنى ﴾

معنى الآية ان الاوصاف الجميلة والثناء الحسن كلما لله الذي تحب له العبادة لكونه قادرا على اصول النعم وفاعلا لها ولكونه منشئا للخلق ومرتبيا لهم ومصالحا لشأنهم ، وفي الآية دلالة على وجوب الشكر لله على نعمه وفيها تعليم للعباد كيف يحمدونه

قوله تعالى (٣) الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (آية)

آية قد مضى تفسيرها وانما اعاد ذكر الرحمن والرحيم للمبالغة وقال علي بن عيسى الرماني في الاول ذكر العبودية فوصل ذلك بشكر النعم التي بها يستحق العبادة وهاهنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما به يستحق الحمد من النعم فليس فيه تكرار

قوله تعالى (٤) مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم والكسائي وخالف ويعقوب الحضرمي مالك بالألف والباقون ملك بغير الهمزة ولم يبل احد الف مالك وجر جميعهم الكاف وروي في الشواذ عن الاعشى انه نصبها وربية بن نزار يخفف فيقول ملك يوم الدين تسكين اللام

﴿ الحجة ﴾

اختلفوا في أن أي القراءتين امدح فمن قرأ مالك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون ملكا للشيء الا وهو يملكه وقد يكون ملكا للشيء ولا يملكه كما يقال ملك العرب وملك الروم وان كان لا يملكهم وقد يدخل في الملك ما لا يصح دخوله في الملك يقال فلان مالك الدرهم ولا يقال ملك الدرهم فالوصف بالملك اعم من الوصف بالملك. والله مالك كل شيء. وقد وصف نفسه بأنه مالك الملك يوتي الملك من يشاء. فوصفه بالملك ابلغ في الثناء والمدح من وصفه بالملك ومن قرأ الملك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون الا مع التعظيم والاحترام على الجميع الكثير واختاره ابو بكر محمد بن السري السراج وقال ان الملك الذي يملك الكثير من الأشياء. ويشارك غيره من الناس في ملكه بالحكم عليه وكل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وانما قال تعالى مالك الملك لانه تعالى يملك ملوك الدنيا وما ملكوا ومعناه انه يملك ملك الدنيا فيوتي الملك فيها من يشاء. فاما يوم الدين فليس الاماكنه وهو ملك الملوك يملكهم كلهم وقد يستعمل هذا في الناس يقال فلان ملك الملوك وامير الامراء ويراد بذلك ان من دونه ملوك وامراء ولا يقال ملك الملك ولا امير الامارة لأن اميرا وملك صفة غير جارية على فعل فلا معنى لاضافتها

الى المصدر فاما إضافة ملك الى الزمان فكما يقال ملك عام كذا وملوك الدهر الأول وملك زمانه وسيد زمانه فهو في المدح ابلغ والآية انا نزلت في اثنا عشر والمدح لله الا ترى الى قوله رب العالمين والربوبية والملك متشابهان وقال ابو علي الفارسي يشهد ان قرأ مالك من التنزيل قوله تعالى والأمر يومئذ لله لأن قولك الامر له وهو مالك الامر بمعنى الا ترى ان لام الجر معناها الملك والاستحقاق وكذلك قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا يقوي ذلك ويشهد لقراءة من قرأ مالك قوله تعالى لن الملك اليوم لان اسم الفاعل من الملك فإذا قال الملك له ذلك اليوم كان بقرينة قوله هو مالك ذلك اليوم وهذا مع قوله فتعالى الله الملك الحق والملك القدوس ومالك الناس

﴿اللغة﴾

(الملك) القادر الواسع القدرة الذي له السياسة والتدبير (والمالك) القادر على التصرف في ماله وله أن يتصرف فيه على وجه ليس لأحد منعه منه ويوصف العاجز بأنه مالك من جهة الحكم يقال ملك بين الملك بضم الميم ومالك بين الملك والمالك بكسر الميم وفتحها وضم الميم لغة شاذة ويقال طالت مملكتهم الناس ومملكتهم بكسر اللام وفتحها ولي في هذا الوادي ملك وملك وملك ذكرها ابو علي الفارسي وقال الملك للشيء اختصاص من المالك به وخروجه من ان يكون مباحا لغيره ومعنى الاباحة في الشيء كالاتساع فيه وخلاف الحصر او القصر على الشيء الاتراهم قالوا باح السر وباحت الدار وقال ابو بكر محمد بن السري السراج الملك والملك يرجعان الى اصل واحد وهو الربط والشدة كما قالوا ملكت العجين اي شدته قال الشاعر

مَلَكْتُ بِهَا كَيْفِي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

يقول شدت بهذه الطعنة كفي ومنه الاملاك ومعناه رباط الرجل بالمرأة (الدين) معناه في الآية الجزاء قال الشاعر (واعلم بأنك ماتدين تدان) وهو قول سعيد بن جبيرة وقناة وقيل الدين الحساب وهو المروي عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليها السلام وابن عباس والدين الطاعة قال عمرو بن كلثوم

وَأَيَّامُ لَنَا غُرٌّ طَوَّالٍ عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدَيْنَا

والدين العادة قال الشاعر

تَقُولُ إِذَا دَرَأَتْ لَهَا وَصْنِي أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي

والدين القهر والاستعلاء قال الاعشي

هُوَ دَانَ الرَّيَابَ إِذْ كَرَّ هُوَ الدِّ مِنْ دِرَاكَأٍ بَغْزَوَةٍ وَأَحْتِيَالِ

ثم دانت بعد الرباب وكانت كَعَذَابِ عُقُوبَةِ الْأَقْوَالِ

ويدل على أن المراد به الجزاء والحساب قوله تعالى «اليوم تجزي كل نفس ما كسبت واليوم تجزون ما كنتم تعملون»

﴿الاعراب﴾

(مالك) مجرور على الوصف لله تعالى وما جاء من النصب فعلى ما ذكرناه من نصب رب العالمين ويجوز ان ينصب رب العالمين ومالك يوم الدين على النداء كأنك قلت لك الحمد يارب العالمين ويلما لك يوم الدين ومن قرأ ملك يوم الدين بإسكان اللام واصله ملك فحققا كما يقال فيخذل فيخذل ومن قرأ ملك يوم الدين جملة فعلا مضيا ويوم مجرور باضافة ملك او مالك اليه وكذلك الدين مجرور باضافة يوم اليه وهذه الاضافة من باب ياسارق الليلة اهل الدار اتسع في الظرف فنصب نصب المنقول به ثم اضيف اليه على هذا الحد كما قال الشاعر انشده سيبويه

وَيَوْمَ شَهِدْتَاهُ سُلَيْمًا وَعَامِرًا قَلِيلٌ سِوَى الظَّنِّ التَّهَالِ نَوَافِلُهُ

فكانه قال هو ملك ذلك اليوم ولا يوتي حداً الملك فيه كما آله في الدنيا فلا ملك يومئذ غيره ومن قرأ مالك يوم الدين فانه قد حذف المفعول به من الكلام الدلالة عليه وتقديره مالك يوم الدين الاحكام والقضاء لا يملك ذلك ولا يليه سواه اي لا يكون احد واليا سواه وانما خص يوم الدين بذلك لتفردته تعالى بذلك في ذلك اليوم وجميع الخلق يضطرون الى الاقرار والتسليم واما الدنيا فليست كذلك فقد يحكم فيها ملوك وروسا. وليست هذه الاضافة مثل قوله تعالى وعنده علم الساعة لأن الساعة مفعول بها على الحقيقة وليست مفعولاً بها على السعة لأن الظرف اذا جعل مفعولاً على السعة فعناه معنى الظرف ولو كانت الساعة ظرفاً لكان المعنى يعلم في الساعة وذلك لا يجوز لأنه تعالى يعلم في كل وقت والمعنى انه يعلم الساعة اي يعرفها

﴿المعنى﴾

انه سبحانه لما بين ملكه في الدنيا بقوله رب العالمين بين ايضا ملكه في الآخرة بقوله مالك يوم الدين و اراد باليوم الوقت وقيل اراد به امتداد الضياء الى ان يفرغ من القضاء ويستقر اهل كل دار فيها وقال ابو علي الجبائي اراد به يوم الجزاء على الدين وقال محمد بن كعب اراد يوم لا ينفع الا الدين وانما خص يوم القيامة بذكر الملك فيه تعظيماً لشانه وتفصيلاً لامره كما قال رب العرش وهذه الآية دالة على اثبات العاد وعلى الترهيب لأن المكلف اذا تصور ذلك لا بد ان يرجو ويخاف

قوله تعالى (٥) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (الآية)

﴿اللفظة﴾

العبادة في اللغة هي الذلة يقال طريق معبد اي مذل بكثرة الوطء. قال طرفه
تُبَارِي عَنَّا قَاتِجَاتٍ وَأَتَمَّتْ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدٍ
وبعير معبد اذا كان مطلياً باقطران وسمي العبد بعدا لذته وانقياده لولاه والاستعانة طلب المعونة يقال استعنته واستعنت به

﴿الاعراب﴾

قال ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج موضع اياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع الكاف في اياك خفض باضافة ايا اليها وايا اسم للضمير المنصوب الا انه ظاهر يضاف الى سائر المضمرات نحو قولك اياك ضربت واياه ضربت واياي حدثت ولو قلت ايازيد حدثت كان قبيحاً لأنه خص به المضمر وقد روى الخليل عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فايها و ايا الشواب وهذا كلام الزجاج ورد عليه الشيخ ابو علي الفارسي فقال ان ايا ليس بظاهر بل هو مضمر يدل على ذلك تغير ذاته وامتناع ثباته في حال الرفع والجر وليس كذلك الاسم الظاهر الا ترى انه يعقب عليه الحركات في آخره ويحكم له بها في موضعه من غير تغير نفسه فخالفته للمظهر فيا وصنائه يدل على انه مضمر ليس بمظهر قال وحكى السراج عن البرد عن ابني الحسن الاخفش انه اسم مفرد مضمر يتغير آخره كما تتغير اواخر المضمرات لاختلاف اعداد المضمرين والكاف في اياك كاتفي في ذلك وهي دالة على الخطاب فقط مجردة عن كونها علامة للمضمر فلا محل لها من الاعراب والقول وهكذا الحكم في اياي واياتا واياه واياها في أنها حروف تلحق ايا فاليا. في اياي دليل على التكلم والماء. في اياه تدل على النية لا على نفس الغائب ويجري التاكيد على ايا منصوبا تقول اياك نفسك رأيت واياه نفسه ضربت واياهم كلام غيب فاعرفه ولا يجيز ابو الحسن اياك وايا زيد ويستقل روايتهم عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فايها و ايا الشواب ويحمله على الشذوذ لأن القرض في الأضافة التخصيص والمضمر على نهاية التخصيص فلا وجه اذا لاضافته والاصل في نستعين نستعون لأنهم المعونة والمعون لكن الراو قلبت. يا. لتقل الكسرة عليها فنقلت كسرتها الى العين قبلها فتصير ايا ساكنة لأن هذامن

الاعلال الذي يتبع بعضه بعضا نحو اعان يعين وقام يقوم وفي شرحه كلام وربما يأتي مشروحا فيا بعد ان شاء الله وقوله نعبد ونستعين مرفوع لوقوعه موقعا يصلح للاسم الا ترى انك لو قلت انا عابذك وانا مستعينك لقام مقامه وهذا المعنى عمل فيه الرفع ولما اعراب في الفعل المضارع فلمضارعه الاسم لأن الاصل في الفعل البناء. ولما يغرب منه ما شابه الاسماء وهو ما لحقت اوله زيادة من هذه الزيادات الاربع التي هي الهززة والنون والتاء والياء.

﴿ المعنى ﴾

قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين ادل على الاختصاص من ان نقول نعبدك ونستعينك لأن معناه نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك كما اذا قال الرجل اياك اعني فمعناه لا اعني غيرك ويكون ابلغ من ان يقول اعنيك والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه لانها الخضوع باعلى مراتب الخضوع مع التعظيم باعلى مراتب التعظيم ولا يستحق الا باصول النعم التي هي خلق الحياة والقدرة والشهوة ولا يقدر عليه غير الله تعالى فذلك اختص سبحانه بان يعبد ولا يستحق بعضنا على بعض العبادة كما يستحق بعضنا على بعض الشكر وتحسن الطاعة لغير الله تعالى ولا تحسن العبادة لغيره وقول من قال ان العبادة هي الطاعة للمعبود يفسد بان الطاعة موافقة الامر وقد يكون موافقا لامره ولا يكون عابدا له الا ترى ان الابن يوافق امر الاب ولا يكون عابدا له وكذلك العبد يطيع مولاه ولا يكون عابدا له بطاعته اياه والكفار يعبدون الاصنام ولا يكونون مطيعين لم اذلا يتصور من جهتهم الامر ومعنى قوله اياك نستعين اياك نستوفى ونطلب المعونة على عبادتك وعلى امورنا كلها والتوفيق هو ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل ولهذا لا يقال فيمن اعان غيره فقهه لانه لا يقدر ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل ولما تكرر قوله اياك فلانه لو اقتصر على واحد ربما توهم متوهم انه لا يتقرب الى الله تعالى الا بالجمع بينها ولا يمكنه ان يفصل بينها وهو اذا تفكر في عظمة الله تعالى كان عبادة وان لم يستعن به وقيل انه جمع بينها للتأكيد كما يقال الدار بين زيد وبين عمرو ولو اقتصر على واحد

فقليل بين زيد وعمرو كان جازا قال عدي بن زيد

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْرًا لَأَخْفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلَا

وقال اعشى همدان

بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَادِخٌ بِخَيْخٍ لِوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ

وهذا القول فيه نظر لأن التكرير انما يكون تأكيدا اذا لم يكن محمولا على فعلتان واياك الثاني في الآية محمول على نستعين ومفعول له فكيف يكون تأكيدا وقيل ايضا انه تعليم لنا في تجديد ذكره تعالى عند كل حاجة فان قيل ان عبادة الله تعالى لا تتأتى بغير اعانة منه فكان يجب ان يقدم الاستعانة على العبادة فالجواب انه قدم العبادة على الاستعانة لاعلى الاعانة وقد تأتي بغير اعانة وايضا فان احدهما اذا كان مرتبها بالآخر لم يختلف التقديم والتأخير كما يقال قضيت حتى فاحسنت الي واحسنت الي فقضيت حتى وقيل ان السؤال للمعونة انما يقع على عبادة مستأنفة لاعلى عبادة واقعة منهم ولما حسن طلب المعونة وان كان لا بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع اليه تعالى كقوله رب احكم بالحق ولأنه ربما لا يكون اللطف في ادامة التكليف ولا في فعل المعونة به الا بعد تقديم الدعاء من العبد وقد اخطأ من استدل بهذه الآية على ان القدرة مع الفعل من حيث ان القدرة لو كانت متقدمة الا كان لطلب المعونة وجه لأن الرغبة الى الله تعالى في طلب المعونة وجبين احدهما ان يسأل الله تعالى من اللطافة وما يقوي دواعيه ويسهل الفعل عليه ما ليس يحصل ومتى لطف له بأن يعلمه ان له في فعلها ثواب العظيم زاد ذلك في نشاطه ورغبته والثاني ان يطلب بقاء كونه قادرا على طاعته المستقبلة بان تجدد له القدرة حالا بعد حال عند

من لا يقول ببقائها وان لا يفعل ما يضادها وينبغي عند من قال ببقائها واما العدول عن الخبر الى الخطاب في قوله اياك نعبد الى آخر السورة فعلى عادة العرب الشهورة واشعارهم من ذلك مملوءة قال لبيد

بَأْتَتْ تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهِشَةً وَقَدْ تَحَلَّتْ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَ

وقال ابو كثير الهذلي

يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ وَيَبَاضُ وَجْهَكَ لِلتَّرَابِ الْأَعْفَرِ

فرجع من الاخبار عن النفس الى مخاطبتها في البيت الاول ومن الاخبار عن خالد الى خطابه في البيت الثاني وقال الكسائي تقديره قولوا اياك نعبد او قل يا محمد هذا كما قال الله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا ابصرنا وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام اي يقولون سلام

قوله تعالى (٦) إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة بالصاد والزاى الا العجلي وبرواية خلاد وابن سعدان يشم ههنا في الموضعين فقط وقرأ الكسائي من طريق ابى حمدون بالشم السين ويعقوب من طريق رويس بالسين والباقون بالصاد

﴿ الحجة ﴾

الاصل في الصراط السين لأنه مشتق من السرط ومسترط الطعام ممره ومنه قولهم سرطراط والاصل سريط فمن قرأ بالسين راعى الاصل ومن قرأ بالصاد فلما بين الصاد والطاء من الواخاة بالاستعلاء والاطباق ولكراهة ان يتسفل بالسين ثم يتصعد بالطاء في الصراط واذا كانوا قد ابدلوا من السين الصاد مع القاف في صقب وصويق ليجعلوها في استعلاء القاف مع بعد القاف من السين وقرب الطاء منها فأن يبدلوا منها الصاد مع الطاء اجدر من حيث كانت الصاد الى الطاء اقرب الا ترى انها جميعا من حروف طرف اللسان واصول الثنايا وان الطاء تدغم في الصاد ومن قرأ بالشم الزاى فالواخاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاى من غير ابطال الاصل

﴿ اللغة ﴾

الهداية في اللغة الارشاد والدلالة على الشيء يقال لمن يتقدم القوم ويدلهم على الطريق هاد خريت اي دال مرشد قال طرفه

لَلْقَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَةَ قَوْمِهِ

والهداية التوفيق قال

فَلَا تَمَجِّلَنَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

اي وفقك والصراط الطريق الواضح المتسع وسمي بذلك لأنه يسطر المارة اي يتعلم والمستقيم المستوي الذي لا اعوجاج فيه قال جرير

أَمِيرُ أَلْمَوْنِ مَنِ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا أَعْوَجَ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٌ

﴿ الاعراب ﴾

اهدنا مبني على الوقف وفاعله الضمير المستكن فيه فه تعالى والهمزة مكسورة لأن ثالث المضارع منه مكسور وموضع النون والالف من اهدنا نصب لأنه مفعول به والصراط منصوب لانه مفعول ثان

﴿ المعنى ﴾

قيل في معنى اهدنا وجوه (احدها) ان معناه ثبتنا على الدين الحق لأن الله تعالى قد هدى الخلق كلها الا ان الانسان قد يزل وترد عليه الخواطر الفاسدة فيحسن ان يسأل الله تعالى ان يثبتته على دينه ويهديه عليه ويعطيه

زيادات الهدى التي هي احدى اسباب الثبات على الدين كما قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا كما يقول القائل لغيره وهو يا كل كل اي دُم على الاكل (وثانيتها) ان الهداية هي الثواب لقوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم فصار معناه اهدانا الى طريق الجنة ثوابا لنا ويؤيده قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا (وثانيتها) ان المراد دلنا على الدين الحق في مستقبل العمر كما دللتنا عليه في الماضي ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصله كقوله تعالى قل رب احكم بالحق وقوله حكاية عن ابراهيم عليه السلام ولا تحزني يوم يبعثون وذلك ان الدعاء عبادة وفيه اظهار الانتطاع الى الله تعالى فان قيل مامعنى المسألة في ذلك وقد فعله الله بخوابه انه يجوز ان يكون لنا في الدعاء به مصلحة في ديننا وهذا كما تعبدنا بان نكرر التسييح والتحميد والاقرار لربنا عز اسمه بالتوحيد وان كنا معتقدين لجميع ذلك ويجوز ان يكون الله تعالى يعلم ان اشياء كثيرة تكون اصلح لنا اذا سأناه واذالم نسأله لا تكون مصلحة فيكون ذلك وجهها في حسن المسألة ويجوز ان يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب لأن ادامته ليس بواجب بل هو تفضل محض بخلاف ان يرغب اليه فيه بالدعاء وقيل في معنى الصراط المستقيم وجوه ﴿احدها﴾ انه كتاب الله وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام وابن مسعود (وثانيتها) انه الاسلام وهو المروي عن جابر وابن عباس (وثانيتها) انه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره عن محمد بن الحنفية والرابع انه النبي (ص) والائمة القائمون مقامه وهو المروي في اخبارنا والاولى حمل الآية على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه لأن الصراط المستقيم هو الدين الذي امر الله به من التوحيد والعدل وولاية من اوجب الله طاعته قوله تعالى (٧) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة عليهم بضم الما. واسكان الميم وكذلك لديهم واليهم وقرأ يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنة في التثنية والجمع المذكر والمؤنث نحو عليها وفيها وعليهم وفيهم وعليين وفيين وقرأ الباقون عليهم واخواتها بالكسر وقرى في الشواذ عليهموا قراءة ابن ابي اسحق وعيسى التقي وعليهمي قراءة الحسن البصري وعمر بن قايده وعليهم مكسورة الما. مضمومة الميم بغير واو وعليهم مضمومة الما. والميم من غير بلوغ واو مرويتان عن الاعرج فهذه سبع قرأت ثم اختلف القراء في الميم فاهل الحجاز وصلوا الميم واو انضمت الما. قبلها او انكسرت قالوا عليهموا وعلى قلوبهموا وعلى سمعهموا ومنهموا وهموا الا ان ناعفا اختلف عنه فيه والباقيون بسكون الميم فاما اذا لقي الميم حرف ساكن فان القراء اختلفوا فاهل الحجاز وعاصم وابن عامر يضمون على كسر الما. ويضمون الميم نحو عليهم الذلة ومن دونهم امرأتين واو عمرو يكسر الما. والميم وحمة والكسافي يضمن الما. والميم معا وكل هذا الاختلاف في الما. التي قبلها كسرة او ياء ساكنة فاذا جاوزت هذين الامرين لم يكن في الما. الا الضم وقرأ صراط من انعمت عليهم عمر بن الخطاب وعمرو بن عبد الله الزبيري وروي ذلك عن اهل البيت عليهم السلام وقرى ايضا في الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب وقرأ غير الضالين عمر بن الخطاب وروي ذلك عن علي عليه السلام

﴿ الحجة ﴾

من قرأ عليهم بضم الما. فانه رده الى الاصل لانه اذا انفرد من حروف يتصل بها قيل هم فعلوا بضم الما. قال السراج وهي القراءة القديمة ولغة قريش واهل الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن وناخص حمزة هذه الحروف الثلاثة بالضم لأن الياء قبلها كانت النافذة على التوم ولدى التوم والى التوم ولا يجوز كسر الما. اذا كان قبلها الف ومن قرأ عليهم فانه اتبع الما. ما اشبهها وهو الياء وترك ما لا يشبه الياء. والالف على الاصل وهو الميم ومن قرأ عليهم فكسر الما. واسكن الميم فلأنه لمن اللبس اذا كانت الالف في التثنية قد دلت على الاثنين ولاميم في الواحد فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو واسكنوا الميم طلبا للتخفيف اذا كان ذلك لا يشكل وانما كسر

الفا مع ان الاصل الضم للياء التي قبلها ومن قرأ عليهم فلا نة الاصل لأن وسيلة هذه الواو في الجمع وسيلة الالف في التثنية انني ان ثبات الواو كثبات الالف ومن قرأ عليهم فانه كسر الفاء لوقوع الياء قبلها ساكنة وكسر الميم كراهة للخروج من كسرة الفاء الى ضمة الميم ثم انقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ومن كسر الفاء وضم الميم وحذف الواو فانه احتمل الضمة بعد الكسرة لانها غير لازمة اذا كانت الف التثنية تفتحها لكنه حذف الواو تفاديا من ثقلها مع ثقل الضمة ومن قرأ عليهم فانه حذف الواو استخفافا واحتمل الضمة قبلها دليلا عليها واما من ضم الميم اذا لقيها ساكن وكسر الفاء فانما يجتج بان يقول لما احتجت الى الحركة دددت الحرف الى اصله فضممت وتركت الفاء على كسرها لأنه لم تلت ضرورة تجوز الى ردها الى الأصل ولأن الفاء اذا تبعت الياء لأنها شبهت بها ولم يتبعها الميم بعدها منه واحتج من كسر الميم والفاء بان قال أتبع الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسر قال سيويه الفاء تكسر اذا كان قبلها ياء او كسرة لانها خفيفة وهي من حروف الزيادة كما ان الياء من حروف الزيادة وهي من موضع الالف وهي شبه الحروف بالياء وكما امالوا الالف في مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الفاء وقبلوا الواو ياء لانه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة كقولك مرتت بهي ومررت بدرهي قبل

﴿ الاعراب ﴾

صراط الذين صفة لقوله الصراط المستقيم ويجوز ان يكون بدلا عنه والفصل بين الصفة والبدل ان البدل في تقدير تكرير العامل بدلالة تكرير حرف الجر في قوله تعالى قال الذين استكبروا الذين استضعفوا لمن آمن منهم وليس كذلك الصفة فكما اعيدت اللام الجارة في الاسم فكذلك العامل الرفع او الناصب في تقدير التكرير فكأنه قال اهدنا صراط الذين وليس يفرج البدل وان كان كذلك عن ان يكون فيه تعيين للاول كما ان الصفة كذلك ولهذا لم يميز سيويه المسكين في كان الامر ولا بك المسكين كما اجاز ذلك في الغائب نحو مرتت به المسكين والذين موصول وانعمت عليهم صلة وقد تم بها اسما مفردا يكون في موضع جر باضافة صراط اليه ولا يقال في موضع الرفع اللذون لانه اسم غير متمكن وقد حكى اللذون شادا كما حكى الشياطون في حال الرفع واما غير الغضوب عليهم ففي الجر فيه ثلاثة اوجه (احدها) ان يكون بدلا من الفاء والميم في عليهم كقول الشاعر

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا
عَلَى جُودِهِ لَضُنَّ بِالْمَاءِ حَاتِمٌ

جر حاتم على البدل من الفاء في جوده (وثانيها) ان يكون بدلا من الذين (وثالثها) ان يكون صفة للذين وان كان اصل غير ان يكون صفة للسكره تقول مرتت برجل غيرك كأنك قلت مرتت برجل آخر او برجل ليس بك قال الزجاج وانا جاز ذلك لأن الذين ههنا ليس بتقصود قصدهم فهو بمنزلة قولك اني لأمر بالرجل مثلك فأكرمه وقال علي بن عيسى الرماني انا جاز ان يكون نعتا للذين لأن الذين بصلتها ليست بالمعرفة الموقفة كالاعلام نحو زيد وعمرو وانا هي كالتسكرات اذا عرفت نحو الرجل والنرس فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك ايضا كما يقال لا اجلس الا الى العالم غير اجهل ولو كانت بمنزلة الاعلام لا جاز كما لم يميز مرتت يزيد غير الظريف بالجر على الصفة وقال ابو بكر السراج والذي عندي ان غير في هذا الموضع مع ما اضيف اليه معرفة لأن حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانا تسكرت غير ومثل مع اضافتها الى المعارف من اجل معناها واذك انك اذا قلت رايت غيرك فكأن شي ترمى سوى المخاطب فهو غيره كذلك اذا قلت رايت مثلك فاهو مثله لا يخصي فاما اذا كان شيئا معرفة له ضد واحد وارادت اثباته ونفي ضده فعلم ذلك السامع فوصفته بغير واضفت غير الى ضده فهو معرفة وذلك نحو قواك عايك بالحركة غير السكون فغير السكون معرفة وهي الحركة فكأنك كرت الحركة تأكيدا فكذلك قوله تعالى الذين انعمت عليهم غير الغضوب عليهم فغير الغضوب هم الذين انعم الله عليهم فتى كنت غير بهذه الصفة فهي معرفة وكذلك اذا عرف انسان بانه مثلك في ضرب من الضروب فقيل فيه قد جا.

مثلك كان معرفة اذا اردت العروف بشبهك قال ومن جعل غير بدلا استغنى عن هذا الاحتجاج لأن النكرة قد تبدل من المعرفة وفي نصب غير ثلاثة اوجه ايضا (احدها) ان يكون نصبا على الحال من المضمر في عليهم والعالم في الحال انعمت فكانه قال صراط الذين انعمت عليهم لامغضوبيا عليهم (وثانيها) ان يكون نصبا على الاستثناء المتقطع لأن المغضوب عليهم من غير جنس المنعم عليهم (وثالثها) ان يكون نصبا على اعني كأن قال اعني غير المغضوب عليهم ولم يجوز ان يقال غير المغضوبين عليهم لأن الضمير قد جمع في عليهم فاستغنى عن ان يجمع المغضوب وهذا حكم كل ما تعدى بحرف جر تقول رأيت القوم غير المذهب بهم استغنت بالضمير الجور في بهم عن جمع المذهب واما لامن قوله ولا الضالين فذهب البصريون إلى انها زائدة لتوكيد التي وذهب الكوفيون إلى انها بمعنى غير ووجه قول البصريين انك اذا قلت ما قام زيد وعمرو احتمل ان تريد ما قاما معا ولكن قام كل واحد منهما بانفراد فاذا قلت ما قام زيد ولا عمرو زال الاحتمال وغير متضمن معنى التي ولهذا اجاز النحويون انك زيد اعني ضارب لأنك انك انت زيد لا ضارب ولا يجوزون انك زيد ما مثل ضارب لأن زيدا من صلة ضارب ولا يتقدم عليه وقال علي بن عيسى الرمائي من نصب على الاستثناء جعل لاصلة كما انشد ابو عبيدة (في بدء لاجور سري وما شعر) اي في بئر هلكة وتقديره غير المغضوب عليهم والضاين كما قال ما منعك ان لا تسجد بمعنى ان تسجد

﴿ المعنى واللغة ﴾

معنى الآية بيان الصراط المستقيم اي صراط من انعمت عليهم بطاعتك وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله من يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واصل النعمة بالالفة والزيادة يقال دقت الدوا فانعمت دقه اي بالمت في دقه وهذه النعمة وان لم تكن مذكورة في اللفظ فالكلام يدل عليها لأنه لما قال اهدنا الصراط المستقيم وقد بينا المراد بذلك بين ان هذا صراط من انعم عليهم به ولم يحتج الى اعادة اللفظ كما قال النابغة

كَأَنَّكَ مِنْ جِجَالِ بَنِي أَقْيَشٍ يُقَعِّعُ خَفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ

اي كأنك من ججالم جمل يقمع خلف رجليه و اراد بالمغضوب عليهم اليهود عند جميع المفسرين الخاص والعام ويدل عليه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وهو لا اله الا الله تعالى ولقد علمت الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين و اراد بالضاين النصارى بدلالة قوله تعالى ولا تتبعوا الهوا قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا و ضلوا عن سوا السبيل وقال الحسن البصري ان الله تعالى لم يبرء اليهود من الضلالة باضافة الضلالة إلى النصارى ولم يبرء النصارى من الغضب باضافة الغضب إلى اليهود بل كل واحد من الطائفتين مغضوب عليهم وهم ضالون الا ان الله تعالى يخص كل فريق بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وان كانوا مشتركين في صفات كثيرة وقيل المراد بالمغضوب عليهم والضاين جميع الكفار وانما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفائدتين واختار الامام عبد القاهر الجرجاني قولنا آخر قال ان حق اللفظ فيه ان يكون خرج مخرج الجنس كما تقول نعوذ بالله ان يكون حالنا حال المغضوب عليهم فانك لا تقصد به قوما باعيانهم ولكنك تريد ماتريد بقولك اذا قلت اللهم اجعلني ممن انعمت عليهم ولا تجعلني ممن غضبت عليهم فلا تريد ان ههنا قوما باعيانهم قد اختصوا بهذه الصفة التي هي كونهم منعم عليهم وليس يخفى على من عرف الكلام ان العقلاء يقولون اجعلني ممن تديم له النعمة وهم يريدون ان يقولوا آدم علي النعمة ولا يشك عاقل اذا نظر قول عنقرة

وَلَقَدْ تَرَلْتِ فَلَا تَظْنِي غَيْرَهُ مِثِّي يَمْتَزِلَةُ الْمَحَبِّ الْمَكْرَمِ

انه لم يرد ان يشبهها بانسان هو محب مكرم عنده او عند غيره ولكنه اراد ان يقول انك محبة مكرومة عندي واما الغضب من الله تعالى فهو ارادته ازال العقاب المستحق بهم دلعنهم وبراءته منهم واصل الغضب الشدة ومنه الغضبة وهي الصخرة الصلبة الشديدة المركبة في الجبل والغضوب الحلية الحبيثة والناقة العبوس واصل

الضلال الهلاك ومنه قوله اذا ضللتنا في الارض اي هلكنا ومنه قوله واضل اعمالهم اي اهلكها والاضلال في الدين الذهاب عن الحق وانما لم يقل الذين انعمت عليهم غير الذين غضبت عليهم مراعاة للدب في الخطاب واختياراً لحسن اللفظ المستطاب وفي تفسير العياشي رحمه الله روى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قال سأته عن قوله تعالى وقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال فاتحة الكتاب يثني فيها القول قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى من علي يفاتحة الكتاب من كثر الجنة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الآية التي يقول الله فيها واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا والحمد لله رب العالمين دعوى اهل الجنة حين شكروا لله حسن الثواب ومالك يوم الدين قال جبرائيل عليه السلام ما قالها مسلم الا صدقه الله تعالى واهل بيته اياك نعبدا خلاصا لامباداة اياك نستعين افضل ما طلب به العباد حوائجهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الانبياء وهم الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النضاري وروى محمد الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام انه كان يقرأ ما لا يوم الدين ويقرأ اهدنا الصراط المستقيم وفي رواية اخرى يعني امير المؤمنين (ع) وروى جميل عن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا كنت خلف امام فمرغ من قراءة الفاتحة فقل انت من خلفه الحمد لله رب العالمين وروى فضيل بن يسار عنه عليه السلام قال اذا قرأت الفاتحة فرغت من قراتها فقل الحمد لله رب العالمين

﴿ النظم ﴾

واما نظم هذه السورة فأقول فيه ان العاقل الميز اذا عرف نعم الله سبحانه بالشاهدة وكان له من نفسه بذلك عدل شاهد وصدق رائد ابتدأ بآية التسمية استفتاحا باسم المنعم واعترافا بأهليته واسترواحا الى ذكر فضله ورحمته ولما اعترف بالمنعم الفرد اشتغل بالشكر له والحمد فقال الحمد لله ولأ رأى نعم الله تعالى على غيره واضحة كما شاهد آثارها على نفسه لاشته عرف انه رب الخلائق اجمعين فقال رب العالمين ولما رأى شمول فضله للمريبين وعموم رزقه المرزوتين قال الرحمن ولما رأى تقديرهم في واجب شكره وتعذيبهم في الاتجار عند زجره واجتناب نبيه وامثال امره وانه تعالى يتجاوز عنهم بالغفران ولا يؤخذهم عاجلا بالعبيان ولا يسلبهم نعمه بالكفران قال الرحيم ولما رأى ما بين العباد من التباغي والتظالم والتكالم والتلاكم وان ليس بعضهم من شر بعض يسالم علم انور اياهم يوما ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال مالك يوم الدين واذا عرف هذه الجملة فقد علم ان له خافيا رازقا رحيا محيي ويميت ويبيد وهو الحي لا يشبهه شيء والآله الذي لا يستحق العبادة سواء ولا صار الموصوف بهذا الوصف كالمدرك له باليمان المشاهد بالبرهان تحول عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب فقال اياك نعبد وهذا كما ان الانسان يصف الملك بصفاته فاذا رآه عدل عن الوصف الى الخطاب ولما رأى اعراض الاهواء والشبهات وتعاور الآراء المختلفة ولم يجد معينا غير الله تعالى سألته الاعانة على الطاعات بجميع الاسبابها والحوالات فقال واياك نستعين ولما عرف هذه الجملة وتبين له انه بلغ من معرفة الحق المدى واستقام على منهج الهدى ولم يأمن العثرة لارتقاع العصمة سأل الله تعالى التوفيق للدوام عليه والثبات والعصمة من الزلات فقال اهدنا الصراط المستقيم وهذا لفظ جامع يشتمل على معرفة الاحكام والتوفيق لاقامة شرائع الاسلام والاقتداء بمن اوجب الله طاعته من ائمة الانام واجتناب المنكرات والآثام واذا علم ذلك علم ان الله سبحانه عباد اخصهم بنعمته واصطفاهم على بريقه وجعلهم حجيجا على خلقته فسأل ان يلحقه بهم ويسلك به سبيلهم وان يعصمه عن مثل احوال الزالين للزلين والضاكين المضلين ممن عاند الحق وعمي عن طريق الرشد وخالف سبيل القصد فغضب الله عليه ولم ياعد له الحزبي المقيم والعذاب الاليم اوشك في واضح الدليل فضل عن سوا السبيل فقال صراط الذين نعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

سورة البقرة

مدينة كلها الآية واحدة منها وهي قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فانها نزلت في حجة الوداع بيني عدد آياتها مائة وست وعشرون آية في العدد الكوفي وهو العدد الروي عن امير المؤمنين علي عليه السلام وسبع في العدد البصري وخمس حجازي وأربع شامي خلفها احدى عشر آية عدالكوفي لم آية وعد البصري الاخانفين آية وقولا معروف بصري عذاب اليم شامي مصلحون غيرهم يا اولى الابواب عراقى والمدني الاخير من خلاف الثاني غير المدني الاخير يسألونك ماذا ينفقون مكبي والمدني الاول ينفقون كوفي وشامي والمدني الاخير الحي القيوم مكبي بصري والمدني الاخير من الظلمات الى النور المدني الاول وروي عن اهل مكة ولاضار كاتب ولا شهيد

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأها فصلوات الله عليه ورحمته واعطيت من الاجر كالمرابط في سبيل الله سنة لا تسكن روحه وقال لي يا ابي مر السليمان ان يتعلموا سورة البقرة فان تعلمها بركة وتعلمها بركة وتركتها حيرة ولا يستطيعها البطلة قلت يا رسول الله ما البطلة قال السجدة وروى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة من قرأها في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلاثة ايام ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلاث ليال وروي ان النبي صلى الله عليه وآله بعث بعثا ثم تقبهم يستقرنهم فجاء انسان منهم فقال ماذا معك من القرآن حتى اتى على احدهم سنا فقال له ماذا معك من القرآن قال كذا وكذا وسورة البقرة فقال اخرجوا وهذا عليكم امير قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله هو احثنا سنا قال معسورة البقرة وسئل النبي صلى الله عليه وآله اي سور القرآن افضل قال البقرة قيل اي آية البقرة افضل قال آية الكرسي قال الصادق عليه السلام من قرأ البقرة وآل عمران جاء يوم القيامة تظلائه على رأسه مثل العماتين او مثل التيابتين

﴿ تفسيرها ﴾

قوله تعالى (١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ (الآية)

(كوفي) اختلف العلماء في الحروف العجبة المفتحة بها السور فذهب بعضهم الى انها من التشابهات التي استأثر الله تعالى بعلمها ولا يعلم تلويها الا هو وهذا هو الروي عن ائمتنا عليهم السلام وروى العامة عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان لكل كتاب صفة وصفة هذا الكتاب حروف التهجي وعن الشعبي قال لله في كل كتاب سر وسره في القرآن سائر حروف الهجاء المذكورة في اوائل السور وفدورها الآخرون على وجوه (احدها) انها اسماء السور ومفاتحها عن الحسن وزيد بن اسلم (وثانيها) ان المراد بها الدلالة على اسماء الله تعالى فقوله تعالى لم معناه انا الله اعلم والمر معناه انا الله اعلم وارى والمص معناه انا الله اعلم وأفضل والكاف في كهمص من كافر والماء من هادى وايا من حكيم واليمين من عليهم والصاد من صادق عن ابن عباس وعنه ايضا ان الم الاقمنة تدل على اسم الله واللام يدل على اسم جبرائيل والميم يدل على اسم محمد صلى الله عليه وآله وروى أبو اسحاق الثملي في تفسيره مستندا الى علي بن موسى الرضا عليه السلام قال سئل جعفر بن محمد الصادق عن قوله الم فقال في الألف ست صفات من صفات الله تعالى (الابتداء) فان الله ابتداء جميع الخلق والالف ابتداء الحروف والاستواء

فهو عادل غير جائز والالف مستور في ذاته والانفراد) فانه فرد والالف فرد و(اتصال الحلق بالله) والله لا يتصل بالحلق وكلهم محتاجون الى الله والله غني عنهم وكذلك الالف لا يتصل بالحروف والحروف متصلة به وهو منقطع من غيره والله عز وجل باين بجميع صفاته من خلقه ومعناه من الالفة فكما ان الله عز وجل سبب الالفة الحلق فكذلك الالف عليه تألفت الحروف وهو سبب الفتها (وثانها) انها اسماء الله تعالى منقطعة لو احسن الناس تأليفها لعلوا اسم الله الاعظم تقول الر وحم ون فيكون الرحمن وكذلك سائرهما الا انا لانقدر على وصلها والجمع بينها عن سعيد بن جبير (ورابعها) انها اسماء القرآن عن قتادة (وخامسها) انها اقسام اقسام الله تعالى بها وهي من اسمائه عن ابن عباس وعكرمة قال الاخفش وانما اقم الله تعالى بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولأنها مباني كتبه المنزل بالاسنة المختلفة واسمائه الحسنی وصفاته العليا واصول كلام الامم كلها بها يتعارفون ويذكرون الله عز اسمه ويوحدونه فكأنه هو اقدم بهذه الحروف ان القرآن كتابه وكلامه (وسادسها) ان كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى وليس فيها حرف الا وهو في آله وبلانه وليس فيها حرف الا وهو في مدة قوم وآجال آخرين عن ابي العالية وقد ورد ايضا مثل ذلك في اخبارنا (وسابعها) ان المراد بها مدة بقاء هذه الامة عن مقاتل بن سليمان قال مقاتل حسبنا هذه الحروف التي في اوائل السور باسقاط المكرر فبلغت سبع مائة واربعاً واربعين سنة وهي بقية مدة هذه الامة قال علي بن فضال المجاشعي النحوي وحسبت هذه الحروف التي ذكرها مقاتل فبلغت ثلاثة آلاف وخمسة وستين لحذفت المكررات فبقي ستائة وثلاث وتسعون والله اعلم بما فيها واقول قد حسبنا انا ايضا فوجدتها كذلك ويروى ان اليهود لما سمعوا الم قالوا مدة ملك محمد صلى الله عليه وآله قصيرة لنا تبليغ احدى وسبعين سنة فلما نزلت الر المر والمص وكهيمص اتسع عليهم الامر هذه اقوال اهل التفسير (وثامنها) ان المراد بها حروف المعجم استغني بذكرها من غيرها في اوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تام الثانية والعشرين حرفاً كما يستغني بذكر قفانك من ذكر باقي القصيدة وكما يقال اب في ابجد وفي اب ت ت ولم يذكروا باقي الحروف قال الراجز

لَمَّا رَأَيْتُ أَهْمًا فِي حَطِيٍّ أَخَذْتُ مِنْهَا بَقْرُونَ شَمَطِيٍّ

وانما اراد الخبر عن الراية بانها في ابجد فاقام قوله حطي مقامه لدلالة الكلام عليه (وتاسعها) انها تسكيت للكفار لأن المشركين كانوا تواصوا فيما بينهم ان لا يستمعوا لهذا القرآن وان يلغوا فيه كما ورد به التثريب من قوله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية فربما صغروا وربما صفقوا وربما لعلوا ليغلطوا النبي صلى الله عليه وآله فانزل الله تعالى هذه الحروف حتى اذا سمعوا شيئاً غريباً استمعوا اليه وتفكروا واشتغلوا عن تغليطه فيقع القرآن في مسامعهم ويكون ذلك سبباً موصلاً لم الى درك منافهم (وعاشرها) ان المراد بها ان هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته من جنس هذه الحروف التي تتجاوزون بها في خطبتكم وكلامكم فاذا لم تقدروا عليه فاعلموا انه من عند الله لأن العادة لم تجرباً أن الناس يتفاوتون في القدر هذا التفاوت العظيم وانما كررت في مواضع استظهارا في الحجة وهو المحكي عن قطرب واختاره ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني

﴿ اللغة ﴾

اجود هذه الاقوال القول الاول المحكي عن الحسن لأن اسماء الاعلام منقولة الى التسمية عن اصولها للترفة بين التسميات فتكون حروف المعجم منقولة الى التسمية ولهذا في اسماء العرب نظير قالوا (١) اوس بن حارثة بن لام الطائي ولا خلاف بين النحويين انه يجوز ان يسمى بحروف المعجم كما يجوز ان يسمى بالاسم نحو تابط شرا وبق نحو وكل كلمة لم تكن على معنى الاصل فهي منقولة الى التسمية للفرق نحو جعفر اذا لم يرد به معنى النهر لم يكن

(١) في بعض النسخ قال وفي مختصر مجمع البيان مانعه وسي في العرب لام الطائي والمثاسب كذلك هنا ان تكون قالوا

إلا منتقولا الى العلمية وكذلك اشباهه ولو سميت بالمشكيات جميع ذلك واما قول ابن عباس انه اختصار من اسما
يعلم النبي صلى الله عليه وآله تمامها فتعوه قول الشاعر

نَادُوهُمْ إِنْ أَنْجَمُوا أَلَانَا قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ أَلَا فَا

يريد الا تركبون قالوا الا فاركبوا وقول الآخر

فُلْنَا لَهَا قِيِي قَالَتْ قَاف لَا تَحْسَبِي أَنَا نَسِينًا إِلَّا جِحَاف

يريد قات انواقفة

﴿ الاعراب ﴾

اما موضع الم من الاعراب فمختلف على حسب اختلاف هذه المذاهب اما على مذهب الحسن فموضعها رفع على
اضمار مبتدأ محذوف كأنه قال هذه الم واجاز الرماني ان يكون الم مبتدأ وذلك الكتاب خبره وتقديره حروف
العجم ذلك الكتاب وهذا فيه بعد لأن حكمه المبتدأ ان يكون هو الخبر في المعنى ولم يكن الكتاب هو حروف
العجم ويجوز ان يكون الم في موضع نصب على اضمار فعل تقديره اتل الم واما على مذهب من جعلها اقسم فموضعها
نصب باضمار فعل لأن حرف القسم اذا حذف يصل الفعل الى القسم به فينصبه فإن معنى قولك بالله اقسم بالله
ثم حذف اقسم فسبى بالله فلوحذفت الباء لقلت الله لافعلن واما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصارا من
كلام او حروفا مقطعة فلاموضع لها من الاعراب لانها بنزلة قولك زيد قائم في أن موضعه لاحظ له في الاعراب
وانا يكون للجملة موضع اذا وقعت موقع المفرد كقولك زيد ابوه قائم وان زيدا ابوه قائم لأنه بنزلة قولك زيد
قائم وان زيدا قائم وهذه الحروف موقوفة على الحكاية كما يفعل بحروف التهجي لأنها مبنية على السكت كما أن
العدد مبني على السكت يدل على ذلك جمعك بين ساكنين في قولك لام ميم وتقول في العدد واحدا ثنان ثلاثة
اربعة فتقطع الف اثنين والف اثنين الف وصل وتذكر الهاء في ثلاثة واربعة ولولا انك تقدر السكت لقلت ثلاثة
بالتاء ويدل عليه قول الشاعر

أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ زَيْدٍ كَالْحَرْفِ تَخُطُّ رِجْلَايَ بِخَطِّ مُخْتَلِفٍ تَكْتُبَانِ فِي الطَّرِيقِ لَامَ الْفِ
كأنه قال لام الف ولكنه التي حركة همزة الالف على الميم فتعجمها واذا اخبرت عن حروف الهجاء او اسما الاعداد
امريتها لأنك ادخلتها بالاخبار عنها في جملة الاسماء التمكنة واخرجتها بذلك من حيز الاصوات كما قال الشاعر
(كما بينت كاف تاروح وميها) وقال آخر

إِذَا أَجْتَمَعُوا عَلَى أَلْفٍ وَبَابٍ وَوَاوٍ هَاجَ بَيْنَهُمْ جِدَالٌ

وتقول هذا كاف حسن وهذه كاف حسنة من ذكره فعل معنى الحرف ومن انشده فعل معنى الكلمة

قوله تعالى (٢) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير فيهي هدى بوصل الهاء بياء في اللفظ وكذلك كل هاء كتابة قبلها ياء ساكنة فإن كان قبلها
ساكن غير اليا وصلها بالواو وواقفه حفص في قوله فيهي مهانا وقيمة في قوله فلاقبه وساصيله والباقون لا يشعرون
وإذا تحرك ما قبل الهاء فهم مجمعون على اشباعه

﴿ الحجة ﴾

اعلم انه يجوز في العربية في فيه اربعة اوجه فيهي وفيه وفيه والاصل فيهي كما قيل هو مال فمن كسر
الها من فيه ونحوه مع ان الاصل الضم فلاجل اليا او الكسرة قبل الهاء والها تشبه الالف لكونها من حروف

الخلق ولا فيها من الخفاء فكما نحووا بالالف نحو اليا. بالامالة لاجل الكسرة او اليا. كذلك كسروا الهاء. للكسرة او اليا. ليتجانس الصوتان ومن ترك الاشباع فلكرامة اجتماع المشابهة فإن الهاء حرف خفي فاذا اكتنفها ساكنان من حروف اللين كان كأن الساكنين التقيا خلفا. الهاء فانهم لم يعتدوا بها حاجزا في نحو فيهي وحذوهو كما لم يعتد بها في نحو ردم من أتبع الضم الضم اذا وصل الفعل بضمير المومث فقال ردها بالفتح لا غير ولم يتبع الضم الضم وجعل الدال كأنها لازقة بالالف واما من اشبع واتبعها اليا. قال الهاء. وان كانت خفية فليس يخرجها ذلك من ان تكون كغيرها من حروف المعجم التي لاخفاء. فيها فاذا كان كذلك كان حجزها بين الساكنين كحجز غيرها من الحروف التي لاخفاء. فيها

﴿اللغة﴾

ذلك لفظة يشار بها الى ما بعد وهذا الى ما قرب والاسم من ذلك ذا والكاف زيدت للخطاب ولاحظ لها من الاعراب واللام تراد للتأكيد وكسرت لالتقاء الساكنين وتسقط معها هاء. تقول ذلك وذلك وهذا ولا تقول هنالك والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كالحساب قال الشاعر

بَشَرْتُ عِيَالِي إِذْ رَأَيْتَ صَحِيفَةً أَتَيْتُكَ مِنَ الْحَجَّاجِ يُنْتَلَى كِتَابُهَا

اي مكتوبها واصله الجمع من قولهم كتبت القربة اذا خزتها والكتبة الحُرزة وكتبت البغلة اذا جمعت بين شفرها بجلقة ومنه قيل للجدد كَتِيبَةٌ لانضمام بعضهم الى بعض والريب الشك وقيل هو أسوأ الشك وهو مصدر رابني اثني. من فلان يرييني اذا كنت مستيقنا منه بالريبة فاذا أسأت به الظن ولم تستيقن بالريبة منه قلت ارابني من فلان امر ارابة واراب الرجل اذا صار صاحب ريبة كما قيل الام اي استحق ان يلام والهدى الدلالة مصدر هديته وفعل قليل في المصادر قال ابو علي يجوز ان يكون فعل مصدر اختص به المعتل وان لم يكن في المصادر كما كان كينونة ونحوه لا يكون في الصحيح والفعل منه يتعدى الى مفعولين يتعدى الى الثاني منها باحد حرفي جر الى او اللام كقوله واهدنا الى سواء الصراط والحمد لله الذي هدانا لهذا وقد يمحذف منه حرف الجر فيصل الفعل الى المفعول نحو اهدنا الصراط المستقيم اي دلنا عليه واسلك بنا فيه وكأنه استنجاز لما وعدوا به في قوله يهدي به ابه من اتبع رضوانه سبيل السلام اي سبيل دار السلام والاصل في التتبعين الموقنين مقتلين من الوقاية فقلبت الواو نا. وادغمتها في التاء التي بعدها وحذفت الكسرة من اليا. استغالا لها ثم حذفها لالتقاء الساكنين فبقي متين والتتوى اصله وقوى قلبت الواو نا. كالتراث اصله وراث واصل الالتقاء الحجز بين الشيتين يقال اتقاء بالقرس اي جعله حاجزا بينه وبينه قال الشاعر

فَأَلْتَمَّ قَنَاعاً دُونَهَا الشَّمْسُ وَأُتِّتْ بِأَحْسَنَ مَوْصُولَيْنِ كَفَرٍ وَمِعْصَمٍ

ومنه الوقاية لأنها تمنع روية الشعر

﴿الاعراب﴾

ذلك في موضع رفع من وجوه (احدها) ان تجمله خبرا عن الم كما مضى القول فيه (وثانيها) ان يكون مبتدأ والكتاب خبره (وثالثها) ان يكون مبتدأ والكتاب عطف بيان او صفة له او بدل منه ولا ريب فيه جملة في موضع الخبر (ورابعها) ان يكون مبتدأ وخبره هدى ويكون لا ريب في موضع الحال والعامل في الحال معنى الاشارة (وخامسها) ان يكون لا ريب فيه وهدى جميعا خبرا بعد خبر كقولك هذا حاو حامض اي جمع الطعمين ومنه قول الشاعر

مَنْ نِكَ ذَا بَتٍ هَذَا بَتِي مَقِظٌ مُصَيِّفٌ مُشْتِي

(وسادسها) ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا ذلك الكتاب وان حملت على هذا الوجه اوعلى انه مبتدأ ولا ريب فيه الخبر اوعلى انه خبر الم اوعلى ان الكتاب خبر عنه كان قوله هدى في موضع نصب على الحال اي هاديا للمتقين والعامل فيه معنى الاشارة او الاستمرار الذي يتعلق به فيه وقوله لا ريب قال سيوبه لا تعمل فيا بعدها فتنصبه بغير تنوين وقال غيره من حذاق النحويين جعل لامع النكرة الشائعة مركبا فهو اوكد من تضمين الاسم معنى الحرف لأنه جعل جزءاً من الاسم بدلالة انك تضيف اليه مجموعا وتدخل عليه حرف الجر فتقول جنتك بلا مال ولا زاد فلما صار كذلك بني على الفتح وهما جميعا في موضع الرفع على الابتداء فوضع خبره موضع خبر المبتدأ وعلى هذا فيجوز ان تجعل فيه خبرا ويجوز ان تجعله صفة فان جعلته صفة اضمرت الخبر وان جعلته خبرا كان موضعه رفعا في قياس قول سيوبه من حيث يرتفع خبر المبتدأ وعلى قول ابى الحسن الاخفش موضعه رفع والموضع للظرف نفسه لا لما كان يتعلق به لأن الحكم له من دون ما كان يكون الظرف منتصبا به في الاصل الا ترى ان الضمير قد صار في الظرف واما قوله هدى فيجوز ان يكون في موضع رفع من ثلاثة اوجه غير الوجه الذي ذكرناه قبل وهو ان يكون خبرا عن ذلك احدها ان يكون مبتدأ وفيه الخبر على ان تضرر للاريب خبر كأنك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه يكون على قوله لا ريب فيه ويبتدى هدى للمتقين وان شئت جعلت فيه هذه الظاهرة خبرا عن لا ريب واضمرت هدى خبرا كأنك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه على قوله لا ريب فيه ويبتدى هدى للمتقين والوجه الثاني ان يكون خبرا عن الم على قول من جعله اسما للسورة والوجه الثالث ان يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو هدى

﴿ المعنى ﴾

المراد بالكتاب القرآن وقال الاخفش ذلك بمعنى هذا لأن الكتاب كان حاضرا وانشد لخفاف بن ندبه

أَقُولُ لَهُ وَالرَّمِيحُ بِأِطْرُ مَتْنُهُ تَأْمَلُ خَفَافًا إِنِّي أَنَا ذَلِكَا

اي انا هذا وهذا البيت يمكن اجراؤه على ظاهره اي انني انا ذلك الرجل الذي سمعت شجاعته واذا جرى للشيء ذكر يجوز ان يقول السامع هذا كما قلت وذلك كما قلت وتقول انفتحت ثلاثة وثلاثة فهذا ستة او فذلك ستة وانا تقول هذا لقربه بالاخبار عنه وتقول ذلك لكونه ماضيا وقيل ان الله وعد نبيه ان يتزل عليه كتابا لا يحويه الا ما ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتك عن الفراء واني على الجبائي وقيل معناه هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتك به في الكتب السابقة عن المبرد ومن قال ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل فقوله فاسد لأنه وصف الكتاب بأنه لا ريب فيه وانه هدى ووصف ما في أيدي اليهود والنصارى بانه محرف بقوله يجر فون الكلم عن مواضعه ومعنى قوله لا ريب فيه اي انه بيان وهدى وحق ومعجز فن هنا استحق الوصف بانه لا شك فيه لا (١) على جهة الاخبار بنبي شك الشاكين وقيل انه على الحذف كأنه قال لاسبب شك فيه لأن الاسباب التي توجب الشك في الكلام هي التلبيس والتعقيد والتناقض والدعاوي العارية من البرهان وهذه كلها منفية عن كتاب الله تعالى وقيل ان معناه النهي وان كان لفظه الخبر اي لا تزلوا ولا تشكروا فيه كقوله تعالى لا ريب ولا فسوق واما تخصيص المتقين بان القرآن هدى لهم وان كان هدى لجميع الناس فلأنهم هم الذين انتفعوا به واهتدوا بهداه كما قال انا انت منذر من يخشاها وان كان صلى الله عليه وآله منذرا لكل مكلف لانه انا انتفع بانذاره من يخشى نار جهنم على انه ليس في الاخبار بانه هدى للمتقين ما يدل على أنه ليس بهدى لتيرهم وبين في آية اخرى أنه هدى للناس

(١) ولا جهة للاخبار كذا في بعض النسخ ولعله انب

﴿ فصل في التقوى والمتقى ﴾

روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقى الذي اتقى ما حرم عليه وفعل ما اوجب عليه وقيل هو الذي يتقى بصالح اعماله عذاب الله وسأل عمر بن الخطاب كعب الاحبار عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذاشوك فقال نعم قال فما عملت فيه قال حدثت وتشمرت فقال كعب ذلك التقوى ونظمه بعض الناس فقال

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقي واصنع كما شئت فوق ارض الشوك بمخدر ما يرى لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى وروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال انا سمي المتقون لتركهم ما لا بأس به حدا للوقوع فيلبيه بأس وقال عمر بن عبدالعزيز التقي ملجم كالحرم في الحرم وقال بعضهم التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك قوله تعالى (٣) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْقَيْمِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (آية)

قرأ ابو جعفر وعاصم في رواية الاشبلي عن ابي بكر بترك كل همزة ساكنة مثل يؤمنون وما كلون ويوتون وبس ونحوها ويترك كثيرا من المتحركة مثل يود ولا يؤخذكم ويؤيد بنصره ومذهب ابي جعفر فيه تفصيل يطول ذكره واما ابو عمرو فيترك كل همزة ساكنة الا ان يكون سكونها علامة للجزم مثل نفسها ويسومك ويهيي لكم ومن يشأ وينبهم وقرأ كتابك ونحوها فانه لا يترك الهمزة فيها وروى عنه الهمزة ايضا في الساكنة واما نافع فيترك كل همزة ساكنة ومتحركة اذا كانت فاء من الفعل نحو يؤمنون ولا يؤخذكم واختلفت قراءة الكسائي وهمزة لكل واحد منهم مذهب فيه يطول ذكره فالهمز على الاصل وتركه للتخفيف

﴿ اللغة والاعراب ﴾

الذين جمع الذي واللائي واللائي جمع التي وتثنيها الذان والثتان في حال الرفع والذين واللتين في حال الجر والنصب وهي من الاسماء التي لا تم الا بصلاتها نحو من وما واي وصلاتها لا تكون الا جملا خبرية يصح فيها الصدق والكذب ولا بد ان يكون فيها ضمير يعود الى الموصول فاذا استوفت الموصولات صلاتها كانت في تأويل ابيم مفرد مثل زيد وعمرو ويحتاج الى جزء آخر تصير به جملة فقوله الذين موصول ويؤمنون صلته ويحصل ان يكون محله نصبا وجرا ورفعا فانصب على المدح تقديره اعني الذين يؤمنون واما الجر فعلى انه صفة للمتقين واما الرفع فعلى المدح ايضا كأنه لما قيل هدى للمتقين قيل من هم قيل هم الذين يؤمنون بالقيوم فيكون خبر مبتدأ محذوف ويؤمنون معناه يصدقون والواو في موضع الرفع بكونه ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع والاصل في يفعل يؤمرون ولكن الهمزة حذفت لأنك اذا انبأت عن نفسك قلت انا افعل فكانت تجتمع همزتان فاستعملتا حذفت الهمزة الثانية فقيل افعل ثم حذفت من الصيغ الاخر نفعل وتفعّل ويفعل كما انبأ بعد حذفت منه الواو لوقوعها بين ياء وكسرة اذ الاصل يوعدهم ثم حذفت في تعد واعد ونعد ليجري الباب على سنن واحد قال الازهري اتفق العلماء على ان الايمان هو التصديق قال الله تعالى وما انت بؤمن لنا اي ما انت بصدق لنا قال ابو زيد وقالوا ما أمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فالايان هو الثقة والتصديق قال الله تعالى الذين آمنوا بآياتنا اي صدقوا ووثقوا بها وقال الشاعر انشده ابن الانباري

وَمِنْ قَبْلِ أَمْنًا وَقَدْ كَانَ قَوْمُنَا يُصَلُّونَ لِلْأَوْثَانِ قَبْلَ مُحَمَّدًا

ومعناه أمتا محمد اي صدقناه ويجوز ان يكون آمن من قياس فعلته فافعل تقول امنتهم فامن مثل كبيتهم فاكب والامن خلاف الخوف والامانة خلاف الحيانة والامون الناقاة القرية كأنها يؤمن من عشارها وكلاهما ويجوز ان يكون آمن بمعنى صار اذا امن على نفسه باظهار التصديق نحو اجرب واعاه واصح واسلم صار ذاسلم اي خرج عن ان يكون

حرا هذا في اصل اللغة اما في الشريعة فالايان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق به من الله تعالى وانبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار واما قولنا في وصف القديم تعالى المؤمن فإنه يحتمل تأويلين احدهما ان يكون من امن المتعدي الى مفعول فنقل بالهززة فتعدي الى مفعولين فصار من آمن زيد العذاب وآمنته العذاب فعناه المؤمن عذابه من لا يستحقه من اوليائه ومن هذا وصفه سبحانه بالعدل كقوله قانما بانقسط وهذا الوجه مروى في اخبارنا والآخر ان يكون معناه المصدق اي يصدق الموحدون على توحيدهم لاه يدل عليه قوله شهد الله انه لا اله الا هو لأن الشاهد مصدق لما يشهده كما انه مصدق من يشهد له فان شهد بالتوحيد فقد صدق الموحدون واما الغيب فهو كما غاب عنك ولم تشهد به وقوله بالغيب كأنه اجمال لما فصل في قوله كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله اي يؤمنون بما كُفِر به الكفار من وحدانية الله واتزال كتبه وارسال رسله فكل هذا غيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور في موضع نصب بأنه مفعول به وفيه وجه آخر وهو ان يكون اراد يؤمنون اذا غلبوا عنكم ولم يكونوا كالتائقين ومثله قوله وخشي الرحمن بالغيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن مراة الناس لا يريدون بايمانهم تصعنا لأحد ولا يمكن يخلصونه لله ويقومون الصلوة يؤدونها بحدودها وفرائضها يقال اقام القوم سوقهم اذا لم يعطوها من البيع والشراء وقال الشاعر

أَقَامَتْ غَزَاةٌ سُوقَ الضَّرَابِ لِأَهْلِ المِرَاقِينِ حَوْلًا قَبِيظًا

وقال ابو مسلم يقيمون الصلاة اي يديمون ادا فرائضها يقال للشئ الراتب قائم ويقال فلان يقيم ارزاق الجنود والصلوة في اللغة الدعاء قال الاعشى

وَأَقْبَلَهَا " الرِّيحُ فِي ظِلِّهَا وَصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَارْتَسَمَ

اي دعا لها ومنه الحديث اذا دعيت احدكم الى طعام فليجب وان كان صائما فليصل اي فليدع له بالبركة والخير وقيل اصله رفع الصلا في الركوع وهو عظيم في العجز وقوله وما رزقناهم ينفقون ما هذه حرف موصول ورزقناهم صلته وهما جميعا بمعنى المصدر تقديره ومن رزقنا اي اياهم ينفقون او اسم موصول والعائد من الصلة الى الموصول محذوف والتقدير ومن الذي رزقناهم ينفقون فيكون ما رزقناهم في موضع جر بين الجار والمجرور في موضع نصب بانه مفعول ينفقون والرزق هو العطا الجاري وهو نقيض الحرمان والانفاق اخراج المال يقال انفق ماله اي اخرجته عن ملكه ونفقت الدابة اذا خرج روحها والنافق جحر اليربوع لانه يخرج منها ومنه النفاق لأن النفاق يخرج الى المؤمن بالايان والى الكافر بالكفر

﴿ المعنى ﴾

لما وصف القرآن بأنه هدى للمتقين بيّن صفة المتقين فقال الذين يؤمنون بالغيب اي يصدقون بجميع ما اوجه الله تعالى او ندب اليه او اباحه وقيل يصدقون بالقيامه والجنة والنار عن الحسن وقيل بما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل بما غاب عن العباد علمه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة وهذا اولى لعمومه ويدخل فيه ما رواه اصحابنا عن زمان فبني المهدي عليه السلام ووقت خروجه وقيل الغيب هو القرآن عن رزين^(٢) بن حيش وقال الرماني الغيب خفاء الشيء عن الحس قرب او بعد الا انه كثرت صفة غايب على البعيد الذي لا يظهر للحس وقال الباخي الغيب كل ما ادرك بالدلائل والآيات مما يلزم معرفته وقالت المعتزلة باجمعها الايمان هو فعل الطاعة ثم اختلفوا فمنهم من اعتبر الفرائض والتوابع ومنهم من اعتبر الفرائض حسب واعتبروا اجتناب الكبائر كلها وقدرى الخاص والعام عن علي بن موسى الرضا عليه السلام ان الايمان هو التصديق بالقلب والقرار باللسان والعمل بالاركان وقد روي ذلك على لفظ آخره ايضا الايمان قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول واقول ان اصل الايمان

(١) في لسان العرب وتفسير الطبري (وقابلها) ولله الأصح (٢) في السخ الأخرى زر بن حيش او جيش فبحر

هو المعرفة بالله ويرسله ويجميع ما جاءت به رسله وكل عارف بشي، فهو مصدق به يدل عليه هذه الآية فإنه تعالى لما ذكر الايمان علقه بالغيب ليعلم انه تصديق للمخبر فيما اخبر به من الغيب على معرفة وثقة ثم افرد بالذكر عن سائر الطاعات البدنية والمالية وعطفها عليه فقال ويقومون الصلوة وبما رزقناهم ينفقون والشيء لا يعطف على نفسه وانما يعطف على غيره ويدل عليه ايضا انه تعالى حيث ذكر الايمان اضافته الى القلب فقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال او تلك كتب في قلوبهم الايمان وقال النبي صلى الله عليه وآله الايمان سر وشار الى صدره والاسلام علانية وقد يسمى الاقرار ايمانا كما يسمى تصديقا الا انه متى صدر عن شك او جهل كان ايمانا لفظيا لا حقيقيا وقد تسمى اعمال الجوارح ايضا ايمانا استعارة وتلويحا كما تسمى تصديقا كذلك فيقال فلان تصدق افعله مقاله ولاخير في قول لا يصدقه الفعل والفعل ليس بتصديق حقيقي باتفاق اهل اللغة وانما استعمل له هذا الاسم على الوجه الذي ذكرناه فقد آكل الامر مع تسليم صحة الخبر وقبوله الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب والتصديق به على نحو ما تقتضيه اللغة ولا يطلق لفظه الا على ذلك الا انه يستعمل في الاقرار باللسان او العمل بالا لكان مجازا واتساعا وبالله التوفيق وقد ذكرنا في قوله ويقومون الصلوة وجهين اقتضاها اللغة وقيل ايضا انه مشتق من القيام في الصلوة ولذلك قيل قد قامت الصلاة وانما ذكر القيام لانه اول ارکان الصلاة واما دعاها وان كان المراد به هو غيره والصلوة في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة على وجوه مخصوصة وهذا يدل على ان الاسم ينقل من اللغة الى الشرع وقيل ان هذا ليس ينقل بل هو تخصيص لانه يطلق على الذكر والدعاء في مواضع مخصوصة وقوله تعالى وبما رزقناهم ينفقون يريد وبما اعطيناهم وملكتناهم يخرجون على وجه الطاعة وحكي عن ابن عباس انه الزكاة المفروضة وعن ابن مسعود انه نفقة الرجل على اهله لان الآية نزلت قبل وجوب الزكاة وعن الضحاك هو التطوع بالنفقة ودوي محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام ان معناه وبما علمناهم يبشون والاولى حمل الآية على عمومها وحقيقة الرزق هو ما صح ان ينتفع به المنتفع وليس لاحد منعه منه وهذه الآية تدل على ان الحرام لا يكون رزقا لأنه تعالى مدحهم بالاتفاق مما رزقهم والمنتفق من الحرام لا يستحق المدح على الاتفاق بالاتفاق فلا يكون رزقا

﴿ النزول ﴾

قال بعضهم هذه الآية تناولت مواعني العرب خاصة بدلالة قوله فيها بعد والذين يؤمنون بما أنزل إليك الآية فهذا في مواعني اهل الكتاب اذ لم يكن للعرب كتاب قبل القرآن وهذا غير صحيح لأنه لا يمتنع ان تكون الآية الاولى عامة في جميع الرومانيين وان كانت الثانية خاصة في قوم منهم ويجوز ان يكون المراد بالآيات قوما واحدا وصفوا بجميع ذلك بأن جمع بين اوصافهم بواو العطف كقول الشاعر

إلى أَمَلِكِ الْقَرَمِ وَأَبْنِ الْهَمَامِ وَآيَتِ الْكِنْبِيَةِ فِي الْمُرْدَحِمِ

قوله تعالى (٤) وَأَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

اهل الحجاز غير ورش واهل البصرة لا يدون حروفا لحرفه وهو ان تكون اللمدة من كلمة والمهززة من اخرى نحو ما انزل اليك ونحوه واما اهل الكوفة وابن عامر وورش عن نافع فانهم يدون ذلك وورش اطولهم مدا ثم حمزة ثم عاصم برواية الاعشى والباقر يدون مدا وسطا من غير افراط فالمد للتحقيق وحذفه للتخفيف واما السكنة بين اللمدة والمهززة فمن حمزة ووافق عاصم والكسائي على اختلاف عنهما وان بقى حمزة قبل الهززة ايضا فيسكت على اللام شيئا من قوله بالآخرة ثم بتدني بالهزة وكذلك يتطوع على اليا من شيئا كانه يقف ثم يهز والباقر بن يبرسكتة

﴿ الاعراب ﴾

اليك ولديك وعليك الاصل فيها الاك وعلاك وأدراك الا ان الألف غيرت مع المضمر فأبدلت يا ليفصل بين الألف في آخر الاسم التمسك وبينها في آخر غير التمسك الذي الاضافة لازمة له الا ترى ان الموعلى ولدى لاتنفرد من الاضافة فشبهت بها كلاهما اذا اضيفت الى المضمر لأنها لا تنفرد ولا تكون كلاما الا بالاضافة وما موصول وانزل صلته وفيه ضمير يعود الى ما والموصول مع صلته في موضع جر بالباء والجار والمجرود في موضع نصب بأنه مفعول يومنون ويومنون صفة للذين والذين يومنون في موضع جر بالطف والعطف فيه على وجهين احدهما ان يكون عطف احد الموصوفين على الآخر والآخر ان يكون جمع الاوصاف لموصوف واحد

﴿ المعنى ﴾

ثم بين تعالى عام صفة المتقين فقال والذين يومنون بما اتزل اليك يعني القرآن وما اتزل من قبلك يعني الكتب المتقدمة وقوله وبالآخرة اي بالدار الآخرة لأن الآخرة صفة فلا بد لها من موصوف وقيل اراد به الكرة الآخرة وانما وصفت بالآخرة لتأخرها عن الدنيا فكاسيت الدنيا دنيا اندرها من الخلق وقيل لدنايتها هم يومنون يعلمون وسبي العلم يقينا لحصول القطع عليه وسكون النفس اليه فكل يقين علم وليس كل علم يقينا وذلك ان اليقين كأنه علم يحصل بعد الاستدلال والتفكر لغموض العلوم المنظور فيه اولاشكال ذلك على الناظر ولهذا لا يقال في صفة الله تعالى موقن لأن الاشياء كلها في الجلاء عنده على السواء وانما خصهم بالايقان بالآخرة وان كان الايمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها وجدهم اياها في نحو ما حكى عنهم في قوله وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا فكان في تخصيصهم بذلك مدح لهم

قوله تعالى (٥) أو آتاك على هدى من ربهم وأوتاك هم أَلْمُفْلِحُونَ (آية)

أو آتاك اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشارة وهو جمع ذلك في المعنى واو لا جمع ذا في المعنى ومن قصر قال او لا والاك واو لاك واذا مد لم يجز زيادة اللام لتلا يجمع ثقل الزيادة وتقل الهزئة قال الشاعر

أَلَاكَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أَشَابَةَ

وَهَلْ يَعْظُ الضَّيْلُ إِلَّا أَوْلَاكَ

والفلحون المنجحون القاتزون والفلاح التجاح قال الشاعر

إِعْقَلِي إِنْ كُنْتِ لِمَا تَعْقَلِي

فَلَعَدَّ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقْلٌ

اي ظفر بجاحته والفلاح ايضا البقاء قال لبيد

نَحْلُ بِلَادَا كُلُّهَا حُلٌّ قَبْلَنَا

وَتَرْجُو الفلاح بَعْدَ عَادٍ وَتُبَعًا

واصل الفلاح القطع ومنه قيل الفلاح للأكل الحراث لأنه يشق الارض وفي النمل الحديد بالحديد يفتح فالفتح

على هذا كأنه قطع له بالحجر

﴿ الاعراب ﴾

موضع أو آتاك رفع بالابتداء والحجر على هدى من ربهم وهو اسم مبني والكاف حرف خطاب لا محل له من الاعراب وكسرت الهزئة فيه لانتقاء الساكنين وكذلك قوله وأوتاك هم الفلحون الا ان قوله هم فيه وجهان (احدهما) انه فصل يدخل بين الابتداء والحجر وما كان في الاصل مبتدأ وخبراً للتأكيد ولا موضع له من الاعراب والكوفيون يسمونه عمادا وانما يدخل ليوذن أن الاسم بعده خبر وليس بصفة وانما يدخل ايضا اذا كان الخبر معرفة او ما اشبه المعرفة نحو قوله تعالى تجدوه عند الله هو خيرا والوجه الآخر ان يكون هم مبتدأ ثانيا والفلحون خبره والجملة في موضع رفع بكونها خبر أو آتاك

﴿ المعنى ﴾

لا وصف المتقين بهذه الصفات بين ما لم عنده تعالى فقال او لك اشارة الى الموصوفين بجميع الصفات المتقدمة وهم جملة المؤمنين على هدى من ربهم اي من دين ربهم وقيل على دلالة وبيان من ربهم وانما قال من ربهم لأن كل خير وهدى فمن الله تعالى اما لأنه فعله واما لأنه عرض له بالدلالة عليه والدعاء اليه والاثابة على فعله وعلى هذا يجوز ان يقال الايمان هداية منه تعالى وان كان من فعل العبد ثم كرر تفخيا فقال واولئك هم المفلحون اي الظافرون بالبيعة والباقون في الجنة

﴿ النزول ﴾

قال مجاهد ربيع آيات من اول السورة نزلت في المؤمنين وآياتان بعدها نزلت في الكافرين وثلاث عشرة آية بعدها نزلت في المنافقين (قوله تعالى) (٦) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قوله تعالى **أُنذِرْتَهُمْ** فيه ثلاث قراءات قرأ عاصم وحزمة والكسائي اذا خفف بهزتين وقرأ اهل الحجاز وابو عمرو بالهز والمد وتلين الهززة الثانية والباقرن يجعلونها بين بين وكذلك قراءة الكسائي اذا خفت وابو عمرو اطول مدأ من ابن كثير واختلف في المد عن نافع وقرأ ابن عامر بالف بين همزتين ويجوز في العربية ثلاثة اوجه غيرها **أُنذِرْتَهُمْ** بتحقيق الهززة الاولى وتخفيف الثانية يجعلها بين بين وانذرتهم بهززة واحدة وعليهم **أُنذِرْتَهُمْ** على القاء حركة الهززة على الميم نحو قد افاح فيا روي عن نافع

﴿ الحجة ﴾

اما وجه الهزرتين فهو انه الاصل لأن الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة افعل واما ادخال الالف بين الهزرتين فن قرأه اراد ان يفصل بين الهزرتين استئناسا لاجتماع التلين كما فصل بين النونين في نحو اضربنا ان استقتالا لاجتماع النونات ومنه قول ذي الرمة

فِيَا ظَلِيَّةَ الْوَعَا بَيْنَ جَلَّاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا أَتَتْ أَمْ أَمْ سَالِمٍ

واما من فصل بين الهزرتين وتلين الثانية فوجه التخفيف من جهتين الفصل والتلين لأنك اذا ليتها قد امتها وصار اللفظ كأنه لاستفهام فيه في التوكيد الدلالة على الاستفهام كما في تحقيق الهززة واما من حقق الاولى وتلين الثانية من غير فصل بالالف فهو القياس لأنه جعل التلين عوضا عن الفصل واما من اكتفى بهززة واحدة فإنه طرح همزة الاستفهام وهو ضعيف وقد جاء في الشعر قال عمر بن ابي ربيعة

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا بِسَبْعِ رَمِينَ الْجَمْرَ أَمْ يَثْمَانِ

واما من اتى حركة الهززة على الميم فإنه على تليين الاولى وتحقيق الثانية والعرب اذا لينوا الهززة المتحركة وقبلها ساكن اقوا حركتها على ما قبلها قالوا من يوك ومن مك ومك بلك

﴿ اللفظة ﴾

الكفر خلاف الشكر كما ان الحمد خلاف الذم فالكفر ستر الثعمة واخفاؤها والشكر نشرها واطهارها وكل ما ستر شيئا فقد كفره قال لبيد (في لية كفر النجوم غمها) اي سترها وسوا مصدر اقيم مقام الفاعل كقولك زور وصوم ومعناه مستور والاعتدال والاستواء العدل قال زهير

أَرُوْنِي خِطَّةً لَا خَسْفَ فِيهَا يُسْوِي بَيْنَنَا فِيهَا السُّوَا

وقالوا سي بمعنى سواء. كما قالوا في وقوا. وسيان اي مثلان والانذار اعلام معه تحوير فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ويوصف القديم تعالى بانه منذر لأن الاعلام يجوز وصفه به والتحوير ايضا كذلك لقوله ذلك يخوف الله به عباده فاذا جاز وصفه بالمعنيين جاز وصفه بما يشتمل عليها وانذرت يتعدى الى مفعولين كقوله انا انذرتكم عذابا قريبا وقد ورد معدى الى المفعول الثاني بالياء. في قوله قل انا انذركم بالوحي وقيل الانذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز منه فان لم يتسع فهو اشعار

﴿ الاعراب ﴾

ان حرف توكيد وهي تنصب الاسم وترفع الخبر وانما نصبت ورفعت لانها تشبه الفعل لكونها على وزنه ولانها توكيد والتوكيد من معاني الفعل وتشبهه في اتصال ضمير التكلم نحو انني وهي مبنية على الفتح كالفعل الماضي وانما الزمت تقديم النصب على المرفوع ليعلم انها انما عملت على جهة التشبيه فجعلت كفعل قدم مفعوله على فاعله والذين كفروا في موضع نصب لكونه اسم ان وكفروا صلة الذين واما خبرها ففيه وجهان (احدهما) ان يكون الجملة التي هي سواء عليهم. انذرتهم ام لم تنذرهم فعلى هذا يكون سواء. يوقع بالابتداء وما بعده مما دخل عليه حرف الاستفهام في موضع الخبر والجملة في موضع رفع بانها خبر ان ويكون قوله لا يؤمنون حال من الضمير النصب على حد مع صقر صائدا به غدا وبالغ الكعبة ويستقيم ان يكون ايضا استئنافا والوجه الثاني ان يكون لا يؤمنون خبر ان ويكون قوله سواء عليهم. انذرتهم ام لم تنذرهم اعتراضا بين الخبر والاسم فلا يكون له موضع من الاعراب كما حكم على موضعه بالرفع بالوجه الاول فاما اذا قدرت هذا الكلام على ما عليه المعنى فقلت سواء عليهم الانذار وتركه كان سواء خبر المبتدأ لأنه يكون تقديره الانذار وتركه مستويان عليهم وانما قلنا انه مرتفع بالابتداء على ما عليه التلاوة لأنه لا يجوز ان يكون خبرا فانه ليس في ظاهر الكلام مخبر عنه واذا لم يكن مخبر عنه بطل ان يكون خبرا فاذا فسد ذلك ثبت انه مبتدأ وايضا فانه قبل الاستفهام وما قبل الاستفهام لا يكون داخلا في حيز الاستفهام فلا يجوز اذا ان يكون الخبر عما في الاستفهام متقدما على الاستفهام ونظير ما في الآية من ان خبر المبتدأ ليس المبتدأ ولا له فيه ذكر ما انشده ابو زيد

فَإِنْ حَرَامًا لَا أَرَى الدَّهْرَ بِأَكْبَرًا عَلَى شَجْوَةٍ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرٍو

وقوله انذرتهم ام لم تنذرهم لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وهذه الهمزة تسمى الف التسوية والتسوية آتيا همزة الاستفهام وام تقول ازيد عندك ام عمرو تريد ايها عندك ولا يجوز في مكانها اولان او لاتكون معادلة الهمزة وتفسير المعادلة ان تكون ام مع الهمزة بتثنية اي فاذا قلت ازيد عندك او عمرو كان معناه واحد هذين عندك ويدل على ذلك ان الجواب مع ازيد ام عمرو يقع بالثنيين ومع ازيد او عمرو يقع بنعم اولا وانما جرى عليه لفظ الاستفهام وان كان خبرا لأن فيه التسوية التي في الاستفهام الا ترى انك اذا قلت سواء علي ائت ام قعدت فقد سويت الامرين عليك كما انك اذا استفهمت فقلت اقام زيد ام قعد فقد استوى الامران عندك في الاستفهام وعدم علم احدهما بعينه فلما عتتها التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته له في الابهام فكل استفهام تسوية وان لم يكن كل تسوية استفهاما وقال الثوريون ان نظير سواء في هذا قولك ما ابالي اقبلت ام ادبرت لأنه وقع موقع اي فكأنك قلت ما ابالي اي هذين كان منك وما ادري احسنت ام أسأت وليت شعري اقام ام قعد وقال حسان

مَا أَبَالِي أَنَّبَ بِالْحَزَنِ تَيْسُ أَمْ كَحَالِي بِظَهْرِ غَيْبِ لَيْمِ

ومثله في انه في صورة الاستفهام وهو خبر قول جرير

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى أَلْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحِ

ولو كان استهما ما لم يكن مدحا وقول الآخر
سَوَاءٌ عَلَيْهِ أَيْ حِينَ آتِيَتْهُ
أَسَاعَةٌ نَحْسٍ تَنْتَفِي أَمْ يَأْتِسَعَدُ

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت في ابي جهل وخمسة من اهل بيته قتلوا يوم بدر عن الربيع بن انس واختاره البلخي وقيل نزلت في قوم باعياهم من احبار اليهود ممن كفر بالنبي صلى الله عليه وآله عاتدا وكم امره حسدا عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل الحتم والطبع الذين علم الله انهم لا يؤمنون عن ابي علي الجبائي وقيل نزلت في مشركي العرب عن الاصم وقيل هي عامة في جميع الكفار اخبر تعالى بان جميعهم لا يؤمنون ويكون كقول القائل لا يقدم جميع اخوتك اليوم فلا ينكر ان يقدم بعضهم واختار الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه ان يكون على الاختصاص وتجوز كل واحد من الاقوال الاخر وهذا انظر واسبق الى الفهم

﴿ المعنى ﴾

لما بين تعالى حال المؤمنين وصله بذكر الكافرين والكفر في الشرع عبارة عن جحد ما اوجب الله تعالى معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه وما جاء به من اركان الشرع فمن جحد شيئا من ذلك كان كافرا وهذه الآية تدل على ان في المكلفين من لا لطف له لانه لو كان لتعمل ولا آمنوا فلما اخبر انهم لا يؤمنون علم انهم لا لطف لهم وتدل على صدق النبي صلى الله عليه وآله لانه اخبر بانهم لا يؤمنون فكان كما اخبر وتدل ايضا على انه يجوز ان يخاطب الله تعالى بالعام والمراد به الخاص في قول من قال الآية عامة لاننا علم ان في الكفار من آمن وانتفع بالانذار

﴿ سؤال ﴾

ان قال قائل اذا علم الله تعالى بانهم لا يؤمنون وكانوا قادرين على الايمان عندكم فما انكرتم ان يكونوا قادرين على ابطال علم الله بانهم لا يؤمنون

﴿ الجواب ﴾

انه لا يجب ذلك كما انه لا يجب اذا كانوا مأمورين بالايمان ان يكونوا مأمورين بابطال علم الله كما لا يجب اذا كان الله تعالى قادرا على ان يقيم القيامة الساعة ان يكون قادرا على ابطال علمه بانها لا يقيمتها الساعة والصحيح ان نقول ان العلم يتناول الشيء على ما هو به ولا يجعله على ما هو به فلا يتبع ان يعلم حصول شيء بعينه وان كان غيره مقدورا

قوله تعالى (٧) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

القراءة الظاهرة غشاوة بكسر العين ورفع الميم وروي عن عاصم في الشواذ غشاوة بالنصب وعن الحسن بضم العين وعن بعضهم بفتح العين وعن بعضهم غشوة بغير الهمزة وقرأ ابو عمرو والكسائي على ابصارهم بالامالة والباقون بالفتح والقرءاء في الامالة مذاهب يطول شرحها

﴿ الحجة ﴾

حجة من رفع غشاوة انه لم يجعله على ختم كما في الآية الاخرى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فاذا لم يجعلها عليه قطعها عنه فكانت مرفوعة اما بالظرف واما بالابتداء وكذلك قوله ولم عذاب عظيم فان عند سيوره ترتفع غشاوة وعذاب بانها مبتدأ فكانه قال غشاوة على ابصارهم وعذاب لهم وعند الاخفش

يرتفع بالظرف لأن الظرف يضر فيه فعل وستعرف فائدة اختلافها في هذه المسألة بعد ان شاء الله تعالى ومن نصب غشاوة فاما ان يحملها على ختم كأنه قال وختم على ابصارهم بغشاوة فلما حذف حرف الجر وصل الفعل اليها فنصبها وهذا لا يحسن لأنه فصل بين حرف العطف والعطوف به وذلك اننا يجوز في الشعر واما ان يحملها على فعل مضر كأنه قال وجعل على ابصارهم غشاوة نحو قول الشاعر (وعلفتها تبنا وما باردا) اي وسقيتها وقول الآخر

يَأْتِيَتْ بِمَعْلِكَ قَدْ غَرَا مَتَغَلِّدًا سَيْفًا وَرُحَا

اي وحاملها رحا وهذا ايضا لا يوجد في حال الاختيار فقد صح ان الرفع اولى وتكون الواو عاطفة جملة على جملة والغشاوة فيها ثلاث لغات فتح التين وضها وكسرها وكذلك العشوة فيها ثلاث لغات

﴿اللغة﴾

الحتم نظير الطبع يقال طبع عليه بمعنى ختم عليه ويقال طبعه ايضا بغير حرف ولا يتنع في ختم ذلك قال
كَانَ قُرَادِي زَوْرِمِ طَبَعْتُمَا بَطِينٍ مِنَ الْجَوْلَانِ كِتَابٌ أُعْجِمُ
وقوله ختامه مسك اي آخره ومنه ختم الكتاب لانه آخر حال الفراغ منه وقوله على سمعهم يريد على اسماعهم والسمع مصدر تقول يعجبني ضربكم اي ضربوكم فيوجد لانه مصدر ويجوز ان يريد على مواضع سمعهم فحذفت مواضع ودل السمع عليها كما يقال اصحابك عدل اي ذوو عدل ويجوز ان يكون لما اضاف السمع اليهم دل على معنى اسماعهم قال الشاعر

بِهَا حَيْفٌ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبَيْضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلْبٌ

وقال الآخر (في حلقكم عظم وقد شجينا) اي في حلقوكم والغشاوة الغطاء وكل ما اشتمل على الشيء بني على فعالة نحو الهامة والقلادة والعصابة وكذلك اسماء الصناعات كالحياطة والقصارة والصابغة لأن معنى الصناعة الاشتغال على كل ما فيها وكذلك كل من استولى على شيء فاسم ما استولى عليه فعالة كالامارة والحلافة وغير ذلك وسمي القلب قلبا لتقلبه بالحواطر قال الشاعر

مَا سَمِيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ وَالرَّأْيُ يَغْرِبُ وَالْإِنْسَانُ أُطْوَارٌ

والقوار محل القلب والصدر محل القوار وقد يعبر عن القلب بحمله كقوله لثبت به فوادك وقال الم تشرح لك صدرك يعني به القلب في الموضعين والعذاب استمرار الألم يقال عذبتني تعذيبا وعذابا ويقال عذب الماء اذا استمر في الحاق وحما عذب وعذوب اذا استمر به العطش فلم يأكل من شدة العطش وفرس عذوب مثل ذلك واعذبتني عن الشيء بمعنى فطسته والعظيم الكبير يقال هو عظيم الجثة وعظيم الشأن ومن الثاني سمي سبحانه عظيما وعظمته كبرياؤه

﴿المعنى﴾

قيل في معنى الحتم وجوه (احدها) ان المراد بالحتم العلامة واذا انتهى الكافر من كفره الى حالة يعلم الله تعالى انه لا يؤمن فانه يعلم على قلبه علامة وقيل هي نكته سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها انه لا يؤمن بعدها فيذمونه ويدعون عليه كما انه تعالى يكتب في قلب المؤمن الايمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها انه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له كما طبع على قلب الكافر وختم عليه فوسمه بسمة تعرف بها الملائكة كفره فكذلك وسم قلوب المؤمنين بسمت تعرفهم الملائكة بها وقد تناول على مثل هذا مناولة الكتاب باليمين والشمال في أنها علامة ان تناول باليمين من اهل الجنة والتناول بالشمال من اهل النار وقوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم يحتمل امرين احدهما انه طبع الله عليها جزاء للكفر وعقوبة عليه والآخر انه طبع عليها بعلامة كفرهم كما تقول طبع عليه بالطين وختم عليه بالشمع (وثانيها) ان المراد بالحتم على القلوب ان الله شهد عليها وحكم بانها

لاتقبل الحق كما يقال اراك تحتم على كل ما يقوله فلان اي تشهد به وتصدقه وقد ختمت عليك بانك لاتفعل اي شهدت وذلك استعارة (وثالثها) ان المراد بذلك انه تعالى ذمهم بانها كالخسوم عليها في انه لايدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر كقوله صم بكم عمي وكقول الشاعر (اصم عما سواه سميع) وقول الآخر

لَقَدْ اَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ نُنَادِي

والعنى ان الكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالخسوم عليها وصاروا بمنزلة من لا يفهم ولا يبصر ولا يسمع عن الاصم والي مسلم الاصفهاني (ورابعها) ان الله وصف من ذمه بهذا الكلام بان قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له فهو خلاف من ذكر في قوله افن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ومثل قوله ام على قلوب اقناها وقوله وقالوا قلوبنا غلف وقلوبنا في اكنة ويقوي ذلك ان الطبع على قلبه وصف بقلته الفهم بما يسمع من اجل الطبع فقال بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وقال وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ويبين ذلك قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم فعذل الحتم على القلوب باخذه السمع والبصر فدل هذا على ان الحتم على القلب هو ان يصير على وصف لا يتنفع به فيا يحتاج فيه اليه كما لا يتنفع بالسمع والبصر مع اخذهما وانما يكون ضيقه بان لا يتسع لما يحتاج اليه فيه من النظر والاستدلال الفاصل بين الحق والباطل وهذا كما يوصف الجبان بأنه لا قلب له اذا بولغ في وصفه بالجبن لأن الشجاعة محلها القلب فاذا لم يكن القلب الذي هو محل الشجاعة لو كانت فان لا تكون الشجاعة اولى قال طرفه

فَالْهَيْبَةُ لَا فُؤَادَ لَهُ وَالْثَبِيْتُ قَلْبُهُ قِيَمُهُ

وكما وصف الجبان بأنه لا فؤاد له وانه يراعة وانه محجوف كذلك وصف من بعد عن قبول الاسلام بعد الدعاء اليه واقامة الحجبة عليه بانه محتوم على قلبه ومطبوع عليه وضيق صدره وقلبه في كنان وفي غلاف وهذا من كلام الشيخ ابى علي الفارسي وانما قال ختم الله وطبع الله لأن ذلك كان لعصيانهم لله تعالى فجاء ذلك اللفظ كما يقال اهلكته فلانة اذا اعجب بها رهي لاتفعل به شيئا لأنه هلك في اتباعها

﴿سؤال﴾

ان قيل لم خص هذه الاعضاء بالذكر

﴿الجواب﴾

قيل انها طرق العلم فالقلب محل العلم وطريقه اما السمع او الروية

قوله تعالى (٨) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا النَّاسُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (آية)

﴿اللمعة﴾

الناس والبشر والأنس نظائر وهي الجماعة من الحيوان التسمية بالصورة الانسانية واصله أناس من الانس ووزنه فعال فاسقطت الهزوة منها لكثرة الاستعمال اذا دخلها الالف واللام للتعريف ثم ادغمت لام التعريف في التون كما قيل لكننا والاصل لكن انا وقيل الناس مأخوذة من التوس وهو الحركة وتصغيره تويس ووزنه فعل وقيل اخذ من الظهور فسمي ناساً وانسانا لظهوره واداك البصر اياه يقال آنت تبصري شيئا وقال الله سبحانه اني آنتت نارا والانسان واحد والناس جمعه لامن لفظه وقيل اخذ من التسيان لقوله تعالى فسي ولما تجدله مزم اوصل الانسان انسيان ولذلك قيل في تحميره وتصغيره انسيان فرد الى الاصل واليوم الآخر يوم القيامة وانما سمي آخراً لانه يوم لا يوم بعده سواء اذ ليس بعده ليلة وقيل لأنه متأخر عن ايام الدنيا وانما فتح نون من عند التقاء الساكنين استعانة لتوالي الكسرتين لو قلت من الناس فاما عن الناس فلا يجوز فيه الا الكسر لأن اول عن مفتوح ومن يقول التون تدغم

في اليا. فمنهم من يدغم بغنة ومنهم من يدغم بغير غنة

﴿ الاعراب ﴾

من يقول موصل وصلة وهو مرفوع بالابتداء او بالظرف على ما تقدم بيانه وقوله آتانا بالله وباليوم الآخر حديث يتعلق بقوله يقول وما حرف شبه بليس من حيث يدخل على المبتدأ والحجر كما يدخل ليس عليها وفيه نبي الحال كما في ليس فاجري مجراه في العمل في قول اهل الحجاز على ما جاء به التثنية وهم مرفوع لانه اسم ما واليا. في قوله جو. منين مزيدة دخلت تركيدا للنبي وهو حرف جار ومو. منين مجرور به وجو. منين في موضع نصب بكونه خبر ما ولغظة من تقع على الواحد والاثنتين والجمع والمذكر والمؤنث ولذلك عاد الذكر اليه مجموعا على المعنى ومنه قول الفرزدق

تَعَالَى فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَأْذِيبُ يَصْطَجِبَانَ
فتي الضمير العائد الى من على المعنى

﴿ النزول ﴾

نزلت في المناقذين وهم عبد الله بن ابي بن سلول وجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم واكثرهم من اليهود

﴿ المعنى ﴾

بين الله تعالى حالهم فاخبر سبحانه انهم يقولون صدقا بالله وما انزل على رسوله من ذكر البعث فيظنون كلمة الايمان وكان قصدهم ان يطمعوا على اسرار المسلمين فينقلوها الى الكفار او تقرب الرسول اليهم كما كان يقرب الو. منين ثم نفي عنهم الايمان فقال وما هم جو. منين وفي هذا تكذيبهم فيما اخبروا عن اعتقادهم من الايمان والاقراء بالبعث فيبين ان ما قالوه بلسانهم يخالف ما في قلوبهم وهذا يدل على فساد قول من يقول الايمان مجرد القول وبوله تعالى (٩) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وما يخادعون الا انفسهم والباقون وما يخدعون

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ يخدعون ان فعل هنا ليق بالموضع من فاعل الذي هو في اكثر الامور يكون لقاعين ويدل عليه قوله في الآية الاخرى يخادعون الله وهو خادعهم وحجة من قرأ يخادعون هو ان يتزل ما يحظر بهاله من الخدع مقالة آخر يجازيه ذلك ويعاوضه اياه فيكون الفعل كأنه من اثنين فيلزم ان يقول فاعل كقول الكسيت وذكر حماد اراد الورد

تَذَكَّرَ مَنْ أَنَّى وَمِنْ أَنَّى شُرِيه يُؤَامِرُ نَفْسِيهِ كَذِي الهَجْمَةِ الإِبْلِ

فجعل ما يكون منه من وروده الما. او تركه الورد والتشثيل بينهما بمزلة نفسيين

﴿ اللفظة ﴾

اصل الخدع الاخفاء والابهام بخلاف الحق والتزوير يقال خدعت الرجل اخذه خدعا بالكسر وخديعة وقالوا انك لا تخدع من صب حرشته وخادعت فلانا فخدعته والنفس في الكلام على ثلاثة اوجه النفس بمعنى الروح والنفس بمعنى التاكيد تقول جاءني زيد نفسه والنفس بمعنى الذات وهو الاصل ويقال النفس غير الروح ويقال هما اسنان بمعنى واحد ويشمرون يعلمون واصل الشعر الاحساس بالشيء من جهة تدق ومن هذا اشتقاق الشعر لأن الشاعر يفتن لا يدق من المعنى والوزن ولا يوصف الله تعالى بانه يشعر لا فيه من معنى التلطف والتشغيل

﴿ الاعراب ﴾

يخادعون فعل وفاعل والنون علامة الرفع والجملة في موضع نصب بكونها حالا وذو الحال الضمير الذي في قوله آمنا العائد الى من والله نصب بيخادعون والذين آمنوا عطف وما نني والا ايجاب وانفهم نصب بأنه مفعول يخادعون الثانية وما نني ويشمرون فعل وفاعل وكل موضع يأتي فيه الا بعد نني فهو ايجاب ونقض للنني

﴿ المعنى ﴾

معنى قوله يخادعون الله اي يعملون عمل المخادع لأن الله تعالى لا يصح ان يخادعه من يعرفه ويعلم انه لا يخفي عليه خافية وهذا كما تقول ابن يزين لنفسه ما يشوبه بالريا في معاملته ما اجهله يخادع الله وهو اعلم به من نفسه اي يعمل عمل المخادع وهذا يكون من العارف وغير العارف وقيل المعنى يخادعون رسول الله لأن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله فحذف المضاف واقبح المضاف اليه مقامه وهذا كقوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك والمفاد قد تقع من واحد كقولهم عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت الثعلم فكذلك يخادعون انما هو من واحد فمعنى يخادعون يظهر غير ما في نفوسهم وقوله والذين آمنوا اي ويخادعون المؤمنين بقولهم اذا رأوهم قالوا آمنا وهم غير مؤمنين او بجبالتهم ومخالطتهم اياهم حتى يفشوا اليهم لسراهم فينقلوها الى اعدائهم والتمية ايضا تسمى خداعا فكانهم لما اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر صارت تقيتهم خداعا من حيث انهم نجوا بهامن اجراء حكم الكفر عليهم ومعنى قوله وما يخدعون الا انفسهم انهم وان كانوا يخادعون المؤمنين في الظاهر فهم يخادعون انفسهم لأنهم يظهرون لها بذلك انهم يعطونها ما تمت وهم يوردونها به العذاب الشديد فوبال خداعهم راجع الى انفسهم وما يشمرون اي ما يعملون انه يرجع عليهم بالعذاب فهم في الحقيقة انما خدعوا انفسهم كما لو قاتل انسان غيره فقتل نفسه جازان يقال انه قاتل فلانا ولم يقتل الا نفسه وقوله وما يشمرون يدل على بطلان قول اصحاب المعارف لأنه تعالى اخبر عنهم بالفتاق وبأنهم لا يعملون ذلك

قوله تعالى (١٠) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحزمة فزادهم الله بماالة الزاي وكذلك شاء وجاء وقرأ اهل الكوفة يكذبون بفتح اليا مخففا والياقون يكذبون

﴿ الحجة ﴾

حجة من امال الالف من زاد انه يريد ان يدل بالامالة على ان العين ياء كما ابدلوا من الضمة كسرة في عين وبيض جمع عين وبيض لتصح اليا ولا تقاب الى الواو وحجة من قرأ يكذبون ان يقول ان ذلك اشبه باقبل الكلمة وما بعدها لأن قولهم آمنا بالله كذب منهم فلهم عذاب اليم بكذبهم وما وصلته بمعنى المصدر وفي قولهم فيا بعد اذا خلوا الى شياطينهم انا معكم دلالة ايضا على كذبهم فيا ادعوه من ايمانهم واذا كان اشبه با قبله وما بعده كان اولي حجة من قرأ يكذبون بان تشديد قوله وقد كذبت رسل وقوله وان كذبوك فقل لي عملي وقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ونحو ذلك والتكذيب اكثر من الكذب لأن كل من كذب صادقا فقد كذب وليس كل من كذب كان مكذبا فكانه قال ولهم عذاب اليم بتكذيبهم وادخل كان ليدل على ان ذلك كان فيما مضى

﴿ اللغاة ﴾

المرض العلة في البدن ونقيضه الصحة قال سيويه امرضته جعلته مريضا ومررضته قت عليه ووليته وزاد فعل يتعدى الى مفعولين قال الله تعالى وزادناهم هدى وزادهم بسطة وصدده الزيادة والزيد قال (كذلك زيد المر بعد انتقاصه) والاليم الموجع فعيل بمعنى مفعول كالسميع بمعنى السميع والتذير بمعنى المنذر والبديع بمعنى المبدع قال ذو الرمة (يصك وجورها وهج اليم) والكذب ضد الصدق وهو الاخبار عن الشيء لا على ما هو به والكذب ضرب من القول وهو نطق فاذا جاز في القول ان يتسع فيه فيجعل غير نطق في نحو قوله (فدقات الانساع للبطان الحلي) جاز ايضا في الكذب ان يجعل غير نطق في نحو قوله

وَذَبَانِيَّةٌ وَصَّتْ بَيْنَهَا
بأن كَذِبَ القَرَّاطِفِ وَالْمَرْوَفِ

فيكون في ذلك انتفا. لما كما انه اذا اخبر عن الشيء بخلاف ما هو به كان فيه انتفاء للصدق اي كذب القراطيف فاوجدوها بالغاارة

﴿ المعنى ﴾

في قلوبهم مرض المراد بالمرض في الآية الشك والافتق بلا خلاف وناسي ذلك في الدين مرضا لان المرض هو الخروج عن حد الاعتدال فان بدن ما لم تصبه آفة يكون صحيحا سرييا وكذلك القلب ما لم تصبه آفة من الشك يكون صحيحا وقيل اصل المرض التور فهو في القلب فتور عن الحق كما انه في البدن تور الاعضاء وتقدير الآية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الله ورسوله مرض اي شك حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقوله فزادهم الله مرضا قيل فيه وجوه ﴿احدها﴾ انه مائة زدادوا شكنا عند ما زاد الله من البيان بالآيات والحجج الا انه لا يحصل ذلك عند فعله نسب اليه كقوله تعالى في قصة نوح (ع) لم يزدكم دعائي الا فرارا لا ازدادوا فرارا عند دعاء نوح (ع) نسب اليه وكذلك قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والآيات لم تزدكم رجسا واما ازدادوا رجسا عندها (وثالثها) ما قاله ابو علي الجبائي انه اراد في قلوبهم غم بتقول النبي صلى الله عليه وآله المدينة وبسكته فيها وظهور المسلمين وقوتهم فزادهم الله غما بما زاده من التمسكين والقوة واهده به من التأييد والنصرة (ورابعها) ما قاله السدي ان معناه زادتهم عداوة الله مرضا وهذا في حذف المضاف مثل قوله تعالى فويل للقاتية قلوبهم من ذكر الله اي من ترك ذكر الله (ورابعها) ان المراد في قلوبهم حزن بتقول القرآن بفضائحهم وحمازيهم فزادهم الله مرضا بان زاد في اظهار مقابحهم ومساويهم والاخبار عن خبث سرائرهم وسوء ضائرتهم وسبي التم مرضا لانه يضيق الصدر كما يضيق المرض (وخامسها) ما قاله ابو مسلم الاصفهاني ان ذلك على سبيل الدعاء عليهم كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم فكانه دعاء عليهم بان يخليهم الله وما اختاروه ولا يعطيهم من زيادة التوفيق والاطاف ما يعطي المؤمنين فيكون خذلانا لهم وهو في الحقيقة اخبار عن خذلان الله ايهم وان خرج في اللفظ مخرج الدعاء عليهم ثم قال ولهم عذاب اليم وهو عذاب النار بما كانوا يكذبون اي بتكذيبهم الله ورسوله فيما جاء به من الدين او بكذبهم في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

قوله تعالى (١١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

(١٢) إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (آياتان)

القرأة

قرأ الكسائي قيل ونحس وسي وسيت وحيل وسيق وحبي. بضم اوائل ذلك كما وروي عن يعقوب بن ذلك وواقفها نافع في سي وسيت وابن عامر فيها وفي حيل وسيق والباقيون يكسرون كلها

﴿الحجة﴾

في هذه كلها ثلاث لغات الكسر واشمام انضم وقول بالواو فاما قيل بالكسر فعلى نقل حركة العين الى الفاء لأن اصله قول ثم قلبت الواو يا لسكونها وانكسار ما قبلها وهو قياس مطرد في كل ما اعتلت عينه واما الاشمام فلاجل الدلالة على الاصل مع التخفيف

﴿اللفظة﴾

الافساد احداث الفساد وهو كل ما تغير عن استقامة الحال والصلاح فقيض التساد والارض مستقر الحيوان ويقال تقوام الفرس ارض لأنه يستقر عليها قال

إِذَا مَا أَسْتَحَمَتْ أَرْضُهُ مِنْ سَمَائِهِ جَرَى وَهُوَ مَوْذُوعٌ وَوَأَعِدُّ مَصْدَقٌ

﴿الاعراب﴾

اذا لفظت وضعت للوقت بشرط ان يكون ظرفا زمانيا وفيها معنى الشرط وانما يعمل فيها جوابها في هذه الآية اذا في عمل نصب لأنه ظرف قالوا لأنه الجواب ولا يجوز ان يعمل فيه قيل لهم لأن اذا في التقدير مضاف الى قيل والمضاف اليه لا يعمل في المضاف وكذا قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا جئنا وانقلبنا لضمه معنى في وزومه اياه وقد يكون اذا ظرفا مكانيا في نحو قولك خرجت فاذا الناس وقوف أي في المكان للناس وقوف ويجوز ان ينصب وقوفا على الحال لأن لرف المكان يجوز ان يكون خبرا عن الجئمة وقيل مبني على الفتح وكذلك كل فعل ماض فبني على الفتح ولا حرف نهى وهي تعمل الجزم في الفعل وتفسدوا بحزوم وبلا وعلامة الجزم فيه سقوط النون والواو ضمير الفاعلين وما في قوله انما كافة كفت ان عن العمل فعاد ما بعدها الى ما كان عليه في الأصل من كونه مبتدأ وخبراً وهو قوله نحن مصلحون فنحن مبتدأ ومصلحون خبره وموضع الجملة نصب بقالوا كما تقول قلت حقا وباطلا ونحن مبنية لمشابهتها للحروف وبقيت على الضم لأنها من ضمائر الرفع والضممة علامة الرفع لأنها ضمير الجمع والضممة بعض الواو والواو علامة الجمع في نحو ضاريون ويضربون وقوله لا تفسدوا في الأرض جملة في موضع رفع على تقدير قيل لهم شي . فهي اسم مالم يدم وقوله الاكلمة تنبيه وافتتاح للكلام تدخل على كل كلام مكشوف بنفسه نحو قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله واصله لادخل عليه القدا الاستفهام والانت اذا دخل على الجحد اخرجه الى معنى التقرير والتحقيق كقوله ليس ذلك بقادر على ان يجي الموقى لأنه لا يجوز للمجيب الا الاقرار ببلى وهم في انهم في موضع نصب بان وهم الآخر يجوز ان يكون فصلا على ما فسره انه قبل ويجوز ان يكون مبتدأ والمفسدون خبره والجملة خبر ان وضم الميم من هم لالتقاء الساكنين ودوه الى الاصل

﴿التزول﴾

الآية نزلت في المنافقين الذين نزلت فيهم الآيات المتقدمة وروي عن سلمان رضي الله عنه ان أهل هذه الصفة لم ياتوا بعد والاول يقتضيه نظم الكلام ويجوز ان يراد بها من صورتهم صورة هؤلاء فيكون قول سلمان محسولا على انه اراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآية

﴿المعنى﴾

المراد واذا قيل للمنافقين لا تفسدوا في الأرض بعمل المعاصي وصد الناس عن الايمان على ما روي عن ابن عباس او بمالاة الكفار فان فيه توهين الاسلام على ما قاله ابو علي او بتغيير الله وتحريف الكتاب على ما قاله الضحاك قالوا انما نحن مصلحون وهو يحتمل امرين احدهما ان الذي يسمونه فسادا هو عندنا صلاح لأننا انما نفعل ذلك كي نسلم من الفريقين والآخر انهم جعدوا ذلك وقالوا انما لانعمل بالمعاصي ولا نأثلي الصغار ولا نحرف

الكتاب وكان ذلك نفاقاً منهم كما قالوا آمنا بالله ولم يؤمنوا ثم قال الا انهم اي اعلما ان هؤلاء المنافقين الذين يعدون الفساد صلاحهم القسود وهذا تكذيب من الله تعالى لهم ولكن لا يشعرون اي لا يعلمون ان ما يفعلونه فساد وليس بصلاح ولو علموا ذلك لرجي صلاحهم وقيل لا يعلمون ما يستحقونه من العقاب وهذه الآية تدل على بطلان مذهب اصحاب المعارف لقوله لا يعلمون وانما جاز تكليفهم وان لم يشعروا انهم على ضلال لأن لهم طريقاً الى العلم بذلك

قوله تعالى (١٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ مِنْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (آيَة)

﴿ القراءة ﴾

همزوا السفهاء الاهل الكوفة وابن عامر حقا الممزتين وأهل الحجاز وابوعمر وممزوا الاولى ولينوا الثانية وكذا كل همزتين مختلفتين من كلمتين وقد ذكرنا الوجه فيها حيث ذكرنا اجتماع الممزتين في كلمة واحدة وهو قوله انذرتهم

﴿ اللفظة ﴾

السفهاء جمع سفيه والسفيه الضيف الرأي الجاهل القليل المعرفة بمواضع النافع والمضار ولذلك سمي الله الصبيان والنساء سفهاء بقوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال قطرب السفيه العجول الظلوم القائل خلاف الحق وقال مورج السفيه الكذاب البهات المتعمد بخلاف ما يعلم وقيل السفه خفة الحلم وكثرة الجهل يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقاً بالياً وسفته الرياح اي طيرته وقد جاء في الاخبار ان شارب الخمر سفيه والالف واللام في الناس وفي السفهاء للمهد لا للجنس والمراد بهم المؤمنون من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وانما سموا الناس لأن الغلبة كانت لهم

﴿ الاعراب ﴾

قوله كما آمن الكاف في موضع نصب بكونه صفة لصدر محذوف وما مع صلته بمعنى المصدر اي آمنوا ايانا مثل ايمان الناس محذوف الموصوف واقام الصفة مقامه والمهزة في انؤمن للانكار واصلاها الاستفهام ومثله انظعم من لو يشاء الله اطعمه واذا ظرف لقوله قالوا انؤمن وقد مضى الكلام فيه

﴿ المعنى ﴾

المراد بالآية واذا قيل للمنافقين صدقوا بحمد صلى الله عليه وآله وما انزل عليه كما صدقه اصحابه وقيل كما صدق عبد الله بن سلام ومن آمن معه من اليهود قالوا انصدق كما صدق الجهال ثم كذبهم الله تعالى وحكم عليهم بانهم هم الجهال في الحقيقة لأن الجاهل انما يسمى سفياً لأنه يضيع من حيث يرى انه يحفظ فكذلك المنافق يعصي ربه من حيث يظن انه يطيعه ويكفر به من حيث يظن انه يؤمن به

قوله تعالى (١٤) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (آيَة)

﴿ القراءة ﴾

بعض القراء ترك المهزة من مستهزون وقوله خلوا الى قراءة اهل الحجاز خلوا الى حذفوا المهزة والقوا حركتها على الواو قبلها وكذلك امثاله والباقون اسكنوا الواو وحققوا المهزة

﴿ الحجة ﴾

قال سيبويه الهزمة الضمومة المكسورة ما قبلها تجملها اذا خففتها بين بين وكذلك الهزمة المكسورة اذا كان ما قبلها مضموما نحو مرتع ابلك تجملها بين بين وذهب الاخفش الى ان تقلب الهزمة ياء في مستهزون قلبا صحيحا من اجل الكسرة التي قبلها ولا تجملها بين بين ولا تقلبها واوا مع تحركها بالضمه نحو وجه الى الانظير له الا ترى انه واو مضمومة قبلها كسرة وذلك مرفوض عندهم

﴿ اللغة ﴾

اللقاء نقيض الحجاب قال الخليل كل شيء استقبل شيئا او صادفه فقد لقيه واصل اللقاء الاجتماع مع الشيء على طريق المقاربة والاجتماع قد يكون لا على طريق المجاورة كاجتماع العرضين في محل والحلا نقيض الملا ويقال خلوت اليه وخلوت معه ويقال خلوت به على ضربين احدهما بمعنى خلوت معه والاخر بمعنى سخرت منه وقد ذكرنا معنى الشيطان في مفتتح سورة الفاتحة ويستهزون واي يهزون ومثله يستسخرون أي يسخرون وقر واستقر وعلا قرنه واستعلى قرنه ورجل هزامة يهز باناس وهزوة يهزه به الناس وهذا قياس

﴿ الاعراب ﴾

انا اصله انا لكن النون حذفت لكثرة التونات والمحدوفة التون الثانية من ان لانها التي تحذف في نحو وان كل لا جميع وقد جاء على الاصل في قوله انني معكما ومعكم انتصب الظروف نحو انا خلفكم اي انا مستقرون معكم والقراءة بفتح العين ويجوز للشاعر اسكان العين قال

وَرَيْشِي مِنْكُمْ وَهُوَ أَيَّ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَا مَا

﴿ المعنى ﴾

واذا لقوا الذين آمنوا يعني ان المتأقين اذا رأوا المؤمنين قالوا آمنا اي صدقنا نحن بما اتزل على محمد صلى الله عليه وآله كما صدقتم انتم واذا خلوا الى شياطينهم قيل رويواهم من الكفار عن ابن عباس وقيل هم اليهود الذين امرهم بالكذب وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انهم كانوا معكم اي على دينكم انا نحن مستهزون اي نستهزى باصحاب محمد صلى الله عليه وآله ونسخر بهم في قولنا آمنا

قوله تعالى (١٥) اللَّهُ يَسْتَهْزِي بِهِمْ وَيُمِدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المد اصله الزيادة في الشيء والمد الجذب لأنه سبب الزيادة في الطول والمادة كل شيء يكون مددا لتغيره وقال بعضهم كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير الف كما تقول مد النهر ومدته يهر آخر وكل زيادة احدثت في الشيء من غيره فهو امددت بالالف كما يقال امد الجرح لأن مدته من غير الجرح و امددت الجيش والطنيان من قولك طمى الماء يطنى اذا تجاوز الحد والطاقية الجيار العنيد والعمة التحير يقال عمه يعمه فهو عمه وعامه قال روية

وَمَهْمُهُ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمِهِ أَعْمَى أَلْهُدَى بِالْحَاثِرِينَ الْعُمَى

﴿ الاعراب ﴾

يعمهون حملة في موضع الحال

﴿ المعنى ﴾

قيل في معنى الآية وتأويلها وجوه أحدها ان يكون معنى الله يستهزي بهم مجازيهم على استهزائهم والعرب تسمي
الجزء على الفعل باسمه وفي التثنية وجزء سينة سينة مثلها وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم وقال عمرو بن كلثوم
ألا لا يجهن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وانما جاز ذلك لأن حكم الجزء ان يكون على المساواة (وثانيتها) ان يكون معنى استهزاء الله تعالى بهم تحطته
ايام وتجهيله لهم في اقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال والعرب تقيم الشيء مقام ما يقاربه في معناه قال الشاعر
إن دهرأ يلف شملي يجمل
لزمان بهم بالاحسان

وقال آخر

كم أناس في نعيم عمرؤا في ذرى ملك تعالى فسق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

والدهر لا يوصف بالسكوت والنطق والهيم وانما ذكر ذلك على الاستعارة والتشبيه (وثالثها) ان يكون معنى
الاستهزاء المضاف اليه تعالى ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون وقد روي عن ابن عباس انه قال في
معنى الاستدرج انهم كلما احدثوا خطيئة جدد الله لهم نعمة وانما سمي هذا الفعل استهزاء لأن ذلك في الظاهر
نعمة والمراد به استدرجهم الى الهلاك والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم (ورابعها) ان معنى استهزائه
بهم انه جعل لهم ما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من الوارثة والمناكحة والمدافنة وغير ذلك
من الاحكام وان كان قد اعد لهم في الآخرة اليه العقاب بما ابدلوه من التناق فهو سبحانه كالستهزي بهم من
حيث جعل لهم احكام المؤمنين ظاهرا ثم ميزهم منهم في الآخرة (وخامسها) ما روي عن ابن عباس انه قال
يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون من النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم وفتح لهم باب آخر
في موضع آخر فيقبلون من النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم فلذلك قال
الله عز وجل فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون وهذه الوجوه الذي ذكرناها يمكن ان تذكر في قوله تعالى
ويكفرون ويكفرون الله ويخادعون الله وهو خادعهم واما قوله ويهدمهم في طغيانهم يعمهون ففيه وجهان
﴿ احدهما ﴾ ان يريد ان يبي لهم ليوهموا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمهم والآخر انه يريد ان يتركهم من
فوائده ومنحلت التي يوتئها المؤمنون ثوابا لهم ويعتصم الكافرين عقابهم كشرح الصدر وتزوير القلب فهم في طغيانهم
اي كفرهم وظلالهم يعمهون اي يتخبرون لأنهم قد عرضوا عن الحق فتحيروا وترددوا

قوله تعالى (١٦) أو لئك الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (آية)

قرأ جميع القراء اشتروا الضلالة بضم الواو وفي الشواذ عن يحيى بن يعمر انه كسرها تشبيها بواو لو في قوله
لو استطعنا وروي عن يحيى بن وثاب انه ضم واو لو واوتشبيها بواو الجمع

﴿ الحجة ﴾

الواو في اشتروا ساكنة فاذا سقطت همزة الوصل التقت مع الساكنين البدل من لام المعرفة فالتقت ساكنان فخرك
الاول منهما لالتقائهما وصار الضم اولى بها ليفصل بالضم بينها وبين واو لو واو يدل على ذلك اتفاقهم على التحريك
بالضم في نحو قوله لتبلون ولترون الجمع ومصطفو الله للدلالة على الجمع ويدل على تقرير ذلك في هذه الواو انهم

شبهوا بها الواو التي في او ولو لم يركوها بالضم تشبيها بها فكما شبهوا الواو التي في او بالتي تدل على الجمع كذلك شبهوا هذه بها فاجازوا فيها الكسر الا ترى انهم اجازوا الضم في لو استعملنا تشبيها بالتي للجمع ومثل هذا اجازتهم الجر في الضارب الرجل تشبيها بالحسن الوجه واجازتهم النصب في الحسن الوجه تشبيها بالضارب الرجل

﴿ اللغاة ﴾

حقيقة الاشتراء الاستبدال والعرب تقول لمن تمسك بشي . وترك غيره قد اشتراه وليس ثم شراء ولا بيع قال الشاعر

أَخَذْتُ بِالْجَمَّةِ رَأْسًا أَزْعَرَا وَيَا لَيْثُنَا يَا لَوَا إِضْحَاتِ الدُّرْدُرَا
وَيَا لَطَوِيلَ الْعُمَرِ عَمْرًا جِيدَرَا كَمَا أَشْتَرَى الْمُسْلِمَ إِذْ تَنْصَرَا

والربح الزيادة على رأس المال ومنه (ومن نجا برأسه فقد ربح) والتجارة التعرض للربح في البيع وقوله فما ربحت تجارتهم اي فما ربحوا في تجارتهم والعرب تقول ربح بيعك وخسر بيعك وخاب بيعك على معنى ربحت في بيعك وانما اضافوا الربح الى التجارة لأن الربح يكون فيها

﴿ الاعراب ﴾

او تلك موضعه رفع بالابتداء وخبره الذين اشتروا الضلالة بالهدى وما حرف نفي وكان صورته صورة الفعل ويستعمل على نحوين احدهما ان لا يدل على حدث بل يدل على زمان مجرد مثل كان زيد قائما فاذا استعمل على هذا فلا بد له من خبر لأن الجدة غير مكتملة بنفسها فيراد خبر حديثا عن الاسم ويكون اسمه وخبره في الاصل مبتدأ وخبره فيجب لذلك ان يكون خبره هو الاسم اوفيه ذكر منه كما ان في الآية الواو في موضع الرفع لأنه اسم كان ومهتين منصوب بانه خبره والياء فيه علامة النصب والجمع وحرف الاعراب والنون عوض من الحركة والنون في الواحد وكان في الاصل مهتين سكنت الياء الاولى التي هي لام الفعل استتقالا للحركة عليها ثم حذفوا لالتقاء الساكنين وفتحت النون فرقا بينها وبين نون التثنية والآخر من نحوي كان ما هو فعل حقيقي يدل على زمان وحدث كقوله تعالى الا ان تكون تجارة اي تحدث فاذا استعمل هكذا فهي جملة مستقلة لا تحتاج الى خبر

﴿ المعنى ﴾

اشار الى من تقدم ذكرهم من المناقنين فقال او تلك الذين اشتروا الضلالة بالهدى قال ابن عباس اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه استبدلوا الكفر بالايان ومتى قيل كيف قال ذلك وانما كانوا مناققين ولم يتقدم نفاقهم ايمان فتقول للعلماء فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد باشتروا استحبوا واختاروا لأن كل مشر محتر ما في يدي صاحبه على ما في يديه عن قتادة (وثالثها) انهم ولدوا على الفطرة كما جاء في الخبر فتروا ذلك الى الكفر فكانتهم استبدلوه به (وثالثها) انهم استبدلوا بالايان الذي كانوا عليه قبل البعث كفرا لأنهم كانوا يبشرون بمحمد ويؤمنون به صلى الله عليه وآله فلما بعث كفروا به فكانتهم استبدلوا الكفر بالايان عن الكلبي ومقاتل وقوله فما ربحت تجارتهم اي خسروا في استبدالهم الكفر بالايان والعذاب بالثواب وقوله وما كانوا مهتدين اي مصيبين في تجارتهم كاصحاب محمد صلى الله عليه وآله وقيل اراد سبحانه ان ينبي عنهم الربيع والهداية فان التاجر قد ينجس ولا يربح ويكون على هدى فان قيل كيف قال فما ربحت تجارتهم في موضع ذهبت فيه رابح امورهم فالجواب انه ذكر الضلالة والهدى فكانه قال طلبوا الربيع فلم يربحوا وهلكوا والمعنى فيه انه ذهبت رابح امورهم ويحتمل ان يكون ذكر ذلك على التقابل وهو ان الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا كما ان الذين اشتروا الهدى بالضلالة ربحوا

قوله تعالى (١٧) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ
اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المثل والمثل والشبه والشبه نظائر وحقيقة المثل ما جعل كالمعلم على معنى سائر يشبه فيه الثاني بالاول ومثاله قول كعب بن زهير
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَنَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْبَاطِلُ

فواعيد عرقوب علم في كل ما لا يوضح من المواعيد ومنه التمثال لأنه يشبه الصورة والذي قد يوضع موضع
الجمع كقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به ثم قال أو تلك هم المتنون قال الشاعر

وَأَنَّ الَّذِي حَانَتْ يَفْلَجِ دِمَاؤُهُمْ هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ

واستوقد بمعنى اوقد مثل استجاب بمعنى اجاب وقيل استوقد اي طلب الرقود والوقود بفتح الواو الحطب والنار
جوهر مضي حار محرق واصله من النور يقال نار وانار واستنار بمعنى والنارات العلامات واضاء يكون لازماً ومتعدياً
يقال اضاء الشيء بنفسه واضاء غيره والذي في الآية متعدد والترك للشيء والكف عنه والامساك نظائر والظلمات
جمع ظلمة وأصلها انتقاص الحق من قوله ولا تظلم منه شيئاً اي لم تنتقص ومنه ومن أشبه اباه فاطلم اي ما انتقص
حق الشبه والابصار ادراك الشيء بحاسة البصر يقال ابصر بعينه والابصار بالقلب مشبه به

﴿ الاعراب ﴾

مثلهم مبتدأ وكمثل الذي خبره والكاف زائدة تقديره مثلهم مثل الذي استوقد ناراً ونحو قوله ليس كمثل
اي ليس مثله شيء واستوقد ناراً وما اتصل به من صلة الذي والعائد الى الذي المضمر الذي في استوقد ولا يدل
على وقوع الشيء لوقوع غيره وهو بمعنى الظرف والعامل فيه جوابه وتقديره فلما اضاءت ما حوله طفت اي طفت
حين اضاءت وما في قوله ما حوله اسم موصول منصوب بوقوع الاضائة عليه وحوله نصب على الظرف وهو صلة ما
يقال هم حوله وحوايه وحواله وقوله ذهب الله بنورهم اي اذهب الله نورهم والقول الذي لا يتعدى
يتعدى الى المفعول بحرف الجر وبهزمة الثقل والباء في قوله بنورهم يتعلق بذهب وفي ظلمات يتعلق بتركهم
وقوله لا يبصرون في موضع نصب على الحال والعامل فيه تركهم اي تركهم غير مبصرين

﴿ المعنى ﴾

مثلهم اي مثل هؤلاء المنافقين لا اظهروا الايمان وابتطنوا الكفر كمثل الذي استوقد اي اوقد ناراً او كمثل الذي طلب الضياء
بايقاد النار في ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفاً ورأى ما حوله فاتق ما يحذر ويخاف وأمن فينا هو كذلك اذ طفت
ناره فبقي مظلماً خائفاً متحيراً كذلك المنافقون لا اظهروا كلمة الايمان واستناروا بنورها واعتزوا بعزها فنا كحوا
المسلمين ووارثوهم وأمنوا على اموالهم واولادهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والحرف وبقوا في العذاب وذلك
معنى قوله فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم هذا هو المروي عن ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي
وكان يجب في حق النظم ان يكون اللفظ فلما اضاءت ما حوله اطلقاً الله ناراً ليشاكل جواب لا معنى هذه القضية
ولكن لا كان اطلاقاً هذه النار مثلاً لاذهاب نورهم اقيم اذهاب النور مقام الاخفاء وحذف جواب لا لاجازة
واختصاراً لدلالة الكلام عليه كما قال ابو ذؤيب

دَعَا نِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لِأُصْرِهِ . مُطِيعٌ فَمَا أَدْرِي أُرْشِدُ طَلَابُهَا

وتقديره ارشد ام غي طلابها لحذف للايجاز ومعنى اذهاب الله نورهم هو ان الله تعالى يسلبهم ما اعطوا من النور
مع الوهمين في الآخرة وذلك قوله تعالى فيما اخبر عنهم انظرونا نعتبس من نوركم قيل ارجوا وراكم فالتسوا

نورا وقيل في معنى اذهب نور المنافقين وجه آخر وهو اطلاع الله المؤمنين على كفرهم فقد ذهب منهم نور الاسلام بنا اظهر الله من كفرهم وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطا الآية تزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي صلى الله عليه وآله وإيمانهم به واستفاحتهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وذلك ان قريظة والضير وبني قينقاع قدموا من الشام الى يثرب حين انقطعت النبوة من بني اسرائيل وافضت الى العرب فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة وان امته خير الامم وكان يعشاهم رجل من بني اسرائيل يقال له عبد الله بن هيبان قبل ان يوحى الى النبي (ص) كل سنة فيحضهم على طاعة الله عز وجل واقامة التوراة والايمان بمحمد صلى الله عليه وآله ويقول اذا خرج فلا تفرقوا عليه وانصروه وان كنت اطمع ان ادركه ثم مات قبل خروج النبي صلى الله عليه وآله قبلوا منه ثم لما خرج النبي صلى الله عليه وآله كفروا به فضرب الله لهم هذا المثل

﴿سؤال﴾

كيف الله شبه المنافقين او اليهود وهم جماعة بالذي استوقد ناراً وهو واحد

﴿الجواب﴾

على وجوه ﴿احدها﴾ ان الذي في معنى الجمع كما قيل في الآية الاخرى والذي جاء بالصدق وصدق به (وثانيها) ان يقال النون محذوفة من الذي كما جاء في قول الاخطل
 أَنبِي كَلْبِيْبٍ إِنِّ عَمِيَّ الذَّا قَتْلَا أَلْمُلُوْكَ وَفَكُّكَ أَلْأَغْلَا
 (وثالثها) ان يكون الكلام على حذف كانه قال ان مثلهم كمثل اتباع الذي استوقد ناراً ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما قال الجدي

وَكَيْفَ تَوَاصِلُ مِنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَتْهُ كَأَنِّي مَرْحَبٍ

يريد كخلالة التي مرحب (ورابعها) ان يقال اراد بالاستوقد الجنس لا في الذي من الابهام اذ ليس يراد به تعريف واحد بعينه وعلى هذا يكون جواب ما اضات ماحوله محذوفاً كأن قال طغئت والضير في قوله ذهب الله بنورهم يعود الى المنافقين (وخامسها) ان يقال هذا تشبيه الحال بالحال فتقديره حال هو لا المنافقين في جهالهم كحال المستوقد ناراً وتشبيه الحال بالحال جاز كما يقال بلادة هو لا، كبلادة الحمار ولو قلت هو لا، كالحمار لم يجز ومعنى قوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون معناه لم يفعل الله لهم النور اذ الترك هو الكف عن العمل بالفعل وهذا انما يصح فيمن حله فعله والله سبحانه مثزه عن ان يحلمه فعله فعناه انه لم يفعل لهم النور حتى صاروا في ظلمة شد بما كان قبل الايقاد وقوله لا يبصرون اي لا يبصرون الطريق

قوله تعالى (١٨) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (آية)

﴿اللغة﴾

الاصم هو الذي ولد كذلك وكذلك الابكم هو الذي ولد اخرس واصل الصم السد والصمم سد الاذن بالاي تقع منه سبع وقناة صماء صلبة مكتنزة الجوف لسد جوها بامتلائها وحجر اصم صلب وقتنة صماء شديدة والصمام ما يشد به رأس القارورة واصل البكم الاعتقال في اللسان وهو آفة تمنع من الكلام واصل العمى ذهاب الادراك بالعين والعمى في القلب مثل العمى في العين آفة تمنع من التهم ويقال ما اعماه من عمى القلب ولا يقال ذلك في العين وانما يقال ما شد عماء وما جرى مجراه والعمية الترابية والعماء السحاب الكثيف المطبق والرجوع قد يكون عن الشيء، والى الشيء، فالرجوع عن الشيء هو الانصراف عنه بعد الذهاب اليه والرجوع الى الشيء هو الانصراف اليه بعد الذهاب عنه

﴿الاعراب﴾

صم بكم عمي رفع على خبر مبتدأ محذوف اي هو لاء الذين قصتهم هذه صم بكم عمي

﴿المعنى﴾

قال قتادة صم لا يسمعون الحق بكم لا ينطقون به عمي لا يبصرونه فهم لا يرجعون عن ضلالتهم ولا يتوبون وانما شبههم الله بالصم لانهم لم يحسنوا الاصغاء الى ادلة الله تعالى فكانتهم صم واذا لم يقرؤوا بالله ورسوله فكانتهم بكم واذا لم ينظروا في ملكوت السموات والارض فكانتهم عمي لالم تصل اليهم منفعة هذه الاعضاء فكانتهم ليس لهم هذه الاعضاء وهذا يدل على ان معنى الختم والطبع ليس على وجه الخيلولة بينهم وبين الايمان لانه جعل القوم بالكفر واستنقاهم للحق بنزلة الصم والبكم والعمى مع صحة حواسهم وكذلك قوله طبع الله على قلوبهم واضاهم واصمهم واعى ابصارهم وازاغ الله قلوبهم فان جميع ذلك اخبار عما احدثه عند امتحان الله اياهم وامر لهم بالطاعة والايمان لانه فعل بهم ما منهم به عن الايمان وهذا كما قيل في المثل جبك التي يعمي ويصم قال مسكين الدارمي

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخَدْرُ
وَتَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا أُذُنِي وَمَا فِي سَمْعِيَا وَقَرُّ

وفي التزييل وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقوله فهم لا يرجعون يحتمل امرين احدهما انه على الأذم والاستبطاء عن ابن عباس والثاني انهم لا يرجعون الى الاسلام عن ابن مسعود

قوله تعالى (١٩) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (آية)

﴿القراءة﴾

ظلمات اجمع القراءة على ضم اللام منه على الاتباع وروي في الشواذ عن الحسن وابي السماك بسكون اللام وعن بعضهم بفتح اللام واو عمرو وييل الكاف من الكافرين في موضع الخفض والنصب وروي ذلك عن الكسائي والباقرن لا يميلون

﴿الحجة﴾

الوجه في ذلك انهم كرهوا اجتماع الضمتين فتارة عدلوا الى التفتح فقالوا ظلمات وثلاثة عدلوا الى السكون فقالوا ظلمات وكلا الامرين حسن في اللغة وانما املوا الكاف من الكافرين للزوم الكسرة الراء بعد الفاء المكسورة والراء لا فيها من التكرير تجري مجرى الحرفين الكسورين وكلما كثرت الكسرات غلبت الامالة وحسنها والقراء في الامالة مذاهب واختلافات يطول استقصاؤها واو علي النارسي رحمه الله قد بلغ الغاية وجاوز النهاية في احتجاجاتهم وذكر من التحقيق فيها والتدقيق ما ينبو عنه فهم كثير من علماء الزمان فالتعمق في ايراد ابوابها وحججها والنوص الى لججها لا يليق بتفسير القرآن وكذلك ما يتعلق بفن القراءة من علوم الهجزة والادغام والمد فان لذلك كتبنا مؤلفه يرجع اليها ويعمل عليها فالرأي ان نلم باطرافها ونقتصر على بعض اوصافها فيما يأتي من الكتاب ان شاء الله تعالى

﴿اللفظة﴾

الصيب المطر امله صيوب فيدل من الصواب لكن اجتمعت الواو والياء واولاهما ساكنة فصارتا ياء مشددة ومثله سيد وجيد والسماء العروف وكل ما علاك واطلك فهو سماء وسماء البيت سقفه واصابهم سماء اي مطر واصله سماء من سموت قلبت الواو همزة لوقوعها طرفا بعد الف زائدة وجعل يكون على وجوه

﴿احدها﴾ ان يتعدى الى مفعولين نحو جعلت الطين خزفاً اي صيرت (وثانيها) ان يأتي بمعنى صنع يتعدى الى مفعول واحد نحو قوله وجعل الظلمات والنور (وثالثها) ان يأتي بمعنى التسمية كقوله تعالى وجعلوا لله اندادا اي سواه (ورابعها) ان يأتي بمعنى افعال القاربة نحو جعل زيد يفعل كذا والصواعق جمع صاعقة وهي الواقع الشديد من السحاب يسقط معه نار تحرق والصاعقة صيغة العذاب والحذر طلب السلامة مما يخاف

﴿الاعراب﴾

او ههنا للإباحة اذا قيل لك جالس الفقهاء والحدثين فكلا الفريقين اهل ان يجالس فان جالست احدهما فانت مطيع وان جالست الآخر فانت مطيع وار، جالستها فانت مطيع فكذلك ههنا ان مثلت المنافقين بالمتوقد كنت مصيباً وان مثلتهم باصحاب الصيب فانت مصيب وان مثلتهم بكلا الفريقين فانت مصيب وتقديره او كاصحاب صيب حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه لأن هذا عطف على قوله كمثل الذي استوقد ناراً والصيب ليس بمعاقل فلا يعطف على العاقل ويحملون في موضع الحال من اصحاب الصيب وقوله فيه ظلمات جملة في موضع الخبر بأنها صفة صيب والضمير المتصل بنبي عائد الى صيب او الى السماء وحذر الموت منصوب بأنه مفعول له لأن المعنى يفعلون ذلك لحذر الموت قال الزجاج وانما نصبه الفعل لأنه في تأويل مصدره لأن جعلهم اصابهم في آذانهم يدل على حذرهم الموت قال الشيخ ابو علي المفعول له لا يكون الا مصدراً لأنه يدل على انه فعل لاجل ذلك الحدث والحدث مصدر لكنه ليس مصدراً عن هذا الفعل بل عن فعل آخر

﴿المعنى﴾

مثل هو لاء المنافقين في جهلهم وشدة تحريمهم كصيب اي كاصحاب مطر من السماء اي منزل من السماء فيه اي في هذا الطر او في السماء لأن المراد بالسماء السحاب فهو ذكر ظلمات لأن السحاب يغطي الشمس بالنهار والتجوم بالليل فيظلم الجو ورعد قيل ان الرعد صوت ملك يزر السحاب وقيل الرعد هو ملك موكل بالسحاب يسبح روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن اثنتا عشرين السلام وقيل هو ريح تحت تحت السماء رواه ابو الجليل عن ابن عباس وقيل هو صوت اصطكاك اجرام السحاب ومن قال انه ملك قدر فيه صوت كأنه قال فيه ظلمات وصوت رعد لأنه روي انه يزعق كما يزعق الراعي بغنمه وقوله يريق قيل انه يحاريق الملائكة من حديد تضرب به السحاب فتندح عنه النار عن علي (ع) وقيل انه سوط من نور يزر به الملك السحاب عن ابن عباس وقيل هو مصع ملك عن مجاهد والمصاع المجالدة بالسيوف وغيرها قال الاشي

إِذَا هُنَّ نَازَلْنَ أَقْرَانَهُنَّ
كَانَ الْمِصَاعُ بَمَا فِي الْجُودِ

وقيل انه نار تندح من اصطكاك الاجرام وفي تأويل الآية وتشبيه المثل اقوال ﴿احدها﴾ انه شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر وما فيه من البرق بما فيه من البيان وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد آجلاً والدعاء الى الجهاد عاجلاً عن ابن عباس (وثانيها) انه مثل الدنيا شبه ما فيها من الشدة والرخاء بالصيب الذي يجمع نفعا وضررا وان المنافق يدفع عاجل الضرر ولا يطلب آجل النفع (وثالثها) انه مثل للاسلام لأن فيه الحياة كما في النبت الحياة وشبه ما فيه من الظلمات بما في اسلامهم من ابطان الكفر وما فيه من الرعد بما في الاسلام من فرض الجهاد وخوف القتل وبما يخافونه من وعيد الآلة لشكهم في دينهم وما فيه من البرق بما في اظهار الاسلام من حتم دمانهم ومناكحتهم وموارثتهم وما فيه من الصواعق بما في الاسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل ويقوي ذلك ماروي عن الحسن انه قال مثل اسلام المنافق كصيب هذا وصفه (ورابعها) ماروي عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة ان رجلين من المنافقين من اهل المدينة هربا من رسول الله (ص) فاصابها المطر الذي ذكره

الله تعالى فيه رعد شديد وصواعق وبرق وكلاهما الصواعق جعلها ابصارها في آذانها بخافة ان تدخل الصواعق في آذانها فتقتلها واذا لمع البرق مشيا في ضوئه واذا لم يلمع لم يبصر افاقا فجلا يقولان ياليتنا قد اصبحنا فنأتي محمدا فنضع ايدينا في يديه فاصبحا فاتياها فاسلما وحسن اسلامها فضرب الله شأن هذين الرجلين مثلا لمنافعي المدينة وانهم اذا حضروا النبي جعلوا ابصارهم في آذانهم فرقا من كلام النبي (ص) ان ينزل فيهم شي . كما كان ذلك الرجلان يجلان ابصارها في آذانها وكلاهما اضاء لهم مشوا فيه يعني اذا كثرت اموالهم واصابوا غنيمة او فتحا مشوا فيه وقالوا دين محمد صحيح واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا هلكت اموالهم واصابهم البلا قالوا هذا من اجل دين محمد فارتدوا كما قام ذلك الرجلان اذا اظلم البرق عليها وقوله والله يحيط بالكافرين» يحتمل وجوها

﴿ احدها ﴾ انه عالم بهم فيعلم سرازهم ويطلع نبيه على ضراتهم عن الاحم (وثانيها) انه قادر عليهم لا يستطيعون الخروج عن قدرته قال الشاعر

أحطنا بهم حتى إذا ما تيقنوا
قد رأوا ما لو اجمعاً إلى السلم

اي قدرنا عليهم (وقالها) ما روي عن مجاهد انه جامعهم يوم القيامة يقال احاط بكذا اذا لم يشذ منه شي . ومنه احاط بكل شي . علما اي لم يشذ عن علمه شي . (ورابعها) انه مهلكهم يقال احيط بفلان فهو محاط به اذا دنا هلاكه قال سبحانه واحيط بشمره اي اصابه ما اهلكه وقوله الا ان يحاط بكم معناه ان تهاكروا جميعا قوله تعالى (٢٠) يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الخطف اخذ في استلاب يقال خطف يخطف وخطف يخطف لقمان والثاني افصح وعليه القراءة ومنه الخطاف ويقال للذي يخرج به الدلو من البرخطاف لاختطافه قال النابغة

خطأ طيف حُجْنٌ فِي جِبَالٍ مَتِينَةٍ
نُمدُّ بِهَا أَيْدِيكَ تَوَازِعُ

وقاموا اي وقفوا والمشيئة الارادة والتي . ما يصح ان يعلم وينجز عنه قال سيبويه هو اول الاسماء واعمالها وابصارها لانه يقع على العدوم والوجود وقيل انه لا يقع الا على الوجود والصحيح الاول وهو مذهب الحقين من المتكلمين ويؤيد قوله تعالى في هذه الآية ان الله على كل شي قدير فان كل شي . سواء محدث وكل محدث فله حالتان حالة عدم وحالة وجود واذا وجد خرج من ان يكون مقدورا للقادر لان من المعلوم ضرورة ان الموجود لا يصح ان يوجد فعلمنا انه انما يقدر عليه في حال عدمه ليخرجه من العدم الى الوجود وعلى هذه المسألة يدور اكثر مسائل التوحيد

﴿ الاعراب ﴾

كاد من افعال القاربة ولا يتم بالفاعل ويحتاج الى خبر وخبره الفعل المضارع فقوله يكاد فعل والبرق مرفوع بأنه اسم يكاد وفاعله ويخطف ابصارهم في موضع نصب بانه خبر يكاد وكلاهما اصله كل وضم اليه ما الجزاء وهو منصوب بالظرف والفاعل فيه اضاء ومعناه متى ما اضاء لهم مشوا فيه واطاء في موضع جزم بالشرط ومشوا في موضع الجزاء واذا اظلم قد تقدم اعراب مثله ولو حرف معناه امتناع الشيء . لامتناع غيره واذا وقع الفعل بعده وهو منفي كان مثبتا في المعنى واذا وقع مثبتا كان منفيا في المعنى فقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم قد انتفى فيه ذهاب السمع والابصار بسبب انتفاء المشيئة

﴿ المعنى ﴾

«يكاد البرق يخطف ابصارهم» المراد يكاد ما في القرآن من الحجج النيرة يخطف قلوبهم من شدة ازعاجها الى النظر في امور دينهم

كما أن البرق يكاد يخطف ابصاراً أو لكلاً اضمالمهم مشوا فيه لاهتدائهم الى الطريق بضوء البرق كذلك المناقون كلامهم وا
الى خير وغنيمة اسرعوا واذا وردت شدة على المسلمين تحبوا لكفرهم ووقفوا كما وقف اولئك في الظلمات متحيرين
وقيل اذا آمنوا صار الايمان لهم نوراً فاذا ماتوا عادوا الى ظلمة العقاب وقيل هم اليهود لانصر المسامون ببدر قاتوا هذا
الذي بشر به موسى فلما تكبروا باحد وقتوا وشكروا وقوله «واو شاء الله لذهب بسمهم وابصارهم» انما خص
السمع والبصر بالذكر لما جرى من ذكرهما في الآيتين فقال واو شاء الله اذهبها من المناقنين عقوبة لهم على نفاقهم
وكفرهم وهذا وعيد لهم بالعقاب كما قال في الآية الاولى والله محيط بالكافرين وقوله بسمهم مصدر يدل
على الجمع او واحد موضوع للجمع كقول الشاعر

كَلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعِشُوا فَإِنْ زَمَانِكُمْ زَمَنْ خَمِصُ

اي بطلونكم والمعنى لو شاء الله لظهر على كفرهم فاهلكهم ودمر عليهم لانه على كل شي تقدير وهو مهالفة القادر وقيل
ان قوله سبحانه ان الله على كل شي قدير عام فهو قادر على الاشياء كلها على ثلاثة اوجه على المدومات بأن
يوجدتها وعلى الموجودات بان يغيثها وعلى مقدور غيره بأن يقدر عليه وينتفع منه وقيل هو خاص في مقدوراته دون
مقدور غيره فان مقدورا واحدا بين قادرين لا يمكن ان يكون لأنه يؤدي الى ان يكون الشيء الواحد موجودا
معدوما ولفظة كل قد يستعمل على غير عموم نحو قوله تعالى تدمر كل شي بامر ربها

قوله تعالى (٢١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (آية)

﴿ اللغظة ﴾

الخلق النمل على تقدير وخلق السموات فعلمها على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيادة ونقصان والخلق
الطبع والخلقة الطبيعة والخلق النصب

﴿ الاعراب ﴾

يا حرف ندا واي لم مبهم يقع على اجناس كثيرة لانه لما يتم بأن يوصف وصفته تكون باسم الجنس لانه
لا كان لا يتم الا بصيغة وهي لفظة دالة على ما دل ي عليه مخصصة له وكان التخصيص في الاشارة يقع بالجنس
ثم بالوصف وصف باسم الاجناس كالناس في قوله يا ايها الناس فاي منادى مفرد معرفة مبني لانه وقع موقع
حرف الخطاب وهو الكاف وانما بني على الحركة مع ان الاصل في البناء السكون ليعلم انه ليس بعريق في البناء
والبناء عارض فيه وانما حرك بالضم لانه كان في اصله التووين فلما سقط التووين في البناء اشبه قبل وبعد الذي قطع
منه الفاية فارتفع وقد ذكر فيه وجوه اخر توجد في مظانها والناس مرفوع لانه صفة لأي فتبعه على حركة لفظه
ولا يجوز هنا النصب وان كانت الاسماء الناديات المفردة المعرفة يجوز في صفاتها النصب والرفع لأن هنا الصفة
هو المنادى في الحقيقة واي وصلة اليه ويدل على ذلك لزومها وهو حرف التنبيه قبل الناس وشبابتها وامتناعهم من
حذفها وصار ذلك كالايذان باستئناف ندا العلم لانه لا يجوز الاقتصار على المنادى قبله كما جاز في سائر الناديات
واجاز المازني في يا ايها الرجل النصب وذلك فاسد لما ذكرناه ولانه لا مجاز لذلك في كلام العرب ولم يرو عنها غير
الرفع والذين من قبلكم في موضع نصب لانه عطفت على الكاف والميم في قوله خاتكم وهو مفعول به ومن
قبلكم صلة الذين ولعل حرف ناصب من اخوات ان وقد ذكرنا القول في مشابهته الفعل وعمله النصب والرفع فبما
تقدم وكذلك حكم لعل وشبه لعل بالفعل اظهر لأن معناه الترجي وكم في موضع نصب بسكونه اسم لعل ورتبون
جملة في موضع الرفع بأنه خبره

﴿ المعنى ﴾

هذا الخطاب متوجه الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم الا من ليس بمكلف من الاطفال والمجانين وروي عن ابن عباس والحسن ان مافي القرآن من «يا ايها الناس» فانه نزل بمكة وما فيه من يا ايها الذين آمنوا فانه نزل بالمدينة «اعبدوا ربكم» اي تقربوا اليه بفعل العبادة وعن ابن عباس انه قال معناه وحدوه وقوله «الذي خلقكم» اي اوجدكم بعد ان لم تكونوا موجودين واوجد من تقدم زمانكم من الخلائق والبشر بين سبحانه ونعمه عليهم وعلى آباؤهم لان نعمه عليهم لاتم الا بنعمه على آباؤهم «لعلكم تتقون» اي خلقكم لتتقوه وتعبدهوه كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقيل معناه اعبدوه لتتقوا وقيل معناه لعلكم تتقون الحرمات بينكم وتكفون عما حرم الله وهذا كما يقول القائل اقبل قولي لعلك ترشد فليس انه من ذلك على شك وانما يريد اقبله ترشد وانما ادخل الكلام لعل ترفيقا للموعظة وتهذيبا لها من قلب الموعوظ ويقول القائل لا يجيره اعمل لعلك تأخذ الاجرة وليس يريد بذلك الشك وانما يريد لتأخذ اجرتك ومثله قول الشاعر

وَقُلْتُمْ لَنَا كَفُّوا الْحُرُوبَ لَعَنَّا
نَكْفُ وَوَقُلْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقٍ
فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عُهُودُكُمْ
كَلْمَحِ سَرَابٍ فِي الْمَلَأِ مُتَالِقِ

اراد قلتم لنا كفوا لشكنا لانه لو كان شاكلا قال وثقتكم كل موثق وقال سيويه انما وردت لفظه لعل على انه ترج للمخاطبين كما قال فقولا له قولنا لينا لعله يتذكر او يخشى اراد بذلك الابهام على موسى وهارون فكانه قال اذهب انما على رجائكما وطمعكما والله عز وجل من وراء ذلك وعالم بما يؤول اليه امر فرعون وقيل فائدة اراد لفظه لعل هي ان لا يحل العبد ابدا محل الآمن المدل به بل يزداد حالا بعد حال حرصا على العمل وحذرا من تركه واكثر ما جاء لفظه لعل وغيرها من معاني الشك فيما يتعلق بالآخرة في دار الدنيا فاذا ذكرت الآخرة مفردة جاء اليقين وقيل معناه لعلكم توقون النار في ظنكم ورجائكم واجري لعل على عباده دون نفسه وهذا اقرب مما قاله سيويه

قوله تعالى (٢٢) أَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

ادغم جماعة من القراء قوله جعل لكم فقالوا جعلكم والقون يظهرون

﴿ الحجة ﴾

فن ادغم فلا اجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات ومن اظهر وعليه اكثر القراء فلانها منفصلان من كلمتين وفي الادغام واختلاف القراء فيه والاحتجاجات لهم كلام كثير خارج عن الغرض بعارض تفسير القرآن فمن اراد ذلك فليطلبه من الكتب الواردة فيه

﴿ اللفظة ﴾

الجعل والحلق والاحداث نظائر والارض هي المعروفة والارض قوائم الدابة ومنه قول الشاعر

وَأَخْرَجَ كَالدِّيَابِجِ أَمَا سَمَاوَهُ
فَرِيًّا وَأَمَا أَرْضُهُ فَحَوْلُ

والارض الرعدة وفي كلام ابن عباس أنزلت الارض ام بي ارض والقراش والبساط والمهاد نظائر وسمي السماء سما لعلوها على الارض وكل شي كان فوق شي فهو لا تحته سما وسما فلان لفلان اذا قصد نحوه عاليا عليه قال النهرزدق

سَمُونَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِ وَأَهْلِهِ
وَنَجْرَانَ أَرْضٍ لَمْ تُدَيْثْ مَقَاوِلُهُ

قال الزجاج كل ما علا الارض فهو بناء. والماء اصله موه وجمعه امواه وتصغيره مويه وانزل من السماء اي من ناحية السماء. قال الشاعر (امثك البرق ارقبه فهاجا) اي من ناحيتك والند الثل والعدل قال حسان بن ثابت
 أَتَهْجُوهُ وَوَلَسْتَ لَهُ بِنْدِي فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكَا الْقِدَا'

وقال جرير

أَتِيًّا تَجْعَلُونَ إِلِيَّ نِدَاً وَمَا تَمُّ لِيذِي حَسْبِ نَدِيدُ

وقيل الند الضد

﴿ المعنى ﴾

معنى هذه الآية يتعلق بما قبلها لأنه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بتبعته ثم عد لهم صنوف نعمه ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته فإن العباداة لما تجب لأجل النعم المخصوصة فقال سبحانه «الذي جعل لكم الارض فراشا» اي بساطا يمكنكم ان تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون «والسما بناء» اي سقفا مرفوعا مبنيا «وانزل من نحو السماء» اي من السحاب «ماء فأخرج به» اي بالماء «من الثمرات رزقا لكم» اي عطاء لكم وملكا لكم وغذاء لكم وهذا تنبيه على انه هو الذي خلقهم والذي يرزقهم دون من جعلوه ندا له من الالوهة ثم زجرهم عن ان يجعلوا له ندا مع علمهم بان ذلك كما اخبرهم به بقوله «فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون» وقوله يشمل وجوها ﴿ احدها ﴾ ان يريد انكم تعلمون ان الاصنام التي تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددناها ولا بانماها وانها لا تضر ولا تنفع (وثانيها) ان يريد انكم تعقلون وتميزون ومن كل بهذه الصفة فقد استوفى شرائط التكليف ولزمته الحجة وضاق عنده في التخلف عن النظر واصابة الحق (وثالثها) ما قال مجاهد وغيره ان المراد بذلك اهل التوراة والانجيل دون غيرهم اي تعلمون ذلك في الكتابين وقال الشريف الاجل المرتضى قدس الله روحه استدلال ابو علي الجبائي لقوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا وفي آية اخرى بساطا على بطلان ما يقوله النجمون من ان الارض كرية الشكل قال وهذا القدر لا يدل لأنه يكفي في النعمة علينا ان يكون في الارض بساط وموضع مفروشة ومسطوحة وليس يجب ان يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحا مبسوطة وان كان موضع التصرف فيها بهذه الصفة والنجمون لا يدعون ان يكون في الارض سطوح يتصرف فيها ويستقر عليها وانما يذهبون الى ان جياتها كرية الشكل

قوله تعالى (٢٣) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
 وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

ان دخلت ههنا لغير شك لأن الله تعالى علم انهم مرتلون ولكن هذا على عادة العرب في خطابهم كقولهم ان كنت انسانا فافعل كذا وان كنت ابني فاطمني وان كان كونه انسانا وابنا معلوما وانما خاطبهم الله تعالى على عادتهم في الخطاب والريب الشك مع تهمة والعبء الملوك من جنس ما يعقل ونقيضه الحر من التعبد وهو التذليل لأن العبد يدل لمولاه والعبودية من احكام الشرع لأنه بمنزلة ذبح الحيوان ويستحق عليها العرض وليست بعقوبة ولذلك يسترق المؤمن والصبي والسورة غير مهوزة مأخوذة من سور البناء وكل مقالة رفيعة فهي سورة ومنه قول النابغة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

هذا قول ابى عبيدة وابن الاعرابي في تفسير السورة فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومثل عال

رفيع يرتفع القارى. منها الى منزلة اخرى الى ان يستكمل القرآن وقيل السورة مهيوزة والمراد بها القطعة من القرآن انفصلت عما سواها ولبقبت وسوء كل شي. بقبته واسارت في الانا. ابقيت فيه قال الاعشى يصف امرأة فبانت وقد اسارت في الفؤاد

﴿ الاعراب ﴾

ان حرف شرط تجزم الفعل المضارع وتدخل على الفعل الماضي فتصرفه الى معنى الاستقبال ولا بد للشرط من جزاء. وهما جملتان ربطت احدهما بالآخرى نحو إن تفعل أفعل فقولك إن تذل شرط وهو مجزوم بأن وقولك أفعل جزاء. وهو مجزوم بالشرط لا بأن وحدها ولا بالفعل فإن كان الجزاء جملة من فعل وفاعل كان مجزوما وان كان جملة من مبتدأ وخبر فلا بد من الفاء. وكانت الجملة في موضع الجزم فقوله كنتم في موضع الجزم بأن وقوله فأتوا بسورة أنتوا مبني على الوقف لأنه امر المخاطبين والواو فاعل والفاء. وما بعده في موضع جزم بأنه جزاء. واقبل الفاء لا يعمل فيما بعده ومن يقع على اربعة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان يكون بمعنى ابتداء التي. من مكان ما كقولك خرجت من البصرة (وثانيتها) بمعنى التبويض كقولك اخذت من الطام قفيرا (وثالثها) بمعنى التبيين كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وهي في التبيين تخصص الجملة التي قبلها أما انها في التبويض تخصص الجملة التي بعدها (ورابعها) ان تقع مزيدة نحو ما جاني من رجل فاذا قد عرفت هذا فقوله تعالى من مثله قال بعضهم أن من بمعنى التبويض وتقديره فأتوا ببعض ما هو مثل له وهو سورة وقيل هو لتبيين الصفة وقيل ان من مزيدة لقوله في موضع آخر بسورة مثله اي مثل هذا القرآن وتعود الها في مثله الى ما من قوله مما نزلنا على عبدنا في الاقوال الثلاثة وقيل ان من بمعنى ابتداء الغاية والها. من مثله يعود الى عبدنا فيكون معناه بسورة من رجل مثله والاول أقوى لا نذكره بعد

﴿ المعنى ﴾

لا احتج الله تعالى للتوحيد عقبه من الاحتجاج للنبوة بما قطع عندهم فقال «وان كنتم في» شك من صدق هذا الكتاب الذي انزلناه على محمد صلى الله عليه وآله وقلتم لا ندرى هل هو من عند الله ام لا «فأتوا بسورة من مثله» أي من مثل القرآن وعلى قول من يقول الضمير في مثله عائد الى عبدنا فالمعنى فأتوا بسورة من بشر من مثله لا يحس الخط والكتابة ولا يدري الكتب والصحيح هو الاول لقوله تعالى في سورة اخرى فليأتوا بحديث مثله وقول فأتوا بسورة مثله وقوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بشئ هذا القرآن لا يأتون بشئ يعني فأتوا بسورة مثله اتي به محمد في الاعجاز من حسن النظم وجزالة اللفظ والفصاحة التي اختصت به والاخبار عما كان وما يكون دون تعلم الكتب ودراسة الاخبار وقوله «وادعوا شهداءكم» قال ابن عباس يعني اعوانكم وانصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم وسمي اعوانهم شهداء لانهم يشاهدونهم عند المعونة والشهيد يكون بمعنى الشاهد كالجليس والاكيل ويسمى الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه بأنه شهيد أيضا وقوله «من دون الله» أي من غير الله كما يقال مادون انه مخلوق يريد وادعوا من اتخذتهم معاونين من غير الله «إن كنتم صادقين» في أن هذا الكتاب يقوله محمد من نفسه وقال القراء اراء وادعوا أنفسكم وقال مجاهد وابن جريج اراء قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم وقول ابن عباس أقوى لأن معناه استنصروا اعوانكم على ان يأتوا بشئ لأن الدعاء بمعنى الاستعانة كما قال الشاعر

فَلَمَّا أَلْتَقَتْ فُرْسَانُنَا وَرَجَانُنَا
دَعَا يَا لَكَبِيرٍ وَأَعْتَزْنَا لِعَامِرٍ

وقال آخر

وَقَبْلَكَ رَبُّ خَصْمٍ قَدْ تَمَالَوْا
عَلَيَّ فَمَا جَزَعْتُ وَلَا دَعَوْتُ

واما قول مجاهد فلا وجه له لأن الشاهدين لا يخلو اما ان يكونوا مؤمنين او كفارا فالؤمنون لا يكفرون شهداء للكفار والكفار لا بد ان يسارعوا الى ابطال الحق او تحقيق الباطل اذا دعوا اليه فن اي الفريقين يكون شهداء وهم ولكن ينبغي ان يجري ذلك مجرى قوله تعالى قل الذين اجتمعتم على ان يأتيوا بشئ هذا القرآن لا يأتيون بشئ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال قوم ان هذا الوجه جائز ايضا لصحة الاعتقاد لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على الشهادة بما يقتضون به في كلام انه مثل القرآن ولا يكون مثله كما لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على ان يعارضوا ما ليس به مارض على الحقيقة وهذه الآية تدل على صحة نبوة نبينا محمد (ص) وان الله تعالى تحدى بالقرآن وببعضه ووجه الاستدلال بها انه تعالى خاطب قوما عقلا فصحاء قد بلغوا الناية القصوى من الفصاحة وتسبوا الذروة العليا من البلاغة فآزر اليهم كلاما من جنس كلامهم وتهداهم بالاتيان بشئ او ببعضه بقوله فاتوا بعشر سور مثله وسورة مثله وجعل عجزهم عن ذلك حجة عليهم ودلالة على صدق رسوله (ص) وهم اهل الحمية والانفة فبدلوا اموالهم ونفوسهم في اطفاء امره ولم يتكلموا في معارضة القرآن بسورة ولا خطبة فعلمنا ان المعارضة كانت متعذرة عليهم فدل ذلك على ان القرآن معجز دال على صحة نبوته

قوله تعالى (٢٤) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

ان حرف شرط ولم حرف يدل على الفعل المضارع فينفيه ويجعله بمعنى الماضي ويعمل فيه الجزم وتفعلوا فعل وفاعل وهو مجزوم بهم وعلامة الجزم فيه سقوط التون ولم تفعلوا في موضع جزم ايضا بان وان حرف يدخل على الفعل المضارع فيخصه بالاستقبال وينفيه ويعمل فيه النصب وعلامة النصب في تفعلوا ستوت التون ايضا وقال سيبويه في ان زعم الخليل انها لا ان ولكنهم حذفوا لكثرتهم في كلامهم كما قالوا ويأينه وجعلت بمنزلة حرف واحد كما جعلوا هلا بمنزلة حرف واحد وانما هي هل ولا قال وهذا ليس بجيد لأنه لو كان كذلك لم يجر زيد ان اضرب واقول ان معنى هذا القول هو انه لو كان اصل لن لا ان وما بعد ان يكون صلة لها ولا يجوز تقديم معمول ما في الصلة على الموصول فكان يجب ان لا يجوز تقديم زيدا في قولك لن اضرب زيدا على لن كيلة يجر تقديمه على أن فلا تقول زيدا أن اضرب وزيدا لان اضرب ولا خلاف بين النحويين في جواز التقديم هناك وقوله ولن تفعلوا لا موضع له من الاعراب لأنه اعتراض وقع بين الشرط والجزاء كما يقع بين المتدأ والخبر في قولك زيد فافهم ما اقول لك عالم والاعتراض غير واقع موقع المفرد فيكون له موضع اعراب

﴿ المعنى ﴾

«فإن لم تفعلوا» اي فإن لم تأتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم انتم وشركاؤكم عليه واعوانكم وتبين لكم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندي فلا تقيسوا على التكذيب به ومعنى «ولن تفعلوا» اي ولن تأتوا بسورة مثله أبدا لأن لن تنفي على التأييد في المستقبل وفيه دلالة على صحة نبوة نبينا محمد (ص) لأنه يتضمن الاخبار عن حالهم في مستقبل الاوقات بأنهم لا يأتيون بشئ فوافق الخبر عنه الخبر وقوله «فاتقوا النار» اي فاحذروا ان تصلوا النار بتكذيبكم وانما جز ان يكون قوله فاتقوا النار جواب الشرط مع لزوم اتقاء النار كيف تصرفتم الحال لأنه لا يلزمهم الاتقاء الا بعد التصديق بالنبوة ولا يصح العلم بالنبوة الا بعد قيام المعجزة فكانه قال فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت الحجة ووجب اتقاء النار التي «وقودها» اي «طبها» الناس والحجارة» وهي سع حجر وقيل انها حجارة الصخرة لأنها احرق شيئا اذا اهميت عن ابن مسعود وابن عباس والظاهر ان

الناس والحجارة وقود النار اي حطبها يريد بها اصنامهم المنحوتة من الحجارة كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار لانها لاتأكل الحجارة الا وهي في غاية الفظاظة والمهول وقيل معناه أن اجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقد بها النار ببقية الله اياها ويؤيد ذلك قوله كما نضجت جلودهم الآية وقيل معناه انهم يعذبون بالحجارة المحمية بالنار وقوله تعالى اعدت للكافرين معناه خلقت وهيئت للكافرين لأنهم الذين يخلدون فيها ولأنهم أكثر اهل النار فاضيف اليهم وقيل انما خص النار بكونها معدة للكافرين وان كانت معدة للفاسقين ايضا لأنه يريد بذلك نارا مخصوصة لا يدخلها غيرهم كما قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذه الآية تدل على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقلي لأن الله عز اسمه احتج على الكفار بما ذكره في هذه الآية والزمهم به تصديق نبيه عليه الصلاة والسلام وقرهم بأن القرآن كلامه اذ قال ان كان هذا القرآن كلام محمد فأتوا بسورة من مثله لأنه لو كان كلام البشر لثبأ لكم مع تقدمكم في البلاغة والنصاحة الأتيان بثبته او بسورة منه مع قوة دواعيكم اليه فإذا لم يتأت لكم ذلك فاعلموا بعقولكم أنه كلام الله تعالى وهذا هو المراد بالاحتجاج العقلي واستدل بقوله اعدت للكافرين على ان النار مخلوقة الآن لأن المعد لا يكون الا موجودا وكذلك الجنة بقوله اعدت للمتقين والفائدة في ذلك أنا وأن لم نشاهدهما فان الملائكة يشاهدونها وهم من اهل التكليف والاستدلال فيعرفون ثواب الله للمتقين وعقابه للكافرين

قوله تعالى (٢٥) **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ بِمُتَشَابِهٍ لَهَا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

البشارة هي الاخبار بسا يسر الخبر به اذا كان سابقا لكل خبر سواء لأن الثاني لا يسمى بشارة وقد قيل للاخبار بسا يعم ايضا بشارة كقوله تعالى وبشرهم بعذاب اليم وذلك على سبيل التوسع وهي مأخوذة من البشارة وهي ظاهر الجلد لتغيرها بأول خبر وتبشير الصبح اوله والجنات جمع الجنة وهي البستان والمراد بذكر الجنة ما في الجنة من اشجارها ونهارها دون ارضها فلذلك قال تجري من تحتها الانهار لأن من المعلوم أنه اراد الخبر عن ماء انهارها بانها جار تحت الاشجار لأن الماء اذا كانت تحت الارض فلاحظ فيها للعيون على انه روي عن مسروق ان انهار الجنة جارية في غير اخايد رواه عنه ابو عبيدة وغيره واصلاها من الجن وهو السر ومنه الجن لتسرها عن عيون الناس والجنون لأنه يسر العقل والجنة لأنها تسر البدن والجنين تسره بالرحم قال المنفل البستان اذا كان فيه الكرم فهو فردوس سواء كان فيه شجر غيره او لم يكن والجنة كل بستان فيه نخل وان لم يكن فيه غيره والأزواج جمع زوج والزوج يقع على الرجل والمرأة ويقال للمرأة زوجة ايضا وزوج كل شي شكله والحارود الدوام والبقاء.

﴿ الاعراب ﴾

موضع ان مع اسمه وخبره نصب معناه بشر المؤمنين بأن لهم جنات فلما سقطت الباء افضى الفعل الى ان فنصبه وعلى قول الخليل يكون أن في موضع جر وإن سقطت الباء وجنات منصوب بأنه اسم ان ولهم الجبار والمجرور في موضع خبره والتا. تا. جماعة المونث تكون في حال النصب والجر على صورة واحدة كما أن يا. جماعة الذكور في الزيدتين ونحوه يكرن في حال النصب والجر على صورة واحدة وقوله تجري مع ما اتصل به جملة منصوبة الموضع بكونها صفة لجنات وكما ضم كل الى ما الجزاء فصارا اداة للتكرار وهو منصوب على الظرف والعامل فيه رزقوا منها من ثمرة من ثمرة اي ثمرة وقال علي بن عيسى هي بمعنى التبويض لأنهم يرزقون

بعض الثمرات في كل وقت ويجوز أن يكون بمعنى تبين الصفة وهو أن يبين الرزق من أي جنس هو ومن قبل تقديره أي من قبل هذا الزمان أو هذا الوقت لحذف المضاف اليه منه لفظاً مع أن الأضافة مرادة معنى فبني لأجل مشابهته الحرف وإنما بني على الحركة ليدلوا على تمكنه في الأصل وإنما خص بالضم لأن أعرابه عند الأضافة كان بالفتح أو الجرح نحو من قبلك وقبلك لكونه ظرفاً بني على حركة لم تكن تدخلها في الأعراب وهي الضمة وموضعه نصب على الظرف ومتشابهها نصب على الحال وأزواج رفع أما بالابتداء أو بالظرف

﴿المعنى﴾

قرن الله تعالى الوعد في هذه الآية بالوعيد فيما قبلها ليحصل الترغيب والترهيب فقال «وبشر» أي أخبر بما يسر «الذين آمنوا» أي صدقوا «وعملوا الصالحات» فيأبينهم وبين ربهم عن ابن عباس بأن لهم «جنت تجري من تحتها» أي من تحت أشجارها ومسكنها «الأنهار» والنهر لا يجري وإنما يجري الماء فيه ويستعمل الجري فيه توسعاً لأنه موضع الجري وقوله «كلوا رزقاً منها» أي من الجنة والمعنى من أشجارها وتقديره كما رزقوا من أشجار البساتين التي أعدها الله للمتقين «من ثمرة رزقاً» أي أعطوا من ثمارها عطاءً واطعموا منها طعاماً لأن الرزق عبارة عما يصح الانتفاع به ولا يكون لأحد المنع منه قالوا هذا الذي رزقنا من قبل» فيه وجوه ﴿أحدها﴾ أن ثمار الجنة إذا جنت من أشجارها عاد مكانها مثلاً فيشتبه عليهم فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل هذا قول أبي عبيدة ويحيى بن كثير (وثالثها) أن معناه هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هذا الذي وعدنا به في الدنيا (وثالثها) معناه هذا الذي رزقناه من قبل في الجنة أي كالذي رزقنا وهم يعلمون أنه غيره ولكنهم شبهوه به في طعمه ولونه وريحه وطيبه وجودته عن الحسن وواصل قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله وأقوى الأقوال قول ابن عباس لأنه تعالى قال كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل فمهم ولم يخص فأول ما أتوا به لا يتدبر فيه هذا القول إلا بأن يكون إشارة إلى ما تقدم رزقه في الدنيا ويكون التقدير هذا مثل الذي رزقناه في الدنيا لأن ما رزقوه في الدنيا قد عدم فاقام المضاف إليه مقام المضاف كما أن القائل إذا قال لغيره أعددت لك طعاماً ووصفه له يحسن أن يقول هذا طعامي في متلبي يريده مثله ومن جنسه وتوله «وأتوا به» أي جيثوا به وليس معناه أعطوه وقوله «متشابهاً» فيه وجوه ﴿أحدها﴾ أنه أراد متشابهاً في اللون مختلفاً في الطعم عن ابن عباس ومجاهد (وثالثها) أن كلها متشابهة في الجودة خيار لا رذل فيه عن الحسن وقناة واختاره الاخفش قال وهذا كما يقول القائل وقد جي بأشياء فاضة فاشتبهت عليه في الفضل لا ادري ما اختار منها كلها عندي فاضل كقول الشاعر

مَنْ تَلَّقَ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَأَقِيَتْ سَيِّدُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

يعني أنهم قد تساوا في الفضل (وثالثها) أنه يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب عن عكرمة (ورابعها) أنه يشبه بعضها في اللذة وجميع الصفات عن أبي مسلم (وخامسها) أن التشابه من حيث الموافقة فالخادم يوافق المسكن والمسكن يوافق الفرس وكذلك جميع ما يليق به وقوله «ولهم فيها أزواج» قيل هن الحور العين وقيل هن من نساء الدنيا قال الحسن هن عجاتكم العنص الرمص العنص طهورن من قدرات الدنيا «مطهرة» قيل في الأبدان والأخلاق والأعمال فلا يحضن ولا يلدن ولا يتغوطن ولا يبلن قد طهورن من الأقدار والآثام وهو قول جماعة المفسرين «وهم فيها» أي في الجنة «خالدون» يعني دائمون يبقون بقاء الله لا انقطاع لذلك ولا نفاذ لأن النعمة تتم بالخلود والبقاء كما تنتقص بالزوال والفتنا والخلود هو الدوام من وقت مبتداً ولهذا لا يقال لله تعالى خالد

قوله تعالى (٢٦) إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ أَنْ يُضْرَبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ

بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

يستحي بيانين وروي عن ابن كثير يستحي بيا، واحدة ووجه هذه القراءة أنه استعمل اجتماع الين حذف احدهما وهي لغة بني تميم

﴿ اللنة ﴾

الاستحيا من الحياء ونقيضه التعة والضرب يقع على جميع الاعمال لا قليلا يقال ضرب في التجارة وضرب في الارض وضرب في سبيل الله وضرب بيده الى كذا وضرب فلان على يد فلان اذا افسد عليه امر اخذ فيه وضرب الامثال إن اهرجملها تسيير في البلاد يقال ضربت القول مثلا وارسلته مثلا وما اشبه ذلك والبعض القرص وهو صغار البق الواحدة بعوضة والمثل والمثل كالشبه والشبه قال كعب بن زهير

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْفُوبٍ لَنَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

والنسق والنسوق الترك لأمر الله وقال الفراء النسق الخروج عن الطاعة تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت ولذلك سميت القارة فويسقة خروجها من جحرها

﴿ الاعراب ﴾

ما في قوله ما بعوضة بالنصب فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ أن تكون ما مزيدة ومعناها التوكيد كما في قوله فبارحة من الله لت لهم وتقديره ان الله لا يستحي ان يضرب بعوضة مثلا او مثلا بعوضة فيكون بعوضة مفعولا ثانيا ليضرب (وثانيتها) ان يكون ما نكرة مفسرة بعوضة كما يكون نكرة موصوفة في قوله تعالى هذا ما لدي عبيد فيكون تقديره لا يستحي أن يضرب مثلا شيئا من الأشياء بعوضة فتكون بعوضة بدلا من شيئا (وثالثها) ما يحكى عن الفراء أن معناه ما بين بعوضة الى ما فوقها كما يقال مطرنا ما زبالا الى التخلية وله عشرون ما ناقة لحبلا وهي احسن الناس ما قرنا فقدمنا يعنون ما بين في جميع ذلك والاختيار عند البصريين الوجه الاول وانما اخبر هذا الوجه لأن ضرب ههنا بمعنى جعل لحظ أن يتعدى الى مفعولين ويدخل على المبتدأ والخبر وفي التبريل ما يدل عليه وهو قوله تعالى انا مثل الحياة الدنيا كما أنزلنا من السماء مثل الحياة مبتدأ وكما خبره وفي موضع آخر واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما فدخل إضرب على المبتدأ والخبر فصار بقرعة قولك ظننت زيدا كعمرو ويجوز في الأعراب الرفع في بعوضة وإن لم تجز القراءة به وفيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف في صلة ما فكأنه قال الذي هو بعوضة كقراءة من قرأ تماما على الذي احسن بالرفع وهذا عند سيويه ضعيف وهو في الذي أقوى لأن الذي اطول وليس للذي مذهب غير الاسماء (والثاني) على الجواب كأنه لا قيل ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاما قيل ما هو فقيل بعوضة اي هو بعوضة كما تقول مرتت برجل زيد اي هو زيد فتكون ما على هذا الوجه نكرة مجردة من الصفة والصفة وقوله فأما الذين آمنوا لغة العرب جميعا بالاشديد وكثير من بني تميم يقولون ايا فلان فيفعل كذا وانشد بعضهم

مُبْتَلَةٌ هَيْفًا أَيْمًا وَشَاحَهَا فَيْجَرِي وَأَيْمًا الْجَلْجَلُ مِنْهَا فَلَا يَجْرِي

وهي كلمة تجي في شينين او شيئا يفصل القول بينهما كقولك اما زيد فحسن واما عمرو فسي فزيد مبتدأ وحسن خبره وفيها معنى الشرط والجزاء وتقديره هما يكن من شي فزيد محسن ثم اقيم امام مقام الشرط فيحصل اما فزيد محسن ثم اخر القاء الى الخبر لا صلاح اللفظ ولكراهة ان تقع الفاء التي للتعقيب في اول الكلام فقوله الذين آمنوا على هذا يكون مبتدأ ويعملون خبره وكذلك الذين كفروا مبتدأ ويقولون خبره وقوله ماذا اراد الله بهذا مثلا ما استفهام وهو اسم في موضع الرفع بالابتداء وذا بمعنى الذي وصلته ما بعده وهو في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ

تقديره اي شي . الذي اراد الله فعلى هذا يكون الجواب رفعا كقولك البيان لعالم الذي ضرب له المثل ويمتثل ان يكون ما وذا بمنزلة اسم واحد تقديره اي شي . اراد الله فيكون في موضع نصب بانه مفعول اراد فعلى هذا يكون الجواب نصبا كقولك البيان لخال من ضرب له المثل ومثال الأول قوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ومثال الثاني قوله ماذا انزل ربكم قالوا اخيرا ومثلامنصوب على الخال وقيل على القاطع وقيل على التفسير

﴿ النزول ﴾

روي عن ابن مسعود وابن عباس ان الله تعالى لما ضرب المثليين قبل هذه الآية المنافقين يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب من السماء قال المنافقون الله اعلى واجل من أن يضرب هذه الامثال فانزل الله تعالى هذه الآية وروي عن قتادة والحسن لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت تكلم فيه قوم من المشركين وعابوا ذكره فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

«ان الله لا يستحي» اي لا يدع وقيل لا يتبع لأن احدنا اذا استحيى من شي . تركه وامتنع منه ومعناه ان الله لا يدع ضرب المثل بالاشياء . الحقيرة لحقارتها اذا رأى الصلاح في ضرب المثل بها وقيل معناه هو أن الذي يستحي منه ما يكون قبيحا في نفسه ويكون لفاعله عيب في فعله فأخبر الله تعالى ان ضرب المثل ليس بقبيح ولا عيب حتى يستحي منه وقيل معناه انه لا يخشى أن يضرب مثلا كما قال وتخشى الناس والله احق أن تخشاه اي تستحي الناس والله احق ان تستحيه فالاستحيا بمعنى الخشية هنا كما ان الخشية بمعنى الاستحيا هناك واصل الاستحيا . الانقباض عن الشي . والامتناع منه خوفا من موقعة التبيح قال علي بن عيسى معناه انه ليس في ضرب المثل بالحقير للحقير عيب يستحي منه فكأنه قال لا يجل ضرب المثل بالبعوض محل ما يستحي منه فوضع قوله ان الله لا يستحي موضعه وقوله «مابعوضة فما فوقها» اي ما هو اعظم منها عن قتادة وابن جريج وقيل فما فوقها في الصغر والفة لأن الغرض ههنا الصغر وقال الربيع بن أنس ان البعوضة تحي ما جاءت فاذا سمعت ماتت فكذلك القوم الذين ضرب لهم هذا المثل اذا امتلأوا من الدنيا ربا اخذهم الله عند ذلك ثم تلا حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروي عن الصادق عليه السلام انه قال انما ضرب الله المثل بالبعوضة لأن البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في القليل مع كبره وزيادة عضوين آخرين فاراد الله تعالى ان ينفه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه وعجيب صنعه وقد استشهد على استهجان ضرب المثل بالشيء . الحقير في كلام العرب بقول الفرزدق

ضَرَبْتَ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتَ بِمَسْجِحِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

وبقوله ايضا

وَهَلْ شَيْءٌ يَكُونُ أَذْلَ بَيْنًا مِنَ الْيَرْبُوعِ يَخْتَفِرُ التُّرَابَا

وقوله «فأما الذين آمنوا» اي صدقوا محمدا والقرآن وقبلوا الاسلام «فيعلمون انه الحق من ربهم» مدحهم الله تعالى بأنهم تدبروا حتى علموا انه من ربهم وان المثل وقع في حقه «واما الذين كفروا» بالقرآن «فيقولون» اي فلاعراضهم عن طريق الاستدلال وانكارهم الحق قالوا «ماذا اراد الله بهذا مثلا» اي ماذا اراد الله بهذا المثل لحذف الالف واللام وقوله «يضل به كثير او يهدي به كثيرا» فيه وجهان ﴿احدهما﴾ حكى عن القراء انه قال انه حكاية عن قال ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اي يضل به قوم ويهدي به قوم ثم قال الله تعالى «وما يضل به الا الفاسقين» فبين تعالى انه لا يضل الا فاسقا ضالوا وهذا وجه حسن والآخر انه كلامه تعالى ابتداء وكلاهما محتمل فاذا كان محمولا على هذا فمعنى قوله يضل به كثيرا ان الكفار يكذبون به ويشكرونه ويقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه واذا حصل الضلال بسببه اضيف اليه وقوله ويهدي به كثيرا يعني

الذين آمنوا به وصدقوه وقالوا هذا في موضعه فلما حصلت الهداية بسببه اضيف اليه معنى الاضلال على هذا تشديد الامتحان الذي يكون عنده الضلال وذلك بأن ضرب لهم الأمثال لأن المحنة اذا اشتدت على المتحن فضل عندها سميت اضلالا واذا سهلت فاهتدى سميت هداية فالمعنى ان الله تعالى يتحن بهذه الامثال عباده فيضل بها قوم كثير ويهتدي بها قوم كثير ومثله قوله رب انهن أضللن كثيرا من الناس اي ضلوا عندها وهذا كما يقال للرجل اذا ادخل القضة النار لينظر فسادها من صلاحها فظهر فسادها افسدت فضتك وهو لم يفعل فيها الفساد وانما يراد أن فسادها ظهر عند محنته وقرب من ذلك قولهم فلان اضل ناقته ولا يريدون انه اراد ان يضل وانما يريدون ضلت منه لامن غيره وقولهم افسدت فلانة فلانا واذهبت عقله وهي ربما لم تعرفه ولكن لما ذهب عقله وفسد من اجلها اضيف الفساد اليها وقديكون الاضلال بمعنى التخلى على جهة العقوبة وترك النصح بالقر ومنع الاطاف التي تفعل بالمؤمنين جزاء على ايمانهم وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه افسدت سيفك اريد به انك لم تحدث فيه الاصلاح في كل وقت بالصقل والاحداد وقد يكون الاضلال بمعنى التسمية بالاضلال والحكم به كما يقال اضله اذا نسبه الى الضلال واكفره اذا نسبه الى الكفر قال الكسيت

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُوا نِيَّيْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالُوا مَسِيءٌ وَمُنْذِبٌ

وقديكون الاضلال بمعنى الاهلاك والعذاب والتدمير ومنه قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعي يوم يسحبون في النار على وجوههم ومنه قوله تعالى انذا ضللتنا في الأرض اي هلكنا وقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم اي لن يبطل سيديهم ويصلح بهم فعلى هذا يكون المعنى ان الله تعالى يهلك ويعذب بالكفر به كثيرا بأن يضلهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه فيهلكوا ويهتدي الى الثواب وطريق الجنة بالايمان به كثيرا عن ابي علي الجبائي ويدل على ذلك قوله وما يضل به الا الفاسقين لانه لا يخلو من ان يكون اراد به العقوبة على التكذيب كما قلناه او يكون اراد به التحيير والتشكيك فإن اراد الحيرة فقد ذكر انه لا يفعل الا بالفاسق التحير الشاك فيجب ان لا تكون الحيرة المتقدمة التي بها صاروا فاسقا من فعله الا اذا وجدت حيرة قبلها ايضا وهذا يوجب وجود ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا الى اول او ثبوت اضلال لا اضلال قبله واذا كان ذلك من فعله فقد اضل من لم يكن فاسقا وهو خلاف قوله وما يضل به الا الفاسقين وعلى هذا الوجه فيجوز أن يكون حكم الله تعالى عليهم بالكفر وبراءته منهم ولعنته عليهم اهلاكا لهم ويكون اهلاكا اضلالا وكل ما في القرآن من الاضلال المنسوب الى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز ان يضاف الى الله تعالى الاضلال الذي أضافه الى الشيطان والى فرعون والسامري بقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا وقوله وأضل فرعون قومه وقوله واضلهم السامري وهو ان يكون بمعنى التليس والتغليط والتشكيك والايقاع في الفساد والضلال وغير ذلك مما يؤدى الى التظلم والتجويز على ما يذهب اليه الجبيرة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

﴿ فصل في حقيقة الهداية والهدى ﴾

واذ قد ذكرنا اقسام الاضلال وما يجوز اضافته الى الله تعالى منها وما لا يجوز فلنذكر اقسام الهداية التي هي ضده اعلم ان الهداية في القرآن تقع على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان تكون بمعنى الدلالة والارشاد يقال هداها الطريق وللطريق والى الطريق اذا دله عليه وهذا الوجه عام لجميع المكلفين فإن الله تعالى هدى كل مكلف الى الحق بأن دله عليه وارشده اليه لأنه كلفه الوصول اليه فلم يدل عليه لكان قد كلفه بما لا يطيق ويدل عليه قوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقوله انا هديناه السبيل وقوله انزل فيه القرآن هدى للناس وقوله واما نوح فهديناهم فاستجروا العسى على الهدى وقوله انك لتهدى الى صراط مستقيم وقونه وهديناهم التجدين وما اشبه ذلك من الآيات (وثانيها) ان يكون بمعنى زيادة الاطاف التي بها يثبت على الهدى ومنه قوله تعالى والذين اعتدوا زادهم هدى

اي شرح صدورهم وثبتها (وثالثها) أن يكون بمعنى الاثابة ومنه قوله تعالى يهديهم ذبهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم وقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيديهم ويصلح بالهم والهداية التي تكون بعد قتلهم هي اثبتهم لا محالة لأنه ليس بعد الموت تكليف (ورابعها) الحكم بالهداية كقوله تعالى ومن يهد الله فهو المهتد وهذه الوجوه الثلاثة خاصة بالمؤمنين دون غيرهم لأنه تعالى انما يثيب من يستحق الاثابة وهم المؤمنون ويزيدهم بايمانهم وطاعاتهم الطافا ويحكم لهم بالهداية لذلك ايضا (وخامسها) ان تكون الهداية بمعنى جعل الانسان مهتديا بان يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحركا بخلق الحركة فيه والله تعالى يفعل العلوم الضرورية في القلوب فذلك هداية منه تعالى وهذا الوجه ايضا عام لجميع العقلاء كالوجه الاول فاما الهداية التي كلف الله تعالى العباد فعلها كالايان به وبانيانه وغير ذلك فانها من فعل العباد ولذلك يستحقون عليها المدح والثواب وان كان الله سبحانه قد انعم عليهم بدلاتهم على ذلك وارشادهم اليه ودعائهم الى فعله وتكليفهم اياه وامرهم به فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم ومنه واصلة اليهم وفضل منه واحسان لديهم فهو سبحانه مشكور على ذلك محمود اذ فعل بتمكينه والطفاه وضروب تسهلاته ومعوناته

قوله تعالى (٢٧) الَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

التنقض نقيض الابرام والعهد العتد والعهد الموثق والعهد الائتقاء وهو قريب العهد بكذا وعهد الله وصيته وامره يقال عهد الخليفة الى فلان بكذا اي امره واوصاه به ومنه قوله تعالى لم اعهد اليكم يا بني آدم والميثاق ما وقع التوثيق به كما ان الميثاق ما وقع التوقيت به ويقال فلان ثقة يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والمؤنث ويقال ثقات في الرجال والنساء والتقطع الفصل بين الشيتين واصل ذلك في الاجسام ويستعمل ذلك ايضا في الاعراض تشبيها به يقال قطع الحبل وقطع الكلام والامر هو قول القائل لمن دونه افعال هذه صيغته ثم يصير امرا بارادة الامر بالمأمور به وصيغة الامر تستعمل في الاباحة نحو قوله فاصطادوا وفي التهديد نحو قوله اعملوا ما شئتم وفي التحدي نحو قوله فاتوا بسورة من مثله وفي التكوين كقوله كن فيكون والاصل في الجميع الطلب والوصل نقيض الفصل وهو الجمع بين شيئين من غير حاجز والحسران النقصان والحسار الهلاك والخاسرون الهالكون واصل الحسران ذهاب رأس المال

﴿ الاعراب ﴾

الذين يتنقضون في موضع النصب لأنها صفة الفاسقين واولئك مبتدأ والخاسرون خبره وهم فصل ويجوز أن يكون مبتدأ والخاسرون خبره والجملة خبر اولئك وقوله من بعد ميثاقه من مزيدة وقيل معناه ابتداء الغاية والماء في ميثاقه عائد الى العهد ويجوز أن يكون عائداً الى اسم الله تعالى وقوله ان يوصل بدل من الماء التي في به اي ما امر الله بأن يوصل فهو في موضع جر به

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف الله الفاسقين المذكورين في الآية فقال لهم «الذين يتنقضون عهد الله» اي يهدمونه لايفنون به وقيل في عهد الله وجوه ﴿ احدها ﴾ انه ما ركب في عقولهم من ادلة التوحيد والعدل وتصديق الرسل وما احتج به لرسوله من العجرات الشاهدة لهم على صدقهم ونقضهم لذلك تركهم الاقرار بما قد بُيئت لهم صحته بالأدلة (وثانيها) انه وصية الله الى خلقه على لسان رسوله بما أمرهم به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته فنقضهم لذلك تركهم العمل به (وثالثها) ان المراد به كفار اهل الكتاب وعهد الله الذي نقضوه «من بعد ميثاقه» هو ما اخذوا عليهم

في التوراة من اتباع محمد (ص) والتصديق بما جاء به من عند ربه ونقضهم لذلك هو وجودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وكنانهم ذلك عن الناس بعد ان اخذ الله ميثاقهم لبيئته للناس ولا يكتبونه وانهم ان جاءهم نذير آمنوا به فلما جاءهم النذير ازدادوا نفورا ونبذوا العهد وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا واختار هذا الوجه الطبري (ورابعها) انه العهد الذي اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب آدم كما وردت به القصة وهذا الوجه ضعيف لأنه لا يجوز ان يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه ولا يكون عليه دليل وقوله تعالى «ويقطعون ما امر الله به ان يوصل» معناه امروا بصفة النبي (ص) والمؤمنين فقطعوه عن الحسن وقيل امروا بصفة الرحم والقرابة فقطعوها عن قتادة وقيل امروا بالايان بجميع الانبياء والكتب ففارقوا وقاتلوا ذلك وقيل امروا بان يصلوا القول بالعمل ففارقوا بينهما بان قالوا ولم يعملوا وقيل معناه الامر بوصل كل من امر الله بصلته من اوليائه والقطع والبراءة من أعدائه وهذا اقوى لأنه أعم ويدخل فيه الجميع وقوله «ويفسدون في الارض» قال قوم استدعواهم إلى الكفر هو الفساد في الارض وقيل اخافتهم السيل وقطعهم الطريق وقيل نقضهم العهد وقيل اراد كل معصية تعدى ضررها الى غير فاعلها والأولى حمله على العموم «او تلك هم الخاسرون» اي اهلكوا انفسهم فهم بمقتلة من هلك رأس ماله وروي عن ابن عباس ان كل ما نسيه الله تعالى من الخسار الى غير المسلمين فإنما غنى به الكفر وما نسيه الى المسلمين فإنما غنى به الدنيا

قوله تعالى (٢٨) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (آية)

﴿القرأة﴾

قرأ يعقوب ترجمون بفتح التاء على ان الفعل لهم والباقون بضم التاء وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله

﴿الاعراب﴾

كيف في الاصل سووال عن الحال ويتضح ذلك في الجواب اذا قيل كيف رايت زيدا فتقول مسرورا أو مهموما وما اشبه ذلك فتجيب باحواله فكيف ينتظم جميع الاحوال كما انكم ينتظم جميع العدد وما ينتظم جميع الجنس واين ينتظم جميع الاماكن ومن ينتظم جميع العقلاء ومعناه في الآية التوبيخ وتقديره امتعنين بحجة تكفرون فيكون منصوب الموضع على الحال والعامل فيه تكفرون وقال الزجاج هو استفهام في معنى التعجب وهذا التعجب انما هو للخلق او للمؤمنين اي اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم ومعنى وكنتم وقد كنتم والواو او الحال واضمار قد جاز اذا كان في الكلام دليل عليه ومثله قوله تعالى او جاءكم حصرت صدورهم اي قد حصرت صدورهم وهي جملة في موضع الحال وانما وجب اظهار قد في مثل هذا او تقديرها لأن الماضي لا يكون حالا وقد انما يكون لتقريب العهد وتقريب الحال فبدخوله يصلح ان يكون الفعل الماضي حالا

﴿المعنى﴾

ثم عاد الله تعالى الى الاحتجاج على الكفار في انكارهم البعث ووجودهم لرسله وكتبه بما انعم به عليهم فقال «كيف تكفرون بالله» ومن قال هو توبيخ قال معناه ويحكم كيف تكفرون كما يقال كيف تكفروا نعمًا فلان وقد احسن اليك ومن قال هو تعجب قال تقديره عجبنا منكم على اي حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل القاهرة على وحدانيته والمعجزات القاهرة على صدق من اختصه برسالته وقيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته وشكر نعمته ثم ذكر سبحانه بعض نعمه عليهم فقال «وكنتم امواتا فاحياكم» اي وحالكم انكم كنتم امواتا وفيه وجوه ﴿احدها﴾ انهم كانوا امواتا في اصلا بآبائهم يعني نطفة فاجابهم الله ثم اماتهم الموتة التي لا بد من

ثم احياهم بعد الموت فبها حياتان وهـ ورتان عن قتادة (وثانيتها) ان معناه لم تكونوا شيئاً فخلقكم ثم يبعثكم ثم يبعثكم يوم القيامة من ابن عباس وابن سعد (وثانيتها) ان معناه كتبتم امواتا يعني خاملوا الذكر فاحياكم بالظهور ثم يبعثكم مندفقني آجالكم ثم يبعثكم للبعث والعرب تسمي كل امرئ خامل ميتا وكل امرئ مشهور حياً كما قال ابو نجيل السعدي
فَأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً وَلَكِنْ بَعْضَ الَّذِي كَرَّ أَنْبَاءُ مِنْ بَعْضٍ
(ورابعها) ان معناه كتبتم نطقاً في اصلا بآبائكم وبطون امهاتكم والطفة وموات فاخرجكم الى دار الدنيا احياء ثم يبعثكم ثم يبعثكم في القبر للمساءلة ثم اليه ترجعون اي يبعثكم يوم الحشر للحساب والمجازاة على الاعمال وسمي الحشر رجوعاً الى الله تعالى لأنه رجوع الى حيث لا يكون احد يتولى الحكم فيه غير الله كما يقال رجوع امر القوم الى الامير ولا يراد به الرجوع من مكان الى مكان وانما يراد به ان النظر صار له خاصة دون غيره وانما بدأ الله تعالى بذكر الحياة من بين سائر النعم التي انعم بها على العبد لان اول نعمة انعم الله بها عليه خلقه اياه حياً لينعمه وبالحيات يتسكن الانسان من الانتعاش والالتذاذ وانما عد الموت من النعم وهو يقطع النعم في الظاهر لان الموت يقطع التكليف فيفضل المكلف بعد الى الثواب الدائم فهو من هذا الوجه نعمة وقيل انما ذكر الموت لتمام الاحتياج لا لكونه نعمة وفي هذه الآية دلالة على انه تعالى لم يرد من عباده الكفر ولا خلقه فيهم لأنه لو اراده منهم او خلقه فيهم لم يجز ان يضيفه اليهم بقوله كيف تكفرون بالله كما لا يجوز ان يقول لهم كيف اولم كتبتم طرالا او قصارا وما اشبه ذلك مما هو من فعله تعالى فيهم

قوله تعالى (٢٩) **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (آية)
﴿اللغة﴾

اصل الخلق التقدير والجمع الذم ونقيضه الفرق وسميت الجمعة جمعة لاجتماع الناس والاستواء الاعتدال والاستقامة ونقيضه الاعوجاج والسبع للمونث والسبعة للمذكر والسبع مشتق من ذلك لأنه مضاعف القوى كأنه ضوعف سبع مرات والعليم في معنى العالم قال سيديه اذا ارادوا المبالغة عدلوا الى فعل نحو عليم ورحيم

﴿المعنى﴾

قال المفسرون لما استعظم الشركون امر الاعداء عرفهم الله تعالى خالق السموات والارض ليدلهم بذلك على قدرته على الاعداء فقال «هو الذي خلق لكم» اي لا جلكم «ما في الارض جميعاً» ما في موضع نصب بأنه مفعول بها ومعناه ان الارض وجميع ما فيها نعم من الله تعالى مخلوقة لكم اما دينية فتستدلون بها على معرفته واما دنيوية فتنتفعون بها بضر وبالنفع عاجلاً وقوله «ثم استوى الى السماء» فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان معناه قصد للسماء وتسويتها كقول القائل كان الامير يدير امر الشام ثم استوى الى اهل الحجاز اي تحول تديره وفعله اليهم (وثانيتها) انه بمعنى استوى على السماء بالقهر كما قال لتستوا على ظهوره اي بتفروءه ومنه قوله ولا بلغ اشده واستوى اي تمكن من امره وقهره واه يملكه فعلى هذا يكون معناه ثم استوى الى السماء في تفرد به ملكها ولم يجعلها للارض ملكاً خلقه ومنه قول الشاعر
فَلَمَّا عَلَوْنَا وَأَسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمْ تَرَكْنَاهُمْ صُرْعَى لِنَسْرِ وَكَلْبِ

وقال آخر

ثُمَّ أَسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ يَهْرَاقِ

(وثانيتها) ان معناه ثم استوى امره وصعد الى السماء لأن اوامره وقضاياه تستل من السماء الى الارض عن ابن عباس (ورابعها) ماروي عن ثعلب احمد بن يحيى انه سئل عن معنى الاستواء في صفة الله عز وجل فقال

الاستواء الاقبال على الشيء . يقال كان فلان مقبلا على فلان يشتهه ثم استوى علي والي يكلمني على معنى اقبل الي علي فهذا معنى قوله ثم استوى الى السماء وقوله «فسويهن سبع سموات» التسوية جعل الشينين او الاشياء على استواء يقال سويت الشينين فاستويا وانما قال فسويهن فجمع الضمير العائد الى السماء لأن السماء اسم جنس يدل على القليل والكثير كقولهم اهلك الناس الدينار والدرهم وقيل السماء جمع سماء وسماوة ولذلك يؤنث مرة ويذكر اخرى فقيل السماء منفطر به كما يفعل ذلك بالجمع الذي بينه وبين واحده الماء نحو نخل ونخلة وبقر وبقرة وقيل ان السموات كانت سما فوق سما فهي في التقدير واحدة ويكون واحدة جماعة كما يقال ثوب اخلاق واسمال وبرقة اعشار وارض اعقال والمعنى ان كل ناحية منها كذلك فجمع على هذا والمعنى جعلهن سبع سموات مستويات بلا فطور ولا امت قال علي بن عيسى ان السموات غير الافلاك لأن الافلاك تتحرك وتدور والسموات لا تتحرك ولا تدور لقوله ان الله يمكس السموات والارض ان تزولا وهذا قول ضعيف لأن قوله ان تزولا معناه لا تزول عن مراكزها التي تدور عليها ولولا امساكة لثالث عنها

﴿سورة﴾

ظاهر قوله تعالى ثم استوى الى السماء يوجب انه خلق الارض قبل السماء لأن ثم للتعقيب والتراخي وقوله في سورة اخرى والارض بعد ذلك دحاها بخلافه فكيف يجمع بينهما الجواب معناه ان الله خلق الارض قبل السماء غير انه لم يدحاها فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك ودحاها بسطها ومدحا عن الحسن وعمرو بن عبيد وقد يجوز أيضا ان لا يكون معنى ثم وبعد في هذه الآيات الترتيب في الاوقات وانما هو على جهة تعداد النعم والتثنية عليها والاذكار لما كما يقول القائل لصاحبه اليس قد اعطيتك ثم رفعت منزلك ثم بدد هذا كله فعلت بك وفعلت وربما يكون بعض ما ذكره متقدما في اللفظ كان متأخرا لأن المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل وانما المراد التذكير كما ذكرناه وقوله «وهو بكل شيء عليم» ولم يقل قدير لأنه لما وصف نفسه بالقدرة والاستيلاء وصل ذلك بالعلم اذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الاتقان والاحكام وايضا فإنه اراد ان يبين انه عالم بما يوول اليه حاله وحال المنعم به عليه فتتحقق بذلك النعمة وفي هذه الآية دلالة على ان صانع السماء والارض قادر وعالم وانه تعالى انما يفعل الفعل لغرض وان له تعالى على الكفار نعمما يجب شكره عليهم بها وفيها ايضا دلالة على ان الاصل في الاشياء الاباحة لأنه ذكر انه خلق ما في الارض لنعمة العباد ثم صار حظا لكل واحد منهم فما يتفرد كل منهم بالتصرف فيه يحتاج الى دليل

قوله تعالى (٣٠) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿اللفظة﴾

القول موضوع في كلام العرب للحكاية نحو قولك قال زيد خرج عمرو والرب السيد يقال رب الدار ورب الفرس ولا يقال الرب بالالف واللام الا لله تعالى واصله من ربيته اذا قت بأمره ومنه قيل للعالم رباني لأنه يقوم بأمر الامة والملائكة جمع ملك واختلف في اشتقاقه فذهب اكثر العلماء الى انه من اللوكة وهي الرسالة وقال الخليل اللوكة الرسالة وهي المألثة والمالكة على منعة وقال غيره انما سميت الرسالة الوكا لأنها تولك في الفم اي تخضع والفرس تألك اللجام وتملك قال عدي بن زيد

أَيْلَنَا النِّعْمَانَ عَنِّي مَأْلَكًا أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَأَنْتَظَارُ
وَيُرَى مَلِكًا وَقَالَ لِيَدُ وَغُلَامٍ أَرْسَلْتَهُ أُمَّهُ
بِأَلْوَكٍ فَبَدَّتْ لَنَا مَسْأَلُ

وقال الهذلي الكني إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر
فالملائكة على هذا وزنها معافله لأنها مفاعلة مقلوبة جمع ملاك في معنى مالك قال الشاعر
فَلَسْتُ لِأَنْسِيَّ وَلَكِنْ لِمَالِكٍ تَنْزَلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ

فوزن ملاك مفعول مقلوب مالك مفعول ومن العرب من يستعمله مهورا والجمهور منهم على التاء حركة المهززة على اللام وحذفها فيقال ملك وذهب ابو عبيدة الى ان اصله من ذلك اذا ارسل فلاك على هذا القول مفعول وملائكة مفاعلة غير مقلوبة والميم في هذين الوجهين زائدة وذهب ابن كيسان الى انه من الملك وان وزن ملاك فعال مثل شمال وملائكة فمأنة فاليم على هذا القول اصلية والمهززة زائدة والملك وان كان اصله الرسالة فقد صار صفة غالبية على صنف من رسل الله غير البشر كما ان السماء وان كان اصله الارتفاع فقد صار غالبا على البوابات المعروفة وقال اصحابنا رضي الله عنهم ان جميع الملائكة ليسوا برسل الله بدلالة قوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فلو كانوا كلهم رسلا لكان جميعهم مصطفين فعلى هذا يكون الملك اسم جنس ولا يكون من الرسالة والجمل والخلق والنمل والاحداث نظائر الا ان الجمل قد يتعلق بالشيء لاعلى سبيل اليجاد بخلاف النمل والاحداث تقول جعلته متحركا وحققة الجمل تغيير الشيء عما كان عليه وحققة الفعل والاحداث اليجاد والخليفة والامام واحد في الاستعمال الا ان بينهما فرقا فالخليفة من استخلف في الأمر مكان من كان قبله فهو مأخوذ من انه خلف غيره وقام مقامه والامام مأخوذ من التقدم فهو المتقدم فيا يقضي وجوب الاقتداء به وفرض طاعته في تقدمه فيه والسفك صب الدم والدم قد اختلف في وزنه فقال بعضهم دمي على وزن فعل قال الشاعر

فَلَوْ أَنَا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ

وقيل اصله دمي على وزن فعل والشاعر لما رد الأيا في التثنية لغة الاسم حركة يعلم انه كان متحركا قبل ذلك والتسبيح التثنية لله تعالى عن السوء واما لا يليق به والسبح المستحق للتثنية والتعظيم والقدوس المستحق للتطهير والتقديس التطهير وتقيضه التنجيس والقدس السطل الذي يتطهر منه وقد حكى سيويه ان منهم من يقول سبوح قدوس بالفتح والضم اكثر في الكلام والفتح اقبس لأنه ليس في الكلام فعول الاذودوح وسبحان اسم المصدر وقال سيويه سبحان الله معناه براة الله من كل سوء وتثنيه الله قال الاعشى

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مِنْ عَاقِمَةِ الْفَاحِشِ

اي براة منه قال وهو معرفة علم خاص لا ينصرف للتعريف والزيادة وقد اضطر الشاعر فتونته قال امية
سُبْحَانَكَ نَمَّ سُبْحَانًا يَعُودُ لَهُ وَقَبْلَهُ سُبْحَانُ الْجُودِيِّ وَالْجَمْدُ
وهو مشتق من السبح الذي هو الذهاب ولا يجوز ان يسبح غير الله وان كان مترها لأنه صار علما في الدين على اعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه كما ان العبادة هي غاية في الشكر لا يستحقها سواه

﴿ الاعراب ﴾

قال ابو عبيدة اذ هبنا زائدة وانكر الزجاج وغيره عليه هذا القول وقالوا ان الحرف اذا افاد معنى صحيحا لم يجز العاوة قال الزجاج ومعناها الوقت ولما ذكر الله تعالى خلق الناس وغيرهم فكانه قال ابتداء خلقكم اذ قال ربك للملائكة وقال علي بن عيسى تقديره اذكر اذ قال ربك للملائكة فوضع اذ نصب على اضرار فعل والواو عاطفة جملة على جملة واني جاعل في الارض خليفة جملة في موضع نصب بقال وقوله تجمل فيها الى قوله ونقدس لك في موضع نصب بقالوا والواو في قوله ونحن واو الحال وتسمى واو القطع وواو الاستئناف وواو الابتداء وواو اذ كذا كان يمثلها سيويه ومثله الواو في قوله ينشى طائفة منكم وطائفة قد اهتمهم انفسهم

(*) هكذا في النسخ المخطوطة والمطبوعة وفي لسان العرب وقبنا ولطه الاصح

اي اذ طائفة وكذا ههنا اذ نحن نسيح والعامل في الحال ههنا اتجمل كأنه قال اتجمل فيها من يفسد فيها وهذه حاننا والبا. في بجمدك تتعلق بنسيح واللام من لك تتعلق بنقدس وما موصولة وصلته لا تعلمون والعائد ضمير المفعول حذف لطول الكلام اي لا تعلمونه وهو في موضع النصب باعلم

المعنى

اذ كرنا محمد "اذ قال ربك للملائكة" قيل انه خطاب لجميع الملائكة وقيل خطاب لمن اسكنه الارض بعد الجان من الملائكة عن ابن عباس "اني جاعل في الارض خليفة" اي خالق في الارض خليفة اراد بالخليفة آدم (ع) فهو خليفة الله في ارضه يحكم بالحق الا انه تعالى كان اعلم ملائكة انه يكون من ذريته من يفسد فيها عن ابن عباس وابن مسعود وقيل انما سمي الله تعالى آدم خليفة لانه جعل آدم وذريته خلفا للملائكة لان الملائكة كانوا من سكان الارض وقيل كان في الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل آدم وذريته بدلهم عن ابن عباس وقيل عني بالخليفة ولد آدم يخلف بعضهم بعضا وهم خلقوا اباهم آدم في اقامة الحق وعمارة الارض عن الحسن البصري وقيل اراد بالارض مكة لان النبي (ص) قال دحيت الارض من مكة ولذلك سميت ام القرى وروي ان قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والركن والمقام والظاهر انها الارض المعروفة وهو الصحيح وقوله قالوا يعني الملائكة لله تعالى اتجمل فيها اي في الارض من يفسد فيها بالكفر والمعاصي ويسفك الدماء بغير حق وذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان خلقا يقال لهم الجان كانوا في الارض فافسدوا فيها فبعث الله ملائكة اجلتهم من الارض وكان هو لا. الملائكة سكان الارض من بعدهم فقالوا ياربنا "اتجمل فيها من يفسد فيها" كما فعل بنو الجان قاسوا بالشاهد على الغائب وهو قول كثير من المفسرين (وثانيتها) ان الملائكة انما قالت ذلك على سبيل الاستفهام وعلى وجه الاستخبار والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لاعلى وجه الانكار ولا على سبيل الاخبار فكأنهم قالوا يا الله ان كان هذا كما ظننا فعرفنا ما وجه الحكمة فيه (وثالثها) ان الله تعالى اخبر الملائكة بأنه سيكون من ذرية هذا الخليفة من يعصي ويسفك الدماء على ما روي عن ابن عباس وابن مسعود والعرض في اعلامه اياهم ان يزيدم يقينا على وجه علمه بالقياس لانه وجد بعد ذلك على ما اخبرهم به وقيل يعلم آدم انه خالق للارض لالجنة فقالت الملائكة اتجمل فيها من يفعل كذا وكذا على وجه التعرف المتيقن من التدبير والاستناد لوجه الحكمة فيه وهذا الوجه يقتضي ان يكون في اول الكلام حذف ويكون التقدير اني جاعل في الارض خليفة واني عالم بانهم سيكون في ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء. حذف اختصارا وكذلك قوله "اتجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" ونحن نسيح بجمدك ونقدس لك" في ضمنه اختصار شديد اي فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الامر اولى بالخلافة في الارض لانا نطيع وغيرنا يعصي وفي قوله "اني اعلم مالا تعلمون" اختصار ايضا لانه يتضمن اني اعلم من مصالح الكلفين مالا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنون على ظواهر الامور ومثل هذه الحذف العجيبة والاختصارات البديعة كثيرة في القرآن والحذف معدود في انواع الفصاحة اذا كان فيها ابي دليل على مااتي وما جاء منه في الشعر قول الشنفرى

ولا تقبروني إن قبري محرم عليكم ولكن خاصري أم عامر

اي لا تدفوني بل دعوني تاكلي التي يقال لها خاصري ام عامر يعني الضبع وقول ابي داود

إن من شيمتي لبذل تلادي دون عرضي فإن رضيت فكوني

اي فكوني على ما نت عليه وان سقطت فبيني حذف وقال عنقرة

هل بيلغني دارها شذية لئمت بخروم الشراب مصرم

اي دعى عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك والناقاة اذا كانت لا تتج كانت اقوى على السير وانما ارادت الملائكة بقولهم اتجمل فيها من يفسد فيها ولد آدم الذين لبسوا بأنبياء ولا مصومين لا آدم

نفسه ومن يجري مجراه من الانبياء والمعصومين ومعنى قولهم ونحن نسبح بحمدك تتكلم بالحمدك والتعلق بالحمد لله تسبيح له كقوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم وانما يكون حمد الحامد لله سبحانه تسبيحا لأن معنى الحمد لله الثناء عليه والشكر له وهذا تتره له واعتراف بأنه اهل لأن يتره ويعظم ويشئى عليه عن مجاهد وقيل معنى نسبح بحمدك نصلي لك كقوله فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين مع ابن عباس وابن مسعود وقيل هو رفع الصوت بذكر الله عن المفضل ومنه قول جرير

قَبِّحَ الْإِلَٰهَ وَجُوهَ تَغَلَّبَ كُلَّمَا سَبَّحَ الْحَيَّحَيِّجُ وَكَبَّرُوا إِهْلَالَا

وقوله ونقدس لك اي نزهك عما لا يليق بك من صفات القص ولا نضيف اليك القبائح فاللام على هذا زائدة اي نقدسك وقيل نقدس لك اي نصلي لاجلك وقيل نظهر انفسنا من الخطايا والمعاصي قوله « اني اعلم ما لا تعلمون » قيل اراد ما اضره ابليس من الكبر والعجب والمصيبة لا امره الله سبحانه بالسجود لا دم عن ابن عباس وابن مسعود وقيل اراد اعلم من في ذرية آدم من الانبياء والصالحين عن قتادة وقيل اراد به ما اختص الله تعالى بعلمه من تدبير الصالح وروي عن ابي عبد الله قال ان الملائكة سألت الله تعالى ان يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقدرناك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا قال فلما اجيبوا بما ذكر في القرآن علموا انهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفارا فامر الله تعالى آدم بعد هبوطه ان يبني له في الارض بيتا يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة القربون فقال الله تعالى للملائكة اني اعرف بالصلحة منكم وهو معنى قوله اعلم ما لا تعلمون وهذا يدل على انه تعالى لا يفعل التسبيح لأنه لو كان يحسن منه كل شيء لم يكن لهذا الكلام معنى لانه انما يفيد في الجواب متى حمل على انه اراد اني اعلم بالمصالح فافعل ما هو الاصلح

﴿ النظم ﴾

واتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى ذكر اول النعم له علينا وهي نعمة الحياة ثم ذكر بعده انعامه علينا بخلق الارض وما فيها وخلق السما ثم اراد ان يذكر نعمته علينا بخلق آيينا آدم عليه السلام وما اعطاه من الفضيلة فكانه قال اذكر لهم كيف تكفرون بالله وقد فعل بكم كذا وكذا وانعم عليكم بكذا وكذا

قوله تعالى (٣١) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وأهل البصرة هــ لا. بـمـدة واحدة ولا يمدونها الاعلى قدر خروج الألف ويمدون اولاً كأنهم يجعلونه كلمتين والباقيون يمدون مدتين في كل القرآن فاما الميمتان من كلمتين نحو هــ لا. ان كنتم صادقين ونحوها فابو جعفر ونافع يرواية ورش وابن كثير يرواية القواس ويعقوب يهزون الاولى ويحذفون الثانية ويشيرون بالكسرة اليها وكذلك يفعلون في كل همزتين متفتحتين تلتقيان من كلمتين مكسورتين كانتا او مضمويتين او مفتوحتين فالكسورتان على البعاء ان اردن والمضومتان اولياء او أنك ليس في القرآن غيره والمفتوحتان جاء احدكم وشاء أشره وابو عمرو والبزي يهزونه واحدة فيتركان احديها اصلا اذا كانتا متفتحتين ونافع يرواية لساميل وابن كثير يرواية ابن فليس بتلين الاولى وتحقير الثانية واذا اختلفتا فاتفتحا على همز الاولى وتلين الثانية نحو السفها. الا والبغضاء. الى يوم القيامة فلما ابن عامر وعاصم والكسائي فانهم يهزون همزتين في جميع ذلك متفتحتين كانتا او مختلفتين اما الحذف والتلين فلا تخفيف واما الهمز فلحاصل على الأصل

﴿ اللفظة ﴾

في اشتقاق آدم قولان ﴿ احدهما ﴾ انه مأخوذ من اديم الارض فاذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته

صرفته (والثاني) أنه مأخوذ من الأدمة على معنى اللون والصفة فإذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته لم تصرفه والادمة والسرة والدكنة والورقة متقاربة المعنى وآدم ابو البشر عليه السلام قال صاحب العين الادمة في الناس شربة من سواد وهي السمرة وفي الابل والظباء بياض وكل لفظة عموم على وجه لاستيعاب وحقيقته للأحاطة بالأبغاض يقال ابغض القوم جاءك ام كلهم ويكون تأكيداً مثل اجمعون الا أنه يبدأ في الذكر بكل كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون لأن كلاً قد يلي الدوامل واجمعون لا يكون الا تبليغاً والعرض من قولهم عرضت الشيء عليه وعرضت الجنود قال الزجاج اصله في اللغة الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول وعرض الرجل ما يمدح به او يذم ويقال عرضه خليفته المحموده ويقال عرضه حسبه وقال علي بن عيسى هو ناحيته التي يصونها عن المكروه والسب والعرض ما يعرض في الجسم ويغير صفته ويقال عرضت المتاع على البيع عرضاً اي اظهارته حتى عرفت جهته والانبيا والاعلام والأخبار واحد والنبأ الخبر ويقال منه انبأته ونبأته وانبأوني باسماء هو لاء اي اخبروني بها وأما المتعدي الى ثلاثة مفاعيل نحو انبأت زيدا عمراً خير الناس وكذلك نبأت فهو هذا في الاصل الا أنه حمل على المعنى فعدي الى ثلاثة مفاعيل لأن الانبأ بمعنى الاعلام ودخول هذا المعنى فيه وحصول مشابهته للاعلام لم يخرج من الاصل الذي هو له من الاخبار وعن أن يتعدى الى مفعولين احدهما بالباء او بمن نحو نبئهم عن ضيف ابراهيم والثبوة اذا اخذت من الانبأ فهي مهوزة فقد روي عن النبي (ص) انه قال لا تنبئن باسمي لرجل قال له يا نبي الله مهوزا والنبي بغير همز الطريق الواضح يأخذ بك الى حيث تريد والفرق بين الاعلام والأخبار ان الاعلام قد يكون بخلق العلم الضروري في القلب كما خلق الله من كمال العقل والعلم بالمشاهدات وقد يكون بنصب الأدلة على الشيء والاخبار هو اظهار الخبر علم به او لم يعلم ولا يكون مخبراً بما يحدثه من العلم في القلب كما يكون معلماً بذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم ابان سبحانه وتعالى للملائكة فضل آدم عليهم وعلى جميع خلقه بما خصه به من العلم فقال سبحانه وتعالى «وعلم آدم الاسماء كلها» اي علمه معاني الاسماء اذ الاسماء بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لاشارة الفضية بها وقد نبه الله تعالى الملائكة على ما فيها من لطيف الحكمة فاقرؤا عند ما سئلوا عن ذكرها والاخبار عنها انه لا علم لهم بها فقال الله تعالى «يا آدم انبئهم باسمائهم» عن قتادة وقيل انه سبحانه علمه جميع الاسماء والصناعات وعماراة الارضين والاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار ومنافعها وجميع ما يتعلق بعمارة الدين والدنيا عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعن اكثر المتأخرين وقيل انه علمه اسماء الاشياء كلها ما خلق وما لم يخلق بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده بعده عن ابي علي الجبائي وعلي بن عيسى وغيرهما قالوا فاخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان القوم واعتادوه وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه ويجوز ان يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات الى زمن نوح (ع) فلما اهلك الله الناس الانوحا ومن تبعه كانوا هم العارفين بتلك اللغات فلما كثروا وتفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها وتركوا ما سواه ونسوه وقد روي عن الصادق (ع) انه سئل عن هذه الآية فقال الارضين والحيال والشعاب والادوية ثم نظر الى بساط تحته فقال وهذا البساط بما علمه وقيل انه علمه اسماء الملائكة واسماء ذريته عن الربيع وقيل انه علمه القاب الاشياء ومعانيها وخواصها وهو ان الفرس يصلح لماذا والحمار يصلح لماذا وهذا ابلغ لأن معاني الاشياء وخواصها لا تتغير بتغير الأزمنة والاقوات والقاب الاشياء تتغير على طول الأزمنة وقال بعضهم انه تعالى لم يعلمه اللغة العربية فإن أول من تكلم بالعربية اساميل (ع) وقالوا ان الله جعل الكلام معجزة لثلاثة من الانبياء آدم واساميل ومحمد (ص) ثم اختلف في كيفية تعليم الله تعالى آدم الاسماء فقيل علمه بأن اودع قلبه معرفة الاسماء وفتق لسانه بها فكان يتكلم بتلك الاسماء كلها وكان ذلك معجزة له

لكونه ناقضا للعادة وقيل علمه اياها بأن اضطره الى العلم بها وقيل علمه لئلا يفتخر على الملائكة ثم علمه بتلك اللغة سائر اللغات وقيل انما علمه اسماء الاشخاص بأن احضر تلك الاشياء وعلمه اسماءها في كل لغة وأنه لا شيء يصلح واي نفع فيه واي ضرر وقوله «ثم عرضهم على الملائكة» روي عن ابن عباس انه قال عرض الخلق وعن مجاهد قال عرض اصحاب الاسماء وعلى هذا فيكون معناه ثم عرض السميات على الملائكة وفيهم من يعقل وفيهم من لا يعقل فقال عرضهم غلب العقلاء فأجرى على الجميع كتابا من يعقل كقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يشي على بطنه ومنهم من يشي على رجلين ومنهم من يشي على اربع اجري عليهم كتابا من يعقل في قراءة النبي ثم عرضها وفي قراءة ابن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح ان يكون عبارة عن الاسماء دون السميات واختلف في كيفية العرض على الملائكة فقيل انما عرضها على الملائكة بأن خلق معاني الاسماء التي علمها آدم حتى شاهدها الملائكة وقيل صور في قلوبهم هذه الاشياء فصارت كأنهم شاهدها وقيل عرض عليهم من كل جنس واحدا واراد بذلك تعبيرهم فان الانسان اذا قيل له ما اسم شيء صفتة كذا وكذا فلم يعلم كان ابلغ عذرا بمن عرض عليه شيء بعينه وسئل عن اسمه فلم يعرفه وبين بذلك ان آدم عليه السلام اصطلح لكسب الخدائيات الارض وعمارقتها لاهتدائه الى ماله تهدي الملائكة اليه من الصناعات المختلفة وحوث الارض وزراعتها وانباط الماء واستخراج الجواهر من المعادن وقعر البحار بلطائف الحكمة وهذا يقوي قول من قال انه علمه خواص الاشياء واراد به انكم اذا عجزتم عن معرفة هذه الاشياء مع مشاهدتكم لها فأنتم عن معرفة الامور الغيبية عنكم اعجز فقال «انثوني بأسماء» هو لا ان كنتم صادقين ان سئل فقيل ما الذي ادعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا وكيف امرهم الله سبحانه ان يخبروا بما لا يعلمون فالجواب ان العلماء فيه وجوها من الكلام ﴿احدها﴾ ان الله تعالى لما اخبر الملائكة بأنه جاعل في الارض خليفة هجس في نفوسها انه ان كان الخليفة منهم بدلا من آدم وذريته لم يكن في الارض فساد ولا سفك دم كما يكون في ولد آدم وان كان الله لا يفعل الا ما هو الاصلح في التدبير والاصوب في الحكمة فقال الله تعالى «انثوني بأسماء هو لا ان كنتم صادقين» فيا ظننتم من هذا المعنى ليدلم على انهم اذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من ان يعلموا باطن ما غاب عنهم ابعد (وثانيها) انهم خطر ببالهم انه لن يخلق الله خلقا الا وهم اعلم منه وفضل في سائر انواع العلم فقيل «ان كنتم صادقين» في هذا الظن فاجروا بهذه الاسماء (وثالثها) ان المراد ان كنتم صادقين في انكم تعلمون لم اجعل في الارض خليفة فانثوني بأسماء هو لا ان كنتم صادقين لأن كل واحد من الامرين من علم التيب فكما لم تعلموا احدهما لتعلموا الاخر عن ابن عباس (ورابعها) ما قاله الاخفش والجبائي وعلي بن عيسى وهو ان المراد «ان كنتم صادقين» فيا تخبرون به من اسمائهم فاجروا بها وهذا كقول القائل لغيره (اخبر بما في يدي ان كنت صادقا) اي ان كنت تعلم فاجبره لانه لا يمكنه ان يصدق في مثل ذلك الا اذا اخبر عن علم منه ولا يصح ان يكلف ذلك الامع العلم به ولا بد اذا استدعوا الى الاخبار عما لا يعلمون من ان يشترط هذا الشرط وعلى هذا فيكون لفظه الامر ومناه التنبية او يكون امرا مشروطا كما يقول العالم للمتعلم ما تقول في كذا ويعلم انه لا يحسن الجواب لينبه عليه ويحثه على طلبه والبحث عنه ولو قال له اخبر بذلك ان كنت تعلم او ان كنت صادقا لكان حسنا فاذا تبه على انه لا يمكنه الجواب اجابه حينئذ فيكون جوابه بهذا التدرج اثبت في قلبه وواقع في نفسه ولا يجوز ان يكون ذلك تكليفا لأنه لو كان تكليفا لم يكن تبينا لهم ان آدم يعرف اسماء هذه الاشياء بتعريف الله اياه وتخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه هم فلما اراد تعريفهم ما خص به آدم من ذلك علمنا انه ليس بتكليف وفي هذه الآية دلالة على شرف العلم واهله من حيث ان الله سبحانه لما اراد تعريف آدم (ع) اختصه بعلم ابانه به من غيره وفضله به على من سواه

قوله تعالى (٣٢) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحكمة نقيض السفه والاحكام الاتقان والحكيم المانع من الفساد رمنه حكمة اللجام لانها تمنع الفرس من الجري الشديد قال جرير

أَبْنِي حَقِيقَةً أَحْكِمُوا سُفَهَاكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا

اي امنعهم والحكمة هي التي تقف بك على امر الحق الذي لا يخطئه باطل بالصدق الذي لا يشوبه كذب ومثه قولا حكمة بالغة ورجل حكيم اذا كان ذلك شأنه وكانت معه اصول من العلم والمعرفة ويقال حكم يحكم في الحكم بين الناس وحكم يحكم اذا صار حكيا والحكمة في الانسان هي العلم الذي يمنع صاحبه من الجهل

﴿ الاعراب ﴾

سبحانك نصب على المصدر قال سيوريه سبجت الله تسبيحا وسبحانا فالمصدر تسييح وسبحان اسم يقوم مقام المصدر واللام من قوله نايتعلق محذوف فيكون جملة ظرفية في موضع رفع بالخبر لأن لا علم في موضع رفع بالابتداء وما علمتنا موصول وصلة والضمير من علمتنا العائد اليه محذوف تقديره ما علمتنا وهو في موضع رفع بدل من موضع لا علم وانت يجوز ان يكون فصلا فيكون لاموضع له من الاعراب وخبر ان العليم الحكيم ويؤيد أن يكون مبتداء والجملة خبر ان

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن الملائكة بالرجوع اليه والتسليم لأمره فقال «قالوا» اي الملائكة «سبحانك» اي تنزيها لان وتعظيما عن أن يعلم الغيب احد سواك عن ابن عباس وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك وقيل أنهم ارادوا ان يخرجوا الجواب مخرج التعظيم فقالوا تنزيها لك عن فعل كل قبيح وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في افعالك وقيل انه على وجه التعجب بسوالمهم عما لا يعلمونه وقوله «لاعلم لنا الا ما علمتنا» معناه انا لانعلم الا بتعليمك وليس هذا فيما علمتنا ولو أنهم اقتضروا على قولهم لا علم لنا لكان كافيا في الجواب لكن ارادوا ان يضيفوا الى ذلك التعظيم له والاعتراف بانعامه عليهم بالتعليم وان جميع ما يعلمونه انا يعلمونه من جهته وان هذا ليس من جملة ذلك وانما سألهم سبحانه عما علم انهم لا يعلمونه ليقرهم على انه لا يعلمون الا ما علمهم الله وليرفع به درجة آدم عندهم بأنه علمه ما لم يعلموه وقوله «انك انت العليم» اي المالم بجميع المعلومات لأنه من صفات ذاته وهو مبالغة العالم وقيل أنهم اثبتوا له ما نفوه عن انفسهم اي انت العالم من غير تعليم ونحن المعلمون وقوله «الحكيم» يحتل امرين ﴿ احدهما ﴾ أنه بمعنى المالم لأن العالم بالشيء يسمى بأنه حكيم فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم ويوصف بها فيما لم يزل لأن ذلك واجب في المالم انفسه (والثاني) أن معناه الحكم لأفعاله ويكون فعلا بمعنى مفعول وعلى هذا يكون من صفات الافعال ومعناه ان افعاله كلها حكمة وصورا وليس فيها تفاوت ولا وجه من وجوه التبع وعلى هذا فلا يوصف بذلك فيم يزل وروي عن ابن عباس أنه قال «العليم» الذي كمل في علمه «والحكيم» الذي كمل في حكمته وفي هذه الآية دلالة على ان العلوم كلها من جهته تعالى وانما كان كذلك لأن العلوم لا تخلو اما ان تكون ضرورية فهو الذي فعلها واما ان تكون استدلالية فهو الذي اقام الأدلة عليها فلا علم لأحد الا ما علمه الله تعالى

قوله تعالى (٣٣) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

روي عن ابن عامر انبئهم بالهمزة وكسر الما والباقون بضم الما.

﴿الحجة﴾

من ضم الهاء حملها على الاصل لأن الاصل أن تكون هاء الضمير مضمومة وانما تكسر الهاء اذا وليها كسرة
 ا. يا نحو بهم وعليهم ومع هذا فقد ضمهم قوم حملا على الاصل ومن كسر الهاء التي قبلها همزة مخففة فإن لذلك وجهها
 من القياس وهو انه اتبع كسرة الهاء الكسرة التي قبلها ولم يعتد بالحاجز الساكن كما حكى عنهم هذا المرء ورأيت
 ا. ومرتت بالمرء فاتبعوا مع هذا افضل كما اتبعوا في اللغة الاخرى هذا امرؤ ورأيت امرأ ومررت بامرئ
 وحكى ابو زيد عن بعض العرب اخذت هذا منه ومنها ومنهم من كسر الضمير في الادراج والوقف ولم يعرفه ولم اضربه

﴿اللغة﴾

الابداء والاظهار والاعلان بمعنى واحد وضد الابداء الكتابان وضد الاظهار الابطان وضد الاعلان الاسرار
 ويقال بدبايدو وبدوأم من الظهور وروبدأ بدأ بالهمزة بمعنى استأنف وقال علي بن عيسى الرمانى - حد الظهور والحصول على حقيقة
 يمكن ان تعلم بسهولة والله سبحانه ظاهر بأدائه باطن عن احساس خلقه وكل استدلال فانها يظهر ليشي . بظهور غيره

﴿الاعراب﴾

آدم منادى مفرد معرفة مبني على الضم ومحل النصب لأن المنادى مدعو والمدعو مفعول

﴿المعنى﴾

ثم خاطب الله تعالى آدم فقال «يا آدم انبئهم» اي اخبر الملائكة «بأسمائهم» يعني بأسماء الذين مرضهم عليهم
 وهم كناية عن المرادين بقوله اسماء هو لاولا وقدمضى بيانه «فلما انبأهم» يعني اخبرهم آدم «بأسمائهم» اي باسم كل
 شي . ومنافعه ومضاره قال الله تعالى للملائكة «الم اقل لكم» الالف للتثنية وان كان اصلها الاستفهام كقول القائل
 «ما ترى اليوم ما اطيبه» لمن يعلم ذلك وحكى سيويه اما ترى اي يرق ههنا ومن الناس من قال ان هذه الالف
 معناها التوبيخ ومن لم يجز على الملائكة المعصية منع من ذلك «اني اعلم غيب السماوات والارض» اي اعلم
 ما غاب فيها عنكم فلم تشاهدوه فما اعلم ما حضركم فشاهدتوه «واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» قيل فيه
 اقوال ﴿احدها﴾ أنه اراد اعلم سركم وعلائيتكم وذكر ذلك تنبيها لهم على ما يحيلهم عليه من الاستدلال
 لأن الاصول الاول التي يستدل بها انما تذكر على وجه التنبيه ليستخرج بها غيرها فيستدل بعلمه الغيب على انه
 خلق عباده على ما خلقهم عليه للاستصلاح في التكليف وما توجه الحكمة (ومثليها) انه اراد اعلم «ما تبدون»
 من قولكم التجمل فيها من يفسد فيها «وما كنتم تكتمون» من اخبار ابليس المعصية والمخالفة قال علي بن عيسى
 وهذا ليس بالوجه لأن الخطاب للملائكة وليس ابليس منهم ولأنه عام فلا يخص الا بدليل وجوابه ان ابليس
 لا دخل معهم في الامر بالسجود جاز ان يذكر في جملتهم وقد رويت روايات تؤيد هذا القول واختاره الطبري
 (وثالثها) ان الله تعالى لا خلق آدم مرت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الروح ولم تكن رأت مثله فقالوا ان
 يخلق الله خلقا الاكثرا منه وافضل عنده فهذا ما اخفوه وكسوه ولما ما ابدوه فقولهم «التجمل فيها من يفسد
 فيها» روي ذلك عن الحسن والاول اقوى لأنه اعم ومما يسأل في هذه الآية ان يقال ما وجه ذكره تعالى لهم
 الاسرار من علم الغيب والجواب أنه على معنى الجواب فيما سألوا عنه من خلق من يفسد ويسفك الدماء على وجه
 التمريض دون التصريح لأنه لو صرح بذلك لقال خلقت من يفسد ويسفك الدماء لا اعلم في ذلك من الصلحة
 لبادي فيما كلفتهم اياه فدل سبحانه بالاخالة في الجواب على العلم بباطن الأمور وظاهرها أنه خلقهم لأجل علمه
 بالصلحة في ذلك ودلهم بذلك على أن عليهم الرضا بأمر الله والتسليم لقضاء الله لأنه يعلم من الغيب ما لا يعلمونه ويعلم
 من مصالحهم في دينهم وديناهم ما لا يطلعون عليه فإن قيل واي شي . في تعليم الله تعالى آدم الاسماء كلها بما يدل
 على علمه بالغيب فالجواب قيل انه تعالى علمه الاسماء كلها بما فيها من المعاني التي تدل عليها على جهة فتق لسانه بذلك

والهامه اياها فهي معجزة اقامها الله تعالى للملائكة تدل على نبوته وجلالة قدره وارتقاع شأنه بما اختصه الله به من العلم الذي لا يوصل اليه الا بتعليم الله عز وجل ودلهم على ذلك بأن قورهم اولاً فاقروا بأن لا علم لهم به ثم اظهر لهم ان آدم يعلمه بتعليم الله اليه فبان بذلك الاعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل الى علمه الا من علمه الله من المعجزة انه فتق لسانه على خلاف مجرى العادة وانه علمه من لطائف الحكمة ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها وانه اعرف الخلق بربها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكداً لا يعلمونه من ذلك بالادلة العقلية ولذلك نبههم فقال «الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض» اي قد دلتكم على ذلك قبل وهذه دلالة بعد وقد افتتح الله تعالى الدلالة على الاعجاز بالكلام في آدم ثم ختم به في محمد (ص) قال السيد الاجل المرتضى قدس الله روحه وفي هذه الآية سورال لم اجد احداً من مفسري القرآن تعرض له وذلك ان يقال من اين علمت الملائكة صحة قول آدم ومطابقة الاسماء المسميات وهي لم تكن عالمه بذلك من قبل والكلام يقتضي انهم لما انبأهم آدم بالاسماء علموا صحتها ولو لا ذلك لم يكن لقوله تعالى «الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض» معنى ولما كانوا ايضا مستفيدين نبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لأن كل ذلك انما يتم مع العلم والجواب انه غير ممتمع ان يكون الله تعالى جعل لهم العلم الضروري بصحة الاسماء ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتداء بلا طريق فعملوا بذلك تمييزه واختصاصه وليس في علمهم بصحة ما اخبر به ما يقتضي العلم بنبوته ضرورة قبل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها حتى يحصل العلم بنبوته ضرورة ووجه آخر وهو انه لا يمتنع ان يكون للملائكة لغات مختلفة وكل قبيل منهم يعرف اسما الاجناس في لغته دون لغة غيره الا أنه يكون احاطة عالم واحد بأسماء الاجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم علمه جميع تلك الاسماء فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما اخبر به من الاسماء ولغته وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل وعلى هذا الجواب فيكون معنى انبئوني باسماء هو لا ليخبرني كل قبيل منكم بجميع الاسماء وهذا الجوابان مبنيان على انه لم يتقدم لهم العلم بنبوة آدم وان اخبره بالاسماء كان مفتوح معجزاته لانه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا نبوته بمعجزات تقدم ظهورها على يده لم يحتاج الى هذين الجوابين لانهم يعلمون مطابقة الاسماء للمسميات بعد ان لم يعلموا بقوله الذي علموا انه حق وصدق

قوله تعالى (٣٤) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وحده للملائكة اسجدوا بضم التاء حيث وقع وكذلك قل رب احكمم بضم الباء.

﴿ الحجة ﴾

اتبع التاء ضمة الجيم وقيل انه نقل ضمة الهزرة لو ابتدئ بها والاول اقوى لان الهزرة تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل

﴿ اللغة ﴾

السجود الخضوع والتذلل في اللغة وهو في الشرع عبارة عن عمل مخصوص في الصلاة كالركوع والقنوت وغيرها وهو وضع الجبهة على الارض ويقال سجدوا سجداً اذا خضع قال الاعشى

مَنْ يَلْقَى هَوْدَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّسِبٍ إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ الرَّأْسِ أَوْ خَضَعًا
وقال آخر فَكَلَّمْنَا هُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تُخْخَفِ
ونساء سجد اذا كن فترات العين قال (وهوي الى حور الدامع سجداً) والاسجد الاطراق وادامة النظر في

فتور وسكون قال **أَعْرَكَ مِنِّي أَنْ دَلَّكَ عِنْدَنَا وَإِسْجَادَ عَيْنِكَ الصُّوْدَيْنِ رَاحٍ**
 واني معناه ترك الطاعة وامتنع والاباء والتوك والامتناع بمعنى ونقيض الجواب ورجل ابي من قوم اباء وليس الاباء بمعنى
 الكراهة لأن العرب تتمدح بانها تأتي الضيم ولا مدح في كراهية الضم وانما المدح في الامتناع منه كقوله تعالى ويأبى الله الا ان
 يتم نوره ولو كره الكافرون اي يمنع الكافرين من اطفاء نوره والاستكبار والتكبر والتعظيم والتعجب نظائر وضده التواضع
 وحقيقة الاستكبار الانفة مما لا ينبغي ان يوفى بنفسه وقيل حده الرفع للنفس الى منزلة لا تستحقها فأصل الباب الكبر وهو
 العظيم ويقال على وجهين كبر الجثة وكبر الشأن والله سبحانه الكبير من كبر الشأن وذلك يرجع الى سعة مقدوراته
 ومعلوماته فهو القادر على ما لا يتناهى من جميع اجناس القدورات والعالم بجميع المعلومات وابليس اسم اعجمي
 لا ينصرف في المعرفة للتعريف والمعجزة قال الزجاج وغيره من النحويين هو اسم اعجمي معرب واستدلوا على ذلك
 بامتناع صرفه وذهب قوم الى انه عربي مشتق من الابلاس ووزنه افعليل وانشدوا للعجاج

يَأْصَاحُ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَمًا قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَبْلَسًا

وزعموا انه لم ينصرف استقئالا له من حيث انه اسم لا نظيره في اسماء العرب فشبهته العرب بالاسماء العجم التي لا تنصرف
 وزعموا ان اسحاق من اسحقه الله تعالى اسحاقا ويوب من اب يوب وادريس من الدرس في اشباه ذلك وغلطوا في جميع ذلك
 لأن هذه الالفاظ معربة وافقت الالفاظ العربية وكان ابو بكر السراج يثل ذلك على جهة التبديد بمن زعم ان الطير
 ولد الحوت وغلطوا ايضا في انه لا نظير له في اسماء العرب لأنهم يقولون ازميل للشفرة واغريض للطلع واخريض
 لصبغ احمر ويقال هو العصفر وسيف اصليت ماض كثير الماء وثوب اضريح مشبع الصبغ وقالوا هو من الصفرة
 خاصة ومثل هذا كثير وسبيل ابليس سبيل الخيل في انه معرب غير مشتق

﴿ الاعراب ﴾

قوله واذا في موضع نصب لانها معطوفة على اذ الاولى وقوله لآدم آدم في موضع جر باللام لا ينصرف لأنه
 على وزن افعل فاذا قلت مرتت بآدم وآدم آخر فان سيويه واخليل يقولان انه لا ينصرف في النكرة لأنك
 اذا نكرته فقد اعدته الى حال كان فيها لا ينصرف قال الاخفش اذا سميت به فقد اخرجته من باب الصفة فيجب
 اذا نكرته ان تصرف فتقول وآدم آخر وقوله اسجدوا الأصل في همزة الوصل ان تكسر لا لتقاء الساكنين ولكنها ضمت
 لاستئصال الضمة بعد الكسرة وكذلك كل ما كان تائه مضموما في الفعل المستقبل نحو قوله انظرونا واقتلوا يوسف
 وليس في كلام العرب فعل لكراهتهم الضمة بعد الكسرة وابليس نصب على الاستثناء للتصل من الكلام
 الوجب وهو في مذهب من جعله من الملائكة وعلى الاستثناء التقطع على مذهب من جعله من غير الملائكة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما آتاه آدم عليه السلام من الاعظام والاجلال والارام فقال واذا ذكر يا محمد «اذقلنا للملائكة
 اسجدوا لآدم» والظاهر يقتضي ان الأمر بالسجود له كان لجميع الملائكة حتى جبرائيل وميكائيل لقوله فسجد
 الملائكة كلهم اجمعون وفي هذا تأكيد للمعوم وقال قوم ان الأمر كان خاصا لطائفة من الملائكة كانوا مع
 ابليس طهر الله بهم الأرض من الجن واختلف في سجود الملائكة لآدم على اي وجه كان فالروى عن ائمتنا
 عليهم السلام انه على وجه التكرمة لآدم والتعظيم لشأنه وتقديمه عليهم وهو قول قتادة وجماعة من اهل العلم
 واختاره علي بن عيسى الرماني ولهذا جعل اصحابنا رضي الله عنهم هذه الآية دلالة على ان الانبياء افضل من
 الملائكة من حيث انه امرهم بالسجود لآدم وذلك يقتضي تعظيمه وتقديسه عليهم واذا كان الفضول لا يجوز
 تقديسه على الفاضل علمنا انه افضل من الملائكة وقال الجبائي وابو القاسم البلخي وجماعة انه جعله قبلة لهم فامرهم
 بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم وهذا غير صحيح لأنه لو كان على هذا الوجه لا امتنع ابليس من ذلك

ولما استعظمت الملائكة وقد نطق القرآن بان امتناع ابليس عن السجود انما هو لاعتقاده تفضيله به وتكبرته
 مثل قوله ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتن وقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولو لم يكن الأمر على
 هذا الوجه لوجب ان يعلمه الله تعالى بان لم يامر بالسجود على جهة تعزليه وتفضيله عليه وانما امره على الوجه
 الآخر الذي لا تفضيل فيه ولم يجز اغفال ذلك فانه سبب معصية ابليس وضلالته فلما لم يقع ذلك علمنا ان الأمر
 بالسجود له لم يكن الا على وجه التعظيم والتفضيل والاکرام والتبجيل ثم اختلف في ابليس هل كان من الملائكة
 ام لا فذهب قوم انه كان منهم وهو المروي عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة واختاره الشيخ السعيد ابو جعفر
 الطوسي قدس الله روحه قال وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) والظاهر في تفاسيرنا ثم اختلف من قال انه من
 الملائكة فمنهم من قال انه كان خازنا على الجنان ومنهم من قال كان له سلطان سما. الدنيا وسلطان الأرض
 ومنهم من قال انه كان يسوس ما بين السماء والأرض وقال الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان
 قدس الله روحه انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قال وقد جاءت الاخبار بذاك متواترة عن ائمة الهدى
 عليهم السلام وهو مذهب الامامية وهو المروي عن الحسن البصري وهو قول علي بن عيسى والبلخي وغيره
 واحتجوا على صحة هذا القول باشياء **﴿ احدها ﴾** قوله تعالى الا ابليس كان من الجن ومن اطلق لفظ الجن
 لم يجز ان يعني به الا الجنس المعروف وكل ما في القرآن من ذكر الجن مع الانس يدل عليه (وثانيها) قوله تعالى
 لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فتنى المعصية عنهم نفيا عاما (وثالثها) ان ابليس له نسل وذرية قال
 الله تعالى افتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو وقال الحسن ابليس اب الجن كما ان آدم اب الانس
 وابليس مخلوق من النار والملائكة روحانيون خلقوا من الريح في قول بعضهم ومن الثوري قول الحسن لا يتناسلون
 ولا يطعمون ولا يشربون (ورابعها) قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا ولا يجوز على رسل الله الكفر ولا الفسق
 ولو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب وقالوا ان استثناء الله تعالى اياه منهم لا يدل على كونه من جنسهم وانما
 استثناءهم لانه كان مأمورا بالسجود معهم فلما دخل معهم في الأمر جاز اخراجه بالاستثناء منهم وقيل ايضا
 ان الاستثناء هنا منقطع كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وانشد سيويه

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِجَا
 إِلاَّ النَّبِيُّ الصَّابِرُ فِي الذُّ

و كقول النابغة (وما بالربع من احد) (الا الأواري) ويوميد هذا القول ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه
 الله في كتاب النبوة باسناده من ابن ابي عمير عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله (ع) قال سأته عن ابليس اكان من الملائكة
 او كان يلي شيئا من امر السماء فقال لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئا من امر السماء وكان من الجن وكان
 مع الملائكة وكانت الملائكة ترى انه منها وكان الله سبحانه يعلم انه ليس منها فلما امر بالسجود لآدم كان
 منه الذي كان وكذا رواه العياشي في تفسيره واما من قال انه كان من الملائكة فانه احتج بأنه لو كان من غير
 الملائكة لما كان ملوما بترك السجود فان الأمر انما يتناول الملائكة دون غيرهم وقد مضى الجواب عن هذا ويؤيده
 بياننا قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك فعلنا انه من جملة المأمورين بالسجود وان لم يكن من جنسهم
 وهذا كما اذا قيل امر اهل البصرة بدخول الجامع فدخولوا الا رجلا من اهل الكوفة فانه يعلم من هذا ان غير اهل
 البصرة كان مأورا بدخول الجامع غير ان اهل البصرة خصوصا بالذكر لكونهم الاكثر فكذلك القول في الآية
 واجاب القوم عن الاحتجاج الاول وهو قوله تعالى كان من الجن بان الجن جنس من الملائكة سموا بذلك لاجتماعهم
 عن العيون قال الاعشى قيس بن ثعلبة

وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ خَالِدًا وَمُعَمَّرًا
 لَكَانَ هَيْبَتَانِ الْبَرِيِّ مِنَ الدَّهْرِ

بَرَاهُ إِلَهِي وَأَصْطَفَاهُ بَادَةٌ وَمَلَكُهُ مَا بَيْنَ نُونَا إِلَى مِصْرٍ
وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلَأْنِكِ نِسْعَةً قِيَامًا لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلَا أُجْرٍ

وقد قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا لأنهم قالوا الملائكة بنات الله واجابوا عن الثاني وهو قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم الآية بأنه صفة حُرنة النيران لجميع الملائكة فلا يجب عصاة لعبرهم من الملائكة واجابوا عن الثالث بأنه يجوز أن يكون الله تعالى ركب في ابليس شهوة النكاح تغليظا عليه في التكليف وان لم يكن ذلك في باقي الملائكة ويجوز ان يكون الله تعالى لا اهبطه الى الأرض تغيرت حاله عن حال الملائكة قالوا واما قولكم ان الملائكة خلقوا من الريح وهو محاقق من الآثار فان الحسن قال خلقوا من النور والثار والنور سوا ووقولكم ان الجن يطعمون ويشربون فقد جاء عن العرب ما يدل على انهم لا يطعمون ولا يشربون انشد ابن دبريد قال انشد ابو حاتم

وَنَارٍ قَدْ حَضَّتْ بُعِيدَ وَهْنٍ يَدَارُ مَا أُرِيدُ بِهَا مَقَامًا
يَسْوَى تَرْجِيلِ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ أَكَالِئَهَا مَخَافَةٌ أَنْ تَنَامَا
أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنُونَ أَنْتُمْ فَقَالُوا الْجِنُّ قُلْتُ عَمَّوَا ظَلَامَا
فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ يَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامَا
كَفَدَ فُضِّلْتُمْ بِالْأَكْلِ فِينَا وَلَكِنْ ذَلِكَ يُعْجِبُكُمْ سِقَامَا

فهذا يدل على انهم لا يأكلون ولا يشربون لانهم روحانيون وقد جاء في الأخبار النهي عن التمسح بالعظم والروث لأن ذلك طعام الجن وطعام ذوابهم وقد قيل انهم يتشمسون ذلك ولا يأكلونه واجابوا عن الرابع وهو قوله جعل الملائكة رسلا بان هذه الآية معارضة بقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا من الناس لأن من للتبويض وكلا القولين مروى عن ابن عباس وروى عنه انه قال ان الملائكة كانت تقاتل الجن نسبي ابليس وكان صغيرا وكان مع الملائكة فتعبد معها بالأمر بالسجود لآدم فسجدوا وابتلى ابليس فذلك قال الله تعالى الابليس كان من الجن وروى مجاهد وطاوس عنه ايضا انه قال كان ابليس قبل ان يرتكب العصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة اشدا جهادا ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله وابتلى بالسجود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطانا وسماه ابليس واما قوله تعالى وكان من الكافرين قيل معناه كان كافرا في الأصل وهذا القول يوافق مذهبنا في الموافاة وقيل اراد كان في علم الله تعالى من الكافرين وقيل معناه صار من الكافرين كقوله تعالى فكان من الفرقين واستدل بعضهم بهذه الآية على ان افعال الجوارح من الايمان فقال لو لم يكن كذلك لوجب ان يكون ابليس موثقا بما معه من المعرفة بالله تعالى وان فسق بإيائه وهذا ضعيف لانا اذا علمنا كفره بالاجماع علمنا انه لم يكن معه ايمان اصلا كما انا اذا رأينا من يسجد للصنم علمنا انه كافر وان كان نفس السجود ليس بكفر واختلوا في صفة امر الله سبحانه الملائكة بالسجود فقيل كان بخطاب من الله تعالى للملائكة ولأبليس وقيل يوحى من الله الى من بعث اليهم من رسله لأن كلام الرسول كلام المرسل وقيل ان الله تعالى اظهر فعلا دلهم به على انه امرهم بالسجود فإن قيل لم يحكم الله بكفره مع ان من ترك السجود الآن لا يكفر قلنا لأنه جمع الى ترك السجود خلاصا من الكفر منها انه امتنع ان الله تعالى امره بالتبويض ولم ير امره بالسجود حكمة ومنها انه امتنع من السجود تكبرا وردا على الله تعالى أمره ومن تركه الآن كذلك يكفر ايضا ومنها انه استخف بنبي الله وازدراه وهذا لا يصدر الا من معتقد الكفر وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب الجبر من وجوه منها قوله ابى فدل على قدرته على السجود الذي اياه وتركه والام يصح وصفه بالإباء ومنها قوله فسجدوا فدل على ان السجود فعلهم ومنها انه مدح الملائكة بالسجود وذم ابليس

بترك السجود ومندهم انما لم يسجد لأنه لم يخلق فيه السجود ولا القدرة الموجبة له
قوله تعالى (٣٥) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

السكون والاطمئنان والمدون نظائر والسكن يسكون الكاف الياء واهل البيت والسكن بالفتح المنزل
والسكن الرحمة والبركة في قوله ان صلاتك سكن لهم والزوج بطرح الما. قال الاصمعي هو اكثر كلام العرب
والاكل والمضغ والقمم متقارب وضد الاكل الازم وسأل عمر بن الخطاب الحرث بن كلدة طيب العرب فقال
يا حار ما الدواء. فقال الازم اي ترك الاكل والرغد النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء. قال ابن دريد الرغد
السعة في العيش والشئنة من قبيل الارادة وكذلك المحبة والاختيار والايثار وان كان لما شروط ذكرت في اصول
الكلام والقرب الدنو قرب الشيء. يقرب قريبا وقرب فلان اهل يقرب قريبا اذا غشيا وما قربت هذا الامر قريبا
وقربا والشجرة ما قام على ساق وجمعها اشجار وشجرات وشجر وتشاجر القوم اختلفوا اخذ من الشجر لاشتباك
اغصانه والظلم والجور والعدوان متقارب وضد الظلم الانصاف وضد الجور العدل واصل الظلم انتقاص الحق قال
الله تعالى كلنا الجنة اتت اكلامها لم تظلم منه شيئا أي لم تنقص وقيل اصله وضع الشيء في غير موضعه من قولهم من اشبه
اباه فاطلم اي فوضع الشبه في غير موضعه وكلاما مطرد على الوجهين فالظلم اسم ذم لا يجوز اطلاقه على الانبياء والمعصومين

﴿ الاعراب ﴾

قوله اسكن انت وزوجك استفتح عطف الظاهر على الضمير المستكن والتصل فقال اسكن انت وزوجك
الجنة فانت تأكيد للضمير المستكن في اسكن الذي هو فاعله وزوجك معطوف على موضع انت فلو عطفه على
الضمير المستكن لكان اشبه في الظاهر عطف الاسم على الفعل فأتى بالضمير المنفصل فعطفه عليه ورغدا منصوب
لأنه صفة لمصدر محذوف كأنه قال اكلا رغدا اي واسعا كثيرا ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال من
قوله كلا قال الخليل يقال قوم رغد ونساء. رغد وعيش ورغد قال امرؤ القيس

بَيْتًا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمًا يَا مَنْ الْأَحْدَاثُ فِي عَيْشٍ رَعْدَ

فعل هذا يكون تقديره وكلا منها متوسمين في العيش وحيث مبني على الضم كما تبني الغاية نحو من قبل
ومن بعد لأنه منع من الاضافة الى مفرد كما منعت الغاية من الاضافة وانما يأتي بعده جملة اسمية او فعلية في
تقدير المضاف اليه ولا تقريبا مجزوم بالنهي والالف ضمير القائلين وقوله فتكونا يحتمل امرين احدهما ان يكون
جوابا للنهي فيكون منصوبا باضمار أن وأن مع الفعل في تاويل اسم مفرد واذا قدر اضمار أن بعد القاء كان
ذلك عطفا على مصدر الفعل المتقدم فيكون تقديره لا يكن منكما قرب لهذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فيكون الكلام جملة واحدة لأن المعطوف يكون من جملة المعطوف عليه وانما سميته جوابا لمشابهة الجزاء
في ان الثاني سببه الاول لأن معنى الكلام ان تقريبا هذه الشجرة تكونا من الظالمين والثاني ان يكون معطوفا
على النهي فيكون مجزوما وتكون الفاء عاطفة جملة على جملة فكانه قال فلا تكونا من الظالمين

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر الله سبحانه امر به آدم (ع) بعد ان انعم عليه بما اختصه من العلوم بما اوجب له به من الاعظام واسجد
له الملائكة الكرام فقال عز اسمه «وقلنا» وهذه نون الكبرياء والعظمة لآ نون الجمع «يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة» اي اتخذت انت وامراتك الجنة مسكنا وماوى لتاوي اليه وتسكن فيه انت وامراتك واختلف في هذا الامر

فقيل انه امر تعبد وقيل هو اباحة لانه ليس فيه مشقة فلا يتعلق به تكليف وقوله «وكلا» اباحة وقوله «ولا تقربا» تعبد بالاتفاق وروي عن ابن عباس وابن مسعود انه لما اخرج ابليس من الجنة ولعن وبقي آدم وحده استوحش اذ ليس معه من يسكن اليه فخلقت حواء يسكن اليها وروي ان الله تعالى التي على آدم التوم واخذ منه ضلعا فخلق منه حواء فاستيقظ آدم فاذا عند راسه امرأة فسالها من انت قالت امرأة قال لمن خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملائكة ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لانها خلقت من حي فعندها قال الله تعالى «اسكن انت وزوجك الجنة» وقيل انها خلقت قبل ان يسكن آدم الجنة ثم ادخلها مما الجنة وفي كتاب النبوة ان الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حواء من آدم فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال قال اهل التحقيق ليس يتنوع ان يخلق الله حواء من جسد آدم بعد ان لا يكون بما لا يتم الحي حيا الا معه لأن ما هذه صفته لا يجوز ان ينقل الى غيره او يخلق منه حي آخر من حيث هو. دي الى ان لا يمكن ايصال الثواب الى مستحقه لأن المستحق لذلك هو الجملة باجمعها وانما سميت حواء لانها خلقت من حي على ما ذكرناه قبل وقيل لانها ام كل حي واختلف في الجنة التي اسكن فيها آدم فقال ابو هاشم هي جنة من جنات السماء غير جنة الخلد لأن جنة الخلد اكلها دائم ولا تكليف فيها وقال ابو مسلم هي جنة من جنات الدنيا في الأرض وقال ان قوله اهبطوا منها لا يقتضي كونها في السماء لأنه مثل قوله اهبطوا مصر واستدل بعضهم على انها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن ابليس هل ادلك على شجرة الخلد فلو كانت جنة الخلد لكان آدم عالما بذلك ولم يحتاج الى دلالة وقال اكثر المفسرين والحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وكثير من المعتزلة كالجبائي والرمائي وابن الاخشيد انها كانت جنة الخلد لأن الألف واللام للتعريف وصارا كالعلم عليها قالوا ويجوز ان تكون وسوسة ابليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه قالوا وقول من يزعم ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح لأن ذلك انما يكون اذا استقر اهل الجنة فيها للثواب فاما قبل ذلك فانها تفتى لقوله تعالى كل شي هالك الا وجهه وقوله «وكلا منها رغدا» اي كلا من الجنة كثيرا واسما لا عناه فيه «حيث شئنا» من بقاع الجنة وقيل منها اي من ثمارها الا ما استئناه «ولا تقربا هذه الشجرة» اي لا تأكل منها وهو المروي عن الباقر (ع) فعناه لا تقرباها بالأكل ويدل عليه ان المخالفة وقعت بالاكل بلا خلاف لا بالدنو منها ولذلك قال فاكلا منها فبذلت لها سواتها واختلف في هذا النهي فقيل انه نهى التحريم وقيل انه نهى التتره دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس على الطرق وهو قريب من مذهبنا فان عندنا ان آدم كان مندوبا الى ترك تناول من الشجرة وكان بالتناول منها تركا نفلا وفضلا ولم يكن فاعلا لتبعية فان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم القبانح لا صغيرها ولا كبيرها وقالت المعتزلة كان ذلك صغيرة من آدم (ع) على اختلاف بينهم في أنه وقع منه على سبيل العمد او السهو او التأويل وانما قلنا انه لا يجوز مواقة الكبار على الانبياء عليهم السلام من حيث ان التبعية يستحق فاعطه به الذم والعقاب لأن المعاصي عندنا كلها كبار وانما تسمى صغيرة باضافتها الى ما هو اكبر عقابا منها لأن الاحباط قد دل الدليل عندنا على بطلانه واذا بطل ذلك فلامعية الا يستحق فاعطها الذم والعقاب واذا كان الذم والعقاب منفيين عن الانبياء عليهم السلام وجب ان يتبني عنهم سائر الذنوب ولأنه لو جاز عليهم شي من ذلك لفرغ من قبول قولهم والمراد بالتنبير ان النفس الى قبول قول من لا تجوز عليه شيئا من المعاصي اسكن منها الى قول من يجوز عليه ذلك ولا يجوز عليهم كل ما يكون منفرا عنه من الخلق المشوهة والهينات المستنكرة واذا صح ما ذكرناه علمنا ان مخالفة آدم (ع) لظاهر النهي كان على الوجه الذي بيناه واختلف في الشجرة التي نهى عنها آدم فقيل هي السنبلة عن ابن عباس وقيل هي الكرمة عن ابن مسعود والسدي وقيل هي التينة عن ابن جريج وقيل هي شجرة الكافور يروي عن علي (ع) وقيل هي شجرة العلم علم الخير والشر عن الكلبي وقيل هي شجرة الخلد التي كانت تاكل منها الملائكة عن ابن جذعان وقوله «فتكونا من الظالمين» اي تكونا بأكلها من الظالمين لانفسكما ويجوز ان يقال لمن يحس نفسه الثواب انه ظالم لنفسه كقوله تعالى حكاية عن ايوب اي

كنت من الظالمين حيث نجس نفسه الثواب بترك الندوب اليه واختلقوا هل كان يجوز ابتداء الخلق في الجنة فجوز البصريون من اهل العدل ذلك قالوا يجوز ان ينعمهم الله في الجنة موبدا تفضلا منه لا على وجه الثواب لأن ذلك نعمة منه تعالى كما ان خلقهم وتعريضهم للثواب نعمة وقال ابو القاسم البلخي لا يجوز ذلك لأنه لو فعل ذلك لا يخلو إما ان يكونوا متعبدين بالمعرفة او لا يكونوا كذلك فلو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب وترهيب ووعده ووعيد وكان يكون لا بد من دار اخرى يجازون فيها ويخادون وان كانوا غير متعبدين كانوا مهلين وذلك غير جائز وجوابه انه سبحانه لو ابتدأ خلقهم في الجنة لكان يضلهم الى المعرفة ويلجئهم الى فعل الحسن وترك القبائح ومتى راموا القبائح منعوا منه فلا يولد الى ما قاله وهذا كما يدخل الله الجنة الاطفال وغير المكلفين لا على وجه الثواب قوله تعالى (٣٦) فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (آية)

﴿ القراءه ﴾

قرأ حمزة فأزلهما بالألف والباقون فأزلهما

﴿ الحجة ﴾

من قرأ أزلهما قال ان قوله اسكنك انت وزوجك معناه اثبتنا فثبتنا فأزلهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه وحجة من قرأ فأزلهما انه يحتل تأويلين احدهما كسبها الزلة والآخر ازل من ذل اي عثر ويدل على الوجه الأول ما جاء في التنزيل من قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمها اني لكما ان الناصحين وقوله فوسوس لها الشيطان الآية وقد نسب كسب الشيطان الزلة الى الشيطان في قوله انما استلها الشيطان واستل وانزل بمعنى واحد ويدل على الوجه الثاني قوله فأخرجهما بما كانا فيه فكما ان خروج الانسان عن الموضع الذي هو فيه انتقال منه الى غيره كذلك عثاره وزله

﴿ اللفه ﴾

الزلة والخطيئة والمعصية والسئنة بمعنى واحد وضد الخطيئة الإصابة يقال زلت قدمه زلا وزل في مقالته زان والزلة المكان الدحض والزلة الزلل في الدحض وانزلت الى فلان نعمة اي اسديت وفي الحديث من أزلت اليه نعمة فليشكرها قال كثير

وَإِنِّي وَإِنْ صَدَدْتُ لَمُنٌّ وَصَادِقٌ عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ لَنَا أَزَلْتُ

والأصل في ذلك الزوال والزلة زوال عن الحق وازله الشيطان اذا ازاله عن الحق والمهبط والتزول والوقوع نظائر وهو التحرك من علو الى سفلى ويقال هبطته واهبطته والمهبط كالحذور وهو الموضع الذي يهبطك من اعلى الى اسفل وقد يستعمل المهبط بمعنى الحلول في المكان والتزول به قال الله تعالى اهبطوا مصر ويقول القائل هبطنا بلد كذا يريد حللنا قال زهير

مَا زَلْتُ أَرْمُهُمْ حَتَّىٰ إِذَا هَبَطْتُ أَيْدِي الرَّكَّابِ بِهِمْ مِنْ رَأْسٍ قَلْبًا

والعدو تقيض الرئي والعداوة الصدر واصله من المجاوزة والقرار الثبات والبقا. وضد القرار الاتزاع وضد الثبات الزوال وضد البقاء الفناء والاستقرار الكون اكثر من وقت واحد على حال والمستقر يحتمل ان يكون بمعنى الاستقرار ويحتمل ان يكون بمعنى المكان الذي يستقر فيه والمتاع والتمتع والتمتع والتلذذ متقاربة المعنى وكل شي. تمتع به فهو متاع والحين والمدة والزمان متقارب والحين في غير هذا الموضع ستة اشهر يدل عليه قوله تعالى توفى اكلها كل حين باذن ربها والحين يصلح للأوقات كلها الا انه في الاستعمال في الكثير منها اكثر

﴿ المسمى ﴾

ثم بين سبحانه حال آدم عليه السلام قال «فأخرجها الشيطان» أي حملها على الزلة نسب الازلال الى الشيطان وقع بدعائه ووسوسته واغوائه عنها أي من الجنة وما كنا فيه من عظيم الرتبة والمترقة والشيطان المراد به ابليس خرجها مما كنا فيه من النعمة والدمعة ويحتمل ان يكون اراد اخراجها من الجنة حتى اهبطا ويحتمل ان يكون اراد من الطاعة الى المعصية وازداد الاخراج اليه لأنه كان السبب فيه كما يقال صرفني فلان عن هذا الأمر ولم يكن اخراجها من الجنة واهباطها الى الأرض على وجه العقوبة لأن الدليل قد دل على ان الانبياء عليهم السلام لا تجوز عليهم القبانح على حال ومن اجاز العقاب على الانبياء فقد اساء عليهم الثناء واعظم القرية على انه سبحانه وتعالى واذا صح ما قلناه فانما اخرج الله آدم من الجنة لأن المصلحة قد تغيرت بتناوله من الشجرة فاقترضت الحصى والتدبير الالهي اهباطها الى الأرض وابتلاؤه بالتكليف والمشقة وسلبه ما أبسه اياه من ثياب الجنة لأن انعامه عليه بذلك كان على وجه التفضل والامتنان فله ان يمنع ذلك تشديدا للبلوى والامتحان كما له ان يفتر بعد الاغتناء ويميت بعد الاحياء ويسقم بعد الصحة ويعقب المعنة بعد المنحة واختلاف في كيفية وصول ابليس الى آدم وحواء حتى وسوس اليهما ابليس كان قد اخرج من الجنة حين ابى السجود وهما في الجنة قليل ان آدم كان يخرج الى باب الجنة وابليس لم يكن ممنوعا من الدنو منه فكان يسكله وكان هذا قبل ان اهبط الى الأرض وبعد ان اخرج من الجنة عن ابي علي الجبائي وقيل انه كلمها من الأرض بكلام عرفاه وفهوا منه وقيل انه دخل في قعر الحية وخاطبها من قعرها والقمر جانب الشدق وقيل انه راسلها بالخطاب وظاهر القرآن يدل على انه شافهم بالخطاب وقوله «وقلنا اهبطوا» خاطب بخطاب الجمع وفيه وجوه ﴿ احدها ﴾ انه خاطب آدم وحواء وابليس وهو اختيار الزجاج وقول جماعة من المفسرين وهذا غير منكر وان كان ابليس قد اخرج قبل ذلك بدلالة قوله اخرج منها فانك رجع بجمع الخبر الذي (ص) لانهم قد اجتمعوا في الهبوط وان كانت اوقاتهم متفرقة فيه كما يقال اخرج جميع من في الحبس وان اخرجوا متفرقين والثاني انه اراد آدم وحواء والحية وفي هذا الوجه بعد لأن خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن ولأنه لم يتقدم للحية ذكر والكناية عن غير مذكور لا تحسن الا بحيث لا يقع ليس مثل قوله حتى تزارت بالخطاب وقوله ما ترك على ظهرها من دابة وقول حاتم

أماوي ما يُغني التراءُ عن الفتى إذا حشرت يوماً وضاقَ بها الصدرُ

(والثالث) انه اراد آدم وحواء وذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما (والرابع) ان يكون الخطاب يختص بآدم وحواء عليها السلام وخاطب الاثنين على الجمع على عادة العرب وذلك لأن الاثنين اول الجمع قال الله تعالى اذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد حكم داود وسليمان وقد تأول قوله تعالى ان كان له اخوة على معنى فان كان له اخوان (والخامس) آدم وحواء والوسوسة عن الحسن وهذا ضعيف وقوله بعضكم لبعض عدو» يعني آدم وذريته وابليس وذريته ولم يكن من آدم اليه ما يوجب عداوته اياه ولكن حسده للامور وخالفه فاشتت بينهما العداوة ثم ان عداوة آدم له ايمان وعبادة ابليس له كفر وقال الحسن يريد بني آدم وبني ابليس وليس ذلك بأمر بل هو تحذير يعني ان الله تعالى لا يأمر بالعداوة فالامر محتص بالهبوط والمعادة يجري بحري احوال لأن الظاهر يقتضي انه امرهما بالهبوط في حل عداوة بعضهم بعضا فاما على الوجه الذي يتضمن أن الخطاب يختص بآدم وحواء فالمراد به ان ذريتهما يعادي بعضهم بعضا وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين اصلها وقوله «ولكنكم في الأرض مستقر» أي مقر ومقام وثبوت بان جعل الأرض قرار لكم «ومتاع» أي استمتاع «الى حين» الى وقت الموت وقيل الى يوم القيامة وقيل الى فناء الآجال أي كل امرئ مستقر الى فناء اجله وقال ابو بكر السراج لو قال ولكنكم في الأرض مستقر ومتاع لفظن انه غير منقطع فقال «الى حين» أي الى حين

انتقاعه والفرق بين قول القائل ان هذا لكم حيناً وبين قوله الى حين ان الى يدل على الانتهاء ولا بد أن يكون له ابتداء. وليس كذلك الوجه الآخر وفي هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لا يريد المعصية ولا يصد احداً عن الطاعة ولا يخرجها عنها ولا يسبب المعصية لانه نسب ذلك الى الشيطان جل ربنا وتقدس عما نسب الى ابليس والشياطين ويدل ايضا على ان لوسوسة ابليس تثيراً في المعاصي

قوله تعالى (٣٧) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير آدم بالنصب وكلمت بالرفع وقرأ الباقون برفع آدم ونصب كلمات

﴿ الحجة ﴾

حجة ابن كثير في نصب آدم انه في المعنى كالقراءة الاخرى فان الافعال التعدية على ثلاثة اضرب منها ما يجوز فيه ان يكون الفاعل له مفعولاً به والمفعول فاعلاً نحو ضرب زيد عمروا ومنها ما لا يجوز ذلك فيه نحو اكلت الخبز ونحوه ومنها ما يكون اسناده الى الفاعل في المعنى كإسناده الى المفعول به نحو نلت واصبت وتلقيت تقول فاني خير ونلت خيراً وأصابني شيء واصبت شيئاً وتلقاني زيد وتلقيت زيدا ومثل هذه الآية قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وفي حرف عبد الله فبا قيل لا ينال عهدي الظالمون

﴿ اللفظة ﴾

التالي نظير التلقن يقال تلقيت منه اي اخذت وقبلت واصله من لقيت خيراً فتعدى الى مفعول واحد ثم يعدى الى مفعولين بتضعيف العين نحو تلقيت زيداً خيراً اقول له تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ومطابقة تلقيته بالقبول اي قبلته منه ومن ذلك قول ابي مهدية في آيات من القرآن تلقيتها من عمي تلقاها من ابي هريرة تلقاها من رسول الله وتلقيت الرجل استقبلته وتلقاني استقبلني وكلمات جمع كلمة والكلمة اسم جنس لوقوعها على الكثير من ذلك والقيل قالوا قال امرؤ القيس في كلمته يعنون في قصيدته وقال قس في كلمته يعنون خطبته فقد وقعت على الكثير وقيل لكل واحد من الكلم الثلاث كلمة فوقت على القليل من الاسم الفرد والفعل الفرد والحرف الفرد واما الكلام فان سيويه قد استعمله فيما كان موثقاً من هذه الكلم وعلى هذا جاء التثنية قال الله تعالى يريدون ان يدلوا بكلام الله يعني به قوله تعالى فان رجعت الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل ان تخرجوا معي ابدا الا ترى الى قوله كذلك قال الله من قبل يقال كلمه تكليماً وكلاماً وتكلم تكليماً والكلم الجرح يقال كلمته اكلمه واصل الباب التاثير والكلم اثر دال على الجرح والكلام اثر دال على المعنى الذي تحته والذي حوره المتكلمون في حد الكلام هو انه ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة اذا وقع بمن يصح منه او من قبيله الافادة وقال بعضهم هو ما انتظم من الحروف السبعة المميزة ليشتمل من الكتابة التي ليست بمسبوغة ويمتيز من اصوات كثير من الطيور لانها ليست بمتميزة وينقسم الكلام الى مهمل ومستعمل وانما اراد سيويه بقوله ان المهمل لا يكون كلاماً لأنه لا يكون مفيداً اذ الكلام عنده لا يقع الا على المفيد وبه قال ابو القاسم البلخي والتوبة والاقلاع والانابة في اللغة نظائر وضد التوبة الاصرار والله تعالى يوصف بالتوابع ومعناه انه يقبل التوبة عن عباده واصل التوبة الرجوع عما سلف والتندم على ما فرط فانه تعالى تائب على العبد بقبول توبته والعبد تائب الى الله تعالى بتدمه على معصيته

﴿ المعنى ﴾

قوله «فتلقى آدم» اي قبل وأخذ وتناول على سبيل الطاعة «من ربه» ورب كل شيء «كلمات» واغنى قوله

فتلقى عن ان يقول فرغب الى الله بهن او سألته :تمن لأن معنى التلقي يفيد ذلك وينبئ عما حذف من الكلام اختصارا ولهذا قال تعالى «فتاب عليه» لأنه لا يتوب عليه الا بأن سأل بتلك الكلمات وعلى قرأه من قرأ فتلقى آدم من ربه كلمات لا يكون معنى التلقي القبول بل معناه ان الكلمات تداركته بالنبذة والرحمة واختلف في الكلمات ماهي فقيل هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية عن الحسن وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير وان في ذلك اعترافا بالخطيئة فلذلك وقعت موقع الندم وحقيقة الانابة وقيل هي قوله اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فإرحمني انك خير الراحمين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتاب علي إنك انت الثواب الرحيم عن مجاهد وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وقيل بل هي سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله اكبر وقيل وهي رواية تختص بأهل البيت عليهم السلام ان آدم رأى مكتوباً على العرش اسماء معظمة مكرومة فسأل عنها فقيل له هذه اسماء اجل الخلق معتلة عند الله تعالى والاسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتوسل آدم عليه السلام الى ربه بهم في قبول توبته ورفع معزته قوله «فتاب عليه» فيه حذف اي تلب آدم فتاب الله عليه اي قبل توبته وقيل تلب عليه أي وقفه للتوبة وهداه اليها بأن لفته الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته انه هو الثواب اي كثير القبول للتوبة يقبل مرة بعد مرة وهو في صفة العباد الكثير التوبة وقيل ان معناه انه يقبل التوبة وان غفلت الذنوب فيسقط عقابها وقوله «الرحيم» انما ذكره ليدل به على انه متفضل بقبول التوبة ومنعم به وان ذلك ليس على وجه الوجوب وانما قال فتاب عليه ولم يقل عليها لأنه اختصر وحذف للايجاز والتغليب كتوبه سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق ان يرضوه ومعناه ان يرضوه او قوله واذا رأوا تجارة اولمرا انفضوا اليها وكقول الشاعر

رَمَانِي بِأَسْرِكُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا وَمِنْ جَوْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي

وقال الآخر

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

فكذلك معنى الآية فتاب عليها وقال الحسن البصري لم يخلق الله آدم الا للأرض ولو لم يعص لأخرجه الى الارض على غير تلك الحال وقال غيره يجوز ان يكون خلقه للأرض ان عصى وتغيرها ان لم يعص وهو الاقوى

فصل مختصر في التوبة وشروطها والاختلاف فيها

اعلم ان من شروط التوبة الندم على ما مضى من التبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله في التبع فإن هذه التوبة اجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها واختلفوا فيما عداها وكل معصية لله تعالى فانه يجب التوبة منها والطاعة لا يصح التوبة منها وعندنا يصح التوبة اذا كانت من ترك التدب ويكون ذلك على وجه الرجوع الى فعله وعلى هذا يحمل توبة الانبياء عليهم السلام في جميع ما نطق به القرآن وقبول التوبة واسقاط العقاب عندها تفضل من الله تعالى غير واجب عليه عندنا وعند جميع المعتزلة واجب وقد وعد الله تعالى بذلك وان كان تفضلا وعلينا انه لا يخلف الميعاد واما التوبة من قبيح مع الاقامة على قبيح آخر يعلم او يتمدق به فعند اكثر المتكلمين هي صحيحة وعند ابي هاشم واصحابه لا يصح واعتمد الاولون على ان قالوا كما يجوز ان يتنعم عن قبيح بقبحه مع أنه يفعل قبيحاً آخر وان علم قبحه كذلك يجوز أن يندم من قبيح مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه واختلفوا في التوبة عند ظهور اشراط الساعة هل تصح ام لا فقال الحسن يجب عنها عند الآيات الست وروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال بادروا بالاعمال سئاً طردع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخوصة احدكم يعني الموت وامر العامة يعني القيامة وقيل لا شك ان التوبة عند بعض هذه الآيات يجب وعند بعضها يجوز أن لا يجب والله اعلم

قوله تعالى (٣٨) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب فلا خوف بنصب الفاء في جميع القرآن وقرأ الباقون بالرفع والتنوين واجمعوا على اثبات الالف في هداي وتحريك اليا. وروي عن الاعرج بسكون اليا. وهو غلط الا ان يكون نوى الوقف وروي بعضهم هدي وهي لغة هذيل يقبلون الالف الى اليا. ليا. التي بعدها لأن شأن ياء الاضافة ان يكسر ما قبلها فجعل قلب الالف ياء بدل كسرها اذ الالف لا يتحرك فهو مثل على ولدى وقالوا هوي قال ابو ذؤيب
سَبِقُوا هَوِيَّ وَأَعْتَقُوا السَّبِيلِيهِمْ^(١) فَخُخِرُوا مَوَا وَكَلَّلَ جَنْبٍ مَضْجَعٍ

﴿ اللفظة ﴾

المهبط القول من موضع عالي الى استفال وقد يستعمل في هبوط التزلة قال لبيد
كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرٌ هُمْ قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرُوا مِنَ الْعَدَدِ
إِنْ يُعْبَطُوا يَهْبَطُوا وَإِنْ أَمَرُوا يَوْمًا فَهُمْ لِلْفَنَاءِ وَالنَّفْدِ

والايتان والمجيء والاقبال نظائر ونقيضه الذهاب والانصراف والاتباع والاقتران والاحتذاء نظائر واتباع التالي وفي الحديث القادة والاتباع فالقادة السادة والاتباع الذين يتبعونهم والتبعية ولدالبقرة وثلاثة اتبعوا الجمع اتبوع والتبوع الظل والحوف والجزع والفرع نظائر ونقيض الحوف الأمن وطريق مخوف تخافه الناس ومخيف يخيف الناس والحزن والتم والمهم نظائر ونقيضه السرور يقال حزن حزناً وحزنه حزناً ويقال حزنه وأحزنه وهو محزون ومحزن وقال قوم لا يقولون حزنه الأمر ويقولون يحزنه فاذا صاروا الى الماضي قالوا احزنه وهذا اذا دلل انه استعمل احزن واهمل يحزن واستعمل يحزن واهمل حزن واصل الباب غلط الهم مأخوذ من الحزن وهو اغلظ من الارض

﴿ الاعراب ﴾

إما هو ان الجزاء دخلت عليها ما ليصح دخول نون التأكيد في الفعل ولو اسقطت لم يجوز دخول النون لأنها لا تدخل في الخبر الواجب الا في القسم او ما أشبهه القسم كقولك زيد ليأتينك ولو قلت بغير لام لم يجوز وكذلك تقول بعين ما اريتك ويجهد ما تبغنا وفي عطية ما ينبتن بشكرها ولو قلت بعين اويتك بغير ما لم يجوز فدخل ما هائنا كدخول اللام في انها تو. كداول الكلام وتو. كد التون آخره والامر والنهي والاستفهام تدخل التون فيه وان لم يكن معه ما اذا كان الامر والنهي بما يشتد الحاجة الى التوكيد في الاستفهام مشبهه اذ كان معناه اخبرني فالتون انما تلحق للتوكيد فلذلك كان من مواضعها قال الله تعالى ولا تقولن شي. اني فاعل ذلك غدا قال الزجاج وانما فتح ما قبل النون في قوله يأتينكم لسكون اليا. وسكون التون الاولى قال ابو علي ولو كان كذلك لما حرك في نحو هل تضربن ونحوه من الصحيح لأن الساكنين لا يلتقيان في هذا النحو وفي هذا ما يدل على ان هذه الحركة للبناء دون ما ذكره من الالتقاء. الساكنين وجواب الشرط في الفاء مع الشرط الثاني وجزائه لأن الشرط وجوابه بترلة المبتدا والخبر فكما ان المبتدا لا يتم الا بخبره فكذلك الشرط لا يتم الا بجزائه ولك ان تجعل خبر المبتدا جملة هي مبتدا وخبر كقولك زيد ايوه منطلق فكذلك ان التي للجزاء اذا كان جوابه بالفاء. ووقع بعد الفاء الكلام مستأنفاً صالح ان يكون جزاء وغير جزاء. تقول ان تأتني فانت مكرم ولك أن تقول ان تأتني فن يكرمك اكرمه قوله اما يأتينكم شرط ويأتينكم في موضع الجزم بأن وجزاؤه الفاء. وما بعده من قوله فن تبع هداي الآية ومن في موضع

(١) هكذا في النسخ والمحمول كما في لسان العرب وغيره لهوامم وبدل مضجع بمصرع

الرفع بالابتداء وتبع في موضع الجزم بالشرط وجزاؤه الفاء وما بعده وهو قوله فلا خوف عليهم ولا خوف عليهم
جاءة اسمية ولا هم يجزنون جمة اسمية معطوفة على الجملة التي قبلها والفاء مع ما بعده في موضع جزم بالجزء قوله
من تبع هداي والشرط والجزء مع معنى حرف الشرط الذي تضمنته من في موضع رفع بأنها خبر المبتدأ الذي
هو من ثم الفاء وما بعده من قوله فمن تبع هداي الآية في موضع جزم بأنه جزاء قوله أما يأتينكم وهذا في القدمات
القياسية يسمى الشرطية المركبة وذلك ان المقدم فيها اذا وجب وجب التالي المترتب عليه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين تعالى اهابطهم الى الارض فقالوا « اهبطوا » أي انزلوا والخطاب لآدم وحوا على ما ذكرناه من الاختلاف
فيه فباتقدم واختلف في تكرار المهبوط فقيل المهبوط الاول من الجنة الى السماء وهذا المهبوط من السماء الى الارض
عن النبي علي وقيل انما كرهه للتأكيد وقيل انما كرر لاختلاف الحالين فقد بين بقوله « قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ان الهابط
انما كان في حال عداوة بعضهم لبعض وبين بقوله « قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى » ان الهابط
انما كان للأبتلاء والتكليف كما يقال اذهب سائلا معاني اذهب مصاحبا وان كان الذهاب واحدا لاختلاف الحالين
فإما يأتينكم مني هدى أي بيان ودلالة وقيل أنبياء ورسول وعلى هذا القول الاخير يكون الخطاب في قوله
اهبطوا لآدم وحوا وذريتهما كقوله تعالى فقال لها وللأرض أنبتا طوعا أو كرها قلنا أتينا طائعين أي أتينا بما فينا
من الخلق طائعين « فمن تبع هداي » أي اقتدى برسلي واحتذى ادلتي فلا يلحقهم خوف من أهوال يوم القيامة من
العقاب ولا هم يجزنون على فوات الثواب فاما الخوف والحزن في الدنيا فانه يجوز ان يلحقهم لأن من المعلوم ان
الرومين لا ينفكون منه وفي هذه الآية دلالة على ان الهدى قد ثبتت ولا اهتداء وان الاهتداء انما يقع بالاتباع والتبويل

قوله تعالى (٣٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الكفر والتكذيب قد مضى معناهما فباتقدم ذكره والآيات جمع آية ومعنى الآية في اللغة العلامة ومنه
قوله تعالى عيدا لاؤنا وآخنا وآية منك أي علامة لأجابتك دعانا وكل آية من كتاب الله علامة ودلالة على
المضون فيها وقال ابو عبيدة معنى الآية انها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها وانقطاعه من الذي بعدها وقيل
ان الآية القصة والرسالة قال كعب بن زهير

أَلَا أَيْلَنَا هَذَا الْمَعْرُضَ آيَةً أَيْقِظَانِ قَالَ الْقَوْلَ إِذْ قَالَ أَمْ حَلْمُ

أي رسالة فعلى هذا يكون معنى الآيات النصص أي قصة تتلو قصة وقال ابن السكيت خرج القوم بآيتهم
أي بجماعتهم لم يدعوا وراهم شيئا وعلى هذا يكون معنى الآية من كتاب الله جماعة حروف دالة على معنى مخصوص
والاصحاب جمع الصاحب وهو القرين واصل الصبغة المقارنة فالصاحب هو الحاصل مع آخر مدة لأنه اذا اجتمع
معه وقتا واحدا لم يكن صاحبا له لكن يقال صاحبا له لكن يقال صاحبا له وقتا من الزمان ثم فارقه

﴿ الاعراب ﴾

موضع أو تلك يحتمل ثلاثة أوجه ﴿ احدها ﴾ أن يكون بدلا من الذين أو عطف بيان واصحاب النار بيان
عن أو تلك مجراه مجرى الوصف والخبر هم فيها خالدون والثاني أن يكون ابتداء وخبرا في موضع الخبر الاول
والثالث ان يكون على خبرين بنزلة خبر واحد كقولك هذا حلوا حامض فان قيل فلم دخلت الفاء في موضع آخر
مثل قوله فاولئك هم عسب سبين ولم يدخلها هنا قلنا لأن ما دخل فيه الفاء من خبر الذي وأخواته مشبها للجزء

وما لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر وإذا قلت مالي فهو لك ان اردت ما يعني الذي جاز وان اردت به المال لم يحز

﴿ المعنى ﴾

«الذين كفروا» أي جحدوا «وكذبوا بآياتنا» أي دلالاتنا وما أتزلناه على الانبياء. «أو آتاك اصحاب النار» أي الملازمون للنار «هم فيها خالدون» أي دلقون وفي هذه الآية دلالة على أن من مات مصراً على كفره غير نائب منه وكذب بآيات ربه فهو مغلد في نار جهنم وآيات الله دلالاته وكتبه المقرلة على رسله والآية مثل الحجية والدلالة وان كان بينها فرق في الاصل يقال دلالة هذا الكلام كذا ولا يقال آيته ومن استدلل بهذه الآية على أن عمل الجوارح قديكون من الكفر بقوله وكذبوا بآياتنا فتقوله يفسد بأن التكذيب نفسه وان لم يكن كفراً فهو دلالة على الكفر لأنه لا يقع الا من كافر كالسجود للشمس وغيره

قوله تعالى (٤٠) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ يَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

القراءة المشهورة اسرائيل مهوز ممدود مشبع وهو الفصحح وروي في الشواذ عن الحسين والزهري اسرائيل بلاهمز ولا مد وعن الاعمش وعيسى بن عمر كذلك وحكي عن الاخفش اسرائيل بكسر الهجزة من غير ياء وحكي قطرب اسرائيل من غير همز ولا ياء واسرئيل بالنون قال ابو علي العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه وأشد هل تعرف الدار لآم الخرزج منها فظلت اليوم كالمرزج

يريد المرزج وهو الحمر من الزرجون قال والنون في زرجون اصل كالسين في قريوس فاذا جاز للعرب أن تحاط فيا هو لغتها فكيف فيا ليس من لغتها واختير تحريك الباء في قوله نعمتي التي انعمت لأنه لقيها ألف الوصل واللام فلم يكن بد من إسقاطها أو تحريكها فكان التحريك أولى لأنه أدل على الاصل واشكل بما يلحق اللام في الاستئناف من فتح ألف الوصل واسكان الياء من قوله يا عبادي الذين اسرفوا أي الاسقاط ههنا أجود لأن من حتى ياء الأضافة الأتثبت في النداء واذا لم تثبت فلا طريق إلى تحريكها والاختيار في قوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول حذف الياء لأنه رأس آية ورووس الآي لا تثبت فيها الياء لأنها فواصل ينوي فيها الوقت كما يفعل ذلك في التوقيف وأجمعوا على إسقاط الياء من قوله فرهبون الا ابن كثير فإنه أثبت في الوصل دون الوقف والوجه حذفها لسكراهية الوقف على الياء وفي كسر النون دلالة على ذهاب الياء

﴿ اللغة ﴾

الأبن والولد والنسل والذرية متقاربة المعاني الا أن الأبن للذكر والولد يقع على الذكر والانثى والنسل والذرية يقع على جميع ذلك وأصله من البناء وهو وضع الشيء على الشيء فالأبن مبنى على الأب لأن الأب أصل والأبن فرع والبنوة مصدر الابن وان كان من الياء كالفتوة مصدر الفتى وتثنيته فتيان واسرائيل هو يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم وقيل أصله مضاف لأن أسر معناه عبد وايل هو الله بالعبرانية فصار مثل عبد الله وكذلك جبرائيل وميكائيل والذكر الحفظ للشيء بذكره وضده النسيان والذكر جوي الشيء على لسانك والذكر الشرف في قوله وانه لذكر لك ولقومك والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين وكل كتاب من كتب الانبياء ذكر والذكر الصلاة والدعاء وفي الأثر كانت الانبياء اذا أجزنهم أمر فزعوا الى الذكر أي الى الصلاة وأصل الباب التنبيه على الشيء قال صاحب العين تقول وفيت بعمدك وفا وأوفيت لما تهاه قال الشاعر في الجمع بين اللتين

أما ابن عوف فقد أوفى بذمته كفاً ووفى بقلاص النجم حادياً

يعني به الديوان وهو التالي والعهد الأمر والعهد الوصية والرهب الخوف وضدها الرغبة وفي المثل رهوت خير من رحوت أى لأن ترهب خير من أن ترحم

﴿ الاعراب ﴾

يا حرف النداء وهي في موضع نصب لأنه منادى مضاف واسرائيل في موضع جر لأنه مضاف اليه وفتح لأنه غير منصرف وفيه سيبان المعجمة والتعريف وقوله وايي ضمير منصوب ولا يجوز أن يكون منصوبا بقوله فارهبون لأنه مشغول كما لا يجوز أن يقول ان زيدا في قولك زيدا فاضربه منصوب باضربه لكنه يكون منصوبا بفعل يدل عليه ما هو مذكور في اللفظ وتقديره وايي ارهبوا فارهبون ولا يظهر ذلك لأنه استغني عنه بما يفهمه وان صح تقديره ولا يجوز في مثل ذلك الرفع على أن يكون الخبر فارهبون الا على تقدير محذوف كما أنشد سيبويه

وَ قَائِلَةٌ سَخُولَانُ فَأَنْكَحَ فَتَاتَهُمْ وَأَ تَرُومَةُ الْحَيِّينَ خَلَوْ كَمَا هِيَ

تقديره هو لا . خولان فانكح فتاتهم وعلى ذلك حمل قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما وفيما فرض عليكم الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما

﴿ المعنى ﴾

لما عمَّ الله تعالى جميع الخلق بالحجج الواضحة على توحيدِهِ وذكرهم ما أنعم به عليهم في ايهم آدم عليه السلام خص بني اسرائيل بالحجج وذكرهم ما اسدى اليهم والى آباؤهم من النعم فقال «يا بني اسرائيل» يعني يا بني يعقوب نسبهم الى الأب الأعلى كما قال يا بني آدم والخطاب لليهود والنصارى وقيل هو خطاب لليهود الذين كانوا بالمدينة وما حولها عن ابن عباس «اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم» اراد بذلك النعم التي أنعم بها على أسلافهم من كثرة الانبياء فيهم والكتب والنجانهم من فرعون ومن الترق على أعجب الرجوه واتزال ان والسوى عليهم وكون الملك فيهم في زمن سليمان عليه السلام وغير ذلك وعد النعمة على آباؤهم نعمة عليهم لأن الاولاد يتسرفون بغضية الآباء. وهذا كما يقال في الفاخرة قتلناكم يوم الفجار وهزمنناكم يوم ذي قار وغلبناكم يوم النصارى وذكر النعمة بلفظ الواحد والمراد بها الجنس كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والواحد لا يمكن عدّه وقيل المراد بها النعم الواصلة اليهم بما اختصوا به دون آباؤهم او اشتركوا فيه مع آباؤهم فكان نعمة على الجميع فن ذلك تبقية آباؤهم حتى تناسلوا فصاروا من اولادهم ومن ذلك خلقه إياهم على وجه يمكنهم معه الاستدلال على توحيدِهِ والوصول الى معرفته فيشكروا نعمه ويستحقوا ثوابه ومن ذلك ما يوصل اليهم حالا بعد حال من الرزق ويدفع عنهم من المكاره والأسوأ وما يسبغ عليهم من نعم الدين والدنيا فعلى القول الاول تكون الآية تذكيرا بالنعم عليهم في اسلافهم وعلى القول الثاني تكون تذكيرا بالنعم عليهم ومن النعم على اسلافهم في ما ذكره في قوله واذ قال موسى لقومه يا قومي اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآناكم ما لم يوت احدنا من العالمين وقال ابن الانباري اراد اذكروا ما انعمت به عليكم فيا استودعتكم من علم التوراة وبينت لكم من صفة محمد صلى الله عليه وآله والزمتمكم من تصديقه واتباعه فلما بحث ولم يتبعوه كانوا كالتاسين لهذه النعمة وقوله «واوفوا بعهدي أوف بعهديكم» قيل فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان هذا العهد هو ان الله تعالى عهد اليهم في التوراة انه باعث نبيا يقال له محمد فن تبعه كان له اجران اثنان اجر باتباعه موسى وايمانه بالتوراة واجر باتباعه محمداً وايمانه بالقرآن ومن كفر به تكاملت اوزاره وكانت النار جزاءه فقال اوفوا بعهدي في محمداً ووف بعهديكم ادخلكم الجنة عن ابن عباس فسمى ذلك عهدا لأنه تقدم به اليهم في الكتاب السابق وقيل انما جعله عهدا لتأكيد بجزلة العهد الذي هو اليمين كما قال سبحانه واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه

للناس ولا تكفونوه (وثانيها) انه العهد الذي عاهدكم عليه حيث قال خذوا ما آتيناكم بقوة اي بجهد واذكروا ما فيه اي ما في الكتاب عن الحسن (وثالثها) انه ما عهد اليهم في سورة المائدة حيث قال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبمئتنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي الآيات عن قتادة (ورابعها) انه اراد جنس الأوامر والنواهي (وخامسها) انه جعل تعريفه اياهم نعمة عهد اعطاهم وميثاقا لانه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعم كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يوحى عليهم والاول اقوى لأن عليه أكثر المفسرين وبه يشهد القرآن وقوله «واي اي فارهبون» اي خافوني في نقض العهد وفي هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة وفي الحديث التحدث بالنعمة شكر وفيها دلالة على عظم العصية في جحود النعم وكفرانها وطلوق الوعيد الشديد بكتابتها ويدل ايضا على ثبوت افعال العباد اذ لو لم تكن لهم افعال لما صح العهد والأمر والنهي والوعد والوعيد ولا أدى الى بطلان الرسل والكتب

قوله تعالى (٤١) **وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** (آية)

﴿اللغة﴾

قوله اول كافر قال الزجاج يعني اول الكافرين وفيه قولان قال الأخفش معناه اول من كفر به وقال غيره من البصريين معناه اول فريق كافر به اي بالنبي صلى الله عليه وآله قال وكلا القولين صواب حسن ونظير قوله اول كافر به قال الشاعر

وَإِذَا هُمْ طُعِمُوا قَالُوا طَاعِمٌ وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيَاعٍ

والثمن والعرض والبدل ونظائر وبينها فروق فالثمن هو البدل في البيع من العين او الورق واذا استعمل في غيرهما كان مشبهاً بها ومجازا والعرض هو البدل الذي يتنعم به كأننا ما كان والبدل هو الشيء الذي يجعل مكان غيره وثوب ثمين كثير الثمن والتمين للثمن والفرق بين الثمن والقيمة ان الثمن قد يكون وفقاً وقد يكون بخفاً وقد يكون زائدا والقيمة لا تكون الا مساوية المقدار للثمن من غير نقصان ولا زيادة

﴿الاعراب﴾

مصدقاً نصب لانه حال من الماء المحذوفة من أنزلت كأنه قال أنزلته مصدقاً ويصلح ان يتنصب بآمنوا كأنه قال آمنوا بالقرآن مصدقاً ومعكم صلة لا والعامل فيه الاستقرار اي الذي استقر معكم والماء في به عائد الى ما في قوله بما أنزلت او الى ما من قوله لا معكم ونصب اول كافر لانه خبر كان

﴿المعنى﴾

ثم قال مخاطباً لليهود «وآمنوا» اي صدقوا «بما أنزلت» على محمد صلى الله عليه وآله من القرآن لانه منزل من السماء الى الارض «مصدقاً لما معكم» من التوراة امرهم بالتصديق بالقرآن وأخبرهم ان في تصديقهم بالقرآن تصديقاً منهم للتوراة لأن الذي في القرآن من الأمر بالاقرار بالنبوة لمحمد صلى الله عليه وآله وتصديقه نظير الذي في التوراة والانجيل فإن فيهما البشارة بمحمد وبيان صفة القرآن مصدق لهما وقيل معناه انه يصدق بالتوراة لأن فيه الدلالة على انه حق وانه من عند الله والاول اوجه لانه يكون حجة عليهم بأن جاء القرآن بالصفة التي تقدمت بها بشارة موسى وعيسى عليها السلام وقوله «ولا تكونوا اول كافر به» اي بالقرآن من اهل الكتاب لأن قريشا قد كانت كفرت به بحجة قبل اليهود وقيل المعنى ولا تكونوا السابقين الى الكفر به فيسمعكم الناس أي لا تكونوا أئمة في الكفر به عن ابي العالية وقيل المعنى ولا تكونوا اول جاحدين صفة النبي في كتابكم

فعلى هذا تعود الماء في به الى النبي صلى الله عليه وآله عن ابن جريج وقيل المعنى ولا تكونوا اول كافر بما معكم من كتابكم لأنكم اذا جعدتم ما فيه من صفة النبي (ص) فقد كفرتم به قال الزجاج وقواه بأن الخطاب وقع على علماء اهل الكتاب فاذا كفروا كفر معهم الاتباع فلذلك قيل لهم ولا تكونوا اول كافر به قال ولو كان الماء في به للقرآن فلا فائدة فيه لأنهم كانوا يظهرهم انهم كفرون بالقرآن وقال علي بن عيسى يحتمل ان يكونوا اول كافر بالقرآن انه حق في كتابكم وانما عظم اول الكفر لأنهم اذا كانوا أئمة لهم وقدوة في الضلالة كانت بذلتهم اعظم نحو ما روي عن النبي (ص) من سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وليس في نهيه عن ان يكونوا اول كافر به دلالة على انه يجوز ان يكونوا آخر كافر لأن المقصود النهي عن الكفر على كل حال وخص اولاً بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر

من أناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع

وليس يريدان فيهم فحشاً أجلاً وقوله «ولا تشقروا بآياتي ثنائياً قليلاً» روي عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال كان حبي بن أخطاب وكعب بن الأشرف وآخرون من اليهود لهم مأكلة على اليهود في كل سنة فكروها بطلانها بأمر النبي (ص) فحرفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذي اريد في الآية قال القراء انما ادخل الباء في الآيات دون الثمن وفي سورة يوسف ادخله في الثمن في قوله وشروه بشن نجس دراهم معدودة لأن العروض كلها انت محير فيها ان شئت قلت اشترت الثوب بكساء وان شئت قلت اشترت بالثوب كساء ايها - عملت ثنائياً لصاحبه جازفاً جئت الى الدرهم والسدنة وضعت الباء في الثمن كقوله وشروه بشن نجس دراهم لأن الدرهم ثمن ابدا والمعنى لا تستبدلوا بآياتي اي باقي التوراة من بيان صفة محمد ونمته ثنائياً قليلاً اي عرضاً يسيراً من الدنيا «واياي فاتقون» فاحشوني في امر محمد (ص) لا ما يفوتكم من الآكل والرئاسة وتقبيده الثمن بالغة لا يدل على انه اذا كان كثيراً يجوز شراؤه به لأن المقصود منه ان اي شيء باعوا به آيات الله كان قليلاً وانه لا يجوز ان يكون ثمن يساويه كقوله ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به وانما اراد بذلك نفي البرهان عنه على كل حال وانه لا يجوز ان يكون عليه برهان ومثله قوله ويقتلون النبيين بغير حق وانما اراد ان قتلهم لا يكون الا بغير حق ونظائر ذلك كثيرة ومنه قول امرئ القيس

على لا حجب لا يهتدي بينارِهِ إِذَا سَأَفَهُ الْعَوْدُ الدِّيَابِيُّ جُرْجَرًا

وانما اراد انه لا منار هناك فيهدى به وفي هذه الآية دلالة على تحريم اخذ الرشي في الدين لأنه لا يخلو؛ فما ان يكون امراً يجب اظهاره او يحرم اظهاره فالأخذ على مخالفة كلا الوجهين حرام وهذا الخطاب يتوجه ايضاً على علماء السوء من هذه الامة اذا اختاروا الدنيا على الدين فتدخل فيه الشهادات والتضام والتناوى وغير ذلك

قوله تعالى (٤٢) وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللّغة ﴾

التلبس والتغطية والتمسية ونظائر والفرق بين التغطية والتمسية ان التغطية تكون بالزيادة والتمسية قد تكون بالنقصان والزيادة وتند اللبس الأيضاح واللباس ما اريد به جسدك ولباس التقوى الحياء واللبس خلط الآدمر بعضها ببعض والعمل لبس الأمر يلبس لبساً ولبس الثوب يلبسه لبساً والفرق بين اللبس والاختفاء ان الاختفاء يمكن ان يدرك معه المعنى ولا يمكن مع اللبس ادراك المعنى والاشكال قد يدرك معه المعنى الا انه بصعوبة لأجل التعقيد وقال امير المؤمنين عليه السلام للحوث بن حوط يا حار انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله والباطل

والبطل واحد وهو ضد الحق والبطلان والفساد والكذب والزور والبهتان ونفاثر وابطلت الشيء، جماعته باطلا وابطل الرجل جا. بباطل

﴿ الاعراب ﴾

قوله وتكتموا الحق يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الحزم على النهي كأنه قال لا تابسوا الحق ولا تكتموا فيكون عطف جملة على جملة والآخر النصب على الظرف باضمار ان فيصكون عطف الاسم على مصدر الفعل الذي قبله وتقديره لا يمكن منكم لبس الحق وكتباته ودل تلبسوا على لبس كما يقال من كذب كان شره فالكذب يدل على الكذب فكأنه قال من كذب كان الكذب شرا قال الشاعر في مثله

لَا تَنَّهُ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ
عَادُ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

اي لا تجمع بين النهي عن خلق والاتيان بشده

﴿ المعنى ﴾

«لا تلبسوا» اي لا تخلطوا «الحق بالباطل» ومعنى لبسهم الحق بالباطل انهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض لأنهم جحدوا صفة النبي صلى الله عليه وآله فذلك الباطل واقرروا بغيره مما في الكتاب وقيل معناه لا تحرفوا الكلم عن مواضعه فالتحريف هو الباطل وتركهم ما في الكتاب على ما هو به هو الحق وقال ابن عباس لا تخلطوا الصدق بالكذب وقيل الحق التوراة التي اتزها الله على موسى والباطل ما كتبه بأيديهم وقيل الحق اقرارهم ان محمدا مبعوث الى غيرهم والباطل إنكارهم ان يكون بعث اليهم وقوله «وتكتموا الحق وانتم تعلمون» اي لا تكتموا صفة النبي (ص) في التوراة وانتم تعلمون انه حق والخطاب متوجه الى رومساء اهل الكتاب كما وصفهم بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه للتبليس على اتباعهم وهذا تبيين لا يفعلونه اي يجحدون ما يعلمون وجحد العالم اعظم من جحد الجاهل وقيل معناه وانتم تعلمون البعث والجزاء وقيل معناه وانتم تعلمون ما اتزل ببني اسرائيل وما سيقول عن كذب على الله تعالى وقيل معناه وانتم تعلمون ما اتزل ببني اسرائيل من السخ وغيره فان قيل كيف يجوز ان يكون هو لا. صاروا كفارا وما اتوا على كفرهم قلنا لا يتنع ان يكونوا عرفوا الله على وجه لا يستحقون به الثواب لأن الثواب انما يستحق بأن ينظروا من الوجه الذي يستحق به الثواب فاذا نظروا على غير ذلك الوجه لا يستحقون الثواب فعلى هذا يجوز ان يكونوا عارفين بالله والتوراة وبصفات النبي (ص) وان لم يستحقوا الثواب فلا يتنع ان يكفروا وقال بعض اصحابنا استحقاقهم الثواب على ايمانهم مشروط بالموافاة فاذا لم يوافقوا بالايمان لم يستحقوا الثواب فعلى هذا يجوز ان يكونوا عارفين وان لم يكونوا مستحقين لثواب يبطل بالكفر والمتمدد الاول قوله تعالى (٤٣) وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

أصل الصلاة عند أكثر اهل اللغة الدعاء على ما ذكرناه قبل ومنه قول الاعشى

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَجِلًا
يَا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الْأَوْصَابَ وَالْوَجَمَا
عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِي صَلَّى فَاعْتَمِيضِي
تَوْمًا فَإِنَّ لِحْجِبِ الرَّمْرِ مُضْطَجِمًا

أي دعوت وقيل اصلها التزوم من قول الشاعر

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلْمَ اللَّهِ
وَإِنِّي إِحْرَاهَا الْيَوْمَ صَالٍ

أي ملازم لحرفها فكان معنى الصلاة ملازمة العبادة على الحد الذي أمر الله تعالى به وقيل أصلها من الصلاة وهو عظم العجز لرفعه في الركوع والسجود ومنه قول التابعه

قَابَ مُصَلَّوهُ بِعَيْنِ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَتَائِلٌ

أي الذين جاؤوا في صلاة السابق وعلى القول الأول أكثر العلماء. وقد بينا معنى إقامة الصلاة فيما مضى والزكاة والناب. والزيادة نظائر في اللغة وقال صاحب العين الزكاة زكاة المال وهو تطهيره وذاكا الزرع وغيره يزكو ذكا بمدودا أي غا وازداد وهذا لايزكوبفلان أي لايليق به والزركا الشفع والحسا الورتر واصله تشييد المال بالبركة التي يجعلها الله فيه والركوع والانحناء. والانحناء نظائر في اللغة وقال ابن دريد الراكع الذي يركب على وجهه ومنه الركوع في الصلاة قال الشاعر

وَأَفَلَتْ حَاجِبٌ فَوْقَ الْعَوَالِي عَلَى شَقَاءٍ تَرَكَعٌ فِي الظَّرَابِ

وقال صاحب العين كل شيء ينكب لوجهه فتسم ركبته الأرض أو لاتمس بعد أن يطأ على رأسه فهو راعع قال الشاعر

وَلِكَيْنِي أَنْصُ الْعَيْسَ نُدَى أَبَاطِلَهَا وَتَرَكَعٌ بِالْحُزُونِ

وقال لبيد

أَخْبِرْ أَخْبَارَ الثُّرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدْبُ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعٌ

وقيل انه مأخوذ من الخضوع قال الشاعر

لَا تَهَيِّنَ الْفَقِيرَ عَلَيْكَ أَنْ تَرَكَعَ يَوْمًا وَالِدَهُرُ قَدْ رَفَعَهُ

والأول أقوى وانما يستعمل في الخضوع مجازا وتوسعا

﴿ المعنى ﴾

« وأقيموا الصلاة » أي أدوها بأركانها وحدودها وشرائطها كما بينها النبي (ص) « وآتوا الزكاة » أي أعطوا ما فرض الله عليكم في أموالكم على ما بينه الرسول لكم وهذا حكم جميع ماورد في القرآن مجملا فإن بيانه يكون موكولا إلى النبي (ص) كما قال سبحانه وتعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلذلك أمرهم بالصلاة والزكاة على طريق الاجمال واحال في التفصيل على بيانه وقوله « واركعوا مع الراكعين » انما خص الركوع بالذكر وهو من افعال الصلاة بعد قوله وأقيموا الصلاة لأحد وجوه ﴿ أحدها ﴾ أن الخطاب لليهود ولم يمكن في صلاتهم ركوع وكان الاحسن ذكر المخصص دون المشترك لأنه أبعد من اللبس (وثانيها) أنه عبر بالركوع عن الصلاة يقول القائل فرغت من ركوعي أي صلاتي وإنما قيل ذلك لأن الركوع اول ما يشاهد من الافعال التي يستدل بها على أن الإنسان يصلي فكانه ذكر الصلاة تأكيدا عن أبي مسلم ويمكن ان يكون فيه فائدة ترد على التاكيد وهو أن قوله أقيموا الصلاة انما يفيد وجوب اقامتها ويحتمل أن يكون إشارة إلى صلاتهم التي يعترفونها وأن يكون الصلاة إشارة إلى الصلاة الشرعية وقوله واركعوا مع الراكعين يكون معناه صلوا مع هؤلاء المسلمين الراكعين فيكون متخصصا بالصلاة الثبوتية في الشرع فلا يكون تكرارا بل يكون بيانا (وثالثها) أنه حث على صلاة الجماعة لتقدم ذكر الصلاة في اول الآية

قوله تعالى (٤٤) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (آية)

﴿ اللغته ﴾

البر في اللغة والاحسان والصلة نظائر يقال فلان بار وصول محسن وضد البر العتوق ورجل بر وبار وبرت يمينه

صدقت وبر حجه وبر لثان وقولهم فلان لا يعرف المر من البر قال الاخفش معناه لا يعرف من يهرّ عليه من يبره وقال المازني المر السنور والبر الفارة اودوية تشبهها والفرق بين البر والخير ان البر يدل على قصد والخير قد يقع على وجه السهو والسيان والسهو والغفلة نظائر وضد النسيان الذكر حقيقة غروب الشيء عن النفس بعد حضوره وهو عدم علم ضروري من فعل الله تعالى والسهو قد يقع عما كان الانسان عالما به وعما لم يكن عالما به وقد يكون النسيان بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله فأنسوا اي تركوا ذكر الله فخذلهم والتلاوة القراءة تلا يتلو تلاوة اي قرأ وتلا يتلو تلو اي تبع واصل التلاوة منه لاتباع بعض الحروف فيها بعضا والفرق بين التلاوة والقراءة ان اصل القراءة جمع الحروف واصل التلاوة اتباع الحروف والمقل والنهم والمعرفة واللب نظائر ورجل عاقل فهم لبيب ذو معرفة وضد العقل الحقيق يقال عقل الشيء عقلا وعقله غيره وقيل لابن عباس اني لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان سؤول وقال صاحب كتاب العين العقل ضد الجهل يقال عقل الجاهل اذا علم وعقل المريض بعد ان اهجر وعقل المتروك ونحوه والعقال الرباط يقال عقلت البعير اعقله عقلا اذا شدت يده بالعقال والعقل مجموع علوم لأجلها يتنوع الحلي من كثير من التبعات ويفعل كثيرا من الواجبات وانما سميت تلك العلوم عقلا لأنها تعقل عن القبيح وقيل لأنها تعقل العلوم المكتسبة ولا يوصف القديم تعالى بأنه عاقل لأنه لا يعقله شيء عن فعل التبسيح وانما لا يختاره لعلمه بقبحه وبأنه غني عنه ولأنه لا يكتب علمها بشيء فيثبت بعض علومه ببعض وقال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يزجر عن قبيح الفعل ومن كان زاجره اقوى فهو اعقل وقيل العقل معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة وقيل هو التمييز الذي به فارق الانسان جميع الحيوان وهذه العبارات قريبة معاني بعضها من بعض والفرق بين العقل والعلم ان العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم ولا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله فان قيل اذا كان العقل مختلفا فيه فكيف يجوز ان يستشهد به قلنا ان الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه الا ترى ان الاختلاف في ماهية العقل حتى ان بعضهم قال معرفة وبعضهم قال قوة لا يوجب الاختلاف في ان الماتة اكثر من واحد وان الكل اعظم من الجزء وغير ذلك من قضايا العقل

﴿ المعنى ﴾

هذه الآية خطاب لعلماء اليهود وكانوا يقولون لأقربائهم من المسلمين اثبتوا على ما انتم عليه ولا يؤمنون هم والاثاب للاستفهام ومعناه التوبيخ والمراد بالبر الايمان بحمد (ص) وبجهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من امر الناس بالايمان بحمد (ص) وترك انفسهم عن ذلك قال ابو مسلم كانوا يأمرون العرب بالايمان بحمد (ص) اذا بعث فلما بعث كفروا به وروي عن ابن عباس ان المراد انهم كانوا يأمرون بتابعهم بالتمسك بالتوراة وتركوا هم التمسك به لأن جدهم النبي (ص) وصفته فيه ترك للتمسك به وعن قتادة كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وهم يخالفونه وروي انس بن مالك قال قال رسول الله (ص) مررت ليلة اسري بي على اناس تقرض شفاههم بتقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبرائيل فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم وقال بعضهم تأمرون الناس بالصدقة وتتكونها انتم واذا اتسكم الضعفاء بالصدقة لتفرقوها على المساكين ختمت فيها وقوله «وانتم تتلون الكتاب» معناه وانتم تقرؤون التوراة وفيها صفة ونزته عن ابن عباس وقوله «افلا تعلمون» افلا تتقون ان ما تفعلونه قبيح في العقول وعن ابي مسلم ان معناه هذا ليس يفعل من يعقل وقيل معناه افلا تعلمون ان الله يعذبكم ويعاقبكم على ذلك وقيل افلا تعلمون ان ما في التوراة حق فتصدقوا محمدا وتبعوه فان قيل اذا كان فعل البر واجبا والأمر به واجبا فلما ذا وبجهم الله تعالى على الأمر بالبر قلنا لم يوجبهم الله على الأمر بالبر وانما وبجهم على ترك فعل البر المضموم الى الأمر بالبر لأن ترك البر من يأمر به اتبع من تركه من لا يأمر به فهو كقول الشاعر
لَا تَنْتَهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي بِمِثْلِهِ
عَارُ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

ومعلوم انه لم يرد به النهي عن الخلق المذموم وانما اراد النهي عن اتيان مثله
قوله تعالى (٤٥) وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الصبر منع النفس عن محابها وكفها عن هواها ومنه الصبر على المصيبة لكف الصابر نفسه عن الجزع ومنه
جا. في الحديث وهو شهر الصبر لشهر رمضان لأن الصائم يصبر نفسه ويكفها عما يفسد الصيام وقتل فلان صبرا
وهو ان ينصب للقتل ويجلس عليه حتى يقتل وكل من حبسته لقتل او يمين يقال فيه قتل صبر ويمين صبر وصبرته
اي حلفته بالله جهد القسم وفي الحديث اقتلوا القاتل واصبروا الصابر وذلك فيمن امسكه حتى قتله آخر فأمر
بقتل القاتل وحبس المسك والخشوع والخضوع والتذلل والإخبات نظائر وضد الخشوع الاستكبار وخشع
الرجل اذا رمى ببصره الى الأرض واختشع اذا طأطأ رأسه كالتواضع والخشوع قريب المعنى من الخضوع الا ان
الخضوع في البدن والأقرار بالاستخدام والخشوع في الصوت والبصر قال سبحانه خاشعة ابصارهم وخشعت
الاصوات اي سكنت واصل الباب من اللين والسهولة والخشوع والتواضع والتذلل والمستكين بمعنى قال الشاعر
لَمَّا أَتَى خَبْرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ
مُورُ الْمُدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ

﴿ الاعراب ﴾

قوله وانها لكبيرة اللام تدخل في خبر ان ولا تدخل في خبر اخواتها لأنها لام التأكيد فهي شبيهة بأن في
أنها تدخل على الابتداء وخبره كما تدخل ان وتدخل بمعنى القسم كما تدخل ان تقول والله لتخرجن كما تقول والله انك
خارج فإذا كان بينهما هذه المجانسة فإذا دخلت على أن في نحو لأنها كبيرة كرهوا أن يجمعوا بين حرفين متشاكلين
متفقين في المعنى فأخر اللام الى الخبر ليفصل بين اللام وبين ان بالاسم نحو إنها لكبيرة فاما سائر اخوات ان فتى
تركب مع الابتداء وخبره خرج الابتداء من صورة الابتداء ويصير قسما آخر فلا يدخل اللام عليه وإذا لم يدخل عليه
كان بالحري ان لا يدخل على خبره

﴿ النزول ﴾

قال الجبائي انه خطاب للمسلمين دون اهل الكتاب وقال الرماني وغيره هو خطاب لاهل الكتاب ويتناول
الروميين على وجه التأديب والاولى ان يكون خطابا لجميع المكلفين لقتد الدلالة على التخصيص ويؤيد قول
من قال انه خطاب لاهل الكتاب ان ما قبل الآية وما بعدها خطاب لهم

﴿ المعنى ﴾

من قال انه خطاب لليهود قال ان حب الرياسة كان يمنع علماء اليهود عن اتباع النبي (ص) لانهم خافوا زوال
الرياسة اذا اتبعوه فأمرهم الله تعالى فقال «واستعينوا» على الرفاء. بمهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه من
طاعتي واتباع امري وترك ما نهيتكم عنه والتسليم لامري واتباع رسولي محمد بالصبر على ما انتم فيه من ضيق
للماش الذي تأخذون الاموال من عوامكم بسية وروي عن ائمتنا عليهم السلام ان المراد بالصبر الصوم فيكون
فائدة الاستعانة به انه يذهب بالشرة وهواء النفس كما قال الصوم وجاء. وفائدة الاستعانة بالصلاة انه يتلى فيها
ما يرغب فيا عند الله تعالى ويزهد في الدنيا وحب الرياسة كما قال سبحانه ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ولانها تتضمن التواضع لله تعالى فيدفع حب الرياسة وكان النبي (ص) اذا حزنه امر استعان بالصلاة والصوم
ومن قال انه خطاب للمسلمين قال المراد به استعينوا على تجز ما وعدته لمن اتبع النبي (ص) او على مشقة
التكليف بالصبر اي يجلس النفس على الطاعات وحبسها عن المعاصي والشهوات وبالصلاة لا فيها من تلاوة القرآن

والتدبر لعانيه والاتعاظ بمواعظه والانتثار بأوامره والانتجار عن نواهي وجه آخر أنه ليس في افعال القلوب اعظم من الصبر ولا في افعال الجوارح اعظم من الصلاة فأمر بالاستعانة بها وروي عن الصادق عليه السلام انه قال ما يمنع احدكم اذا دخل عليه غم من غموم الدنيا ان يتوضأ ثم يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيها اما سمعت الله تعالى يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقوله تعالى «وانها لكبيرة» قيل في الضير في وانها وجوه ﴿احدها﴾ أنها عائد الى الصلاة لانها الاغلب والافضل وهو قول اكثر المفسرين وعلى هذا فني عود الضير الى واحد وقد تقدم ذكر اثنين قولان ﴿احدهما﴾ ان المراد به الصلاة دون غيرها وخصها بالذكر لقربها منه ولانها الاهم والافضل ولتأكيد حاملها وتضع شأنها وعموم فرضها (والآخر) ان المراد الاثنان وان كان اللفظ واحدا ويشهد لذلك قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإذارأوتجارة اولهوا انقضوا اليها والله ورسوله احق ان يرضوه وقول الشاعر

وَدَّ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُودًا
إِنْ شَرَّحَ الشَّبَابَ وَالشَّمْرَ الْإِنْسَ
ولم يقل يعاصيا وقول الآخر

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ
وَيُرَى وَقِيَارًا بِهَا لِقَرِيبٍ

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَ
وقول الآخر

أَمَا الْوِسَامَةُ أَوْ حَسَنُ النَّسَاءِ فَقَدْ
أُوتِيَتْ مِنْهُ أَوْ أَنَّ الْعَقْلَ مُحْتَبِكُ

ونحو ذا كثير في الكلام (وثالثها) انه عائد الى الاستعانة يعني ان الاستعانة بها لكبيرة وقوله استعينوا يدل على الاستعانة ومثله قول الشاعر

إِذَا نُهِبِيَ السَّفِينَةُ جَرَى إِلَيْهِ
وَخَالَفَ وَالسَّفِينَةُ إِلَى خِلَافٍ

اي جرى الى السفه ودل السفه على السفه (وثالثها) ان الضير عائد الى محذوف وهو الاجابة للنبي (ص) عن الاصم او موم اخذت النفس بها أو تأدية ما تقدم او تأدية الصلاة وضروب الصبر عن المعاصي او هذه الحظيئة عن ابي مسلم وهذه الوجوه الاخيرة كلها ضعيفة لانها لم يجر لها ذكر وقوله لكبيرة اي لتثقله عن الحسن وغيره والاصل فيه ان كل ما يكبر يتقل على الانسان حمله فيقال لكل ما يصعب على النفس وان لم يكن من جهة الحمل يكبر عليها تشبيها بذلك وقوله «الا على الحاشعين» اي على المتواضعين لله تعالى فانهم قد وطنوا أنفسهم على فعلها وعودوا اياها فلا يتقل عليهم وايضا فإن المتواضع لا يبالي بزوال الرياسة اذا حصل له الايمان وقال مجاهد اراد بالحاشعين الرومانيين فانهم إذا علموا ما يحصل لهم من الثواب بفعلها لم يتقل عليهم ذلك كما ان الانسان يتجرع مرارة الدواء لا يرجو به من نيل الشفاء وقال الحسن اراد بالحاشعين الحاشعين

قوله تعالى (٤٦) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (آية)

﴿اللغة﴾

الظن المذكور في الآية بمعنى العلم واليقين كما قال دريد بن الصمه

فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْقِيَامِ مَدَجِّجٌ
سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ السَّرْدِ
وقال ابوداود رُبَّ هَمٍّ فَرَجَتْهُ بِعَزِيمٍ
وَعُيُوبٍ كَشَفَتْهَا بِظُنُونٍ

وقال البرد ليس من كلام العرب اظن عند زيد ما لا يعني اعلم لان العلم المشاهد لا يناسب باب الظن وقد افصح عن ذلك اوس بن حجر في قوله

الْأَلْمِي الَّذِي يظُنُّ بِكَ الظَّنُّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
وقال آخر فَإِلَّا بِأَتِكُمْ خَبْرٌ يَبِينُ فَإِنَّ الظَّنَّ يَنْقُصُ أَوْ يَزِيدُ

وقال بعض المحققين اصل الظن ما يجوز في النفس من الخاطر الذي يغلب على القلب كأنه حديث النفس بالشيء ويؤول جميع ما في القرآن من الظن بمعنى العلم على هذا والظن والشك والتجوز نظائر الا أن الظن فيه قوة على احد الأمرين دون الآخر وحده ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على خلافه فبالتجوز ينفصل من العلم وبالقوة ينفصل من الشك والتقليد وغير ذلك وهو من جنس الاعتقاد عند ابي هاشم وجنس برأسه سوى الاعتقاد عند ابي علي والقاضي واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وضد الظن اليقين والظنين المتهم ومصدره الظنة والظنون الرجل السيء الظن بكل احد والظنون البر التي يظن ان بها ماء ولا يكون ومظنة الرجل حيث يأمنه ويكون فيه وأصل الملاقة الملاصقة من قولك التي الحطبان اذا تلاصقا ثم كثرت حتى قيل التي الفارسان اذا تحاذيا ولم يتلاصقا ويقال رجع الرجل ورجعته ان لازم ومتعد وأصل الرجوع العود الى الحال الاولى

﴿ الاعراب ﴾

الذين يظنون في موضع الجر صفة للخاشعين وأنهم بفتح الالف لا يجوز غيره لأن الظن فعل واقع على معنى انه متعد يتعلق بالغير فما يليه يكون مفعولا له وأن المفتوحة المهززة يكون مع الاسم والجر في تأويل اسم مفرد وهاتان قد سد مسد مفعولي يظن ويكون المفعول الثاني مستغنى عنه مختلا من الكلام غير مضر كما ان الفاعل في اقامه الزيدان سد مسد الخبر لطول الكلام والاستغناء به عنه وهذا القول هو المختار عند ابي علي وفيه قول آخر وهو أن مسع الاسم والجر في موضع المفعول الأول والمفعول الثاني مضمرة محذوف لعلم المخاطب به فكأنه قال الذين يظنون ملاقة ربهم واقعة وحذفت النون من ملاقو ربهم تحفيضا عند البصريين والمعنى على اثباتها فإن المضاف اليه هنا وان كان مجرورا في اللفظ فهو منصوب في المعنى فهي اضافة لفظية غير حقيقية ومثله قوله انا مرسلو الناقة وكل نفس ذائقة الموت وقال الشاعر

هَلْ أَنْتَ بَاعْتِ دِينَارٌ لِحَاجَتِنَا أَوْ عَبْدَ رَبِّ أَخَاعُونَ بِنِ مَخْرَاقِ

ولو اردت معنى الماضي لتعرف الاسم بالاضافة لم يجز فيه اظهار النون البتة وقوله وأنهم اليه راجعون في موضع التصب عطفا على الاول

﴿ المعنى ﴾

لا تقدم ذكر الخاشعين بين صفتهم فقال «الذين يظنون» اي يوقنون «انهم ملاقو» ما وعدهم «ربهم» عن الحسن وبجاهد وغيرهما ونظيره قوله ايني ظننت اني ملاق حسابيه وقيل انه بمعنى الظن غير اليقين والمعنى أنهم يظنون أنهم ملاقو ربهم بذنوبهم لشدة اشتاقهم من الاقامة على معصية الله قال الرماني وفيه بعد لكثرة الحذف وقيل الذين يظنون انقضاء آجالهم وسرعة موتهم فيكونون ابداء على حذر ووجل ولا يركنون الى الدنيا كما يقال لمن مات لقي الله ويدل على ان المراد بقوله ملاقو ربهم ملاقون جزاء ربهم قوله تعالى في صفة المنافقين فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه ولا خلاف في أن المنافق لا يجوز أن يرى ربه وكذلك قوله ولوترى اذ وقفوا على ربهم قال ليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كسبتم تكفرون وجاء في الحديث من حلف على مال امرئ مسلم كاذبا لقي الله وهو عليه غضبان وليس التقاء من الرومية في شيء يقال لتلك الله محابك ولا يراد به ان

يرى اشخاصا وانما يراد لقاء ما يسره وقوله «وانهم اليه راجعون» يسأل هنا فيقال ما معنى الرجوع في الآية وهم ما كانوا قط في الآخرة فيعودوا اليها وجوابه من وجوه ﴿احدها﴾ انهم راجعون بالاعادة في الآخرة عن ابي العالية (وثانيها) أنهم يرجعون بالموت كما كانوا في الحال التقدم لانهم كانوا امواتا فاحيوا ثم يموتون فيرجعون امواتا كما كانوا (وثالثها) انهم يرجعون الى موضع لا يملك احد لهم ضرا ولا نفعا غيره تعالى كما كانوا في بدء الخلق لانهم في ايام حياتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم والتدبير لتفهمهم وضرمهم بين ذلك قوله مالك يوم الدين وتحقيق معنى الآية أنهم يقرون بالنشأة الثانية لجعل رجوعهم بعد الموت الى المحشر رجوعا اليه

قوله تعالى (٤٧) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (آية)

﴿ المعنى ﴾

قد مضى تفسير اول الآية فيا تقدم وقوله «وانني فضلتكم على العالمين» قال ابن عباس اراد به عالمي اهل زمانهم لأن امتنا افضل الأمم بالاجماع كما ان نبينا عليه افضل الصلاة والسلام افضل الأنبياء. وبدليل قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس وقيل المراد به تفضيلهم في اشياء مخصوصة وهي ازالة المن والسوى وما رسل الله فيهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب الى غير ذلك من النعم العظيمة من تعريق فرعون والآيات الكثيرة التي يخف معها الاستدلال ويسهل بها المشاق وتفضيل الله اياهم في اشياء مخصوصة لا يوجب أن يكونوا افضل الناس على الاطلاق كما يقال حاتم افضل الناس في السخا. ونظير هذه الآية قوله واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب اني قوله وانتم تنظرون فإن قيل فالفائدة في تكرار قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم قلنا لأنه لا كانت نعم الله هي الاصل فيا يجب شكره احتيج الى تأكيدها كما يقول القائل اذهب اذهب عجل عجل وقيل أيضا ان التذكير الاول ورد مجملا والثاني ورد مفصلا وقيل أنه في الاول ذكرهم نعمه على انفسهم وفي الثاني ذكرهم نعمه على آباؤهم

قوله تعالى (٤٨) وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل مكة والبصرة لا تقبل بالباء. والباقون بالياء.

﴿ الحجة ﴾

فنقرأ بالباء. الحق علامة التانيث لتو. ذن بأن الاسم الذي اسند اليه الفعل وهو الشفاعة مؤنث ومن قرأ بالياء فلأن التانيث في الاسم ليس بحقيقي فعلم على المعنى فذكر لأن الشفاعة والتشفع بمنزلة كما ان الوعظ والموعظة والصيحة والصوت كذلك وقد قال تعالى فمن جاءه موعظة واخذ الذين ظلموا الصيحة ويقوي التذكير ايضا انه فصل بين الفعل والفعل بقوله منها والتذكير يحسن مع الفصل كما يقال في التانيث الحقيقي حضر القاضي اليوم امرأة

﴿ اللفظة ﴾

الجزاء. والكفاة والمقابلة نظائر يقال جزي يجزي جزاء. وجزاه مجازاة وفلان ذو جزاء. اي ذو غنا. فكان قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقابل مكروها بشي. يدرأ عنها ومنه الحديث انه قال لاني برودة في الجذعة التي امره الله أن يضحى بها ولا تجزي عن احد بعدك وقال البقرة تجزي عن سبعة اي تقضي وتكفي قال ابو عبيدة هو مأخوذ من قولك جزا عني هذا الامر فلما قولهم اجزاني الشيء. اي كفاني فهموز وقبول الشيء. هر

تلقية والاخذ به خلاف الاعراض عنه ومن ثم قيل لتجاه الشيء قبائه وقالوا اقبلت المكواة الداء اي جعلتها قبائه قال «واقبلت افواه العروق المكاويا» والتبول والانتقاد والطاعة والإجابة نظائر وتقيضه الامتاع والشفاة مأخوذة من الشفع فكأنه سوا ال من الشفيع يشفع سوا ال المشفوع له والشفاة والرسية والقربة والرصة نظائر والشفعة في الدار وغيرها معروفة وانما سميت شفعة لأن صاحبها يشفع ماله بها ويضما الى ملكه والعدل والحق والإنصاف نظائر وتقيض العدل الجور والعدل المرضي من الناس الذكر والانثى والجمع والواحد فيه سوا والعدل القدية في الآية والفرق بين العدل والعدل ان العدل هو مثل الشيء من جنسه والعدل هو بدل الشيء وقد يكون من غير جنسه قال سبحانه او عدل ذلك صياما والنصرة والمعونة والتقوية نظائر وفي الحديث انصر اخاك ظالما أو مظلوما اي امنعه من الظلم ان كان ظالما وامنع عنه الظلم إن كان مظلوما وانصار الرجل امرانه ونصرت السماء اذا امطرت

﴿ الاعراب ﴾

يوما إنتصابه انتصاب المفعول لا انتصاب الظروف لأن معناه اتقوا هذا اليوم واحذروه وابس معناه اتقوا في هذا اليوم لأن ذلك اليوم لا يومر فيه بالإتقاء وإنما يومر في غيره من اجله وموضع لا تجزي نصب لأنه صفة يوم والعائد الى الموصوف فيه اختلاف ذهب سيويه الى ان فيه محذوف من الكلام اي لا يجزي فيه وقال آخرون لا يجوز اضمار فيه لأنك لا تقول هذا رجل قصدت أو رغبت وانت تريد اليه اوفيه فهو محمول على المفعول على السعة كأنه قيل واتقوا يوما لا تجزيه ثم حذف الهاء كما يقال رأيت رجلا احب اي احبه وهو قول السراج قال ابوعلي حذف الهاء من الصفة كما يحذف من الصلة لما بينهما من المشابهة فإن الصفة يخص الموصوف كما ان الصلة يخص الموصول ولا يعمل في الموصوف ولا يتسلط عليه كما لا يعمل الصلة في الموصول ومرتبها ان تكون بعد الموصوف كما ان مرتبة الصلة ان تكون بعد الموصول وقد يلزم الصفة في اماكن كما يلزم الصلة وذلك اذا لم يعرف الموصوف الا بها ولا تعمل الصلة فيا قبل الموصول كما لا تعمل الصفة فيا قبل الموصوف فاذا كان كذلك حسن الحذف من الصفة كما يحسن من الصلة في نحو قوله اهذا الذي بعث الله رسولا وقال الاخفش شيئا في موضع المصدر كأنه قال لا تجزي جزاء ولا تقني غناء وقال الرماني الاقرب ان يكون شيئا في موضع حقا كأنه قال لا يودي عنها حقا وجب عليها وقوله لا يقبل منها شفاة موضع هذه الجملة نصب بالعطف على الجملة التي هي وصف قبلها ومن ذهب الى انه حذف الجار واصل الفعل الى المفعول ثم حذف الراجع من الصفة كان مذهبه في لا يقبل ايضا مثله فما حذف منه الراجع الى الصفة قول الشاعر (وما شي حيت بمسبح) والضمير في منها عائد الى نفس على اللفظ وفي قوله ولا هم ينصرون على المعنى لأنه ليس المراد به المفرد فلذلك جمع

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه نعمه العظام عليهم انذرهم في كفرانها بيوم القيامة فقال «واتقوا» اي احذروا واخشوا «يوما لا تجزي» اي لا تقني او لا تقضي فيه «نفس عن نفس شيئا» ولا تدفع عنها مكروها وقيل لا يودي احد عن احد حقا وجب عليه لله او لغيره وانما نكر النفس ليعين ان كل نفس فهذا حكمها وهذا مثل قوله سبحانه واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا ولود هو جاز عن والده شيئا وقوله «ولا يقبل منها شفاة» قال المنفرون حكم هذه الآية مختص باليهود لأنهم قالوا نحن اولاد الانبياء وآباؤنا يشفون لنا فأيأسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص ويدل على ذلك ان الامة اجتمعت على ان للنبي (ص) شفاة مقبولة وان اختلفوا في كيفية فعدنا هي مختصة بدفع المضار واسقاط العقاب عن مستحقه من مذنب المؤمنين وقالت المعتزلة هي في زيادة المنافع للطيبين والتائبين دون العاصين وهي ثابتة عندنا للنبي (ص) ولاصحابه المنتجبين

والأنمة من اهل بيته الطاهرين ولصالحى المؤمنين وينجى الله تعالى بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين ويؤيده الخبر الذي تلقته الامة بالقول وهو قوله ادخرت شفاعة لاهل الكباثر من امتي وما جاء في روايات أصحابنا رضي الله عنهم مرفوعا الى النبي (ص) أنه قال إني اشفع يوم القيامة فاشفع ويشفع علي فيشفع اهل بيتي فيشفعون وان ادنى المؤمن شفاعا ليشفع في اربعين من اخوانه كل قد استوجب النار وقوله تعالى منجرا عن الكفار عند حسرتهم على النانت لهم مما حصل لاهل الايمان من الشفاعا فالتا من شافعين ولا صديق حميم وقوله «ولا يؤخذ منها عدل» أي فدية وإنما سمي الفداء عدلا لأنه يعادل المدي ويأثبه وهو قول ابن عباس ومعناه لا يؤخذ من احد فداء يكفر عن ذنوبه وقيل لا يؤخذ منه بدل بذنوبه ولما ما جاء في الحديث لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فاختلف في معناه قال الحسن الصرف العمل والعدل الفدية وقال الاصمعي الصرف التطوع والعدل التريضة وقال ابو صيدة الصرف الحيلة والعدل الفدية وقال الكلبي الصرف الفدية والعدل رجل مكانه وقوله «ولا هم ينصرون» أي لا يعاونون حتى ينجوا من العذاب وقيل ليس لهم ناصر ينتصر لهم من الله اذا عاقبهم

قوله تعالى (٤٩) وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قرأ ابن عييص يذبحون ابناكم

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنى وجه ذلك ان فعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثير وذلك لدلالة الفعل على مصدره والمصدر اسم الجنس وحسبك بالجنس سعة وعموما وانشد ابو الحسن

أَنْتِ الْفِدَاءُ يُقْبَلُهُ هَدْمَتَهَا وَتَقْرَتَهَا يَدَيْكَ كُلُّ مُتَقَرٍّ

فكانه قال ونقرتها لأن قوله كل متقر عليه جاء. ولما في الفعل من معنى المصدر الدال على الجنس لم يميز تثنيته ولا جمعه لاستحالة كل واحد من التثنية والجمع في الجنس

﴿ اللغة ﴾

الانجاء والتنجية والتخليص واحد والنجاة والخلص والسلامة والتخلص واحد ويقال للمكان المرتفع نجوة لأن الصائر اليه ينجو من كثير من المضار وفرق بعضهم بين الانجاء والتنجية فقال الانجاء يستعمل في الخلاص قبل وقوعه في المهلكة والتنجية يستعمل في الخلاص بعد وقوعه في المهلكة والآل والاهل واحد وقيل اصل آل اهل لأن تصغيره اهيل وحكى الكسائي اويل فزعموا انها ابدت كما قالوا هيات وايهاث وقيل لابل هو اصل بنفسه والفرق بين الآل والاهل ان الأهل اعم منه يقال اهل البصرة ولا يقال آل البصرة ويقال آل الرجل قومه وكل من يؤول اليه بنسب او قرابة مأخوذ من الأول وهو الرجوع واهله كل من يضمه بيته وقيل آل الرجل قرابته واهل بيته وآل البعير الواحه وآل الحية عمده وآل الجبل اطرافه ونواحيه وقال ابن دريد آل كل شيء شخصه وآل الرجل اهله وقرابته قال الشاعر

وَلَا تَبِكْ مَيْتًا بَعْدَ مَيْتٍ آجَنَةٌ عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ

وقال ابو عبيدة سمعت اعرابيا فصيحاً يقول اهل مكة آل الله قتلنا ما تعني بذلك قال اليسواسلمين المسلمون آل الله قال وانما يقال آل فلان للرئيس المتبع وفي شبه مكة لأنها ام القرى ومثل فرعون في الضلال واتباع قومه له فاذا جاوزت هذا فإن آل الرجل اهل بيته خاصة قتلنا له فيقول لقبيلته آل فلان قال لا الا اهل بيته خاصة

وفرعون اسم للملك العاقلة كما يقال الملك الروم قيصر. وملك القرمس كسرى وملك الترك خاقان وملك اليمن تبع فهو على هذا بمعنى الصفة وقيل ان اسم فرعون مصعب بن الريان وقال محمد بن اسحق هو الوليد بن مصعب يسومونكم يكلفونكم من قولهم سامه خطه خسف اذا كلفه اياه وقيل يولونكم سوء العذاب وسامه خسفا اذا اولاه ذلا قال الشاعر (ان سم خسفا وجهه تربدا) وقيل يمشونكم وقيل يعذبونكم واصل الباب السوم الذي هو ارسال الإبل في الرعي وسوء العذاب واليم العذاب وشديد العذاب نظائر قال صاحب العين سوء اسم العذاب الجامع للآفات والدا. يقال سوت فلانا اسووه مساوة ومساوية واستاء فلان من سوء مثل اهتم من المم والسوءة النعمة القبيحة والسوءة التمرج والسوءة ايضا كل عمل شين وتقول في التكرة رجل سوء كما يقال رجل صدق فإذا عرفت قلت الرجل سوء فلا تضيفه ولا تقول الرجل الصدق وقوله بياض من غير سوء اي من غير برص والذبيح والنحر والشق نظائر والذبيح فري الاوداج والتذبيح التكتير منه واصله الشق يقال ذبحت المسك اذا قتت عنه قال

كَانَ بَيْنَ فَكِّهَا وَالْفَكِّ فَارَةً مَسَكَ ذُبِحَتْ فِي سَكِّ

والذبيح الشيء المذبح والذباح والذبيحة بفتح الباء وتسكينها داء يصيب الانسان في حلقه ويستحيون اي يستبقون ومنه قول النبي (ص) اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم اي استبقوا شبابهم والنساء والنسوة والنسوان لا واحد لها من لفظها والبلاء والنعمة والاحسان نظائر في اللغة والبلاء يستعمل في الخير والشر قال سبحانه ونبلوكم بالشر والخير والابلاء في الانعام قال وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وقال زهير

جَزَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو

فالبلاء يكون بالانعام كما يكون بالانتقام واصل البلاء الامتحان والاختبار قال الاحنف البلاء ثم الشاء

﴿الاعراب﴾

العامل في إذ من قوله واذ نجيناكم قوله اذكروا من قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي فهو عطف على ما تقدم وقوله يسومونكم يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من آل فرعون والعامل فيه نجيناكم ويجوز أن يكون للأستئناف والابناء جمع ابن واصل ابن بنو بفتح الناء والعين ويدل على أن الناء كانت مفتوحة قولهم في جمعه ابنا. على وزن افعال وافعال بابه أن يكون لفعل نحو جبل واجبال كما كان فعل بتسكين العين بابه افضل نحو فرخ وافرغ والمعدوف من الأبن الواو على ما قلناه لأنها أتت فهي بالحذف أولى واليه ذهب الاخفش وابو علي التسوي

﴿المعنى﴾

ثم فصل سبحانه في هذه الآية النعم التي اجماها فيما قبل فقال واذكروا «اذ نجيناكم» اي خلصناكم من قوم «فرعون» وأهل دينه «يسومونكم» يلزمونكم «سوء العذاب» وقيل يذيقونكم ويكلفونكم ويعذبونكم والكل متقارب واختلفوا في العذاب الذي نجاهم الله تعالى منه فقال بعضهم ما ذكر في الآية من قوله يذبحون ابناكم ويستحيون نساءكم وهذا تفسيره وقيل لو اد به ما كانوا يكلفونهم من الاعمال الشاقة فنها انهم جعلوهم اصنافا فصنف يخدمونهم وصنف يجرئون لهم ومن لا يصلح منهم للعمل ضربوا عليهم الجزية وكانوا يذبحون ابناهم ويستحيون نساءهم مع ذلك ويدل عليه قوله تعالى في سورة ابراهيم يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناكم فسطفه على ذلك يدل على انه غيره وقوله «يذبحون ابناكم ويستحيون نساءكم» معناه يقتلون ابناكم ويستحيون نساءكم يستبقونهن ويدعونهن احما. ليستبدن ويشكهن على وجه الاسترقاق وهذا اشد من الذبيح وانما لم يقل بناتكم لأنه ساهن بالاسم الذي يولد حاملن اليه وقيل انما قال نساءكم على التغليب فإنهم كانوا يستبقون الصغار والكبار يقال اقبل الرجال وان كان فيهم صبيان ويجوز ايضا أن يقع اسم النساء.

على الصغار والكبار كالأبناء. قوله «وفي ذلكم» اي وفي سومكم العذاب وذبح الأبناء «بلا من ربكم عظيم» اي لا خلى بينكم وبينه حتى فعل بكم هذه الافاعيل وقيل في نجاتكم من فرعون وقومه نعمة عظيمة من الله عليكم

﴿ القصة ﴾

والسبب في قتل الابناء ان فرعون رأى في منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرق القبط وتركت بني اسرائيل فهاله ذلك ودعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه فقالوا أنه يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع القوابل من اهل مملكته فقال لمن لا يسقط على ايديكن غلام من بني اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت و وكل بهن فكن يفعن ذلك واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل روموس القبط على فرعون فقالوا له ان الموت قد وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فأمر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها

قوله تعالى (٥٠) واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون (آية)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قرأ الزهري واذ فرقنا بكم مشددة قال ابن جني فرقنا اشد تفريقا من فرقنا فعنى فرقنا بكم البحر جعلناه فرقا ومعنى فرقنا بكم البحر شققنا بكم البحر

﴿ اللغة ﴾

الفرق هو الفصل بين شئين اذا كانت بينهما فرجة والفرق الطائفة من كل شئ ومن الماء اذا انفرق بعضه عن بعض فكل طائفة من ذلك فرق ومنه كل فرق كالطود العظيم والفرق الخوف وفي الحديث ما اسكر الفرق فالفرجة منه حرام وهو مكيال يعرف بالمدينة والبحر يسمى بحرا لاستبحاره وهو سعة وانبساطه يقال استبحر في العلم وتبحر فيه وتبقر اذا اتسع وتمكن والباحر الاحمق الذي اذا كلم بيتي كالبهوت والعرب تسمي الماء الملح والمذب بحرا اذا كثر ومنه قوله مرج البحرين يلتقيان يعني الملح والمذب واصل الباب الاتساع واما اللج فهو الذي لا يرى حافته من في وسطه لكثرة مائه وعظمه ودجلة بالاضافة الى الساقية بحر وبالاضافة الى جدة ونحوها ليست ببحر والفرق الرسوب في الماء والنجاة ضد الترق كما انها ضد الهلاك واغرق في الأمر إذا جاوز الحد فيه واصله من ترع السهم حتى يخرج من كبد القوس واغرورقت عينه شرقت بدمعها والنظر النظر بالعين يقال نظرت الى كذا ونظرت في الكتاب وفي الأمر وقول القائل انظر الى الله ثم اليك معناه اتوقع فضل الله ثم فضلك ونظرته وانتظرته بمعنى واحد والنظر التفكير واصل الباب كله الاقبال نحو التي بوجه من الوجوه فالنظر بالعين الاقبال نحو البصر والنظر بالقلب الاقبال بالتفكير به نحو المفكر فيه والنظر بالرحمة هو الاقبال بالرحمة وحقية النظر هو قلب الحديقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرويته

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه نعمة اخرى فقال واذكروا «اذ فرقنا بكم البحر» اي فرقنا بين المائتين حتى مررتم فيه فكتمت فرقا بينهما تمرون في طريق ييس وقيل معناه فرقنا البحر بدخولكم اياه فوقع بين كل فريقين من البحر طائفة منكم يسلكون طريقا يابسا فوقع الفرق بينكم وقيل فرقنا بكم اي بسبيكم البحر لتمروا فيه «فانجيناكم» يعني من البحر والفرق وقوله «واغرقنا آل فرعون» ولم يذكر غرق فرعون لأنه قد ذكره في مواضع

كقوله فأغرقناه ومن معه فاختصر لدلالة الكلام عليه لأن العرض مبني على اهلاك فرعون وقومه ونظيره قول القائل (دخل جيش الأمير البادية) ويكون الظاهر أن الأمير معهم ويجوز أن يريد بآل فرعون نفسه كقوله مما ترك آل موسى وآل هارون يعني موسى وهارون وقوله «وانتم تنظرون» معناه وانتم تشاهدون انهم يفرقون وهذا أبلغ في الثبوت واضهار المعجزة وقيل معناه وانتم بمنظر ومشهد منهم حتى لو نظرتهم اليهم لأمكنكم ذلك لأنهم كانوا في شغل من ان يروهم كما يقال دور بني فلان تنظر الى دور آل فلان اي هي بأزائها وبحيث لو كان مكانها ما ينظر لأمكنه ان ينظر اليه وهو قول الزجاج وقريب مما قاله الفراء والأول أصح لأنهم لم يكن لهم شغل شاغل عن الروية فانهم كانوا قد جازوا البحر وتظاهرت اقوال المفسرين على أن اصحاب موسى (ع) رأوا انفراق البحر والطام امواجه بآل فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظاهر

﴿ القصة ﴾

وجملة قصة فرعون مع بني اسرائيل في البحر ما ذكره ابن عباس ان الله تعالى اوحى الى موسى أن يسري ببني اسرائيل من مصر فسرى موسى ببني اسرائيل ليلا فاتبعهم فرعون في الف الف حصان سوى الالاث وكان موسى في سبائة الف وعشرين الفا فلما عاينهم فرعون قال ان هؤلاء شرذمة قليلون وانهم لا يأتوننا وانما جميع حاذرون فسرى موسى ببني اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم يرهج دواب فرعون فقالوا يا موسى اوزينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا هذا البحر امامنا وهذا فرعون قد هفتنا بين معه فقال موسى (ع) عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون فقال له يوشع بن نون بم امرت قال امرت أن اضرب بعضاي البحر قال اضرب وكان الله تعالى اوحى الى البحر أن اطع موسى اذا ضربك قال فبات البحر له افكل اي رعدة لا يدري في اي جوانبه يضربه فضرب بعضاه البحر فانفلق وظهر اثنا عشر طريقا فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فقالوا انا لا نسلك طريقا نديا فأرسل الله ريح الصبا حتى جفت الطريق كما قال فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا فجزوا فيه فلما اخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض ما لنا لا نرى اصحابنا فقالوا لموسى اين اصحابنا فقال في طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرى حتى زاهم فقال (ع) اللهم أعني على اخلاقهم السيئة فأوحى الله تعالى اليه ان مل بعضاك هكذا وهكذا بينا وشمالا فأشار بعضاهم بينا وشمالا فظهر كالكوى ينظر منها بعضهم الى بعض فلما انتهى فرعون الى ساحل البحر وكان على فرس حصان ادهم فهاب دخول الماء فتمثل له جبريل على فرس انثى وديق وتقعهم البحر فلما رآها الحصان تقم خلفها ثم تقم قوم فرعون فلما خرج آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون البحر اطبق الله عليهم الماء ففرقوا جميعا ونجا موسى ومن معه وما يسأل عن هذا ان يقال كيف لم يعط الله تعالى كل نبي مثل ما أعطى موسى من الآيات الباهرة لتكون الحجة اظهر والشبهة ابعد والجواب أن الله ينصب الأعلام الباهرة والمعجزات القاهرة لاستصلاح الخلق وعلى حسب ما يرى لهم من الصلاح وقد كان في قوم موسى من بلادة النفس وكلاله الحدس ما لم يمكنه معه الاستدلال بالآيات الحقيقية الا ترى انهم لما عبروا البحر وأتوا على قوم يعكفون على اصنامهم قالوا بعد ما شاهدوه من هذه الآيات اجعل لنا آلهما كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون وكان في العرب وأمة نبينا (ص) من جودة القرية وحدة الفطنة وذكاء الذهن وقوة الفهم ما كان يمكنهم معه الاستدلال بما يحتاج فيه الى التأمل والتدبر والاستضاءة بنور العقل في التنكر فجاءت آياتهم مشاكلة لطباعهم المتوقفة ومجانسة لما ركب في اذهانهم من الدقة والحدة على ان في جميعها من الحجة الظاهرة والبينة الزاهرة ما يبني خلاص الشك عن قلب الناظر المستبين ويفضي به الى فضاء العلم اليقين ويوضح له مناهج الصدق ويوجه موالج الحق وما يستوي الاعى والبصير ولا يبتك مثل خبير

قوله تعالى (٥١) وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ اَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَاَنْتُمْ ظَالِمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل البصرة رابو جعفر هاهنا واعدنا بغير الف في الاعراف وطه وقرأ الباقون واعدنا بالالف وقرأ ابن كثير وحفص والبرجمي ورويس اتخذتم واخذتم وما جاء منه باظهار الذال ووافقهم الاعشى فيا كان على اقتعلت والباقون يدغمون

﴿ الحجية ﴾

حجة من قرأ باثبات الألف انه قال لا يخلو ان يكون قد كان موسى وعد أولم يكن فإن كان منه وعد فلا اشكال في وجوب القراءة بواعدنا وان لم يكن منه وعد فان كان ما كان منه من قبول الوعد والتعري لأنجازه والوفاء به يقوم مقام الوعد فالقراءة بواعدنا دلالة من الله على وعده وقبول موسى ولأنه اذا حسن في مثل قوله بما اختلفوا الله ما وعدوه الاخبار بالوعد منهم فله تعالى كان هنا الاختيار واعدنا ومن قرأ واعدنا بغير الف قال هو اشد مطابقة للمعنى اذ كان القبول ليس بوعد في الحقيقة اذ الوعد انما هو اخبار الموعود بما يفعل فيه من خير وعلى هذا فيكون قوله بما اختلفوا الله ما وعدوه مجازا حقيقة بما اخبروا انهم فاعلوه وقال بعضهم ان المراجعة في الحقيقة لا تكون الا بين البشر والله تعالى هو المتفرد بالوعد والوعد كما قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات واذا يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم والقراءة ان جميعا قويتان وحجة من ادغم الذال في التاء من اتخذتم ان مخرج الذال قريب من مخرج التاء وحجة من لم يدغم ان مخرجيهما متغايران

﴿ اللفظة ﴾

الوعد والموعود والوعد والعدة والموعدة مصادر وعدته اعد ووعدت يتعدى الى مفعولين يجوز فيه الاقتصار على احدهما كما عطيت قال وواعدنا كما جانب الطور الايمن مغبول ثان والعدة والوعد قد يكونان اسمين ايضا والوعد في الخبر والوعد في الشر ويجمع العدة على العدات ولا يجمع الوعد والموعد قديكون موضعا ووقتا ومصدرا واليعد لا يكون الا وقتا او موضعا وقد يقال وعدته في الشر بقوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا وواعدته لا يكون الا في الشر والمكارة ويقال وعدته بالشر ولا يقال اوعدته الشر وحقيقة الوعد هو الخبر عن خيريناله المخبر في المستقبل او شر وموسى اسم مركب من اسمين بالقبطية فهو الماوسى الشجر وسمي بذلك لأن التابوت الذي كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر وجده جوارى آسية امرأة فرعون وقد خرجن ليغتسلن بالمحكان الذي وجد فيه عن السدي وهو موسى بن عمران بن بصير بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عن محمد بن اسحاق بن يسار وانما قال اربعين ليلة ولم يقل اربعين يوما لتضمن الليالي الايام على قول اللبرد عنى بذلك انك اذا ذكرت الليالي دخل فيها الايام واذا ذكرت الايام لا يدخل فيها الليالي والصحيح ان العرب كانت تراعى في حسابها الشهور والايام والاهة فاول الشهر الليالي فلذلك ارضت بالليالي وغلبتها على الايام واكتفت بذكر الليالي عن الايام فقالت لشر خلون ولحس بقين جريا على الليالي واللية الوقت من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واليوم من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس وليلة ليلا. اذا اشتدت ظلمتها وليلة تصغير لية اخرجوا الياء الاخيرة مخرجها في الليالي وقال بعضهم أصل لية ليلا فقصر واتخذ اقتعل وفعلت فيه اتخذت وقال

وَقَدْ تَخَذَتْ رِحْلِي إِلَىٰ جَنْبِ غَرَزِهَا نَسِيفًا كَأَفْحُوصِ الْقَطَاةِ الْمَطْرَقِ

قال ابو علي وليس اتخذت من اخذت لأن الهززة لا تبدل من التاء ولا تبدل منها التاء والمجمل البقرة

الصغيرة يقال عجل وعجول وهو من العجلة لأن قصر المدة كالعجل في الشيء. وقال بعضهم لما سمي مجلا لأنهم عجلوا فاتخذوه الها قبل أن يأتيهم موسى

﴿ الاعراب ﴾

قوله واذا واعدنا موسى اربعين ليلة لا يخلو تعلق الاربعين بالوعد من ان يكون على أنه ظرف او مفعول ثان فلا يجوز أن يكون ظرفا لأن الوعد ليس فيها كلها فيكون جواب كم ولا في بعضها فيكون جوابا لمتى وانما الوعد يقتضي الاربعين فإذا لم يكن ظرفا كان انتصابه بوقوعه موقع المفعول الثاني والتقدير واعدنا موسى انتضاء اربعين ليلة او تسعة اربعين ليلة حذف المضاف كما تقول اليوم خمسة عشر من الشهر اي تمام خمسة عشر فاما انتصاب اربعين في قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة فالميقات هو الاربعون ولما هو ميقات وموعد فيكون كقولك تم القوم عشرين رجلا والمعنى تم القوم معدودين هذا العدد وتم الميقات معدودا هذا العدد وقد جاء الميقات في موضع الميعاد كما جاء الوقت موضع الوعد في قوله الى يوم الوقت المعلوم وفي موضع آخر واليوم الموعد وبين ذلك قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة وفي الآية واذا واعدنا موسى اربعين ليلة وليلة تنصب على التبيين والتمييز للعدد والأصل في بيان العدد ان يبين بذكر المعدود وانما انتصب بالاسم التام الذي هو اربعون وهو مشبه بالكلام التام الذي ينتصب بعده ما يكون فضلا عنه ومعنى تمام الاسم هاهنا هو تركيب هذه التون الذي يتسمه معه فاشبه الجملة المركبة من فعل وفاعل من جهة انه متمم بشي. آخر وبينها شبه آخر وهو أن في الجملة التي من فعل وفاعل معنى يقتضي المفعول وهو ذكر الفعل وفي العدد ابهام يقتضي التفسير والبيان ليفيداي نوع من الانواع هو فينصب على هذا المعنى ولذلك قال سيويه ان في هذا الضرب وهو تمام الاسم معنى يحجز بين الاسم الاول وما يحجز. بعد التام فالتون في اربعين هو عجلة الفاعل الذي يحجز من ان يسند الفعل الى المفعول فيسند الى الفاعل وينصب المفعول لذلك والتون يتم الاسم الاول فينتصب الاسم الذي بعده واما قوله اتخذتم فان اتخذتم على ضربين احدهما يتعدى الى مفعول واحد كقوله واتخذوا من دون الله آلهة وقوله ام اتخذ بما يخلق بنات والآخر يتعدى الى مفعولين كقوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فاتخذتموهم سخريا لا اتخذوا عدوي وعدوكم اوليا. فقوله ثم اتخذتم العجل من بعده تقديره اتخذتم العجل الها حذف المفعول الثاني لأن من صاغ عجلا وعمله لا يستحق الوعيد والغضب من الله تعالى

﴿ المعنى ﴾

واذكروا «اذ واعدنا موسى» أن نؤمن به الا لواح فيها التوراة والبيان والشفا على رأس «اربعين ليلة» او عند انتضاء اربعين ليلة او عند تمام اربعين ليلة وانما قلنا ان قوله اذ كروا مضر فيه لأن الله تعالى قال قبل هذا يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم فاذا هاهنا معطوفة على الآيات المتقدمة وهذه الاربعون ليلة هي التي ذكرها الله في سورة الاعراف فقال وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتمناها بعشر وهي ذوالقعدة وعشر من ذي الحجة قال الفسرون لما عاد بنو اسرائيل الى مصر بعد انجائهم من البحر وهلاك فرعون وقومه وعدهم الله انزال التوراة والشرائع فخلف موسى اصحابه واستخلف هارون عليهم فكثرت على الطور اربعين ليلة وانزل عليه التوراة في الأواح وقوله «ثم اتخذتم العجل» اي اتخذتموه آلهة لأن بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين لأن فعل ذلك ليس يحظر وانما هو مكروه واما الخبر الذي روي انه (ص) لمن المصورين فالمراد به من شبه الله بخلقه او اعتقد فيه انه صورة وقوله «من بعده» اي من بعد غيبة موسى وخروجه وقيل من بعد وعد الله اياكم بالتوراة وقيل من بعد حرق فرعون وما رأيت من الآيات والكل محتمل «وانتم ظالمون» اي مضررون بأنفسكم بما استحقتم من العقاب على اتخاذكم العجل آلهة

﴿ القصة ﴾

روي عن ابن عباس قال كان السامري رجلا من اهل باجرمى قيل كان اسمه ميهما وقال ابن عباس اسمه موسى

ابن ظفر وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وقد كان اظهر الاسلام في بني اسرائيل فلما قصد موسى الى ربه وخلف هارون في بني اسرائيل قال هارون لقومه قد حملتم اوزار من زينة القوم يعني آل فرعون فتطهروا منها فإنها نجس يعني انهم استعاروا من القبط حليا واستبدوا بها فقال هارون طهروا انفسكم منها فإنها نجسة واوقد لهم نارا فقال اقدفوا ما كان معكم فيها فاجعلوا يا تونبا كان معهم من تلك الامتعة والحلي فيقدفون به فيها قال وكان السامري رأى اثر فرس جبرائيل (ع) فاخذ ترابا من اثر حافره ثم اقبل الى النار فقال لهارون يا نبي الله أأبى ما في يدي قال نعم وهو لا يدري ما في يده ويظن أنه مما يجي به غيره من الحلي والامتعة فقدف فيها وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان البلا. والقتنة فقال هذا الهكم وآله موسى فعكفوا عليه واحبوه جالما يجبر امثله شيئا قط قال ابن عباس فكان البلا. والقتنة ولم يزد على هذا وقال الحسن صار العجل لحما ودما وقال غيره لا يجوز ذلك لأنه من معجزات الانبياء. ومن وافق الحسن قال ان القبضة من اثر الملك كان الله قد اجري المادة بانها اذا طرحت على اي صورة كانت حيث فليس ذلك بمعجزة اذ سبيل السامري فيه سبيل غيره ومن لم يجز انقلبه حياتاً اول الخوار على ان السامري صاغ عجلا وجعل فيه خروقا يدخلها الريح فيخرج منها صوت كالخوار ودعاهم الى عبادته فاجابوه وعبدوه عن ابي علي الجبائي

قوله تعالى (٥٢) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

العفو والصفح والغفرة والتجاوز نظائر قال ابن الانباري عفا الله عنك معناه عفا الله عنك مأخوذ من قوله من عفت الريح الاثر اذا درسته ومحته فعفو الله محوه الذنوب عن العبد وقال الرماني اصل العفو الترك ومنه قوله فن عني له من اخيه شي. اي ترك فالعفو ترك العقوبة والعفو اهل المال وأطيبه والعفو المعروف والعفاة والمعتون طلاب المعروف والعافية من الطير والدواب طلاب الرزق ومنه الحديث من غرس شجرة مشرة فما اكلت العافية منها إلا كتب له صدقة والعافية دفاع الله عن العبد والعفا. التراب قال زهير (على أثر من ذهب العفاة) والشكر الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم قال الرماني الشكر هو الاظهار للنعمة

﴿ المعنى ﴾

«ثم عفونا عنكم» اي وضعنا عنكم العقاب الذي استحققتموه بقبول توبتكم من عبادة العجل من بعد ذلك اي من بعد اتخاذكم اياه إلهاً وقيل معناه تركنا معاجلتكم بالعقاب من بعد اتخاذكم العجل إلهاً «لعلكم تشكرون» لكي تشكروا الله على ضوره عنكم وسائر نعمه عليكم وقيل معناه التعريض اي عرضناكم للشكر وفي هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة وعلى ان العفو عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله على عباده ليذكروه ومعنى قولنا في الله انه غفور شكور انه يجازي العبد على طاعته من غير ان ينقصه شيئا من حقه فجعل المجازاة على الطاعة شكراً في مجاز اللغة ولا يستحق الانسان الشكر على نفسه لأنه لا يكون منعماً على نفسه فالنعمة تقتضي منعا غير المنعم عليه كما ان القرض يقتضي مستقراضا غير المقرض وقد يصح ان يمن الانسان الى نفسه كما يصح ان يسي. اليها لأن الاحسان من الحسن فاذا فعل بها فعلا حسنا يتنفع به كان محسنا اليها بذلك الفعل واذا فعل بها فعلا قبيحا تستضر به كان مسينا اليها ولا يستحق الكافر الشكر على الوجه الذي يستحقه المؤمن لأن المؤمن يستحق الشكر على وجه الاجلال والاعظام والكافر لا يستحقه كذلك وانما يجب له مكافاة نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج منه اليه من غير تعظيم له والفرق بين الشكر والمكافاة ان المكافاة من التكافي وهو التساوي وليس كذلك الشكر في المكافاة للنعمة دلالة على انه قد استوفى حقها وقد يكون الشكر مقصرا عنها وان كان ليس على المنعم عليه اكثر منه الا انه كلما ازداد من الشكر حسن الازدياد وان لم يكن واجبا لأن الواجب

لا يكون الا متناهايا وذلك كالشكر لنعمة الله تعالى لو استكثر به غاية الاستكثار لم يكن ليتهاي الى حد لا يجوز له الاذدياد لعظم نعمة الله سبحانه وضر شكر العبد

قوله تعالى (٥٣) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (آية)

﴿ اللغاة ﴾

الفرقان مصدر فرقت بين الشئين افرق فرقا وفرقانا ويسمى كل فارق فرقانا كما سمي كتاب الله فرقانا لفصله بين الحق والباطل وسمى الله تعالى يوم بدر الفرقان لانه فرق في ذلك اليوم بين الحق والباطل وقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اي يفرق بينكم وبين ذنوبكم

﴿ المعنى ﴾

«و» اذكروا «اذآتينا» اي اعطينا «موسى الكتاب» وهو التوراة «والفرقان» اختلفوا فيه على وجوه (احدها) وهو قول ابن عباس ان المراد به التوراة ايضا ولما عطفه عليه لاختلاف اللغطين كقول عنقرة (اقوى واقفر بعد ام الهيثم) وقال عدي بن زيد

وَقَدَّتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا

والين الكذب (ومثيها) ان الكتاب عبارة عن التوراة والفرقان انفراق البحر الذي اناه موسى عليه السلام (وثالثها) ان المراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين بأشياء كثيرة منها انه نجى هؤلاء واغرق هؤلاء (ورابعها) ان المراد بالفرقان القرآن ويكون تقديره وآتينا موسى التوراة وآتينا محمدا الفرقان حذف ما حذف لدلالة ما ابقاه عليه كما حذف الشاعر في قوله

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجِدَعُ أَنْفَهُ وَعَعِيْذِيهِ إِنْ مَوْلَاهُ كَانَ لَهُ وَفِرُّ

يريد وقفعا عليه لأن الجدع لا يكون للعينين واكتفى بجدع عن يفتأ وقال آخر

يَأَلَيْتَ بَعْلَكَ قَدْ عَدَا مُتَعَلِّدًا سَيْفًا وَرُبْحًا

اراد وحاملارعا وهو قول الفراء وقطرب وثعلب وضف قوم هذا الوجه لأن فيه حمل القرآن على المجاز من غير ضرورة مع انه تعالى اخبرانه آتى موسى الفرقان في قوله ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وقوله لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا بما في التوراة من البشارة بمحمد (صلى الله عليه وآله) وبيان صفته

قوله تعالى (٥٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ قَتُوْا إِلَى بَارِنِكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِنِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرا ابو عمرو وبارنكم ويا امرم وينصر كم باختلاس الحركة وروى منه السكون ايضا والباقون بغير اختلاس ولا تخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حروف المعجم على ضربين ساكن ومتحرك والساكن على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ما اصله السكون في الاستعمال والاخر ما اصله الحركة فا اصله الحركة يسكن على ضربين (احدهما) ان تكون حركة بناء والاخر ان تكون حركة اعراب وحركة البناء تسكن على ضربين (احدهما) ان يكون الحرف الساكن من كلمة مفردة نحو فخذ وسبع وابل وضرب وعلم فمن خفف قال فخذ وسبع وابل وضرب وعلم والاخر ان يكون من كلمتين فيسكن

على تشبيه المنفصل بالمتصل نحو قراءة من قرأ ويخش الله ويتقه ومنه قول العجاج (بات منتصاً وماتكردسا) الا ترى ان تقه من يتقه مثل كنف ومنه قول الشاعر (قالت سليبي اشتر لنا سويقاً) ولا خلاف في تجويز اسكان حركة البناء في نحو ما ذكرناه من قول العرب والتجويزين واما حركة الاعراب فمختلف في تجويز اسكانها فمن الناس من يقول ان اسكانها لا يجوز من حيث كان علماً للاعراب واما سيويه فيجوز ذلك لا يفصل بين القبيلتين وروي قول امرئ القيس

فَأَلْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْبِبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَأَعْلَى

وقول الآخر (وقد بداهتك من الميزر) ومن هذا النحو قول جرير

سِيرُوا بَنِي الْعَمْرِ قَالُوا هُوَ أَزُّ مَنْزِلِكُمْ وَنَهْرُ تَيْرِي وَلَا يُفْرَقُكُمْ الْعَرَبُ (١)

فتبها ما يدخل على العرب بما يدخل على المبني كما شبهوا حركات البناء بحركات الاعراب فمن ثم ادغم نحو رد وفر وعض كما ادغموا نحو برد ويفر وبعض واعلم أن الحركات التي تكون للبناء والاعراب قد يستعملون في الضمة والكسرة منها الاختلاس والتخفيف كما يستعملون الاشباع والتسطيط فأما الفتحة فليس فيها الا الاشباع فقط ولم يحذف نحو جل كما خفف مثل سبع وكنف وعلى هذا المذهب حمل سيويه قول ابي عمرو الى بارئكم فذهب الى انه اختلس الحركات ولم يشبعها فهو بزنة حرف متحرك فمن روى عن ابي عمرو الاسكان في هذا النحو فله سمعه يختلس حسبها اسكاناً لضمة الصوت به والحقا. وعلى هذا قوله ولا يأمركم وغيره

﴿ اللغة ﴾

الباري. هو الخالق الصانع وبرأ الله الخلق يعرفونهم برأ اي خلقهم قال امية بن الصلت

أَلْخَالِقُ الْبَارِي الْمُصَوِّرُ فِي أَرْحَامِ مَاءٍ حَتَّى يَبْصُرَ دَمًا

والفرق بين الباري والخالق ان الباري هو البدى. المحدث والخالق هو القدر الناقل من حال الى حال ويرى. من المرض يرى برأ فهو باري. والبراءة من العيب والمكروه لا يقال منه الابري. بالكسر وقاعله يرى. ورجل براء. بمعنى وامرأة براء. ونسوة براء. واما قوله انا براء. فهو جمع بري. وأصل الباب انفصال الشيء. ومنه برأ الله الخلق أي فطرهم كأنهم انفصلوا من العدم الى الوجود والبرية فعيلة بمعنى مفعول ولا تهمز كما لا يهمز ملك وان كان أصله المهزلة وقيل البرية مشتقة من البري وهو الرب فلذلك لم يهمز وقيل مأخوذة من بريت العود فلذلك لم يهمز والقتل والذبح والموت نظائر والفرق بينهما ان القتل نقض بنية الحياة والذبح فوري الأوداج والموت عند من اثبتته عرض يضاد الحياة والقتل العدو وجمعه اقتال والقتال النفس وثيقة ذات قتال اذا كانت وثيقة وقتلت الشيء. علما اذا ايرقتة وتحققته وفي المثل قتلت ارض جاهلها وقتل ارض عالمها وقتلت الجارية للفتى حتى عشقها كأنها خضعت له قال

تَفَعَّلْتُ لِي حَتَّى إِذَا مَا قَتَلْتَنِي تَنَسَّكَتْ مَا هَذَا يَفْعَلُ التَّوَائِسُكَ

﴿ الاعراب ﴾

القراءة بـكسر الميم وهو الاختيار لأنه منادى مضاف والتدا باب حذف الحذف الياء لأنه حرف واحد وهو في آخر الاسم كما ان التثوين في آخره وبقيت الكسرة تدل عليه ولا كان ياء الاضافة قد تحذف في غير النداء. لزم حذفه في النداء ويجوز في الكلام اربعة وجوه يا قوم كما قرئ. ولا يجوز غيره في القرآن لأن القراءة سنة متبعة ويجوز يا قومي انكسر بأثبات الياء. واسكانه ويجوز يا قومي بأثبات الياء. وتجويزه فلهذه ثلاثة اوجه في الاضافة ويجوز يا قوم على انه منادى مفرد واما قوله يا ليت قومي فإني الياء. ثبتت فيه لأنه لم يلحقه ما يوجب حذفه كما لحق في النداء

(١) هكذا في النسخ وفي مجمع البادان (ولم يفرقكم العرب) فليصحح

﴿ المعنى ﴾

«و اذكروا» اذ قال موسى لقومه «الذين عبدوا العجل عند رجوعه اليهم» يا قوم انكم ظلمتم انفسكم «اي اضررتهم بانفسكم ووضعت العبادة غير موضعها «باتخاذكم العجل» معبودا وظلمهم اياها فعلهم بها ما لم يكن لهم ان يفعاوه مما يستحق به العقاب وكذلك كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه «فتوبوا الى بارئكم» اي ارجعوا الى خالقكم ومنشئكم بالطاعة والترديد وجعل توبتهم الندم مع العزم وقتل النفس جيماء وهنا اضر اختصار كأنه لما قال لهم فتوبوا الى بارئكم قالوا كيف قال «فاقتلوا انفسكم» اي يقتل بعضهم بعضا يقتل البري المجرم عن ابن عباس وسعيد بن جبير وبجاهد وغيرهم وهذا كقوله سبحانه فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم أي ليسلم بعضهم على بعض وقيل معناه استسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لأنفسهم على وجه التوسع عن ابن ابي اسحاق واختاره الجبائي واحتفلوا في الأمور بالقتل فروي أن موسى امرهم أن يقوموا صفيين فاغتسوا ولبسوا اكفانهم وجاء هارون باثني عشر الفا ممن لم يعبدوا العجل ومعهم الشغار المرهقة وكانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين الفا تاب الله على الباقيين وجعل قتل الما ضين شهادة لهم وقيل أن السبعين الذين كانوا مع موسى في الطور هم الذين قتلوا من عبد العجل سبعين انا وقيل انهم قاموا صفيين فجعل يلعن بعضهم بعضا حتى قتلوا سبعين الفا وقيل فشيتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضها ثم انجحت الظلمة فاجلوا عن سبعين الف قتيل وروي أن موسى وهارون وقفا يدعوان الله ويتضرعان اليه وهم يقتل بعضهم بعضا حتى نزل الوحي برفع القتل وقيل توبة من بقي وذكر ابن جرير ان السبب في امرهم بقتل انفسهم ان الله تعالى علم ان ناسا منهم من لم يعبد العجل لم ينكروا عليهم ذلك مخافة القتل مع علمهم بأن العجل باطل فذلك ابتلاهم الله بأن يقتل بعضهم بعضا وانما استحبهم الله تعالى بهذه المحنة العظيمة لكفرهم بعد الدلالات والآيات العظام وقال الرماني لا بد أن يكون في الأمر بالقتل لطف لهم ولغيرهم كما يكون في استسلام القاتل لطف له ولغيره فإن قيل كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم ولا تكليف عليهم بعد القتل واللطف لا يكون لظفا فيا مضى ولا فيا يقارنه فالجواب ان القوم اذا كفوا ان يقتل بعضهم بعضا فكل واحد منهم يقصد قتل غيره ويجوز ان يبقي بعده فيكون القتل لظفا له فيا بعد ولو كان يتقار زمان يفعل فيه واجبا ويتنعم عن قبيح وهذا كما تقول في عبادتنا بقتال الشركين وان الله تعبدنا بأن نقاتل حتى نقتل او نقتل ومدحنا على ذلك وكذلك روى اهل السير ان الذين عبدوا العجل تعبدوا بأن يصبروا على القتل حتى يقتل بعضهم بعضا فكان القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقي وانما كانت تكون شبهة لو أمروا بأن يقتلوا نفوسهم بأيديهم ولو صح ذلك لم يتنعم أن يكونوا امروا بأن يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تقضي الى الموت وان لم يزل معها العقل فينا في التكليف واما على القول الآخر انهم امروا بالاستسلام للقتل والصبر عليه فلامسألة لأنهم ما امروا بقتل نفوسهم فعلى هذا يكون قتلهم حسنا لأنه لو كان قبيحا لما امروا بالاستسلام له ولذلك تقول لا يجوز ان يتعبد نبي ولا امام بأن يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا يدفعه لأن في ذلك استسلاما للتبصيح مع القدرة على دفعه وذلك لا يجوز وانما كان يقع قتل الانبياء والائمة عليهم السلام على وجه الظلم وارتقاع التمكن من المنع غير أنه لا يتنعم من أن يتعبد بالصبر على الدفاع وتحمل المشقة في ذلك وان قتله غيره ظلما والقتل وان كان قبيحا بحكم العقل فهو مما يجوز تغييره بأن يصير حسنا لأنه جار مجرى سائر الآلام وليس يجري ذلك مجرى الجهل والكذب في أنه لا يصير حسنا قط ووجه الحسن في القتل أنه لطف على ما قلناه وايضا فكما يجوز من الله تعالى ان يمت الحلي فكذلك يجوز ان يأمرنا بأمانته ويعوضه على الآلام التي تدخل عليه ويكون فيه لطف على ما ذكرناه وقوله «ذلكم خير لكم عند بارئكم» اشارة الى التوبة مع القتل لأنفسهم على ما امرهم الله به بدلالة قوله فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم فقوله توبوا ذال على التوبة فكانها مذكورة وقوله فاقتلوا ذال على القتل فكانه

قال ان التوبة وقتل النفس في مرضاة الله كما امركم به وان كان فيه مشقة عظيمة خير لكم عندنا لكم من ايتار الحياة الدنيا لأن الحياة الدنيا لا تبقى بل تفتى وتحصلون بعد الحياة على عذاب شديد واذا قلتم انفسكم كما امركم الله به زالت مشقة القتل عن قريب وبقيتم في نعيم دائم لا يزول ولا يبيد وكرر ذكر بارئكم تعظيماً لما اتوا به مع كونه خالفاً لهم وقوله «فتاب عليكم» هاهنا اضمار تقديره فعلتم ما امرتم به فتاب عليكم اوقتلتم انفسكم فتاب عليكم اي قبل توبتكم «انه هو التواب» اي قابل التوبة عن عباده مرة بعد مرة وقيل معناه قابل التوبة عن الذنوب العظام «الرحيم» يرحمكم اذا تبتهم ويدخلكم الجنة وفي هذه الآية دلالة على أنه يجوز ان يشترط في التوبة سوى الندم ما لا يصح التوبة الا به كما امروا بالقتل

قوله تعالى (٥٥) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاكُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

لن نومن لك اي لن نصدقك يقال آمن به وامن له بدلالة قوله تعالى قال فرعون آمنتم به وفي موضع آخر امتنه له والروية الادراك بالبصر ثم يستعمل بمعنى العلم يقال رأى ببصره روية ورأى من الرأي رأياً ورأيت رويةاً حسنة والرواء النظر في البهاء والجمال والرأة التي ينظر فيها وجمها المراني وتراويت بالمرأة اذا نظرت فيها وجاء في الحديث لا يتراوى احدكم بالمال اي لا ينظر فيه وتراوى القوم اذا رأى بعضهم بعضاً وتراوى فلان لفلان اذا تصدى له ليراه ويحفون الممزة من رأيت في كل كلمة يكون راروها ساكنة تقول رأيت اري والأصل اراى ورايت فلاناً اريه فانا مرني وهو مرني والأصل ارايت ارايه واثبتوها في موضعين مرني وراأت الناقة والشاة اذا عرف في لون ضرعها انها قد اقربت والرأي حسن الشارة والمهينة قال جرير

وَكُلُّ قَوْمٍ لَهُمْ رَأْيٌ وَمُخْتَبَرٌ
وَلَيْسَ فِي تَغْلِبِ رَأْيٍ وَلَا خَبْرٍ

والجهر والعلامة والمهينة نظائر يقال جهر بكلامه وبقراءته جهراً اذا اعلن ورجل جهير ذو رواء وكلام جهير وصوت جهير اي عال والفعل منه جهر جهارة وجرهني الرجل اي راغني جماله وضد الجهر السر واصل الباب الظهور وحقيقة الجهر ظهور الشيء معانية والفرق بين الجهر والمهينة ان المهينة ترجع الى حال المدرك والجهرة ترجع الى حال المدرك وقد تكون الروية غير جهرة كالروية في النوم والروية بالقلب فاذا قال جهرة لم يكن الاروية العين على التحقيق دون التخيل والصاعقة على ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ نار تسقط من السماء كقوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء (والثاني) الموت في قوله فصعق من في السماوات وقوله فأخذتكم الصاعقة و (الثالث) العذاب في قوله انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود

﴿ الاعراب ﴾

حتى ترى حتى بمعنى الى وهي الجارة للأسم وانتصب ترى بعدها باضمار ان كما ينتصب الفعل بعد اللام باضمار ان وان مع الفعل في تأويل المصدر في موضع جر مجتى كأن الجار والمجرور في موضع نصب بأنه مفعول لن نومن و جهرة مصدر وضع موضع الحال

﴿ المعنى ﴾

«واذا قلتم يا موسى لن نومن لك» اي لن نصدقك في قولك انك نبي مبعوث «حتى ترى الله جهرة» اي علانية فيخبرنا بأنك نبي مبعوث وقيل معناه انا لا نصدقك فياتخبر به من صفات الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه حتى ترى الله جهرة اي علانية وعياناً فيخبرنا بذلك وقيل انه لا جاءهم بالالواح وفيها التوراة قالوا لن نومن

بأن هذا من عند الله حتى زاه عياناً وقال بعضهم ان قوله جبهة صفة لخطابهم لموسى انهم جبروا به واعلموه وتقديره واذ قلتهم جبهة لن نوم من لك حتى زى الله والاول اقوى «فاخذتكم الساعة» اي الموت «وانتم تنظرون» الى اسباب الموت وقيل الى النار وانما قرع الله سبحانه اليهود بسوء ال اسلافهم الرومية من حيث انهم سلكوا طريقهم في المخالفة للنبي الذي لزمهم اتباعه والتصديق بجميع ما اتى به فجروا على عادة اسلافهم الذين كانوا يسألون تارة نبيهم ان يجعل لهم آلهما غير الله ومرة يعبدون العجل من دون الله وطورا يقولون لن نوم من لك حتى زى الله جبهة واستدل ابو القاسم الباقى بهذه الآية على ان الرومية لا تجوز على الله تعالى قال لأنها انكار تضمن امرين دهم على نبيهم وتجوزهم الرومية على ربهم ويؤيد ذلك قوله تعالى فقد سألو موسى اكبر من ذلك فقالوا اونا الله جبهة فدل ذلك على ان المراد انكار الامرين وتدل هذه الآية ايضا على ان قول موسى رب اربني انظر اليك كان سوء الاقومه لأنه لا خلاف بين اهل التوراة ان موسى عليه السلام لم يسأل الرومية الا دفعة واحدة وهي التي سألتهم قوله

قوله تعالى (٥٦) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

البعث اثاره الشيء من محله ومنه يقال بعث فلان راحته اذا أثرها من مبركها للسير وبعثت فلانا حاجتي اذا اقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجيه اليها ومنه يقال ليوم القيامة يوم البعث لأنه يوم يثار الناس فيهم قبورهم لموقف الحساب وبعثته من نومه فانبعث اي نهته فانقبه والبعث الجندي يبعثون الى وجهه او في امر واصل البعث الإرسال

﴿ المعنى ﴾

« ثم بعثناكم » اي ثم احييناكم « من بعد موتكم » لاستكمال آجالكم عن الحسن وقناة وقيل أنهم سألو بعد الافاقة أن يعثوا نبياً. فبعثهم الله انبياء عن السدي فيكون معناه بعثناكم انبياء واجمع المنسرون الاشرذمة يسيرة ان الله لم يكن امانت موسى كما امانت قومه ولكن عشي عليه بدلالة قوله فلما افاق قال سبحانه تكبت اليك والافاقة انما تكون من العثيان وقوله « لعلكم تشكرون » اي لكي تشكروا الله على نعمه التي منها رده الحياة اليكم وفي هذا اثبات لمعجزة نبينا محمد (ص) واحتجاج على مشركي العرب الذين كلوا غير مؤمنين بالبعث لأنه كان يذكر لهم من اخبار الذين يبعثهم الله في الدنيا فكان يواقفه على ذلك من يخالفه من اليهود والنصارى ويجب أن يكون هو لاء القوم وان امانتهم الله ثم احياهم غير مضطرين الى معرفة الله عند موتهم كما يضطر الواحد منا اليوم الى معرفته عند الموت بدليل أن الله أعادهم الى التكليف والمعرفة في دار التكليف لا تكون ضرورة بل تكون مكتسبة ولكن موتهم انما كان في حكم النوم فاذهب الله عنهم الروح من غير مشاهدة منهم لأحوال الآخرة وليس في الاحياء بعد الامامة ما يوجب الاضطرار الى المعرفة لأن العلم بأن الاحياء بعد الامامة لا يقدر عليه غير الله طريقه الدليل وليس الاحياء بعد الامامة الا قريبا من الانتباه بعد النوم والافاقة بعد الانعاش في أن ذلك لا يوجب علم الاضطرار واستدل قوم من اصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة وقول من قال ان الرجعة لا تجوز الا في زمن النبي (ص) لتكون معجزاً له ودلالة على نبوته باطل لأن عندنا بل عند اكثر الامم يجوز اظهار المعجزات على ايدي الأئمة والأولياء والأدلة على ذلك مذكورة في كتب الأصول وقال ابو القاسم البلخي لا تجوز الرجعة مع الاعلام بها لأن فيها اغراء بالمعاصي من جهة الاتكال على التوبة في الكرة الثانية وجوابه ان من يقول بالرجعة لا يذهب الى ان الناس كلهم يرجعون فيصير اغراء بأن يقع الاتكال على التوبة فيها بل لا احد من المكلفين الا ويجوز أن لا يرجع وذلك يكفي في باب الزجر

قوله تعالى (٥٧) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُوا وَأُولَئِكَ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الظلة والنميمة والسترة نظائر يقال ظللت تظليلا والظل ضد الضح ونقيضه وظل الشجرة سترها ولا ازال الله عنا ظل فلان اي ستره ويقال لسواد الليل ظل لأنه يستر الأشياء. قال الله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل والتمام السحاب والقطعة منها غمامة وانما سمي غماما لانه ينعم السماء اي يسترها وكل ما يستر شيئا فقد غمه وقيل هو ما ابيض من السحاب والغممة التغطاء على القلب من الغم وفلان في غمة من امره اذا لم يهتد له والمن الاحسان الى من لا يستكبه والاسم المنة والله تعالى هو المنان علينا والرحيم بنا والمن قطع الخير ومنه قوله اجر غير ممنون اي غير مقطوع والمنة قوة القلب وفلان ضعيف المنة واصل الباب الاحسان فالمن الذي كان يسقط على بني اسرائيل هو مما من الله به عليهم اي احسن به اليهم والسلوى طائر كالجاني قال الأخفش هو للواحد والجمع كقولهم دفلى وقال الخليل واحده سلوة قال (كما انتفض السلوة من بلل القطر) قال الزجاج غلط خالد بن زهير في قوله

وَقَاَسَمَهَا بِاللَّهِ جَهْدًا لِأَنَّهُمْ أَلَدُوا مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشَرُوهَا

فظن ان السلوى العسل وانما هو طائر قال ابو علي الفارسي وقرى على الزجاج في مصنف ابى عبيد انه العسل قال والذي مندي فيه ان السلوى كأنه ما يسلي عن غيره لنضبة فيه من فرط طيبه اوقفة معانة وعلاج في اقتنائه فالعسل لا يتنع أن يسمى سلوى لجمعه الامرين كما سمي الطائر الذي كان يسقط مع المن به ويقال سلا فلان عن فلان يسلو سلوا اذا تسلى عنه وفلان في سلوة من العيش اذا كان في رغد يسليه المم والسلوان ماء من شربه ذهب همه فيا زعموا قال (لو اشرب السلوان ماسليت)

﴿ الاعراب ﴾

موضع كلوا نصب بمحذوف كأنه قال وقلنا لهم كلوا وموضع السلوى نصب لأنه معطوف على المن وقوله وما ظلمونا انما يتصل بما قبله ايضا بتقدير محذوف كأنه قال فضاقتوا ما امروا به وكفروا هذه النعمة وما ظلمونا

﴿ المعنى ﴾

«وظللنا عليكم الغمام» اي جعلنا لكم الغمام ظلة وسعة تقيكم حر الشمس في التيه عن جماعة المفسرين «واازلنا عليكم المن» فيه وجوه ﴿احدها﴾ انه المن الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر عن ابن عباس و (ثانيا) انه شي كالصمغ كان يقع على الاشجار وطعمه كالشهد والعسل عن مجاهد و (ثالثا) انه الحبز المرقق عن وهب و (رابعا) انه جميع النعم التي اتهم بها من الله به عليهم بما لا تعب فيه ولا نصب وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الكفاة من المن وماؤها شفاء للمعين «والسلوى» قيل هو الساني وقيل هو طائر ابيض يشبه الساني عن ابن عباس وقوله «كلوا من طيبات ما رزقناكم» معناه قلنا لهم كلوا من التي اللذيذ وقيل البياح الحلال وقيل البياح الذي يستلذ اكله الذي رزقناكم اي اعطيناكم وجعلناه رزقا لكم وقوله «وما ظلمونا» اي فكفروا هذه النعمة وما نقصونا بكفرانهم انعمنا «ولكن كانوا انفسهم يظلمون» اي يتقصون وقيل معناه وما ضررنا ولكن كانوا انفسهم يضررون وهذا يدل على ان الله تعالى لا ينفعه طاعة من اطاعه ولا يضره معصية من عصاه وانما تعود منعمة الطاعة الى الطبع وضررة المعصية الى المعاصي

﴿ القصة ﴾

وكان سبب ازال المن والسلوى عليهم انه لما ابتلاهم الله بالتيه اذ قالوا موسى اذهب انت وربك فقاتلا

انا هاهنا قاعدون حين امرهم بالسير الى بيت المقدس وحب العاقبة بقوله ادخلوا الارض المقدسة فوقعوا في التيه فصاروا كلها ساروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ او ستة فكلما اصبغوا ساروا غادين فامسوا فاذا هم في مساكنهم الذي ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدة وبقوا فيها اربعين سنة وفي التيه توفي موسى وهارون ثم خرج يوشع بن نون وقيل كان الله تعالى يرد الجانب الذي انتهوا اليه من الارض الى الجانب الذي ساروا منه فكانوا يضلون عن الطريق لأنهم كانوا خلقا عظيما فلا يجوز ان يضلوا كلهم عن الطريق في هذه المدة المديدة في هذا المقدار من الارض ولا حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوا فالطف الله لهم بالتمام لما شكوا حر الشمس وانزل عليهم المن والسلوى فكان يسقط عليهم المن من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس فكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليومهم وقال الصادق عليه السلام كان يتزللن على بني اسرائيل من بعد الفجر الى طلوع الشمس فمن نام في ذلك الوقت لم يتزل نصيبه فلذلك يكره النوم في هذا الوقت الى بعد طلوع الشمس قال ابن جرير وكان الرجل منهم اذا اخذ من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فانهم اذا اخذوا طعام يومين لم يفسد وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت لأنه كان لا يأتيهم يوم السبت وكانوا يجزونه مثل القرصه ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسنن وكان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس وكان يتزلل عليهم في الليل من السماء عمود من نور يضيء لهم مكان السراج واذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد

قوله تعالى (٥٨) وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا
الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَمَنْزِلِذُ الْمُحْسِنِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر ونافع يغفر بالياء مضمومة والباقون نغفر لكم بالنون وهو الاختيار لأنه اشبه بما تقدم من قوله وظللنا واتزلنا ولأن أكثر القراء عليه واجمع القراء على اظهار الراء عند اللام الا ما روي عن ابى عمرو وفي رواية الزبيدي الاستجادة من ادغام الراء في اللام وانفق القراء على خطاياكم هنا وان اختلفوا في الاعراف ونوح فقر بعضهم هناك خطيئاتهم وذلك لأن اللتين في الاعراف ونوح كتبنا في المصحف بغير الالف وهاهنا كتبت بالالف

﴿ اللغة ﴾

الدخول والولوج والاقترام نظائر والفرق بين الدخول والاقترام ان الاقترام دخول على صعوبة وفي الأمر دخل اي فساد ودخل امره اذا فسد وفلان دخيل في بني فلان اذا كان من غيرهم واطلعت على دخلة امري اذا بثته مكتومك وفلان مدخول اذا كان في عقله او في حبه دخل القرية والبلدة والمدينة نظائر قال ابو العباس واصله الجمع وقريت الماء في الخوض اقرية قريا وقريت الضيف اقرية قرى والقراءة الجفنة التي يعد فيها الطعام للأضياف قال (عظام القاري جارهم لا يفتزع) وقال الخليل القرية والقرية لثان والكسر لثانية والقري الظهر من كل شيء وجمعه الاقراء والسجود وشدة الانحناء ومنه السجد من النساء وهن الفاترات الاعين قال الشاعر (وهوي الى حور المدامع سجد) وقال الآخر (ترى الأكم فيه سجد الحوافر) وحطة مصدر مثل ردة وجدته من رددت وجددت قال الخليل الحط وضع الاحمال عن الدواب والحط والوضع والحفض نظائر والحط الحذر من العلوق امرؤ القيس (كجلمود صخر حطة السيل من عل)

وجارية محطولة المتين ممدودة حسنة والعفران والعفر والصفح نظائر يقال غفر الله له غفرا اياي سترافه على ذنوبه والغفر التغطية وثوب ذو غفر اذا كان له زنبير يستتر نسجه ويقال المغفر لتغطيته العتي والغفيرة والغفيرة بمعنى والغفارة خرقة تلف على سية القوس والمغفور والمغفار صمغ العرطف وغفر الشجر اذا ظهر ذلك فيه ومنه الحديث انه (ص) دخل على عائشة

فقلت يا رسول الله اكلت مغاير يعني هذا الصيغ ومنهم من يقول مغاير كما قيل جدث وجدف ويقال جاء والجاه.
 النغير وجاءوا جافغيرا وجماء الغفير اي مجتمعين جمعا ينطوي الارض والغفر ولد الارويه لانه ياوي الجبال ويتستر
 عن الناس ويقال اصبح ثوبك فانه اغفر للوسخ اي استره واصل الباب السر وحد المغفرة ستر الخطيئة برفع العقوبة
 والخطيئة والزلة والمعصية نظائر يقال خطا الشيء خطا اذا لم يرد واصابه واخطاه اخطا. اذا اراده فلم يصبه
 والاول خاطي. والثاني مخطي. والخطيئات جمع خطيئة مثل صحيفات جمع صحيفة وسفينة جمع سفينة والخطايا
 ايضا جمع خطيئة والمحسن الفاعل الاحسان او الفاعل للحسن يقال احسن الى غيره واحسن في فعله والفرق بينهما
 ان احسن اليه لا يقال الا في النفع فلا يقال احسن الله الى اهل النار بتعذيبهم ويقال احسن في تعذيبهم بالنار يعني
 احسن في فعله وتدبيره ويقال امرأة حسنة ولا يقال رجل احسن وحد الحسن من طريق الحكمة هو الفعل الذي
 يدهو اليه العقل وضده القبيح وهو الفعل الذي يزيح عنه العقل وحد الاحسان هو النفع الحسن وحد الاساءة هو
 الضرر القبيح وهذا انما يصح على مذهب من يقول ان الانسان يكون محسنا الى نفسه وميسنا اليها ومن لم يذهب
 اليه يزيد فيه الراصل الى الغير مع قصده الى ذلك والاولى في حد الحسن ان يقال هو الفعل الذي اذا فعله العالم به
 على وجه لم يستحق الذم

﴿ الاعراب ﴾

حيث ظرف مكان مبني على الضم وذكرنا في بيانه فيا قبل والجملة بعده في تقدير المضاف اليه وبما يسأل
 فيه ان يقال كيف بني على الضم وهو مضاف الى الجملة على التشبيه بما حذف منه الاضافة وهو قبل وبعد وجوابه
 ان حيث مع اضافته الى الجملة لا يتنع ان يكون شبه قبل ونحوه فانما فيه لانه قد منع الاضافة الى المفرد وان
 كان قد اضيف الى الجملة وحق الاضافة ان تقع الى المفرد واذا كان كذلك فكان المضاف اليه محذوف منه
 كقبل وبعد هذا على قول من بناء على الضم ومن بناء على غير الضم فقال حيث فلا يدخل عليه هذا السؤال
 ولا يجوز في القرآن الا الضم واما حطة فانما ارتفع على الحكاية وقال الزجاج تقديره مسألتنا حطة اي حط ذنوبنا
 عنا وقيل تقديره دخولنا الباب سجدا حطة لذنوبنا ولو جاز قراءته بالنصب لكان وجهه في العربية حط عنا
 ذنوبنا حطة كما يقال سماً وطاعة اي اسمع سماً واطيع طاعة ومعاذ الله ان نعوذ بالله معاذاً وقوله نفقر لكم
 مجزوم لانه اجواب الامر وانما انجزم بالشرط فان المعنى ان تقولوا نفقر لكم لحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه
 ووقوع الامر في الكلام وطوله به وحسن حذفه معه لانه صار كالمعاقب له من حيث اجتماعها في انها غير موجبين
 وغير خبيرين وهذا كما يحذف مبتدا لدلالة الخبر عليه وقد يحذف الجزاء ايضا لدلالة الشرط عليه في نحو قولهم انت ظالم
 ان فعلت كما يحذف خبر المبتدا لدلالة المبتدا عليه قال سيويه كان اصل خطايا خطائي مثل خطائع فابدل من الياء
 همزة فصار خطائي مثل خطائع فتجتمع همزتان فقلبت الثانية ياء فصار خطائي مثل خطاعي ثم قلبت الياء والكسرة
 الى الالف والفتحة فقلبت خطا ١٠ مثل خطاعا كما فعل بجداري فقلبت مدارى. ثم استقل همزة بين العين لأن همزة
 مجانسة للآفات فكان كأنما اجتمعت ثلاث الآفات فابدت همزة ياء فقلبت خطايا وقال الخليل اصل خطايا فعايل
 فقلبت الى فعالي ثم قلب بعد على ما تبين في المذهب الاول وانما اعلم هذا الاعلال لأن همزة التي بعد الالف
 عارضة غير اصلية وتقول في جمع مرآة مرأى فلا تمل لأن همزة عين الفعل

﴿ المعنى ﴾

اجمع المفسرون على ان المراد بالقرية هاهنا بيت القدس ويؤيده قوله في موضع آخر ادخلوا لارض القدس
 وقال ابن زيد انها اريحا قرية قرب بيت القدس وكان فيها بقايا من قوم عاد وهم العماقة وراسهم عوج بن عنق
 يقول اذكروا اذ قلنا ادخلوا هذه القرية فاكلوا منها حيث شئتم اي ابن شئتم «رغدا» اي موسعا عليكم مستمعين

شتم من طعام القرية بعد المن والسلوى وقد قيل ان هذه اباحة لهم منه لغنائها وتلك اموالها اتماما للنعمة عليهم
«رادخلوا الباب» يعني الباب الذي امروا بدخوله وقيل هو باب حطة من بيت المقدس وهو الباب الثامن عن مجاهد وقيل
باب القبة التي كان يصلي اليها موسى وبنو اسرائيل وقال قوم هو باب القرية التي امروا بدخولها قال ابو علي الجبائي
والآية على قول من يزعم انه باب القبة ادل منها على قول من يزعم انه باب القرية لأنهم لم يدخلوا القرية في
حياة موسى وآخر الآية يدل على انهم كانوا يدخلون هذا الباب على غير ما امروا به في الامم موسى لانه قال
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم والعطف بالفاء التي هي للتعقيب من غير تراخي يدل على ان هذا التبديل
منهم كان في اثر الامر فدل ذلك على انه كان في حياة موسى وقوله «سجدا» قيل معناه ركعا وهو شدة الانحناء
عن ابن عباس وقال غيره ان معناه ادخلوا خاضعين متواضعين يدل عليه قول الاعشى

رَأَوْحٌ مِنْ صَلَوَاتِ أَلْمَلِكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُورًا

وقيل معناه ادخلوا الباب فإذا دخلتموه فاسجدوا لله سبحانه شكرا عن وهب وقوله «حطة» قال الحسن وقتادة
واكثر اهل العلم حط عتاد ذنوبنا وهو امر بالاستغفار وقال ابن عباس امروا أن يقولوا هذا الامر حق وقال
عكرمة امروا أن يقولوا لا إله إلا الله لأنها تحط الذنوب وكل واحد من هذه الاقوال مما يحط الذنوب فيصح أن
يترجم عنه بحطه وروي عن الباقر (ع) أنه قال نحن باب حطكم وقوله «نفر لكم خطاياكم» اي نصفح ونمغف عن
ذنوبكم «وستزيد الحسنين» اي وستزيدهم على ما يستحقونه من الثواب فضلا كقوله تعالى ليوفيهم اجرهم ويزيدهم
من فضله وقيل أن المراد به ان يزيدهم الاحسان على ما سلف من الاحسان بازال المن والسلوى وتظليل التمام وغير ذلك

قوله تعالى (٥٩) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

التبديل تغيير الشيء الى غير حاله والرجز بكسر الراء الذباب في لغة اهل الحجاز وهو غير الرجز لأن الرجز
التن وقال النبي صلى الله عليه وآله في الطاعون انه رجز عذب به بعض الأمم قبلكم وقال ابو عبيدة الرجز والرجز
لقتان مثل البراق والبساق والزرع والسرع والرجز بضم الراء عبادة الاوثان وفسق يفسق والضم شهر وعليه القراءة
ومعنى الفسق في اللغة الخروج من العقيدة وكل من خرج عن شيء فقد فسق الا انه في الشرع مخصوص بالخروج
عن امر الله تعالى او طاعته

﴿ الاعراب ﴾

غير الذي انتصب غير بأنه صفة لقول واصل غير ان يكون صفة تجري مجرى مثل ران اضيف الى المعارف لم
يتعرف لما فيها من الابهام لأن مثل الشيء يكون على وجه كثيرة وكذلك غير الشيء يكون اشياء كثيرة غير مختلفة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انهم قد عصوا فيما امروا به فقال «فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم» اي فخانف الذين
عصوا والذين فعلوا ما لم يكن لهم ان يفعلوه وغيروا ما امروا به فقالوا غير ذلك واختلف في ذلك التعريف قيل انهم قالوا
بالسرانية هاظا ساقانا وقال بعضهم حطا ساقانا ومعناه حطلة حمراء فيها شعيرة وكان قصدهم في ذلك الاستهزاء
ومخالفة الأمر وقيل انهم قالوا حطلة تجاهلا واستهزاء وكانوا قد امروا ان يدخلوا الباب سجدا وطوطى لهم
الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه زاحفين على استاهم فخانفوا في الدخول ايضا وقوله «فانزلنا على الذين ظلموا»
اي فعلوا ما لم يكن لهم فعله من تبديلهم ما أمر الله به بالقول والفعل «رجزا» اي عذابا من السماء عن ابن عباس وقتادة

والحسن «بما كانوا يفسقون» اي بكونهم فاسقين او بنسبهم كقوله ذلك با عصوا اي بعصيانهم وقال ابن زيد اهلكوا بالطاعون فأت منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا من كبارهم وشيوخهم وبنو الابناء فانتقل عنهم العلم والعبادة كأنه يشير الى انهم عوقبوا باخراج الافاضل من بينهم

قوله تعالى (٦٠) وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الاستسقاء طلب السقية ويقال سقيته واسقيته بمعنى وقيل سقيته من سقي الشفة واسقيته دلته على الماء ويقال عصا وعصوان وثلاثة اعص وجمعه عصي والانفجار الانفشاق والانبجاس اضيق منه فيكون اولاً انبجاساً ثم يصير انفجاراً والعين والعين من الاسماء المشتركة فالعين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدمع من بيكي وبلد قليل العين اي قليل الناس وما بالدار عين متحركة الياء والعين مطر أيام لا يتلع والعين الذهب والعين الميزان والعين الشمس والعين التجسس للأخبار وقد تقدم ذكر اناس وانه لا واحد له من لفظه ولا تشوا اي ولا تفسدوا ولا تظنوا والمعنى شدة الفساد يقال عتاش عشا وعشا يعشي عشي وعاش يعيث عيثا وعيوثا ويميثا قال روية (وعاش عينا مستحل عايش)

﴿ الابرار ﴾

اذ متعلق بكلام محذوف فكأنه قال واذكروا اذا استسقى ويجوز ان يكون معطوفاً على ما تقدم ذكره في الآيات المتقدمة وقوله اثنتا عشرة مينا الشين ساكنة عند جميع القراء وكان يجوز كسرها في اللغة والكسر لغة ربيعة وقيم والاسكان لغة اهل الحجاز قال ابن جنبي ان الفاظ العدد قد كثرت فيها الانحرافات وذلك ان لغة اهل الحجاز في غير العدد في نظير عشرة عشرة فيقولون نبقة وفضذ يكسرون الثاني وبنو تميم يسكنون فيقولون نبقة وفضذ فلما ركب الاسان استحال الوزن فقال بنو تميم احدى عشرة واثنتا عشرة بكسر الشين وقال اهل الحجاز عشرة بسكونها وعينا منصوب على التمييز والاسم الثاني من اثنتا عشرة قام مقام النون في عشرون بدلالة سقوط النون من اثنان وان عشرة تعاقبا وكذلك التقدير في جميع ذلك وهو الثلاثة والثلاث من ثلاثة عشر وثلاث عشرة الى تسعة عشر وتسع عشرة ان يكون فيها نون فقام عشرة مقامها فلذلك لم يدخلها التنوين واذا لم يدخلها تنوين لم تبين وفسدين منصوب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم عد سبحانه وتعالى على بني اسرائيل نعمة اخرى إضافة الى نعمة العلي الاولى فقال «واذا استسقى موسى» اي سأل موسى قومه ماء والسين سين الطلب وترك ذكر المسؤول ذلك اذا كان فيا ذكر من الكلام دلالة على معنى ماترك وكذلك وقوله «فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت» لأن معناه فضربه فانفجرت فتك ذلك الحجر عن ضرب موسى الحجر لأن فيا ابقاه من الكلام دلالة على ما القاه وهذا كما يقال امرت فلانا بالتجارة فاكتسب مالا أي فاتجر واكتسب مالا وقوم موسى هم بنو اسرائيل وانما استسقى لهم ربه الماء في الحال التي تلهوا فيها في التيه فشكروا اليه الظلمة فارعى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك وهو عصاه المعروفة وكان من آس الجنة دفعها اليه شيب وكان آدم حمله من الجنة معه الى الارض وكان طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة نورا وبه ضرب البحر فانفلق وهو الذي صار ثعبانا واما الحجر فاختلف فيه قبيل كان يقرع لهم حجرا من عرض الحجارة فينفجر عيوننا لكل سبط عينا وكانوا اثني عشر سبطا ثم يسير كل عين في جدول الى السبط الذي امر بسقيهم عن وهب بن منبه

وقيل كان حجرا بعينه خفيفا اذا رحلوا حمل في . . . فاذا تزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجر منه الماء . عن ابن عباس وهذا اولى لدلالة الالف واللام للمهد عليه وقيل كانت حجرة فيها اثنتا عشرة حفرة وكان الحجر من الكلدان وكان يخرج من كل حفرة عين ماء . عذب فرات فأخذونه فاذا فرغوا واراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء . وكان يستقي كل يوم ستمائة الف عن ابي مسروق وروي انه كان حجرا مربعا وروي انه كان مثل شكل الرأس وكان موسى اذا ضربه بعصاه انفجرت منه في كل ناحية ثلاث عيون لكل سبط عين وكانوا لا يتحملون مرحلة الا وجدوا ذلك الحجر بالمكان الذي كان به منهم في المنزل الاول وقوله «فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا» لا ينافي قوله في سورة الاعراف فاننجست لأن الانبجاس هو الانفجار الا انه اقل وقيل انه لا يمتنع ان يكون اول ما يضرب عليه العصا كان ينبجس ثم يكثرت حتى يصير انفجارا وقيل كان ينبجس عند الحاجة وينفجر عند الحاجة وقيل كان ينبجس عند الحمل وينفجر عند الوضع وقوله «قد علم كل اناس مشربهم» اي قد علم كل سبط وفريق منهم موضع شربهم وقوله «كلوا واشربوا» اي وقتلنا لهم كلوا واشربوا وهذا كلام مبتدأ وقوله «من رزق الله» اي كلوا من النعم التي من الله بها عليكم من المن والسوى وغير ذلك واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي يأتيكم بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعة فان الرزق ما المرزوق أن ينتفع به وليس لأحد منعه منه وقوله «ولا نمشوا» اي لا تسعوا في الارض فسادا وانما قال «لا تسعوا في الارض مفسدين» وان كان المشي لا يكون الا فسادا لأنه يجوز ان يكون فعل ظاهره الفساد وباطنه المصلحة فبين ان فعلهم هو العيث الذي هو الفساد ظاهرا وباطنا ومتى سئل فقيل كيف يجتمع ذلك الماء الكثير في ذلك الحجر الصغير وهل يمكن ذلك فالجواب ان ذلك من آيات الله الباهرة والاعاجيب الظاهرة الدالة على انها من فعل الله تعالى المتشبه للأشياء القادر على ما يشاء الذي تذل له الصعاب ويتسبب له الاسباب فلا بدع من كمال قدرته وجلال عزته ان يبدع خلق المياه الكثيرة في ابتداء معجزة لموسى ونعمة عليه وعلى قومه ومن استبعد ذلك من الملاحدة الذين ما قدروا الله حق قدره ولم يعرفوه حقيقة مفرقة فالكلام عليهم انما يكون في وجود الصانع وثبات صفاته واتساع مقدوراته ولا معنى للتشاغل بالكلام معهم في التفرع مع خلافهم في الاصل

قوله تعالى (٦١) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَلَسْتَبْدُونَ أَلَيْدِي هُوَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَمْ هَاطُوا مَضْرًا فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالسَّكْنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة الثيبين بالهمزة والباقون بغير همز

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الحجة ان همز النبي . أن يقول هو اصل الكلمة الا ترى ان ناسا من اهل الحجاز حققوا الهمزة في الكلام ولم يبدلوه فلم يكن كماضي يدع ونحوه مما رفض استعماله فاما ما روي في الحديث من ان بعضهم قال يا نبي . الله فقال (ص) لست نبي . الله ولكني نبي الله فأظن ان من اهل النقل من ضعف اسناد هذا الحديث ويقوي ضعفه ان من مدح النبي (ص) فقال

يَا خَاتِمَ النَّبِيَّاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ خَيْرٌ هُدَىٰ الْإِلَهِ هُدَاكَ

لم يرد عنه انكار عليه فيما علمنا ولو كان في واحد . نكسر لكان الجمع كالواحد وحجة من ابدل ولم يحقق عجي . الجمع

في التنزيل على انبيا الذي هو في اكثر الامر للمعل اللام نحو صني واصفيا وغني واصفيا فدل على ان الواحد قد ازم فيه البدل
واذا ازم فيه البدل ضعف فيه التحقيق ولا يجوز أن يكون اشتقاق النبي من النبوة التي هي الارتفاع او من النبوة لأن
سيوره حكى ان جميع العرب يقولون تنبأ مسيلمة بالهمزة فدل على أن اصله المنز وقال الزجاج يجوز أن يكون
نبي من انبأت فترك همزته لكثرة الاستعمال ويجوز أن يكون من نبا ينبو اذا ارتقع فيكون فيصلا من الرفع

﴿ اللغة ﴾

الطعام ما يتغذى به والطعم بضم الطاء الأكل والطعم عرض يدرك بحاسة الذوق والطعام من قبيل الاجسام
والواحد اول عدد الحساب وحده مالا يتجزى والله تعالى واحد لتفرده بصفاته الحسنى والدعاء اصل النداء عن
ابن السراج وكل من يدعو ربه فهو يتاديه وحقيقة الدعاء قول القائل لمن فوقه افعل والقرق بينه وبين الأمر
يظهر بالرتبة والانبأت اخراج النبات واصله من الظهور فكأنه ظهر اذا نبت والبقل ما ينبت الربيع يقال بقلت
الارض ولبقلت لتان فصيحتان اذا انبتت البقل فالبقل كل نبات ليس له ساق وفي التثاء لتان ضم القاف وكسرها والاكسر
اجود وهي لغة القرآن وقد روي عن عيسى التميمي في الشواذ بالضم والفوم هو الحنطة عن ابن عباس وقناة والسدي
وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وانشد ابن عباس قول ابيحة بن الجلاح

قَدْ كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ شَخْصًا وَاحِدًا وَرَدَّ الْمَدِينَةَ عَنْ زَرَّاعَةِ قَوْمٍ

وقال الفراء والازهري هو الحنطة والخبز تقول العرب قوموا لنا اي اختبزوا وقال قوم هو الحبوب التي تخبز
وقال الكسائي هو الثوم ابدل من الثاء فاء كما قالوا جدث وجدف قال الفراء وهذا أشبه بما ذكره بعده من البصل
قال الزجاج وهذا بعيد لأنه لا يعرف الثوم بمعنى القوم لأن القوم لا يجوز ان يطلقوا الثوم ولا يطلقون الخبز الذي
هو الاصل وهذا ضعيف لانه قد روي في الشواذ عن ابن مسعود وابن عباس وثومها بالثاء والعدس حب معروف
وقوله ادنى اي اقرب وادون كما تقول هذا شي مقارب اودون ويجوز أن يكون ادنى من الدناءة وهي الحسة يقال
دنا دناءة فهو ادنى وهو ادنى منه فتركت همزتها وهو اختيار الفراء وحكى الازهري عن ابن زيد الدني بلا همز
الحسيس والدني بالهمزة اللاجن ولما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطن لانقطاعه بالهمزة عما سواه ومنهم من قال
هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره وقال عدي بن زيد

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْرًا لَا خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَّلَا

وضربت عليهم الذلة اي فرضت ووضعت عليهم الذلة والذو هامن قولهم ضرب الامام الجزية على أهل الذمة
وضرب الامير على عبيده الخراج وقيل ضربت عليهم الذلة اي حلوا ينزل الذل والمسكنة مأخوذ من ضرب القباب قال الفرزدق
ضَرَبْتُ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِسَجْمَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ

واما الذلة فمشتقة من قولهم ذل فلان يذل ذلا وذلة والمسكنة مصدر المسكين يقال ما فيهم أسكن من فلان
وما كان مسكينا ولقد تمسكن تمسكنا ومنهم من يقول تسكن تسكنا والمسكنة هاهنا مسكنة الفاقة والحاجة
وهي خشوعها وذلها وقوله وباهوا بغضب اي انصرفوا ورجعوا ولا يقال باه الا موصولا اما بخير واما بشروا اكثر
ما يستعمل في الشر ويقال باه بذنبه يبو به قال المبرد واصله المنزلة اي تزلوا منزلة غضب الله وروي ان رجلا جاء
برجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذا قاتل اخي وهو يواه به اي مقتول به ومنه قول ليلي الاخيلية
فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاهُ فَإِنَّكُمْ قَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ حَوْفِ بْنِ عَامِرٍ

وقال الزجاج اصل ذلك التسوية ومنه ما روي عن عبادة بن الصامت قال جعل الله تعالى الانفال الى نبيه
فقسها بينهم على يواه اي على سواه بينهم في القسم ومنه قول الشاعر

فَقِيْلَ صَبْرًا بِأَمْرِي لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَكْأِيلَ بِالذَّمِّ

وقال قوم هو الاعتراف ومعناه انهم اعترفوا بما يوجب غضب الله ومنه قول الشاعر

إِنِّي أَبُو بَعَثَرِي وَخَطِيْبِي رَيْي وَهَلْ إِلَّا إِلَيْكَ الْمَهْرَبُ

والغضب ارادة ايصال الضرر الى من غضب عليه فاذا اضيف الى الله تعالى فالمراد به انه يريد ازال العقوبة بالمغضوب عليه نعموذ بالله من غضبه والنبي اشتقاقه من النبا الذي هو الخبر كأنه المخبر عن الله سبحانه فان قلت لم لا يكون من النباوة وما انشده ابو عثان قال انشدني كيسان

مَحْضُ الصَّرِيْبَةِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي وَضَعَتْ فِيهِ النَّبَاوَةَ حُلُوًّا غَيْرَ مَمْدُوقِ

فاقول فيه انه لا يجوز ان يكون منها لأن سيويه زعم انهم يقولون في تحقير النبوة كان مسيلة نباته سوء وكلهم يقول تنبا مسيلة فلو كان يحتل الامرين لما اجتمعوا على ذلك قال ابو علي وبما يقوي انه من النبا الذي هو الخبر ان النباوة الرفعة وكأنه قال في البيت الذي وضعت فيه الرفعة وليس كل رفعة نبوة وقد يكون في البيت رفعة ليست بنبوة والمخبر عن الله تعالى المبلغ عنه نبي ورسول فهذا الاسم اخص به واشد مطابقة للمعنى المقصود اذا اخذ من النبا والاعتداء تجاوز الحد الذي حده الله لعباده الى غيره وكل مجاوز حدشي الى غيره قد تعداه الى ما تجاوزاه

﴿ الاعراب ﴾

قوله يخرج لنا مجزوم لأنه جواب امر محذوف لأن تقديره ادع لنا ربك وقل له اخرج لنا يخرج لنا وقد ذكرنا فيا قبل ان الاصل فيه انه مجزوم بالشرط وحذف الشرط لأن الكلام يدل عليه وقيل ان تقديره ان يكون يخرج مجزوما باضمار الامر اي ليخرج لنا نحو قوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة اي ليقيموا لحذف اللام وانشد ابو زيد

فِيضْحِي صَرِيْعًا مَا يَوْمٌ حَاجِبٌ وَلَا يَسْمَعُ الدَّاعِيَ وَيُسْمِعُكَ مِنْ دَعَا

وانشد غيره

قُلْتُ أَدْعِي وَأَدْعُ فَإِنْ أُنْدَى لَصَوْتِ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

اي ولأدع وقال آخر

مُحَمَّدٌ تَقْدِرُ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِضَتْ مِنْ أَمْرِ تَبَالَا

اي لتعد قال البرد حدثني المازني قال جلست في حلقة القراء فسمعتهم يقول لأصحابه لا يجوز حذف لام الأمر الا في الشعر ثم انشد

مَنْ كَانَ لَا يَزْعَمُ أَنِّي شَاعِرٌ فَيَدْنُ مِنِّي يَنْهَى الزَّاجِرُ

فقلت له لم جاز في الشعر ولم يجوز في الكلام قال لأن الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف قال فقلت فما اضطره هاهنا وهو يمكنه ان يقول فليدن مني قال فسأل عني فقيل المازني فوسع لي وقوله بما تثبت الارض من هتاللتبييض لأن المراد يخرج لنا بعض ما تثبت الارض وقال بعضهم ان من هتازاندة نحو قولهم ما جاءني من احد والصحيح الاول لأن من لا تراد في الايجاب ولما تراد في النفي ولأن من المعلوم انهم لم يريدوا جميع ما تثبت الارض وتون جميع القراء مصرا لأنه اراد مصرا من الامصار بغير تعيين لأنهم كانوا في تيه ويجوز ان يكون المراد مصر بينها البلدة المروفة وصرفه لأنه مذكور وروي عن ابن مسعود انه قرأ بغير الف ويجوز ان يكون المراد مصر هذه بينها كما قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين ولما لم يصرفه لأنه امر المدينة فهو مذكر سمي به مومنت ويمكن ان يكون انما نونه من نونه اتباعا للمصنف لأنه مكتوب في المصحف بألف وقوله ذلك بأنهم كانوا يكفرون قال الزجاج معناه والله اعلم الغضب حل بهم بكفرهم واقول في بيانه ان ذلك اشارة الى الغضب في قوله وباعلوا

بغضب فهو في موضع الرفع بالابتداء. وان مع صلته من الاسم والخبر في موضع جر بالباء. والجار يتعلق بخبر المبتدا وهي جملة من الفعل والفاعل حذف لدلالة ما يتصل بها عليها وكذلك قوله ذلك باعصوا فإن ما مع صلته في تأويل المصدر

﴿ المعنى ﴾

لما عدد سبحانه فيها قبل ما اسداه اليهم من النعم والاحسان ذكر ما قابلوا به تلك النعم من الكفران وسوء الاختيار لنفوسهم بالعصيان فقال «واذا قلتم» اي قال اسلافكم من بني اسرائيل «يا موسى لن نصبر على طعام واحد» اي لن نطبق حبس انفسنا على طعام واحد وانما قال على طعام واحد وان كان طعامهم المن والسلوى وهما شيان لأنه أراد به أن طعامهم في كل يوم واحد اي يأكلون في اليوم ما كانوا يأكلونه في الأمس كما يقال ان طعام فلان في كل يوم واحد وان كان يأكل الواتا اذا حبس نفسه على الوان من الطعام لا يمدوها الى غيرها وقيل انه كان يتوزل عليهم المن وحده فلوهم فقالوا ذلك فنزل عليهم السلوى من بعد ذلك وقوله «فادع لنا ربك» اي فاسأل ربك وادعه لاجلنا «يخرج لنا مما تثبت الارض من بقلها وقتانها وقومها وعدسها وبصلها» اي مما تثبتت الارض من البقل والقتا. ومما ساء الله مع ذلك وكان سبب مسألتهم ذلك ما رواه قتادة قال كان القوم في البرية قد ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى فلما ذلك وذكروا يعيشا كان لهم بمصر فسألوا موسى فقال الله اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وتقديره فدعا موسى فاستجبت له فقلنا لهم اهبطوا مصرا وقيل أنهم قالوا لا نصبر على الغنى بأن يكون جميعنا اغنيا. فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض فلذلك قالوا يخرج لنا مما تثبت الارض ليجتاجوا فيه الي امران فيكون التقدير عونا للغنى وقوله «استبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير» معناه قال لهم موسى وقيل بل قال الله لهم انترككون ما اختار الله لكم وتوثرون ما هو ادون واردي على ذلك وقيل انه اراد استبدلون ما تبدلون في زراعته وصناعته بما اعطاه الله الياكم عفوا من المن والسلوى وقيل المراد تختارون الذي هو اقرب اي اقل قيمة على الذي هو اكثر قيمة والذ واختلف في سوء الهم هذا هل كان معصية وقيل لم يكن معصية لأن الاول كان مباحا فسألوا مباحا آخر وقيل بل كان معصية لأنهم لم يرضوا بما اختاره الله لهم ولذلك ذمهم على ذلك وهو اوجه وقوله «اهبطوا مصرا» اختلف فيه فقال الحسن والربيع اراد مصر فرعون الذي خرجوا منه وقال ابو مسلم اراد بيت المقدس وروي ذلك عن ابن زيد وقال قتادة والسدي ومجاهد اراد مصرا من الامصار يعني ان ما تسألونه انما يكون في الامصار ولا يكون في الفاويز أي اذا نزلتم مدينة ذات طول وعرض «فإن لكم» فيها «ما سألتم» من نبات الارض وقد تم الكلام هاهنا ثم استأنف حكم الذين اعتدوا في السبت ومن قتل الأنبياء. فقال «وضريت عليهم الذلة والمسكنة» اي الزموا الذلة الزاما لا يرح عنهم كما يضرب السار على النبي. فيلزمه وقيل المراد بالذلة الجزية لقوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون عن الحسن وقاتدة وقيل هو الكسبيج وزي اليهود عن عطا وقوله والمسكنة يعني زي الفقر فتوى الثوري منهم يتباس مخالفة أن يضاعف عليه الجزية وقال قوم هذه الآية تدل على فضل الغنى لأنه ذمهم على الفقر وليس ذلك بالوجه لأن المراد به فقر القلب لأنه قد يكون في اليهود مياسير ولا يوجد يهودي غني النفس وقال النبي (ص) الغنى غنى النفس وقال ابن زيد ابدل الله اليهود بالمر ذلا وبالثمة بوسا وبالرضا عنهم غضبا جزاء لهم بما تكفروا بآياته وقتلوا انبياءه ورسله اعتداء وظلما «وبأوا بغضب من الله» اي رجوا متصرفين متحلمين غضب الله قد وجب عليهم من الله الغضب وحل بهم منه السخط وقال قوم الغضب هو ما حل بهم في الدنيا من البلا. والثمة بدلا من الرضا. والثمة وقال آخرون هو ما ينالهم في الآخرة من العقاب على معاصيهم ثم اشار الى ما تقدم ذكره فقال «ذلك» اي ذلك الغضب وضرب الذلة والمسكنة حل بهم لأجل «انهم كانوا يكفرون بآيات الله» اي يحسدون حجاج الله وبيئاته وقيل اراد بآيات الله الانجيل والقرآن ولذلك قال فبأوا بغضب على غضب الأول لكفرهم

بعبى والانجيل والثاني لكفرهم بمحمد والقرآن وقيل آيات الله صفة محمد (ص) وقوله «ويقتلون النبيين بغير الحق» اي بغير جرم كتركها ويحبي وغيرهما وقوله بغير الحق لا يدل على انه قد يصح ان يقتل النبيون بحق لأن هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم وانه لا يكون الا ظلما بغير حق كقوله تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان لبه ومعناه ان ذلك لا يمكن أن يكون عليه برهان وكقول الشاعر (على لاحب لا يهتدى بشاره) ومعناه ليس هناك منار يهتدى به وفي امثاله كثرة وقوله «ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» ذلك اشارة الى ما تقدم ايضا بعصيانهم في قتل الأنبياء وعدوهم السبت وقيل بتقصهم العهد واعتدائهم في قتل الانبياء والمراد اني فعلت بهم ما فعلت من ذلك بعصيانهم امري وتجاوزهم حدي الى ما نهيتهم عنه

﴿سؤال﴾

ان قيل كيف يجوز التخلية بين الكفار وقتل الانبياء. ﴿فالجواب﴾ انما جاز ذلك لثالث انبياء الله سبحانه من رفع المنازل والدرجات مالا يتناولونه بغير القتل وليس ذلك مجذلان لهم كما ان التخلية بين المؤمنين والأولياء والطيبين وبين قاتليهم ليست مجذلان لهم وقال الحسن ان الله تعالى لم يأمر نبييا بالقتال فقتل فيه وانما قتل من الانبياء من قتل في غير قتال والصحيح ان النبي ان كان لم يود الشرع الذي امر بتأديته لم يجز أن يمكن الله سبحانه من قتله لأنه لو ممكن من ذلك لأدى الى ان يكون المكلفون غير مزاحي العلة في التكليف وفيها لهم من الاطراف والمصالح فاما اذا ادى الشرع فيقتل يجوز أن يخلي الله بينه وبين قاتليه ولم يجب عليه النصح من قتله وروى ابوهريرة عن النبي (ص) انه قال اختلفت بنو اسرائيل بعد موسى بمجسماته سنة حتى صكرو فيهم اولاد السبايا واختلفوا بعد عيسى بمائتي سنة

قوله تعالى (٦٢) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالصَّابِقِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (آية)

﴿القراءة﴾

قرأ نافع بتك المنة من الصابئين والصابثون في كل القرآن والباقون يهزون

﴿الحجة﴾

ترك المنة يحتمل وجهين (احدهما) أن يكون من صبا يصبو اذا مال الى الشيء والآخر قلب المنة قال ابو علي ولا يسهل أن يأخذه من صبا يصبو لأنه قد يصبو الانسان الى الدين فلا يكون منه تدين به مع صبوه اليه فإذا بعد هذا وكان الصابثون منتقلين من دينهم الذي أخذ عليهم الى سواء لم يستقم ان يكون الا من صبات الذي معناه انتقال من دينهم الى دين لم يشرع لهم فيكون على قلب المنز وقلب المنز على هذا الحد لا يجزئه سيويه الا في الشعر فدل على ان القائل لذلك غير فصيح وانه مخاطب في لته فالأختيار المنز ولأنه قراءة الاكثر والى التفسير اقرب

﴿اللغة﴾

هادوا اي صاروا يهودا ودانوا باليهودية وهاد يهودا اي تلب واختلف في اشتقاق اسم اليهود قتيب هومر الهود اي التوبة ومنه قوله انا هدنا اليك عن ابن جريج وسوا بذلك لتوبتهم عن عبادة السجل وقال زهير
سَوَى سَرَبِعٍ لَمْ يَأْتِ فِيهِ مَخَافَةٌ وَلَا رَهَقًا مِنْ عَائِدٍ مُتَوَدِّدٍ
اي تلب وقيل انما سوا يهودا لأنهم نسبوا الى يهوذا اكبر ولد يعقوب فعربت النال دالا وقيل انما سوا يهودا لأنهم هادوا اي مالوا عن الاسلام وعن دين موسى وقيل سوا بذلك لأنهم يتهودون اي يتحركون عند

قراءة التوراة ويقولون ان الملوكة والارض تحركت حين آتى الله موسى (ع) التوراة واليهود اسم جمع واحدهم
يهودي كزنجي والزنج والرومي والروم والنصارى جمع نصران كقولهم سكران وسكارى وندمان
وندامى هذا قول سيويه قال الشاعر

رَأَاهُ إِذَا كَانَ الْعَيْبُ مُحْتَمًا يُضْحِي لَدَيْهِ وَهُوَ نَصْرَانُ شَامِسُ

وهو المتلى . نصران كما ان التضبان هو المتلى . غضبا وقيل في موطنه نصرانة كما قال (كما وجدت نصرانته لم تحض)
وقيل ان واحد النصارى نصرى مثل مهرى ومهاري واختلفوا في اشتقاق هذا الاسم فقال ابن عباس هو من
ناصره قرية كان يسكنها عيسى (ع) فنسبوا اليها وقيل سبوا بذلك لتناصرهم اي نصره بعضهم بعضا وقيل انسا
سبوا بذلك لقوله من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله والصابئون جمع صابى . وهو من انتقل الى
دين آخر وكل خارج من دين كان عليه الى آخر غيره سبي في اللغة صابنا قال ابو علي قال ابو زيد صبا الرجل
في دينه يصبأ صبوا اذا كان صابنا وصبأ ناب الصبي يصبأ صبأ اذا طلع وصبأت عليهم تصبا صبأ وصبوا اذا
طلعت عليهم وطرات مثله فكان معنى الصابى . التارك دينه الذي شرع له الى دين غيره كما ان الصابى . على القوم
تارك لأرضه ومنتقل الى سواها والدين الذي فارقه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم او تظليها قال قتادة
وهم قوم معروفون ولهم مذهب يتفردون به ومن دينهم عبادة النجوم وهم يقرون بالصابئ وبالعاد وبيعض
الانبياء . وقال مجاهد والحسن الصابئون بين اليهود والجوس لا دين لهم وقال السدي هم طائفة من اهل الكتاب
يقرؤون الزبور وقال الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب حبال منتصف
النهار يزعمون انهم على دين نوح وقال ابن زيد هم اهل دين من الاديان كانوا بالجزيرة جزيرة الموصل يقولون
لا إله الا الله ولم يؤمنوا برسول الله فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للثني (ع) ولاصحابه هو لا . الصابئون
يشبهونهم بهم وقال آخرون هم طائفة من اهل الكتاب والفقهاء بأجمعهم يميزون اخذ الجزية منهم وعندنا لا يجوز
ذلك لأنهم ليسوا باهل كتاب

﴿الاعراب﴾

خبر ان جملة قوله من آمن بالله واليوم الآخر الآية لأن معناه من آمن منهم بالله واليوم الآخر فتك ذلك
منهم لدلالة الكلام عليه وقوله فلهم اجرهم عند ربهم الى آخر الآية في موضع الجزاء . ولما رفع ولا خوف
لتكرير لا تقول الشاعر

وَمَا صَرَّمْتُكَ حَتَّى قُلْتِ مُعِينَةٌ لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلُ

وهذا كانه جواب لمن قال اناقة لك في هذا ام جمل فاما النكرة المفردة فنية التبع لا غير نحو لا رجل في
الدار وهو جواب هل من رجل في الدار وانما قال من آمن فوحد ثم قال فلهم اجرهم لجمع لأن من موحد اللفظ
مجموع المعنى على ما تقدم بيانه

﴿المعنى﴾

«ان الذين آمنوا» اختلف في هو لا . للمؤمنين من هم فقال قوم هم الذين آمنوا بعيسى ثم لم يتهودوا ولم
يتنصروا ولم يصبأوا وانتظروا خروج محمد صلى الله عليه وآله وقيل هم طلاب الدين منهم حبيب التجار وقس بن
ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبيجر الراهب
ووفد الجاشي آمنوا بالثني صلى الله عليه وآله قبل مبثته فنهج من ادركه وتبعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم
موسموا الامم للاضية وقيل هم للمؤمنين من هذه الامم وقال السدي هو سلمان الفارسي واصحابه النصارى الذين

كان قد تنصر على ايديهم قبل مبث رسول الله وكانوا قد اخبروه بأنه سيبعث وانهم يؤمنون به ان ادركوه واختافوا في قوله من آمن بالله واليوم الآخر فقال قوم هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين والضمير يرجع اليهم لأن الذين آمنوا قد كانوا مؤمنين فلا معنى ان يشرط فيهم استئناف الايمان فكأنه قال ان الذين آمنوا ومن آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر فلهم اجرهم وقال آخرون من آمن منهم الضمير راجع الى الكل ويكون رجوعه الى الذين آمنوا بمعنى الثبات منهم على ايمانهم والاستقامة وترك التبديل والى الذين هادوا والنصارى والصابئين بمعنى استئناف الايمان بالثبات (ص) وما جاء به وقال بعضهم اراد من آمن بمحمد (ص) بعد الايمان بالله وبالكتب المتقدمة لأنه لا يتم احدهما الا بالآخر ونظيره قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما انزل على محمد وروي عن ابن عباس انه قال انها منسوخة بقوله ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهذا بعيد لأن النسخ لا يجوز ان يدخل الخبر الذي هو متضمن للوعد وانما يجوز دخوله في الاحكام الشرعية التي يجوز تغييرها وتبديلها بتغير المصلحة فالاولى ان يحمل على انه لم يصح هذا القول عن ابن عباس وقال قوم ان حكمها ثبت والمراد بها ان الذين آمنوا بانفوسهم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين واليهود والنصارى والصابئين اذا آمنوا بعد النفاق واسلموا بعد العناد كان لهم اجرهم عند ربهم كمن آمن في اول استدعائه الى الايمان من غير نفاق ولا عناد لأن قوماً من المسلمين قالوا ان من اسلم بعد نفاقه وعناده كان ثوابه انقص واجره أقل فأخبر الله بهذه الآية انهم سوا في الاجر والثواب وقوله «بالله» اي بتوحيد الله وصفاته وعدله «واليوم الآخر» يعني يوم القيامة والبعث والنشور والجنة والنار «وعمل صالحاً» اي عمل ما أمره الله به من الطاعات ولما لم يترك المعاصي لأن تركها من الاعمال الصالحة «فلهم اجرهم» اي جزاؤهم وثوابهم «عند ربهم» اي عند الله عنده وقوله «ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» مضي تفسيره قبل وقيل معناه لا خوف عليهم فيما قدموا ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم في العقب ولا يحزنون على الدنيا وفي هذه الآية دلالة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب لأنه تعالى قال من آمن بالله ثم عطف عليه بقوله وعمل صالحاً ومن حمل ذلك على التأكيد والنفض فقد ترك الظاهر وكل شي يذكرونه مما عطف على الاول بعد دخوله فيه مثل قوله فيها فاكهة ونخل ورمان واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فان جميع ذلك على سبيل المجاز والاتساع ولو خلتنا والظاهر قلنا انه ليس بداخل في الاول

قوله تعالى (٦٣) وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خَدُّوا مَا آتَيْنَاكُمْ
بِذِّمْرٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الميثاق هو مفعول من الوثيقة اما يسين واما بعد او غير ذلك من الوثائق والطور الجبل في اللغة قال الزجاج

دَأَى جَنَاحِيهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرَّ تَقْضِي الْبَازِي إِذِ الْبَازِي كَثُرَ

وقيل انه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى عليه السلام عن ابن عباس والقوة القدرة وهي عرض يصير به الحي قادراً وكل جسم قادر بقدرته لا يصح منه فعل الجسم والاخذ ضد الاعطاء واصل خذ او خذ وكذا اكل اصله او اكل وانما لم الحذف فيها تخفيفاً لكثرة الاستعمال وكذلك مر وقد جاء فيه او مر على الاصل

﴿ الاعراب ﴾

خدوا ما آتيناكم محله نصب على تقدير وقلنا لكم خدوا كما تقول اوجبت عليه ثم اي اوجبت عليه فقلت ثم قال الفراء اخذ الميثاق قول ولا حاجة بالكلام الى اضرار القول فيه غير انه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام

الذي هو معنى القول ان يكون معه ان كقولنا انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك قال ويجوز حذف ان وموضع ماها هنا نصب

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الى خطاب بني اسرائيل فقال «و» اذكروا «اذ اخذنا ميثاقكم» اي عهدكم والعهد هو الذي فطر الله الخلق عليه من التوحيد والعدل ونصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الساطعة الدالة على ذلك وعلى صدق الانبياء والرسل وقيل انه اراد به الميثاق الذي اخذه الله على الرسل في قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية وقيل هو اخذ التوراة عن موسى «ورفعنا فوقكم الطور» قال ابو زيد هذا حين رجع موسى من الطور فأتى بالالواح فقال لقومه جئتكم بالالواح وفيها التوراة والحلال والحرام فاعملوا بها قالوا ومن يقبل قولك فارسل الله عز وجل الملائكة حتى نتقوا الجبل فوق رؤسهم فقال موسى عليه السلام ان قبلتم ما آتيتكم به والا ارسلوا الجبل عليكم فاخذوا التوراة وسجدوا لله تعالى ملاحظين الى الجبل فن ثم يسجد اليهود على احد شتي وجوههم قيل وهذا هو معنى اخذ الميثاق وكان في حال رفع الجبل فوقهم لأن في هذه الحال قيل لهم «خذوا ما آتيناكم» يعني التوراة «بقوة» اي بجد ويقين لا شك فيه وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقريب منه ما روى العياشي انه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل خذوا ما آتيناكم بقوة ابقوة بالابدان ام بقوة بالقلوب فقال بهما جيبا وقيل اخذه بقوة هو العمل بما فيه بعزيمة وجد وقيل بقدرة وانتم قادرين على اخذه عن ابي علي والاصم «واذكروا ما فيه» يعود الضمير من فيه الى ما من قوله ما آتيناكم وهو التوراة يعني احفظوا ما في التوراة من الحلال والحرام ولا تنسوه وقيل معناه اذكروا ما في تركه من العقوبة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل معناه اعلموا بما فيه ولا تتركوه وقيل المعنى في ذلك ان ما آتيناكم فيه من وعد ووعد وترغيب وترهيب تدبروه واعتبروا به واقبلوه «لعلكم تتقون» اي كي تتقوني اذا فعلتم ذلك وتحافوا عقابي وتنتهوا الى طاعتي وتتذعروا عما انتم عليه من المعصية

قوله تعالى (٦٤) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قَالُوا فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُمْ مِنْ الْخَاسِرِينَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

توليتهم اعرضتم وهو مطاوع قولهم ولاء فلان دبره اذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره ثم يستعمل ذلك في كل نارك طاعة أمر ومعرض بوجهه عنه فيقال تولى فلان عن طاعة فلان وتولى عن صداقته ومنه قوله فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا اي خالفوا ما وعدوا الله من قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين والخاسر هو الذي ذهب رأس ماله ورأس مال الانسان نفسه وما سراها بما يحصل له من المنافع فهو كانه ربح

﴿ المعنى ﴾

معنى الآية ثم نبذتم العهد الذي اخذناه عليكم بعد اعطائكم المواثيق وراوا ظهوركم واعرضتم عنه «فلولا فضل الله عليكم» اي فلولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي وانتموه اذ رفع فوقكم الطور وانعم عليكم بالاسلام ورحمته التي رحمكم بها فتجاوز عنكم خطيتكم بمرحمتكم طاعة ربكم «لكنتم من الخاسرين» وقال ابو العالية فضل الله الايمان ورحمته القرآن فيكون معناه لولا اقداري لكم على الايمان وازاحة ملككم فيه حتى فعلتم الايمان لكنتم من الخاسرين وانما جعل الايمان فضلا وتوبته التي بها نجوا ولم يكونوا بها خاسرين فضلا منه من حيث كان هو الداعي اليه والمقدر عليه والمرغب فيه ويحتمل ان يكون المعنى ولولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد توليتكم عن طاعته حتى ناب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من

الحاسرين ويحتمل ان يريد فلولا فضلي عليكم في رفع الجبل فوقكم للتوفيق والطف الذي قبم عنده حتى زال العذاب عنكم وسقوط الجبل لكنتم من الحاسرين

قوله تعالى (٦٥) وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

علمت اي عرفت هنا تقول علمت اخاك ولم اكن اعلمه اي عرفته ولم اكن اعرفه كقوله تعالى وآخري من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اي لا تعرفونهم الله يعرفهم والذين اعتدوا في موضع نصب لأنه مفعول به والفرق بينه وبين ما يتعدى الى مفعولين ان العرفة تنصرف الى ذات السمي والعلم يتصرف الى احواله فاذا قلت علمت زيدا فالمراد عرفت شخصه واذا قلت علمت زيدا كريما او ثنيا فالعلم يتعلق باحواله من فضل ونقص واعتدوا اي ظلموا وجاوزوا ما حد لهم والسبت من ايام الاسبوع قال الزجاج السبت قطعة من الدهر فسمي بذلك اليوم وقال ابو عبيدة سمي بذلك لأنه يوم سبت فيه خلق كل شيء اي قطع وفرغ قوله منكم في موضع نصب حالا من الذين اعتدوا اي المعتدين كائنين منكم في قوله في السبت فتعلق باعتدوا واصل السبت مصدر يقال يسبت سبتا اذا قطع ثم سمي اليوم سبتا وقد يقال يوم السبت فيخرج مصدرا على اصله وقد قالوا اليوم السبت فجلسوا اليوم خيرا عن السبت كما يقال اليوم القتال فعلى ما ذكرنا يكون في الكلام حذف تقديره في يوم السبت وقال قوم انما سمي بذلك لأن اليهود يسبتون فيه اي يقطعون فيه الاعمال وقال آخرون سمي بذلك لما لهم فيه من الراحة لأن اصل السبت هو السكون والراحة ومنه قوله وجعلنا نومكم سباتا ويقال للناخ مسبوت لاستراحته وسكون جسده والقردة جمع قرد والأنثى قردة والحاسي البعد المطرود يقال خسات الكلب أخسا وخسا وخسى الكلب يخسو خسا تقول خساته وخسى وانحسا قال الرازي (كالكلب ان قلت له اخسا انحسا) اي ان طرده انطرده

﴿ المعنى ﴾

خاطب اليهود فقال «ولقد علمت» اي عرفت «الذين اعتدوا منكم في السبت» اي الذين تجاوزوا ما امروا به من ترك الصيد يوم السبت وكان الحيتان تجتمع في يوم السبت لأنها تجسوها في السبت واخذوها في الأحد فاعتدوا في السبت اي ظلموا وتجاوزوا ما حد لهم لأن صيدها هو جنبها وروي عن الحسن انهم اصطادوا يوم السبت مستحلين بعد ما نهوا عنه «فقلنا لهم كونوا قردة» وهذا اخبار عن سرعة فعله ومسخه ايام لا ان هناك اسرا ومعناه جعلناهم قردة كقوله تعالى فقال لها وللأرض أنتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين ولم يكن هناك قول وانما اخبر عن تسهل الفعل عليه وتكوينه بلا مشقة قال ابن عباس فسخطهم الله تعالى عقوبة لهم وكانوا يتعاونون وبقوا ثلاثة ايام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ثم اهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فهبت بهم والقتهم في الماء وماسخ الله امة الا اهلكها وهذه القردة والحنازير ليست من نسل اولئك ولكن مسخ اولئك على صورة هولاء يدل عليه اجماع المسلمين على أنه ليس في القردة والحنازير من هو من اولاد آدم ولو كانت من اولاد المسوخين لكانت من بني آدم وقال مجاهد لم يسخوا قردة وانما هو مثل ضربه الله كما قال كئيل الحارثي اسفارا وحكي عنه ايضا انه مسخت قلوبهم فجعلت قلوب القردة لا تقبل وعظا ولا تنقي زجرا وهذا القولان يخالفان الظاهر الذي أكثر المفسرين عليه من غير ضرورة تدعو اليه وقوله «خاسئين» اي مبعدين عن الخير وقيل اذلا صاغرين مطرودين عن مجاهد وفي هذه الآيات احتجاجات من الله تعالى على اليهود بنبذهم الترافقة على آباءهم واخبار للرسول (ص) عن عناد اسلافهم مرة بعد اخرى وكفرانهم وعصيانهم ثانية بعد اولى مع ظهور الآيات السالفة

والمعجزات الواضحة تعزية له (ص) وتثبيتاً لفراده وتسلية اياه عما يقاسيه من مخالفة اليهود وكيدهم وبرائة من جبردهم وكفرهم وعنادهم وليكون وقوفه على ما وقف عليه من اخبار سلفهم تنبيها لهم وحجة عليهم في اخلاصهم الى الهوى والحادهم وتحذيراً لهم من ان يحل بهم ما حل بابائهم واجدادهم

قوله تعالى (٦٦) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

النكال الازهاب للغير واصله المنع لأنه ماخوذ من النكل وهو التقيد وهو ايضا اللجام وسببت العقوبة نكالا لأنها تمتع عن ارتكاب مثل ما ارتكبه من تزكيت به ونكل فلان بفلان تشكيلا ونكالا والموعظة الوعظ واصله التخريف يقال وعظت فلانا موعظة وعظة

﴿ المعنى ﴾

«جعلناها» الضمير يعود الى الامة التي مسخت وهم اهل اية قرية على شاطئ البحر وهو المردي عن ابي جعفر (ع) أو إلى السخة عن الزجاج أو إلى العقوبة اي جعلنا تلك العقوبة عن ابن عباس أو إلى القرية التي اعتدى اهلها فيها «نكالا» اي عقوبة وقيل اشتها وفضيحة وقيل تذكرة وعبرة وقوله «لما بين يديها وما خلفها» ذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ما روي عن ابن عباس رواه الضحاك عنه لما بين يديها الأمم التي تراها وما خلفها ما يكون بعدها وهو يقارب الآثار المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام أنها قالا لما بين يديها اي لا معها ينظر اليها من القرى وما خلفها نحن ولنا فيها موعظة فعلى هذا يكون ما معنى من اي نكالا للخلق الذين كانوا معهم ولجميع من يأتي بعدهم الى يوم القيامة لئلا يفعلوا مثل فعلهم (وثانيها) ان يكون معناه جعلناها عقوبة للذنوب التي تقدمت على الاصطياد والذنوب التي تأخرت عنه وهذا يقتضي ان يكون الله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة عقيب الاصطياد عن ابن عباس ايضا فيكون اللام بمعنى السبب اي بسبب ذلك (وثالثها) أن يكون المراد لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى عن عكرمة عن ابن عباس (ورابعها) ان يكون المراد لما بين يديها ما مضى من خطاياهم وما خلفها خطاياهم التي اهلكوا بها «وموعظة للمتقين» معناه انه اذا يتعظبها المتقون وكأنها موعظة لهم دون غيرهم وهذا كقوله سبحانه هدى للمتقين وفي هذه الآية دلالة على ان من فعل مثل افعال هؤلاء ممن تقدمهم أو تأخر عنهم يستحق من العقاب مثل ما حل بهم من التشويه وتغيير الحلقة اذ كان نكالا لهم جميعا وتحذيرا وتنبيها للمتقين لكي لا يواقعوا من المعاصي ما واقع أو تلك فيستحقوا ما استحقوه نعوذ بالله من سخطه

قوله تعالى (٦٧) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تَوَاصَوْا بِهِ * (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوُحُهَا تَشْبَهُ الْتَائِظِينَ * (٧٠) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * (٧١) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لِذُكُلٍ تُشِيرُ إِلَى الْأَرْضِ وَلَا تَسْعَى الْحَرثَ مُسَلِّمَةً لِأَيْشِيَةٍ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة واسماعيل عن نافع وعباس (١) عن ابي عمرو هزواً وكفواً بالتخفيف والممز في كل القرآن وقرأ حفص عن عاصم بضم الزاي والفاء غير مهجوز وقرأ يعقوب هزوا بضم الزاي كفوا بسكون الفاء والباقون بالتثنية والممز

﴿ الحجة ﴾

قال ابو الحسن زعم عيسى ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فن العرب من يتقله ومنهم من يخففه نحو العسر واليسر والحلم وما يقوي هذه الحكاية ان ما كان على فعل من الجروع مثل كتب ورسل قد استمر فيه الوجهان حتى جاء ذلك في العتل العين الواوي نحوسوك الإسطل قال (وفي الاكف اللامعات سور) وحكى ابو زيد قول قوم واما فعل في جمع افعل نحو امر وجر فكأنهم الزموا الاسكان للفصل بين الجمعين وقد جاء فيه التحريك في الشعر فاذا كان الامر على هذا وجب ان يكون ذلك مستمراً في نحو الكف والمز فاذا خفف الهززة وثقل العين لم انقلب الهززة واوا فيقول هزوا ولم يكن له كفواً أحد وان خفف فاسكن العين قال هزوا فابقي الواو التي انقلبت عن الهززة لانضمام ما قبلها وان لم تكن ضمة العين في اللفظ لأنها مرادة في المعنى كما قالوا لقضوا (٢) الرجل فابقوا الواو ولم يردوا اللام التي هي ياء من قضيت لأن الضمة مرادة في المعنى وكذلك قالوا رضى زيد فسين قال علم زيد فلم يردوا الواو التي هي لام لزال الكسرة لأنها مقدرة مرادة وان كانت محذوفة من اللفظ وكذلك تقول هزوا وكفوا فتثبت الواو وان كنت حذف الضمة المرجية لاجتلابها واذا كان الامر على هذا فقراءة من قرأ بالضم وتحقيق الممز في الجواز والحسن كقراءة من قرأ بالاسكان وقلب الهززة واوا لأنه تخفيف قياسي وقد روى ابو زيد عن ابي عمرو انه خير بين التخفيف والتثنية

﴿ اللغة ﴾

البقرة اسم للبروت من هذا الجنس واسم الذكر منه الثور وهذا يخالف صيغة الذكر منه صيغة الانثى كالجمل والناقة والرجل والمرأة والجدي والعناق واصل البقر الشقيقال بقرت بطنه اي شقته وسمي البقر بقرا لأن من شأنه شق الارض بالكراب والمز واللعب والسخرية يقال هزأت به هزواً ومهزاة واعوذ بالله الجأ الى الله عوذاً وعباداً وحقبة العياذ استدفاع ما يخاف من شره بما يطعم ذلك منه والجلل نقيض العلم وقيل هو نقيض الحلم والصحيح انه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به كما ان العلم اعتقاد الشيء على ما هو والتبين التبريد واصله من البين وهو التوافق ككل من بين شيئاً فقد ميزه عما يلبس به حتى يعرفه غيره قال سيويه ابان الشيء وابنته وبين وبينته واستبان واستبينت والمعنى واحد والفارض الكبيرة المسنة يقال فرضت البقرة تفرض فروضاً اذا است قال الشاعر

كَمَرِي قَدْ أَعْطَيْتَ جَارَكَ فَارِضاً نَسَاقُ إِلَيْهِ مَا تَقُومُ عَلَى رِجْلِ

وقيل ان الفارض التي ولدت بطوناً كثيرة فيتسع لذلك جوفها لأن معنى الفارض في اللغة الواسع الضخم وهو قول بعض المتأخرين واستشهد بقول الراجز

يَأْرُبُ ذِي ضَعْفٍ عَلِيَّ فَارِضٍ لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ

ويقال حيتة فارضة اي عظيمة والبكر الصغيرة التي لم تحمل والبكر من بني آدم ومن البهائم ما لم يتحمله النحل والبكر من كل شيء اوله والبكر التي ولدت واحداً وبكرها اول اولادها قال

يَا بَكَرَ بَكَرْتَنِي وَيَا خَلْبَ الْكَيْدِ أَصَبَحْتَ مِنِّي كَذِرَاعٍ مِنْ عَصُدِ

وضربة بكر اي قاطمة لا تشي وحدث ابن عائشة عن ابيه عن جده قال كانت ضربات علي بن ابي طالب

(١) كذا في بعض النسخ وفي بعضها عياش ولعلها ابن عياش فتراجع (٢) كذا ولم يتبين معناها

عليه السلام ابيكاراً كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط ذكره ابن فارس في مجمل اللغة والبكر بفتح الباء الفتي من الابل والعوان دون السنة وفوق الصغيرة وهي النصف التي ولدت بطنا او بطنين قال القراء يقال من العوان عونت المرأة تعويثا اذا بلغت ثلاثين سنة ومنه قيل للحرب عوان اذا لم يكن اول حرب بين القوم وكانوا قد قاتلوا قبله وبين اسم يستعمل على ضربين مصدر وظرف قال ابو علي وهما عندي وجميع بابهما يرجعان الى اصل واحد وهو الافتراق والانكشاف وسيأتي بيانها في الاعراب ان شاء الله واللون عرض يتعاقب على الجوهر تعاقب المتضاد وهو عبارة عما اذا وجد حصلت به الجواهر على هيئة مخصوصة لولاه لما حصلت على تلك الهيئة ولا يدخل تحت مقدور العباد وواقع لونها اي شديدة الصفرة يقال اصفر فاقع وامر ناصع واخضر ناضر وامر قاني وابيض ريق ولحق ولماق واسود حاله وحلوك وحلكوك وغريب ودجوبي فهذه كلها صفات مبالغة في الالوان وقيل انه اراد بصفراءها هنا سوداء شديدة السواد كما يقال صفراء اي سوداء وقال الشاعر

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي
مِنْ صَفْرٍ أَوْلَادُهَا كَالْزَيْبِ

والاول اصح فان الابل ان وصفت به فلا يوصف بالقرية وايضا فان السواد لا يوصف بالفتوح والمنا يوصف بالحلوك وغيرها على ما ذكرناه والبقر جمع بقرة وكذلك البقر جمع كالجامل جمع جمل قال الاشعري

وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ عَافَتِ الْمَاءَ بِأَقْرُ
وَمَا إِنْ يَعَافُ الْمَاءَ إِلَّا لِضَرْبٍ

وقال آخر (لهم جامل لا يهدأ الليل سامره) اي جامل ونحو هذا عندهم اسم مفرد ومصوغ للكثرة كلعن الجنس ومثله العبيد والكليب والضنين في جمع عبد وكاب وضأن وقوله لا ذلول يقال للدابة قد ذلها الركوب والعمل دابة ذلول بين الذل بكسر الذال ويقال في مثله من بني آدم رجل ذليل بين الذل بضم الذال والذلة تكسرهما والمذلة والاثارة اظهار الشيء بالكشف واثار الارض اي كريبها وقلبها والحراث كل ارض ذلته للزرع قال الخليل الحراث قذف البذر في الارض للازداع والزرع الانبات والاثارة قال عز اسمه افرايم ما تحرون انتم ترعونه ام نحن الزارعون مسلمة مبرأة من العيوب مفعلة من السلامة الشية اللون في الشيء يخالف عامة لونه والوشي خلط اللون باللون ولا شية فيه اي لا واضح فيها يخاف لون جلدها يقال وشيت الثوب اشيه شية ووشيا ومنه قيل ان يسعى بالرجل الى السلطان واش لكذبه عليه عنده وتحسينه كذبه بالباطيل ويقال منه وشيت به وشاية قال كعب بن زهير

كَسَمَى الْوِشَاءُ بِجَبَّتِيهَا وَقَوْلُهُمْ
إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سَلْمَى لَمُتُولُ

يعني انهم يتقولون بالباطيل ويقولون انه ان لحق بالنبي صلى الله عليه وآله قتله والذبح فري الاوداج وذلك في البقر والغنم والنحر في الابل ولا يجوز فيها عندنا غير ذلك وفيه خلاف بين الفقهاء وقيل للصادق عليه السلام ان اهل مكة يذبحون البقرة في اللبة فما ترى في اكل لحومها فسكت هنيئة ثم قال قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون لا تأكل الا ما ذبح من منبج

﴿ الاعراب ﴾

حذفت الفاء من قوله قالوا انتخذنا هزوا لاستئنا ما قبله من الصلح عنه وحسن الوقف على قوله ان تذبجوا بقرة كما حسن اسقاطها من قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا ولم يقل فقالوا اولوقيل بالفاء لكان حسنا ولوقلت قمت ففعلت لم يميز اسقاط الفاء لأنها عطف لاستفهام يحسن السكوت عليه وقوله هزوا لا يخلو من احد امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون المضاف محذوفا لأن الهزء حدث والمفعول الثاني من يتخذ يكون الاول نحو قوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء (والثاني) ان يكون الهزوء بمعنى المزوء به مثل الصيد في قوله تعالى احل لكم صيد البحر ونحوه وكما يقال رجل رضى اي مرضى اقام المصدر مقام المفعول واما قوله تعالى لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولما فلا يحتاج فيه الى تقدير محذوف لأن الدين ليس بعين وقوله اعوذ بالله اصله اعوذ

فقلت الضمة من الواو الى الساكن قبلها من غير استئصال لذلك غير انه لما اعلت عين الماضي لتحركها وانفتاح ما قبلها اعلت عين المضارع ايضا ليجري الباب على سنن واحد وكذلك القول في اعاذ ويعيد ولستعاذ ويستعيد والأصل اعوذ يعوذ واستعوذ يستعوذ وقوله لا فارض ولا بكر قال الاخفش ارتقع ولم ينتصب كما ينتصب المثني لأنه صفة لبقرة ذميمة له عوان مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف كأنه قال هي عوان وقال الزجاج ارتقع فارض باضار هي اي هي لا فارض ولا بكر قال وانما جاز بين ذلك وبين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لأن ذلك ينوب عن الجمل تقول ظننت زيدا قائما فيقول القائل قد ظننت ذلك وظننت ذلك قال ابو علي لا يخلو ذلك فيما ذكره من قولهم ظننت ذلك من ان يكون اشارة الى المصدر كما ذهب اليه سيويه او يكون اشارة الى احد مفعولي ظننت وان تكون نائبة عن الجملة كما قاله ابو اسحاق ولا يجوز ان يكون اشارة الى احد المفعولين لأنه لو كان كذلك لزم ان يذكر الآخر كما لو انك ذكرت اسم المشار اليه لزم فيه ذلك وكما انك اذا ذكرت المبتدا لزمك ذكر الخبر او يعلم من الحال ما يقوم مقام ذكرك له ولا يجوز ان تكون نائبة عن الجملة هنا ولا اشارة اليها كما لم ينسب عن الجملة في غير هذا الموضع من المواضع التي تقع فيها الجملة نحو صفة الذي ووصف التكرات فثبت أن ذلك في قولهم ظننت ذلك اشارة الى المصدر الذي هو الظن ولا يجوز ان يقع اسم مفرد موقع جملة ولو كان سائغا ان ينوب ذلك عن الجمل لما جاز وقوعه هنا لأن هذا الموضع ليس من مواضع الجمل الا ترى ان ذلك اشارة الى ما تقدم مما دل عليه قوله لا فارض ولا بكر وهو البكارة والفروض فإنما يدل قوله ذلك عليها فلو كان واقعا موقع جملة ما دل عليها لأن الجملة يسند فيها الحدث الى المحدث عنه وليس واحد من الفروض والبكارة يسند الى الآخر الا ترى ان المعنى بين هذين الوصفين وهذا واضح واعلم ان الاسم الذي يضاف اليه بين لا يخلو من ان يكون دالا على واحد او على اكثر من الواحد فاذا كان دالا على الواحد غير دال على اكثر منه عطفت عليه اسم آخر لما ذكرنا من ان اصله الافتراق فكما يمتنع ان يقول فراق واجتماع زيد حتى تضيف اليه ما يزيد به على الافراد لذلك لا تقول بين زيد حتى تضيف اليه آخر بالواو دون غيرها من الحروف العاطفة واذا كان الاسم دالا على الكثرة وان كان مفردا جاز ان يضاف بين اليه واما قوله عوان بين ذلك فإنما اضيف فيه بين الى ذلك من حيث جاز اضافته الى التوم وما اشبه ذلك من الاسماء التي تدل على الكثرة وانما جاز ان يكون قولنا ذلك يراد به مرة الانفراد مرة الجمع والصفة المشابهة الموصولة كالذي وما الا ترى ان البابين يشبهان في دلالة كل واحد منهما على غير شيء بعينه جاز أن يراد به الواحد مرة واكثر من الواحد مرة ويدل على ما ذكرناه من قصدهم بذلك الجمع وما زاد على الواحد ان روية لما قال له ابو عبيدة في قوله

فِيهِ خَطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ قَوَائِعُ الْبَهَقِ

ان اردت الخطوط وجب ان تقول كأنها وان اردت السواد والبلق وجب ان تقول كأنها قال اردت كان ذلك فعلم به انهم يقصدون بذلك غير المفرد ويدل عليه ايضا قول القائل

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَاللَّشْرِ مَدَى وَكِلَا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبْلٌ

الا ترى ان كلا لا تضاف الى المفرد فلو لا ان المراد بذلك غير الافراد لما اضيف كلا اليه فكذلك القول في عوان بين ذلك والمراد بذلك الزيادة على الواحد الا ترى انه اشارة الى ما تقدم من قوله مما دل على الفروض والبكارة ومعوض ما من قوله ما هي وما لونها رفع لأنه خبر المبتدا لأن تأويله الاستفهام اي اي شيء هي واي لون لونها قال انه يقول انها ما بعد القول من باب ان مكسورة ابتدا كأنك لم تذكر القول في صدر كلامك وانما وقعت قلت في كلام العرب على ان يحكى بها ما كان كلاما يقوم بنفسه قبل دخولها فيه. دي مع ذكرها ذلك اللفظ تقول قلت زيدا منطلق كأنك حكيت زيدا منطلق وكذلك ان زيدا منطلق اذا حكيتته تقول قلت ان زيدا منطلق

وقوم من العرب وهم بنو سليم يجعلون باب قلت كباب ظننت ويقولون قلت زيدا بمنطلقاً وقوله فاقع لونها ارتفع لونها بأنه فاعل فاقع وهو صفة البقرة مثل صفراء. وكذلك تسر الناظرين جملة مرفوعة الموضع بكونها صفة لبقرة ويقال فقع لونه يقع فقوعاً ويقع يقع اذا خلصت صفوته وقوله ان البقر تشابه علينا كل جمع يكون واحده بالها. نحو البقر والنخل والسحاب فانه يومئذ ويذكر قال الله تعالى كأنهم اعجاز نخل خاوية وفي موضع آخر نخل منقعر والتذكير التالاب وقوله تشير الارض في موضع رفع بكونه صفة لذلول وهو داخل في معنى التني اي بقرة ليست بذلول مبيرة للارض ولا ساقية للحرث ومسلمة صفة لبقرة ايضا ولا شية فيها جملة في موضع رفع ايضا بأنها صفة لبقرة وشية مصدر من وشيت واصلمها وشي فلما استقلت الواو منها عوضت الهاء في آخرها قالوا وشيته شية كما قالوا وزنته زنة ووصلته صلة فوزنها علة قالوا الآن فيه وجوه اجودها اسكان اللام من الآن وحذف الواو من اللفظ ويجوز قال لان على الناء المهزلة وفتح اللام من الآن وترك الواو محذوفة لالتقاء الساكنين ولا يعتد بفتح اللام ويجوز قالوا لان باظهار الواو لحركة اللام لأنهم انما حذفوا الواو لسكونها فلما تحركت رذوها والاجود في العربية حذفها ولا ينبغي ان يقرأ الا با وردت به رواية صحيحة فان القراءة سنة متبعة قال ابو علي انما بني الآن لتضمنه معنى الحرف وهو تضمن معنى التعريف لان التعريف حكمه ان يكون بحرف وليس تعرفه بما فيه من الالف واللام لأنه لو كان كذلك للزم ان يكون قبل دخول اللام عليه نكرة كرجل والرجل وكذلك الذي فإن فيه الالف واللام وليس تعرف الاسم بها انما تعرفه بغيرهما وهو كونه موصولا مخصوصاً ولو كان تعرفه باللام لوجب ان يكون سائر الموصولات المرفقة بالصلوات نحو من وما غير متعرفة ويقوي زيادة اللام مارواه البرد عن المازني قال سألت الاصمعي عن قول الشاعر

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُوًا وَعَسَا قَلًا وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الْأَوْبَرِ

لم ادخل اللام قال ادخله زيادة للضرورة كقول الآخر (باعدأم العبرون اسيرها) وانشد ابن الاعرابي

يَا لَيْتَ أُمَّ الْعَمْرِوِ كَانَتْ صَاحِبِي مَكَانَ مَنْ أَنْشَأَ عَلَى الرَّكَائِبِ

فكما ان اللام في الذي وفي هذه الحكاية زائدة كذلك في الآن زائدة وقوله وما كادوا يفعلون كاد يدل على مقاربة مباشرة ويفعلون في موضع نصب بأنه خبر كاد والتصحيح لا يدخل عليه ان لأن ان حرف يركب مع الفعل فيقوم مقام المصدر وانما يستدل الى ان افعال غير ثابتة ولا مستقرة مثل الطمع والرجا نحو عسى ان تفعل ودليل ذلك ان ان لا تدخل على فعل الحال بل على ما يتوقع في المستقبل فلهذا كانت ان لازمة بعسى ولا يلزم كاد لأن كاد قريب من الحال وقد استعمل كاد مع ان في الشعر انشد الاصمعي

كَادَتِ النَّفْسُ أَنْ تَقْبِضَ عَلَيْهِ إِذْ قَمَى حَشْوَ رَيْطَةٍ وَبُرُودِ

﴿ القصة ﴾

كان السبب في امر الله تعالى بذبح البقرة فيا رواه العياشي مرفوعا الى الرضا (ع) ان رجلا من بني اسرائيل قتل قرابة له ثم اخذه وطرحه على طريق افضل سبط من اسباط بني اسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى سبط آل فلان قتل فاخبرنا من قتله قال انتوني ببقرة قالوا اتخذنا هزوا الآية ولو انهم عمدوا الى بقرة اجزتهم ولكن شددوا فشد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك بين لنا ماهي قال انه يقول انها بقرة لا فراض ولا بصر عوان بين ذلك اي لاصغيرة ولا كبيرة الى قوله قالوا الآن جئت بالحق فطلبوها فوجدوها عندفتي من بني اسرائيل فقال لا ايها الا بل مسكها ذهابا وا الى موسى فقالوا له قال فاشتروها قال وقال لرسول الله (ص) بعض اصحابه ان هذه البقرة ما شأنها فقال إن فتى من بني اسرائيل كان بارا بابيه وانه اشترى سلعة لثاء الى ابيه فوجده نائما والاقليد تحت رأسه فكره ان يوقظه فترك ذلك واستيقظ ابوه فاخبره فقال له احسنت خذ هذه البقرة فهي

لك عرض لما فاتك قال قتال رسول الله (ص) انظروا الى البر ما بلغ بأهله وقال ابن عباس كان القتل شيئا مغلما قتل بنو اخيه والقوه على باب بعض الاسباط ثم ادعوا عليهم القتل فاحسبوا الى موسى (ع) فسأل من عنده في ذلك علم فقالوا انت نبي الله وانت اعلم منا فادعى الله تعالى اليه أن يأمرهم بذبح بقرة فأمرهم موسى (ع) ان يذبحوا بقرة ويضرب القتل ببعضها فيجبي الله القتل فيبين من قتله وقيل قتله ابن عمه استبطا لموته فقتله ليوتيه وقيل انما قتله ليتزوج بنته وقد خطبها فلم ينعم له وخطبها غيره من خيار بني اسرائيل فأنعم له فحسده ابن عمه الذي لم ينعم له فقتله ثم حمله الى موسى فقال يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل قتال موسى من قتله قال لا ادري وكان القتل في بني اسرائيل عظيما فعظم ذلك على موسى (ع) وهذا هو الروي عن الصادق (ع)

﴿ المعنى ﴾

هذه الآيات معطوفة على ما تقدمها من الآيات الواردة في البيان لثعم الله تعالى على بني اسرائيل ومقابلتهم لها بالكفران والعصيان فقال واذكروا ايضا من نكثكم ميثاقي الذي اخذته عليكم بالطاعة اذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتخذنا هزوا قال قوم موسى له اتسخر بنا حيث سألتك عن القتل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد ما بين الامرين في الظاهر مع جهلهم بوجه الحكمة في امرهم به لأن موسى عليه السلام امرهم بالذبح ولم يبين لهم ان الذبح لأي معنى فقالوا اي اتصال لذبح البقرة بما ترافنا فيه اليك فهذا استهزاء بنا قال امرؤ بالله أن أكون من الجاهلين اي معاذ الله أن أكون من المستهزئين وانما قال من الجاهلين ليدل على ان الاستهزاء لا يصدر الا عن جاهل فإن من استهزأ بغيره لا يظن انما ان يستهزى به بل يقتله او يفعله من افعله فاما الخلق فلا معنى للاستهزاء به او ما التعل فاذا كان قبيحا فالواجب ان يذبه فاعله على قبحه ليتبرأ منه فاما ان يستهزى به فلا بالاستهزاء على هذا يكون كبيرة لا يقع الا عن جاهل به او محتاج اليه فاذا قيل لم امروا بذبح البقرة دون غيرها فقد قيل فيه لأنها من جنس ما عبده من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه فيقول ما كان في نفوسهم من عبادته وانما احيا الله القتل بقتل حي ليكون اظهر لقدرة في اختراع الاشياء من اضدادها فلما علموا ان ذبح البقرة فرض من الله تعالى سألوها عنها فبدأوا بسنها فقالوا ادع لنا ربك اي سل من اجلنا ربك يبين لنا ما هي ولم يظهر في السور ال ان السورول عنه سن البقرة وانما ظهر ذلك في الجواب قال موسى عليه السلام انه يقول اي ان الله عز اسمه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر اي ليست بكبيرة هرمة ولا صغيرة عوان بين ذلك اي هي وسط بين الصغيرة والكبيرة وهي اقوى ما يكون واحسن من البقر والدواب عن ابن عباس وقيل وسط ولدت بطن او بطنين عن مجاهد فافعلوا ما توامرون اي اذبحوا ما امرتم بذبحه فلما بين سبحانه سن البقرة سألوها عن لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها اي سل ربك يبين لنا ما لون البقرة التي امرنا بذبحها قال موسى انه سبحانه وتعالى يقول انها بقرة صفراء حتى قرنها وظلفها اصفران عن الحسن وسعيد بن جبير فاقع لونها اي شديد صفرة لونها وقيل خالص الصفرة وقيل حسن الصفرة وقوله تسر الناظرين اي تعجب الناظرين وتفرحهم بحسنا عن قتادة وغيره وروي عن الصادق (ع) انه قال من لبس نعلا صفراء لم يزل مسرورا حتى يبليها كما قال الله تعالى صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ولا بين سبحانه سن البقرة ولونها سالوا عن صفتها فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي امن العوامل ام من السواثم ان البقر تشابه علينا اي اشبه علينا صفة البقرة التي امرنا الله بذبحها وانما ان شاء الله لهبتون الى صفة البقر بتعريف الله ايماننا وما يشاؤه لثامن اللطف والزيادة في البيان وروي ابن جريج وقاتدة عن ابن عباس عن النبي (ص) أنهم امروا بأدنى بقرة ولكنهم لما شددوا على انفسهم شدد الله عليهم وائم الله لولم يستثنوا ما بينت لهم الى آخر الأبد قال يعني موسى (ع) أنه يعني الله تعالى يقول انها بقرة اي البقرة التي امرتم بذبحها لا ذلول تشبه الارض اي لم يذلها العمل

بإثارة الأرض بأخلافها «ولا تسقى الحرث» اي لا يستقى عليها الماء فتسقى الزرع «مسلمة» اي بريئة من العيوب عن قتادة وعطاء وقيل مسلمة من الشية ليس لها لون يخالف لونها عن مجاهد وقيل سليمة من آثار العمل لأن ما كان من العوامل لا يخلو من آثار العمل في قوائمه وبدنه وقال الحسن انها كانت وحشية «لا شية فيها» قال اهل اللغة لا وضع فيها يخالف لون جلدها وقيل لا لون فيها سوى لونها عن قتادة ومجاهد «قالوا الآن جئت بالحق» اي ظهر لنا الحق الآن وهي بقرة فلان وهذا يدل على انهم جوزوا انه قبل ذلك لم يحيى بالحق على التفصيل وانما اتى به على وجه الجملة وقال قتادة الآن بيت الحق وهذا يدل على انه كان فيهم من يشك في ان موسى (ع) ما بين الحق «فذبوها» يعني ذبحوا البقرة على ما امروا به «وما كادوا يفعلون» اي قرب ان لا يفعلوا ذلك مخافة اشتها رفضيعة القاتل وقيل كادوا لا يفعلون ذلك لئلا يثبوا حكي عن ابن عباس انهم اشقروها بل جلدها ذهاباً من مال القاتل وعن السدي يوزنها عشر مرات ذهاباً قال مكرمة وما كان ثمنها الا ثلاثة دنانير ونذكرها هنا فصلاً موجزاً ينجدب الى الكلام في اصول الفقه اختلف العلماء في هذه الآيات فمنهم من ذهب الى ان التكليف فيها متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاة او من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كان المصلحة ان يشدد عليهم التكليف ولما راجعوا المرة الثانية تغيرت مصلحتهم الى تكليف ثالث ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال في التكليف الاخير انه يجب ان يكون مستوفياً لكل صفة تقدمت فعلى هذا القول يكون التكليف الثاني والثالث ضم تكليف الى تكليف زيادة في التشديد عليهم لا فيه من المصلحة ومنهم من قال انه يجب ان يكون بالصفة الاخرة فقط دون ما تقدم وعلى هذا القول يكون التكليف الثاني نسخاً للاول والتكليف الثالث نسخاً للثاني وقد جوز نسخ الشيء قبل الفعل لأن المصلحة تجوز ان يتغير بعد فوات وقته وانما لا يجوز نسخ الشيء قبل وقت الفعل لأن ذلك يودي الى البداء وذهب آخرون الى ان التكليف واحد وان الاوصاف المتأخرة هي البقرة المتقدمة وانما تأخر البيان وهو مذهب المرتضى قدس الله روحه واستدل بهذه الآية على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة قال انه تعالى لا كلمهم ذبح بقرة قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فلا يخلو قولهم ما هي من ان يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها او عن التي امروا بها ثنيا والظاهر من قولهم ما هي يقتضي ان يكون السؤال عن صفة البقرة الأمور بذبحها لأنه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى فيستهموا عنها واذا صح ذلك فليس يخلو قوله انها بقرة لا يفرض ولا بكر من ان يكون الماء فيه كناية عن البقرة الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون كناية عن بقرة هنية لأن الظاهر يقتضي ان تكون الكناية متعلقة بما تضمنه السؤال ولأنه لو لم يكن الامر على ذلك لم يكن جواباً لهم وقول القائل في جواب من سأل ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في ان الماء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا فانهم لم يقولوا ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين ولو كان الامر على ما ذهب اليه القوم فلم لم يقل لهم واي تشابه عليكم وانما امرتم في الابتداء بذبح بقرة اي بقرة كانت وفي الثاني بما يختص بالسن المخصوص وفي الثالث بما يختص باللون المخصوص من اي البقر كان قال واما قوله «فذبوها وما كادوا يفعلون» فالظاهر ان ذمهم مصروف الى تقصيرهم او تأخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام وهو غير مقتض ذمهم على ترك المبادرة في الاول الى ذبح بقرة فلا دلالة في الآية على ذلك

قوله تعالى (٧٢) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فادارأتم فيها وألله مخرج ما كنتم تكتمون

(٧٣) فقلنا أضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون (آياتان)

﴿ اللغة ﴾

ادارأتم اختلفتم واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال بعد ان سكنت ثم جعلوا قبلها همزة الوصل ليتمكن
التلفظ بالسكن واصل الدرء الدفع ومنه الحديث ادراوا الحدود بالشبهات ومنه قوله ويدراً عنها العذاب وقال روية
أدركتهما قدأتم كل مدزّه
بالدفع عن درأ كل عجبه
وقيل الدرأ العرج ومنه قول الشاعر
فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرُءُ الْأَعَادِي وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ

﴿ المعنى ﴾

ثم بين الله سبحانه المقصود من الامر بالذبح فبدأ بذكر القتل وقال «واذا قتلتم نفساً» ذكر فيه وجهان
(احدهما) انه متقدم في المعنى على الآيات المتقدمة في اللفظ فلي هذا يكون تأويله واذا قتلتم نفساً «فادارأتم
فيها» فإنتهم موسى فقال لكم ان الله يأمركم ان تذبجوا بقرة فقدم المؤخر وأخر المقدم ونحو ذا كثير في القرآن
والشعر قال سبحانه الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً يقاديره أنزل على عبده الكتاب قياً
ولم يجعل له عوجاً وقال الشاعر

إِنْ أَلْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ مُلْمُومَةٌ طَالَتْ فَلَيْسَ يَنَالُهَا الْأَوْعَالَا

اي طالت الاوعال (والوجه الآخر) أن الآية قد تعلقت بما هو متأخر في الحقيقة وهو قوله قتلنا اضربوه بعضها
الآية فكانه قال فذبجوها وما كادوا يفعلون ولأنكم قتلتم نفساً فادارأتم فيها امرناكم أن تضربوه بعضها ليكشف
امره والمراد ذكرها اذ قتلتم نفساً وهذا خطاب لمن كان على عهد النبي (ص) والمراد به اسلافهم على عادة العرب
في خطاب الابناء والاحفاد بخطاب الاسلاف والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدها فقالت ففعلت بنو تميم كذا
وان كان الناعل واحداً ويحتمل أن يكون خطاباً لمن كان في زمن موسى (ع) وتقديره وقتلناهم واذا قتلتم نفساً وقيل
ان اسم المقتول عاميل فادارأتم فيها الها من فيها يعود الى النفس اي كل واحد دفع قتل النفس عن نفسه وقيل
انها تعود الى التتة اي اختلفتم في التتة لأن قوله قتلتم يدل على الصدر وعودها الى النفس اولى واشبه بالظاهر
«والله مخرج ما كنتم تكتمون» اي مظهر ما كنتم تسرون من القتل وقيل معناه أنه مخرج من غامض اخباركم
وهو مطلع من معايبكم ومعايب اسلافكم على ما تكتمونه أنتم وهو خطاب لليهود في زمن النبي (ص) «قتلنا اضربوه
بعضها» أي قتلناهم اضربوا القليل ببعض البقرة واختلفوا في البعض من البقرة للضروب به القليل قليل ضرب ببغض
البقرة فقام حيا وقال قتلي فلان ثم عاد ميتا عن مجاهد وقتادة وعكرمة وقيل ضرب بذنبها عن سعيد بن جبير
وقيل بلسانها عن الضحاك وقيل ضرب بعظم من عظامها عن ابي العالية وقيل بالبضمة التي بين الكتفين عن السدي
وقيل ضرب ببعض اربابها عن ابي زيد وهذه الاقوال كلها محتملة الظاهر والمعلوم ان الله سبحانه وتعالى امر أن
يضرب القليل ببعض البقرة ليحيا القليل اذا فعلوا ذلك فيقول فلان قتلي ليزول الخلف والتداور وبين القوم والصانع
عز اسمه وان كان قادرا على احيائه من دون ذلك فانما امرهم بذلك لأنهم سألوا موسى ان يبين لهم حال القليل
وهم كانوا يعدون القربان من اعظم القربات وكانوا جعلوا له بيتا على حدة لا يدخله إلا خيارهم فامرهم الله بتقديم
هذه القربة تعليماً منه لكل من اعتاص عليه امر من الامور ان يقدم نوعاً من القرب قبل أن يسأل الله تعالى كشف
ذلك عنه ليكون اقرب الى الإجابة وانما امرهم بضرب القليل ببعضها بعد أن جعل اختيار وقت الاحياء اليهم
ليعلموا ان الله سبحانه وتعالى قادر على احياء الاموات في كل وقت من الاوقات والتقدير في الآية قتلنا اضربوه
بعضها فضره غفي كما قال سبحانه اضرب بعصاك البحر فانفلق تقديره فضره فانفلق وقوله «كذلك يحيي

الله الموتى» يحتل أن يكون حكاية عن قول موسى (ع) لقومه اي اعلوا بما عايتموه ان الله تعالى قادر على احياء الموتى للجزاء ويحتل أن يكون خطابا من الله تعالى لمشري قريش والاشارة وقعت الى قيام القتول عند ضربه ببعض اعضاء البقرة لأنه روي انه قام حيا واوداجه تشب دما فقال قتلني فلان ابن عمي ثم قبض «وورثكم آياته» يعني المعجزات الباهرة الخارقة للعادة من احياء ذلك الميت وغيره وقيل اراد الاعلام الظاهرة الدالة على صدق محمد (ص) «لعلكم تعقلون» اي لكي تستعملوا عقولكم فإن من لم يستعمل عقله ولم يصبر رشده فهو كمن لا عقل له وقيل لكي تعقلوا ما يجب عليكم من امور دينكم واحتج الله تعالى بهذه الآيات على مشركي العرب فيا استبعدوه من البعث وقيام الاموات بقولهم اذا كنا عظاما ورفانا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فأخبرهم سبحانه بأن الذي انكروه واستبعدوه لا يتعذر في اتساع قدرته ونهيمهم على ذلك بذكر القتول وحياته بعد خروجه من الحياة ولبطنوا خبر قتله وكيفيته وقيامه بعد القتل حيا مخاطبا باسم قتلته مؤذنا لهم ان احياء جميع الاموات بعد أن صاروا عظاما باليات لا يصب عليه ولا يتعذر بل يهون عنده ويتيسر وفيها دلالة على صدق نبوة تبييننا محمد (ص) حيث اخبرهم بغوامض اخبارهم التي لا يجوز ان يعلمها الا من قرأ كتب الأولين او اوحى اليه من عند رب العالمين وقد صدقه مخالفوه من اليهود فيا اخبر به من هذه الاقاصيص وقد علموا انه لم يقرأ كتابا ولم يرتبوا في ذلك وهذه آية صادقة وحجة ساطعة في تثبيت نبوته (ص)

قوله تعالى (٧٤) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَخَرَّجُ مِنْهُ الْآثَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (آية)

﴿القرأة﴾

قرأ ابن كثير وحده هاهنا عما يعملون بالياء، والباقرن بالياء، واختلفوا في قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون وما مبارك بغافل عما تعملون قرأهما ابو جعفر وحده بالياء في كل القرآن الا في الأنعام وقرأ ابن عامر بالياء في كل القرآن وقرأ حمزة والكسائي الاول بالياء والثاني بالياء في كل القرآن واختلف عن ابن كثير ونافع وعاصم والي عمرو

﴿الحجة﴾

قال ابو علي القول في ذلك ان ما كان قبله خطاب جعل بالياء ليكون الخطاب معطوفا على خطاب كقوله ثم قست قلوبكم ثم قال عما تعملون بالياء ولو كان بالياء على لفظ النية اي وما الله بغافل عما يعمل هو لا ايها المسلمون لكان حسنا وان كان الذي قبله غيبة حسن ان يجعل على لفظ النية ويجوز فيه الخطاب ايضا ووجه ذلك ان يجمع بين النية والخطاب فيغلب الخطاب على النية كتغليب المذكر على المؤنث الا ترى أنهم قدموا الخطاب على النية في باب الضمير وهو موضع ترد فيه الاشياء الى اصولها نحو قوتك في نحو قوله (فلا تك ما أسأل ولا انما) فلما قدموا المخاطب على النائب فقالوا اعطاكه ولم يقولوا اعطاهوك علم انه اقدم في الرتبة فإذا كان الامر على هذا فالخطاب في هذا التحريمي به التيب والمخاطبون فيغلب الخطاب على التيب ويجوز فيه وجه آخر وهو ان يراد به وقل لهم ايها النبي ما الله بغافل عما تعملون والله اعلم

﴿اللغة﴾

التسرة ذهاب الدين والرحمة من القلب يقال قسا قلبه يقسو قسوا وقسوة وقساوة والقسوة الصلابة في كل شي ونقيضه الرقة والشدة القوة في الجسم والشدة صعوبة الأمر والشدة القمد والتعثر المجرى الواسع من مجاري الماء والجدول والسري دون ذلك يقال نهر ونهر والتفتح افصح قال سبحانه في جنات ونهر وجمعه نُهْرٌ ونهار والنهر

التفعل من جبر الماء وذلك اذا ازل خارجا من منبعه وكل سائل شخص خارجا من موضعه ومكانه فقد انفجر ما كان او دما او غير ذلك قال عمرو بن لعا.

وَمَا أَنْ قَرَنْتَ إِلَى جَرِيرٍ أَبِي ذُو بَطْنِهِ إِلَّا أَنْجَارًا

اي خروجاً وسيلاناً واصل يشق يشق ادغمت التاء في الشين وهو ان ينقطع من غير ان يبين والنفقة السهو عن الشيء وهو ذهاب المعنى عن النفس بعد حضوره ويقال تغافتت على عمد اي عملت عمل الساهي

﴿ المعنى والاعراب ﴾

لما قدم سبحانه ذكر المعجزات القاهرة والاعلام الظاهرة بين ما فعلوا بعدها من العصيان والطغيان فقال عز اسمه «ثم قست قلوبكم» اي غلظت ويست وعتت وقست «من بعد ذلك» اي من بعد آيات الله كلها التي اظهرها على يد موسى عليه السلام وقيل انه اراد بني اخي القتل حين انكروا قتله بعد ان سمعوه منه عند احياء الله تعالى اياه انه قتله فلان عن ابن عباس فيكون ذلك اشارة الى الاحياء اي من بعد احياء الميت لكم ببعض من اعضاء البقرة بعد ان تدارأتم فيه فاخبركم بقاتله والسبب الذي من اجله قتله وكان يجب من شاهد هذه الآية العجيبة والمعجزة الحارقة للعادة ان يخضع ويلين قلبه ويحتمل ان يكون ذلك اشارة ايضا الى الآيات الاخر التي تقدمت كسخ القردة والحنازير ورفع الجبل فوقهم وانجاس الماء من الحبر وانفراق البحر وغير ذلك وانما جاز ان يقول ذلك وان كانوا جماعة ولم يقل ذلكم لأن الجماعة في معنى الجمع والفريق فلفظ الخطاب مفرد في معنى الجمع ولو قال ذلكم لجاز وقوله «فهي كالحجارة» شبه قلوبهم بالحجارة في الصلابة واليبس والغلظ والشدّة وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله تعصي القلب وان ابعد الناس من الله التماسي القلب «او اشد قسوة» اي او هي اشد قسوة ويجوز ان يكون عطفاً على موضع الكاف وكأنه قال فهي مثل الحجارة او اشد قسوة اي اشد صلابة لامتناعهم عن الاقرار باللازم بقيام حجة والعمل بالواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات وقيل في تأويل اوها هنا وجوه ﴿ احدها ﴾ ما ذكره الزجاج ان معناها الاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين فان جالست احدهما او جمعت بينهما فانت مصيب فيكون معنى الآية على هذا ان قلوبهم قاسية فإن شبهت قسوتها بالحجر اصبحت وان شبهتها بما هو اشد اصبحت وان شبهتها بما جميعا اصبحت كما مر نحو هذا في قوله سبحانه او كصيب من السماء (ثالثها) ان يكون او دخلت للتفصيل والتبسيط فيكون معنى الآية ان قلوبهم قاسية فبعضها كالحجارة وبعضها اشد قسوة من الحجارة وقد يمتثل قوله تعالى او كصيب من السماء هذا الوجه ايضا و (ثالثها) ان يكون او دخلت على سبيل الابهام فيا يرجع الى المخاطب وان كان تعالى عالما بذلك غير شاك فيه فاخبر ان قسوة قلوب هو لا كالحجارة او اشد قسوة والمعنى انها كأحد هذين لا يخرج عنها كما يقال اكلت برة او تمرة وهو يعلم ما أكّله على التفصيل الا انه ابهم على المخاطب وكما قال لبيد

تَعْنَى أَبْتَايَ أَنْ يَمِيشَ أَبُو هَمَّا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ زَبِيْعَةٍ أَوْ مُضْرٍ

لراد وهل انا الا من احد هذين الجنسين فسبيلي ان افنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان غرضه الذي نجاه هو ان يخبر بكونه بمن يموت ويفنى ولم يحل بقصده الذي اجري اليه اجمال ما اجمل من كلامه فكذلك هنا الغرض الاخبار عن شدة قسوة قلوبهم وانها بما لا يصنى الى وعظ ولا يعرج على خير فسواء كانت كالحجارة او اشد منها في انه لا يحتاج الى ذكر تفصيله (رابعها) ان يكون او بمعنى بل كما قال الله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ومعناه بل يزيدون وروي عن ابن عباس انه قال كانوا مائة الف وبعضا واربعين الف وأنشد الفراء

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْثِ الضَّحَى وَصُورُهَا أَوْ أَنْتَ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ

كما تكون ام المتقطعة في الاستفهام بمعنى بل يقول القائل اضربت عبد الله ام انت متعنت اي بدل انت وقال الشاعر
قَوْلَ اللَّهِ مَا أَذْرِي أَسْلَمِي تَقَوَّلْتُ أَمْ النَّوْمُ أَمْ كُلُّ إِلَهٍ حَبِيبٌ

بمعناه بل كل وقد طمن على هذا الجواب فقيل كيف يجوز ان يخاطبنا الله عز اسمه بلقطة بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والأضراب منه وهذا غير سديد لأن الاستدراك ان اريد به الاستفادة او التذكير لا لم يكن معلوماً فلا يصح وان اريد به الأخذ في الكلام الماضي واستئناف زيادة عليه فهو صحيح فالقائل اذا قال اعطيتة القائل لم ينقض الاول وكيف ينقضه والاول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقصاً لثاني لو قال لقيت رجلاً بل حماداً لأن الاول لا يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة غير ناقض للأول لأنها لا تريد على الحجارة الا بأن يساويها وانما يزيد عليها بعد السواوة (خامساً) ان يكون بمعنى الواو كقوله تعالى او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم معناه وبيوت آبائكم قال جرير

أَتَعْلَبَةُ الْفَوَارِسَ أَوْ رِيحاً عَدَلْتُ بِهِمْ طَهِيَةً وَالْخِشَابَا

اراد وريحا وقال ايضا

قَالَ الْخِلَافَةُ أَوْ كَأَنَّ لَهَا قَدَرًا كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ

وقال توبة بن الحمير

وَقَدَّرَ عَمَتٌ لَيْلِي بِأَيِّ فَاجِرٍ لِنَفْسِي تَقَاهَا أَوْ عَلَيَّهَا فُجُورُهَا

فان قيل كيف يكون او في الآية بمعنى الواو والواو للجمع والشيء اذا كان على صفة لم يجز ان يكون على خلافها اجيب عنه بانه ليس يمتنع ان تكون قلوبهم كالحجارة في حالة واشد من الحجارة في حالة اخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وفائدة هذا الجواب ان قلوبهم هو لا مع مساوتها ربما لانت بعض اللين وكادت تصنى الى الحق فتكون في هذا الحال كالحجارة التي ربما لانت وتكون في حال اخرى في نهاية البعد عن الخير فتكون اشد من الحجارة وجواب آخر هو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة الا بعد ان يكون فيها قسوة الحجارة لأن قولنا فلان اعلم من فلان اخبار بأنه زائد عليه في العلم الذي اشترك فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فلا تنافي هاهنا ثم فضل سبحانه الحجارة على القلب القاسي فقال «وان من الحجارة لا يتفجر منه الانهار» معناه ان من الحجارة ما هو اضع من قلوبكم القاسية فيتنفجر منه انهار الماء واستغنى بذكر الانهار عن ذكر الماء وقيل المراد منه الحجر الذي كان يتفجر منه اثنتا عشرة عينا وقيل هو عام «وان منها ما يشقق فيخرج منه الماء» يعني ومن الحجارة ما يخرج منه الماء فيكون عينا ثلثة لا انهارا جارية حتى يكون مخالفاً للأول وقال الحسين بن علي الغري الحجارة الاولى حجارة الجبال منها تنفجر الانهار والثانية حجر موسى عليه السلام الذي كان يضربه فيخرج منه العيون فلا يكون تكرارا وقوله «وان منها ما يهبط من خشية الله» الضمير في منها يرجع الى الحجارة اي ومن الحجارة ما يهبط من خشية الله وعليه اكثر اهل التفسير وقيل يرجع الى القلوب اي ومن القلوب ما يهبط من خشية الله اي تخشع وهي قلوب من آمن من اهل الكتاب فيكونون مستئين من القاسية قلوبهم عن ابي مسلم ومن قال ان الضمير يرجع الى الحجارة فانهم اختلفوا في تأويله على وجوه (احدها) ماروي عن مجاهد وابن جريج ان كل حجر تردى من رأس جبل فهو من خشية الله فمعناه ان الحجارة قد تصير الى الحال التي ذكرها من خشية الله وقلوب اليهود لا تخشى ولا تتخشع ولا تلتين لأنهم عارفون بصدق محمد ثم لا يؤمنون به فقلوبهم اقسى من الحجارة و (ثانيها) ما قاله الزجاج ان الله تعالى اعطى بعض الجبال المعرفة فمقل طاعة الله نحو الجبل الذي تجلى الله عز وجل له حين كلم موسى فصار دكا وكاروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال قال حجر (١) كان يسلم علي في الجاهلية واني لا عرفه

الآن وهذا الوجه ضعيف لأن الجبل اذا كان جبادا فحال ان يكون فيه معرفة الله وان كان بيته بنية الحي فانه لا يكون جبلا وما الخبر فان صح فان معناه انه سبحانه احياء فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ثم اعاده حجرا ويكون معجزا له عليه السلام و(ثالثها) انه يدعو للتفكر فيه الى خشية الله او يوجب الخشية له بدلالته على صانعه لما يرى فيه من الدلالات والمجانب واطاف الخشية اليه لأن التفكير فيه هو الداعي الى الخشية كما قال جرير بن عطية
وَأَعْوَدُ مِنْ نَبْهَانِ أَمَّا نَهَارُهُ فَاعْمَى وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ

جبل الصفة لليل والنهار وهو يريد صاحبه النبهي الذي يهجره بذلك من اجل أنه كان فيها على ما وصفه به و(رابعها) انه انما ذكر ذلك على سبيل ضرب المثل اي كأنه يضئ الله سبحانه في المثل لانتقاده لأمره ووجد منه ما لوجد من حي عاقل لكان دليلا على خشيته كقوله سبحانه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي كأنه يريد لأنه ظهر فيه من الليل ما لظهر من حي لدل على لادته الانتقاض ومثله قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وكما قال زيد الجليل
يَجْمَعُ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجْرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ

جبل ما ظهر في الاكم من آثار الحوافر وقلة مدافعتها لما كما يدافع الحجر الصلد سجودا لها ولو كانت الاكم في صلابة الحديد حتى يتنوع على الحوافر لم يقل انها تسجد للحوافر قال جرير
لَمَّا أَتَى خَبْرَ أَرْبَابِ بَيْرٍ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ

اي كأنها كذلك وقال جرير ايضا

وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

وكما قال سبحانه لو أتونا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعا متصدعا من خشية الله اي لو كانت الجبال بما يشع شي ما رأيت خاشعا ويو. يده هذا الوجه قوله سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس و(خامسا) ان هبط يجوز ان يكون متعديا قال الشاعر

مَا رَأَعْنِي إِلَّا جَنَاحُ هَاطِطًا عَلَى الْبُيُوتِ قَوَطُهُ الْمَلَابِطَا

فاعلم بالقوط كما ترى ويكون على هبطت الشيء. فهبط فعناه يهبط غيره من خشية الله اي اذا رآه الانسان خشع لطاعة خالقه الا انه حذف المفعول تخفيفا لدلالة الكلام عليه ونسب الفعل الى الحجر لأن طاعة رأيه خالقه سبها النظر اليه اي منها ما يهبط الناظر اليه اي يخضعه ويخضعه وقوله «وما الله بغافل عما تعملون» ايها المكذبون بأفانته الجاحدون نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وقد ذكرناه قبل

قوله تعالى (٧٥) **أَقْتَطِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرُّونَ عَنْهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** (آية)
 ﴿اللغة﴾

الطمع تعليق النفس بما تظنه من النفع ونظيره الامل والرجاء وتقيضه اليأس والفريق جمع كالمطائفة لا واحد له من لفظه وهو فصيل من الفرق كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب قال الاشي بن ثعلبة
أَجِدُوا فَلَمَّا خَفَتْ أَنْ يَتَمَرَّ قُوا فَرِيقَيْنِ مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوَّبٌ
 والتعريف في الكلام ينير الكلمة عن معناها

﴿الاعراب﴾

اقتطمعون الف استخبار تجر في كثير من المواضع مجرى الانكار اذا لم يكن معنا نفي فاذا جاءت مع النفي فانكار

التي تثبت ويكون معنى الاستدعاء الى الاقرار نحو اليس الله بكاف عبده فجوابه بلى كقوله ألم يأتكم نذير قالوا بلى وجواب انتظمتون لا على ما ذكرناه

﴿ المعنى ﴾

هذا خطاب لأمة نبينا محمد صلى الله عليه وآله يقول «انتظمتون» ايها المؤمنون «ان يؤمنوا لكم» من طريق النظر والاعتبار والانتقاد للحق بالاختيار «وقد كان فريق منهم» اي من هو في مثل حالهم من اسلافهم «يسمعون كلام الله» ويعلمون انه حق ويصدقون فيعرفونه ويتأولونه على غير تأويله وقيل انهم علماء اليهود الذين يعرفون التوراة فيجسسون الحلال حراماً والحرام حلالاً اتباعاً لاهوائهم واعانة لمن يرشونهم عن مجاهد والسدي وقيل انهم السبعون رجلاً الذين اختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله فلم يمشوا أمره وحرفوا القول في اخبارهم لقبولهم حين رجعوا اليهم عن ابن عباس والربيع فيكون على هذا كلام الله معناه كلام الله لموسى وقت المناجاة وقيل المراد بكلام الله صفة محمد (ص) في التوراة وقوله «ثم يعرفونه من بعد ما عقولهم» قيل فيه وجهان ﴿احدهما﴾ أن يكون معناه انهم يعرفونه من بعد ما فهموه فانكروه عنادا «وهم يعلمون» انهم يعرفونه أي يعرفونه (والثاني) ان معناه من بعد ما تحقروه وهم يعلمون ما عليهم في تحريفه من العقاب والاول اليتق بذهبتنا في الموافاة وانما اراد الله سبحانه بالآية ان هؤلاء اليهود الذين كانوا على عهد النبي (ص) إن لم يؤمنوا به وكذبوه وجحدوا نبوته فلم يأتهم واسلافهم الذين كانوا في زمان موسى (ع) اسوة اذا جروا على طريقتهم في الجحد والناد وهو هؤلاء الذين عاندوا وحرفوا كانوا معدودين يجوز على مثلهم التواطؤ والاتفاق في كتمان الحق وان كان يتبع ذلك على الجمع الكثير والجهم الغفير لأمر يرجع الى اختلاف الدواعي ويبطل قول من قال انهم كانوا كلهم عارفين معاندين لأن الله سبحانه انما نسب فريقاً منهم الى المعاندة وان كانوا بأجمعهم كافرين وفي هذه الآية دلالة على عظم الذنب في تحريف الشرع وهو عام في اظهار البدع في الفتاوى والقضايا وجميع امور الدين

قوله تعالى (٧٦) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الحديث والحجر والتباً نظائر مشتق من الحدث وكأنه اخبار عن حوادث الزمان والفتح في الاصل فتح الفتق وقد يستعمل في مواضع كثيرة فيها الحكمه يقال اللهم افتح بيني وبين فلان اي احكم يقولون متى هذا الفتح اي متى هذا القضاء ويوم الفتح يوم القضاء وقال الشاعر

أَلَا أَيْلِغُ بِنِي عَصْمٍ رُسُولًا فَإِنِّي عَنِ قُتَاحِكُمْ غَنِيٌّ

ويقال للقاضي الفتح ومنها التعليم يقال افتح علي هذا اي علمني ما عندك فيه ومنها النصرة يقال استفتحني اي اطلب منه النصرة ومنه قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويستعمل في فتح البلدان يقال فتح المسلمون ارض كذا والمحااجة والمجادلة والمناظرة نظائر فالمحااجة ان يحتج كل واحد من الخصمين على صاحبه والحجة الوجه الذي به يكون النظر عند الحجاج ويقال حاجبته خجبتة وفي الحديث خج آدم موسى اي غلبه في الحجة وأصله من التصدومته الحج وهو التصدالي بيت الله الحرام على وجه مخصوص فالحجة هي النكتة المقصودة في تصحيح الامور

﴿ النزول ﴾

روي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال كان قوم من اليهود وليسوا من المعاندين المتواطئين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد فنهاهم كباروهم عن ذلك وقالوا لا نخبروهم بما في التوراة من صفة

محمد فياجوكم به عند ربكم فقلت هذه الآية وقال مجاهد تزلت في بني قريظة لا قال لهم النبي صلى الله عليه وآله يا اخوة القردة والحنازير قالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج الا منكم وقال السدي هولاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المومنين من العرب بما عذب به اسلافهم فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به فيقولون نحن اكرم على الله منكم

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر الله سبحانه خصلة اخرى من خصالمهم الذميمة فقال «و» هم الذين «اذا لقوا الذين آمنوا» اي رؤاهم «قالوا آمنا» اي صدقنا بمحمد انه نبي صادق نجده في كتابنا بتمته وصفته وبما صدقتم به واقرونا بذلك اخبر الله تعالى عنهم انهم تخلقوا بأخلاق المنافقين وتحلوا بجليتهم واستنوا بستمهم «واذا خلا بعضهم الى بعض» اي اذا خلا بعض هولاء اليهود الذين وصفهم الله الى بعض منهم فصاروا في خلاء وهو الموضع الذي ليس فيه غيرهم «قالوا» يعني قال بعضهم لبعض «اتحدثونهم بما فتح الله عليكم» قال الكلبي يا فتى الله عليكم في كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستنحون به عليهم اي لا تقروا بانه نبي وقد علمتم انه قد اخذ له الميثاق عليكم باتباعه وانه النبي الذي كنا نسطوره ونجده في كتابنا اجدوده ولا تقروا لهم به وقال الكسائي اتحدثونهم بما بينه الله لكم في كتابكم من العلم ببعث محمد صلى الله عليه وآله والبشارة به وبعض الاقوال فيه ذكرناه في النزول واقوى التاويلات قول من قال اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي حكم الله به عليكم وقضاه فيكم ومن حكمه عليكم ما اخذ به ميثاقكم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وصفته اللوصفة لكم في التوراة ومن قضائه فيكم انه جعل منكم القردة والحنازير وقوله ليحاجوكم به عند ربكم اي ليكون لهم الحجة عليكم عند الله في الدنيا والآخرة في ايمانهم بالنبي صلى الله عليه وآله اذ كنتم مقرين به ومضجرين بصحة امره من كتابكم فهذا يبين حجبتهم عليكم عند الله وقيل معناه ليجادوكم ويقولوا لكم قد اقررتم انه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وقوله «عند ربكم» قال ابن الانباري معناه في حكم ربكم كما يقال هذا حلال عند الشافعي اي في حكمه وهذا يحل عند الله اي في حكمه وقوله «افلا تعقلون» اي افلا تفقهون ايها القوم ان اخباركم محمدا واصحابه باتخبرونهم به من وجود نعت محمد في كتبكم حجة عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم وقيل معناه افلا تعقلون ايها المومنون انهم لا يومنون فلا تطمعوا في ذلك عن الحسن وقيل انه خطاب لليهود اي فلا تعقلون ايها اليهود اذ تعقلون من رومانكم مثل هذا وهذا تحذير لهم عن الرجوع الى قول رومانهم

قوله تعالى (٧٧) **أُولَٰئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ** (آية)

﴿ المعنى ﴾

«اولا يعلمون» يعني اليهود ان الله يعلم سرهم وعلاانيتهم فكيف يستجيزون ان يسروا الى اخوانهم النعمي عن التحدث بما هو الحق وهم مقرون بذلك غير جاحدين بأن الله يعلم سرهم وجهرهم كالكفار والنافقين فهم من هذه الجهة ألوم والذمة لهم اثم عن اكثر المفسرين وقيل معناه اولاً يعلمون ان الله يعلم ما يسرون من كفرهم وتكديهم محمدا اذا خلا بعضهم الى بعض وما يعلنون من قولهم آمنا اذا لقوا اصحاب محمد ليرضوهم بذلك عن قتادة والى العالية

قوله تعالى (٧٨) **وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا مَا فِيهِ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وشيبة والحسن امانى مخففة والباقر بن التمشيد وكذا في قوله ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني الاصل فيه التثليل لاماني في جمع امنية والتخفيف في هذا النحو كثير والمحذوف منه الياء الاولى التي هي نظيرة ياء المد مع غير الادغام نحو يا قراطيس وحوامين وارجاج جمع حومانة وارجوحة الا تراها قد حذفت في نحو قوله (والبكرات الفسج العظامسا) وقوله (وغير سنع مثل يحام) يريد عطاميس ويحاميم على ان حذف الياء مع الادغام اسهل من حذفه ولا ادغام معه وذلك ان هذه الياء لما ادغمت خفيت وكادت تستهلك فاذا انت حذفها فكانت انا حذفت شيئا هو في حال وجوده في حكم المحذوف

﴿ اللغة ﴾

الامي الذي لا يحسن الكتابة ولما سمي اميا لاحد وجوه ﴿ احدها ﴾ ان الأمة الحلقه فسمي اميا لانه باق على خلقته ومنه قول الاعشى

وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ حَسَانُ الْوُجُوهِ طَوَّالُ الْأُمَمِ

(وثانيها) انه مأخوذ من الأمة التي هي الجماعة اي هو على اصل ما عليه الأمة في انه لا يكتب لانه يستفيد الكتابة بعد ان لم يكن يكتب (وثالثها) انه مأخوذ من الام اي هو على ما ولدته امه في انه لا يكتب وقيل انما نسب الى امه لان الكتابة انما تكون في الرجال دون النساء والامنية ذكر فيها وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناها التلاوة يقال تمنى كتاب الله أي قرأ وتلا وقال كعب بن مالك

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَآخِرَهُ لَأَقِي حِمَامَ الْمَقَادِيرِ

وقال آخر

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ بِاللَّيْلِ خَالِيًا تَمَنَّى دَاوُدَ الزُّبُورَ عَلَى رُسُلِ

(وثانيها) ان المراد بالاماني الاحاديث المتعلقة عن القراء والعرب تقول أنت افاتتني هذا القول اي تخلفتني وقال بعضهم ما تمنيت مذ اسلمت اي ما كذبت (وثالثها) ان المراد بالاماني انهم يتمنون على الله ما ليس لهم مثل قولهم لن تمننا النار الا الهاما معدودة وقوله نحن ابنا الله واحبائه وقال الزجاج اذا قال القائل ما لا يعلمه فكانه انما يتمناه وهذا مستعمل في كلام الناس تقول للذي يقول ما لا حقيقة له وهو يحبه هذا المنيتي وهذه امنية والظن هو ترجيح احد الجانبين على الآخر لامارة صحيحة وليس هو من قبيل الاعتقادات على الصحيح من المذهب وفي الناس من قال هو اعتقاد

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج يرتفع اميون بالابتداء ومنهم الحبر وفي قول الأخفش يرتفع اميون بفعلهم كان المعنى واستقر منهم قال ابو علي ليس يرتفع اميون عند الاخفش بفعلهم وانما يرتفع بالظرف الذي هو منهم ومذهب سيويه انه يرتفع بالابتداء ففي منهم عنده ضمير لقوله اميون وموضع منهم على مذهبه رفع لوقوعه موقع خبر الابتداء فاما على مذهب الاخفش فلا ضمير لقوله اميون في منهم ولا موضع له عنده كما لا موضع لذهب في قولك ذهب زيد وانما رفع الأخفش الاسم بالظرف لانه نظر الى هذه الظروف فوجدها تجري مجرى الفعل في مواضع وفي انها تحتل الضمير كما يحتل الفعل وما قام مقامه من اسما الفاعلين وما شبه به ويؤكدها فيها كما يؤكدها في الفعل وما قام مقامه في نحو مرتت يقوم لك اجمعون وينصب عنها الحال كما ينصب بالفعل ويوصل بها الاسماء الموصولة كما يوصل بالفعل والفاعل فيصير فيها ضمير الموصول كما يصير ضميره في الفعل ويوصف به التكرة كما يوصف بالفعل والفاعل فلما رآها في هذه المواضع تقوم مقام الفعل اجراها ايضا مبتدأ مجرى الفعل فرفع بها الاسم كما رفع بالفعل

اذ قامت هذه الظروف مقام الفعل في هذه المواضع فقال في عندك زيد وفي الدار عمرو ومنهم اميون ونحو ذلك انه يرتفع بالظرف اذ كان الظرف قد اقيم مقام الفعل في غير هذه المواضع والدليل على ان الاسم هاهنا مرتفع بالظرف دون الفعل الذي هو استقر ونحوه انه لو كان مرتفعا بالفعل لجاز قانا في الدار زيد كما يجوز قانا استقر زيد فامتناع تقديم الحال هنا يدل على انه لا عمل للفعل هنا وقوله الاماني نصب على الاستثناء المتقطع كقولهم ما لهم به من علم الا اتباع الظن وكقول الشاعر

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرَ طَعْنِ الْكَلْبِيِّ وَضَرْبِ الرَّقَابِ

وقول التابفة

حَلَقْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَشْنُونَةٍ وَلَا عَلِمَ إِلَّا حَسْنَ ظَنِّ بَصَاحِبِ

وإن في قوله ان هم بمعنى ما اي ما هم الا ظانون فهم مبتدأ ويظنون خبره

﴿ المعنى ﴾

«ومنهم» يعني ومن هو لا اليهود الذين قص الله قصصهم في هذه الآيات وقطع الطمع عن ايمانهم «اميون» اي غير عالين بماني الكتاب يعلمونها حفظا وتلاوة لا رعاية ودراية وفيها لا فيه عن ابن عباس وقتادة وقال ابو عبيدة الاميون هم الامم الذين لم يتزل عليهم كتاب والنبي الامي الذي لا يكتب وانشد لتبع

لَهُ أُمَّةٌ سُمِّيَتْ فِي الزُّبُو رِ أُمَّةٌ هِيَ خَيْرُ الْأُمَّةِ

وقوله «لا يعلمون الكتاب» اي لا يعلمون ماني الكتاب الذي اتزل الله عز وجل ولا يدرون ما وردعه الله اياه من الحدود والأحكام والقوانين فهم كهينة البهائم مقلدة لا يعرفون ما يقولون والكتاب المعني به التوراة ادخل عليه لام التعريف «الا» بمعنى لكن «اماني» اي قولاي يقولونه بافواههم كذبا عن ابن عباس وقيل احاديث يحدثهم بها علواهم عن الكافي وقيل تلاوة يتلونونها ولا يدرونها عن الكسائي والفراء وقيل اماني يتسنون على الله الرحمة ويخطر الشيطان بالهم ان لهم عند الله خيرا ويتسنون ذهاب الاسلام بموت الرسول (ص) وعود الرسالة اليهم وقيل اماني يتخرصون الكذب ويقولون الباطل والتمني في هذا الموضع هو تخلف الكذب وتخبره ويقوي ذلك قوله وان هم الا يظنون فبين انهم يخلعون ما يخلعون من الكذب ظنا لا يقينا ولو كان المعنى انهم يتلونون لا كانوا ظانين وكذلك لو كانوا يتسنون لان الذي يتلوه اذا تدبره علمه ولا يقال للتمني في حال وجود تمنيه انه يظن تمنيه ولانه شاك فيها هو عالم به واليهود الذين عاصروا النبي لم يشكوا في ان التوراة من عند الله وقوله «وان هم الا يظنون» معناه انهم يشكون وفي هذه الآية دلالة على أن التقليد في معاني الكتاب وفي طريقه العلم غير جاز وان الاقتصار على الظن في ابواب الدنياه لا يجوز وان الحجة بالكتاب قائمة على جميع الخلق وان لم يكونوا عالين اذا تمكتوا من العلم به وان من الواجب ان يكون التعميل على معرفة معاني الكتاب لا على مجرد تلاوته

قوله تعالى (٧٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ أَرْبَابُهُمْ بِكَلِمَاتٍ لِيَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الويل في اللفظة كلمة يستعملها كل واقع في هلكة واصله العذاب والهلاك ومثله الويح والويس وقال الاصمعي هو التبيح ومنه ولكم الويل مما تصفون وقال الفضل معناه الحزن وقال قوم هو المهران والحزبي ومنه قول الشاعر

يَا زَيْرُ قَانَ أَخَا بَنِي خَلْفٍ مَا أَنْتَ وَبَيْلَ أَيْكَ وَالْفَخْرُ

واصل الكسب العمل الذي يجلب به نفع او يدفع به ضرر وكل عامل عملا مباشرة منه له ومعاناة فهو كاسب له قال لبيد
لَمُعْمَرٍ قَهْدٍ يُنَازِعُ شُلُوهُ غَبْسٌ كَوَاسِبٌ مَا يُعْنُ طَعَامُهَا
وقيل الكسب عبارة عن كل عمل يجارحة يجتلب به نفع او يدفع به مضرة ومنه يقال للجوارح من الطير كواسب

﴿الاعراب﴾

ويل رفع بالأبتداء وخبره للذين قال الزجاج ولو كان في غير القرآن لجاز فويلا للذين على معنى جعل الله ويلا
للذين والرفع على معنى ثبوت الويل للذين وقال غيره اذا اضفت ويل وويح وويس نصبت من غير تنوين فقلت
ويح زيد وويل زيد وما التمس والبعد وما اشبهها فلا يحسن فيها الاضافة بغير لام فذلك لم ترفع وانما يقال في
نحوها تعسا له وبعدا له وتبا له وقد نصب ايضا ويل وويح مع اللام فقالوا ويلا لزيد وويحا له قال الشاعر

كَمَا الْاَوْمُ تَيْمًا خَضْرَاءَ فِي جُلُودِهَا فَوَيْلًا لَيْتِمٍ مِنْ سَرَائِلِهَا الْخَضِرُ

﴿المعنى﴾

ثم عاد سبحانه الى ذكر علماء اليهود فقال «فويل للذين يكتبون الكتاب» قال ابن عباس الويل في الآية
العذاب وقيل جبل في النار وروى الحُدري عن النبي صلى الله عليه وآله انه واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين
خريفا قبل ان يبلغ قرعه والاصل فيه ما ذكرناه من انه كلمة التحسر والتفجع والتلهف والتوجع يتولها كل
مكروب هالك وفي التزويل يا ويلتنا ما لهذا الكتاب وقوله «الذين يكتبون الكتاب بأيديهم» ثم يقولون هذا من
عند الله «معناه يتولون كتابته ثم يضيفونه الى الله سبحانه كقوله سبحانه مما علمت ايدينا اي نحن تولينا ذلك لم
نكله الى احد من عبادنا ومثله خلقت بيدي ويقال رأيت به بعيني وسمعته بأذني ولقيته بنفسي والمعنى في جميع ذلك
التأكيد وايضا قد يضيف الانسان الكتاب الى نفسه وقد امر غيره بالكتابة عنه فيقول انا كتبت الى فلان
وهذا كتابي الى فلان وكقوله سبحانه يذبح ابناهم وانما امر به فاعلمنا الله سبحانه انهم يكتبونه بأيديهم
ويقولون هو من عند الله وقد علموا يقينا انه ليس من عنده وقيل معناه انهم فعلوا ذلك من تلقاء انفسهم
كالرجل اذا اخترع مذهبا او قولاً لم يسبق اليه يقال له هذا مذهبك وهذا قولك وان كان جميع ما يؤخذ عنه من
الاقوال قوله والمراد ان هذا من تلقاء نفسك وانك لم تسبق اليه وقيل كتابتهم بأيديهم انهم عمدوا الى التوراة
وحرفوا صفة النبي صلى الله عليه وآله ليقوموا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود وهو الروي عن ابي جعفر الباقر
عليه السلام وعن جماعة من أهل التفسير وقيل كانت صفة في التوراة اسمر ربعة جلعوه ادم طويلا وفي رواية
عكرمة عن ابن عباس قال ان احبار اليهود وجدوا صفة النبي صلى الله عليه وآله مكتوبة في التوراة اكحل اعين
ربعة حسن الوجه فمحوه من التوراة حسدا وبغيا فأثمهم نفر من قريش فقالوا اتجدون في التوراة نبيا منا قالوا
نعم نجده طويلا ازرق سبط الشعر ذكره الواحدي بإسناده في الوسيط وقيل المراد بالآية كتب كان يكتب
للنبي فيغير ما يعلى عليه ثم ارتد ووات فلفظته الارض والاول اوجه لأنه أليق بنسق الكلام وقوله «ليشتروا به ثمنا
 قليلا» يريد ليأخذوا به ما كانوا يأخذونه من عوامهم من الاموال وانما ذكر لفظ الاشتراء توسعا والمراد انهم تركوا
الحق واظهروا الباطل ليأخذوا على ذلك شيئا كمن يشتري السلعة بما يعطيه والقائدة في قوله ثمنا قليلا ان كل ثمن له
لا يكون الا قليلا وللمرب في ذلك طريقة معروفة يعرفها من تصفح كلامهم وقيل انما وصفه بالثقة لأنه عرض
الدنيا وهو قليل المدة كقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل عن ابي العالية وقيل انما قال قليل لأنه حرام وقوله «فويل
 لهم مما كتبت ايديهم» اي عذابهم وخزي لهم وقبح لهم مما فعلوا من تحريف الكتاب «وويل لهم مما يكسبون»
من المعاصي وقيل مما يجمعون من المال الحرام والرشي التي يأخذونها عن العوام

قوله تعالى (٨٠) وَقَالُوا لَنْ نَمْسَنَا النَّارُ اِلَّا اَيامًا مَعْدُودَةً قُلْ اَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ اَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المس نظير اللبس والفرق بينهما ان مع اللبس احساسا واصله اللصوق وحده الجمع بين الشينين غلى نهاية القرب والاختلاف نقض ما تقدم من العهد بالقمل

﴿ الاعراب ﴾

اياما انتصب على الظرف واصل اتخذتم اتخذتم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومن القراء من ادغم الذال في التاء من اتخذتم وفيهم من لم يدغم وام هاهنا يحتمل أن تكون متصلة على المعادة لهمزة الاستفهام كأنه قال على اي الحالتين انتم اتقولون على الله ما تعلمون ام تقولون عليه ما لا تعلمون ويحتمل أن تكون منقطعة على تقدير تمام الكلام قبله فيكون بمعنى بل والهمزة كأنه استأنف فقال بل اتقولون

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس وبجاهد قدم رسول الله (ص) المدينة واليهود يزعم أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما يعذب بكل الف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب فانزل الله هذه الآية وقال ابو العالية وعكرمة وقتادة هي اربعون يوما لأنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل

﴿ المعنى ﴾

«وقالوا» اي قالت اليهود «لن نمسنا النار» أي لن نصيبنا «الا اياما معدودة» معناه اياما قلائل كقوله دراهم معدودة وقيل معدودة محصاة والمعدودة اذا اطلقت كان معناها القليلة قال الله سبحانه قل يا محمد لهم «اتخذتم عند الله عهدا» اي موثقا انه لا يعذبكم الا هذه المدة وعرفتم ذلك بوجوه وتقريله فإن كان ذلك فاقه سبحانه لا ينقض عهده وميثاقه «ام تقولون على الله» الباطل جهلا منكم به وجرأة عليه

قوله تعالى (٨١) بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة خطيئاته على الجمع والباقون على التوحيد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي يجوز ان يكون من للجزء الجازم ويجوز ان يكون للجزء غير الجازم فتكون السينة وان كانت مفردة يراد بها الكثرة وكذلك تكون خطيئة مفردة وانما حسن ان يفرد لأنه مضاف الى ضمير مفرد وان كان يراد به الكثرة كما قال تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه فافرد الوجه والاجروان كان في المعنى جمعا في الوضعين فكذلك المضاف اليه الخطيئة لا يمكن جمعا لم يجمع كما جمعت في قوله نغفر لكم خطاياكم ويغفر لنا خطايانا لأن ذلك مضاف الى جمع ومن قال خطيئاته فجمع حمله على المعنى والمعنى الجمع والكثرة ويدل عليه قوله فاولئك اصحاب النار فاولئك خبر المبتدأ الذي هو من في قول من جعله جزاء غير مجزوم كقوله وما بكم من نعمة فمن الله او مبتدأ في قول من جعله جزاء مجزوما وفي كلا الوجهين يراد به من في قوله بلى من

كسب سيئة وبما يدل على أن من يراد به الكثرة فيجوز لذلك أن يجمع خطيئة لأنها مضافة الى جمع في المعنى قوله بعد هذه والذين آمنوا و عملوا الصالحات او تلك اصحاب الجنة هم فيها خالدون الا ترى ان الذين جمع وهو معادل به فكذلك العادل به يكون جمعا مثل ما عودل

﴿ الاعراب ﴾

بلى جواب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والقرق بين بلى ونعم ان بلى جواب النبي ونعم جواب الايجاب قال القراء انما امتنعوا من استعمال نعم في جواب الجهد لأنه اذا قال لغيره مالك علي شي . فقال له نعم فقد صدقه وكأنه قال نعم ليس لي عليك شي . واذا قال بلى فإنما هو رد لكلامه اي لي عليك شي . وقوله هم فيها خالدون مطف هذه الجملة على الاولى بغير حرف العطف لأن في الجملة الثانية ذكرا من في الاولى والضمير يربط الكلام الثاني بالأول كما ان حرف العطف يربطه به مثل قوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وقال في موضع آخر وكانوا يصرون بالواو وقال سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجبا بالقيس ويقولون سبعة وثمنهم كلبهم لحذفت الواو من قوله رابعهم وسادسهم استثناء عنها بما في الجملة من ذكر ما في الاول لأن الحرف يدل على الاتصال وما في الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال ايضا فاستغنى به عنه

﴿ المعنى ﴾

رد الله تعالى على اليهود قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة فقال «بلى» اي ليس الامر كما قالوا ولكن «من كسب سيئة» اختلف في السينة فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم السينة هاهنا الشرك وقال الحسن هي الكبيرة الموجبة للنار وقال السدي هي الذنوب التي اوعده الله عليها النار والقول الاول يوافق مذهبنا لأن ما عدا الشرك لا يستحق به الخلود في النار عندنا وقوله «احاطت بخطيئته» يحتمل امرين (احدهما) انها احاطت به من كل جانب كقوله تعالى وان جهنم احيطة بالكافرين والثاني ان المعنى اهلكته من قوله الا ان يحاط بكم وقوله وظنوا انهم احيط بهم وقوله واحيط بشمره وهذا كله بمعنى البوار والهلكة فالراد انها سدت عليهم طريق النجاة وروي عن ابن عباس والضحاك وابي العالية ان المراد بالخطيئة الشرك وعن الحسن انها الكبيرة وعن عكرمة ومقاتل انها الاصرار على الذنب وانما قال من كسب سيئة واحاطت به خطيئته ولم يقل واحاطت به سيئته خالف بين اللفظين ليكون ابلغ وافصح «فاولئك اصحاب النار» اي يصحبون النار ويلازمونها «هم فيها خالدون» اي داعون ابداء عن ابن عباس وغيره والذي يليق بمذهبنا من تفسير هذه الآية قول ابن عباس لأن اهل الايمان لا يدخلون في حكم هذه الآية وقوله واحاطت به خطيئته يقوي ذلك لأن المعنى ان خطاياهم قد اشتملت عليه واحدقت به حتى لا يجد عنها ملخصا ولا منرجا ولو كان معه شي . من الطاعات لم تكن السينة محيطة به من كل وجه وقد دل الدليل على بطلان التعاطب ولأن قوله تعالى «والذين آمنوا و عملوا الصالحات او تلك اصحاب الجنة هم فيها خالدون» فيه وعد لأهل التصديق والطاعة بالثواب الدائم فكيف يجتمع الثواب الدائم مع العقاب الدائم ويدل ايضا على ان المراد بالسينة في الآية الشرك فيسطل الاحتجاج بالآية على دخول العمل في الايمان على ما ذكره اهل التفسير ان سينة واحدة لا تحيط بجميع الاعمال عند اكثر الخصوم فلا يمكن اذا اجراء الآية على العموم فيجب ان يحمل على اكبر الشيات واعظم الخطيئات وهو الشرك ليسكن الجمع بين الآيتين

قوله تعالى (٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهََ وَبِأُولَئِكَ إِنْحَانَا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي لا يعبدون بالياء. والباقون بالياء. وقرأ حمزة والكسائي وقولوا للناس حسنا بفتح الحاء. والسين والباقون حسنا بضم الحاء. واسكان السين

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ لا تعبدون بالياء على الخطاب قوله واذا أخذنا ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم إلى آخر الآية ويقويه قوله وقولوا وقوله ثم توليم الا قليلا منكم وانتم معرضون فاذا كان هذا خطابا وهو عطف على ما تقدم وجب ان يكون العطف عليه في حكمه وحجة من قرأ بالياء. قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وحمله على لفظ النية واما قوله حسنا فن قرأه بضم الحاء فيه ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان يكون الحسن بمعنى الحسن كالنجل والنجل والرشد والرشد وجاز ذلك في الصفة كما جاز في الاسم قالوا العرب والعرب وهو صفة بدلالة قولهم مرتت يقوم عرب اجمعي فلي هذا يكون الحسن صفة كالحلو والمر و (ثانيها) ان يكون الحسن مصدرا كالشكر والكفر وحذف المضاعف معه اي قولوا قولوا حسنا و (ثالثا) ان يكون منصوبا على انه مصدر الفعل الذي دل عليه الكلام اي ليحسن قولكم حسنا ومن قرأه حسنا جعله صفة وتقديره وقولوا للناس قولوا حسنا كقوله تعالى فامته قليلا اي متاعا قليلا

﴿ اللغة ﴾

الأخذ ضد الاعطاء والتربى مصدر قولهم تربيت مني رحم فلان قرابة وقربى وقربا واليتامى جمع يتيم مثل نديم وندامى واليتيم الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم ولا يقال لمن ماتت امه يتيم يقال يتم يتيم يتا اذا قد اباه هذا في الانسان فاما في غير الانسان فيتمه من قبل امه قال الاصمعي ان اليتيم في الناس من قبل الأب وفي غير الناس من قبل الأم والمسكين هو المتخضع للتذلل من الحاجة مأخوذ من السكون كأنه قد اسكنه الفقر

﴿ الاعراب ﴾

قوله لا تعبدون لا يجزئ اما ان يكون حالا او يكون تليقي القسم او يكون على لفظ الخبر والمعنى معنى الامر او يكون على تقدير ان لا تعبدوا فتحذف ان فيرتفع الفعل فان جعلته حالا فالاولى ان يكون بالياء. ليكون في الحال ذكر من ذي الحال وكأنه قال اخذنا ميثاقهم موحدين وان جعلته تليقي قسم وعطفت عليه الامر وهو قوله وقولوا كنت قد جمعت بين امرين لا يجمع بينهما فإن لم تحمل الامر على القسم واضرت القول كأنه قال واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقلنا واحسنوا بالوالدين احسانا فيكون وقلنا على هذا معطوفا على اخذنا جاز لأن اخذ الميثاق قول فكانه قال قلنا لهم كذا وكذا وان حملته على ان اللفظ لفظ خبر والمعنى معنى الامر يكون مثل قوله توؤمنون بالله ورسوله ويدل على ذلك قوله يغفر لكم ويؤكده ذلك انه قد عطف عليه بالامر وهو قوله وبالوالدين احسانا وقولوا واقسموا الصلاة وان حملته على ان المعنى اخذنا ميثاقهم بأن لا تعبدوا قلنا حذف ان ارتفع الفعل كما قال طرفه

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَعْيِ وَأَنْ أَسْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

فان هذا قول ان حملته عليه كان فيه حذف بعد حذف وزعم سيويه ان حذف ان من هذا التحويل وقوله وبالوالدين احسانا الحرف الجار يتعلق بفعل مضر ولا يجوز ان يتعلق بقوله احسانا لأن ما يتعلق بالمصدر لا يجوز ان يتقدم عليه . واحسن يصل الى المفعول بالياء. كما يصل بالي يدل على ذلك قوله وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن فتعدى بالياء. كما تعدى بالي في قوله واحسن كما احسن الله اليك وقوله ثم توليم الا قليلا منكم قال

الزجاج نصب قليلا على الاستثناء. المعنى استثنى قليلا منكم قال ابو علي ان في هذا التمثيل ايها ما ان الاسم المستثنى ينتصب على معنى استثنى او بالاً وليس كذلك بل ينتصب الاسم المستثنى عن الجملة التي قبله الا بتوسط الاكساي ينتصب الطيالة ونحوها في قولك جاء البرد والطيالة وما صنعت واهلك عن الجملة التي قبله الواو بتوسط الواو ويدل على ذلك قولهم ما جاءني الا زيد فلو كان لا أو لا ما يدل عليه عمل في المستثنى لجاز نصب هذا كما انك لو قلت استثنى زيدا لنصبته فان قيل لا يجوز النصب هنا لأن الفعل يبتى فارغا بلا فاعل قيل فهلا ذلك امتناع هذا من الجواز على ان ما بعد الا متصل بما قبلها وانه ليس لا لافيه عمل ولا اثر الا ما يدل عليه من معنى الاستثناء.

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه الى ذكر بني اسرائيل فقال «و» اذكروا «اذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل» اي عهدهم وقيل الميثاق الادلة من جهة العقل والشرع وقيل هو موثيق الانبياء على امهم والعهد والميثاق لا يكون الا بقول فكأنه قال امرناهم ووصيناهم واكدنا عليهم وقتلنا لهم واهله «لاتعبدون» اذا حملناه على جواب القسم واذا حملناه على الحال او على أن معناه الامر فكما قلناه قبل واذا حملناه على حذف ان فتقديره واذا اخذنا ميثاق بني اسرائيل بأن لا تعبدوا «الا الله» وحده دون ما سواه من الانداد وبأن تحسنوا الى «الوالدين احسانا» والاحسان الذي اخذ عليهم الميثاق بأن يفعلوه الى الوالدين هو ما فرض على امتنا ايضا من فعل المعروف بها والقول الجميل وخفض جناح الذل لها والتحنن عليها والرافة بها والدعاء بالخير لها وما أشبه ذلك وقوله «وذى القربى» اي وبذي القربى ان تصلوا قربته ورحمه «واليتامى» اي وباليتامى ان تعطفوا عليهم بالرافة والرحمة «والمساكين» اي وبالمساكين ان تؤمهم حقوقهم التي اوجبها الله عليهم في اموالهم وقوله «وقولوا للناس حسنا» فيه عدول الى الخطاب بعد الخبر وانما استجازت العرب ذلك لأن الخبر لانا كان عن مخاطبوه بعينه لا عن غيره وقد مخاطبون ايضا ثم يصيرون بعد الخطاب الى الخبر فتال الاول قول عنزة

شَطَّتْ حَمْرَ أَرْوَأَ الْمَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ
عَسِرًا عَلَى طَلَّابِكَ ابْنَةَ مَخْرَمٍ

ومثال الثاني قول كثير عزة

أَسِينِي يَنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ
لَدَيْنَا وَلَا مَقِيلَةٌ إِنْ تَقَلَّتْ

وقيل معناه قلنا لهم قولوا واختلف في معنى قوله حسنا فقيل هو القول الحسن الجميل والحلق الكريم وهو بما ارتضاه الله واحبه عن ابن عباس وقيل هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن سفيان الثوري وقال الربيع بن انس قولوا للناس حسنا اي مرفقا وروى جابر عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في قوله وقولوا للناس حسنا قال قولوا للناس احسن ما تحبون ان يقال لكم فان الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمن الفاحش المتفحش السائل الملحف ويحب الحلیم العفيف المتعفف ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل هو عام في المؤمن والكافر على ما روي عن الباقر عليه السلام وقيل هو خاص في المؤمن واختلف من قال انه عام فقال ابن عباس وقتادة انه منسوخ بآية السيف ويقول عليه السلام قاتلوهم حتى يقولوا لا اله الا الله او يقرؤا بالجزية وقد روي ذلك ايضا عن الصادق عليه السلام وقال الاكثون انها ليست بمنسوخة لأنه يمكن قتالهم مع حسن القول في دعائهم الى الايمان كما قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجاهد لهم بالتي هي احسن وقال في آية اخرى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقوله «واقسموا بالصلاة» اي ادوها بمجدودها الواجبة عليكم «وأتوا الزكاة» اي اعطوها اهلهما كما اوجبها الله عليكم روي عن ابن عباس ان الزكاة التي فرضها الله على بني اسرائيل كانت قربانا تهبط اليه نار من السماء فتحمه فكان ذلك تقبله ومتى لم تقبل النار به ذلك كان غير مقبل وروي عنه ايضا ان المعنى به طاعة الله والاخلاص وقوله «ثم توليتم» اي اعرضتكم «الا قليلا منكم وانتم معرضون» اخبر الله سبحانه

عن اليهود انهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه وخالقوا امره وتولوا عنه معرضين الا من عصه الله منهم فوفى الله بعهده وميثاقه ووصفه هؤلاء بأنهم قليل بالاضافة الى اولئك واختلف فيه فقيل انه خطاب لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله من يهود بني اسرائيل وذم لهم بتقضهم الميثاق الذي اخذ عليهم في التوراة وتبديلهم امر الله وركوبهم مآصيه وقيل انه خطاب لاسلافهم المذكورين في اول الآية وانما جمع بين التولي والاعراض وان كان معناهما واحدا تأكيدا وقيل معنى تولوا فعلوا الاعراض وهم معرضون اي مستمرون على ذلك وفي هذه الآية دلالة على ترتيب الحقوق فبدأ الله سبحانه بذكر حقه وقدمه على كل حق لانه الخالق المنعم بأصول النعم ثم شئ بحق الوالدين وخصها بالزينة لكونها سببا للوجود وانعامها بالتربية ثم ذكر ذوي القربى لانهم اقرب الى الكلف من غيرهم ثم ذكر حق اليتامى لضعفهم والفقراء لفقرتهم

قوله تعالى (٨٤) **وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

السفك الصب سفكت الدم اسفكه سفكا واحدا للدماء دم واصله دمي في قول اكثر النحويين ودليل من قال ان اصله دمي قول الشاعر

فَلَوْ أَنَا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا
جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبَرِ الْبَقِينِ

وقال قوم اصله دمي الا انه لا حذف ورد اليه ما حذف منه حركة الميم لتدل الحركة على انه استعمل محذوفا والنفس مأخوذة من النفاسة وهي الجلالة فنفس الانسان انفس ما فيه والدار هي المنزل الذي فيه ابنية المقام بخلاف منزل الارحام وقال الخليل كل موضع حله قومه فهو دار لهم وان لم يكن فيه ابنية والاقرار الاعتراف والشهادة اخذ من الشهادة وهو الاخبار عن الشيء بما يقوم مقام الشهادة في المعرفة

﴿ الاعراب ﴾

تقدير الاعراب في هذه الآية مثل الذي قلناه في الآية الاولى على السواء

﴿ المعنى ﴾

ثم صطف سبحانه على ما تقدم من الاخبار عن اليهود بنقض المواثيق واليهود بقوله «واذا اخذنا ميثاقكم» اي ميثاق اسلافكم الذين كانوا في زمن موسى والانبياء الماضين صارت الله على نينا وعليهم اجمعين وانما اضاف الميثاق اليهم لا كانوا اخلاقا لهم على ما سبق الكلام فيه وقوله «لا تسفكون دماءكم» معناه لا يقتل بعضهم بعضا لان في قتل الرجل منهم الرجل قتل نفسه اذا كانت ملتصقا واحدة ودينها واحدا واهل الدين الواحد بمنزلة الرجل الواحد في ولاية بعضهم بعضا قال النبي صلى الله عليه وآله لانا المؤمنون في تراحمهم وطماعتهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحلمى والسهر هذا قول قتادة وابي العالية وقيل معناه لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاربه قصاصا فيكون بذلك قاتلا لنفسه لانه كالسبب فيه وقوله «ولا تخرجون انفسكم من دياركم» معناه لا يخرج بعضهم بعضا من دياركم بأن تغلبوا على الدار وقيل معناه لا تفعلوا ما تستحقون به الاخراج من دياركم كما فعله بنو النضير وقوله «ثم اقررتم وانتم تشهدون» اي اقررتم بذلك وانتم شاهدون على من تقدمكم باخذنا منهم الميثاق وبما بذلوه من انفسهم من القبول والالتزام وقيل معنى اقرارهم هو الرضا به والصبر عليه كما قال الشاعر

أَلَسْتَ كَلْبِيًّا إِذَا سِمَ خِطَّةٌ
أَقْرَ كَأَقْرَارِ الْحَيْلَةِ لِلْبَلِّ

واختلف في المخاطب بقوله وانتم تشهدون قبيل اليهود الذين بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله أيام هجرته إليهم ونجهم الله تعالى على تضييمهم احكام ما في ايديهم من التوراة التي كانوا يقرؤون بحكمها وقال لهم ثم اقررتم يعني اقرأولكم وسلفكم وانتم تشهدون على اقرارهم بأخذني الميثاق عليهم بأن لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم وتصدقون بذلك عن ابن عباس وقيل انه خبر من الله عز وجل عن اوانلهم ولكنه اخرج الخبر بذلك مخرج المخاطبة لهم على النحو الذي تقدم في الآيات وانتم تشهدون اي وانتم شهود عن ابي العالاية ويحتمل قوله وانتم تشهدون امرين ﴿احدهما﴾ ان معناه وانتم تشهدون على أنفسكم بالاقرار و(الثاني) ان معناه وانتم تحضرون سفك دماءكم واخراج أنفسكم من دياركم وقال بعض المفسرين تزلت الآية في بني قريظة والنضير وقيل تزلت في اسلاف اليهود

قوله تعالى (٨٥) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ مِنْهَا قَرِيْبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِكُمْ أَسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْوَئِنُّونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (آية)

﴿القرائة﴾

قرأ اهل الكوفة تظاهرون بتخفيف الظاء هاهنا وفي التحريم والباقون بالتشديد فيها وقرأ ابو جعفر ونافع وعاصم والكسائي ويعقوب اسارى تفادوهم بالالف فيها وقرأ حمزة وحده اسرى تفادوهم بغير الف فيها وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو اسارى بالف تفادوهم بغير الف وكان ابو عمرو وحمزة والكسائي يملون الراء من اسارى ونافع يقرأ بين بين والباقون يفتحون

﴿الحجة﴾

من قرأ تظاهرون بالتخفيف فالاصل فيه تتظاهرون لحذف التاء الثانية لاجتماع التامين ومن قرأ تظاهرون بالتشديد فالاصل فيه ايضا تتظاهرون فادغم التاء بالظاء. لقرب المخرجين وكل واحد من الفريقين كره اجتماع الامثال ففريق خفف بالادغام وفريق خفف بالحذف فاتا. التي اعتلت بالادغام هي التاء التي اعتلت بالحذف ووجه قول من قرأ اسرى انه جمع اسير فعيل بمعنى مفعول نحو قتيل بمعنى مقتول وقتلى وجريح وجرحى وهو اقيس من اسارى ووجه قول من قال اسارى انه شبهه بكسالى وذلك ان الاسير لا كان محبوسا عن كثير من تصرفه للاسرى كما ان الكسلان محتبس عن ذلك لعادته السيئة شبه به فاجرى عليه هذا الجمع كما قيل مرضى وموتى وهلكى لا كانوا مبتلين بهذه الاشياء المصابين بها فاشبه في المعنى فعلا بمعنى مفعول فاجرى عليه في الجمع اللفظ الذي لتعليل بمعنى مفعول وكما شبه اسارى بكسالى شبه كسلى بأسرى ومن قرأ تفادوهم فلان لكل واحد من الفريقين فعلا فن الآسردفع الاسير ومن الأسور منهم دفع فدائه فوجه تفادوهم على هذا ظاهر ومن قرأ تفادوهم فالمعنى فيه مثل المعنى في تفادوهم وهذا الفعل يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثاني بالجار كقوله وفديناه بذبح عظيم وقول الشاعر
يُودُونَ لَوْ يَفْدُونَنِي بِنُفُوسِهِمْ وَمَعْنَى الْأَوَائِي وَالْيَانِ التَّوَاهِدِ

وقال الاعشى

فِي قَادِي عِنْدَ ذِي تَاجٍ إِذَا قِيلَ لَهُ فَادِ بِالْمَالِ تَرَ أَخِي وَمَرَحَ

المفعول الاول عذوف والتقدير فاد الاسرى بالمال وفي الآية المفعول الثاني الذي يصل اليه الفعل بالحرف محذوف

﴿ اللغّة ﴾

تظاهرون وتعاونون والظهير المين وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير التقدير فيه الجمع واللفظ على الافراد ومثله قول روبة (دعها فما النجوم من صديقها) اي من اصدقائها وظاهر بين درعين لبس احدهما فوق الاخرى والاثم الفعل التسيح الذي يستحق بها اللوم ونظيره الوزر وقال قوم معنى الاثم هو ما تنفر منه النفس ولم يطمئن اليه القلب ومنه قول النبي (ص) لنواس بن سيمان حين سألته عن البر والاثم فقال البر ما اطمانت اليه نفسك والاثم ما حلك في صدرك والعدوان الافراط في الظلم يقال عدوا فلان في ظلمه عدوا وعدوا وعدوا وعدوا وقييل العدو ان تجاوز الحد والاسرى الأخذ بالقهر واصلا الشد والجلس والسره اذا شده وقال ابو عمرو بن العلاء الاسارى الذين هم في الوثاق والاسرى الذين هم في اليد وإن لم يكونوا في الوثاق والحزبي السوء والذل يقال خزبي الرجل خزبا ويقال في الحيا خزبي خزباية

﴿ الاعراب ﴾

قوله ثم انتم هولاء فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ ان انتم مبتدأ وهو هولاء منادى مفرد تقديره يا هولاء وتقتلون خبر المبتدأ (وهنيها) ان هولاء تأكيد لانتم (وثالثها) انه بمعنى الذين وتقتلون صلة له اي انتم الذين تقتلون انفسكم فعلى هذا يكون تقتلون لا موضع له من الاعراب ومثله في الصلة قوله وماتلك بيبينك يا موسى اي وما التي بيبينك وانشد التحويون في ذلك

عَدَسٌ مَا لِعَبَادِ عَلِيكَ اِمَارَةٌ نَجَوْتُ وَهَذَا تَحْلِيلِنَ طَلِيْقُ

وقوله تظاهرون عليهم في موضع نصب على الحال من يخرجون وقوله وهو محرم عليكم اخراجهم هو على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون اضمار الاخراج الذي تقدم ذكره في قوله وتخرجون فريقتا منكم ثم بين ذلك بقوله اخراجهم تأكيدا لتراخي الكلام (والآخر) أن يكون هو ضير القصة والحديث فكانه قال والحديث محرم عليكم اخراجهم كما قال الله قل هو الله احد اي الامر الذي هو الحق الله احد

﴿ المعنى ﴾

«ثم انتم» يا معشر يهود بني اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذي اخذته عليكم ان لا تسفكوا دماكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم وبعد شهادتكم على انفسكم بذلك انه واجب عليكم ولازم لكم الوفاء به «تقتلون انفسكم» اي يقتل بعضهم بعضا كقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي لسلام بعضهم على بعض وقيل معناه تتعرضون للقتل وتخرجون فريقتا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم اي متعاونين عليهم في اخراجكم اياهم «بالاثم والعدوان وان يأتوك لسارى تعادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم» اي وانتم مع قتلهم من تقتلون منكم اذا وجدتم اسيرا في ايدي غيركم من اعدائكم تغدونهم وقتلكم اياهم واخراجكموهم من ديارهم حرام عليكم كما ان تركهم اسرى في ايدي عدوهم حرام عليكم فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم وهما جميعا في حكم اللازم لكم فيهم سواء لان الذي حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم اسرى في ايدي عدوهم «اقترؤمون بعض الكتاب» الذي فرضت عليكم فيه فرائض وبيئت لكم فيه حدودي واخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقي فتصدقون به فتعادون اسراكم من ايدي عدوهم وتكفرون ببعضه فتجعدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتلهم من اهل دينكم وقومكم وتخرجونهم من ديارهم وقد علمتم ان الكفر منكم ببعضه نقض منكم لهدي وميثاقي واختلف فيمن عنى بهذه الآية فروى عكرمة عن ابن عباس ان قريظة والنضير كانا اخوين كالاوس والحزرج فافترقا فكانت النضير مع الحزرج وكانت قريظة مع الاوس فاذا اقتتلوا عاونت كل فرقة حلفاءها فاذا وضعت الحرب اوزارها فدوا اسراها تصديقا لما في التوراة والاوس والحزرج اهل شرك يعبدون الاوثان لا يعرفون جنة ولا نارا ولا قيامة ولا كتابا فأنبا الله

تعالى اليهود بما فعلوه وقال ابو العالية كان بنو اسرائيل اذا استضعف قوم قوماً اخرجوهم من ديارهم وقد اخذ عليهم الميثاق ان لا يسفكوا دماؤهم ولا يخرجوا انفسهم من ديارهم واخذ عليهم الميثاق ان اسر بعضهم بعضا ان يفادوهم فاخرجوهم من ديارهم ثم فادوهم فآمنوا بالفداء ففدوا وكفروا بالاخراج من الديار فاخرجوهم وقيل ليس الذين اخرجوهم الذين فدوا ولكنهم قوم آخرون على ملتهم فانبأهم الله تعالى على ذلك وقال ابو مسلم الاصبهاني ليس المراد بقوله افتو منون الآية انهم يخرجون وهو محرم ويفدون وهو واجب وانما يرجع ذلك الى بيان صفة محمد صلى الله عليه وآله وغيره وقوله «فا جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا» اختلف في الخزي الذي خزاهم الله اياه بما سلف منهم من العصية فقيل هو حكم الله الذي انزله على نبيه محمد (ص) من اخذ القاتل بن قتل والقود به قصاصا والانتقام من الظالم للمظلوم وقيل بل هو اخذ الجزية منهم ما اقاموا على ذمتهم على وجه الذل والصغار وقيل الخزي الذي خزوا به في الدنيا هو اخراج رسول الله صلى الله عليه وآله بني النضير من ديارهم لأول الحشر وقتل بني قريظة وسبي ذراريهم وكان ذلك خزيا لهم في الدنيا ثم اعلم الله سبحانه ان ذلك غير مكفر عنهم ذنوبهم وانهم صاؤون بعده الى عذاب عظيم فقال «يوم القيامة يردون الى اشد العذاب» اي الى اشد العذاب الذي اعد الله لأعدائه وهو العذاب الذي لا روح فيه مع اليأس من التخلص «وما الله بغافل عما تعملون» اي وما الله بساه عن اعمالهم الحبيثة بل هو حافظ لها ومحافظ عليها ومن قرأه بالثاء رده الى المواجهين بالخطاب في قوله افتو منون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وبما يسأل في هذه الآية ان ظاهرها يقتضي صحة اجتناع الأيمان والكفر وذلك مناف للصحيح من المذهب والقول فيه ان المعنى انهم اظهروا التصديق ببعض الكتاب والانكار للبعض ويحتمل ان يكون المراد بذلك انكم اذا اعتقدتم جميع ذلك ثم علمتم ببعضه دون بعض فكأنكم آمنتم ببعض دون بعض وهذا يدل على انهم لا ينعمهم الايمان ببعض مع الكفر بالبعض الآخر وفي هذه الآية تسلية لنبينا عليه السلام في ترك قبول اليهود قوله وانحيازهم عن الايمان به فكأنه يقول كيف يقبلون قولك ويسلمون لأمرك ويؤمنون بك وهم لا يعملون بكتابتهم مع اقرارهم به وبأنه من عند الله تعالى قوله تعالى (٨٦) **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحفة نقيض الثقل والتخفيف والتسهيل والتهوين نظائر واختلف في الحفة والثقل فقيل انه يرجع الى تناقص الجواهر وترايدها وقيل ان الاعتماد اللازم سفلا يسمى ثقلا والاعتماد اللازم المختص لجهة العلوي يسمى حفة

﴿ المعنى ﴾

اشار الى الذين اخبر عنهم بانهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فقال «اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا» اي ابتاعوا رياسة الدنيا بالآخرة اي رضوا بها عوضا من نعم الآخرة التي اعدتها الله تعالى للمؤمنين جعل سبحانه تركهم حظوظهم من نعم الآخرة بكفرهم بالله ثمنا لا ابتاعوه به من خيس الدنيا ثم اخبر انهم لا حظ لهم في نعم الآخرة بقوله «فلا يخفف عنهم العذاب» اي لا ينقص من عذابهم ولا يهون عنهم «ولا هم ينصرون» اي لا ينصرهم احد في الآخرة فيدفع عنهم بنصرتهم عذاب الله تعالى

قوله تعالى (٨٧) **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَمَّائِمِينَ بَعْدِهِ بِالْأَسْفُلِ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ وَفَرِّقُوا تَفْتُلُونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال في جميع القرآن والباقون بضم القاف والدال وروي في الشواذ عن أبي عمرو وأيدناه على زنة فعلناه والقراءة أيدناه بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

التخفيف والتثقيل في القدس وكذلك فيما كان مثله نحو الحلم والحلم والمنق والمنق وأيدناه انما كانت القراءة المشهورة فيه فعلناه لا يعرض من تصحيح العين مخافة توالي اعلالين في أيدناه على فعلناه ومعنى هذا انه لو اعلت عينه كما يجب اعلال عين افعلت من الاجوف كأقت وابتت لتتابع فيه اعلالان لأن اصل ايدت .أيدت كما ان اصل أمن .أمن فانقلبت الهزة الثانية الفاء لاجتماع همزتين في كلمة واحدة والاولى منها مفتوحة والثانية ساكنة وكان يجب ايضا أن تلتحق حركة العين على الفاء وتتحذف العين كما التبت حركة الواو من اقومت على القاف قبلها فصار اقت وكان يجب على هذا ان تقلب الفاء هنا واوا لأنها قد تحركت وانفتح ما قبلها ولا بد من قلبها لوقوع الهزة الاولى قبلها كما قلبت في تكسير آدم اوادم فكان يجب أن تقول اودته كاقته فتحذف العين كما ترى وتقلب الفاء التي هي في الاصل همزة واوا فيعمل الفاء والعين جميعا واذا كان يودي القياس الى هذا فرض وكثريه فقلت ليومن الاعلالان وجاء ايدت قليلا شاذا على الأصل واذا كانوا قد اخرجوا عين افعلت وهي حرف علة على الصحة في نحو قوله صَدَدَتْ فَأَطَوَّلْتَ الصَّدُودَ وَقَلَّمَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصَّدُودِ وَيَدُومُ
واعزز التوم وانغيت السماء ولو اعلت لم يخف فيه توالي اعلالين كان خروج ايدت على الصحة لئلا يجتمع اعلالان اولى واخرى

﴿ اللثة ﴾

قفينا اي اردفنا واتبعنا بعضهم خلف بعض واصله من التقا يقال قفوت فلانا اذا صرت خلف قفاه كما يقال دبرته قال امرؤ القيس

وَقَفَى عَلَى آثَارِهِنَّ بِحَاصِبٍ وَعَيْتَهُ شَوْبُ بُوْبٍ مِنَ الشَّدِّ مُلْهِبِ

والرسل جمع رسول كالصبر والشكر في جمع صبور وشكور وأيدناه قويناه من الايد والآد وهما القوة ومثلها في البناء على فعل وفعل الذم والذام والعيب والعب قال الزجاج (من ان تبدلت بأدي آدا) اي بقوة شباني قوة الشيب والقدس الطهر والتقدس التطهير وقولنا في صفة الله تعالى القدوس اي الطاهر اللطيف عن ان يكون له ولد او يكون في فعله وحكمه ما ليس بعدل وبيت القدس لا يدخل القدس فيه اما ان يكون مصدرا او مكانا فإن كان مكانا فالعنى بيت المكان الذي فعل فيه الطهارة واذيف الى الطهارة لأنه منسك كما جاء أن طهرا بيتي للطاعتين وتطهيره اخلاؤه من الصنم وابعاده منه فعلى هذا يكون معناه بيت مكان الطهارة وان كان مصدرا كان كقوله الي مرجعكم ونحوه من المصادر التي جاءت على هذا المثال والمعنى مقصورا والشهوة نظيران هوى يهوى هوى

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه انعامه عليهم بارسال رسله اليهم وما قبلوه به من تكذيبهم فقال «ولقد آتينا موسى الكتاب» أي اعطيناه التوراة واتزناه اليه «وقفينا من بعده» اي اتبعنا من بعد موسى «بالرسل» رسولا بعد رسول يتبع الآخر الأول في الدعاء الى وحدانية الله تعالى والقيام بشرائعه على منهاج واحد لأن كل من بعث الله تعالى نبيا بعد موسى الى زمن عيسى عليها السلام فإنما بعث باقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء الى ذلك «وآتينا عيسى بن مريم البينات» اي اعطيناه المعجزات والدلالات على نبوته من احياء الموتى وإبراء الأكمه والابصر ونحو ذلك من الآيات الدالة

على صدقه وصحة نبوته وقال بعضهم اراد بالبينات الانجيل وما فيه من الاحكام والآيات الفاصلة بين الحلال والحرام «وايدناه بروح القدس» أي قويناه واعناه بجبريل (ع) عن قتادة والسدي والضحاك والربيع واختلف في سبب تسمية جبرائيل عليه السلام روحا على وجوه ﴿احدها﴾ أنه يجي بما يأتي به من النيات الاذيان كما يجي بالأرواح الأبدان (وثالثها) انه سمي بذلك لأن الغالب عليه الروحانية وكذلك سائر الملائكة وانما خص بهذا الاسم كسريفا له (وثالثها) أنه سمي به وضيف الى القدس لأنه كان بتكوين الله تعالى له روحا من عنده من غير ولادة والد ولده وقال ابن زيد المراد بروح القدس الانجيل كما سمي الله تعالى القرآن روحا فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فكذلك سمي الانجيل روحا وروى الضحاك عن ابن عباس ان الروح الاسم الذي كان عيسى (ع) يجي به الوحي وقال الربيع هو الروح الذي نفخ فيه فاضافه الى نفسه كسريفا كما قال بيت الله وثاقه الله واقوى الاقوال والوجوه قول من قال هو جبرائيل (ع) واذا قيل لم خص عيسى (ع) من بين الانبياء بأنه موبد بجبرائيل وكل نبي موبد به فاقول فيه انه انما خص بذلك لثبوت اختصاصه به من صفه الى كبره فكان يسير معه حيث سار ولا تم اليهود بقتله لم يفارقه حتى صعد به الى السماء وكان يمثل لمريم عند حملها به وبشرها به ونفخ فيها واختلف في معنى القدس فقيل هو الطهر وقيل هو البركة عن السدي وحكى قطرب انهم يقولون قدس عليه الانبياء اي يركوا وعلى هذا فإنه كدعاء ابراهيم (ع) للحرم رب اجعل هذا بلدا آمنا وكقول زكريا اجعله رب رضيا وقيل القدس هو الله تعالى عن الحسن والربيع وابن زيد وقالوا القدوس والقدس واحد وقوله «افكلها بما كم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم» خطاب لليهود فكانه قال يا مشركي يهود بني اسرائيل اكلمها بما كم رسول من رسلي بغير الذي تهواه انفسكم تعظمت وتجبرتم وانتم من قبول قوله «ففرقا كذبتم وفرقا تقولون» اي فكذبتم منهم بعضا ممن لم تقدروا على قتله مثل عيسى (ع) ومحمد (ص) وقتلتهم بعضا مثل يحيى وزكريا وغيرهما وظاهر الخطاب وان خرج مخرج التقرير فهو بمعنى الخبر وانما اضاف هذا الفعل اليهم وان لم يباشروه بنفوسهم لأنهم رضوا بفعل اسلافهم فاضيف الفعل اليهم وإن فعله اسلافهم

قوله تعالى (٨٨) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (آية)

﴿القرأة﴾

القرأة الشهورة غلف بسكون اللام وروي في الشواذ عن ابي عمرو غلف بضم اللام

﴿الحجة﴾

من قرأ بالتسكين فهو جمع الاغلف مثل امر وحمر ويقال للسيف اذا كان في غلاف اغلف وقوس غلفا. وجمعها غلف ولا يجوز تثنيه الا في ضرورة الشعر نحو قول طرفه

أَيُّهَا الْغَتِيَانُ فِي مَجْلِسِنَا جَرَدُوا مِنهَا وُرَادَا وَشَفْرَا

فحركت لضرورة الشعر فن قرأ غلف متغلا فهو جمع غلاف نحو مثال ومثل وحمار فيكون معناه ان قلوبنا اوعية للعلم فما لها لا تقمهم ويجوز ان يكون التسكين عن التثنية مثل رسل ورسل

﴿اللعنة﴾

اللعن هو الاقصاء والابعاد يقال لمن فلان فلان فهو ملعون ثم يصرف مفعول منه الى فعل قيل لعين قال الثعالب

وَمَا قَدَّوَرَدَتْ لَوْ صَلَ أَدْوَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ كَأَن لَوْرَقِ اللَّجِينِ
ذَعَرَتْ بِهِ الْقَطَا وَتَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذِّئْبِ كَأَن لِرَجْلِ اللَّعِينِ

﴿ الاعراب ﴾

قليلًا منصوب بأنه صفة مصدر محذوف وإنما حذف لأن الصفة تقوم مقامه وتدل عليه أي فأما قليلا ما يو. منون وقيل أنه منصوب على الحال أي يو. منون وهم قليل وقيل تقديره بقليل ما يو. منون حذف الجار فوصل العمل إليه فنصبه وما هاهنا مزيدة للتوكيد ولا معنى لها كما في قوله فبأرحمة من الله وتقدير الكلام قليلا يو. منون وكما في قول الشاعر

كُوِّبَ بِأَبْنَيْنِ جَاءَ يَخْطِبُهَا خَضَّبَ مَا أَنْفَ خَا ضَبَّ يَدَم

وقيل إن معنى ما هاهنا هو أن يدل على غاية التكبير في الاسم وفرط الإبهام فيه كما يقال امر ما وشي ما إذا أريد المبالغة في الإبهام

﴿ المعنى ﴾

«وقالوا لقلوبنا غلف» رجع الكلام إلى الحكاية عن اليهود وعن سوء مقامهم وفعالهم فالعنى على القراءة الأولى أنهم ادعوا أن قلوبهم ممنوعة من القبول فقالوا أي فائدة في انذارك لنا ونحن لا نفهم ما تقول إذ ما تقول ليس مما يفهم كقولهم تعالى وقالوا لقلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر وقال أبو علي الفارسي ما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها من الأعضاء إذا ذكر بأنه لا يعلم وصف بأن عليه مانعا من ذلك ودونه حائلا فمن ذلك قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها لا كان القفل حاجزا بين القفل عليه وحائلا من أن يدخله ما يدخل إذا لم يكن مقفلا جعل مثلا للقلوب بأنها لا تعي ولا تفقه وكذلك قوله لقلوبنا سكرت ابصارنا والذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكره وقوله بل هم منها عمون كان شدة عنادهم تصنعهم على الشك في المشاهدات ودفع المعلومات وأما المعنى على القراءة الثانية من تحريك العين في غلف فهو على أن المراد أن قلوبنا أوعية للعلم ونحن علماء ولو كان ما تقوله شيئا يفهم أوله طائل لهنهنا أو يكون المراد ليس في قلوبنا ما تذكره فلو كان علما لكان فيها وقوله «بل لعنهم الله بكفرهم» رد الله سبحانه عليهم قولهم أي ليس ذلك كما زعموا لكن الله سبحانه قد أقصاهم وأبعدهم من رحمته وطردهم عنها يجودهم به ويرسله وقيل معنى لعنهم طبع على قلوبهم على سبيل المجازة لهم بكفرهم وقوله «قليلًا ما يو. منون» معناه أن هؤلاء الذين وصفهم قليلوا الأيمان بما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وإن كان منهم بعض الأيمان من التصديق بالله وبصفاته وغير ذلك مما كان فرضا عليهم وذلك قليل بالاضافة إلى ما جحدوه من التصديق بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله وبما جاء به والذي يليق بذهبتنا أن يكون المراد به لا إيمان لهم أصلا وإنما وصفهم بالقليل كما يقال قل ما رأيت هذا قط أي ما رأيت هذا قط وإن جمعت قليلا نصبا على الحال أي يو. منون قليلا فمعناه لا يو. من به إلا نفر قليل كعبد الله بن سلام واصحابه وفي هذه الآية زد على المجرة لأن هؤلاء اليهود قالوا مثل ما يقولونه من أن على قلوبهم ما يمنع من الأيمان ويجول بينها وبينه فكذبهم الله تعالى في ذلك بأن لعنهم وذمهم ولو كانوا صادقين لما استحقوا اللعن والطرد ولكن الله سبحانه قد كلنهم ما لا يطيقونه

قوله تعالى (٨٩) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَأُوْنِ مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

مصدق رفع لأنه صفة لكتاب ولو نصب على الحال لكان جازا لكنه لم يقرأ به في المشهور وقيل ضم على الناية وقد ذكرنا الوجه فيه فإيا تقدم من قوله قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأما جواب لا في قوله ولا جاءهم

كتاب من عند الله فعند الزجاج والافخش محذوف لأن معناه معروف يدل عليه قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما حذف جواب لو من نحو قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى وتقديره ولو ان قرآنا سوى هذا القرآن سيرت به الجبال لسيرت بهذا القرآن وقيل ان قوله كفروا جواب لقوله ولا جاءهم كتاب من عند الله ولقوله فلما جاءهم ما عرفوا وانما كررنا لطول الكلام عن المبرد

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس كانت اليهود يستمتعون اي يستصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وآله قبل مبثته فلما بعث الله من العرب ولم يكن من بني اسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معمر يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستمتعون علينا بحمد ونحن اهل الشرك وتصفونه وتذكرون انه مبعوث فقال سلام بن مسلم اخو بني النضير ما جاءنا بشي نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فانزل الله تعالى هذه الآية وروى العياشي باسناده رفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قال كانت اليهود تجدي كتبها ان مهاجر محمد رسول الله (ص) ما بين عير واحد فخرجوا يطلبون الموضوع فمروا بجبل يقال له حداد فقالوا حداد واحد سواء ففترقوا عنده فقول بعضهم بتيا وبعضهم بفدك وبعضهم بخير فاشتاق الذين بتيا الى بعض اخوانهم فمر بهم اعرابي من قيس فتكاثروا منه وقال لهم امر بكم ما بين عير واحد فقالوا له اذا مررت بها فاذا بنا فلما توسط بهم ارض المدينة قال ذلك عير وهذا احد فقولوا عن ظهر ابه وقالوا له قد اصبتا بنيتنا فلا حاجة بنا الى اهلك فاذهب حيث شئت وكتبوا الى اخوانهم الذين بفدك وخير انا قد اصبتا الموضوع فلهما الينا فكتبوا اليهم انا قد استقرت بنا الدار واتخذنا بها الاموال وما اقرنا منكم فاذا كان ذلك فما لسرنا اليكم واتخذوا بارض المدينة اموالا فلما كثرت اموالهم بلغ ذلك تبع (١) فزاهم فتحصنوا منه فاصروهم ثم امنهم فنزلوا عليه فقال لهم اني قد استطلت بلادكم ولا اراني الا مقيا فيكم فقالوا له ليس ذلك لك انها مهاجر نبي وليس ذلك لاحد حتى يكون ذلك فقال لهم فاني مخلف فيكم من اسرتي من اذا كان ذلك ساعده ونصره فظلف حين تراهم الاوس والخزرج فلما كثروا بها كثروا باموالهم فالتفتوا الى اليهود فكانت اليهود تقول لهم اما لو بعث محمد نخرجكم من ديارنا واموالنا فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وآله آمنت به الانصار وكفرت به اليهود وهو قوله تعالى وكثروا من قبل يستمتعون على الذين كفروا الى آخر الآية

﴿ المعنى ﴾

«ولا جاءهم» اي جاء اليهود من بني اسرائيل الذين وصفهم الله «كتاب من عند الله» يعني به القرآن الذي انزله على نبيه محمد (ص) «مصدق لما معهم» اي للذي معهم من الكتب التي انزلها الله تعالى قبل القرآن من التوراة والانجيل وغيرهما وفيه وجهان ﴿احدهما﴾ ان معناه انه مصدق لما تقدم به الاخبار في التوراة والانجيل فهو مصدق لذلك من حيث كان مخبره على ما تقدم الخبر به (والآخر) انه مصدق لما اي بانها من عند الله تعالى وانها حق «وكانوا» يعني اليهود «من قبل» اي من قبل مبث النبي (ص) ونزول القرآن «يستمتعون» فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان معناه يستصرون اي يقولون في الحروب اللهم افتح علينا وانصرنا بحق النبي الامي اللهم انصرنا بحق النبي المبعوث الينا فهم يسألون عن الفتح الذي هو النصر (وثانيها) انهم كانوا يقولون لمن ينابذهم هذان نبي قد اطل زمانه ينصرتا عليكم (وثالثها) ان معنى يستمتعون يستعلمون من علمانهم صفة نبي يمبث من العرب فكانوا يصفونه لهم فلما بعث انكروه (ورابعها) ان معنى يستمتعون يستحسون ربههم على كفار العرب كما قال

أَلَا أَيْلِغُ بَنِي عَصْمٍ رُؤُوسًا
فَلَا يَنْبَغُ عَنِّي عَن قَاتِحَتِكُمْ غَنِي

(١) كذا في النسخ ولكن الصواب تبأ لأنه مفعول بلغ

اي محاكنتكم به وقوله «على الذين كفروا» اي مشركي العرب «فلما جاءهم ما عرفوا» يعني محمدا (ص) اي عرفوا صفته وببشاهة «كفروا به» حسدا وبغيا وطلبا للرياسة «فلعن الله» اي غضبه وعقابه «على الكافرين» وقد فسرنا معنى اللعنة والكفر فيما مضى

قوله تعالى (٩٠) يٰٓسَمَآ اٰشْتَرَوْا بِهٖ اَنْفُسَهُمْ اَنْ يٰكْفُرُوْا بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ بَغْيًا اَنْ يُنَزَّلَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ عَلٰى مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ فَبَاوُوا بِنَضْبٍ عَلٰى غَضَبٍ وَّلِلْكَافِرِيْنَ عَذَابٌ مُّبِيْنٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو ان ينزل خفيفة كل القرآن الا في الانعام ان ينزل آية فانه شديدا وقرأ ابن كثير بالتخفيف كل القرآن الا في سبحان ونزل من القرآن وحتى تنزل فانه شديدا وقرأ حمزة والكسائي كل القرآن بالتشديد الا في ألم وحم عسق ينزل التيس فانها قرأها بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد كل القرآن واتفقوا في الحبر وما نزله انه مشدد

﴿ الحجة ﴾

نزل فعل غير متعد ويعدى بالاضراب الثلاثة وهي النقل بالمهزمة وتضعيف العين وحرف الجر فأنزل ونزل لثتان وما عدي بالحرف قوله تعالى نزل به الروح الامين فيمن رفع الروح وقد كثر مجيء التنزيل في القرآن فهذا يقوي نزول ولم يعلم فيه الانزال وكثر فيه مجيء انزل

﴿ اللفظة ﴾

بنس ونعم فعلان ماضيان اصلهما على وزن فعل وفيها اربع لثات نعم وبنس مثل مجد ونعم وبنس يسكون العين ونعم وبنس بكسر الفاء والعين ونعم وبنس واشتروا افتعلوا من الشراء واكثر الكلام شريت بمعنى بعث واشتريت بمعنى ابعت قال يزيد الحميري

وَشَرَيْتُ بُرْدًا اَيْتِي مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هَامَهُ

وربما لتعمل اشتريت بمعنى بعث وشريت بمعنى ابعت والاكثر ما تقدم والبعني اصله النساد مأخوذ من قولهم بنى الجرح اذا فسد وقيل اصله الطلب لأن الباغي يطلب التطاول والذي ليس له ذلك وسبيت الزانية بغيا لأنها تطلب والاهانة الاذلال

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج بنس اذا وقعت على ما جعلت معها ما بمنزلة اسم منكور وانما كان ذلك في نعم وبنس لأنها لا يعملان في اسم علم انما يعملان في اسم منكور دال على جنس او اسم فيه الف ولام يدل على جنس وانما كانت كذلك لأن نعم مستوفية لجميع المدح وبنس مستوفية لجميع الذم فاذا قلت نعم الرجل زيد فقد قلت استحق زيد المدح الذي يكون في سائر جنسه وكذا اذا قلت بنس الرجل زيد دللت على انه قد استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه فلم يجوز اذا كان يستوفي مدح الاجناس ان يعمل من غير لفظ جنس فاذا كان معها اسم جنس بغير الف ولام فهو نصب ابدا واذا كانت فيه الف ولام فهو رفع ابدا نحو نعم الرجل زيد ونعم رجلا زيدا وانما نصبت رجلا للتمييز وفي نعم اسم مضر على شريطة التفسير ولذلك كانت ما في نعم بغير صلة لأن الصلة توضح وتخصص والقصد في نعم ان يليها اسم منكور او اسم جنس فقوله بنسما اشتروا به انفسهم تقديره بنس شيئا اشتروا به انفسهم قال ابو علي قوله ولذلك كانت ما في نعم بغير صلة يدل على ان ما اذا كانت موصولة لم يجوز عنده ان تكون فاعلة نعم وبنس وذلك عندنا لا يمتنع وجهة جوازه ان ما اسم مبهم يقع على الكثرة ولا يخص واحدا بعينه كما ان اسما الاجناس تكون للكثرة وذلك في نحو قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم

ويقولون هو لاء شفاعونا عند الله فالقصد به هنا الكثرة وان كان في اللفظ مفردا بدلالة قوله ويقولون هو لاء وتكون معرفة ونكرة كما ان اسما الاجناس تكون معرفة ونكرة وقد اجاز ابو العباس المبرد في الذي ان تلي نعم وبنس اذا كان عاما غير مخصوص كما في قوله والذي جاء بالصدق واذا جاز في الذي كان في ما اجوز فقوله بنما اشكروا به انفسهم يجوز عندي ان تكون ما موصولة وموضعها رفع بكونها فاعلة لئس ويجوز ان تكون منكورة فتكون اشكروا صفة غير صفة ويدل على صحة ما رأيت قول الشاعر

وَكَيْفَ أَرَهَبُ أَمْرًا أَوْ أَرَأَيْتُ لَهْ وَقَدْ زَكَتُ إِلَى يَشْرِبِ بْنِ مَرْوَانَ
فَنِعْمَ مَرْكَأٌ مِنْ ضَاكَّتْ مَذَاهِبُهُ وَنِعْمَ مَنْ هُوَ فِي سِرِّهِ وَإِعْلَانِ

الا ترى انه جعل مزا فاعل نعم لما كان مضافا الى من وهي تكون عامة غير معينة واما قوله ان يكفروا بما انزل الله فوضعه رفع وهو المخصوص بالذم فان شئت رفعت على انه مبتدأ مؤخر وان شئت على انه خبر مبتدأ مخدوف اي هذا الشيء الذموم كفروهم بما انزل الله وقوله بنما نصب بأنه مفعول له كقول حاتم
وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكُرَيْمِ أَدْخَارَهُ وَأُعْرَضُ عَنْ شَتْمِ اللَّيْمِ تَكْرُمًا
المعنى اغفر عوراءه لادخاره واعرض عن الشتم للتكرم وموضع ان الثانية نصب على حذف حرف الجر يعني بنما لأن ينزل الله اي من اجل ان ينزل الله

﴿ المعنى ﴾

ثم ذم الله سبحانه اليهود بايثارهم الدنيا على الدين فقال «بنما اشكروا به انفسهم» اي بنس شيئا باعوا به انفسهم او بنس الشيء باعوا به انفسهم «ان يكفروا» اي كفروهم «بما انزل الله» يعني القرآن ودين الاسلام المنزل على محمد (ص) فاذا سئل كيف باعت اليهود انفسها بالكفر فالجواب ان البيع والشراء ازالة ملك المالك الى غيره بعرض يمتاضه منه ثم يستعمل ذلك في كل معترض من عمله عرضا خيرا كان او شرا فاليهود لما اوبقوا نفوسهم بكفرهم بمحمد (ص) واهلكوها خاطبهم الله بما كانوا يعرفونه فقال بنس الشيء رضوا به عوضا من ثواب الله وما اعده لهم لو كانوا آمنوا بالله وما انزل الله على نبيه النار وما اعدهم بكفرهم ونظير ذلك الآيات في سورة النساء من قولهم ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وآتيناهم ملكا عظيما وقوله «بنما» اي حسد المحمد (ص) اذ كان من ولد اسماعيل وكانت الرسل قبل من بني اسرائيل وقيل طلبا لشيء ليس لهم ثم فر ذلك بقوله «ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده» وهو الوحي والنبوة وقوله «وبما» او بغضب على غضب» معناه رجعت اليهود من بني اسرائيل بعد ما كانوا عليه من الانتصار بمحمد والاستفتاح به والاحبار بانه نبي مبعوث مرتدين ناكسين على اعقابهم حين بعث الله نبيا بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم وقال مخرج معنى باء «بغضب استوجبوا اللعنة بلغة جرم ولا يقال باء مفردة حتى يقال اما بخير واما بشر وقال ابو عبيدة قبا واء بغضب احتملوه واقرؤا به واصل البوء التقرير والاستقرار وقوله على غضب فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان الغضب الاول حين غيروا التوراة قبل مبعث النبي والغضب الثاني حين كفروا بمحمد (ص) عن عطاء وغيره (وثانيها) ان الغضب الاول حين عبدوا العجل والثاني حين كفروا بمحمد عن السدي (وثالثها) ان الاول حين كفروا بعيسى (ع) والثاني حين كفروا بمحمد (ص) عن الحسن وعكرمة وقتادة (ورابعها) ان ذلك على التوكيد والمبالغة اذ كان الغضب لازما لهم فيتكرر عليهم عن اي مسلم والأصم «وللكافرين عذاب مهين» معناه للجاحدين بنوبة محمد عذاب مهين من الله اما في الدنيا واما في الآخرة والمهين هو الذي يذل صاحبه ويخزيه ويلبسه المهوان وقيل المهين الذي لا ينتقل منه الى اعزاز واکرام وقد يكون غير مهين اذا كان تمحيصا وتكفيرا ينتقل بعده الى اعزاز وتعظيم فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار الى الجنة لا يكون عذابه مهينا

قوله تعالى (٩١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيكفرون بما وراه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين (آية)

﴿ اللغة ﴾

ما وراه اي ما بعده قال الشاعر
تعبني الأمايني ليس شي وراهها
كموعد عرقوب أخاه ييثر ب
قال الفراء معنى وراه سوى كما يقال للرجل تكلم بالكلام الحسن ما وراه هذا الكلام شي يراد ليس عند المتكلم به شي سوى ذلك الكلام

﴿ الاعراب ﴾

قوله مصدقاً نصب على الحال وهذه حال موعدة قال الزجاج زعم سيويه والتحليل وجميع التحريين الموثوق بعلمهم ان قولك هو زيد قائماً خطأ لأن قولك هو زيد كناية عن لم متقدم فليس في الحال فائدة لأن الحال يوجب هاهنا انه اذا كان قائماً فهو زيد واذا ترك القيام فليس بزيد فهذا خطأ فاما قولك هو زيد معروفاً وهو الحق مصدقاً في الحال هنا فائدة كأنك قلت اثبتته له معروفاً وكأنه بمنزلة قولك هو زيد حقاً فمعروف حال لأنه انما يكون زيداً بان يعرف بزيد وكذلك القرآن هو الحق اذا كان مصدقاً لكتب الرسل عليهم السلام وقوله فلم تقتلون وان كان بلفظ الاستقبال فالمراد به الماضي وانما جاز ذلك لقوله من قبل وان بمعنى الشرط ويدل على جوابه ما تقدم وتقديره ان كنتم مؤمنين فلم تقتلتم انبياء الله وقيل ان بمعنى ما النافية اي ما كنتم مؤمنين

﴿ المعنى ﴾

«واذا قيل لهم» يعني اليهود الذين تقدم ذكرهم «آمنوا» اي صدقوا «بما أنزل الله» من القرآن على محمد (ص) والشرايع التي جا بها «قالوا نؤمن بما أنزل علينا» يعنون التوراة «ويكفرون بما وراه» اي يجحدون بما بعده يريد الانجيل والقرآن او بما سوى التوراة من الكتب المنزلة كقوله سبحانه واحل لكم ما وراه ذلكم وقال ابن الانباري تم الكلام عند قوله بما أنزل علينا ثم ابتداء الله بالاخبار عنهم فقال ويكفرون بما وراه اي بما سواه «وهو الحق» يعني القرآن «مصدقاً لما معهم» يعني التوراة لأن تصديق محمد وما انزل معه من القرآن مكتوب عندهم في التوراة قال الزجاج وفي هذا دلالة على انهم قد كفروا بما معهم اذ كفروا بما يصدق ما معهم ثم رد الله تعالى عليهم قولهم نؤمن بما أنزل علينا فقال «قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل» اي قل يا محمد لهم فلم تقتلتم انبياء الله وقد حرم الله في الكتاب الذي انزل عليكم قتلهم وامركم فيه باتباعهم وفرض عليكم طاعتهم وتصديقهم «ان كنتم مؤمنين» بما انزل عليكم وقال الزجاج ان بمعنى ما هاهنا كأنه قال ما كنتم مؤمنين وهذا وجه بعيد وانما قال تقتلون بمعنى قتلتم لأن لفظ المستقبل يطلق على الماضي اذا كان ذلك من الصفات اللازمة كما يقال انت تسرق وتقتل اذا صار ذلك عادة له ولا يراد بذلك ذمه ولا توبيخه على ذلك الفعل في المستقبل وانما يراجه توبيخه على ما مضى وانما اضاف اليهم فعل آباؤهم واسلافهم لأحد امرين ﴿ احدهما ﴾ ان الخطاب لمن شهد من اهل ملة واحدة ومن غاب منهم واحد فاذا قتل اسلافهم والانبياء وهم مقيمون على مذهبهم وطريقتهم فقد شركوهم في ذلك والآخر انهم رضوا بأفعالهم والراضي بفعل قوم كالدخول فيه معهم وهذا المعنى قريب من الأول وفي هذه الآية دلالة على ان الايمان بكتاب من كتب الله لا يصح اذا لم يحصل الايمان بما سواه من كتب الله المنزلة التي هي مثله في اقتران المعجزة به

قوله تعالى (٩٢) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (آية)

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عنهم ما يدل على قلة بصيرتهم في الدين وضعفهم في اليقين فقال «ولقد جاءكم موسى بالبينات»
الدالة على صدقه والمعجزات المريدة لتبوت كايده البيضاء وانبعاس الماء من الحجر وقلق البحر وقلب العصا حية
والطرفان والجراد والقمل والضفادع والدم وسماها بينات لظهورها وتبينها للتاخرين اليها انها معجزة يتعذر الاتيان
بها على كل بشر وقوله «ثم اتخذتم العجل» يعني اتخذتم العجل آلهما وعبدتموه «من بعده» اي من بعد موسى لما فارقتكم
ومضى الى ميقات ربه ويجوز ان يكون الما كناية عن المجهي فيكون التدبير ثم اتخذتم العجل من بعد مجي البينات
«وانتم ظالمون» لانفسكم بكفركم ومبادئكم العجل لان العبادة لا تكون لغير الله

قوله تعالى (٩٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَسْمِعُوا قَوْلُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرُبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِنَسَاءِ يَأْمُرُكُمْ
بِهِ إِيْمَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

اسمعوا معناه اقبلوا ومنه قوله سمع الله لمن حمده اي قبل الله حمد من حمده وقوله واشربوا اصله من الشرب
يقال شرب واشرب غيره اذا حمله على الشرب واشرب الزرع اي سقي واشرب قلبه حب كذا قال زهير
فَصَحَوْتُ عَنْهَا بَعْدَ حَبِّ دَاخِلٍ وَالْحَبُّ يَشْرِبُهُ فَوْادُكَ دَاؤُ

﴿ الاعراب ﴾

قوله العجل اي حب العجل حذف المضاف واقم المضاف اليه مقامه ومثله قول الشاعر

حَسِبْتُ بِنَامٍ رَاحِلِي عَنَاقًا وَمَا هِيَ وَنَيْبٌ غَيْرُكَ بِالْمَنَاقِ

اي حسبت بنام راحلتي بنام عناق وقال طرفه

أَلَا إِنِّي سَقَيْتُ أَسْوَدَ حَالِكًا أَلَا بَجَلِي مِنْ الشَّرَابِ الْأَبْجَلِ

يريد سقيت سم اسود قال آخر

وَشَرُّ الْمَنِيَا مَيْتٌ وَسَطٌ أَهْلِهِ كَهَلِكِ الْقَتِي قَدْ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرُهُ

اي منية ميت وقوله بنسأ يا مرمك به ايمانكم فقد تقدم ذكر اعرابه وان يجوز ان يكون بمعنى ما اي ما كنتم
مؤمنين وجاز ان يكون تقديره ان كنتم مؤمنين بنسأ يا مرمك به ايمانكم هذا

﴿ المعنى ﴾

قوله «واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة» قد فسرناه فيما مضى والفائدة في
تكرير هذا وامثاله التأكيد وايجاب الحجة عليهم على عادة العرب في مخاطباتها وقيل انه سبحانه لا عد فضائح
اليهود اعاد ذكر رفع الجبل وقيل انه تعالى لنا ذكر الاول للاعتبار بأخبار ما مضى والثاني للاحتجاج عليهم وقوله
«واسمعوا» اي اقبلوا ما سمعتم واعملوا به واطيعوا الله وقيل معناه اسمعوا ما يتلى عليكم اي اسمعوا لتسمعوا
وهذا اللفظ يمتثل الاستماع والقبول ولا تنافي بينهما فيحمل عليهما فكأنه قيل اسمعوا لتسمعوا ثم اقبلوا واطيعوا
ويدل عليه انه قال في الجواب عنهم قالوا سمعنا وعصينا وفيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انهم قالوا هذا القول في

الحقيقة استهزاء ومعناه سمعنا قولك وعصينا امرك (والثاني) أن حالهم كحال من قال ذلك إذ فعلوا ما دل عليه كما قال الشاعر (قالت جناحاه لرجليه الخبي) وان كان الجناح لأ يقول ذلك وانما رجع سبحانه عن لفظ الخطاب الى الخبر عن التائب على عادة العرب المألوفة واختلف في هذا الضمير الى من يعود فقيل الى اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وآله فانهم قالوا ذلك ثم رجع الى حديث اولهم فقالوا واشربوا وقيل الى اليهود الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام إذ ردوا عليه قوله وقابلوه بالعصيان وقوله «واشربوا في قلوبهم» فمناه دخل قلوبهم حب «العجل» وانما عبر عن حب العجل بالشراب دون الاكل لأن شرب الماء يتغلغل في الاعضاء حتى يصل الى بواطنها والطعام يجاوز الاعضاء ولا يتغلغل فيها قال الشاعر

تَغْلُغَلُ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حَزَنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورُورٌ

وليس المعنى في قوله واشربوا ان غيرهم فعل ذلك بهم بل هم الفاعلون لذلك كما يقول القائل انبت ذلك من النسيان وليس يريد ان غيره فعل ذلك به ويقال اوتى فلان علما جا وان كان هو المكتسب له وقوله «بكفرهم» ليس معناه انهم اشربوا حب العجل جزاء على كفرهم لأن حبة العجل كفر قبيح والله سبحانه لا يفعل الكفر في اليد لا ابتداء ولا جزاء بل معناه انهم كفروا بالله تعالى بما اشربوه من حبة العجل وقيل انما اشرب حب العجل قلوبهم من زينة عندهم ودعاهم اليه كالسامري وشياطين الجن والانس فقوله بكفرهم معناه لاعتقادهم التشبيه وجهلهم بالله تعالى وتجويزهم العبادة لغيره اشربوا في قلوبهم حب العجل لأنهم صاروا الى ذلك بهذه العاطية التي هي كفر وقول من قال فعل الله ذلك بهم عقوبة ومجازاة غلط فاحش لأن حب العجل ليس من العقوبة في شيء ولا ضرر فيه وقوله «قل بنما يأمركم به ايتانكم» معناه قل يا محمد لهؤلاء اليهود بنس النبي الذي يأمركم به ايتانكم ان كان يأمركم بقتل انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه وجمعه ما جاء من عنده ومعنى ايتانهم تصديقهم بالذي زعموا انهم مصدقون به من كتاب الله بقولهم نؤمن بما انزل علينا وقوله «ان كنتم مؤمنين» اي مصدقين كما زعمتم بالتوراة وفي هذا نبي عن التوراة ان يكون يأمر بشيء يكرهه الله من افعالهم واعلام بأن الذي يأمرهم بذلك هو اولهم ويحملهم عليه آراؤهم

قوله تعالى (٩٤) قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الخالصة الصافية يقال خلص لي هذا الأمر اي صار لي وحدي وصفالي بخلص خلوصا وخالصة وخالصة مصدر كالعافية واصل الخلوص ان يصفو الشيء من كل شائبة ودون يستعمل على ثلاثة اوجه ان يكون الشيء دون الشيء في المكان وفي الشرف وفي الاختصاص وهو المراد في الآية والتعني من جنس الاقوال عند اكثر المتكلمين وهو ان يقول القائل لا كان ليته لم يكن ولا لم يكن ليته كان وقال ابو هاشم هو معنى في القلب ولا خلاف في أنه ليس من قبيل الشهوة

﴿ الاعراب ﴾

خالصة نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه الى الاحتجاج على اليهود بما فضع به احبارهم وعلماؤهم ودعاهم الى قضية عادلة بينه وبينهم فقال قل يا محمد لهم ان كانت الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم او دون محمد واصحابه كما ادعيت بقولكم

لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكنتم صادقين في قولكم نحن ابناؤ الله واحباؤه وان الله لا يعذبنا فتمنوا الموت لأن من اعتقد انه من اهل الجنة قطعاً كان الموت احب اليه من حياة الدنيا التي فيها انواع المشاق والمهوم والآلام والغموم ومن كان على يقين انه اذا مات تخلص منها فواز بالنعيم القيم فانه يؤثر الموت على الحياة الا ترى الى قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يطوف بين الصفيين بصفين في غلالة لما قال له الحسن ابنه ما هذا زي الحرب . يا بني ان اباك لا يبالي وقع على الموت او وقع الموت عليه وقول عمارين ياسر بصفين ايضا الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه واما ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم احيني ما دامت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي فانما نهى عن تمني الموت لأنه يدل على الجزع والمأمور به الصبر وتقويض الامور اليه تعالى ولانا لانامن وقوع التصير فيها امرتا به ونزجو في البقاء التلاني

قوله تعالى (٩٥) وَكَانَ يَتَمَنَوْنَ اَبَدًا يَمَا قَدَمَتْ اَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

ابدا نصب على الظرف اي طول عمرهم يقول القائل لا اكلمك ابدا يريد ما عشت وما بعني الذي اي بالذي قدمت ايديهم ويجوز ان يكون ما بعني المصدر فيكون المراد بتقدمة ايديهم

﴿ المعنى ﴾

اخبر الله سبحانه عن هؤلاء الذين قيل لهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين بانهم لا «يتمنون» ذلك ابدا بما قدموه من المعاصي والقبايح وتكذيب الكتاب والرسول عن الحسن وابي مسلم وقيل يا كتموا من صفة النبي (ص) عن ابن جريج واذف ذلك الى اليد وان كانوا انا فعلوا ذلك باللسان لأن العرب تقول هذا ما كسبت يداك وان كان ذلك حصل باللسان والوجه فيه ان الغالب ان تحصل الجناية باليد فيضاف بذلك اليها ما يحصل بغيرها وقوله «والله عليم بالظالمين» خصص الظالمين بذلك وان كان عليا بهم وبغيرهم بأن الفرض بذلك الجزم والتهديد كما يقول الانسان لغيره اني عارف بصير بعملك وقيل معناه ان الله عليم بالاسباب التي منعتهم عن تمني الموت وبما اضروه واسروه من كتمان الحق عنادا مع علم كثير منهم مبطلون رروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لو أن اليهود تمنوا الموت لآتوا أو لراوا مقاعدهم من النار فقال الله سبحانه انهم لن يتمنوه ابدا تحقياً لكذبهم وفي ذلك اعظم دلالة على صدق نبينا وصحة نبوته لأنه اخبر بالشيء قبل كونه فكان كما اخبر وأيضا فانهم كانوا عن التمني للموت لعلمهم بأنه حق وانهم لو تمنوا الموت لآتوا وروي الكلبي عن ابن عباس انه قال كان رسول الله (ص) يقول لهم ان كنتم صادقين في مقاتلتكم فقولوا اللهم امتنا فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل الا غص بريقه فمات مكانه وهذه القصة شبيهة بقصة المباحة وان النبي صلى الله عليه وآله لما دعا النصارى الى المباحة استمعوا لقلته فتمنوا بها هم عليه وخوفهم من صدق النبي (ص) في قوله لو باهلوني لرجعوا لا يجدون اهلا ولا مالا فلما لم يتمن اليهود الموت افتضحوا كما ان النصارى لما احجموا عن المباحة اقتضحوا وظهر الحق فان قيل من اين علمت انهم لم يتمنوا الموت بقلوبهم فالجواب ان من قال التمني هو القول بالسؤال ساقط عنه ومن قال هو معنى في القلب قال لو تمنوه بقلوبهم لا ظهره بالاستهتة حرصا منهم على تكذيبه في اخباره ولأن تمديهم بتمني الموت انا وقع بها يظهر على اللسان وكان يسهل عليهم ان يقولوا ليت الموت نزل بنا فلما عدلوا عن ذلك ظهر صدقه (ص) ووضحت حجته

قوله تعالى (٩٦) وَلَتَجِدَنَّهُمْ اَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيٰوةٍ وَمِنَ الَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا يُوَدُّ اَحَدٌهُمْ لَوْ يُمْرُّ اَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمَزْحُورٍ مِّنَ الْعَذَابِ اِنَّ يُعْمَرُوْا وَاللَّهُ بِصِيْرٍ مَّا يَعْمَلُوْنَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

وجده وصادفه والفاء نفاث يقال وجدت الشيء وجدانا اذا اصبته ويقال وجدت بمعنى علمت والحرص شدة الطلب ورجل حريص وقوم حرص والمودة المحبة يقال وددت الرجل اوده ودا وودا وودادا وودادة ومودة والتمعير طول العمر والعمر والعمر لغتان واصله من العبارة الذي هو ضد الحراب فالعمر المدة التي يعمر فيها البدن بالحياة والالف من التأليف سمي بذلك العدد لأنه ضم مائة عشر مرات والزحزحة التنجية يقال زحزحته فترزح وقال الشاعر

وَقَالُوا تَرَحَّزَحْ لَا بِنَا فَضْلُ حَاجَةٍ إِلَيْكَ وَلَا مِنَّا لَوْ هَيْكَ رَاقِعُ

والبصير بمعنى المبصر كما ان السميع بمعنى السمع ولكنه صرف الى فعيل ومثله بديع العجوات بمعنى البديع والعذاب الأليم بمعنى الموت لم هذا في اللغة وعند المتكلمين المبصر هو المدرك للبصيرات والبصير هو الحي الذي لا آفة به فهو بمن يجب ان يبصر البصيرات اذا وجدت وليس احدهما هو الآخر وكذلك القول في السميع والسامع

﴿ الاعراب ﴾

لتجدنهم اللام لام القسم والنون للتأكيد وتقديره واقه لتجدنهم قال سيويه سألت الخليل عن قوله لتعلمن اذا جاءت مبتدأ فقال هي على نية القسم وهذه اللام اذا دخلت على المستقبل لزمته في الامر الاكثباتين واذا كانا وجدت بمعنى وجدان الضالة يعدى الى مفعول واحد كقعدت الذي هو ضده فينصب احرص على الحال واذا كان بمعنى علمت تعدى الى مفعولين ثانيها عبارة عن الاول فيكون احرص هو المفعول الثاني وهو الاصح وقوله ومن الذين اشركوا قال الفراء يريد وحرص من الذين اشركوا ايضا كما يقال هو اسخى الناس ومن حاتم ومن هرم لأن تأويل قولك اسخى الناس انما هو اسخى الناس وقال الزجاج تقديره ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وقيل انما دخلت من في قوله ومن الذين اشركوا ولم يدخل في قوله احرص الناس لأنهم بعض الناس والاضافة في باب افعال لا يكون الا كذلك تقول الياقوت افضل الحجارة ولا تقول الياقوت افضل الزجاج بل تقول افضل من الزجاج فلذلك قال ومن الذين اشركوا لأن اليهود يسواهم ببعض الجوس وهم بعض الناس وقوله وما هو بزحزحه من العذاب ان يعمر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان هو كناية عن احدهم الذي جرى ذكره وان يعمر في موضع رفع بأنه فاعل تقديره وما احدهم بزحزحه من العذاب تعبيره كما يقال مرتت رجل معجب قيامه (وثالثها) انه كناية عما جرى ذكره من طول العمر وقوله ان يعمر بيان لقوله هو وتقديره وما تعبيره بزحزحه من العذاب وكأنه قيل وما هو الذي ليس بزحزحه قليل هو التعمير (وثالثها) انه عماد وان يعمر في موضع الرفع بأنه مبتدأ وبزحزحه خبره ومنع الزجاج هذا القول الاخير قال لا يخبر البصريون ما هو قائما زيد وما هو بقائم زيد بمعنى الأمر والشان وقال غيره اذا كنت ما غير عاملة في الباء جاز كقولهم ما بهذا باس

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن احوال اليهود فقال «ولتجدنهم» اي ولتعلمن يا محمد هو لا اليهود وقيل يعني به علماء اليهود «احرص الناس على حيوة» اي احرصهم على البقاء في الدنيا اشد من حرص سائر الناس «ومن الذين اشركوا» اي ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وهم الجوس ومن لا يؤمن بالبعث وقال ابو علي الجبائي ان الكلام تم عند قوله على حيوة وقوله ومن الذين اشركوا تقديره ومن اليهود الذين اشركوا من يود احدهم لو يعمر النفسنة فعذف من وقال علي بن عيسى هذا غير صحيح لأن حذف من لا يجوز في مثل هذا الموضع وقال ابو مسلم الاصفهاني ان في هذا الكلام تقديرا وتأخيرا وتقديره ولتجدنهم وطائفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة واقول اذا جاز هاهنا ان يحذف الموصوف الذي هو طائفة وتقام الصفة مقامه وهو قوله من الذين اشركوا فليجز على ما ذهب

اليه الجبائي أن يكون تقديره ومن الذين اشركوا طائفة يود احدهم فيحذف الموصوف ويقام صفته الذي هو يود احدهم لو يعمر الف سنة مقامه فيصح على هذا التقدير الحذف ويستوي القولان من حيث الصورة والصفة ويختلفان من حيث المعنى ويكون من هنا هي الموصوفة لا الموصولة كما قدره الجبائي وقوله «يود احدهم لو يعمر الف سنة» ذكر الألف لأنها نهاية ما كانت الجوس يدعو به بعضهم لبعض وتحيي به الملوك يقولون عش الف نوروز والف مهرجان قال ابن عباس هو قول احدهم لمن عطس هزار سال بزي يقال فهو لا . الذين يزعمون ان لهم الجنة لا يتسنون الموت وهم احرص ممن لا يؤمن بالبعث وكذلك يجب أن يكون هو لا . لعلمهم بما اعد الله لهم في الآخرة من الجحيم والعذاب الأليم على كفرهم وعنادهم مما لا يقرب به اهل الشرك فهم للموت أكره من اهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث وعلى الحياة احرص لهذه الملة وقوله « وما هو بمنزححه » اي وما احدهم بمنجيته من عذاب الله ولا يسبغده منه تعبيره وهو أن يطول له البقاء لأنه لا بد للعمر من القناء هذا هو احسن الوجوه التي تقدم ذكرها « والله بما تعملون بصير » أي علم بأعمالهم لا يخفى عليه شيء منها بل هو محيط بجسيمها حافظ لما حتى يذيقهم بها العذاب وفي هذه الآية دلالة على ان الحرص على طول البقاء لطلب الدنيا ونحوه مذموم وانما المحمود طلب البقاء للزيادة في الطاعة وتلافي النوائب والتوبة والانتبة ودرك السعادة بالاخلاص في العبادة والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين (ع) في قوله في بقية عمر المؤمن لا قيمة له يدرك بها مافات ويحبي بها ما امانت

قوله تعالى (٩٧) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٨) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وقرأ حمزة والكسائي ولبو بكر الا يحیی جبرئیل بفتح الجيم والراء سهوذا على زنة جبرئیل وروى يحيى كذلك الا أنه حذف الياء بعد الهمز فصار مثل جبرئیل والباقون بكسر الجيم والراء وبعدها ياء من غير همزة وقرأ اهل المدينة ميكانيل بهمزة مكسورة بعد الالف على زنة ميكايل وقرأ اهل البصرة ميكايل بنبر همز ولا ياء والباقون بالثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على زنة ميكايل

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي رويانا عن ابي الحسن أنه قال في جبرئيل ست لغات جبرائيل وجبرائيل وجبرئيل وجبرال وجبرئيل وجبرئيل فن قال جبرئيل كان على لفظ قنديل وبرطيل ومن قال جبرئيل كان على وزن عندليب ومن قال جبرئيل كان على وزن جحمرش ومن قال ميكايل على وزن قنطار وميكانيل وجبرائيل خارج عن كلام العرب وهذه الاسماء مربة فإذا اتى بها على ما في ابنية العرب مثله كان اذهب في باب التعريب وقد جاء في اشعارهم ما هو على لفظ التعريب وما هو خارج عن ذلك قال

عَبْدُ وَالصَّلِيبِ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِجِبْرِئِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالًا

وقال حسان

وَجِبْرِيلُ رُسُولُ اللَّهِ مَأْ وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

﴿ اللفظة ﴾

جبرئيل وميكانيل اسمان اعجميان عربيا وقيل جبر في اللفظة السريانية هو العبد وإيل هو الله وميك هو عبيد فمضى جبرئيل عبد الله ومعنى ميكانيل عبيد الله وقال ابو علي الفارسي هذا لا يستقيم من وجهين احدهما ان ايل

لا يعرف من اسماء الله تعالى في اللغة العربية والآخر انه لو كان كذلك لكان آخر الاسم مجرورا ابدا كتقولهم عبد الله والبشرى والبشارة الحجر السار اول ما يرد فيظهر ذلك في بشرة الوجه

﴿الاعراب﴾

جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبرائيل فليمت غيظا فإنه نزل الوحي على قلبك بأذن الله والماء في قوله فإنه تعود الى جبريل والماء في نزله تعود الى القرآن وان لم يجز له ذكر كما ان ها في قوله تعالى ماترك على ظهرها من دابة تعود الى الارض ويجوز ان يكون على معنى جبرئيل وتقديره فان الله نزل جبريل على قلبك لأنه نزل بنفسه والاول اصح ونصب مصدقا على الحال من الماء في نزله وهو ضمير القرآن او جبريل عليه السلام

﴿النزول﴾

قال ابن عباس كان سبب نزول هذه الآية ما روي ان ابن صوريا وجماعة من يهود اهل فدك لا تقدم النبي (ص) المدينة سأله فقالوا يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان فقال تنام عيناى وقلبي يقظان قالوا صدقت يا محمد فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل او المرأة فقال لما العظام والعصب والروى فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة قالوا صدقت يا محمد فما بال الولد يشبه اعمامه ليس فيه من شبه اخواله شي. او يشبه اخواله وليس فيه من شبه اعمامه شي. فقال ايها علاماوه كان الشبه له قالوا صدقت يا محمد قالوا فاخبرنا عن ربك ما هو فأنزل الله سبحانه قل هو الله احد الى آخر السورة فقال له ابن صوريا خصه واحدة ان قاتلها آمنت بك واتبعك اي ملك يأتيك بما يتزل الله عليك قال قتال جبريل قال ذاك عدونا يتزل بالقتال والشدة والحرب وميكائيل يتزل باليسر والرخاء. فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمتنا بك

﴿المعنى﴾

فانزل الله تعالى هذه الآية جوابا لليهود وردا عليهم فقال «قل» لهم يا محمد «من كان عدوا لجبريل» اذا كان هو المتزل للكتاب طيبك «فانه» انما «نزله على قلبك بأذن الله» لا من تلقا نفسه وانما اضافه الى قلبه لأنه اذا انزل عليه كأن يحفظه ويفهمه بقلبه ومعنى قوله بأذن الله بأمر الله وقيل اراد يعلمه او بأعلام الله اي بما يتزل على قلبك وقوله «مصدقا لما بين يديه» معناه موافقا لما بين يديه من الكتب ومصدقا له بأنه حق وبأنه من عند الله لا منكذبا لها «وهدى وبشرى للمؤمنين» معناه ان كان فيما انزله الامر بالحرب والشدة على الكافرين فانه هدى وبشرى للمؤمنين وانما خص الهدى بالمؤمنين من حيث كانوا هم المهتدين به العاملين بما فيه وان كان هدى لتبهم ايضا وقيل اراد بالهدى الرحمة والثواب فلذلك خصه بالمؤمنين ومعنى البشرى ان فيه البشارة لهم بالنعم الدائم وان جعلت مصدقا وهدى وبشرى حالا لجبريل فالمعنى بانه يصدق بكاتب الله الاولى ويأتي بالهدى والبشرى ونما قال سبحانه على قلبك ولم يقل على قلبي على العرف المألوف كما تقول لمن تخاطبه لا تقل القوم ان الخير عندك ويجوز ان تقول لا تقل لهم ان الخير عندي وكما يقول قال القوم جبريل عدونا ويجوز ان يقول قالوا جبريل عدوهم واما قوله تعالى «من كان عدوا لله وملائكته ورسوله» فمعناه من كان معاديا لله اي يفعل فعل المعادي من المخالفة والمعصيان فان حقيقة العداوة طلب الاضرار به ولهذا يستحيل على الله تعالى وقيل المراد به معاداة اوليائه كقوله ان الذين يؤذون الله وقوله وملائكته اي ومعاديا للملائكته ورسوله «وجبريل وميكال» وانما اعاد ذكرهما لتفضلهما ومقرنهما كقوله تعالى فيها فاكهة ونخل ورمان وقيل انما اعاد ذكرهما لأن اليهود قالت جبريل عدونا وميكائيل ولينا فخصها الله بالذكر لأن النزاع جرى فيها فكان ذكرهما أهم وتلا ترعم اليهود انها مخصوصان من جملة الملائكة وليسا بداخلين في جملتهم فص الله تعالى عليها ليطل ما يتأولونه من التخصيص ثم قال «فان الله عدو للكافرين» ولم يقل فانه وكرر اسم الله ثلاثا يظن ان الكتابة واجعة الى جبرائيل او ميكائيل ولم يقل لهم لأنه قد يجوز ان

يستقلوا من العداوة بالايان وقد طمن بعض الملحدة في هذا فقال كيف يجوز ان يقول عاقل انا عدو جبريل وليس هذا القول من اليهود يستكر ولا عجب مع ما اخبر الله تعالى عن قولهم بعد مشاهدتهم فلق البحر والآيات الحارقة للعادة اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وقولهم ارنا الله جبرة وعبادتهم العجل وغير ذلك من جهالاتهم

قوله تعالى (٩٩) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الآية العلامة التي فيها عبرة وقيل العلامة التي فيها الحجة والبينة الدلالة الفاصلة الواضحة بين القضية الصادقة والكاذبة مأخوذة من ابيانة احدى الشينين من الآخر فيقول التباسه به

﴿ الاعراب ﴾

قد تدخل في الكلام لأحد امرين احدهما قوم يتوقعون الخبر والآخر لتقريب الماضي من الحال تقول خرجت وقد ركب الامير وهي هنا مع لام القسم على تقدير قوم يتوقعون الخبر لأن الكلام اذا خرج ذلك المخرج كانا وكذا وبلغ

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس ان ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل الله عليك من آية بيينة فنتبعك لها فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

يقول «ولقد انزلنا إليك» يامحمد «آيات» يعني سائر المعجزات التي اعطيا النبي صلى الله عليه وآله عن البلخي وقيل هي القرآن وما فيها من الدلالات عن ابي مسلم وابي علي وقيل هي علم التوراة والانجيل والاشجار عما غمض مما في كتب الله السالفة عن الاصم كقوله تعالى يبين لكم كثيرا مما كنتم تحفون من الكتاب «بينات» اي واضحات تفصل بين الحق والباطل «وما يكفر بها الا الفاسقون» ومعناه الكافرون وانما سمي الكفر فسقا لأن النسق خروج من شيء الى شيء واليهود خرجوا من دينهم وهو دين موسى بتكذيب النبي صلى الله عليه وآله وانما لم يقل الكافرون وان كان الكفر اعظم من النسق لأحد امرين ﴿احدهما﴾ ان المراد انهم خرجوا عن امر الله الى ما يعظم من معاصيه والثاني ان المراد به انهم الفاسقون المتمردون في كفرهم لأن النسق لا يكون الا اعظم الكبائر فان كان في الكفر فهو اعظم الكفر وان كان فيا دون الكفر فهو اعظم المعاصي

قوله تعالى (١٠٠) أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

النبد طرحك الشيء عن يدك امامك او خلفك والتابذة انتباز الفريقين للحرب وتابذناهم الحرب المشوذون هم الاولاد الذين يطرحون والتابذة في البيع منهي عنها وهو كالرمي كأنه اذا رمى به وجب البيع له وسمي التبيذ تبيذا لأن التمر كان يلقى في الجرة وغيرها وقيل معنى نبذه تركه وقيل أقاءه قال ابو الاسود الدؤلي

نَظَرْتُ إِلَى عُزْوَانِهِ فَنَبَذْتُه كَتَبْتُكَ تَعْلًا خَلَّفْتُ مِنْ نَعْمًا لَنَا

﴿ الاعراب ﴾

الواو في قوله او كلما عند سبويه واكثر التجوين واو العطف الا ان الف الاستنهام دخلت عليها لأن لها صدر الكلام وهي ام حروف الاستنهام بدلالة ان هذه الواو تدخل على هل تقول وهل زيد عالم لأن الف اقوى منها وقال بعضهم يحتمل ان تكون زائدة كزيادة الفاء في قولك افان الله ليفعلن والاول اصح لأنه لا يحكم على الحرف

بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة ونصب كما على الظرف والعامل فيه نبذ ولا يجوز ان يعمل فيه عاهدوا لأنه متمم لما اما صفة واما صفة

﴿المعنى﴾

اخبر الله سبحانه عن اليهود ايضا فقال «اوكلما عاهدوا» الله «عهدا» اراد به العهد الذي اخذه الانبياء عليهم ان يؤمنوا بالنبي الامي عن ابن عباس وكلما لفظ يقتضي التكرار فيقتضي تكرار النقص منهم وقال عطاء هي اليهود التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين اليهود فنقضوا كتمل قريظة والنضير عاهدوا ان لا يمينوا عليه احداً فنقضوا ذلك واعانوا عليه قريشاً يوم الحندق «نبذهم فريقتهم» اي نقضه جماعة منهم «بل اكثرهم» اي اكثر الماهدين «لا يؤمنون» ولا تعود الماء والميم الى فريقتهم اذ كانوا كلهم غير مؤمنين فاما الماهدون فمنهم من آمن كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما فاما وجه دخول بل على قوله بل اكثرهم فانه لامرين ﴿احدهما﴾ انه لما نبذهم فريقتهم دل على ان ذلك الفريق كفر بالنقض فقال بل اكثرهم كفار بالنقض الذي فعلوه وان كان بعضهم نقضه جهلا وبعضهم نقضه عنادا والثاني انه اراد كفر فريقتهم بالنقض وكفر اكثرهم بالجحد للحق وهو امر النبي صلى الله عليه وآله وما يلزم من اتباعه والتصديق به

قوله تعالى (١٠١) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (آية)

﴿الاعراب﴾

لما في موضع نصب بأنه ظرف ويقع به النبي. يوقع غيره والعامل فيه نبذ ومصدق رفع لأنه صفة لرسول لأنها نكرتان ولو نصب لكان جائزا لأن رسول قد وصف بقوله من عند الله فلذلك يحسن نصبه على الحال الا انه لا يجوز في القراءة الا الرفع لأن القراءة سنة متبعة وموضع ما جر باللام ومع صلة لها والتأصب لمع معنى الاستقرار والمعنى لا استقر معهم

﴿المعنى﴾

«ولا جاءهم» اي ولا جاء اليهود الذين كانوا في عصر النبي (ص) «رسول من عند الله» يعني محمدا (ص) عن اكثر المفسرين وقيل اراد بالرسول الرسالة كما قال كثير

فَقَدْ كَذَّبَ الْوَأَشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ يَلِيَّ وَمَا أَرْسَلْتَهُمْ بِرَسُولٍ

قال علي بن عيسى وهذا ضعيف لأنه خلاف الظاهر قليل في الاستعمال وقوله «مصدق لما معهم» يحتمل امرين ﴿احدهما﴾ انه مصدق لكتبهم من التوراة والانجيل لأنه جاء على الصفة التي تقدمت بها البشارة (والثاني) انه مصدق للتوراة بأنها حق من عند الله لأن الاخبار هاهنا انما هو عن اليهود دون النصارى والاول احسن لأن فيه حجة عليهم وقوله «نبذ فريقتهم من الذين اوتوا الكتاب» اي ترك والتي طائفة منهم وانما قال من الذين اوتوا الكتاب ولم يقل منهم وقد تقدم ذكرهم لأنه يريد به علماء اليهود واعاد ذكرهم لاختلاف المعنى وقيل انه لم يكن منهم للبيان لما طال الكلام وقوله «كتاب الله» يحتمل ان يريد به التوراة ويحتمل ان يريد به القرآن وقوله «وراظهورهم» كناية عن تركهم العمل به قال الشعبي هو بين ايديهم يقرونه ولكن نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينة ادرجوه في الحرير والديباغ وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ هذا اذا حمل الكتاب على التوراة وقال ابو مسلم لما جاءهم الرسول بهذا الكتاب فلم يقبلوه صاروا نابذين للكتاب الاول ايضا الذي فيه البشارة به وقال السدي نبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت يعني انهم

تركوا ما تدل عليه التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وآله وقال قتادة وجاعة من اهل العلم ان ذلك الفريق كانوا معاندين وانما ذكر فريقاً منهم لأن الجمع العظيم والجم التغير والعدد الكثير لا يجوز عليهم كتابان ما علموه مع اختلاف المسم وتشتت الآراء وتباعد الاهواء لأنه خلاف المؤلف من العادات الا اذا كانوا عدداً يجوز على مثلهم التواطؤ على الكتابين وقوله «كانهم لا يعلمون» اي لا يعلمون انه صدق وحق والمراد انهم علموا وكتبوا بنياً وصاداً وقيل المراد كأنهم لا يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب وقيل المراد كأنهم لا يعلمون ما في كتابهم اي حلوا محل الجاهل بالكتاب

قوله تعالى (١٠٢) وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِإِذْنِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي ولكن الشياطين كفروا ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف النون من لكن ورفع الاسم بعدها والباقون بالتشديد وروي في الشواذ على الملكين بكسر اللام عن ابن عباس والحسن

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اعلم ان لكن لا نعلم شيئا على مثاله في الاسماء ولا في الافعال وهي مثل ان في انها متعقبة ثم تخفف الا ان إن وأن اذا خففتا فقد ينصب بهما كما كان ينصب بهما مثقتين وإن كان غير الاعمال اكثر ولم نعلم ان احد احكى النصب في لكن اذا خففت فيشبه ان والنصب لم يجزى في هذا الحرف مضغنا ليكون ذلك دلالة على ان الاصل في هذه الحروف ان لا تعمل اذا خففت لزوال اللفظ الذي به شابه الفعل في التخفيف ولكن وان لم يشابه الفعل فإن فيه ما يشبه الفعل اذا فصلته كقولهم اراك متنفذا اريد أن تنفخ مثل كتف فقد مر منفصلا ثم خفف كذلك يقدر في لكن الانفصال فيشبه ليت وان

﴿ اللفظة ﴾

اتبعه اقتدى به وتتلو معناه تتبع لأن التالي تليع وقيل معناه تقرأ من تلاوت كتاب الله اي قرأته قال الله تعالى هنالك تتلوا كل نفس ما اسلفت اي تسبق وقال حسان بن ثابت

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

والسحر والكهانة والحلية نظائر يقال سحره يسحره سحرا وقال صاحب العين السحر عمل يقرب الى الشياطين ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن ان الأمر كما ترى وليس الأمر كما ترى والجمع الأخذ فالسحر عمل خفي لحفاء سببه بصور الشيء بخلاف صورته ويقبله عن جنسه في الظاهر ولا يقبله عن جنسه في الحقيقة الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسمى والسحر الغذاء قال امرؤ القيس

أَرَأَيْتَ مَوْضِعَيْنِ لِحْتَمٍ غَيْبٍ وَنُسْحَرٍ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ

والسحر ايضا الرثة يقال للجبان انتفخ سحره والفتنة والامتحان والاختبار نظائر يقال فتنته فتنة وافتته

قال اعشى همدان في اللتين

لَقَدْ فَتَنَّتْنِي وَهِيَ بِالْأَمْسِ أَقْتَنَتْ سَعِيداً فَأَمْسَى قَدْ قَلَا كُلُّ مُسْلِمٍ

وقفت الذهب في النار اذا اختبرته فيها لتعلم اخالص هو ام مشوب فقيل لكل ما احميته في النار فتنة وفتنت
الحبزة في النار انضجتها ومنه قوله يوم هم على النار يفتنون اي يشوون وتعلم قد تكون بمعنى اعلم كما قيل علمت
واعلمت بمعنى وكذلك فهمت وافهمت قال كعب بن زهير

تَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعَيْدًا مِنْكَ كَأَلَا خَذِرٍ بِأَيْدِي

وقيل ان بينهما فرقا فمعي تعلم تسبب الى ما به تعلم من النظر في الادلة وليس في اعلم هذا المعنى فتدقيق
ذلك لا يعلم بلا تأمل كقولك اعلم ان الفعل يدل على الفاعل وان لم يسبق الحدثُ مُحدث وتقول في الاول
تعلم النحر والفقه والمرء تأنيث المرأة ويقال مرة بلا الف والضرر والالم والاذى نفاثر والضر نقيض النفع يقال
ضره يضره ضرا واضر به اضرا واضطره اليه اضطارا قال صاحب العين الضر والضر لثان فاذا ضمت اليه
النفع فتحت الضاد والضرير الذاهب البصر من الناس يقال رجل ضرير بين الضرارة وفي الحديث لا ضرر ولا ضرار
وضرير الوادي جانباه وكل شيء دنا منك حتى يزعمك فقد اضر بك واصل الباب الانتقاص والاذن في اللغة على
ثلاثة اقسام ﴿احدها﴾ بمعنى العلم كقوله فاذنوا بحرب من الله اي فاعلموا وقال الخطيب

أَلَا يَا هِنْدُ إِنْ جَدَدْتِ وَصَلَاً وَإِلَّا فَأَذِنِي بِأَنْصِرَامٍ

و (الثاني) بمعنى الاباح والاطلاق كقوله تعالى فانكحروهن باذن اهلن والثالث بمعنى الامر كقوله تله على قلبك
باذن الله والنفع والمنفعة واللذة نفاثر وحد النفع هو كل ما يكون به الحيوان ملتنا اما لانه لذة او يودي الى
لذة وحد الضرر كل ما يكون به الحيوان اما لانه الم او يودي الى الم والحلاق النصيب من الخير قال امية بن ابى الصلت
يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ فِيهَا لَا خَلَقَ لَهُمْ إِلَّا سَرَائِلَ مِنْ قَطْرِ وَأَعْلَالِ

﴿الاعراب﴾

قوله ما تتلو فيه وجهان احدهما ان تكون تتلو بمعنى تلت وانما جاز ذلك لا علم من اتصال الكلام بمهد
سليان فيمن قال ان المراد على عهد ملك سليمان او في زمن ملك سليمان او بملك سليمان فيمن لم يقدر حذف المضاف
فدل ذلك على ان مثال المضارع اريد به الماضي قال سيويه قد تقع يفعل في موضع فعل كقول الشاعر
وَلَقَدْ أَمْرٌ عَلَى اللَّيْمِ يَسْنِي فَمَضَيْتُ نَمَةً قُلْتُ لَا يَعْنِينِي
والوجه الآخر ان يكون يفعل على بابه لا يريد به فعل ولكنه حكاية حال وان كان ماضيا كقوله واذا
نحيناكم من آل فرعون يسومونكم فيسومونكم حكاية الحال في الوقت الذي كانت فيه وان كان آل فرعون
منقرضين في وقت هذا الخطاب ومن هذا ما انشده ابن الاعرابي

جَارِيَةٌ فِي رَمَضَانَ الْمَاضِي نَقَطَعَ الْحَدِيثَ بِالْإِيمَانِ

وقوله وما انزل ذكر في ما ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انه بمعنى الذي وانزل صلته وموضعه نصب بكونه
معطوفاً على السحر وقيل انه معطوف على قوله ما تتلو الشياطين (وثانيها) انه بمعنى الذي ايضا وموضعه جر بكونه
معطوفاً بالواو على ملك سليمان (ثالثها) انه بمعنى الجحد والنفي وتقديره وما كفر سليمان ولم يقل الله السحر على
الملكين وبابل اسم بلد لا ينصرف للتعريف والتأنيث وقوله فيتعلمون لا يخلو من احد امرين اما ان يكون الفعل
معطوفاً بالفاء على فعل قبله او يكون خبر مبتدأ محذوف والفعل الذي قبله لا يخلو اما ان يكون كفروا من قوله
ولكن الشياطين كفروا فيجوز ان يكون فيتعلمون معطوفاً عليه لان كفروا في موضع رفع بكونه خبر لكن

فعطف عليه بالرفوع وهو قول سيويه فاما يعلمون فيجوز ان تكون في موضع نصب على الحال من كفروا اي كفروا في حال تعليمهم ويجوز ان يكون بدلا من كفروا لان تعليم الشياطين كفر في المعنى واذا كان كذلك جاز البدل فيه اذا كان اياه في المعنى كما كان مضاعفة العذاب لما كان لي الاثم في قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب جاز ابداله منه واما ان يكون الفعل الذي عطف عليه يتعلمون قوله يعلمون وهو قول القراء وانكر الزجاج هذا القول قال لأن قوله منها دليل على التعلم من الملكين خاصة قال ابو علي فهذا يدخل على قول سيويه ايضا كما يدخل على قول القراء لأنها جميعاً قالوا بعطفه على فعل الشياطين قال وهذا الاعتراض ساقط من جهتين احدهما ان التعلم وان كان من الملكين خاصة فلا يمتنع ان يكون قوله فيتعلمون عطف على كفروا وعلى يعلمون وان كان متعلقاً بها وكان الضمير في منها راجعاً الى الملكين فان قلت كيف يجوز هذا وهل يسوغ ان يقدر هذا التقدير ويلزمك ان يكون النظم ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منها فتضمر الملكين قبل ذكرهما والاضمار قبل الذكر غير جائز واذا لم يكن في هذا القول الاضمار قبل الذكر وكان ذلك غير جائز لم ان لا تمييز العطف على واحد من الفعلين اللذين هما كفروا ويعلمون بل تعطفه على فعل مذكور بعد ذكر الملكين كما ذهب اليه ابو اسحاق الزجاج فانه عطف على ما يوجب معنى الكلام عند قوله فلا تكفر اي فيأبون فيتعلمون او على يعلمان من قوله وما يعلمان من احد لانها فعلان مذكوران بعد الملكين فالجواب اما النظم فانه على ما ذكرته وهو صحيح واما الاضمار قبل الذكر فإن منها في قوله فيتعلمون منها اذا كان ضميراً عائداً الى الملكين فان اضمارها بعد تقدم ذكرها وذلك سائغ جاز ونظيره قوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات لما تقدم ذكره اضمر اسمه ولو قال ابتلى ربه ابراهيم لم يميز لكونه اضماراً قبل الذكر وهذا بين جدا فالاعتراض بذلك على سيويه والقراء ساقط واما الجهة الاخرى التي يسقط منها ذلك فهي انه قد قيل في قوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر ثلاثة اقوال يأتي شرحها في المعنى قولان منها تعلم السحر فيهما من الملكين وقول منها تعلمه من الشياطين فيكون نظم الكلام على هذا ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منها وما انزل على الملكين ببابل اي لم يقل وما يعلمان من احد اي وما يعلم هاروت وماروت من احد فهما على هذا القول لا يرجع الى الملكين انما يرجع الى هاروت وماروت اللذين هما الشياطين في المعنى فاما حمل الكلام على التثنية والشياطين جمع فساوغ يجوز ان يحمل على المعنى فيجمع وعلى لفظ هاروت وماروت فيثنى ونظيره قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ثم قال فاصلحوا بينهما فان بفت احدهما على الاخرى ويجوز ان يكون يتعلمون معطوفا على يعلمان من قوله وما يعلمان من احد فيكون الضمير الذي في يتعلمون لاحد الا انه جمعه لما حمل على المعنى كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين فاما جواز عطفه على ما ذكره الزجاج من قوله وقيل ان يتعلمون عطف على ما يوجب معنى الكلام لأن المعنى انما نحن فتنه فلا تكفر فيأبون فيتعلمون وهذا قول حسن فهو قول القراء قال ابو علي وهو عندي جائز لأنه من الضمير الذي فهم للدلالة عليه واما كونه خيراً للببتدا المحذوف فعلي ان تقديره فهم يتعلمون منها وذلك غير ممتنع وقد قيل في قوله منها ان الضمير عائد الى السحر والكفر قاله ابو مسلم قال لأنه تقدم الدليل عليها في قوله كفروا وهذا كقوله سبحانه سيذكركم من يخشى ويتجنبها الا شئ اي يتجنب الذكر وقوله ولقد علموا لمن اشتراه قال الزجاج دخول اللام على قد على جهة القسم والتوكيد وقال النحويون في قوله لمن اشتراه قولان جعل بعضهم من بمعنى الشرط وجعل الجواب ماله في الآخرة من خلاق وهذا ليس بموضع شرط وجزاء ولكن المعنى ولقد علموا الذي اشتراه ماله في الآخرة من خلاق كما تقول والله لقد علمت للذي جاءك ما له من عقل انتهى كلام الزجاج واقول فموضع من وقع بالابتداء وموضع ماله في الآخرة من خلاق رفع على انه خبر الابتداء وهذا قول سيويه فاللام في قوله لمن اشتراه لام الابتداء دون القسم لأن هذه اللام قد تكون تأكيداً لغير القسم واللام مع الجملة التي بعدها في موضع نصب بعلموا كما ان

الاستفهام كذلك في نحو علمت أزيد في الدار ام عمرو وهذا هو المسمى تعليقا قال ابو علي قول من قال ان من جزء بعيدا لانه اذا كان جزءا فاللام في من اشتراه سبب دخوله القسم كالتي في قوله ولما اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلكم واذا شئنا لنذهبن فيقتضي ذلك قسا والقسم الذي يقتضيه قوله من اشتراه اذا حملت من على انه جزء لا يخلو من ان يكون علموا لأن العلم والظن قد يقامان مقام القسم كما في قوله

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِّي
إِنَّ الْمُنَايَا لَا تَخِيشُ سَهْمَهَا

وقوله وظنوا ما لهم من محيص او يكون مضمر بين قوله علموا وقوله من اشتراه ويبعد ان يكون علموا قسا وقوله من اشتراه جوابها هنا لأنه في هذا الموضع محلوف عليه المقسم عليه لا يكون قسا لأنه يلزم من هذا ان يدخل قسم على قسم لأن في اول الكلام قسا وهو المضمر الجالب للام في لقد فهذا هو القسم الاول والثاني هو الذي يدل عليه هذا القسم الاول المضمر وهو قد علموا اذا اجبت باللام فيمن جمله ابتداء وبالتالي فيمن جعل من جزءا ودخول القسم على القسم يبعد عند سيويه ولا يسوغ فمن اجل هذا بعد عنده ان يكون علموا هنا مقولة القسم وان يجاب بجوابه قال سيويه والحليل لا يتقوى ان تقول وحقك وحتى زيد لأفعلن والواو الثاني واو قسم لا يجوز الا مستكرها لأنه لا يجوز هذا في محلوف عليه الا ان يضم الآخر الى الاول ويختلف بها على المحلوف عليه ولهذا جعل هو والحليل الحرف في قوله والليل اذا يمشي والنهار اذا تجلجى وما خلق الذكر والانثى للطف دون القسم فلماذا حمل اللام في من اشتراه على انها لام ابتداء دون قسم وليست كاللام الاخرى في انها تقتضي قسا لا محالة في نحو قولهم لعمرك لأفعلن كذا فلا يلزم على ما تأوله دخول قسم على قسم ويبعد ايضا ان يكون القسم مضمرين قوله ولقد علموا وبين ان اشتراه لأن علموا يقتضي مفعوليه واذا وقع قسم بينه وبين مفعوليه لم يجب وكان لغوا كما انه في نحو قولك زيد والله منطلق وان تأتني والله اتيتك لغوا لانه لو اجاب له ولأنه لو اجيب للزم اعتداد علمت عليه فصار القسم في موضع نصب لوقوعه موقع مفعولي علمت وذلك يمتنع لأنك لو جعلته في موضع مفعوليه لأخرجه عما وضع له لأنه اذا وضع ليوم كد به غيره فلو جعلته في موضع المفعولين لأخرجه عن ان يكون تأكيدا لتعبيره وجملة قائما بنفسه ولو جاز ان يكون في موضع مفعولي علمت لجاز ان يوصل به ويوصفه التكررة وهذا يمتنع فمعلوم اذا ان القسم بعد علمت لا يلزم ان يكون له جواب فاضار القسم بعد علموا غير جاز لأنه ليس يجوز الا ان يكون له جواب يدل عليه اذا حذف كما يدل ليفعلن ونحوه من الجواب على القسم المحذوف فاذا لم يجز ان يكون له جواب لم يجز حذفه وادارته فقد بعد ايضا ان يكون القسم مضمر بعد علمت فلما كان علموا مقصدا عليه في هذا الموضع فاذا جعلت من بغير معنى الذي لزم ان تكون علمت قسا ويكون قوله ما لهم في الآخرة من خلاق جوابه وكان دخول القسم على القسم غير سائغ عند سيويه وحمل اللام في من على انه لام الابتداء ومن بمعنى الذي لتلا يلزم ما لا يستحسنه ولا يستجيزه من دخول قسم على قسم فذهب سيويه في هذا هو البين

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من انه نبذ فريق من اليهود كتاب الله الذي في ايديهم وراء ظهورهم فقال «أتبعوا ما تلتوا الشياطين» واختلف في المعنى بقوله واتبعوا على ثلاثة اقوال ﴿أحدها﴾ انهم اليهود الذين كانوا على عهد النبي (ص) عن الربيع وابن اسحاق والسدي (وثانيها) انهم اليهود الذين كانوا في زمن سليمان عن ابن عباس وابن جريج (وثالثها) ان المراد به الجميع لأن متبعي السحر لم يزالوا منذ عهد سليمان الى أن بعث محمد (ص) وروي عن الربيع أن اليهود سألوا محمدا (ص) زمانا عن التوراة لا يسألونه عن شي من ذلك الا انزل الله عليه ما تسألوا عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا اعلم بما انزل علينا منا وانهم سألوه عن السحر وخصموا به فانزل الله تعالى واتبعوا ما تلتوا الشياطين الآية اي اقتدوا بما كانت تلتوا الشياطين اي تتبع وتعمل به عن ابن عباس

وقيل معناه تقرأ من عطا وقتادة وقيل معناه تكذب عن ابي مسلم يقال تلا عليه اذا كذب قال سبحانه وتعالى ويقولون على الله الكذب وانقولون على الله مالا تعلمون فاذا صدق قيل تلا عنه واذا ابهم جاز الامران واختلف في قوله الشياطين فقيل هم شياطين الجن لانه المستناد من اطلاق هذه اللفظة وقيل هم شياطين الانس المتمردون في الضلالة كما قال جرير

أَيَّامَ يَدْعُونَنِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَيْرِي وَكُنْ يَهُودِيَّيْنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانًا

وقيل هم شياطين الجن والانس وقوله «على ملك سليمان» قيل معناه في ملك سليمان كقول ابي النجم (فهي على الاقبح كمين الاحول) اي في الاقبح ثم ان هذا يحتل معنيين «احدهما» في عهد ملك سليمان (والثاني) في نفس ملك سليمان كما يقال فلان يطمئن في ملك فلان وفي نفس فلان وقيل معناه على عهد ملك سليمان وقال ابو مسلم معناه ما كانت تكذب الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أتزل على الملوكين واما قوله «وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر» بين بهذا ان ما كانت تتلوه الشياطين وتوهمه وترويه كان كفرا اذ برأ سليمان (ع) منه ولم يبين سبحانه بقوله ما تتلو الشياطين على ملك سليمان انها اي شي كانت تتلو الشياطين ثم لم يبين بقوله سبحانه وما كفر سليمان ان ذلك الكفر اي نوع من انواع الكفر حتى قال ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فبين سبحانه ان ذلك الكفر كان من نوع السحر فان اليهود اضافوا الى سليمان السحر وزعموا ان ملكه كان به فبرأه الله منه وهو قول ابن عباس وابن جرير وقتادة واختلف في السبب الذي لأجله اضافت اليهود السحر الى سليمان (ع) فقيل ان سليمان كان قد جمع كتب السحرة ووضعها في خزانته وقيل كتبها تحت كرسية ثلاث يطلع عليها الناس ولا يعلموا بها فلما مات سليمان استخرجت السحرة تلك الكتب وقالوا انما تم ملك سليمان بالسحر وبه سخر الانس والجن والطير وزينوا السحر في اعين الناس بالنسبة الى سليمان (ع) وشاع ذلك في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمان عن السدي وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي جعفر (ع) قال لا هلك سليمان وضع ابليس السحر ثم كتبه في كتاب وطواه وكتب على ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا من ملك سليمان بن داود من ذخائر كتوز العلم من اراد كذا وكذا فليقل كذا وكذا ثم دفعه تحت السرير ثم استناره لهم فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان الا بهذا وقال المؤمنون هو عبد الله ونبيه فقال الله في كتابه واتبعوا ما تتلو الشياطين الآية وفي قوله ولكن الشياطين كفروا ثلاثة اقوال «احدها» انهم كفروا بان استخرجوه من السحر (وثانيتها) انهم كفروا بما نسبوه الى سليمان من السحر (وثالثها) انهم سحروا فبعروا عن السحر بالكفر وفي قوله يعلمون الناس السحر قولان «احدهما» انهم القوا السحر اليهم فتعلموه (والثاني) انهم دلوه على استخراجهم من تحت الكرسي فتعلموه وقوله «وما أتزل على الملوكين ببابل هاروت وماروت» فيه وجوه «احدها» ان المراد ان الشياطين يعلمون الناس السحر والذي أتزل على الملوكين وانما أتزل على الملوكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه غير ان الشياطين لا عرفوه استعماله وان كان المؤمنون اذا عرفوه اجتنبوه وانتفعوا بالاطلاع على كيفية (وثانيتها) ان يكون المراد على ما ذكرناه قبل من ان معناه واتبعوا ما كذبت به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أتزل على الملوكين اي معها وعلى السحرة كما قال سبحانه ما وعدتنا على رسلك اي معهم وعلى السحرة (وثالثها) ان يكون ما بمعنى النبي والمراد وما كفر سليمان ولا انزل الله السحر على الملوكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من الموحن الذي معناه التقديم ويكون في هذا التاويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس ويكون للملكان اللذان نفي عنهما السحر جبرئيل وميكائيل عليها السلام لأن سحرة اليهود فيساذكر كانت تدعي ان الله عز وجل انزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل على سليمان فاكذبهم الله في ذلك

ويجوز ان يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله وكنا لحكمهم شاهدين يعني لحكم داود وسليمان ويكون على هذا قوله «وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن فتنة» راجعا الى هاروت وماروت ومعنى قولها انما نحن فتنة «فلا تكفر» يكون على طريق الاستهزاء والتأجيز لا على سبيل النصيحة والتحذير ويجوز على هذا التأويل ايضا الذي يتضمن التني والجحد ان يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفي عنها ازال السحر ويكون قوله وما يعلمان راجعا الى قبيلتين من الجن والانس او إلى شياطين الجن والانس فيحسن التثنية لهذا وروي هذا التأويل في حمل ما على النبي عن ابن عباس وغيره من المفسرين وحكي عنه ايضا انه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين لانا كلنا ملكين وعلى هذه القراءة لا ينكر أن يرجع قوله وما يعلمان من احد اليها ويمكن على هذه القراءة في الآية وجه آخرون لم يحمل قوله وما انزل على الملكين على الجحد والتني وهو أن يكون هو لا الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلوه الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ما انزل على الملكين من السحر ولا يكون الا تزال مضافا الى الله تعالى وان اطلق لأنه جل وعز لا يتزل السحر بل يكون انزله اليها بعض الضلال ويكون معنى انزل وان كان من الارض حمل اليها لامن السماء انه اتى به من نجد البلاد واعاليها فإن من هبط من النجد الى النور يقال نزل واختلف في بابل فقيل هي بابل العراق لأنه تبيلت بها الألسن عن ابن مسعود وقيل هي بابل دماوند عن السدي وقيل هي من نصيبين الى راس العين وماروت قيل هما رجلان على ما تقدم بيانه وقيل هما ملكان من الملائكة اهبطها الله الى الارض على صورة الانس لثلاثين نفرا منها اذا كلنا على صورة الملائكة واختلف في سبب هبوطها فقيل ان الله اهبطها ليأمر بالدين وينها عن السحر ويفرقا بينه وبين المعجز لأن السحر كان كثيرا في ذلك الوقت ثم اختلف في ذلك فقال قوم كانوا يعلمان الناس كيفية السحر وينها عن فعله ايكون النهي بعد العلم فان من لا يعرف الشيء لا يمكنه اجتنابه وقال آخرون لم يمكن لها تعلم السحر لما في ذلك من الاعراء بفعله وانما اهبطها لمجرد النهي اذ كان السحر فاشيا وقيل ايضا في سبب هبوطها ان الملائكة تعجبت من معاصي بني آدم مع كثرة نعم الله عليهم فقال طائفة منهم ياربنا أما تقض بما يعمل خلقك في ارضك وما يقترون عليك من الكذب والزور ويرتكبونه من المعاصي وقد نهيتهم عنها وهم في قبضتك وتحت قدرتك فأحب الله سبحانه ان يعرفهم ما من به عليهم من عيب خلقهم وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم به من الذنوب فقال لهم انديوا منكم ملكين حتى اهبطها الى الارض واجعل فيهما من طبائع الطعام والشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد آدم ثم اختبرهما في الطاعة لي قال فنديوا لذلك هاروت وماروت وكانا من اشد الملائكة قولا في العيب لولد آدم واستجار عتب الله عليهم قال فاروح الله اليها ان اهبطها الى الارض فقد جعلت فيكما من طبائع الطعام والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد آدم وانظرا ان لا تكسرا في شينا ولا تقتلا النفس التي حرم الله قتلها ولا تزنيا ولا كسريا الحمر ثم اهبطها الى الارض على صورة البشر ولباسهم فرفع لها بنا مشرفا فاقبلنا نحوه فاذا امرأة جميلة حسنة اقبلت نحوهما فوقعت في قلوبهما موقعا شديدا ثم انهما ذكرا ما نهيا عنه من الزنا ففضيا ثم حركتهما الشهوة فرجعا اليها فراوداهما عن نفسها فقالت ان لي ديننا ادين به ولست اقدر في ديني على ان اجيبكما الى ما تريدان الا ان تدخلنا في ديني فقالا وما دينك فقالت لي إله من عبده وسجد له كان لي السبيل الى ان اجيبه الى كل ما سألتني قالا وما أهلك قالت هذا الصم قال فانتسرا بينهما فقلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك الى ما سألت قالت فدونيكما فاشربا الحمر فإنه قربان لكما عنده وبه تصلان الى ما تريدان فقالا هذه ثلاث خصال وقد نهانا ربنا عن الشرك والزنا وشرب الحمر فانتسرا بينهما ثم قالا لها ما اعظم البلية بك قد اجبتك قال فاشربا الحمر وسجدا للصم ثم راوداهما عن نفسها فلما تهيأت لها دخل عليهما سائل يسأل فلما رأياه فرعا منه فقال لها انكما لمريان قد خلوتما بهذه المرأة الحسنة انكما

لرجلا سوء وخرج عنها فقالت لهما بادرا الى هذا الرجل فاقتلاه قبل ان يفضحكما ويفضحنى ثم دونكما فاقضيا حاجتكما وانما مطمئنان آمنان قال ققاما الى الرجل فادركاه فقتلاه ثم رجعا اليها فلم يرياها وبدت لهما سواتهما ونزع عنها ريشهما وسقط في ايديهما فاوحى الله تعالى اليهما انما اهبطتكما الى الارض ساعة من نهار فعصيتاني باربع معاص قد نهيتكما عنها وتقدمت اليكما فيها فلم تراقباني ولم تستجيا مني وقد كنتا اشد من ينقم على اهل الارض من المعاصي فاخترارا عذاب الدنيا او عذاب الآخرة قال فاخترارا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس السحر بارض بابل ثم لما علما الناس رفعا من الارض الى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء الى يوم القيامة هذا الخبر رواه العياشي مرفوعا الى ابي جعفر الباقر (ع) ومن قال بغصة الملائكة عليهم السلام لم يجز هذا الوجه وقوله «وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر» يعني الملكين ما يعلمان احدا والعرب تستعمل لفظة علم بمعنى اعلم اي لا يعرفان صفات السحر وكيئيته حتى يقولوا اي الأبعد ان يقولوا انما نحن فتنة اي محفلان الفتنة بمعنى المحنة والاختبار والابتلاء وانما كانا عنة من حيث التيا الى المكلفين امرا ليتجزوا عنه ويمتنعوا من موافقته وهم اذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطعمانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الفرض في القائه اليك فإنه انما اتى اليك لتجنبه لالتفعله ولا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كثيرا ومعصية كما ان من عرف الزنا لم يأثم بأنه عرفه وانما يأثم بالعمل وقيل ان المراد به نبي تعليمهما السحر والتقدير ولا يعلمان احداً السحر فيقولان انما نحن فتنة فعلى هذا يكون تعليم السحر من الشياطين والنهي عنه من الملكين وقوله فلا تكفر يعني به احد ثلاثة اشياء ﴿احدها﴾ فلا تكفر بالعمل بالسحر (والثاني) فلا تكفر بتعلم السحر ويكون بما امتحن الله عز وجل بالملكين الناس في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والايمان ان يقبل القابل تعلم السحر فيكون يتعلمه كافرا ويتركه المتعلم مؤمنا لأن السحر كان قد كثر وهذا ممكن ان يتمن الله به كما امتحن بالهدى في قوله فن شرب منه فليس مني (والثالث) فلا تكفر بكليهما وقوله «فيتعلمون منهما» اي من هاروت وماروت وقيل من السحر والكفر وقيل اراد بدلا بما علمهم ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم الملكان من النهي عن السحر الى فعله واستعماله كما يقال ليت لنا من كذا وكذا اي بدلا منه وكقول الشاعر

جَمَّتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَطَبَا وَعَلَبَةٌ وَصَرًّا لِاخْتِلَافِ الْمُرْتَمَةِ الْبُرْلُ
وَمِنْ كُلِّ اخْلَاقِ الْكِرَامِ نَيْمَةٌ وَمَسْعِيًّا عَلَى الْجَارِ الْمَجَاوِرِ بِالْأَحْلُ

وقوله «ما يفرقون به بين المرء وزوجه» فيه وجوه ﴿احدها﴾ انهم يوددون احدهما على صاحبه ويغضونه اليه ويؤدي ذلك الى الفرقة عن قتادة (وثانيها) انهم يغفون احد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المؤمن من القيم على دينه فيفرق بينها اختلاف النحلة وتباين الملة (وثالثها) انهم يسعون بين الزوجين بالنسيمة والوشاية حتى يؤول امرهما الى الفرقة والباينة وقوله «وما هم بضارين به من احد الا باذن الله» اي لا يلحقون بغيرهم ضررا الا يعلم الله فيكون على وجه التهديد وقيل معناه الابتغية الله عن الحسن قال من شاء الله منه فلا يضره السحر ومن شاء خلى بينه وبينه فيضره وقوله «ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم» معناه يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم وان كان ينفعهم في الدنيا لأنهم لا قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضررا عليهم وقوله «ولقد علموا لمن اشترى ماله في الآخرة من خلاق» يعني اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم علموا لمن استبدل السحر بدين الله فالهاء في اشتراء كناية عن السحر عن قتادة وجماعة من المفسرين فماله في الآخرة من نصيب وقوله «ولبئس ما شروا به انفسهم» يعني بئس ما باعوا به حظ انفسهم حيث اختاروا التمسك بالسحر وقوله «او كانوا يعلمون» بعد قوله ولقد علموا ذكر فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا او يكون الذين علموا الشياطين او الذين خبرتعالى عنهم بأنهم

نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر (وثبتها) أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا الا أنهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ووضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من العقاب الدائم (وثالثها) ان تكون الفائدة في نفي العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا كما قال كعب بن زهير يصف ذنبا و غرابا تبعاه ليصيان من زاده
إِذَا حَضَرَ أَيْ قُلْتُ كَو تَعَلَّمَانِيهِ أَلَمْ تَعَلَّمَا أَيْ مِنَ الزَّادِ مُرْمِلٌ

فنتي عنها العلم ثم اثبتته والمعنى في نفيه العلم عنها انها لم يعملوا بما علموا فكانها لم يعلموا وفي هذه الآية دلالة على ان الافعال تختلف باختلاف المقاصد ولذلك كان تعلم السحر لازالة الشبهة والتحرز منه واجتنبه ايمانا وتصديقه واستعماله كفرا واختلف في ماهية السحر على اقوال فقيل انه ضرب من التخيل وصنعة من لطيف الصنائع وقد امر الله تعالى بالتحرز منه وجعل التحرز بكتابه وقاية منه واتزل فيه سورة الفلق وهو قول الشيخ المفيد في مبداه من اصحابنا وقيل انه خدع ومخاريق وتحويلات لاحقيقة لما يخيل الى المسحور ان لها حقيقة وقيل انه يمكن الساحر ان يقلب الانسان حمارا ويقبله من صورة الى صورة وينثى الحيوان على وجه الاختراع وهذا لا يجوز ومن صدق به فهو لا يعرف النبوة ولا يامن ان تكون معجزات الانبياء من هذا النوع ولو ان الساحر والمعزم قدرا على نفع او ضرر وعلما النبي لقدرا على ازالة المالك واستخراج الكنوز من معادنها والغلبة على البلدان بقتل الملوك من غير ان ينالهم مكروه وضرر فلما رأيناهم اسرا الناس حالا واكثرهم مكيدة واحتمالا علمنا انهم لا يقدرون على شي من ذلك فاما ما روي من الاخبار ان النبي صلى الله عليه وآله سحر فكان يرى انه فعل به ما لم يفعله او انه لم يفعل ما فعله فاخبار معتمة لا يلتفت اليها وقد قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن الكفار ان تتبعون الارجلا مسحورا فلو كان للسحر عمل فيه لكان الكفار صادقين في مقالهم حاشا النبي صلى الله عليه وآله من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله فانه حجة الله على خلقه وصفوته على بريته

قوله تعالى (١٠٣) **وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

المثوبة والثواب والأجر نظائر وتقيض المثوبة العقوبة يقال تاب يثوب ثوبا وثوبا واثابه إثابة ومثوبة ومثوبة وثوابا والاصل في الثواب ما رجع اليك من شيء يقال اعترت الرجل غشية ثم نابت اليه نفسه ولذلك سمي الثواب ثوبا لانه العائد الى صاحبه مكافاة لما فعل ومنه التثويب في الأذان وهو ترجيع الصوت يقال ثوب الداعي اذا كرر دعاءه الى الحرب او غيرها ويقال انهزم التوم ثم نابوا اي رجعوا والثوب مشتق من هذا ايضا لأنه تاب لباسا بعد ان كان قطننا او غزلا والثابة الموضع يثوب اليه الناس وفي الشواذ قرأ قتادة لمثوبة بسكون التاء وفتح الواو وهي لغة كما قالوا مشورة ومشورة واجمع العرب على قولهم هذا خير منه وهذا شر منه الا بعض بني عامر فانهم يقولون هذا أخير من ذا وشر من ذا

﴿ الاعراب ﴾

اللام في لمثوبة لام الابتداء وهي في موضع جواب لو لأنها تنبي عن قولك لاثيوا والضمير في انهم عائد الى الذين يتعلمون السحر

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه «ولو أنهم» يعني الذين يتعلمون السحر ويعملونه وقيل هم اليهود «آمنوا» اي صدقوا بحمد صن الله عليه وآله والقرآن «واتقوا» السحر والكفر وقيل جميع المعاصي «لمثوبة من عند الله خير» اي لاثيوا

وثواب الله خير «لو كانوا يعلمون» اي لو كانوا يستعملون ما يعلمونه وليس انهم كانوا يجهلون ذلك كما يقول الانسان لصاحبه وهو يعظه ما ادعوك اليه خير لك لو كنت تعقل او تنظر في العواقب وفي قوله لو كانوا يعلمون وهو خير علموا اولم يعلموا وجهان ﴿احدهما﴾ ان معناه لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك اي علموا ان ثواب الله خير من السحر (والآخر) ان المعنى فيه الدلالة على جهلهم وترغيبهم في ان يعلموا ذلك وان يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب الله الذي ينال بطاعته واتباع مرضاته وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف لأنه نبي ذلك العلم عنهم

قوله تعالى (١٠٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آية)

﴿اللفظة﴾

المراعاة التفقد للشيء في نفسه او احواله والمراعاة والمحافظة والمراقبة نظائر وتقيض المراعاة الاغفال ورعى الله فلانا اي حفظه ورعيت له حقّه وعهده فيمن خلف وارعيته سمي اذا اصنيت اليه وراعيته بعيني اذا لاحظته وجمع الراعي رعا. ورعاة ورعيان وكل من ولي قوما فهو راعيهم وهم رعيته والرعي من الناس الموسى والراعي السائس واسترعاه الله خلقه اي ولاء امرهم ليرعاهم والارعا. الايقاع على اخيك والاسم الرعى والرعا والرعاي سمعك اي استمع ورجل ترعى للذي صنعه وصنعة آبائه الرعاية قال الشاعر (يسوسها ترعى حاف فضل) واصل الباب الحفظ ونظرت الرجل انظره نظرة بمعنى انتظرته وارتقبته

﴿المعنى﴾

لا قدم سبحانه نهى اليهود عن السحر عقبه بالنهي عن اطلاق هذه اللفظة فقال سبحانه «يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا» كان المسلمون يقولون يا رسول الله راعنا اي استمع منا فحرفت اليهود هذه اللفظة فقالوا يا محمد راعنا وهم يلحدون الى الرعونة يريدون به النقيصة والوقيمة فلما عوتبوا قالوا نقول كما يقول المسلمون فنهى الله عن ذلك بقوله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وقال قتادة انها كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء وقال عطاء هي كلمة كانت الانصار تقولها في الجاهلية فنهوا عنها في الاسلام وقال السدي كان ذلك كلام يهودي بعينه يقال له رفاعة بن زيد يريد بذلك الرعونة فنهى المسلمون عن ذلك وقال الباقر عليه السلام هذه الكلمة سب بالعبانية اليه كانوا يذهبون وقيل كان معناه عندهم اسمع لا سمعت وروي عن الحسن انه كان يقرأ راعنا بالتثنية وهو شاذ لا يؤخذ به ومعنى انظرنا يحتمل وجوها ﴿احدها﴾ انتظرنا نفهم ونسبين ماتعلمنا (والآخر) فقها وبين لنا يا محمد (والثالث) اقبل علينا ويجوز ان يكون معناه انظر لنا فحذف حرف الجر وقوله «واسمعوا» يحتمل امرين ﴿احدهما﴾ ان معناه اقبلوا ما يأمركم به من قوله سمع الله لمن حمده وسمع الله دعاءك اي قبله (الثاني) ان معناه استمعوا ما يأتيكم به الرسول عن الحسن «وللكافرين» بحمد القرآن «عذاب اليم» اي موجه قال الحسن والضحاك كل ما في القرآن يا ايها الذين آمنوا فانه نزل بالمدينة

قوله تعالى (١٠٥) مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (آية)

﴿اللفظة﴾

المودة المحبة والاختصاص بالشيء هو الانفراد به وضد الاختصاص الاشتراك ويقال خصه بالشيء يخصه خصا اذا فضله به والخصاص الفرج والخص بيت من قصب او شجر وإنما سمي خصا لأنه يرى ما فيه من خصاصه وكل

خلل او خرق يكون في السحاب او المتخل فهو الحصاصه واصل الباب الانفراد بالشيء . ومنه يقال للفرج الحصاص لانفراد كل واحد عن الآخر من غير جمع بينها ويقال اخصصته بالفائدة واخصصت آياتها كما يقال افردتها وانفردت آياتها

﴿ الاعراب ﴾

الذين كفروا في موضع رفع لأنه فاعل يود والمشركون في موضع جر بالعلف على اهل الكتاب وتقديره ولا من المشركين وقوله ان يتزل في موضع نصب لأنه مفعول يود ومن في قوله من خير زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من احد وموضع من خير رفع ومن في قوله من ربكم لابتداء الناية والتي في قوله من اهل الكتاب للتوزيع والتبيين مثل التي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه ايضا عن اليهود فقال «ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان يتزل عليكم من خير من ربكم» معناه ما يحب الكافرون من اهل الكتاب ولا من المشركين بالله من عبدة الاوثان ان يتزل الله عليكم شيئا من الخير الذي هو عنده والخير الذي تمنوا ان لا يتزله الله عليهم ما اوحى الى نبيه صلى الله عليه وآله واتزله عليه من القرآن والشرايع بنينا منهم وحسدا « والله يختص برحمته من يشاء » وروي عن امير المؤمنين عليه السلام وعن ابى جعفر الباقر عليه السلام ان المراد برحمته هنا النبوة وبه قال الحسن وابو علي والرماني وغيرهم من المفسرين قالوا يختص بالنبوة من يشاء . من عباده « والله ذو الفضل العظيم » هذا خبر منه سبحانه ان كل خير نال عباده في دينهم ودنياهم فإنه من عنده ابتداء منه اليهم وتفضلا عليهم من غير استحقاق منهم لذلك عليه فهو عظيم الفضل ذو المن والطول

قوله تعالى (١٠٦) مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ما ننسخ بضم النون وكسر السين والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ونسأها بفتح النون والسين واثبات الهنزة والباقون بضم النون وكسر السين بلا همز

﴿ الحجة ﴾

اما قراءة ابن عامر ننسخ فلا يخلو من ان يكون افضل لثة في فعل نحو بدأ وابتداء وحل من احرامه واحل او تكون الهنزة للنقل نحو ضرب واضربه ونسخ الكتاب وانسخته الكتاب او يكون المعنى في انسخة الآية وجدتها منسوخة كقولهم احدث زيدا وابخلته والوجه الصحيح هو الاول وهو ان يكون نسخ وانسخ لنتين متفتحين في المعنى وان اختلفتا في اللفظ وقول من فتح النون ابين واوضح فاما نسأها فهي من النسأ وهو التأخير يقال نسأت الابل عن الحوض انساها نسا اذا اخرتها عنه وانتسأت انا اي تأخرت ومنه قولهم انسا الله اجلك ونسأ في اجلك واما القراءة الاخرى فمن النسيان الذي هو بمعنى السهو او بمعنى الترك

﴿ اللثة ﴾

النسخ في اللثة ابطال شيء . واقامة آخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل اي اذهبت وحلت محله وقال ابن دريد كل شيء خلف شيئا فقد انتسخه وانتسخ الشيب الشباب وتناسخ الورثة ان تمت ورثة بعد ورثة واصل الميراث قائم لم يقسم وكذلك تناسخ الازمنة والقرون بعد القرون الماضية واصل الباب الابدال من الشيء . غيره وقال علي بن عيسى النسخ الرفع لشيء . قد كان يلزم العمل به الى بدل منه كتنسخ الشمس بالنقل لأنه يصير بدلا منها في مكانها وهذا ليس بصحيح لأنه ينتقض بن يلزمه الصلاة قائما فمجزع عن القيام فانه يسقط عنه القيام لمجزع

ولا يسمى العجز نسخاً ولا التيام منسوخاً وينتقض ايضاً بين يستبجح الشيء بحكم العقل وورد الشرع بحظره فإنه لا يقال ان الشرع نسخ حكم العقل ولا ان حكم العقل منسوخ واولى ما يجد به النسخ ان يقال هو كل دليل شرعي دل على أن مثل الحكم الثابت بالنص الأول غير ثابت في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الاول مع تراخيه عنه والنسخ في القرآن على ضربين منها أن يرفع حكم الآية وتلاوتها كما روي عن ابي بكر انه قال كنا نقرأ لا ترغبوا عن آياتكم فإنه كفر بكم ومنها ان تثبت الآية في الخط ويرفع حكمها كقوله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فما قبلتم الآية فهذه ثابتة اللفظ في الخط مرتفعة الحكم ومنها ما يرتفع اللفظ ويثبت الحكم كآية الرجم فقد قيل أنها كانت مثقلة فرفع لفظها وقد جاءت اخبار كثيرة بأن اشياء كانت في القرآن فنسخ تلاوتها فنما ما روي عن ابي موسى انهم كانوا يقرأون لو ان لابن آدم واديين من مال لايتنى اليها ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب ثم رفع وعن أنس ان السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا فيهم كتابا بلعوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم ان ذلك رفع وقال ابو عبيدتمنى ننسأها اي نخفيها فلا ننسخها قال طرفه

أُمُونٌ كَأَلْوَابِ الْإِرَانِ نَسَأُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بَرٍّ جَدٍ

اي امضيتها وقال غيره نسات الابل في ظننها انساناً اذا زدتها في ظننها يوماً او يومين وظنوها منعها الما. ونسات الاشية تنساً نساً اذا سمنت وكل سمين ناسى. قال الزجاج وتأويله ان جلودها نسات اي تاخرت عن عظامها وقال غيره انما قيل ذلك لأنها تاخرت في المرعى حتى سمنت ويقال للعصاة النساء لأنها ينسأ بها اي يؤخر ما يساق عن مكانه ويدفع بها الانسان عن نفسه الأذى ونسات ناقتي اذا دفعتها في السير واصل الباب التأخير

﴿الاعراب﴾

ما ننسخ ما اسم ناب مناب ان وهو في موضع نصب بنسخ وانما لزمه التقديم وان كان مفعولاً ومرتباً للمفعول ان يكون بعد الفاعل لتباينه عن حرف الشرط الذي له صدر الكلام ونسخ مجزوم بالشرط ونس جزم لأنه معطوف عليه ونأت مجزوم لأنه جزاء. ومن في قوله من آية للتبويض وقيل هي مزيدة ولفظ ألمها هنا لفظ الاستفهام ومعناه التقرير وتعلم مجزوم بلم لأن حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله

﴿النظم﴾

قال سبحانه في الآية الاولى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم دل بهذه الآية على انه سبحانه لا يخليهم من ازال خير اليهم بخلاف ما تنهاه اعداؤهم فيهم وانه ابدى ينزل عليهم ما هو اصالح لهم عن علي بن عيسى وقيل انه سبحانه لا عاب اليهود باشياء ورد عليهم ما راموا به الطمن في امر نبينا عليه وآله السلام وكان مما طعنوا فيه انه يقول بنسخ كل شريعة تقدمت شريعته فيبين الله سبحانه جواز ذلك ردا عليهم عن ابي مسلم

﴿المعنى﴾

«ما ننسخ من آية» قد ذكرنا حقيقة النسخ عند المحققين وقيل معناه ما نرفع من آية او حكم آية وقيل معناه ما نبدل من آية عن ابن عباس ومن قرأ «او ننسأها» فعناه على وجهين فان لفظ النسي المتقول منه انسى على ضربين ﴿احدهما﴾ بمعنى النسيان الذي هو خلاف الذكر نحو قوله واذكر ربك اذا نسيت (والآخر) بمعنى التارك نحو قوله نسوا الله فأنسيهم اي تركوا طاعة الله فترك رحمتهم او ترك تحليصهم فالوجه الاول في الآية مروى عن قتادة وهو ان يكون محمولا على النسيان الذي هو مقابل الذكر ويجوز ذلك على الأمتبأن يوم مروا بترك قرايتها فيسونها على طول الايام ولا يجوز ذلك على النبي (ص) لأنه يومدي الى التنفير كذا ذكره الشيخ ابو جعفر رحمه الله في

تفسيره وقد جوز جماعة من المحققين ذلك على النبي (ص) قالوا انه لا يوجد في التنزيل لعلته بالصلحة ويجوز ايضا ان ينسبهم الله تعالى ذلك على الحقيقة وان كانوا جمعا كثيرا وجما غفيرا بأن يذم النسيان في قلوب الجميع وان كان ذلك خارقا للعادة ويكون معجزا للنبي (ص) واستدل من حمل الآية على النسيان الذي هو خلاف الذكر وجوز كون النبي صلى الله عليه وآله مرادا به بقوله سبحانه سنقرئك فلا تنسى الاماشاء الله اي الاماشاء الله ان تنساه قال والى هذا ذهب الحسن فقال ان نبيكم أقرى القرآن ثم نسيه وانكر الزجاج هذا القول فقال ان الله تعالى قد نأى النبي (ص) في قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك لتغفري علينا غير بما أنه لا يشاء ان يذهب بما اوحى الى النبي (ص) قال ابو علي القاسمي هذا الذي احتج به علي من ذهب الى ان نسيها من النسيان لا يدل على فساد ما ذهبوا اليه وذلك ان قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك انما هو على ما لا يجوز عليه النسخ والتبديل من الاخبار واقاصيص الأمم ونحو ذلك مما لا يجوز عليه التبديل والذي ينسأه النبي صلى الله عليه وآله هو ما يجوز ان ينسخ من الاوامر والنواهي الموقوفة على الصلحة وفي الاوقات التي يكون ذلك فيها اصليح ويدل على ان نسيها من النسيان الذي هو خلاف الذكر قراءة من قرأ اونسها وهو قراءة سعد بن ابي وقاص وقراءة من قرأ اونسكها وهو المروي عن سالم مولى ابي حذيفة وقراءة من قرأ اونسها وهو المروي عن سعد بن مالك فالقول المراد المحذوف في قراءة من قرأ اونسها مظهر في قراءة من قرأ ننسكها ويبيته ما روي عن الضحاك انه قرأ نسيها ويؤيد ذلك ايضا ما روي من قراءة ابن مسعود ما ننسك من آية اونسها وبه قرأ الاعمش وروي عن مجاهد انه قال قراءة النبي ما ننسخ من آية او ننسك فهذا كله يثبت قراءة من جعل نسيها من النسيان ويؤيد كذا ما روي عن قتادة انه قال كانت الآية تنسخ بالآية وينسى الله فيه من ذلك شيئا والوجه الثاني وهو ان المراد بالنسيان الترك في الآية مروي عن ابن عباس فعلى هذا يكون المراد بنسها نامرأ بتركها اي بترك العمل بها قال الزجاج انما يقال في هذا نسيت اذا تركت ولا يقال فيه انسيت تركت وانما معنى او نسيها او نتركها اي نامرأ بتركها قال ابو علي من فرانسيت بتركت لا يكون مضطحا لأنك اذا انسيت قد نسيت ومن هذا قال علي بن عيسى انما فسره الفسرون على ما يؤول اليه المعنى لأنه اذا امر بتركها فقد تركها فإن قيل اذا كان نسخ الآية رفعها وتركها ان لا تنزل فامعنى ذلك ولم جمع بينهما قيل ليس معنى تركها الا تنزل وقد غلط الزجاج في توهمه ذلك وانما معناه اقرارها فلا ترفع كما قال ابن عباس تركها فلا تبدلها وازافة الترك الى القديم سبحانه في نحو هذا اتساع كقوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون وتركتنا بعضهم يومئذ يموج في بعض اي خلياهم وذلك واما من قرأ اونسها على معنى التأخير قيل فيه وجوه **احدها** ان معناه اونسها فلا تنزلها وتنزل بدلا منها مما يقوم مقامها في الصلحة او يكون اصليح للعباد منها (وثانيتها) ان معناه اونسها الى وقت ثان ونأت بدلا منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها (وثالثها) ان يكون معنى التأخير ان ينزل القرآن فيعمل به ويتلى ثم يؤخر بعد ذلك بان ينسخ فيرفع تلاوته البتة ويمحي فلا تنسأ ولا يعمل بتأويله مثل ما روي عن زر بن حبیش ان ابياً قال له كم تقرءون الاحزاب قال بضعا وسبعين آية قال قد قرأتها ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله اطول من سورة البقرة اورده ابو علي في كتاب الحجة (ورابعها) أن يؤخر العمل بالتاويل لأنه نسخ ويترك خطه مثبتا وتلاوته قرآن يتلى وهو ما حكمي عن مجاهد يثبت خطها ويبدل حكمها والوجهان الاولان عليها الاعتماد لأن الوجهين الاخيرين يرجع معناه الى معنى النسخ فلا يحسن اذ يكون في التثدير محصوره ما ننسخ من آية او ننسخها وهذا لا يصح على ان الوجه الاول ايضا فيه ضعف لأنه لا فائدة في تأخير ما لم يعرفه العباد ولا علموه ولا سمعوه فالاقوى هو الوجه الثاني وقوله «نأت بخير منها او مثلها» فيه قولان **احدهما** نأت بخير منها لكم في التسهيل والتيسير كالأمر بالقتال الذي سهل على المسلمين بقوله الآن خفف الله عنكم او مثلها في السهولة كالعبادة بالتوجه الى الكعبة بعد أن كان الى بيت المقدس عن ابن عباس (والثاني) نأت بخير منها في الوقت الثاني اي هي لكم في الوقت الثاني خير لكم من الاولى في الوقت الاول في

باب الصلحة او مثلها في ذلك من الحسن وقوله «لم تعلم ان الله على كل شيء قدير» قيل هو خطاب للنبي (ص) وقيل هو خطاب لجميع المكلفين والمراد لم تعلم ايها السامع او ايها الانسان ان الله تعالى قادر على آيات وسور مثل القرآن ينسخ بها ما امر فيقوم في النفع مقام المنسوخ وعلى القول الاول معناه لم تعلم يا محمد انه سبحانه قادر على نصرته والانتصار لك من اعدائك وقيل هو عام في كل شيء. واستدل من زعم انه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة المعلومة بهذه الآية قال اضاف الايات بخير منها الى نفسه والسنة لا تضاف اليه حقيقة ثم قال بعد ذلك لم تعلم ان الله على كل شيء قدير فلا بد من ان يكون اراد ما يختص سبحانه بالقدره عليه من القرآن العجز والصحيح ان القرآن يجوز ان ينسخ بالسنة المتطوع عليها ومعنى خيرتها اي اصلح لانها في ديننا وانفع لنا بان نستحق به مزيد الثواب فاما اضافة ذلك اليه تعالى فصحيحة لأن السنة لقا هي بوحيه تعالى وامره فاضاتها اليه كاضافة كلامه وآخر الآية انما يدل على انه قادر على ان ينسخ الآية بما هو اصلح وانفع سواء كان ذلك بقرآن او سنة وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث وانه غير الله تعالى لأن التقديم لا يصح نسخه ولانه اثبت له مثلا والله سبحانه قادر عليه وما كان داخلا تحت القدره فهو فعل والفعل لا يكون الا محدثا

قوله تعالى (١٠٧) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَايٍ وَلَا نَصِيرٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الولي هو القائم بالأمر ومنه ولي عهد المسلمين ودون الله سوى الله قال امية بن ابي الصلت
يَأْتِنْسُ مَا لِكِ دُونََ اللَّهِ مِنْ وَايٍ وَمَا عَلَى حَدِّكَانِ الدَّهْرِ مِنْ بَاقٍ
والنصير الناصر وهو الويد والمقوي

﴿ الاعراب والمعنى ﴾

لم تعلم استفهام تقرير وتثبيت ويؤول في المعنى الى الايجاب فكأنه يقول قد علمت حقيقة كما قال جرير
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ
فهذا خاطب به النبي صلى الله عليه وآله وقيل ان الآية وان كانت خطابا للنبي عليه السلام فالمراد به امته كقوله
يا ايها النبي اذا طلقت النساء ومثله قول الكعبية في مدح النبي عليه السلام
لَجَّ بِتَفْضِيكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فَيْكَ الضَّجَّاجُ وَاللَّجْبُ
وَقِيلَ أَفَرَطْتَ بَلَّ قَصَدْتَ وَلَوْ عَفَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
أَنْتَ الْمُصَفَّى الْمُهَذَّبُ الْمُحْضُ فِي النَّسَبِ إِنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ

فاخرج كلامه مخرج الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله واراد به اهل بيته لأن احدا من المسلمين لا يمتنع مادح النبي عليه السلام ولا يكثر الضجاج واللجب في اطناب القول فيه فكأنه قال لم تعلم ايها الانسان ان الله له ملك السموات والارض لأنه خلقها وما فيها وقوله «وما لكم من» قال ان الآية خطاب للنبي (ص) قال اقبضيد الجمع في الخطاب تنخيا لامره وتعظيما لقدره ومن قال هي خطاب له وللمؤمنين او لهم خاصة فالمعنى ألم تعلموا ما لكم ايها الناس «من دون الله» اي سوى الله «من ولي» يقوم بأمركم «ولا نصير» ناصر ينصركم

قوله تعالى (١٠٨) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (آية)

﴿ اللغة ﴾

السؤال هو ان يطلب امر ممن يعلم معنى الطلب وسواء بالمد على ثلاثة اوجه بمعنى قصد وعدل وبمعنى وسط في قوله الى سواء الجعيم وبمعنى غير في قولك اتيت سواك اي غيرك ومعنى ضل هاهنا ذهب عن الاستقامة قال الاخطل كُنْتُ الْقَدْتِي فِي مَوْجٍ أَكْدَرَ مُزِيدٍ قَدَفَ الْآتِي بِهِ فَضَّلَ ضَالَا لَا
اي ذهب بينا وشالا والسييل والطريق والمذهب نفاذ والجعب السبل

﴿ الاعراب ﴾

أم هذه منقطعة فإن ام على ضربين متصلة ومنقطعة فالمتصلة عديدة الالف وهي مفرقة لا جمته اي كما ان او مفرقة لا جمعه احد تقول اضرب ايهم شئت زيدا ام عمرا ام بكرا كما تقول اضرب احدهم زيدا او عمرا او بكرا والمتقطعة لا تكون الا بعد كلام لأنها بمعنى بل وهزة الاستنهام كقول العرب انها لا بل ام شاء كأنه قال بل أي شاء فقول ام تريدون تقديره بل تريدون ومثله قول الاخطل

كَذَّبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتِ بَوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خِيَالًا

ان تسألوا موصول وصلة في محل نصب لأنه مفعول تريدون كما ان الكاف حرف جر ما حرف موصول سئل موسى جملة فعلية هي صلة ما والموصول والصلة في محل الجر بالكاف والكاف متعلق بتسألوا والجار والمجرور في محل نصب على المصدر ومن قبل في محل نصب لأنه ظرف قوله سئل ومن اسم للشرط في محل الرفع بالابتداء والفاء في قوله فقد ضل سواء السبيل في محل الجزم لأنه جواب الشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الجملتين في محل الرفع لأنه خبر المبتدا

﴿ النزول ﴾

اختلف في سبب نزول الآية فروي عن ابن عباس انه قال ان رافع بن حرملة ووهب بن زيد قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله انتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ونجرتنا انهارا نتبعك ونصدقك فاتزل الله هذه الآية وقال الحسن عني بذلك مشركي العرب وقد سألوا فقالوا ان نؤمن لك حتى تفجر لنا الى قوله او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقال السدي سألت العرب محمدا ان يأتيهم بالله فيروه جبهة وقال مجاهد سألت قريش محمدا ان يجعل لهم الصفا ذبا قال نعم ولكن يكون لكم كاللاندة قوم عيسى عليه السلام فرجعوا وقال ابو علي الجبائي روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله سأله قوم ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كانوا يعبدها ويعلقون عليها الثمر وغيره من الاكولات كما سألو موسى عليه السلام اجعل لنا إلهما كما لهم آلهة

﴿ المعنى ﴾

«ام تريدون» اي بل تريدون «ان تسألوا رسولكم» يعني النبي محمدا «كما سئل موسى» اي كما سأل قوم موسى موسى «من قبل» من الاقتراحات والمعالجات «ومن يتبدل الكفر بالايان» ان من استبدل الجحود بالله وبآياته بالتصديق بالله والاقرار به وبآياته واقتراح المعالجات على النبي (ص) وسأل عما لا يعنيه بعد وضوح الحق بالبراهين «فقد ضل سواء السبيل» اي ذهب عن قصد الطريق وقيل عن طريق الاستقامة وقيل عن وسط الطريق لأن وسط الطريق خير من اطرافه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لا دل الله تعالى بما تقدم على تدبيره لهم فنيا يأتي به من الآيات وما ينسخه واختياره لهم ما هو الاصلح في كل حال قال اما ترضون بذلك وكيف تتغيرون عمالات مع اختيار الله لكم ما يعلم

فيه من الصلحة فاذا اتى بآية تقوم بها الحجة فليس لأحد الاعتراض عليها ولا اقتراح غيرها لأن ذلك بعد صحة البرهان بها يكون تمنا

قوله تعالى (١٠٩) **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (آية)

﴿ اللمة ﴾

الحسد ارادة زوال نعمة المحسود اليه او كراهة النعمة التي هو فيها و ارادة ان تصير تلك النعمة بعينها له وقد يكون تمني زوال نعمة الغير حسدا وان لم يطمع الحاسد في تحول تلك النعمة اليه واشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لأحد واما النبطة فهي ان يراد مثل النعمة التي فيها الغير وان لم يراد زوالها عنه ولا يكره كونها له فهذه غير مذموم والحسد مذموم ويقال حسدته على الشيء احسده حسدا وحسدته الشيء بمعنى واحد ومنه قول الشاعر (يحسد الناس الطلحاما) والصفح والعفو والتجاوز عن الذنب بمعنى ويقال لظاهر جلدة الانسان صفحته وكذا هو من كل شيء ومنه صاحته اي لقيت صفحة كفه صفحة كتي وقولهم صفحت عنه فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه اني لم آخذة بذنبه وابديت له مني صفحة جسيمة والآخر انه لم ير مني ما يقبض صفحته ويقال صفحت الورقة اي تجاوزتها الى غيرها ومنه تصفحت الكتاب وقد يتصفح الكتاب من لا يحسن ان يقرأه

﴿ الاعراب ﴾

من في قوله من اهل الكتاب يتعلق بحذوف تقديره فريق كاننون من اهل الكتاب فيكون صفة لكثير من بعد في محل النصب على الظرف والعامل فيه يرد وكفارا مفعول ثان يرد ومفعوله الاول كم من يردونكم وفي انتصاب قوله حسدا وجهان ﴿احدهما﴾ ان الجملة التي قبله تدل على الفعل الذي هو مصدره وتقديره حسدوكم حسدا كما يقال فلان يتمنى لك الشر حسدا فكأنه قال يحسدك حسدا والآخر ان يكون مفعولا له فكأنه قال يردونكم كفارا لأجل الحسد كما تقول جنته خوفا منه وقوله من عند انفسهم يتعلق بقوله ود كثير لا بقوله حسدا لأن حسد الانسان لا يكون من غير نفسه قال الزجاج وقال غيره يجوز ان يتعلق بقوله حسدا على التوكيد كقوله عز وجل ولا طائر يطير بجناحيه ويحتل وجها آخر وهو ان يكون اليهود قد اضافوا الكفر والمعاصي الى الله تعالى فقال سبحانه تكذبا لهم ان ذلك من عند انفسهم وقوله ماتبين ما حرف موصول وتبين لهم الحق صلته والموصول والصلة في محل الجر باضافة بعد اليه حتى يأتي الله يأتي منصوب باضار ان ومما في محل الجر مجتى والجار والمجرور مفعول فاعفوا واصفحوا

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية في حبي بن اخطب واخيه ابي ياسر بن اخطب وقد دخلا على النبي صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة فلما خرجا قيل لحبي اهو نبي قال هو هو فقيل فما له عندك قال العداوة الى الموت وهو الذي نقض العهد واثر الحرب يوم الاحزاب عن ابن عباس وقيل نزلت في كعب بن الاشرف عن الزهري وقيل في جماعة اليهود عن الحسن

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر الله سبحانه عن سراير اليهود فقال «ود» اي تمنى «كثير من اهل الكتاب» كحبي بن اخطب وكعب ابن الاشرف وامثالهما «لو يردونكم» يا معشر المؤمنين اي يرجعونكم «من بعد ايمانكم كفارا حسدا» منهم لكم بما اعد الله لكم من الثواب والخير وانما قال كثير من اهل الكتاب لأنه انما آمن منهم القليل كعبد الله بن سلام

وكعب الاجار وقيل انما حسد اليهود المسلمين على وضع النبوة فيهم وذهابها عنهم وزوال الرياسة اليهم وقوله «من عند انفسهم» قد بينا ما فيه في الاعراب وقوله «من بعد ما تبين لهم الحق» اي بعد ما تبين لهم ان محمدا رسول الله والاسلام دين الله عن ابن عباس وقتادة والسدي وقوله «فاعفوا واصفحوا» اي تجاوزوا عنهم وقيل ارسلوهم فانهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه وانما امرهم بالعمو والصفح وان كانوا مضطهدين مهتودين من حيث ان كثيرا من المسلمين كانوا عزيزين في عشايرهم واقوامهم يقدرون على الانتقام من الكفار فامرهم الله بالعمو وان كانوا قادرين على الانتصاف «حتى يأتي الله بأمره» اي بأمره لكم بعقابهم او بما قبلهم هو على ذلك ثم اتاهم بأمره فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون الآية عن ابي علي وقيل بأمره اي بأية القتل والسبي لبني قريظة والجللاء لبني النضير عن ابن عباس وقيل بأمره بالقتال عن قتادة فإنه قال هذه الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وبه قال الربيع والسدي وقيل نسخت بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتمهم وروى عن الباقر (ع) انه قال لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال ولا اذن له فيه حتى نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا وقوله «ان الله على كل شيء قدير» فيه ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انه قدير على عقابهم اذ هو على كل شيء قدير عن ابي علي (وثانيها) انه قدير على ان يدعو الى دينه بما احب مما هو الايق بالحكمة فيأمر بالصفح نارة والعقاب اخرى على حسب المصلحة عن الزجاج (وثالثها) انه لا امر بالامهال والتأخير في قوله فاعفوا واصفحوا قال ان الله قادر على عقوبتهم بان يأمرهم بقتالهم وبما قبلهم في الآخرة بنفسه

قوله تعالى (١١٠) وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (آية)

﴿الاعراب﴾

ما اسم للشرط في موضع رفع بالابتداء وتقدموا شرط من خير من مزيدة الجار والمجرور مفعول تقدموا وتجوده مجزوم لأنه جزاء وعلامة الجزم في الشرط والجزاء سقوط الون ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه مامع الشرط والجزاء في محل الرفع لأنه خبر المبتدأ وما في قوله بما تعملون اسم موصول او حرف موصول والموصول والصلة في موضع جر بالباء والباء متعلق ببصير الذي هو خبر ان

﴿المعنى﴾

لا امر الله سبحانه المؤمنين بالصفح عن الكفار والتجاوز علم انه يشق عليهم ذلك مع شدة عداوة اليهود وغيرهم لهم فامرهم بالاستعانة على ذلك بالصلاة والزكاة فإن في ذلك معونة لهم على الصبر مع ما يجوزون بهامن الثواب والأجر كما قال في موضع آخر واستمينا بالصبر والصلوة وقوله «وما تقدموا لأنفسكم من خير» اي من طاعة واحسان وعمل صالح «تجدوه عند الله» اي تجدوا ثوابه معدا لكم عند الله وقيل معناه تجدوه مكتوبا محفوظا عند الله ليجازيكم به وفي هذه الآية دلالة على ان ثواب الحيرات والطاعات لا يضيع ولا يبطل ولا يحبط لأنه اذا احبط لا تجدونه وقوله «ان الله بما تعملون بصير» اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم سيجازيكم على الاحسان بما تستحقونه من الثواب وعلى الاساءة بما تستحقونه من العقاب فاعملوا عمل من يستيقن انه يجازيه على ذلك من لا يخفى عليه شيء من عمله وفي هذا دلالة على الوعد والوعيد والأمر والزجر وان كان خبرا عن غير ذلك في اللفظ

قوله تعالى (١١١) وَقَالُوا كُنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَأْتِكُمْ أَمَا لَهُمْ قُلُوبٌ يَرَوْنَ بِهَا نَكْمًا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

في هود ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ انه جمع هاند كما نذ وعوذ وعائط وعوط وهو جمع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد والمائد التائب الراجع الى الحق (وثالثها) ان يكون مصدرا يصلح للواحد والجمع كما يقال رجل فطر وقوم فطر ورجل صوم وقوم صوم (وثالثها) ان يكون معناه الامن كان يهودا اخذت اليها الزائدة والبرهان والحجة والدلالة والبيان بمعنى واحد وهو ما يمكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلك وفرق علي بن عيسى بين الدلالة والبرهان بأن قال الدلالة قد تنبى عن معنى فقط لا يشهد بمعنى آخر وقد تنبى عن معنى يشهد بمعنى آخر والبرهان ليس كذلك لأنه بيان عن معنى ينبي عن معنى آخر وقد توزع في هذا الفرق وقيل انه محض الدعوى

﴿ الاعراب ﴾

قالوا جملة فعلية والجملة ظرف مكان لا يدخل والا هاءنا لتقض النبي ومن موصول وهو مع صلته مرفوع الموضع بانه فاعل يدخل ولن يدخل مع ما بعده معمول قالوا وان حرف شرط وجوابه محذوف وتقديره ان كنتم صادقين فها تورا برهانكم

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه نبذا من اقوال اليهود ودعاويهم الباطلة فقال « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى » وهذا على الایجاز وتقديره قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصرارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ووحيد كان لان لفظة من قد يكون للواحد وقد يكون للجماعة وانما قلنا ان الكلام مقدر هذا التقدير لان من المعلوم ان اليهود لا يشهدون للنصارى بالجنة ولا النصرارى لليهود فعلنا انه ادرج الخبر عنها للايجاز من غير اخلال بشي من المعنى فان شهرة الحال تقني عن البيان الذي ذكرناه ومثله قول حسان بن ثابت

أَمِنْ يَهْجُرُ رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ
وَيَمْدُحُهُ وَيَنْصُرُهُ سِوَاهُ

تقديره ومن يمدحه وينصره غير انه لما كان اللفظ واحدا جمع مع الاول وصار كأنه اخبار عن جماعة واحدة وانما حقيقته عن بعضين متفرقين وقوله « تلك امانيتهم » اي تلك المقالة امانيتهم كاذبة يتمنونها على الله عن قسادة والريبع وقيل امانيتهم باطليهم بلغة قريش عن الوردج وقيل معناه تلك اقوالهم وتلاوتهم من قولهم تنبي اي تلا وقد يجوز في العربية امانيتهم بالتخفيف والتثقيب اجود « قل يا محمد هاتوا » اي احضروا وليس بأمر بل هو تعجيز وانكار بمعنى اذا لم يمكنكم الايمان ببرهان يصح مقاتلكم فاعلموا انه باطل فاسد « برهانكم » اي حجتكم من الحسن ومجاهد والسدي « ان كنتم صادقين » في قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وفي هذه الآية دلالة على فساد التقليد الا ترى انه لو جاز التقليد لما امروا بان يأتوا فيما قالوه ببرهان وفيها ايضا دلالة على جواز الحاجة في الدين

قوله تعالى (١١٢) بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (آية)

﴿ اللغة ﴾

اسلم يستعمل في شينين ﴿ احدهما ﴾ اسلمه الى كذا اي صرفه اليه تقول اسلمت الثوب اليه (والثاني) اسلم له بمعنى اخلص له ومنه قوله ورجلا سلما لرجل اي خالصا وقال زيد بن عمرو بن نفيل

أَسْلَمْتُ وَجِيي لِمَنْ أَسْلَمْتُ
لَهُ الْأَرْضُ تُحِيلُ صَخْرًا ثِقَالًا

وَأَسَلْتُمْ وَجْهِي لِمَنْ أَسَلْتُمْ لَهُ الزُّنُوحُ تَحْمِيلُ عَذَابًا زُلَالًا

ويروي واسلمت نفسي والوجه مستقبل كل شيء. ووجه الانسان عيانه ويقال وجه الكلام تشبيها بوجه الانسان لانه اول ما يبذره ويكشف به ويقال هذا وجه الرأي اي الذي يبدو منه ويعرف به والوجه من كل شيء اول ما يبدو فيظهر بظهوره ما بعده وقد استعملت العرب لفظه وجه الشيء. وهم يريدون نفسه لانهم ذكروه باللفظ الأشرف الانبى ودلوا عليه به كما قال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه اي الاله وبيق وجه ربك اي ربك وقال الاشي

وَأَوْلُ الْحُكْمِ عَلِيٌّ وَجْهِي لَيْسَ قَضَائِي يَا هَوَى الْجَائِرِ

اي على ما هو به من الصواب وقال ذو الرمة
فَطَاوَعْتُ هَمِي وَأَنْجَلِي وَجْهٌ نَازِلٌ
يريد وانجلي النازل من الأمر

﴿ الاعراب ﴾

بلى يدخل في جواب الاستفهام مثل قوله الست بركم قالوا بلى ويصلح ان يكون تقديره هنا اما يدخل الجنة احد فقيل بلى من اسلم وجهه لله لأن ما تقدم يقتضي هذا السواء ويصلح ان يكون جوابا للجعد على التكذيب كقولك ما قام زيد فيقول بلى قد قام ويكون التقدير هنا ليس الأمر كما قال الزاعمون لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولكن من اسلم وجهه لله وهو محسن فهو يدخلها ومن اسلم يجوز ان يكون من موصولا ويجوز ان يكون للشرط فيكون اسلم اما صلة له واما مجزوم الموضع بكونه شرطا أو يكون من مبتدأ والفاء في قوله فله اجره للجزاء واللام تتعلق بمحذوف في محل الرفع لأنه خبر لقوله اجره والمبتدأ مع خبره في محل الرفع لوقوعه بعد الفاء والفاء مع ما دخل فيه في محل الجزم ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الشرط والجزاء في محل الرفع بانه خبر المبتدأ وان كان من موصولا فن مع اسلم مبتدأ والفاء مع الجملة بعده خبره وعند ربه ظرف مكان في موضع النصب على الحال تقديره كأننا عند ربه والعامل فيه المحذوف الذي يتعلق به اللام وذو الحال الضمير المستكن فيه وقوله وهو محسن في موضع نصب على الحال وانما قال فله اجره على التوحيد ثم قال ولا خوف عليهم لأن من مفرد اللفظ مجموع المعنى فيحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى

﴿ المعنى ﴾

ثمرد الله سبحانه عليهم مقاتلهم فقال بلى من اسلم وجهه لله قيل معناه من اخلص نفسه لله بان سلك طريق مرضاته عن ابن عباس وقيل وجهه لطاقه الله وقيل فوض امره الى الله وقيل استسلم لأمر الله وخضع وتواضع لله لأن اصل الاسلام الخضوع والانقياد وانما خص الوجه لانه اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه وهو محسن في عمله وقيل وهو مؤمن وقيل مخلص فله اجره عند ربه معناه فله جزاء عمله عند الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وهذا ظاهر على قول من يقول انه لا يكون على اهل الجنة خوف ولا حزن في الآخرة واما على قول من قال ان بعضهم يخاف ثم يأمن فمناهم انهم لا يخافون فوت جزاء اعمالهم لانهم يكونون على ثقة بأن ذلك لا يفوتهم

قوله تعالى (١١٣) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

القيامة مصدر الا انه صار كالعلم على وقت بعينه وهو الوقت الذي يبعث الله عز وجل فيه الخلق فيقومون من قبورهم الى محشرهم تقول قام يقوم قياما وقيامة مثل عاد يعود عيادا وعبادة

﴿ الاعراب ﴾

وهم يتلون جملة من مبتدا وخبر منصوبة الموضع على الحال والعامل قالت وذو الحال اليهود والنصارى والكاف في كذلك يتعلق بيتلون او يقال الذين وتقديره وهم يتلون الكتاب كتلاوتكم او قل الذين لا يعلمون وهم المشركون كتقول اليهود والنصارى ومثل صفة مصدر محذوف تقديره قولاً مثل قولهم

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس انه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وآله اتهم احبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله (ص) فقال رافع بن حرملة ما انتم على شيء وجد نبوة عيسى وكفر بالانجيل فقال رجل من اهل نجران ليست اليهود على شيء وجد نبوة موسى وكفر بالتوراة فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما بين اهل الكتاب من الاختلاف مع تلاوة الكتاب فقال «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء» في تدينهم بالنصرانية «وقالت النصارى ليست اليهود على شيء» في تدينهم باليهودية «وهم يتلون الكتاب» اي يقرأونه وذكر فيه وجهان ﴿احدهما﴾ ان فيه حل الشبهة بانه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الانكار لما لم يوت على انكاره ببرهان فلا ينبغي ان يدخل الشبهة بانكار اهل الكتاب لملء الاسلام اذ كل فريق من اهل الكتاب قد انكر ما عليه الآخر ثم بين ان سيلهم كسيل من لا يعلم الكتاب من مشركي العرب وغيرهم بمن لا كتاب لهم في الانكار لدين الاسلام (والوجه الآخر) الذم لمن انكر ذلك من اهل الكتاب على جهة العناد اذ قد ساوى المماند منهم للحق الجاهل به في الدفع له فلم ينفعه علمه وقوله «كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم» معناه ان مشركي العرب الذين هم جهال وليس لهم كتاب هكذا قالوا الحمد واصحابه انهم ليسوا على شيء من الذين مثل ما قالت اليهود والنصارى بعضهم لبعض عن السدي ومقاتل وقيل معناه ان مشركي العرب قالوا بان جميع الانبياء واممهم لم يكونوا على شيء وكانوا على خطأ فقد ساووكم يمشرون اليهود في الانكار وهم لا يعلمون وقيل ان هؤلاء الذين لا يعلمون اسم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والانجيل كتقوم نوح وعاد وحمود قالوا لانبيائهم لستم على شيء عن عطاء وقيل ان الاصح ان المراد بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اسلاف اليهود المراد بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء هؤلاء الذين كانوا على عهد النبي (ص) لانه حكى قول مبطل لبطل فلا يجوز ان يعطف عليه قول من مبطل لمحق وقوله «فانه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان حكمه بينهم ان يكذبهم جميعا ويدخلهم النار عن الحسن (وثانيتها) ان حكمه فيهم الانتصاف من الظالم المكذب بغير حجة ولا برهان للمظلوم المكذب عن ابي علي (وثالثها) ان حكمه ان يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا وهذا هو الحكم الفصل في الآخرة بما يصير اليه كل فرقة فاما الحكم بينهم في المقعد فقد بينه الله جل وعز فيما اظهر من حجج المسلمين وفي عجز الخلق عن ان ياتوا بمثل هذا القرآن عن الزجاج

قوله تعالى (١١٤) وَمَنْ أَعْظَمُ بِمَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (آيتان) بصري (آية) واحدة عند غيرهم عدا أهل البصرة خائفين آية

﴿ اللثة ﴾

اللتع والصد والحيلولة نظائر ضد اللع الاطلاق يقال منعه فامتنع ورجل منيع اي لا يخلص اليه وهو في مز ومنعة تحنف وتثقل وامرأة منيعة لا تزني التي على فاحشة والسعي والركض والعدو نظائر ضد السعي الوقت وفلان يسعي على عياله اي يكسب لهم وسمى للسلطان اذا ولي امر الصدقة قال الشاعر

سَمِيَ عَقَالًا فَلَمْ يَتْرُكْ لَهَا سَبْدًا فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَمِيَ عَمْرُؤُ عَقَالِينَ

والقتال صدقة عام وساعي الرجل الأمة اذا فجر بها ولا تكون الساعة الا في الاما. والحراب والمهدم والتقتض نظائر والحربة سعة خرق الاذن وكل ثقب مستدير والحارب اللص قال الاصمعي يختص بسارق الابل والحربة سرقة الابل

﴿ الاعراب ﴾

موضع من رفع وهو استفهام واعظم رفع لانه خبر الابتداء وموضع ان نصب على البدل من مساجدهو بدل الاشتمال والتقدير ومن اعظم ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه ويجوز ان يكون موضع ان نصبا على انه مفعول له فيكون تقديره كراهة ان يذكر فيها اسمه ويجوز ان يكون على حذف من وتقديره من ان يذكر وان يدخلوها في موضع رفع بانه اسم كان وقيل ان كان هاهنا مزيدة وتقدير ما لهم ان يدخلوها فلي هذا يكون موضع ان يدخلوها رفعا بالابتداء. والاحرف الاستثناء وهو هنا لتقض النفي وخائفين منصوب على الحال وقوله خزفي مرفوع من وجهين ﴿ احدهما ﴾ الابتداء (والآخر) ان يكون مرفوعا بلهم وقوله في الدنيا الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وذو الحال الضمير المستكن في لهم وكذلك قوله ولهم في الآخرة

﴿ النزول ﴾

اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال ابن عباس ومجاهد انهم الروم غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كانت ايام عمر فاظهر الله المسلمين عليهم وصاروا لا يدخلونه الا خائفين وقال الحسن وقتادة هربضت نصر خرب بيت المقدس واعانه عليه التصاري وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انهم قرئش حين منعا رسول الله (ص) دخول مكة والمسجد الحرام وبه قال البلخي والرماني والجبائي وضمف هذا الوجه الطبري بأن قال ان مشركي قرئش لم يسعوا في تخريب المسجد الحرام وقوله يفسد بأن عبارة المساجد انما تكون بالصلاة فيها وخرابها باللتع من الصلاة فيها وقد وردت الرواية بانهم هدموا مساجد كان اصحاب النبي (ص) يصلون فيها بمكة لاهاجر النبي (ص) الى المدينة قال وهو ايضا لا يتعلق بما قبله من ذم اهل الكتاب كما يتعلق به اذا عني به التصاري وبيت المقدس وجوابه انه قد جرى ايضا ذكر غير اهل الكتاب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون وهذا اقرب لان الكلام اخرج مخرج الذم فمرة توجه الذم الى اليهود ومرة الى التصاري ومرة الى عبدة الاصنام والشركين

﴿ المعنى ﴾

«ومن اعظم» اي واي احد اشد واعظم ظلما «ممن منع مساجد الله» من «ان يذكر فيها اسمه» ويكون معناه لا احد اعظم ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه سبحانه وعمل في اللع من اقامة الجماعة والعبادة فيها واذا حمل قوله مساجد الله على بيت المقدس او على الكعبة فانما جاز جمعه على احد وجهين اما ان تكون مواضع السجود فان المسجد العظيم يقال لكل موضع منه مسجد ويقال لبلنته مسجد واما ان يدخل في هذه اللفظة المساجد التي بناها

المسلمون للصلاة وروي عن زيد بن علي عن أبيه عن علي عليه السلام انه اراد جميع الارض لقول النبي (ص) جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا وقوله «وسعى في خرابها» اي عمل في تخريبها والتخريب اخر اجهم اهل الايمان منها عند الهجرة وقيل هو صدمهم عنها ويجوز حملها على الامرين وقيل المراد المنع عن الصلاة والطاعة فيها وهو السعي في خرابها وقوله او تلك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين» فيه خلاف قال ابن عباس معناه انه لا يدخل نصراني بيت المقدس الا نهك ضربا وابلغ عقوبة وهو كذلك اليوم ومن قال المراد به المسجد الحرام قال لما تزلت هذه الآية امر النبي صلى الله عليه وآله متاديا فنأدى الا لا يجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بهذا البيت عربان فكانوا لا يدخلونه بعد ذلك وقال الجبائي بين الله سبحانه انه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ولا دخول غيره من المساجد فإن دخل منهم داخل الى بعض المساجد كان على المسلمين اخراجه منه الا ان يدخل الى بعض الحكام لحصومة بيته وبين غيره فيكون في دخوله خائفا من الاخراج على وجه الطرد بعد انفصال خصومته ولا يقدر فيه مطمئنا كما يقدر المسلم قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهذا يليق بمذهبنا ويمكن الاستدلال بهذه الآية على ان الكفار لا يجوز ان يكتنوا من دخول المساجد على كل حال فاما المسجد الحرام خاصة فيستدل على ان المشركين يمنعون من دخوله ولا يمكن منه لحكومة ولا غيرها بأن الله تعالى قد امر بمنعهم من دخوله بقوله ما كان للمشركين ان يعمرؤا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر يعني المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال الزجاج اعلم الله سبحانه في هذه الآية ان امر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف الى مساجدهم الا خائفا وهذا كقولهم سبحانه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فكانه قيل او تلك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لا عزاز الله الدين واظهاره المسلمين وقوله «لهم في الدنيا خزي» قيل فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان يراد بالخزي انهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون عن قتادة (وثانيها) ان المراد به القتل وسبي الذراري والنساء ان كانوا حربا واعطاء الجزية ان كانوا ذمة عن الزجاج (وثالثها) ان المراد بخزيهم في الدنيا انه اذا قام المهدي وفتح قسطنطينية فينتدب يقتلهم عن السدي (ورابعها) ان المراد بخزيهم طردهم عن دخول المساجد من ابي علي وقوله «ولهم في الآخرة عذاب عظيم» يعني يوم القيامة يعذبهم الله في نار جهنم بالعذاب الاعظم اذ كانوا من كل ظالم اعظم

قوله تعالى (١١٥) **وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَؤْا فَجِهَةُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِيعُ عِلْمُهُ** (آية)

﴿اللغة﴾

المشرق والمغرب اسمان لمطلع الشمس والقمر وشرقت الشمس اذا طلعت وشرقت اضاءت ويقال لا افعل ذلك ما ذر شارق اي ما طلع قرن الشمس واما التشريق ايام كسريق اللحم في الشمس وفي الحديث لا كسريق الا في مصر او مسجد جامع اي لاصلاة عيد لأن وقتها طلوع الشمس والمغرب والمغرب يعني وهو موضع التروب يقال غربت الشمس تروب اذا غابت واصل التروب الحد والتباعد وغربة التوي بعد المتأني وغرب السيف حده سمي بذلك لأنه يمضي ولا يرد فهو مأخوذ من الابعاد والواسع الغني سمي به لسعة مقدوراته وقيل هو الكثير الرحمة والسعة والفسحة من النظائر وضد السعة الضيق ويقال وسع يسع سعة ووسع الرجل اذا صار ذا سعة في المال

﴿الاعراب﴾

اللام في قوله والله المشرق والمغرب لام الملك وانما وحده المشرق والمغرب لأنه اخرج ذلك مخرج الجنس فدل على الجمع كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم واين بني لتضمته معنى الحرف وانما بُني على الفتح لانتقاء الساكنين وفيه معنى الشرط وتولوا مجزوم بالشرط وجوابه فثم وجه الله وعلامة الجزم في تولوا سقوط النون واين في موضع نصب

لأنه ظرف لقوله توأوا وما في قوله أينما هي التي تعني الكلمة لعمل الجزم ولذلك لم يجازَ بأذٍ وحيث حتى يضم
اليها ما يقال حيثما تكن أكن واذا ما تفعل افعال ولا يقال حيث تكن أكن واذا تفعل افعال ويجوز في أين الجزم
وان لم يدخل ما عليها كقول الشاعر

أَيْنَ تَضْرِبُ بِنَا الْعُدَاةَ تَجِدُنَا
نَضْرِبُ الْعَيْسَ نَحْوَهَا لِلتَّلَاقِي

وتم موضعه نصب لأنه ظرف مكان وبني على التفتح لانتفاء الساكنين وانما بني في الأصل لأنه معرفة وحكم
الاسم المرفوع ان يكون مجرّف فبني تضمنه معنى الحرف الذي يكون به التعريف والعهد الا ترى انتم لا تستعمل
الا في مكان معهود معروف الخاطبك

﴿النزول﴾

اختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل ان اليهود انكروا تحويل القبلة الى الكعبة عن بيت المقدس فتزلت الآية
ردا عليهم عن ابن عباس واختاره الجبائي قال بين سبحانه انه ليس في جهة دون جهة كما تقول المجسمة وقيل كان
للمسلمين التوجه حيث شاءوا في صلاتهم وفيه تزلت الآية ثم نسخ ذلك بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام
عن قتادة قال وكان النبي صلى الله عليه وآله قد اختار التوجه الى بيت المقدس وكان له ان يتوجه حيث شاء وقيل
تزلت في صلاة التطوع على الراحة تصليها حيثما توجهت اذا كنت في سفر واما الفرائض فقوله وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره يعني ان الفرائض لا تصليها الا الى القبلة وهذا هو الروي عن ائمتنا عليهم السلام قالوا وصلى
رسول الله (ص) اياما على راحلته اينما توجهت به حيث خرج الى خيبر وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره
وروي عن جابر قال بعث رسول الله (ص) سرية كنت فيها فاصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت طائفة منا قد عرفنا القبلة
هي ها هنا قبل الشمال فصاروا يخطوا وخطوا وقال بعضهم القبلة ها هنا قبل الجنوب وخطوا فخطوا فاصبحوا وطلعت الشمس
اصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قلنا من سفرنا سألنا النبي (ص) عن ذلك فسكت فأترل الله تعالى هذه الآية

﴿المعنى﴾

«والله الشرق والمغرب» اراد ان الشرق والمغرب لله ملكا وقيل اراد انه خالقهما وصانعها وقيل معناه يتولى
اشراق الشمس من مشرقها وإغرابها من مغربها «فاينما تولوا فثم وجه الله» معناه فاينما تولوا وجوهكم خذف
المفعول للعلم به فثم اي فهناك وجه الله اي قبة الله عن الحسن ومجاهد وقتادة والوجه والجهة والوجهة القبة ومثله
الوزن والزنة والعرب تسمي القصد الذي تتوجه اليه وجها قال الشاعر

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَةً
رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

معناه اليه القصد بالعبادة وقيل معناه فثم الله يعلم ويرى فادعوه كيف توجهتم كقوله تعالى يريدون وجهه اي
يريدونه بالدعاء. ويقال لما قرب من المكان هنا ولما تراخى ثم وهناك وقوله كل شي. هالك الا وجهه اي الالهو
ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك عن الكلبي وقيل معناه فثم رضوان الله يعني الوجه الذي يودي الى رضوانه
كما يقال هذا وجه الصواب عن ابي علي والرماني «ان الله واسع» اي غني عن ابي عبادة وتقديره غني عن طاعتكم
وانما يريدنا لمنافعكم وقيل واسع الرحمة فلذلك رخص في الشريعة عن الزجاج وقيل واسع القدور يفعل ما يشاء.
«علي» اي عالم بوجوه الحكمة فبادروا الى ما امركم به وقيل علي بن ابي طالب رضي الله عنه على ما توجه الحكمة وقيل
علي بن ابي طالب حيثما صليتم ودعوتهم

﴿النظم﴾

ووجه اتصال الآية بما قبلها ان التقدير لا يمتنعكم تخريب من خرب المساجد عن ان تذكروه حيث كنتم من

ارضه فله المشرق والمغرب والجهات كلها عن علي بن عيسى وقيل لا تقدم ذكر الصلاة والمساجد عقبه بذكر القبة وبيانها
قوله تعالى (١١٦) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
كُلٌّ لَّهُ قَانُتُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر قال بغير واو والباقون بالواو

﴿ الحجة ﴾

حذف الواو هنا يجوز من وجهين ﴿أحدهما﴾ ان يستأنف الجملة فلا يعطفها على ما تقدم (والآخر) ان
الجملة التي هي قالوا اتخذ الله ولدا ملازمة بما قبلها من قوله ومن اعظم من منع مساجد الله الآية فان الذين قالوا
اتخذ الله ولدا من جملة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم فيستغنى عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها كما استغنى عنها في نحو
قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ولو كان وهم فيها خالدون كان حسنا

﴿ اللغة ﴾

الاصل في القنوت الدوام ثم تستعمل على وجه منها ان يكون بمعنى الطاعة كقوله كل له قانتون اي مطيعون
ومنها ان يكون بمعنى الصلاة كقوله يا مريم اتقني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين بمعنى طول القيام وروي
جاير بن عبد الله قال سئل النبي (ص) اي الصلاة افضل قال طول القنوت اي طول القيام ويكون بمعنى الدعاء
قال صاحب العين القنوت في الصلاة دعاء بعد القراءة في آخر الترتيد دعوقا ومنه قوله آمن هو قانت آناه الليل
ساجدا او قائما ويكون بمعنى السكوت قال زيد بن ارم كنانة تكلم في الصلاة حتى نزلت وقوم الله قانتين فامسكتنا عن الكلام

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية في النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وقيل نزلت فيهم وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله

﴿ المعنى ﴾

لا يحكى الله سبحانه قول اليهود في امر القبة ورد عليهم قولهم ذكر مقالتهم في التوحيد ادا عليهم قال وقالوا
اتخذ الله ولدا سبحانه اي اجلالا له عن اتخاذ الولد وتزويها عن التبائح والسوء والصفات التي لا تليق به وروي
عن طلحة بن عبيد الله انه سأل النبي (ص) عن معنى قوله سبحانه فقال تزويها لله عن كل سوء بل له ما في السموات
والارض هذا رد عليهم قولهم اتخذ الله ولدا اي ليس الامر كما زعموا «بل له ما في السموات والارض» ملكا والولد
لا يكون ملكا للأب لأن البنوة والملك لا يجتمعان فكيف يكون الملائكة الذين هم في السماء والمسيح الذي
هو في الأرض ولدا له فنبه بذلك على ان المسيح وغيره عبيد له مخلوقون مملوكون فهم بمنزلة سائر الخلق وقيل معناه
بل له ما في السموات والارض فعلا والفعل لا يكون من جنس الفاعل والولد لا يكون الا من جنس ابيه فان من
تبني انسانا فالذي تبناه لا بد من ان يكون من جنسه وقوله «كل له قانتون» قال ابن عباس وبجاهد معناه مطيعون
وقال السدي كل له مطيع يوم القيامة وقال الحسن كل له قائم بالشهادة انه عبده وقال الجبائي كل دائم على حال
واحدة بالشهادة بما فيه من آثار الصنعة والدلالة على الربوبية وقال ابو مسلم كل في ملكه وقهره يتصرف فيه
كيف يشاء لا يمتنع عليه

قوله تعالى (١١٧) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر فيكون بالنصب والباقون بالرفع

﴿ الاعراب والحجة ﴾

قال ابو علي يمنع النصب في قوله فيكون لأن قوله كن وان كان على لفظ الأمر فليس بأمر ولكن المراد به الخبر لأن النبي الذي ليس بكائن لا يومر ولا يخاطب فالتقدير تكون فيكون فاللفظ لفظ الأمر والمراد الخبر كقولهم في التعجب اكرم يزيد فإذا لم يكن قوله كن امرا في المعنى وان كان على لفظه لم يميز ان ينصب الفعل بعد الفاء. بأنه جواب كما لم يجرز النصب في الفعل الذي يدخله الفاء بعد الايجاب نحو آتيتك فاحدثك الا ان يكون في شعر نحو قوله

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَنْزِلُ الذَّلُّ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ فِعْصَمًا

ويدل ايضا على امتناع النصب فيه ان الجواب بالفاء مضارع الجزاء فلا يجوز اذهب فيذهب على قياس قراءة ابن عامر كن فيكون لأن المعنى يصير ان ذهبت ذهبت وهذا الكلام لا يفيد وانما يفيد اذا اختلف الفاعلان والعلان نحو قم فاعطيتك لأن المعنى ان قم اعطيتك واذا كان الامر على هذا لم يكن ما روي عنه من نصبه فيكون متجها ويمكن ان يقال فيه أن اللفظ لا كان على لفظ الامر حمله على اللفظ كما حمل ابو الحسن في نحو قوله قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة على انه امري مجرى جواب الأمر وان لم يكن جوابا له على الحقيقة فالوجه في يكون الرفع على ان يكون معطوفا على كن لأن المراد به تكون فيكون او يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فهو يكون

﴿ اللنة ﴾

البديع بمعنى المبدع كالسميع بمعنى السمع وبينهما فرق من حيث ان في بديع مبالغة ليست في مبدع ويستحق الرصف به في غير حال الفعل على الحقيقة بمعنى ان من شأنه انشاء الاشياء على غير مثال واحتذاء والابتداع والاختراع والانتشاء نظائر وكل من احدث شيئا فقد ابدعه والاسم البدعة وفي الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها الى النار والقضاء والحكم من النظائر واصل القضاء الفصل واحكام النبي. قال ابو ذؤيب

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ نُبُعُ

اي احكامهما ثم يتصرف على وجوه منها الامر والوصية كقوله تعالى وقضى ربك الاتعبدوا الالهة اي وصي ربك وامر ومنها ان يكون بمعنى الاخبار والاعلام كقوله وقضينا الى بني اسرائيل اي اخبرناهم وقوله وقضينا اليه ذلك الامر اي عهدنا الى لوط ومنها ان يكون بمعنى الفراغ نحو قوله فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من امر المناسك وقوله فاذا قضيتم الصلاة وفيما رواه علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده الصادق عليهم السلام قال القضاء على عشرة اوجه ذكر فيه الوجوه الثلاثة التي ذكرناها (والرابع) بمعنى الفعل في قوله فاقض ما انت قاض اي فافعل ما انت فاعل ومنه قوله اذا قضى امرا يعني اذا فعل امرا كان في علمه ان يفعله انما يقول له كن فيكون ومنه قوله اذا قضى الله ورسوله امرا يقول ما كان لو من ولا مؤمنة اذا فعل الله ورسوله شيئا في ترويح زينب ان يكون لهم الحيرة من امرهم (والخامس) في قوله ليقض علينا ربك اي ليقزل علينا الموت وقوله لا يقضى عليهم فيسوتوا اي لا ينزل بهم الموت وقوله فوكره موسى فقضى عليه اي فانزل به الموت (والسادس) قوله وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامراي وجب العذاب فوقع بأهل النار وكذا قوله وقال الشيطان لا قضى الامر (والسابع) قوله وكان امرا مقضيا اي مكتوبا في اللوح المحفوظ انه يكون (والثامن) بمعنى الاتمام في نحو قوله فلما قضى موسى الاجل اي اتم وايا الاجلين قضيت اي اتممت وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه يعني من قبل ان يتم جبرائيل

اليك الوحي (والتاسع) بمعنى الحكم والفصل كقوله وقضي بينهم بالحق وان ربك يقضي بينهم اي يفصل وفي الانعام يقضي بالحق اي يفصل الامر بيني وبينكم بالعدل (والعاشر) بمعنى الجعل في قوله فقضى بين سبع سموات اي جعلهن

﴿ المعنى ﴾

لما تزه الله سبحانه نفسه عن اتخاذ الاولاد ودل عليه بأن له ما في السموات والارض أكد ذلك بقوله بديع السموات والارض اي مثنى السموات والارض على غير مثال امثلة ولا احتذاء من صنع خالق كان قبله «واذا قضى امرا» قيل معناه اذا فعل امرا اي اراد احداث امر كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت قراءة القرآن وقيل معناه اذا احكم امرا وقيل معناه حكم وحتم بأنه يفعل امرا والاول اوجه وقوله «فاذا يقول له كن فيكون» اختلف فيه على وجوه ﴿ احدها ﴾ انه بمنزلة التمثيل لان المدوم لا يصح ان يخاطب ولا يامر وحقية معناه ان منزلة الفعل في تسهله وتيسره عليه وانتفاء التعذر منه كمنزلة ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان برأسه او بيده كذا اذا حرك رأسه او يديه ولم يقل شيئا على الحقيقة وكما قال ابو النجم

قَدْ قَالَتْ الْأَنْسَاءُ لِلْبَطْنِ الْحَقُّ قُدَمَا فَأَصَتْ كَأَلْفَيْنِيقِ الْمُخْتِيقِ

وقال المعراج يصف ثورا

وَفِيهِ كَأَلَا عَرَأَضٍ لِلْمَكُورِ فَكَّرَ ثُمَّ قَالَ فِي التَّفْكِيرِ إِنَّ الْحَيَاةَ الْيَوْمَ فِي الْكُرُورِ

وقال عمرو بن قينة السديسي

فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ فِرَاخُهُ إِذَا رَامَ تَطْيَارًا يُقَالُ لَهُ قَعِ

وقال آخر

وَقَالَتْ لَهُ الْعَيْتَانُ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَدْرَتًا كَالدَّرِ لَمَّا يُثَبِّبُ

والشهر في قول الشاعر

أَمْتَلًا الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلَرُؤُ يَدَا قَدْ مَلَأَتْ بَطْنِي

وهو قول ابي علي وابي القاسم وجماعة من المفسرين (وثانيها) انه علامة جعلها الله للملائكة اذا سمعوا علموا انه احداث امر او هذا هو المحكي عن ابي الهذيل (وثالثها) ما قاله بعضهم ان الاشياء المدومة لا كانت معلومة عند الله تعالى صارت كالوجود فصيح ان يخاطبها ويقول لاشياء ايجاده منها كن والاصح من الاقوال الاول وهو الاشياء بكلام العرب ويومئذ يقول له تعالى فقال لها وللارض أنتما طوعا او كرها قاتلتا آتينا طائعين وان حمل على القول الثاني فالمراد ان يقول للملائكة على جهة الاعلام منه لهم واخباره اياهم عن التيب كن اي يقول اكون فيكون فاعل كن الله وهو في معنى الخبر وان كان اللفظ لفظ الامر على ما تقدم بيانه وقد يجوز على هذا ان يكون فاعل كن الشيء المدوم المراد كونه وتقديره يقول من اجله للملائكة يكون شيئا كذا فيكون ذلك على ما يضر به لاخلف له ولا تبديل عما يضر به واما القول الثالث فبعد لان المدوم لا يصح خطابه ولا امره بالكون والوجود ليخرج بهذا الامر الى الوجود لان ذلك امتثال للامر وتلق له بالقبول والطاعة وهذا انما يتصور من الامور الموجودة دون المدوم ولو صح ذلك لوجب ان يكون الامور المدوم فاعلا لنفسه كما يكون التثني لا يومئذ به بالقبول فاعلا لا امره وهذا فاسد ظاهر البطلان وقال بعضهم انما يقول كن عند وجود الاشياء لا قبلها ولا بعدها كقوله تعالى ثم اذا دعاهم من الارض اذا انتم تخرجون وانما اراد انه يدعوهم في حال خروجهم لاقبله ولا بعده وهذا الوجه ايضا ضعيف لان من شرط حسن الامر ان يتقدم المأمور به وكذلك الدعاء وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يجوز ان يتخذ ولدا لانه اذا ثبت انه مثنى السموات والارض ثبت بذلك انه سبحانه ليس بصفة الاجسام والجواهر لان الجسم يتعذر

عليه فعل الأجسام ومن كان بهذه الصفة لم يجز عليه اتخاذ الولد ولأنه سبحانه قد انشأ عيسى من غير اب من حيث هو مبدع الاشياء بخلاف عن اتخاذ الابناء. وتعالى علوا كبيرا
قوله تعالى (١١٨) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (آية)
﴿ اللغة ﴾

اليقين والعلم والمعرفة نظائر في اللغة وتقيضه الشك والجهل وايقن واستيقن بمعنى وقال صاحب العين اليقن اليقين قال

وَمَا بِالَّذِي أَبْصَرْتَهُ الْعِيُونَ مِنْ قَطْعِ يَأْسٍ وَلَا مِنْ يَقْنٍ

فاليقين علم يشلج به الصدر ولذلك يقال وجدت برد اليقين ولا يقال وجدت برد العلم

﴿ الاعراب ﴾

لولا بمعنى هلا ولا تدخل الا على الفعل ومعناها التحضيض قال

تَعْدُونَ عَشْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِّيُّ الْمُقْنَمَا

اي هلا تعقرون الكمي المتع والكاف في كذلك تتعلق يقال والجار والمجرور في موضع نصب على المصدر اي كقولهم

﴿ المعنى ﴾

لابين سبحانه حالهم في انكارهم التوحيد وادعائهم عليه اتخاذ الاولاد عقبه بذكر خلافهم في النبوات وسلوكهم في ذلك طريق التعت والعتاد فقال «وقال الذين لا يعلمون» وهم النصارى عن مجاهد واليهود عن ابن عباس ومشركو العرب عن الحسن وقتادة وهو الاقرب لأنهم الذين سألوا الحالات ولم يتصرفوا على ما ظهر والتضح من المعجزات وقالوا ان نومنا لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات الى آخرها ولأنه وصفهم بأنهم لا يعلمون فبين انهم ليسوا من اهل الكتاب ومن قال المراد به النصارى قال لأنه قال قبلها وقالوا اتخذ الله ولداهم الذين قالوا المسيح ابن الله وهذا لا دلالة فيه لأنه يجوز ان يذكر قوما ثم يستأنف فيضرب عن قوم آخرين على ان مشركي العرب قد اضافوا ايضا الى الله سبحانه البتات فدخلوا في جملة من قال اتخذ الله ولدا وقوله «لولا يكلمنا الله» اي هلا يكلمنا معاينة فيضربنا بأذن نبي وقيل معناه هلا يكلمنا بكلامه كما كلم موسى وغيره من الانبياء وقوله «او تأتينا آية» اي تأتينا آية موافقة لدعوتنا كما جاءت الانبياء آيات موافقة لدعوتهم ولم يرد انه لم تأتيهم آية لأنه قد جاءتهم الآيات والمعجزات وقوله «كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم» قيل هم اليهود حيث اقترحوا الآيات على موسى عن مجاهد لأنه حمل قوله الذين لا يعلمون على النصارى وقيل هم اليهود والنصارى جميعا عن قتادة والسدي وقيل سائر الكفار الذين كانوا قبل الاسلام عن ابي مسلم «تشابهت قلوبهم» اي اشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة والاعتراض على الانبياء من غير حجة والتعت والعتاد كقول اليهود لموسى ارنا الله جهرة وقول النصارى للمسيح انزل علينا مائدة من السماء وقول العرب لتبيننا (ص) حول لنا الصفا ذهباً ولذلك قال الله سبحانه أتواصوا به وقوله «قد بينا الآيات» يعني الحجج والمعجزات التي يعلم بها صحة نبوة محمد (ص) «لقوم يوقنون» اي يستدلون بها من الوجه الذي يجب الاستدلال به فايقتوا لذلك فكذلك فاستدلوا انتم حتى توقنوا كما ايقن اولئك والمعنى فيه ان فيما ظهر من الآيات الباهرات الدالة على صدقه كفاية لمن ترك التعت والعتاد فان قيل لم ليوموتوا الآيات التي اقترحوها لتكبرن الحجة عليهم أكد قلنا الاعتبار في ذلك بالمصالح ولو علم الله سبحانه ان في اظهار ما اقترحوه من الآيات مصلحة لأظهرها فلما لم يظهرها علمنا انه لم يكن في اظهارها مصلحة

قوله تعالى (١١٩) اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۗ اَوْلَا تُسْئَلُ عَنْ اَصْحَابِ الْجَحِيمِ (آية)

﴿ القراة ﴾

قرأ نافع ولا تسأل بفتح التاء والجزم على النهي وروي ذلك عن ابي جعفر الباقر (ع) وابن عباس ذكر ذلك القراء وابو القاسم البلخي والباقون على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله

﴿ الحجة ﴾

الرفع في تسأل يحتمل وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون حالا فيكون مثل ما عطف عليه من قوله بشيرا ونذيرا اي وغير مسوول ويكون ذكر الحجة بعد المفرد الذي هو قوله بشيرا كما ذكر الحجة في قوله ويكلمهم الناس في المهدوكهما لبعدهما تقدم من المفرد وكذلك قوله ومن القرين وهو هنا يجري مجرى الجملة (والآخر) ان يكون منقطعا عن الاول مستأنفا به كأنه قيل ولست تسأل عن اصحاب الجحيم ولما قرأه نافع ولا تسأل بالجزم فقيه قولان ﴿احدهما﴾ ان يكون على النهي عن المسألة (والآخر) ان يكون النهي لفظا والمعنى على تفخيم ما اعد لهم من العقاب كقول القائل لا تسأل عن حال فلان اي قد صار الى اكثر مما تريد وسألت يتعدى الى مفعولين مثل اعطيت قال الشاعر

سَأَلْتَنِي الطَّلَاقَ إِذْ رَأَيْتَنِي قَلَّ مَالِي قَدْ جِشْتَنِي بِنُكْرٍ

ويجوز ان يقتصر فيه على مفعول واحد ثم يكون على ضربين ﴿احدهما﴾ ان يتعدى بغير حرف كقوله واسألوا ما انفقتم فاسألوا اهل الذكر (والآخر) ان يتعدى بحرف كقوله تعالى سأل سائل بعدذاب واقع وقولهم سألت عن زيد واذا تعدى الى مفعولين كان على ثلاثة اضرب ﴿احدها﴾ ان يكون بمنزلة اعطيت كقوله (سألت عمرا بعد بكر حقا) فعنى هذا استطيتة اي سألته ان يفعل ذلك (والآخر) ان يكون بمنزلة اخترت الرجال زيدا وذلك قوله تعالى ولا يسئل حمي حميا اي لا يسأل حمي عن حميه (والثالث) ان يتعدى الى مفعولين فيقع موقع الفعول الثاني منها استفهام وذلك كقوله تعالى سل بني لسراييل كم آتيناها واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أبعثنا من دون الرحمن آتة يعبدون

﴿ اللفظة ﴾

الجحيم النار بعينها اذا شب وقودها وصار كالعلم على جهنم كقول امية بن ابي الصلت
إِذَا شَبَّتْ جَهَنَّمُ نَمَّ زَادَتْ وَأَعْرَضَ عَنْ قَوَائِمِهَا الْجَحِيمُ

وجعنت النار تجعم جمعها اذا اضطربت والحجة العين بلفظة حمير قال

أَيَا جَحْمَتِي بَكِّي عَلَى أُمِّ وَاهِبٍ قَبِيلَةَ قُلُوبٍ بِأُحْدَى الْمَذَانِبِ

وجعنت الاسد عيناه وجاحم الحرب شدة القتل في معركتها قال سعد بن مالك بن ضبيعة

وَالْحَرْبُ لَا يَنْتَهِي لِحَا جِهَا التَّخِيلُ وَالْمِرَاحُ

إِلَّا النَّتَى الصَّبَارُ فِي التَّجَدَّاتِ وَالْقَرَسُ الْوَقَاحُ

﴿ المعنى ﴾

بين الله سبحانه في هذه الآية تأييده نبيه محمدا (ص) بالحجج وبمش بالحق فقال «انا ارسلناك» بامحمد «بالحق» قيل بالقرآن عن ابن عباس وقيل بالاسلام عن الاصم وقيل على الحق اي بمشاك على الحق كقوله سبحانه خالق الله السموات والأرض بالحق اي على انهما حق لا باطل وقوله «بشيرا ونذيرا» اي بشيرا من اتبعك بالتواب ونذيرا

من خالفك بالعقاب وقوله «ولا تسئل عن اصحاب الجحيم» اي لا تسأل من احوالهم وفيه تسلية للنبي (ص) اذ قيل له انما انت بشير ونذير ولست تسأل عن اهل الجحيم وليس عليك اجابهم على القبول منك ومثله قوله فلان تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله ليس عليك هداهم وقيل معناه لاتواخذ بذنبيهم كقوله سبحانه عليه ما حمل وعليكم ما حملتم اي فعلية الايبلاغ وعليكم القبول

قوله تعالى (١٢٠) وَكَانَ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هُدَىٰ اللَّهُ الْهُدَىٰ وَاللَّيْنِ أَتَبِعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الرضا والمودة واللحبة نظائر وضد الرضا النضب والرضا ايضا بمعنى المرضي وهو من بنات الواو بدل اللقوله الرضوان وتقول رجل رضى وامرأة رضى ورجال وناسا. رضا والملة والنحلة والديانة نظائر ومقره رسول الله (ص) الامر الذي اوضحه وامتل الرجل اذا اخذ في ملة الاسلام اي قصد ما امل منه والامل املاء الكتاب يكتب

﴿ الاعراب ﴾

تتبع نصب بجتي قال سيويه والخليل ان الناصب للفعل بعد حتى ان الا انها لا تظهر بعد حتى ويدل على ان حتى لاتنصب بنفسها انها تجر الاسم في نحو قوله حتى مطلع الفجر ولا يعرف في العربية حرف يعمل في اسم يعمل في فعل ولا حرف جار يكون ناصبا للفعل فصار مثل اللام في قولك ما كان زيد ليضربك في انها جارة والناصب ليضربك ان المضرة ولا يجوز اظهارها مع هذه اللام ايضا هو ضمير مرفوع بالابتداء او فصل والهدى خبر المبتدأ او خبر ان وقوله من العلم يتعلق بمحذوف في موضع الحال وذو الحال الموصوف المحذوف الذي قوله الذي جاءك صفته وكذلك قوله من الله في موضع الحال ومن ولي في موضع رفع بالابتداء. ومن مزيدة وقوله مالك من الله من ولي ولا نصير في موضع الجزاء للشرط ولكن الجزاء اذا قدر فيه القسم لا يجوزم فلا يكون في موضع جزم ولا بد ان يكون فيه احد الحروف الدالة على القسم فخرف ما هاهنا تدل على القسم فلماذا لم يجوزم

﴿ المعنى ﴾

كانت اليهود والنصارى يسألون النبي صلى الله عليه وآله الهدنة ويرونه انه ان هادتهم ولمهلم التبعوه فأبى الله تعالى من موافقتهم فقال «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» وقيل ايضا ان النبي (ص) كان مجتهدا في طلب ما يرضيهم ليدخلوا في الاسلام فقيل له دع ما يرضيهم الى ما أمرك الله به من مجاهدتهم وهذا يدل على انه لا يصح ارضاء اليهود والنصارى على حال لأنه تعالى علق رضاهم بأن يصير عليه السلام يهوديا او نصرانيا واذا استحال ذلك استحال ارضاءهم يعني انه لا يرضى كل فرقة منهم الا ان تتبع ملتهم اي دينهم وقيل قبلتهم «قل ان هدى الله هو الهدى» اي قل يا محمد لهم ان دين الله الذي يرضاه هو الهدى اي الدين الذي أنت عليه عن ابن عباس وقيل معناه ان هدى الله يعني القرآن هو الذي يهدي الى الجنة لا طريقة اليهود والنصارى وقيل معناه ان دلالة الله هي الدلالة وهدى الله هو الحق كما يقال طريقة فلان هي الطريقة وقوله «ولن اتبع اهواءهم» اي مراداتهم وقال ابن عباس معناه ان صليت الى قبلتهم «بعد الذي جاءك من العلم» اي من البيان من الله تعالى وقيل من الدين «مالك» يا محمد «من الله من ولي» يحفظك من عقابه «ولا نصير» اي معين وظهير يعينك عليه ويدفع بنصره عقابه عنك وهذه الآية تدل على ان من علم الله تعالى منه انه لا يصح يصح وعيده لأنه علم ان نبيه عليه السلام لا يتبع اهواءهم فجري مجرى قوله لن اشركت ليجطن عملك والقصد

منه التنبيه على ان حال امته فيه اغلظ من حاله لأن منزلتهم دون منزلته وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته
قوله تعالى (١٢١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ
بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (آية)

﴿الاعراب﴾

الذين آتيناهم رفع بالابتداء ويتلونه في موضع خبره وأولئك ابتداء ثان ويؤمنون به خبره وان شئت كان
أولئك يؤمنون به في موضع خبر المبتدأ الذي هو الذين ويتلونه في موضع نصب على الحال وان شئت كان خبر الابتداء.
يتلونه وأولئك جميعا فيكون للابتداء خبر ان كما تقول هذا حلو حامض وحق تلاوته منصوب على المصدر

﴿النزول﴾

قيل نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة وكانوا اربعين رجلا اثنا وثلاثون
من الحبشة وغانية من رهبان الشام منهم مجير بن ابي عباس وقيل هم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام
وشعبة بن عمرو وتمام بن يهودا واسد واسيد ابني كعب وابن يامين وابن صوريا عن الضحاك وقيل هم اصحاب
محمد بن قتادة وعكرمة فعلى القولين الاولين يكون المراد بالكتاب التوراة وعلى القول الاخير المراد به القرآن

﴿المعنى﴾

«الذين آتيناهم» اي اعطيناهم الكتاب «يتلونه حق تلاوته» اختلف في معناه على وجوه ﴿احدها﴾ انه يتبعونه
يعني التوراة حق اتباعه ولا يجر فونه ثم يعملون بجلاله ويقفون عند حرامه ومنه قوله والقمر اذا تلاها اي تبعها وبه قال
ابن مسعود ومجاهد وقاتدة الا ان المراد به القرآن عندهم و(ثانيها) ان المراد به يصفونه حق صفته في كتبهم لمن
يسألهم من الناس عن الكلبي وعلى هذا تكون الما رجعة الى محمد صلى الله عليه وآله و(ثالثها) ما روي عن ابي
عبد الله عليه السلام ان حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الاولى ويستعين من الاخرى
و(رابعها) ان المراد يقرأونه حق قراءته يرتلون الفاظه ويفهمون معانيه و(خامسها) ان المراد يعملون حق
العمل به فيعملون بحكمه ويؤمنون بتشابهه ويكون ما اشكل عليهم الى عالمه عن الحسن وقوله أولئك يؤمنون
به» اي بالكتاب عن اكثر القسرين وقيل بالنبي عليه السلام عن الكلبي «ومن يكفر به» وهم اليهود وقيل هم
جميع الكفار وهو الاولى لعنوم «فأولئك هم الخاسرون» خسروا انفسهم واعمالهم وقيل خسروا في الدنيا الظفر
والنصرة وفي الآخرة ما اعد الله للمؤمنين من نعم الجنة

قوله تعالى (١٢٢) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي
فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (آية)

﴿المعنى﴾

هذه الآية قد تقدم ذكر مثلها في رأس نيف واربعين آية ومضى تفسيرها وقيل في سبب تكريرها ثلاثة اقوال
﴿احدها﴾ ان نعم الله سبحانه لا كانت اصول كل نعمة كذا التذكير بها مبالغة في استدعائهم الى ما يلزمهم
من شكرها ليقبلوا الى طاعة ~~هم~~ المظاهر نعمه عليهم و(ثانيها) هو انه لا باعد بين الكلامين حسن التنبيه والتذكير
والاعادة والتكرير ابلاغاً في الحجية وتأكيذا للتذكرة و(ثالثها) انه سبحانه لا ذكر التوراة وفيها الدلالة على شأن
عيسى ومحمد عليهما السلام في النبوة والبشارة بهما ذكرهم نعمته عليهم بذلك وما فضلهم به كما عدد النعم في
سورة الرحمن وكرر قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان فكل تعريض جاء بعد تعريض فانما هو موصول بتذكير نعمة

غير الاولى وثالثة غير الثانية الى آخر السورة وكذلك الوعيد في سورة المرسلات بقوله ويل يومئذ للكافرين افا هو بعد الدلالة على اعمال تعظم التكذيب بما تدعو اليه الادلة

قوله تعالى (١٢٣) وَأَتُّوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (آية)

ومثل هذه الآية ايضا قد تقدم ذكره ومر تفسيره

قوله تعالى (١٢٤) وَإِذْ أُنبِئَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتِ فَأْتَمَنَ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ابراهيم هاهنا وفي مواضع من القرآن والباقون ابراهيم وقرأ حمزة وحفص عهدي بإرسال الياء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

في ابراهيم خمس لغات ابراهيم و ابراهيم و ابراهيم حذف الف استخفافا قال الشاعر (عدت بما عاذ به ابراهيم) و ابراهيم قال امية (مع ابراهيم التي وموسى) و ابراهيم قال

نَحْنُ آلُ اللَّهِ فِي كُتُبِهِ لَمْ يَزَلْ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ

والوجه في هذه التغيرات ما تقدم ذكره من قولهم ان العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه وتلعبت بحروفه فتغيرها واما قوله عهدي فانما فتح هذه الياء اذا تحرك ما قبلها لأن اصل هذه الياء الحركة فانها بأزاء الكاف للمخاطب فكما فتحت الكاف كذلك تفتح الياء ومن اسكنها فانه يجتزج بأن الفتحة مع الياء قد كرهت في الكلام كما كرهت الحركات الاخرى فيها الا ترى انهم قد اسكنوها في حال السعة اذا لم تحريكها بالفتحة كما اسكنوها اذا لم تحريكها بالحركات الاخرى وذلك قولهم قالي قلا وبادي بدا ومعدي كرب فالياء في هذه المواضع في موضع الفتحة التي في آخر اول الاسمين نحو حضرموت وقد اسكنت كما اسكنت في الجر والرفع

﴿ اللغاة ﴾

الابتلاء الاختبار والتام والكمال والوفاء نظائر ضد التام التقصان يقال تم تماما وتمع وتمعنا وتمتة والتم الشيء التام ولكل حاملة تام بفتح التاء وكسرهما وبدد تام وليل تام بالكسر والذرية والنسل والولد نظائر وبعض العرب يكسر منها الذال فيقول ذرية وروي انه قراءة زيد بن ثابت وبعضهم فتحها فقال ذرية وفي اصل الكلمة اربعة مذاهب من الذر ومن الذر والذرو والذري فان جعلته من الذر فوزنه فعلة ذريته كزريق ثم أوزمت التخفيف او البديل كنبى في اكثر اللغات والبرية وان اخذته من الذر فوزنه فعلية كقميرية او فعيلة نحو ذرية فلما كثرت الراءات ابدلت الاخيرة ياء وادغم الياء الاولى فيها نحو سرية فيمن اخذها من السرو هو النكاح او فعولة نحو ذرورة فابدلوا الراء الاخيرة لا ذكرنا فصار ذرورية ثم ادغم فصار ذرية وان اخذته من الذرو او الذري فوزنه فعولة او فعيلة وفيه كلام كثير يطول به الكتاب ذكره ابن جنى في المحاسب والنيل واللاحاق والادراك نظائر والنيل والنوال ما نقله من معروف انسان واتاله معروفه ونوله اعطاه قال طرفة

إِنْ تُنَوَّلَهُ فَقَدْ تَمَنَّهُ
وَتَرِيهِ النَّجْمُ يَجْرِي بِالظُّهْرِ

وقولهم نولك ان تفعل كذا معناه حقلك ان تفعل

﴿ الاعراب ﴾

اللام في قوله للناس تتعلق بمحذوف تقديره اماماً استقر للناس فهو صفة لا امام فلما قدمه انتصب على الحال ويجوز ان تتعلق بجاعلك وقوله اماما مفعول ثان لجعل ومن ذريتي تتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتي

﴿ المعنى ﴾

«واذكروا اذا ابتلى ابراهيم ربه» اي اختبر وهو مجاز وحقيقته انه امر ابراهيم ربه وكافه وسمي ذلك اختباراً لأن ما يستعمل الامر متأني مثل ذلك يجري على جهة الاختبار والامتحان فاجرى على امره اسم امور العباد على طريق الاتساع وايضا فان الله تعالى لا عامل عباده معاملة البتلى المختبر اذ لا يجازيهم على ما علمه منهم انهم سيفعلونه قبل ان يقع ذلك الفعل منهم كما لا يجازي المختبر للغير ما لم يقع الفعل منه سمي امره ابتلاءً وحقيقة الابتلاء تشديداً للتكليف وقوله «بكلمات» فيه خلاف فروي عن الصادق انه ما ابتلاه الله به في نومه من ذبيح ولده اسماعيل اني العرب فاتمها ابراهيم وعزم عليها وسلم لأمر الله فلما عزم قال الله ثواباً له لما صدق وعمل بأمره الله اني جاعلك للناس اماماً ثم انزل الله عليه الحنيفة وهي الطهارة وهي عشرة اشياء خمسة منها في الرأس وخمسة منها في البدن فاما التي في الرأس فأخذ الشارب واعفاء اللحي وطلم الشعر والسواك والحلال واما التي في البدن خلق الشعر من البدن والحتان وتقليم الاظفار والنسل من الجنابة والظهور بالمال فهذه الحنيفة الظاهرة التي جاء بها ابراهيم فلم تنسخ ولا تنسخ الى يوم القيامة وهو قوله واتبع ملة ابراهيم حينما ذكره علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره وقال قتادة وهو احدي الروايتين عن ابن عباس انها عشر خصال كانت فرضاً في شرعه سنة في شريعتنا المضمة والاستنشق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك في الرأس والحتان وحلق العانة وتنف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالمال في البدن وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس انه ابتلاء بثلاثين خصلة من شرائع الاسلام لم يبتل احداً بها فاقامها كلها ابراهيم فاتمهن فكتب له البراءة فقال وابراهيم الذي وفي وهي عشر في سورة براءة التائبون العابدون الى آخرها وعشر في الاحزاب ان المسلمين والسبلات الى آخرها وعشر في سورة المؤمنون قد افلح المؤمنون الى قوله او تلك هم الوردون وروي وعشر في سورة سأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون فجعلها اربعين وفي رواية ثالثة عن ابن عباس انه امره بمناسك الحج وقال الحسن ابتلاء الله بالكوكب والقمر والشمس والحتان وبذبح ابنه وبالنار وبالهجرة فكلهن وفي الله فيهن وقال مجاهد ابتلاء الله بالآيات التي بعدها وهي قوله اني جاعلك للناس اماماً الى آخر القصة وقال ابو علي الجبائي اراد بذلك كما كافه من الطاعات العقلية والشرعية والآية محتملة لجميع هذه الاقوال التي ذكرناها وكان سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم اول الناس اضاف الضيف واول الناس اختن واول الناس قص شاربه واستعد واول الناس رأى الشيب فلما رآه قال يارب ما هذا قال هذا الوقار قال يارب فزدني وقاراً وهذا ايضا قد رواه السكوني عن ابي عبد الله ولم يذكر اول من قص شاربه واستعد فزاد فيه واول من قاتل في سبيل الله ابراهيم واول من اخرج الحرس ابراهيم واول من اتخذ الثقلين ابراهيم واول من اتخذ الرايات ابراهيم وروي الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة باسناده مرفوعاً الى الفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال سأته عن قول الله عز وجل واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ما هذه الكلمات قال هي الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه فتاب عليه وهو انه قال يارب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت علي فتاب الله عليه انه هو التواب الرحيم فقلت له يا ابن رسول الله فإني بقوله فاتمهن قال اتمهن الى القائم اثني عشر اماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام قال الفضل فقلت له يا ابن رسول الله فاخبرني عن كلمة الله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه قال يعني بذلك الامامة جعلها الله في عقب الحسين الى يوم القيامة فقلت له يا ابن رسول الله فكيف صارت الامامة في ولد الحسين دون ولد

الحسن عليها السلام وهما جميعا ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطاه وسيدا شباب اهل الجنة فقال ان موسى وهارون نبيان مرسلان اخوان فجعل الله النبوة في صلب هارون دون صلب موسى ولم يكن لأحد ان يقول لم فعل الله ذلك وان الامامة خلافة الله عز وجل ليس لأحد ان يقول لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن لأن الله عز وجل هو الحكيم في افعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقال الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله وقوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات وجه آخر فإن الابتلاء على ضربين ﴿احدهما﴾ مستحيل على الله تعالى (والآخر) جاز فالمستحيل هو ان يختبره ليعلم ما تكشف الايام عنه وهذا اما لا يصح لأنه سبحانه علام الغيوب والآخر ان يتلوه حتى يصبر فيا يتلوه به فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق ولينظر اليه الناظر فيقتدي به فيعلم من حكمة الله عز وجل انه لم تكن اسباب الامامة الا الى الكافي المستقل بها الذي كشفت الايام عنه فاما الكلمات سوى ما ذكرناه فمنها اليقين وذلك قوله عز وجل وليكون من الموقنين ومنها المرفقا بتوحيد والتنزيه عن التشبيه حين نظر الى الكواكب والشمس ومنها الشجاعة بدلالة قوله فجعلهم جذاذا الاكبر لهم ومقاومته وهو واحد الرفا من اعداء الله تعالى ومنها الحلم وقد تضمنه قوله عز وجل ان ابراهيم خليم اوام منيب ومنها السخاء ويدل عليه قوله هل اتيتك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ثم العزلة عن المشيرة وقد تضمنه قوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله ثم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ذلك في قوله يا بئس ما اتبعتم وما لا يبصر الآيات ثم دفع السيئة بالحسنة في جواب قول ابيه لئن لم تنته لأرجنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا ثم التوكل وبيان ذلك في قوله الذي خلقني فهو يهدين الآيات ثم المحنة في النفس حين جعل في النجنيق وقذف به في النار ثم المحنة في الولد حين امر بنبيح ابنه اسماعيل ثم المحنة في الأهل حين خلص الله حرمة من عبادة التبلي في الخبر المشهور ثم الصبر على سوء خلق سارة ثم استقصاره النفس في الطاعة بقوله ولا تخزني يوم يعثون ثم الزلزلة في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية ثم الجمع لشروط الطاعات في قوله ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي الى قوله وانا اول المسلمين ثم استجابة الله دعوته حين قال رب اني كيف تحيي الموتى الآية ثم اصطفاؤه سبحانه اياه في الدنيا ثم شهادته له في العاقبة انه من الصالحين في قوله ولقد اصطفتناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم اقتداءه من بعده من الأنبياء به في قوله ووصى بها ابراهيم بنبيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين الآية وفي قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا انتهى كلام الشيخ ابي جعفر رحمه الله وقوله «فاتمهن» معناه وفي بهن في قول الحسن وعمل بهن على التمام في قول قتادة والضهير في اتمهن عائد الى الله تعالى في قول ابي القاسم البلخي وهو اختيار الحسين بن علي المغربي قال البلخي والكلمات هي الامانة على ما قاله مجاهد قال لأن الكلام متصل ولم يفصل بين قوله اني جاعلك للناس اماما وبين ما تقدمه بوار العطف واتمهن الله بأن اوجب بها الامامة بطاعته واضطلاعه بما ابتلاه وقوله «قال اني جاعلك للناس اماما» معناه قال الله تعالى اني جاعلك اماما يقتدى بك في افعالك واقوالك لأن المستفاد من لفظ الامام امران ﴿احدهما﴾ انه المقتدى به في افعاله واقواله (والثاني) انه الذي يقوم بتدبير الامة وسياستها والقيام بامورها وتأديب جناتها وتولية ولائها واقامة الحدود على مستحقها ومحاربة من يكيدها ويعادىها فعلى الوجه الاول لا يكون نبي من الأنبياء الا هو اماما وعلى الوجه الثاني لا يجب في كل نبي ان يكون اماما اذ يجوز ان لا يكون مأمورا بتأديب الجناة ومحاربة العداة والدفاع عن حوزة الدين ومجاهدة الكافرين فلما ابتلى الله سبحانه ابراهيم بالكلمات فاتمهن جعله اماما للانام جزءا له على ذلك والدليل عليه ان قوله جاعلك عمل في قوله اماما واسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عمل الفعل ولوقلت انا ضارب زيدا اسم لم يجز فوجب ان يكون المراد انه جعله اماما اما في الحال او في الاستقبال والنبوة كانت حاصلة له قبل ذلك وقوله «قال ومن ذريتي» اي واجل من ذريتي من يوشع بالامامة ويوشع بهذه الكرامة وقيل انما قال ذلك على جهة التعرف ليعلم هل يكون في عقبه أئمة يقتدى بهم والاولى ان يكون ذلك على وجه السوال

من الله تعالى ان يجعلهم كذلك وقوله «قال لا ينال عهدي الظالمين» قال مجاهد العهد الامامة وهو المروي عن النبي جعفر بن عبد الله عليها السلام اي لا يكون الظالم اماما للناس فهذا يدل على انه يجوز ان يعطي ذلك بعض ولده اذا لم يكن ظالما لأنه لو لم يرد ان يجعل احدا منهم اماما للناس لوجب ان يقول في الجواب لا اولي ينال عهدي ذريتك وقال الحسن معناه ان الظالمين ليس لهم عند الله عهد يعطيهم به خيرا وان كانوا قد يعاهدون في الدنيا فيوفى لهم وقد كان يجوز في العربية ان يقال لا ينال عهدي الظالمون لأن ما نالك فقد نلته وقد روي ذلك في قراءة ابن مسعود واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان الامام لا يكون الا معصوما عن القبائح لأن الله سبحانه نهي ان ينال عهده الذي هو الامامة ظالم ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالما اما لنفسه واما لغيره فان قيل انما نهي ان يناله ظالم في حال ظلمه فاذا تاب لا يسمى ظالما فيصح ان يناله فالجواب ان الظالم وان تاب فلا يخرج من ان تكون الآية قد تناوته في حال كونه ظالما فاذا نهي ان يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب ان تكون محمولة على الاوقات كلها فلا ينالها الظالم وان تاب فيما بعد

قوله تعالى (١٢٥) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَآتَخَذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمَأْكُوفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (آية) ﴿القرآنة﴾

قرأ نافع وابن عامر واتخذوا مفتوحة الحاء وقرأ الباقون واتخذوا مكسورة الحاء.

﴿الحجة﴾

من قرأ بكسر الحاء فانه على الامر والالزام ويكون عطفاً على قوله يا بني اسرائيل اذكروا ويجوز ان يكون عطفاً على قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس من طريق المعنى لأن معناه ثبوا واتخذوا ومن قرأ بالفتح عطفه على ما تقدمه من الفعل الذي أضيف اليه اذ فكانه قال واذ اتخذوا

﴿اللغة﴾

البيت والمأوى والمترل ونظائر والبيت من أبيات الشعر سمي بذلك لضمه الحروف والكلام كما يضم البيت من بيوت الناس اهل البيت من بيوتات العرب وهي احياءها وامرأة الرجل بيته قال الرازي

مَالِي إِذَا أَجْدِبُهَا صَأَيْتُ أَكْبَرُ قَدْ غَاثَنِي أُمُّ بَيْتِ

الثابة هاهنا الموضع الذي يثاب اليه من ثاب يثوب مثابة ومثابا وثوباً اذا رجع قال ورقة بن نوفل في صفة الحرم

مَثَابٌ لِأَفْئَادِ الْقَبَائِلِ كَلَّهَا تَحُبُّ إِلَيْهَا الْعَمَلَاتُ الطَّلَانِحُ

ومنه ثاب اليه عقله اي رجع بعد عزوبه وأصل مثابة مشوبة نقلت حركة الواو الى التاء ثم قلبت الفاعلى ما قبلها وقيل ان التاء فيه للبيان كما قيل نسبة وقيل ان معناها واحد كقائمة ومقام قال زهير

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَانٌ وَجُوهَهَا وَأَنْدِيَةٌ يَلْتَأُبُّهَا الْقَوْلُ وَالْفِئَلُ

وجمع المقام مقام قال

وَإِنِّي لَقَوْمٌ مَّقَاوِمٌ لَمْ يَكُنْ جَرِيرٌ وَلَا مَوْلَىٰ جَرِيرٍ يَقُومُهَا

والطائف والجانل والدائر نظائر ويقال طاف يطوف طوفا اذا دار حول الشيء واطاف به اطافة إذا لم به واطاف به اذا احاط به والطاقف العاس والطوافون المايلك والطاقف طائف الجن والشيطان وهو كل شيء ينشئ القلب من وسوسه وهو طيف ايضا والطاقف المقيم على الشيء اللازم له وعكف يعكف عكفا وعكفا قال الثابتة

عُكُوفٌ عَلَىٰ أَيْمَانِهِمْ يَسْعُدُونَهَا رَمَىٰ اللَّهُ فِي تِلْكَ الْأَكْفَانِ الْكَوَانِعَ (١)

والعكف العتكف في السجد وقل ما يقولون عكف وانما يقولون اعتكف والركع جمع الركوع والسجود جمع الساجد وكل فعل مصدره على فعول جاز في جمع الفاعل منه ان يكون على فعول كالتعمود والركوع والسجود ونحوها

﴿ المعنى ﴾

قوله «واذا جعلنا» عطف على قوله واذا ابتلى وذلك معطوف على قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي والبيت الذي جعله الله مثابة هو البيت الحرام وهو الكعبة وروي انه سمي البيت الحرام لأنه حرم على المشركين ان يدخلوه وسمي الكعبة لأنها مربعة وصارت مربعة لأنها مجزا البيت المعمور وهو مربع وصار البيت المعمور مربعا لأنه مجزا العرش وهو مربع وصار العرش مربعا لأن الكلمات التي بني عليها الاسلام اربع وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقوله «مثابة الناس» ذكر فيه وجوه فقيل ان الناس يشيرون اليه كل عام اي ليس هو مرة في الزمان فقط على الناس عن الحسن وقيل معناه انه لا ينصرف منه احد وهو يرى انه قد قضى منه وطرا فهم يعودون اليه عن ابن عباس وقد ورد في الخبر ان من رجع من مكة وهو ينوي الحج من قابل زيد في عمره ومن خرج من مكة وهو لا ينوي العود اليها فقد قرب اجله وقيل معناه يحجون اليه فيثابون عليه وقيل مثابة معاذا ومجا وقيل مجعما والمعنى في الكل يؤول الى انهم يرجعون اليه مرة بعد مرة وقوله «وامنا» اراد مأمنا اي موضع آمن وانما جعله الله امنا بأن حكم ان من عاذ به والتجأ اليه لا يخاف على نفسه مادام فيه وبما جعله في نفوس العرب من تعظيمه حتى كانوا لا يتعرضون من فيه فهو آمن على نفسه وماله وان كانوا يتخطفون الناس من حوله ولعظم حرمة لايقام في الشرع الحد على من جنى جناية فالتجأ اليه والى حومه لكن يضيق عليه في المطعم والشرب والبيع والشر حتى يخرج منه فيقام عليه الحد فإن احدث فيه ما يوجب الحد اقيم عليه الحد فيه لأنه هناك حرمة الحرم فهو آمن من هذه الوجوه وكان قبل الاسلام يرى الرجل قاتل ابيه في الحرم فلا يتعرض له وهذا شي . كانوا قد توارثوه من دين اسماعيل فبقوا عليه الى ايام نبينا صلى الله عليه وآله وقوله «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى» قال ابن عباس الصحح كله مقام ابراهيم وقال عطاء . مقام ابراهيم عرفة والزلفة والحجار وقال مجاهد الحرم كله مقام ابراهيم وقال الحسن وقادة والسدي هو الصلاة عند مقام ابراهيم امرنا بالصلاة عنده بعد الطواف وهو المروي عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن الرجل يطوف بالبيت طواف القريضة ونسي ان يصلي ركعتين عند مقام ابراهيم فقال يصلها ولو بعد ايام ان الله تعالى قال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وهذا هو الظاهر لأن مقام ابراهيم اذا اطلق لا يفهم منه الا التمام المعروف الذي هو في المسجد الحرام وفي المقام دلالة ظاهرة على نبوة ابراهيم عليه السلام فإن الله جعل الحجر تحت قدميه كالطين حتى دخلت قدمه فيه وكان في ذلك معجزة له وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال نزلت ثلاثة احجار من الجنة مقام ابراهيم وحجر بني اسرائيل والحجر الاسود استودعه الله ابراهيم (ع) حجرا ابيض وكان اشد بياضا من القراطيل فاسود من خطايا بني آدم

﴿ القصة ﴾

ابن عباس قال لما اتى ابراهيم بسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة واتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسماعيل امرأة منهم وماتت هاجر واستأذن ابراهيم سارة ان يأتيها هاجر فاذنت له وشرطت عليه ان لا يتزل قدم ابراهيم عليه السلام وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته ابن صاحبك قلت ليس هنا ذهب يتصيد وكان اسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع فقال لما ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي شي . وما عندي احد

(١) في ديوان الثابتة هكذا قوموا لدى ايانهم يشدونها رمى الله في تلك الاكف الكوانع وفي نسخة اخرى آبارهم والنصب في قوموا او عكروفا على الخالية متعين

فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرنيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه وذهب ابراهيم عليه السلام فجاء اسماعيل (ع) فوجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأته قال فاقال لك قالت قال لي اقربي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج اخرى فلبث ابراهيم ما شاء الله ان يلبث ثم استأذن سارة ان يزور اسماعيل فاذنت له واشترطت عليه ان لا يتزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسماعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يحيي . الآن ان شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة فلوجأت يومئذ بجيز او بر اوشعير او تمر لكان اكثر ارض الله برا وشعيرا وتمرا فقالت له اتزل حتى اغسل رأسك فلم يتزل فجاءت بالمقام فوضعت على شقه الايمن فوضع قدمه عليه فسقي اثر قدمه عليه ففعلت شق رأسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر ففعلت شق رأسه الايسر فسقي اثر قدمه عليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرنيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسماعيل (ع) وجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت نعم شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال اسماعيل لها ذلك ابراهيم (ع) وقد روى هذه القصة بعينها علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن ابان عن الصادق عليه السلام وان اختلف بعض الناطله وقال في آخرها اذا جاء زوجك فقولي له قد جاء هاهنا شيخ وهو يوصيك بعتبة بابك خيرا قال فاكب اسماعيل على المقام يسكني ويقبله وفي رواية اخرى عنه عليه السلام ان ابراهيم استأذن سارة ان يزور اسماعيل فاذنت له ان لا يلبث عندها وان لا يتزل من حمارة فقيل له كيف كان ذلك فقال ان الارض طويت له وروى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال الركن والمقام بقوتان من بقوت الجنة طمس الله نورهما ولو أن نورهما طمس لأضأ ما بين الشرق والغرب وقوله «مصلى» فيه اقوال قيل مدعى من صليت اي دعوت عن مجاهد وقيل قبله عن الحسن وقيل موضع صلاة فامر ان يصلى عنده عن قتادة والسدي وهذا هو الروي عن ائمتنا عليهم السلام واستدل اصحابنا به على ان صلاة الطواف فريضة مثل الطواف لأن الله تعالى امر بذلك وظاهر الأمر يقتضي الوجوب ولا صلاة واجبة عند مقام ابراهيم غير صلاة الطواف بلا خلاف وقوله «وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل» اي امرناهما والزمناهما «ان طهرا بيتي» للطائفتين اي قلنا لها ان طهرا بيتي لأن ان هذه هي المفسرة التي تكون عبارة عن القول اذا صاحبت من الالفاظ ما يتضمن معنى القول كتقوله سبحانه عهدنا هذا وكري في التطهير هنا وجوه **«احدها»** ان المراد طهرا من الثرى والدم الذي كان يطرحه المشركون عند البيت قبل ان يصير في يد ابراهيم واسماعيل عن الجبائي (وثانها) ان المراد طهرا من الاصنام التي كانوا يعلقونها على باب البيت قبل ابراهيم عن مجاهد وقاتادة (وثالثها) ان المراد طهرا بنيانا بكماله على الطهارة كما قال سبحانه افن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن اسس بنيانه على شفا جرف هار وانما اضاف البيت الى نفسه تفضيلا له على سائر البقاع وتمييزا وتخصيصا وقوله «للطائفتين والماكثين» اكثر المفسرين على ان الطائفتين هم الدائر حول البيت والماكثين هم المجاورون للبيت وقال سعيد بن جبير ان الطائفتين هم الطائفتون على مكة من الافاق والماكثين هم المقيمون فيها وقال ابن عباس الماكثون المصلون والأول اصح لأنه الفهم من اطلاق اللفظ وقوله «والركع السجود» قيل هم المصلون عند البيت يركعون ويسجدون عن قتادة وقيل هم جميع المسلمين لأن من شأن المسلمين الركوع والسجود عن الحسن وقال عطاء اذا طاف به فهو من الطائفتين واذا جلس فهو من الماكثين واذا صلى فهو من الركع السجود قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لله عز وجل في كل يوم ليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت ستون منها للطائفتين واربعون للماكثين ^(١) وعشرون للتاخرين

قوله تعالى (١٢٦) وَاذْ قَالَ اِبْرٰهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا اٰمِنًا وَاَرْدُقْ اٰهْلَهُ مِنْ الشَّرٰتِ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَاَمْتِعْهُ قَلِيْلًا ثُمَّ اُضْطَرُّهُ اِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ (آية)

﴿القرائة﴾

قرأ ابن عامر فامتعه بسكون الميم خفيفة من امتعتها والباقون بالتشديد وفتح الميم من تمتعت وروي في الشواذ عن ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار على الدعاء من ابراهيم عليه السلام وعن ابن عيصن ثم اطره بادغام الضاد في الطاء.

﴿الحجة﴾

قال ابو علي التشديد في امتعه اولى لأن التثنية عليه قال سبحانه يتعمكم متاعا حسنا وكن متعناه متاع الحياة الدنيا ووجه قراءة ابن عامر ان امتع لغة قال الراعي

خَلِيْلَيْنِ مِنْ شَعْمِيْنَ شَتَّى تَجَاوَرَا قَدِيْمًا وَكَانَا بِالتَّفْرِقِ اٰمْتَعَا

قال ابو زيد امتعا اراد امتعا فاما قراءة ابن عباس فامتعه فيحتمل امرين من ابن جنبي ﴿احدهما﴾ ان يكون الضمير في قال لابراهيم اي قال ابراهيم ايضا ومن كفر فامتعه يارب وحسن اعادة قال لطول الكلام ولأنه انتقل من الدعاء لقوم الى الدعاء على آخرين والآخر ان يكون الضمير في قال لله تعالى اي فامتعه ياخالق او بإله يخاطب بذلك نفسه عز وجل جرى ذلك على ما تعاده العرب من امر الانسان لنفسه كقول الاعشى

وَدِعْ هُرَيْرَةَ اِنْ الرَّكْبَ مُرْتَجِلٌ وَهَلْ تُطِيْقُ وَدَاعًا اَيْهَا الرَّجُلُ

﴿اللغة﴾

البلد والمصر والمدينة نظائر واصله من قولهم بلد للآثر في الجلد وغيره وجمعه ابلاد ومن ذلك سميت البلاد لأنها مواضع مواطن الناس وتأثيرهم ومن ذلك قولهم لكركة البعير بلدة لأنه اذا برك تأثرت والاضطرار هو الفعل في النير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه اذا كان من جنس مقدوره ولهذا لا يقال فلان مضطر الى لونه وان كان لا يمكنه دفعه عن نفسه لالم يكن اللون من جنس مقدوره ويقال هو مضطر الى حركة الفالج وحركة العروق لما كانت الحركة من جنس مقدوره والمصير الحال التي يودي اليها أوكل لها وصار وحال وآل نظائر ومصير كل امر مصيره ومصير الباب شقه وفي الحديث من نظري في صيرباب فقد دمر وصيور الامر آخره

﴿الاعراب﴾

قوله من آمن محله نصب لأنه بدل من اهل وهو بدل البعض من الكل كما تقول اخذت المال ثلثه وجعلت متاعك بعضه على بعض وقوله ومن كفر يجوز ان يكون موصولا وصلة في موضع الرفع على الابتداء ويجوز أن يكون من اسماء الشرط في موضع رفع بالابتداء وكفر شرطه وفامتعه القا وما بعده جزاء ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الشرط والجزاء في موضع خبر مبتدا وعلى القول الاول فالقا وما بعده خبر المبتدا وبنس المصير فدل وفاعل في موضع الرفع لأنه خبر مبتدا محذوف تقديره وبنس المصير النار او العذاب وانتصب قليلا على احد وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون صفة للمصدر نحو قوله متاعا حسنا قال سيويه ترى الرجل يعالج شيئا فيقول رويدا اي علاجا رويدا وانما وصفه بالثقة مع ان التثنية يدل على التكثير من حيث كان لي نقاد ونقص وتنام كقوله سبحانه قل متاع الدنيا قليل والثاني ان يكون وصفا للزمان اي زمانا قليلا ويدل عليه قوله سبحانه مما قليل ليصبح نادمين وتقديره بعد زمان قليل كما يقال مرق عن الحسى واطعمه عن الجوع اي بعد الحسى وبعد الجوع

﴿ المعنى ﴾

«و» اذكر «اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا» اي هذا البلد يعني مكة «بلدا آمنا» اي ذا امن كما يقال بلد آهل اي ذو اهل وقيل معناه يامنون فيه كما يقال ليل نائم اي ينام فيه قال ابن عباس يريد حراما محرما لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يحتل خلائه. والى هذا المعنى يؤول ما روي عن الصادق عليه السلام من قوله من دخل الحرم مستجيها به فهو آمن من سخط الله عز وجل ومن دخله من الوحش والطير كان آمنا من ان يهاج اويؤذى حتى يخرج من الحرم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد من بعدي ولم تحل لي الا ساعة من النهار فهذا الخبر وامثاله المشهورة في روايات اصحابنا تدل على ان الحرم كان آمنا قبل دعوة ابراهيم عليه السلام وانما تأكدت حرمة بدعائه عليه السلام وقيل انما صار حراما بدعائه (ع) وقبل ذلك كان كسائر البلاد واستدل عليه بقول النبي (ص) ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وقيل كانت مكة حراما قبل الدعوة بوجه غير الوجه الذي صارت به حراما بعد الدعوة فالأول بمنع الله اياها من الاصطلام والانتفك كما خلق ذلك غيرها من البلاد وما جعل ذلك في النفوس من تعظيمها والهيبة لها والثاني بالامر بتعظيمه على ألسنة الرسل فأجابته الله تعالى الى ما سألت وانما سأله ان يجعلها آمنة من الجذب والتقطط لأنه اسكن اهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع ولم يسأله أمنها من الانتفك والحسف الذي كان حاصلها وقيل انه عليه السلام سأله الأمرين على ان يديهما وان كان احدهما مستأنفا والآخر قد كان قبل وقوله «وارزق اهل من الثمرات» اي اعط من انواع الرزق والثمرات «من آمن منهم بالله واليوم الآخر» سألتهم الثمرات ليجمع لهم الامن والحطب فيكونوا في رغد من العيش وروي عن ابي جعفر عليه السلام ان المراد بذلك ان الثمرات تحمل اليهم من الآفاق وروي عن الصادق عليه السلام قال هي ثمرات القلوب اي حبيبهم الى الناس ليشوبوا اليهم ولما خص بذلك من آمن بالله لأن الله تعالى قد اعلمه أنه يكون في ذريته الظالمون في جواب مسأله اياه لذريته الامامة بقوله لا ينال عهدي الظالمين فخص بالدعاء في الرزق المؤمنين تأديبا بأدب الله تعالى وقيل انه عليه السلام ظن انه اذا دعا للكفار بالرزق انهم يكفرون بمكة ويفسدون فرما يصدون الناس عن الحج فخص بالدعاء اهل الايمان وقوله «قال ومن كفر فامتعه قليلا» اي قال الله سبحانه قد استجبت دعوتك فيمن آمن منهم ومن كفر فامتعه بالرزق الذي ارزقه الى وقت مماته وقيل فامتعه بالبقاء في الدنيا وقيل امتعه بالامن والرزق الى خروج محمد (ص) فيقتله ان اقام على كفره او يحلجه عن مكة عن الحسن «ثم اضطره الى عذاب النار» اي ادفعه الى النار وسوقه اليها في الآخرة «وبئس المصير» اي الرجوع والمأوى والمآل

قوله تعالى (١٢٧) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الرفع والاعلا. والاصماد نظائر ونقيض الرفع الوضع ونقيض الاصماد الاتزال يقال رفع يرفع رفعا وارتفع الشيء نفسه والرفوع من عدو القرس دون الحضر وفوق الموضوع يقال ارفع من دابتك والرفع نقيض الخفض في كل شيء. والرفعة نقيض الذلّة والقواعد والاساس والاركان نظائر وواحد القواعد قاعدة واصله في اللغة الثبوت والاستقرار فمن ذلك القاعدة من الجبل وهي اصله وقاعدة البناء. اساسه الذي بني عليه وامرأة قاعدة اذا اتت عليها سنون لم تتزوج واذا لم تحمل المرأة او الثلثة قيل قد قدمت فهي قاعدة وجمعها قواعد وتأويله انها قد ثبتت على ترك الحمل واذا قدمت من الحيض فهي قاعدة بتغيرها لأنه لا فعل لها في قومها عن الحيض وقعدت للمرأة اذا أتت بأولاد لثام فهي قاعدة وقيل في ان واحدة النساء القواعد قاعدة قولان ﴿احدهما﴾ انها من الصفات المختصة

بالوئث نحو الطائق والحائض فلم يحتج الى علامة التأنيث (والآخر) وهو الصحيح ان ذلك على معنى النسبة اي ذات قوم كما يقال نابل ودارع اي ذو نبل وذو درع ولا يراد بذلك تثبيت الفعل

﴿ الاعراب ﴾

قوله من البيت الجار والمجرور يتعلق بيرفع او محذوف فيكون في محل نصب على الحال وذو الحال القواعد وموضع الجملة من قوله ربنا تقبل منا نصب بقول محذوف كأنه قال يقولان ربنا تقبل منا واتصل بما قبله لانه من تمام الحال لأن يقولان في موضع الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه كيف بنى ابراهيم البيت فقال "واذ يرفع" وتقديره واذا ذكر اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت اي اصول البيت التي كانت قبل ذلك عن ابن عباس وعطاء قالا قد كان آدم عليه السلام بناه ثم عفا اثره فجده ابراهيم (ع) وهذا هو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقال مجاهد بل انشاء ابراهيم (ع) بامر الله عز وجل وكان الحسن يقول اول من حج البيت ابراهيم وفي روايات اصحابنا ان اول من حج البيت آدم (ع) وذلك يدل على انه كان قبل ابراهيم وروي عن الباقر انه قال ان الله تعالى وضع تحت العرش اربع اساطين وسماها الضراح وهو البيت المعمور وقال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة فقال ابنوا في الارض بيئا بئناه وقدره وامر من في الارض ان يطوفوا بالبيت وفي كتاب العياشي باسناده عن الصادق قال ان الله انزل الحجر الاسود من الجنة لآدم وكان البيت درة بيضاء فرفعه الله تعالى الى السماء وبني اساسه فهو حياض هذا البيت وقال يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه ابدا فامر الله سبحانه ابراهيم واسماعيل ان يبنا البيت على القواعد وعن امير المؤمنين عليه السلام ان اول شي تزل من السماء الى الارض هو البيت الذي بمكة انزله الله يا قوتة حمراء ففسق قوم نوح في الارض فرفعه وقوله "واسماعيل" اي يرفع ابراهيم واسماعيل اساس الكعبة يقولان ربنا تقبل منا وفي حرف عبد الله بن مسعود ويقولان ربنا تقبل منا ومثله قوله سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اي يقولون وقال بعضهم تقديره يقول ربنا برده الى ابراهيم عليه السلام قال لأن ابراهيم وحده رفع القواعد من البيت وكان اسماعيل صغيرا في وقت رفعها وهو شاذ غير مقبول لشذوذه فان الصحيح ان ابراهيم واسماعيل كانا بنيان الكعبة جميعا وقيل كان ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجر فوصفا بأنها رفعا البيت عن ابن عباس وفي قوله ربنا تقبل منا دليل على انها بنيان الكعبة مسجد الامسكتا لأنها التمس الثواب عليه والثواب انما يطلب على الطاعة ومعنى تقبل منا اثبتنا على عمله وهو مشبه بقبول الهدية فإن الملك اذا قبل الهدية من انسان اطلبه على ذلك وقوله "انك انت السميع العليم" اي انت السميع لدعائنا العليم بنا وبما يصلحنا وروي عن الباقر ان اسماعيل اول من شق لسانه بالعربية وكان ابوه يقول له وهما بينان البيت يا اسماعيل هات ابن^(١) اي اعطني حجرا فيقول له اسماعيل بالعربية يا ابيه هات حجرا فابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة وفي هذه الآية دلالة على ان الدعاء عند القران من العبادة مرغ فيه مندوب اليه كما فعله ابراهيم واسماعيل (ع)

﴿ قصة مهاجرة اسماعيل وهاجر ﴾

روي علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن النضر بن سويد عن هشام عن الصادق قال ان ابراهيم كان تازلا في بادية الشام فلما ولد له من هاجر اسماعيل اغتمت سارة من ذلك غما شديدا لأنه لم يكن له منها ولد فكانت تؤذي ابراهيم في هاجر وتغمه فشكا ذلك ابراهيم الى الله عز وجل فأوحى الله اليه انما مثل المرأة مثل الضلع المروج ان تركته استمعت به وان رمته أن تقيمه كسرته وقد قال القائل في ذلك

(١) في بعض النسخ هادي ابن وفي البرانية اعطني حجرا هادي ابن فليحرق

هِيَ الصَّلْعُ الْعَوَجَاُ لَسْتَ تَقِيْمُهَا أَلَا إِنَّ تَقْوِيْمَ الصَّلْوَعِ أَنْكِسَارُهَا

ثم امره ان يخرج اسماعيل وامه عنها فقال اي رب الى اي مكان قال الى حرمي وامني واول بقعة خلقتها من ارضي وهي مكة واتزل عليه جبرائيل بالبراق فحل هاجر واسماعيل وابراهيم فكان ابراهيم لا يمر بوضع حسن فيه شجر ونخل وزرع الا قال يا جبرائيل الى هاهنا الى هاهنا فيقول جبرائيل لا امض لا امض حتى واني مكة فوضعه في موضع البيت وقد كان ابراهيم عاهد سارة ان لا ينزل حتى يرجع اليها فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر فالقت هاجر على ذلك الشجر كسا. كان معها فاستظلت تحته فلما سرحهم ابراهيم ووضعهم واراد الانصراف عنهم الى سارة قالت له هاجر لم تقدمنا في هذا الموضع الذي ليس فيه انيس ولا ماء ولا زرع فقال ابراهيم ربني الذي امرني ان اضعكم في هذا المكان ثم انصرف عنهم فلما بلغ كدى وهو جبل بنذي طوى الثفت اليهم ابراهيم فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الى قوله لعلهم يشكرون ثم مضى وبعيت هاجر فلما ارتفع النهار عطش اسماعيل فقامت هاجر في الوادي حتى صارت في موضع السعي فنادت هل في الوادي من انيس فغاب عنها اسماعيل فصعدت على الصفا ولع لها السراب في الوادي وظنت انه ماء فتزلت في بطن الوادي وسعت فلما بلغت الروة غاب عنها اسماعيل ثم لع لها السراب في ناحية الصفا وهبطت الى الوادي تطلب الماء فلما غاب عنها اسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت الى اسماعيل حتى فعلت ذلك سبع مرات فلما كان في الشوط السابع وهي على الروة نظرت الى اسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه فعدت حتى جمعت حوله رملا وانه كان سائلا فزمته بما جعلت حوله فلذلك سميت زمزم وكانت جرهم نازلة بنذي المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحوش على الماء فنظرت جرهم الى تمكف الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتى نظروا الى امرأة وصبي نزول في ذلك الموضع قد استظلوا بشجرة قد ظهر لهم الماء فقال لها جرهم من انت وما شأنك وشان هذا الصبي قالت انا ام ولد ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وهذا ابنه امره الله ان ينزلنا هاهنا فقالوا لها اناذين ان نكون بالقرب منكم فقالت حتى اسأل ابراهيم قال فزارها ابراهيم يوم الثالث فقالت له هاجر يا خليل الله ان هاهنا قوما من جرهم يسألونك ان تاذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا افتاذن لهم في ذلك فقال ابراهيم نعم فاذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم وانست هاجر واسماعيل بهم فلما زارهم ابراهيم في المرة الثانية ونظر الى كثرة الناس حولهم سر بذلك سرورا شديدا فلما تحرك اسماعيل وكانت جرهم قد وهبوا لاسماعيل كل واحد منهم شاة وشاتين وكانت هاجر واسماعيل يعيشان بها فلما بلغ مبلغ الرجال امر الله تعالى ابراهيم ان يبني البيت فقال يارب في اي بقعة قال في البقعة التي اتزت على آدم القبة فاضات الحرم قال ولم تزل القبة الذي اتزلها الله على آدم قائمة حتى كان ايام الطوفان في زمن نوح فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا ولم تغرق مكة فسمي البيت العتيق لانه اعق من الغرق فلما امر الله عز وجل ابراهيم ان يبني البيت لم يددر في اي مكان يبنيه فبعث الله جبرائيل فخط له موضع البيت وانزل عليه القواعد من الجنة وكان الحجر الذي انزله الله على آدم اشد بياضا من الثلج فلما مست ايدي الكفار اسود قال فبنى ابراهيم البيت ونقل اسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة اذرع ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه ابراهيم ووضعه في موضعه الذي هو فيه وجعل له بابين بابا الى المشرق وبابا الى المغرب فالباب الذي الى المغرب يسمى المستجار ثم اتى عليه الشيخ والاخر وعلقت هاجر على بابه كسا. كان معها فكانوا يكونون تحته فلما بناه وفرغ حج ابراهيم واسماعيل ونزل عليهما جبرائيل يوم التروية لئان خلت من ذي الحجة فقال يا ابراهيم قنارتو من الماء لانه لم يكن بنى وعرفات ماء فسميت التروية لذلك ثم اخرجته الى منى فبات بها ففعل به ما فعل بآدم فقال ابراهيم لا فرغ من بناء البيت رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات الآية

قوله تعالى (١٢٨) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير اربنا باسكان الراء كل القرآن وواقفه ابن عامر وابو بكر عن عاصم في السجدة ربنا اربنا الذين وقرأ ابو عمرو بالاختلاس لكسرة الراء من غير اشباع كل القرآن والباقون بالكسر

﴿ الحجة ﴾

الاختيار كسرة الراء لأنها كسرة الهززة قد حوت الى الراء لأن اصله اربنا فنقلت الكسرة الى الراء وسقطت الهززة ولأن في اسكان الراء بعد سقوط الهززة اجحافا بالكلمة وابطالا للدلالة على الهززة ومن سكنه فعلى وجه التشبيه بما يسكن في مثل كبد وفخذ ونحو قول الشاعر (لو حضر منه البان والمسك انعصر) وقال الآخر

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرَلْنَا سَوِيْقًا وَأَشْتَرَّ وَعَجِلَ خَادِمًا كَيْفَا

واما الاختلاس فلطلب الحجة وبقاء الدلالة على حذف الهززة

﴿ اللثة ﴾

الاسلام هو الاتقياد لأمر الله تعالى بالخضوع والاقرار بجميع ما اوجب الله وهو والايمان واحد عندنا وعند العقلة وفي الناس من قال بينهما فرق وبيطه قوله سبحانه ان الدين عند الله الاسلام ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه والناسك هاهنا التبعيدات قال الزجاج كل متعبد منسك والنسك في اللثة العبادة ورجل ناسك عابد وقد نسك نسكا والنسك الذبيحة يقال من فعل كذا فعليه نسك اي دم بهريقه والنسيكة الذبيحة والنسك الموضع الذي تذبح فيه التسانك والنسك ايضا هو النسك نفسه قال سبحانه ولكل امة جعلنا منسكا وقال ابن دريد النسك اصله ذبائح كانت تذبح في الجاهلية والنسيكة شاة كانوا يذبحونها في الحرم في الاسلام ثم نسخ ذلك بالأضاحي قال الاعشى

وَذَا النَّصَبِ الْمُنْصُوبِ لَا تَنْسُكُنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ فَأَعْبُدَا

قال ابو علي السوي الناسك جمع منسك وهو المصدر جمع لاختلاف ضروبه

﴿ الاعراب ﴾

اللام في لك تعلق بمسلمين ومن ذريتنا من فيه تتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتنا والجار والمجرور مفعول اجعل وامة مفعول ثان لان اجعل وارنا يحتمل وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون منقولا من رأيت الذي هو بمعنى ادراك البصر نقلت بالهززة فتعدت الى مفعولين والتقدير حذف المضاف كأنه قال اربنا مواضع مناسكنا اي عرفناها لتعني نسكنا فيها وذلك نحو مواقيت الاحرام والموقف يعرفات ومواضع الطواف فهذا من رأيت الموضع واربته اياه (والآخر) ان يكون منقولا من نحو قولهم فلان يرى رأي الخوارج فيكون معناه علمنا مناسكنا ومثله قول الشاعر

أَرَيْتَنِي جَوَادًا مَاتَ هَزْلًا لَمُنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بِخَيْلًا مُخَلَّدَا

اراد دليني ولم يرد روية العين

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر تام دعائها عليها السلام فقال سبحانه «ربنا واجعلنا مسلمين لك» اي قال ربنا واجعلنا مسلمين في مستقبل عمرنا كما جعلتنا مسلمين في ماضي عمرنا بأن توقعنا وتعلم بنا الالطاف التي تدعونا الى الثبات على الاسلام

ويجزي ذلك مجرى ان يوجب احدا ولده ويعرضه لذلك حتى صار ادبيا فيجوز ان يقال جعل ولده ادبيا وعكس ذلك اذا عرضه للبلاء والفساد جاز ان يقال جعله ظالما فاسدا وقيل ان معنى مسلمين موحدين مخلصين لك لا نعبد الا اياك ولا ندعو رباً سواك وقيل قائلين بجميع شرائع الاسلام مطيعين لك لأن الاسلام هو الطاعة والانقياد والخضوع وترك الامتناع وقوله «ومن ذريتنا امة مسلمة لك» اي واجل من ذريتنا اي من اولادنا ومن التبعية وانما خصاً بعضهم لأنه تعالى اعلم ابراهيم عليه السلام ان في ذريته من لا ينال عهد الظالمين لا يرتكبه من الظلم وقال السدي اراد بذلك العرب والصحيح الأول امة مسلمة لك اي جماعة موحدة منقادة لك يعني امة محمد صلى الله عليه وآله بدلالة قوله وابعث فيهم رسولا منهم وروي عن الصادق ان المراد بالامة بنوها ثم خاصة وقوله «وارنا مناسكتنا» اي عرفنا هذه المواضع التي تتعلق بالنسك بها لتفعله عندها وتقضي عبادتنا فيها على حد ما يقتضيه توفيقنا عليها قال قتادة فارأها الله منا سكرها الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والاقاضة من عرفات ومن جمع ورسم الجمار حتى اكل بها الدين وقال عطاء ومجاهد معنى مناسكتنا هذا الجنا والاول اقوى وقوله «وتب علينا» فيه وجوه ﴿احدها﴾ انها قالا هذه الكلمة على وجه التسبيح والتعبد والانقطاع الى الله سبحانه ليقتدي بها الناس فيها وهذا هو الصحيح (وثانها) انها سألا التوبة على ظلمة ذريتهما (وثالثها) ان معناه ارجع الينا بالمغفرة والرحمة وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة عليهم او ارتكاب التبيح منهم لأن الدلائل القاهرة قد دلت على ان الانبياء معصومون متزهون عن الكبائر والصغائر وليس هنا موضع بسط الكلام في ذلك «انك انت التواب» اي القابل للتوبة من عظام الذنوب وقيل الكثير القبول للتوبة مرة بعد اخرى «الرحيم» بعباده المنعم عليهم بالتم العظام وتكفير السيئات والآثام وفي هذه الآية دلالة على انه يحسن الدعاء بما يعلم الداعي انه يكون لا محالة لأنها كانتا عالين بأنهما لا يقاربان الذنوب والآثام ولا يفارقان الدين والاسلام

قوله تعالى (١٢٩) رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (آية)

﴿اللفظة﴾

العزير التدبير الذي لا يغالب وقيل هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء. اراد فعله ونقيض العزير الذل وعزير عزة وعزا اذا صار عزيزا وعزير عزا اذا قهر ومنه قولهم من عزيراي من غلب سلب واعتراشي اذا صلب وهو من العزاز من الأرض وهو الطين الصلب الذي لا يبلغ ان يكون حجارة وعز الشئ اذا قل حتى لا يكاد يوجد واعتز فلان بفلان اذا تكبر به والحكيم معناه المدير الذي يحكم الصنع ويحسن التدبير فعلى هذا يكون من صفات الفعل ويكون بمعنى العليم فيكون من صفات الذات

﴿الاعراب﴾

ابعث جملة فعلية معطوفة على تب فيهم تتعلق بابعث ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره رسولا كأننا فيهم فيكون في موضع نصب على الحال ويتلو منصوب الموضع بكونه صفة قوله رسولا اي نالها وعليهم تتعلق بيتلو

﴿المعنى﴾

الضمير في قوله فيهم يرجع الى الأمة المسلمة التي سألت الله ابراهيم ان يجعلهم من ذريته والمعنى به بقوله «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم» هو نبينا صلى الله عليه وآله لا روي عنه انه قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى عليها السلام يعني قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وهو قول الحسن وقاتدة وجماعة من العلماء ويدل على ذلك انه دعا بذلك لذريته الذين يكونون بمكة وما حولها على ما تضمنه الآية في قوله ربنا وابعث

فيهم اي في هذه الذرية رسولا منهم ولم يبعث الله من هذه صورته الا محمدا صلى الله عليه وآله وقوله «يتلوا عليهم آياتك» اي يقرأ عليهم آياتك التي توحى بها اليه «ويعلمهم الكتاب» اي القرآن وهذا لا يعد من التكرار لأنه خص الأول بالتلاوة ليعلموا بذلك انه معجز دال على صدقه ونبوته وخص الثاني بالتعليم ليمرفوا ما يتضمنه من التوحيد وادائه وما يشتمل عليه من احكام شريعته وقوله «والحكمة» قيل هي هاهنا السنة من قتادة وقيل المعرفة بالدين والفقه في التأويل عن مالك بن انس وقيل العلم بالاحكام التي لا يدرك علمها الا من قبل الرسل عن ابن زيد وقيل انه صفة للكتاب كأنه وصفه بانه كتاب وانه حكمة وانه آيات وقيل الحكمة شي. يجعله الله بالقلب ينوره الله به كما ينور البصر فيدرك البصر وقيل هي مواعظ القرآن وحرامه وحلاله عن مقاتل وكل حسن وقوله «ويؤكفهم» اي يجعلهم مطيعين مخلصين والزكاه هو الطاعة والاخلاص لله سبحانه عن ابن عباس وقيل معناه يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه عن ابن جريج وقيل معناه يستدعيهم الى فصل ما يزكون به من الايمان والصلاح عن الجبائي وقيل يشهد لهم بأنهم اذكيا. يوم القيامة اذا شهد على كل نفس بما كسبت عن الأضمر وقوله «انك انت العزيز الحكيم» اي القوي في كمال قدرتك المنيع في جلال عظمتك المحكم لبدائع صنعك وانما ذكر هاتين الصفتين لاتصالهما بالدعاء فكانه قال فرغنا اليك في دعائنا لأنك القادر على اجابتنا العالم بما في ضمائرنا وبما هو اصلح لنا مما لا يبلغه كنه علمنا وقصار بصائرنا وفي هذه الآية دلالة على ان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام دعوا لنبينا محمد صلى الله عليه وآله بجميع شرائط النبوة لأن تحت التلاوة الاداء وتحت التعليم البيان وتحت الحكمة السنة ودعوا لامته باللطف الذي لاجله تمسكوا بكتابه وشرعه فصاروا اذكيا. وهذا لأن الدعاء صدر من اسماعيل (ع) فعلم بذلك ان النبي المدعو به من ولده لامن ولد اسحاق ولم يكن في ولد اسماعيل نبي غير نبينا صلى الله عليه وآله سيد الانبياء.

قوله تعالى (١٣٠) وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ اِبْرَاهِيمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَاِنَّهُ فِي الْاٰخِرَةِ لَيِّنَ الصّٰلِحِيْنَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الرغبة المحبة لما فيه للنفس منفعة ورغبت فيه ضد رغبت عنه والرغبة والمحبة والارادة نظائر وتقيض الرغبة الرهبة وتقيض المحبة البغضة وتقيض الارادة الكراهة وتقول رغبت فيه رغبة ورغبتا ورغبي اذا ملت اليه ورغبت عنه اذا صدقت عنه ورجل رغب نهم شديد الأكل وفرس رغب الشحوة اي كثير الأخذ بقوائمه من الأرض وموضع رغب واسع والرغبة العطاء الكثير الذي يرغب في مثله والاصطفا. والاجتبا. والاختيار نظائر والصفاء والتقاء. والخلوص نظائر والصفو تقيض الكدر وصفوة كل شي. خالصه وصني الانسان اخوه الذي يضافه المردة وناقية صني كثيرة اللبن ونخلة صافية كثيرة الحمل والجمع الصفايا واصطفينا على وزن افتعلنا من الصفوة وانما قلبت التاء طاء لأنها اشبه بالصاد بالاستعلاء والاطباق وهي من مخرج التاء. فاتي بحرف وسط بين الحرفين

﴿ الاعراب ﴾

من يرغب لفظه من الاستفهام ومعناه الجهد فكانه قال ما يرغب عن ملة ابراهيم ولا يزهدها فيها الا من سفه نفسه اي الذي سفه نفسه من الأولى على الاستفهام والثانية بمعنى الذي والاحرف الاستثناء. ويجوز ان يكون لتقيض الثاني ومن اسم موصول وسفه نفسه صلته والموصول والصلة في محل النصب على الاستثناء. او في محل الرفع بكونه بدلا من الضمير الذي في يرغب وفي انتصاب نفسه خلاف قال الاخفش معناه سفه نفسه وقال يونس اراها لغة قال الزجاج اراد ان فعل لغة في المبالغة كما ان فعل كذلك ويجوز على هذا القول سفهت زيدا بمعنى سفهت زيدا وقال ابو عبيدة معناه اهلك نفسه واوبق نفسه فهذا كله وجه واحد والوجه الثاني ان يكون على التفسير كقوله فان طبن لكم

عن شيء منه نفسا وهو قول الفراء قال ان العرب توقع سفه على نفسه وهي معرفة وكذا كبطرت مبيشتها وانكر الزجاج هذا الوجه قال ان معنى التمييز لا يمتثل التعريف لأن التمييز انما هو واحد يدل على جنس او خلة تخلص من خلال فاذا عرفت صار مقصودا قصده وهذا لم يقله احد ممن تقدم من التحويين والوجه الثالث ان يكون على التمييز والاضافة على تقدير الانفصال كما تقول مرتت برجل مثله اي مثل له والوجه الرابع ان يكون على حذف الجار في معنى سفه في نفسه كقوله سبحانه ولا جناح عليكم ان تسترضعوا اولادكم اي لأولادكم لحذف حرف الجر من غير ظرف ومثله ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح ومثله قول الشاعر

تُعَالِي اللَّحْمَ إِلَّا ضَيَافَ نِيًّا وَنَبْذُ لَهُ إِذَا نَضِجَ التَّدُورُ

والمنى نعالي باللحم قال الزجاج وهذا مذهب صحيح والوجه لطامس ما اختاره الزجاج وهو ان سفه بمعنى جهل وهو موافق في المعنى لما قاله السراج في قوله بطرت مبيشتها ان البطر مستقل للنعمة غير راض بها فعلى هذا يكون نفسه مفعول به وانه في الآخرة في تتعلق بمحذوف فهو منصوب الموضع على الحال وذو الحال الضمير المستكن في قوله من الصالحين

﴿ النزول ﴾

روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لقد علمنا ان صفة محمد في التوراة فاسلم سلمة وابي مهاجر ان يسلم فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لا بين سبحانه قصة ابراهيم وان ملته ملة محمد عقبه بذكر الحث على اتباعها فقال «ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه» اي لا يترك دين ابراهيم وشريعته الا من اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه عن الحسن وقيل جهل قدره لأن من جهل خالقه فهو جاهل بنفسه عن الاصم وقيل جهل نفسه بما فيها من الآيات الدالة على ان لها صانعا ليس ككله شيء عن ابني مسلم وقوله «ولقد اصطفيناه في الدنيا» اي اخترناه بالرسالة واجتبيناه «وانه في الآخرة لمن الصالحين» اي من الفاترين عن الزجاج وقيل معناه لمع الصالحين اي مع آياته الانبياء في الجنة عن ابن عباس وقيل انما خص الآخرة بالذكر وان كان في الدنيا كذلك لأن المعنى من الذين يستوجبون على الله سبحانه الكرامة وحسن الثواب فلما كان خلوص الثواب في الآخرة دون الدنيا وصفه فيها بما ينبيء عن ذلك وفي قوله سبحانه «ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه» دلالة على ان ملة ابراهيم هي ملة نبينا صلى الله عليه وآله لان ملة ابراهيم داخلية في ملة محمد مع زيادات في ملة محمد فبين ان الذين يرغبون من الكفار عن ملة محمد التي هي ملة ابراهيم قد سفهوا انفسهم وهذا معنى قول قتادة والربيع ويدل عليه قوله ملة ابيكم ابراهيم

قوله تعالى (١٣١) اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين (آية)

﴿ الاعراب ﴾

قال فعل فارغ وله جار ومجرور واللام تتعلق بقال وقال له ربه مجرور الموضع باضافة اذ اليه واللام في لرب العالمين تتعلق بأسلمت

﴿ المعنى ﴾

هذا متصل بقوله ولقد اصطفيناه وموضع اذ نصب باصطفيناه وتقديره ولقد اصطفيناه حين قال له ربه اسلم واختلف في انه متى قيل له ذلك فقال الحسن كان هذا حين اقلت الشمس ورأى ابراهيم تلك الآيات والادلة فاستدل بها على وحدانية الله سبحانه وقال يا قوم اني بريء مما كركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض الآية وانه اسلم حينئذ وهذا يدل على انه كان ذلك قبل النبوة وانه قال له ذلك إلهاماً استدعاءً منه

الى الاسلام فاسلم حينئذ لما وضع له طريق الاستدلال بما رأى من الآيات ولا يصح ان يوحي الله اليه قبل اسلامه بأنه نبي الله لأن النبوة حال اجلال واعظام ولا يكون ذلك قبل الاسلام وقال ابن عباس انما قال ذلك ابراهيم عليه السلام حين خرج من السرب وقيل انما قال ذلك بعد النبوة ومعنى اسلم استقم على الاسلام واثبت على التوحيد كقوله سبحانه فاعلم انه لا إله إلا الله وقيل ان معنى اسلم اخلص دينك بالتوحيد وقوله «اسلمت لرب العالمين» اي اخلصت الدين لله رب العالمين

قوله تعالى (١٣٢) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (آية)

﴿ القراة ﴾

قرأ اهل المدينة والشام وأوصى بهمزة بين واوین وتخفيف الصاد وقرأ الباقون ووصى مشددة الصاد

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ وصى قوله تعالى فلا يستطيعون توصية فتوصية مصدر وصى مثل قطع تقطعة ولا يكون منه تمعيل لأنك لو قلت في مصدر حيث تمعيل لكان يجمع ثلاث ياءات فرفض ذلك وحجة من قرأ ووصى بها ابراهيم : له يوصيكم الله ومن بعد وصية توصون بها اودين

﴿ اللغة ﴾

وصى ووصى امر وعهد بمعنى وقد قالوا وصى البيت اذا اتصل بعضه ببعض فالوصية كأن الموصي بالوصية وصل جل امره بالموصى اليه

﴿ الاعراب ﴾

يعقوب رفع لأنه عطف على ابراهيم والتقدير ووصى ابراهيم ويعقوب وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل انه على الاستئناف كأنه قال وصى يعقوب ان يابني ان الله اصطفى لكم الدين والاول اظهر والفرق بين التقديرين ان الاول لا إضمار فيه لأنه معطوف والثاني فيه اضمار والماء في بها تعود الى الملة وقد تقدم ذكرها وهو قول الزجاج وقيل انها تعود الى الكلمة التي هي اسلمت لرب العالمين والالف واللام في الدين للمهد دون الاستفراق لأنه اراد دين الاسلام وقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون وان كان على لفظ التهي لهم عن الموت فالتهي على الحقيقة عن ترك الاسلام لتلا يصادفهم الموت عليه ومثله من كلام العرب لا اربنك هاهنا فالتهي في اللفظ للتكلم وانما هو في الحقيقة للمخاطب فكأنه قال لا تتعرض لأن اراك بكونك هاهنا وقوله وانتم مسلمون جملة في موضع الحال وتقديره لا تموتوا الا مسلمين وذو الحال الواو في تموتوا ومعناه ليأتكم الموت وانتم مسلمون

﴿ المعنى ﴾

لما بين عز اسمه دعاء ابراهيم عليه السلام لذريته وحكم بالسفه على من رغب عن ملته ذكر اهتمامه بأمر الدين وعهده به الى نبيه في وصيته فقال «ووصى بها» اي بالملة او بالكلمة التي هي قوله اسلمت لرب العالمين ويورد هذا قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه وقيل بكلمة الاخلاص وهي لا إله إلا الله «ابراهيم بنيه» انما خص البنين لأن اشفاقه عليهم اكثر وهم يقبلون وصيته اجدر والا فمن المعلوم انه كان يدعو جميع الانام الى الاسلام ويعقوب وهو ابن اسحاق وانما سمي يعقوب لأنه وعيماً كنا توأمين فتقدم عيص وخرج يعقوب على اثره اخذا بعقبه عن ابن عباس والمعنى ووصى يعقوب بنيه الاثني عشر وهم الاسباط «يابني ان الله اصطفى لكم الدين» اي فقالا جميعاً يابني ان الله اختار لكم دين الاسلام «فلا تموتن الا وانتم مسلمون» اي لا تتركوا الاسلام فيصادفكم

الموت على تركه او لا تتعرضوا للموت على ترك الاسلام بفعل الكفر وقال الزجاج معناه الزموا الاسلام فاذا ادر كنتم الموت صادفكم مسلمين وفي هذه الآية دلالة على الترييب في الوصية عند الموت وانه ينبغي ان يوصي الانسان من يلى امرهم بتقوى الله ولزوم الدين والطاعة

قوله تعالى (١٣٣) **أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الشهداء جمع شهيد والشاهد والحاضر من النظائر تقول حضرت القوم احضرهم حضورا اذا شهدتهم والحضيرة الجماعة من الناس ما بين الخمسة الى العشرة واحضر الفرس احضارا اذا عدا عدوا شديدا وحاضرت الرجل محاضرة اذا عدت معه وحاضرته اذا جائته عند السلطان او في خصومة وحضرة الرجل فناؤه واصل الباب الحضور وخلاف الغيبة

﴿ الاعراب ﴾

ام هاءنا منقطعة وهي لا تجي الا وقد تقدمها كلام لانها التي تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام كأنه قيل بل اكنتم شهداء ومعنى أم هاءنا الجهد اي ما كنتم شهداء وانما كان اللفظ على الاستفهام والمعنى على خلافه لأن اخرجه مخرج الاستفهام ابلغ في الكلام واشد مظهرة في الججاج اذ يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحجة او الانكار له فتظهر الفضيحة واذ الاولى ظرف من قوله شهداء واذ الثانية بدل من اذ الاولى وقيل العامل في الثانية حضر وكلاهما جازما للاستفهام وهو منصوب الموضع لأنه مفعول تعبدون ومن بعدي الجار والجرور في محل النصب على الظرف وقوله إلهها واحدا منصوب على احد وجهين ان يكون حالا فكأنه قال نعبد إلهك في حال وحدانيته او يكون بدلا من إلهك وتكون الفائدة فيه ذكر التوحيد ونحن له مسلمون جملة في موضع الحال ويجوز ان يكون على الاستئناف فلا يكون لها موضع من الاعراب و ابراهيم واسماعيل واسحاق في موضع جر على البدل من آباءك كما تقول مررت بالقوم اخيك وغلامك وصاحبك

﴿ المعنى ﴾

خاطب سبحانه اهل الكتاب فقال «ام كنتم شهداء» اي ما كنتم حضورا «اذ حضر يعقوب الموت» وما كنتم حضورا «اذ قال يعقوب لبنيه ما تعبدون من بعدي» ومعناه انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائي ورسلي الا باطيل بأن تنسبهم الى اليهودية والنصرانية فاني ما بعثتهم الا بالحنيفية وذلك ان اليهود قالوا ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فرد الله تعالى عليهم قولهم وانما قال ما تعبدون ولم يقل من تعبدون لأن الناس كانوا يعبدون الاصنام فقال اي الاشياء تعبدون من بعدي قالوا «نعبد إلهك وآله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق» وانما قدم ذكر اسماعيل على اسحاق لأنه كان اكبر منه واسماعيل كان عم يعقوب وجعله ابا له لأن العرب تسمي العم ابا كما تسمي الجد ابا وذلك لأنه يجب تعظيمها كتعظيم الأب ولهذا قال النبي (ص) ردوا علي الي يعني العباس عمه «إلهها واحدا ونحن له مسلمون» اي مذعنون مقرون بالعبودية وقيل خاضعون منقادون مستسلمون لأمره ونهيه قولا وعقدا وقيل داخلون في الاسلام يدل عليه قوله ان الدين عند الله الاسلام

قوله تعالى (١٣٤) **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَتَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الامة على وجوه (الاول) الجماعة كما في الآية (والثاني) القدوة والامام في قوله ان ابرهيم كان امة قانتا (والثالث) القامة في قول الاعشى

وَأَنَّ مُعَاوِيَةَ الْكَرْمِينِ حَسَانُ الْوُجُوهِ طَوَّالُ الْأُمَمِ

(والرابع) الاستقامة في الدين والدنيا قال النابغة

حَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِي رِيَّةً وَهَلْ يَأْتَمَنُ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعٌ

اي ذو ملة ودين (والخامس) الحين في قوله وادكر بعد امة (والسادس) اهل الملة الواحدة في قولهم امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وعليهما واصل الباب التصد من امة يومه اما اذا قصدت امة خلت اي مضت واصله الانفراد يقال خلا الرجل بنفسه اذا انفرد وخلا المكان من اهله اذا انفرد منهم والفرق بين الخلو والفرغ ان الخلو اذا لم يكن مع الشيء غيره وقد يفرغ من الشيء وهو معه يقال فرغ من البناء وهو معه فاذا قيل خلا منه فليس معه والكسب العمل الذي يجلب به نفع او يدفع به ضرر عن النفس وكسب لأهله اذا اجتلب ذلك لهم بعلاج ومراس ولذلك لا يطلق الكسب في صفة الله

﴿ الاعراب ﴾

قوله لها ما كسبت يحتمل ان يكون في موضع نصب على الحال فكأنه قيل ملزمة ما تهتجته بعملها ويجوز ان لا يكون لها موضع لأنها مستأنفة فلا تكون جزءا من الخبر الاول لكن تكون متصلة به في المعنى وان لم تكن جزءا منه لأنها خبران في المعنى عن شيء واحد فكأنه قيل الجماعة قد خلت والجماعة لها ما كسبت عما كانوا يعملون ما اسم موصول وكانوا يعملون صلته والموصول والصلة في موضع الجر بعن وعن تتعلق بتسألون

﴿ المعنى ﴾

«تلك امة قد خلت» اي جماعة قد مضت يعني ابراهيم واولاده «لها ما كسبت» اي ما عملت من طاعة او معصية «ولكم» يامعشر اليهود والنصارى «ما كسبتم» اي ما عملتم من طاعة او معصية «ولا تسئلون عما كانوا يعملون» اي لا يقال لكم لم عملوا كذا وكذا على جهة المطالبة لكم بما يلزمهم من اجل اعمالهم كما لا يقال لهم لم علمت انتم كذا وكذا ولما يطالب كل انسان بعمله دون عمل غيره كما قال سبحانه ولا ترزقون الا بما كنتم تعملون وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة ان الابناء موراخذون بذنوب الآباء وان ذنوب المسلمين تحمل على الكفار لان الله تعالى نبي ذلك

قوله تعالى (١٣٥) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحنيف المائل عن الاديان الباطلة الى الدين الحق قال ابن دريد الحنيف العادل عن دين الى دين وبه سميت الحنيفية لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية وقيل الحنيف الثابت على الدين المستقيم والحنيفية الاستقامة على دين ابراهيم وانما قيل للذي تقبل احدى قدميه على الاخرى احنفت تقاولا بالسلامة كما قيل للمهلكة مغاظة تقاولا بالاهواز والتجاة وهو قول كثير من المفسرين واهل اللغة وقال الزجاج اصله من الحنفت وهو ميل في صدر القدم وسمي الاحنفت لحنف كان به وقالت حاضته وهي ترقصه (والله لا حنفت برجله ما كان في صيانتكم كمثل) وفي الحديث احب الاديان الى الله تعالى الحنيفية السمحة وهي ملة النبي صلى الله عليه وآله لا حرج فيها ولا ضيق

﴿ الاعراب ﴾

جزم تهتدوا على الجواب للأمر ومعنى الشرط قائم في الكلمة اي ان تكونوا على هذه الملة تهتدوا وانما تجزم تهتدوا على الحقيقة بالجزء وقوله ملة ابراهيم في انتصابه وجوه ﴿احدها﴾ ان تقديره بل اتبعوا ملة ابراهيم لأن قولهم كونوا هودا او نصارى يتضمن معنى اتبعوا اليهودية والنصرانية وتقديره قالوا اتبعوا اليهودية او النصرانية قل بل اتبعوا ملة ابراهيم فهذا عطف على المعنى (والثاني) ان يكون على الحذف كأنه قيل بل تتبع ملة ابراهيم فالاول عطف والثاني حذف (والثالث) ان ينتصب على تقدير بل نكون اهل ملة ابراهيم لحذف للضاف واقم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى واسئل القرية فهذا عطف على اللفظ وهو قول الكوفيين وحينما نصب على الحال اي في حال حنيفيته

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس ان عبد الله بن سوريا وكعب بن الاشرف ومالك بن الضيف وجماعة من اليهود ونصارى اهل نجران خاصوا اهل الاسلام كل فرقة ترم انها احق بدين الله من غيرها فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وقالت النصارى نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وكل فريق منها قالوا للمؤمنين كونوا على ديننا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان ابن سوريا قال لرسول الله (ص) ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

«وقالوا» الضمير يرجع الى اليهود والنصارى اي قالت اليهود «كونوا هودا» وقالت النصارى كونوا «نصارى» كل فريق منهم دعا الى ما هو عليه ومعنى «تهتدوا» اي تصيبوا طريق الحق كأنهم قالوا تهتدوا الى الحق اي اذا فطم ذلك كنتم قد اهتديتم وصرتم على سنن الاستقامة «قل» يا محمد «بل ملة ابراهيم» اي بل تتبع دين ابراهيم وعلى الوجه الآخر بل اتبعوا دين ابراهيم وقد عرفت الوجوه الثلاثة في الاعراب فلامعنى لاعادتها «حنيفا» مستقيا وقيل ما تلا الى دين الاسلام وفي الحنيفة اربعة اقوال ﴿احدها﴾ انها حج البيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد (وثانيها) انها اتباع الحق عن مجاهد (وثالثها) انها اتباع ابراهيم فيما اتى به من الشريعة التي صار بها اماما للناس بعده من الحج والحتان وغير ذلك من شرائع الاسلام (والرابع) انها الاخلاص لله وحده في الاقرار بالربوبية والاذعان للعبودية وكل هذه الاقوال ترجع الى ما قلناه من معنى الاستقامة والميل الى ما اتى به ابراهيم (ع) من الملة «وما كان من المشركين» اي وما كان ابراهيم من المشركين نبي الشرك عن ملته وثبته في اليهود والنصارى حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله وفي قوله سبحانه بل ملة ابراهيم حجة على وجوب اتباع ملة ابراهيم (ع) لسلامتها من التناقض ولوجود التناقض في اليهودية والنصرانية فلذلك صارت ملة ابراهيم احرى بالاتباع من غيرها فمن التناقض في اليهودية منعهم من جواز النسخ مع ما في التوراة من الدلالة على جوازه وامتاعهم من العمل بما تقدمت به البشارة في التوراة من اتباع النبي الامي مع اظهارهم التمسك بها وامتاعهم من الاذعان لما دلت عليه الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة من نبوة عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم مع اقرارهم بنبوة عيسى بدلالة المعجزات عليها الى غير ذلك من انواع التناقض ومن التناقض في قول النصارى قولهم الاب والابن وروح القدس آله واحد مع زعمهم ان الاب ليس هو الابن وان الاب آله والابن آله وروح القدس آله وامتاعهم من ان يقولوا ثلاثة آله الى غير ذلك من تناقضاتهم المذكورة في الكتب

قوله تعالى (١٣٦) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَأَلْيَاسَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الاسباط واحدهم سبط وهم اولاد اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وهم اثنا عشر سبطاً من اثني عشر ابنا وقالوا الحسن والحسين سبطا رسول الله ابي ولداه والاسباط في بني اسرائيل بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل قال الزجاج السبط الجماعة يرجعون الى اب واحد والسبط في اللغة الشجر فالسبط الذين هم من شجرة واحدة وقال ثعلب يقال سبط عليه العطاء او الضرب اذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض وانشد التوزي في قطع بقر (كانه سبط من الاسباط) شبهه بالجماعة من الناس يتتابعون في امر ومن ثم قيل لولد يعقوب اسباط والفرق بين التفريق والفرق ان التفريق جعل الشيء مفارقا لغيره والفرق نقيض الجمع والجمع جعل الشيء مع غيره والفرق جعل الشيء لا مع غيره والفرق بالحجة هو البيان الذي يشهد ان الحكم لأحد الشئيين دون الآخر

﴿ الاعراب ﴾

ما اوتي تقديره ما اوتي حذف الماء العائد الى الوصول ومن في قوله من ربهم تتعلق بأوتي او بجذوف فيكون مع المعذوف في موضع نصب على الحال وذو الحال الضمير المستكن في اوتي والعامل اوتي اويكون العامل فيه انزل وذو الحال ما اوتي لانفرق جملة منفية منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه آمنا ومنهم تتعلق بجذوف مجرور الموضع بكونه صفة لأحد ومعنى احد منهم اي بين اثنين او جماعة وتقديره لانفرق بين احد واحد منهم

﴿ المعنى ﴾

«قولوا آمنا بالله» خطاب للمسلمين وقيل خطاب للشي والمؤمنين امرهم الله تعالى باظهار ما تدينوا به على الشرع فبدأ بالايان بالله لأنه اول الواجبات ولأنه بتقديم معرفته تصح معرفة الثبوت والشرائع «وما انزل علينا» يعني القرآن نو من بانه حق وصدق وواجب اتباعه في الحال وان تقدمته كتب «وما انزل الى ابراهيم واسماعيل والاسباط وبه قال السدي والربيع ومحمد بن اسحاق وذكر كرواسم الاثني عشر يوسف وبنيامين وزبابلون وروبول ويهوذا وشمعون ولاوي ودان وقهاب^(١) ويشجر ونفتالي وجاد واشرفهم ولد يعقوب لاخلاف بين الفس فيه وقال كثير من المفسرين انهم كانوا انبياء والذي يقتضيه مذهبنا انهم لم يكونوا انبياء باجمهم لأن ما وقع منهم من المعصية فيا فعلوه بيوسف (ع) لاخفاء به والنبي عندنا معصوم من التبايح صغيرها وكبيرها وليس في ظاهر القرآن ما يدل على انهم كانوا انبياء وقوله وما انزل اليهم لا يدل على انهم كانوا انبياء لأن الانزال يجوز ان يكون كان على بعضهم ممن كان نبيا ولم يقع منه ما ذكرناه من الافعال السيئة ويحتمل ان يكون مثل قوله وما انزل الينا وان المنزل على النبي خاصة لكن المسلمين لا كانوا مأمورين بما فيه اضيف الانزال اليهم وقد روى العياشي في تفسيره عن حنان ابن سدير عن ابيه عن ابي جعفر الباقر قال قلت له اكان ولد يعقوب انبياء قال لا ولكنهم كانوا اسباطا اولاد الانبياء ولم يكونوا فارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا وقوله «وما اوتي موسى وعيسى» اي اعطيا وخصهما بالذكر لأنه احتجاج على اليهود والنصارى والمراد بما اوتي موسى التوراة وبما اوتي عيسى الانجيل «وما اوتي النبيون» اي ما اعطيه النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم اي بأن نو من بعض ونكفر بعض كما فعله اليهود

(١) كذا في النسخ وفي الطبري قهات جئاتنا الشاة

والنصارى فكفرت اليهود بعيسى ومحمد وكفرت النصارى بسليمان ونبينا محمد صلى الله عليه وآله « ونحن له مسلمون » اي نحن لما تقدم ذكره وقيل لله خاضعون بالطاعة مذعنون بالعبودية وقيل متقادون لأمره ونهيه وقد مضى هذا مستوفى فيما قبل وفائدة الآية الامر بالايمان بالله والاقرار بالنبين وما انزل اليهم من الكتب والشرائع والرد على من فرق بينهم فيما جمعهم الله عليه من النبوة وان كانت شرائعهم غير لازمة لنا فإن الايمان بهم لا يقتضي لزوم شرائعهم وروي عن الضحاك انه قال علموا اولادكم واهاليكم وخدمكم اسماء الانبياء الذين ذكركم الله في كتابه حتى يؤمنوا بهم ويصدقوا بما جاؤوا به فإن الله تعالى يقول قولوا آمنا بالله الآية

قوله تعالى (١٣٧) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الشقاق النازعة والمحاربة ويحتمل ان يكون اصله مأخوذا من الشق لأنه صار في شق غير شق صاحبه للعداوة والباينة ويحتمل ان يكون مأخوذا من المشقة لأن كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذي الكفاية بلوغ الغاية يقال يكفي ويجزي ويفني بمعنى واحد وكفي يكفي كفاية اذا قام بالأمر وكفاك هذا الأمر اي حسبك ورأيت رجلا كافيك من رجل اي كفاك به رجلا

﴿ الاعراب ﴾

الباء في قوله بمثل ما آمنتم به يحتمل ثلاثة اشياء ﴿أحدها﴾ ان تكون زائدة والتقدير فان آمنوا مثل ما آمنتم به اي مثل ايمانكم به كما يقال كفى بالله اي كفى الله قال الشاعر (كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا) (والثاني) ان يكون المعنى بمثل هذا ولا تكون زائدة كأنه قال فإن آمنوا على مثل ايمانكم كما تقول كتبت على مثل ما كتبت وبمثل ما كتبت كأنك تجعل لئله توصل بها الى العمل وهذا اجود من الأول (والثالث) ان تلغى مثل كما التيت الكاف في قوله فجعلهم كصف مأكول وهذا اضعف الوجوه لأنه اذا امكن حمل كلام الله على فائدة فلا يعجز حمله على الزيادة وزيادة الأسم اضعف من زيادة الحرف نحو ما ولا وما اشبه ذلك وقوله فقد اهتدوا في محل الجزم او في محل الرفع لأنه جواب شرط مبني وكذلك قوله فانما هم في شقاق وانما حرف لإثبات الشيء ونفي غيره وهم مبتدا وفي شقاق في موضع خبره

﴿ النزول ﴾

لما نزل قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية قرأها النبي صلى الله عليه وآله على اليهود والنصارى فلم يسمعت اليهود ذكر عيسى انكروا وكفروا وقالت النصارى ان عيسى ليس كسائر الانبياء لأنه ابن الله فترت الآية

﴿ المعنى ﴾

«فان آمنوا» اخبر الله سبحانه ان هو لا الكفار متى آمنوا على حد ما آمن المؤمنون به «فقد اهتدوا» الى طريق الجنة وقيل سلكوا طريق الاستقامة والهداية وقيل كان ابن عباس يقول اقرأوا بما آمنتم به فليس لله مثل وهذا محمول على انه فسر الكلام لا انه انكر القرأة الظاهرة مع صحة المعنى وقوله «وان تولوا» اي اعرضوا عن الايمان وجحدوه ولم يعترفوا به «فانما هم في شقاق» اي في خلاف قد فارقوا الحق وتمسكوا بالباطل فصاروا مخالفين لله سبحانه عن ابن عباس وقريب منه ماروي عن الصادق (ع) انه قال يعني في كفر وقيل في ضلال عن ابي عبيدة وقيل في منازعة ومحاربة عن ابي زيد وقيل في عداوة عن الحسن «فسيكفيكم الله» وعد الله سبحانه رسوله بالنصرة وكفاية من يعاديه من اليهود والنصارى الذي شاقوه وفي هذا دلالة بينة على نبوته وصدقه صلى الله عليه وآله

المعنى ان الله سبحانه يكفينا يا محمد امرهم «وهو السميع» لا قولهم «العليم» باعمالهم في بطل امرك ولن يصلوا اليك
قوله تعالى (١٣٨) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

صبغة الله مأخوذ من الصبغ لأن بعض النصارى كانوا اذا ولد لهم مولود غسوه في ماء لهم يسونه المعروفة
يجعلون ذلك تطهيرا له فقيل صبغة الله تطهير الله لا تطهيركم بتلك الصبغة وهو قول الفراء وقيل ان اليهود تصبغ
ابنائها يهودا والنصارى تصبغ ابنائها نصارى اي يلتقون اولادهم اليهودية والنصرانية عن قتادة الى هذا يوم
ماروي عن عمر بن الخطاب اخذ العهد على بني تغلب ان لا يصبغوا اولادهم اي لا يلتقونهم النصرانية لكن
يدعونهم حتى يبلغوا فيختاروا لانفسهم ما شاءوا من الاديان في صبغة الله وقيل سمي الدين صبغة لأنه حينه تظهر
بالمشاهدة من اثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجلية التي هي كالصبغة عن الجبائي قال امية

في صبغة الله كان إذ نسي آأ مهدي وخلق الصواب إذ عرفا

ويقال صبغ الثوب يصبغه بفتح الباء وضما وكسرها صبغا بفتح الصاد وكسرها

﴿ الاعراب ﴾

نصب صبغة الله على انه بدل من قوله ملة ابراهيم وتفسيره عن الاخفش وقيل انه نصب على الاغراء تقديره
اتبعوا صبغة الله والزموا صبغة الله ومن استفهام وهو مبتدأ واحسن خبره وصبغة نصب على التمييز

﴿ المعنى ﴾

«صبغة الله» اي اتبعوا دين الله عن ابن عباس والحسن وقاتدة ومجاهد ويقرب منه ماروي عن الصادق (ع)
قال يعني به الاسلام وقيل شريعة الله التي هي الحنان الذي هو تطهير عن الفراء والبليخي وقيل فطرة الله التي فطر
الناس عليها عن ابي العالية وغيره «ومن احسن من الله صبغة» اي لا احد احسن من الله صبغة اي ديننا لفظه لفظ
الاستفهام ومعناه الجهد عن الحسن وغيره «ونحن له عابدون» اي من نحن له عابدون يجب ان تتبع صبغته
لا ما صبغنا عليه الآباء والاجداد وقيل ونحن له عابدون في اتباعنا ملة ابراهيم صبغة الله

قوله تعالى (١٣٩) قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُكُمْ
أَعْمَالِكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحجاج والجدال والحصام نظائر الاعمال والاحداث والاقفال نظائر والاخلاص والافراد والاختصاص نظائر
و ضد الخالص المشوب

﴿ الاعراب ﴾

وهو ربنا وربكم المبتدأ وخبره في موضع نصب على الحال والعامل فيه تحاجون وذو الحال الواو ولنا
اعمالنا ولكم اعمالكم مبتدأ وخبران والجملةتان في موضع نصب على الحال بالعطف على هو ربنا وربكم
ونحن له مخلصون كذلك

﴿ المعنى ﴾

امر الله سبحانه نبيه عليه السلام في هذه الآية ان يقول لهؤلاء اليهود وغيرهم اتحاجوننا في الله ومعناه في
دين الله اي اتحاصوننا وتجادلوننا فيه وهو سبحانه خالقنا والنعمة علينا وخالقكم والنعمة عليكم واختلاف في

م حاجتهم كيف كان فقيل كانت حاجتهم للنبي عليه السلام انهم يزعمون انهم اولى بالحق لتقدم النبوة فيهم والكتاب وقيل بل كانت حاجتهم انهم قالوا نحن احق بالايان من العرب الذين عبدوا الاوثان وقيل كانت حاجتهم انهم قالوا يا محمد ان الانبياء كانوا منا ولم يكن من العرب نبي فلو كنت نبيا لكنت منا وقال الحسن كانت حاجتهم ان قالوا نحن اولى بالله منكم وقالوا نحن ابناؤه واهبائه وقالوا ان يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكان غرضهم بذلك ان الدين يلتصق من جهتهم وان النبوة اولى ان تكون فيهم فيبين سبحانه انه اعلم بتدبير خلقه بقوله «وهو ربنا وربكم» اي خالقنا وخالقكم فهو اعلم حيث يجعل رسالته ومن الذي يقوم باعبائها ويتحملها على وجه يكون اصلح للخلق واولى بتدبيرهم وقوله «ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم» اي لنا ديننا ولكم دينكم وقيل معناه ما علينا مضرة من اعمالكم وما لكم منفعة من اعمالنا فضرر اعمالكم عليكم ونفع اعمالنا لنا وقيل انه انكار لقولهم ان العرب تعبد الاوثان وبيان لان لا حجة فيه اذ كل ما يؤخذ بما كسبت يده ولا يؤخذ احد بجرم غيره وقوله «ونحن له مخلصون» اي موحدون والمراد بذلك ان المخلص اولى بالحق من الشرك وقيل معناه الرد عليهم ما احتجوا به من عبادة العرب للاوثان فكانه قال لا عيب علينا في ذلك اذا كنا موحدين كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من اسلافكم اذا اعتدتم الانكار عليهم في ذلك

﴿ فصل في ذكر الاخلاص ﴾

روي عن حذيفة بن اليمان قال سألت النبي صلى الله عليه وآله عن الاخلاص ما هو قال سألت جبريل عليه السلام عن ذلك قال سألت رب العزة عن ذلك فقال هو سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي وروي عن ابن ادريس الخولاني عن النبي (ص) قال ان لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمده على شيء من عمل الله وقال سعيد بن جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك به في دينه ولا يراني بعمله احدا وقيل الاخلاص ان تستوي اعمال العبد في الظاهر والباطن وقيل هو ما استقر من الخلائق واستصفي من العلائق وقيل هو ان يكتم حسناته كما يكتم سيئاته

قوله تعالى (١٤٠) «أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر وابن عامر ام تقولون بالثاء والباقون بالياء.

﴿ الحجة ﴾

الاول على الخطاب فتكون ام متصلة بما قبلها من الاستفهام كأنه قال اتحاجوننا في الله ام تقولون ان الانبياء كانوا على دينكم والتقدير بأي الحجتين تتعلقون في امرنا بالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن لهم متبعون والثاني وهو القراء بالياء على العدول من الحجاج الاول الى حجاج آخر فكانه قال بل تقولون ان الانبياء من قبل ان تنزل التوراة والانجيل كانوا هودا او نصارى وتكون ام هذه هي المتقطعة فيكون قد اعرض عن خطابهم استجبالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من يحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة فيقول قد قامت عليه الحجة ام يقول بابطال النظر المودي الى المعرفة

﴿ اللفظة ﴾

الاعلم والاعرف والادري بمعنى واحد والاطلم والاجور والاعنى نظائر وافضل هذه تستعمل بمعنى الزيادة وانما

يصح معناه فيا يقع فيه التزايد كقولهم افضل واطول وقد قال المحققون الصفات على ثلاثة اضرب صفة ذات وصفة تحصل بالفاعل وصفة تحصل بالمعنى (فالاول) مثل كون الذات جوهر او سواد او هذا الايصاح فيه التزايد (والثاني) كالوجود ولا يصح فيه ايضا التزايد (والثالث) على ضربين ﴿احدهما﴾ يصح فيه التزايد وهو كل ما يوجب معنى له مثل كالألوان والاكوان ونحوها (والآخر) لا يصح فيه التزايد وهو كل ما يوجب معنى (كذا) وكنتم واخفى واسر واحد والغفة والسهر والنسيان نظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس والصحيح ان السهر ليس بمعنى وانما هو قد علم مخصصة فإن استر به السهر مع صحة سمي جنونا فاذا قارنه ضرب من الضعف سمي اغما. واذا قارنه ضرب من الاسترخاء سمي نوما فإن قارنه نوع من الطرب سمي سكرا واذا حصل السهر بعد علم سمي نسيانا

﴿الاعراب﴾

ام الله الله مبتدا وخبره محذوف تقديره ام الله اعلم وعنده ظرف مكان لكنتم او يكون صفة لشهادة تقديره شهادة كائنة عنده ومن الله صفة لشهادة ايضا وهي صفة بعد صفة

﴿المعنى﴾

قد ذكرنا الفرق في المعنى بين قوله ام تقولون على المخاطبة وقوله ام يقولون بالياء على ان يكون المعنى لليهود والنصارى وهم غيب وفي هذا احتجاج عليهم في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى من وجوه ﴿احدها﴾ ما اخبر به نبينا صلى الله عليه وآله مع ظهور المعجز الدال على صدقه (والثاني) ما في التوراة والانجيل من ان هولا الانبياء كانوا على الحنيفية (والثالث) ان عندهم انما يقع اسم اليهودية على من تمسك بشريعة التوراة واسم النصرانية على من تمسك بشريعة الانجيل والكتابان انزلا بعدهم كما قال سبحانه وما انزلنا التوراة والانجيل الا من بعده (الرابع) انهم ادعوا ذلك من غير برهان فوجبهم الله سبحانه بهذه الوجوه وقوله «قل انتم اعلم ام الله» صورته صورة الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله قوله انتم اشد خلقا ام السماء بناها ومعناه قل يا محمد لهم انتم اعلم ام الله وقد اخبر الله سبحانه انهم كانوا على الحنيفية وزعمتم انهم كانوا هودا او نصارى فيلزمكم ان تدعوا انكم اعلم من الله وهذا غاية الحزني فان قيل لم قال انتم اعلم ام الله وقد كانوا يعلمونه فكسوه وانما ظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم فالجواب ان من قال انهم كانوا على ظن وتوهم فوجه الكلام على قوله واضح ومن قال انهم كانوا يعلمون ذلك وانما كانوا يحدونه فعناء ان متزكم مثلة المقترض على ما يعلم ان الله اخبر به فاينفعه ذلك مع اقراره بان الله اعلم منه وانه لا يخفى عليه شيء لان ما دل على انه اعلم هو الدال على انه لا يخفى عليه شيء وهو انه عالم لذاته يعلم جميع المعلومات وقوله «ومن اظلم من كتم شهادة عنده من الله» فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان من في قوله من الله لا ابتداء الغاية وهو متصل بالشهادة لا بالكتان ومعناه وما احد اظلم من يكون عنده شهادة من الله فيكتمها والمراد بهذه الشهادة ان الله تعالى بين في كتابهم صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله والبشارة به عن الحسن وقتادة وقيل المراد بها ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب واولاده كانوا حنفاء مسلمين فكسوا هذه الشهادة وادعوا انهم كانوا على دينهم عن مجاهد فهذه شهادة من الله عندهم كسوها (والثاني) ان من متصل بالكتان اي من اظلم من كتم ما في التوراة من الله اي من عبادة الله او كتم شهادة ان يوديتها الى الله (والثالث) ان المراد من اظلم في كتمان الشهادة من الله لو كتمها وذلك نحو قولهم من اظلم من يجور على النقيع الضعيف من السلطان القوي والمعنى انه يلزمكم انه لا احد اظلم من الله اذ كتم شهادة عنده ليقع عبادة في الضلال وهو الغني عن ذلك المتعالي اي لو كانوا هودا او نصارى لا خبر بذلك وهذا المعنى قول البلخي واي مسلم وقوله «وما الله بغافل عما تعملون» او عندهم سبحانه بما يجمع كل وعيد اي ليس الله بسامع كتمان الشهادة التي لزمكم التيام بها لله وقيل هو على عمومته اي لا يخفى على الله شيء من المعلومات

فكونوا على حذر من الجزاء على اعمالكم بما تستحقونه من العقاب
قوله تعالى (١٤١) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آية)

قد مضى تفسير هذه الآية وقيل في وجه تكراره انه عنى بالاول ابراهيم ومن ذكر معه من الانبياء (ع)
وبالثاني اسلاف اليهود وقيل انه اذا اختلفت الاوقات والمواطن لم يكن التكرير معيماً ووجه اتصال الآية بما
قبلها انه يقول اذا سلم لكم ما ادعيتم من ان الانبياء كانوا على دين اليهودية او النصرانية فليس لكم فيه حجة
لانه لا يتبع اختلاف الشرائع بالمصالح فله سبحانه ان ينسخ من الشرائع ما شاء ويقر منها ما شاء على حسب
ما تقتضيه الحكمة وقيل ان ذلك ورد مورد الرعظ لهم والزجر حتى لا يتكلموا على فضل الآباء والاجداد فان
ذلك لا ينفعهم اذا خالفوا امر الله

قوله تعالى (١٤٢) سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا أوأيهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
قُلْ لَّهِ الشَّرْقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

السفيه والجاهل والنبي نفاثر وقد ذكرنا معنى السفه والسفيه فيما مضى وولاه عنه اي صرفه وقتله واشتقاقه من الولى
وهو القرب وهو حصول الثاني بعد الاول من غير فصل فالثاني يلي الاول والثالث يلي الثاني ثم هكذا ابدوا ولى
عنه خلاف ولى اليه مثل قولك عدل عنه وعدل اليه وانصرف عنه وانصرف اليه فاذا كان الذي يليه متوجهاً اليه
فهو متولٍ اليه واذا كان متوجهاً الى خلاف جهته فهو متولٍ عنه والقبلة مثل الجلسة للحال التي يقابل النبي غيره عليها
كما ان الجلسة للحال التي يجلس عليها وكان يقال فيا حكي هو لي قبلة واناله قبلة ثم صار على الجهة التي تستقبل في الصلاة

﴿ الاعراب ﴾

من الناس في محل النصب حال من السفهاء وما استفهام وهو مبتدأ وولاهم خبره وعن قبلتهم مفعول ولى

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبلة بيت المقدس الى الكعبة فقال «سيقول السفهاء من
الناس» اي سوف يقول الجاهل وهم الكفار الذين هم بعض الناس «ما أوأيهم عن قبلتهم التي كانوا عليها» اي اي
شيء حوّلهم وصرفهم يعني المسلمين عن بيت المقدس الذي كانوا يتوجهون اليها^(١) في صلاتهم واختلف في الذين قاوا
ذلك فقال ابن عباس وغيره هم اليهود وقال الحسن هم مشركو العرب وان رسول الله لما حول الى الكعبة من بيت
المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبلة آباءك ثم رجعت اليها فترجمن الى دينهم وقال السدي هم المنافقون قالوا اذ انك
استهزوا بالاسلام واختلف في سبب مقاتلتهم ذلك فقيل انهم قالوا ذلك على وجه الانكار للنسخ عن ابن عباس
وقيل انهم قالوا يا محمد ما ولاك عن قبلك التي كنت عليها ارجع الى قبلتنا تتبعك ونوم من بك ارادوا بذلك فتنته
عن ابن عباس ايضا وقيل انا قاله مشركو العرب ليوموا ان الحق ما هم عليه ولما الوجه في الصرف عن القبلة الاولى
ففيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه لما علم الله تعالى في ذلك من تغير المصلحة و(الآخر) انه لما بينه سبحانه بقوله
لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه لانهم كانوا بمكة امروا ان يتوجهوا الى بيت المقدس ليشيروا من
المشركين الذين كانوا يتوجهون الى الكعبة فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة كانت اليهود يتوجهون
الى بيت المقدس فامروا بالتوجه الى الكعبة ليشيروا من اولئك «قل لله الشرق والمغرب» هو امر من الله سبحانه

(١) كذا في النسخ والانسب اليه لرجوع الضمير الى بيت المقدس

لنبيه ان يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقامهم من بيت المقدس الى الكعبة المشرقة والمغرب ملك فله سبحانه يتصرف فيها كيف شاء على ما تقتضيه حكيمته وفي هذا البطال قول من زعم ان الارض المقدسة اولى بالتوجه اليها لانها مواطن الانبياء وقد شرفها الله وعظمها فلا وجه للتولية عنها فرد الله سبحانه عليهم بان المواطن كلها لله شرف منها ما يشاء في كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد وعن ابن عباس كانت الصلاة الى بيت المقدس بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة سبعة عشر شهرا وعن البراء بن عازب قال صليت مع رسول الله (ص) نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة اوردته مسلم في الصحيح وعن انس بن مالك انما كان ذلك تسعة اشهر او عشرة اشهر وعن معاذ بن جبل ثلاثة عشر شهرا ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق (ع) قال تحولت القبلة الى الكعبة بعد ما صلى النبي (ص) بمكة ثلاث عشرة سنة الى بيت المقدس وبعد مهاجرة الى المدينة صلى الى بيت المقدس سبعة اشهر قال ثم وجهه الله الى الكعبة وذلك ان اليهود كانوا يعيرون رسول الله (ص) ويقولون له انت تابع لنا تصلي الى قبلتنا فانت رسول الله (ص) من ذلك غماشديد اخرج في جوف الليل ينظر الى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى في ذلك امرا فلما اصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين فقل عليه جبرائيل (ع) فأخذ بعضديه وحوله الى الكعبة وانزل عليه قد نرى تغلب وجهك في السماء فلنولينك قلة ترضها فول وجهك شطر المسجد الحرام وكان صلى ركعتين الى بيت المقدس وركعتين الى الكعبة فقالت اليهود والسفهاء ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قال الزجاج انما امر بالصلاة الى بيت المقدس لأن مكة بيت الله الحرام كانت العرب آفة لحجه فاحب الله ان يتحنن القوم بغير ما القوم ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وقوله "يهدي من يشاء" الى صراط مستقيم اي يبدله ويرشده الى الدين وانما سماه الصراط لأنه طريق الجنة المودي اليها كما يودي الطريق الى المقصد وقيل طريق الجنة

قوله تعالى (١٤٣) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّعَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم لرووف على وزن رعووف وقرأ ابو جعفر لرووف مقل غير مهمووز والباقون لرووف على وزن رعووف

﴿ الحجة ﴾

وجه من قرأ روهوف ان بناء فعول اكثر في كلامهم من فعل الاترى ان باب ضروب وصبور اكثر من باب يقظ وحذر وقد جاء على هذه الزنة من صفات الله تعالى نحو غفور وشكور وودود ولا نعم فعلا فيها وقال كعب بن مالك الانصاري

نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبَّنَا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ يَنَارُوهُ وَفَا

ومن قرأ روهفا قال ان ذلك الغالب على اهل الحجاز قال الوليد بن عتبة لمعاوية

وَسُرُّ الطَّالِبِينَ فَلَا تَكُنْهُ لِقَاتِلِ عَمِّهِ الرَّوُوفِ الرَّحِيمِ

وقال جرير تَرَى لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْكَ حَقًّا كَفَعَلَ الْوَالِدِ الرَّوُوفِ الرَّحِيمِ

﴿ اللّغة ﴾

الوسط العدل وقيل الخيار ومعناها واحد لأن العدل خير والخير عدل وقيل اخذ من المكان الذي يعدل المسافة منه الى اطرافه وقيل بل اخذ من التوسط بين المقصر والعالي فالحق معه قال مخرج اي وسطا بين الناس وبين انبيائهم قال زهير

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَتَامَ بِحُكْمِهِمْ إِذَا حَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

قال صاحب العين الوسط من كل شيء اعدله وافضله وقيل الواسط والوسط كما قيل اليابس واليس وقيل في صفة النبي صلى الله عليه وآله كان من اوسط قومه اي من خيارهم والعقب مخرج القدم وعقب الانسان لسلكه قال ثعلب (زد على اعقابنا) اي نعقب بالشر بعد الخير وكذلك رجع على عقبه والعقب الكرة بعد الكرة في الركوب والثبي والتعقيب الرجوع الى امر تريده ومنه ولم يعقب وعقب الليل النهار يعقبه والاضاعة مصدر اضاع يضيع وضاع الشيء ضياعا وضيع الشيء تضيعا وقال صاحب العين ضيعة الشيء حرقته ويقال ما ضيعتلك اي حرفتك ومنه كل رجل وضيعته وترك عياله بضيعة ومضيعة والضيعة والضياع معروف واصل الضياع الهلاك قال ابو زيد رأفت بالرجل اواف به رافة وروفت به اروف به بمعنى

﴿ الاعراب ﴾

في الآية ثلاث لامات مختلفات فاللام في قوله لتكونوا لام كمي وتكونوا في موضع نصب باخبار ان وتقديره لان تكونوا وان تكونوا في موضع جر باللام لأنها اللام الجارة في الاصل واللام في قوله وان كانت لكبيرة لام توكيد وهي لام الابتداء فصلت بينها وبين ان لتلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وهي تلزم ان المنفصلة من التثنية لتلا تتبس من بان التافية التي هي بمعنى ما في مثل قوله ان الكافرون الا في غرور وقال الكوفيون ان في مثل هذا الموضع بمعنى ما واللام بمعنى التقدير وما كانت الا كبيرة وانكر البصريون ذلك لأنه لو كان كذلك لجاز ان يقال جاء القوم لزيدا بمعنى الازيدا وما في قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم فلام تأكيد نفي واصلها لام الاضافة ايضا وينصب الفعل بعدها باخبار ان ايضا الا انه لا يجوز اظهار ان بعدها لأن التقدير ما كان الله مضيا ايمانكم فلما حمل معناه على التأويل حمل لفظه ايضا على التأويل من غير تصريح باظهار ان ويجوز اظهار ان بعد لام كي كما ذكرناه والكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه وهو في موضع النصب بالمصدر وذلك اشارة الى الهداية من قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والتقدير انعمنا عليكم بالعدالة كما انعمنا عليكم بالهداية والعامل في الكاف جعلنا كأنه قيل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فقد انعمنا عليكم بذلك وجعلناكم امة وسطا فانعمنا مثل ذلك الانعام الا ان جعلنا يدل على انعمنا وهدى الله صلة الذين والضمير العائد الى الموصول محذوف فتقديره على الذين هداهم الله والجار والمجرور في محل نصب على الاستثناء تقديره وان كانت لكبيرة على الكل الأعلى الذين هدى الله

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه فضل هذه الأمة على سائر الأمم فقال سبحانه «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» وقد ذكرنا وجه تعلق الكاف المضاف الى ذلك بما تقدم اخبر عز اسمه انه جعل امة نبيه محمد (ص) عدلا وواسطة بين الرسول والناس ومتى قيل اذا كان في الاممة من ليس هذه صفته فكيف وصف جماعتهم بذلك فالجواب ان المراد به من كان بتلك الصفة ولأن كل عصر لا يخلو من جماعة هذه صفتهم وروى يزيد بن معاوية البجلي عن الباقر (ع) قال نحن الاممة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في ارضه وفي رواية اخرى قال لنا يرجع العالي وبنينا لحن المقصود وروى الحارث ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لتواعد التفضيل باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن علي (ع)

ان الله تعالى ايمانا عنى بقوله لتكونوا شهداء على الناس فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه ووجته في ارضه ونحن الذين قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله «لتكونوا شهداء على الناس» فيه ثلاثة اقوال **﴿احدها﴾** ان المعنى لتشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الآخرة كما قال وجي بانبيين والشهداء وقال ويوم يقوم الاشهاد وقال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة والانبياء وامة محمد (ص) والجوارح كما قال يوم تشهد عليهم الستمهم وايديهم وارجلهم الآية (والثاني) ان المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق والدين ويكون الرسول عليكم شهيدا مؤذنا للدين اليكم وسمي الشاهد شاهدا لأنه يبين ولذلك يقال للشهادة بيعة (والثالث) انهم يشهدون للانبياء على ائمتهم المكذبين لهم بانهم قد بلغوا وجاز ذلك لاعلام النبي (ص) اياهم بذلك وقوله «ويكون الرسول عليكم شهيدا» اي شاهدا عليكم بما يكون من اعمالكم وقيل حجة عليكم وقيل شهيدا لكم بانكم قد صدقتم يوم القيامة فيا تشهدون به وتكون على بمعنى اللام كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها» قيل معنى كنت عليها صرت عليها وانت عليها يعني الكعبة كقوله كتم خير امة لي انتم خير امة وقيل وهو الاصح يعني بيت المقدس الذي كانوا يصلون اليها اي ما صرفناك عن القبلة التي كنت عليها الا لتعلم او ما جعلنا القبلة التي كنت عليها فصرفناك عنها «الا لتعلم» وحذف لدلالة الكلام عليه وفي قوله الا لتعلم اقوال (اولها) ان معناه ليعلم حزينا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحتا بلد كذا او فعلنا كذا اي فتح اولياونا والثاني ان معناه ليحصل المعلوم موجودا وتقديره ليعلم انه موجود فلا يصح وصفه بأنه عالم بوجود المعلوم قبل وجوده والثالث ان معناه لتعاملكم معاملة المختبر المتحن الذي كأنه لا يعلم اذ العدل يوجب ذلك من حيث لو عاملهم بما يعلم انه يكون منهم قبل وقوعه كان ظلما (الرابع) ما قاله علم الهدى المرتضى قدس الله روحه وهو ان قوله لتعلم تقتضي حقيقته ان يعلم هو وغيره ولا يحصل علمه مع علم غيره الا بعد حصول الاتباع فاما قبل حصوله فيكون التديم سبحانه هو المنفرد بالعلم به فصح ظاهر الآية وقوله «من يتبع الرسول» اي يوم من به ويتبعه في اقواله وافعاله «من ينقلب على عقبيه» فيه قولان **﴿احدهما﴾** ان قوما ارتدوا عن الاسلام لما حولت القبلة جهلا منهم بها فيه من وجوه الحكمة والاخر ان المراد به كل مقيم على كفره لأن جهة الاستقامة اقبال وخلافها ادبار واذلك وصف الكافر بأنه اذبر ولستكبر وانه كذب وتولى اي عن الحق وقوله «وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله» الضمير في كانت يعود الى القبلة على قول ابي العالاية اي وقد كانت القبلة كبيرة وقيل الضمير يرجع الى التحوية ومفارقة القبلة الاولى عن ابن عباس وبجاهد وقتادة وهو الاقوى لأن القوم انما ثقل عليهم التحول لانفس القبلة وقيل الضمير يرجع الى الصلاة من ابن زيد وقوله لكبيرة قال الحسن معناه ثقيلة يعني التحوية الى بيت المقدس لأن العرب لم تكن قبلة احب اليهم من الكعبة وقيل معناه عظيمة على من لا يعرف ما فيها من وجه الحكمة فاما الذين هداهم الله لذلك فلا تعظم عليهم وهم الذين صدقوا الرسول في التحول الى الكعبة وانما خص الروميين بأنه هداهم وان كان قد هدى جميع الحقائق لأنه ذكرهم على طريق المدح ولأنهم الذين انتفعوا بهدى الله وغيرهم كأنه لم يمتد بهم وقوله «وما كان الله ليضيع ايمانكم» قيل فيه اقوال **﴿احدها﴾** انه لما حولت القبلة قال ناس كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الاولى فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم عن ابن عباس وقتادة وقيل انهم قالوا كيف بمن مات من اخواننا قبل ذلك وكان قدماء اسعدين زرارة والبراء بن معرور وكانا من الثقباء فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس ويمكن على هذا ان يحمل الايمان على اصله في التصديق اي لا يضيع تصديقكم بأمر تلك القبلة (وثانيتها) انه لما ذكر ما عليهم من المشقة في التحوية اتبعه بذكر ما لهم عنده بذلك من المثوبة وانه لا يضيع ما عملوه من الكلفة فيه لأن التذكير به يبعث على ملازمة الحق والرضاه عن الحسن (وثالثها) انه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية الى الكعبة ذكر السبب الذي استحقوا به ذلك الانعام وهو ايمانهم بما حملوه اولاً

فقال وما كان الله ليضيع إيمانكم الذي استحققتهم به تبليغ محبتكم في التوجه الى الكعبة عن ابي القاسم البلخي وقوله «ان الله بالناس لرووف رحيم» روفوف بهم لا يضيع عنده عمل كل عامل منهم والرأفة اشد الرحمة دل سبحانه بالرأفة والرحمة على انه يوفر عليهم ما استحقوه من الثواب من غير تضييع شيء منه وقيل انه سبحانه دل بقوله روفوف رحيم على انه منعم على الناس بتحويل القبلة واستدل كثير من العلماء بهذه الآية على ان اجماع الأمة حجة من حيث انه وصفهم بانهم عدول فاذا عدلهم الله تعالى لم يجز ان تكون شهادتهم مردودة والصحيح انها لا تدل على ذلك لأن ظاهر الآية ان يكون كل واحد من الامة بهذه الصفة ومعلوم خلاف ذلك متى حملوا الآية على بعض الأمة لم يكونوا باولي من يحملها على المعصومين والأئمة من آل الرسول عليهم السلام وفي هذه الآية دلالة على جواز النسخ في الشريعة بل على وقوعه لأنه قال وما جعلنا القبلة التي كنت عليها فاخبر انه تعالى هو الجاعل لتلك القبلة وانه هو الذي نقله عنها وذلك هو النسخ

قوله تعالى (١٤٤) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الروية هي ادراك الشيء بالبصر ونظيره الابصار ثم تستعمل بمعنى العلم والتقلب والتحول والتصرف فنظائر وهو التحرك في الجهات ويقال ولتلك القبلة اي صيرتك تستقبلها بوجهك وليس هذا المعنى في فعلت منه لأنك تقول ولت الدار فلا يكون فيه دلالة على انك واجهتها ففعلت في هذه الكلمة ليس بمنقول من فعلت الذي هو وليت وقد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة في نحو قوله ويولون الدين وقوله ويولوكم الادبار فهذا منقول من قولهم داري تلي داره تقول وليت ميامنه وولاني ميامنه مثل فرح وفرحته والرضا والمجبة نظيران وانما يظهر الفرق بضديها فالجبة ضدها البغض والرضا ضده السخط وهو يرجع الى الارادة فاذا قيل رضي عنه فكأنه اراد تعظيمه وثوابه واذا قيل رضي عنه فكأنه اراد ذلك والسخط ارادة الانتقام وشطر المسجد الحرام اي نحو وتلقاه قال الشاعر

وَقَدْ أَظْلَكُمُ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمْ هَوْلٌ لَهُ ظَلَمٌ يَفْشَاكُمُ قِطْعًا

اي من نحو ثغركم وقال

إِنَّ الْمَسِيرَ بِهَا دَأُؤٌ يُخَاِمِرُهَا فَشَطْرَهَا نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورٌ

اي نحوها قال الزجاج يقال هو لولا القوم مشاطرونا اي دورهم متصل بدورنا كما يقال هو لولا يناحوننا اي نحن نحوهم وهم نحونا وقال صاحب العين شطر كل شيء نصفه وشطره نحوه وقصده ومنه المثل احلب حلبا لك شطره اي نصفه وشطرت الشيء اي جعلته نصفين والحرام المحرم كما ان الكتاب بمعنى المكتوب والحساب بمعنى المحسوب والحق وضع الشيء في موضعه اذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح والغفلة هي السهو عن بعض الاشياء خاصة واذا كان السهو عاما فهو فوق الغفلة لأن النائم لا يقال له غفل الا مجازا

﴿ الاعراب ﴾

حيث ما كنتم موضع كنتم جزم بالشرط وتقديره وحيثما تكونوا والفاء وما بعده في موضع الجزاء ولا يمازى بحيث واذا حتى يكف كل واحد منهما بما وذلك لأنها لا يكونان الا مضافين الى ما بعدهما من الجملة قبل المجازاة بها فالزما في المجازاة ما لتكنها عن الاضافة لأن الاضافة تمنع الجزاء بها وذلك لان الفعل اذا وقع في

موضع اسم ارتفع والمضاف اليه في موضع اسم مجرور وموضعه جر بالإضافة فيستعجمه بالجزء مع وجود شرط الرفع فيه فلما كان كذلك كما بما تهيئها لجزم فعل الشرط بالجزء وشطر منصوب على الظرف

﴿ النزول ﴾

قال المفسرون كانت الكعبة احب القبلتين الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لجبريل وددت ان الله صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل (ع) انا انا عبدملك وانت كريم على ربك فادع ربك وسله ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله (ص) يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبريل بالذي سأل ربه فانزل الله تعالى هذه الآية فقال

﴿ المعنى ﴾

«قد نرى تقلب وجهك يا محمد في السماء» لانتظار الوحي في امر القبلة وقيل في سبب تقلب النبي وجهه في السماء قولان ﴿ احدهما ﴾ انه كان وعد بتحويل القبلة عن بيت المقدس فكان يفعل ذلك انتظارا وتوقعا للموعود كما ان من انتظر شيئا فانه يجعل بصره الى الجهة التي يتوقع وروده منها (والثاني) انه كان يكره قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة وكان لا يسأل الله تعالى ذلك لانه لا يجوز للانبياء ان يسألوا الله تعالى شيئا من غير ان يؤذن لهم فيه لانه يجوز ان لا يكون فيه مصلحة فلا يجابون الى ذلك فيكون فتنة لقومهم واختلف في سبب ارادته تحويل القبلة الى الكعبة فقيل لان الكعبة كانت قبلة ابيه ابراهيم (ع) وقبلة آبائه عن ابن عباس وقيل لان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا عن مجاهد وقيل ان اليهود قالوا ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم عن ابن زيد وقيل كانت العرب يجوبون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم فكان في التوجه اليها استمالة لقلوبهم ليكونوا احرص على الصلاة اليها وكان (ص) حرصا على استدعائهم الى الدين ويحتل ان يكون لنا احب ذلك لجميع هذه الوجوه اذ لا تنافي بينها وقوله «فلنولينك قبلة ترضىها» اي فلنصرفك الى قبلة تريدها وتحبها وانما اراد به محبة الطباع لانه كان يخطئ القبلة الاولى «فول وجهك شطر المسجد الحرام» اي حول نفسك نحو المسجد الحرام لأن وجه النبي نفسه وقيل انا ذكر الوجه لأن به يظهر التوجه وقال ابو علي الجبائي اراد بالشرط النصف فامر الله تعالى بالتوجه الى نصف المسجد الحرام حتى يكون مقابل الكعبة وهذا خطأ لانه خلاف أقوال المفسرين «وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» اي اينما كنتم من الارض في براوجر سهل او جبل فولوا وجوهكم نحوه فالاول خطاب للنبي (ص) واهل المدينة (والثاني) خطاب لجميع اهل الآفاق ولو اقتصر على الاول لجاز ان يظن ان ذلك قبلتهم حسب فيعين سبحانه انه قبلة لجميع الصليين في مشارق الارض ومغاربها وذكر ابو اسحاق الثعلبي في كتابه عن ابن عباس انه قال البيت كله قبلة وقبلة البيت الباب والبيت قبلة اهل المسجد والمسجد قبلة اهل الحرم والحرم قبلة اهل الارض كلها وهذا موافق لما قاله اصحابنا ان الحرم قبلة من تأتى عن الحرم من اهل الآفاق وقوله «وان الذين اتوا الكتاب» اراد به علماء اليهود وقيل علماء اليهود والنصارى «ليعلمون انه الحق من ربهم» اي يعلمون ان تحويل القبلة الى الكعبة حتى مامور به من ربهم وانما علموا ذلك لانه كان في بشارة الانبياء لهم ان يكون نبي من صفاته كذا وكذا وكان في صفاته انه يصلي الى القبلتين وروي انهم قالوا عند التحويل ما امرت بهذا يا محمد وانما هو شيء تبثدعه من تلقاء نفسك مرة الى هنا ومرة الى هنا فانزل الله تعالى هذه الآية وبين انهم يعلمون خلاف ما يقولون «وما الله بغافل عما يعملون» اي ليس الله بغافل عما يعمل هو ولا من كتابان صفة محمد صلى الله عليه وآله والمائدة ودل هذا على ان المراد بالآية قوم معدودون يجوز على مثلهم التواطؤ على الكذب وعلى ان يظهر خلاف ما يبتغون فاما الجمع العظيم فلا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب ولا يتأتى فيهم كلهم ان يظهر خلاف ما يعلمون وهذه الآية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس وقال ابن عباس اول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة وقال قتادة نسخت هذه الآية ما قبلها وقال جعفر بن بشر هذا

ما نسخ من السنة بالقرآن وهذا هو الأقوى لأنه ليس في القرآن ما يدل على التبعد بالتوجه الى بيت المقدس ومن قال انها نسخت قوله فاينما تولوا فثم وجه الله فان هذه الآية عندنا مخصصة بالتوافل في حال السفر روي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليه السلام وليست بمنسوخة واختلف الناس في صلاة النبي صلى الله عليه وآله الى بيت المقدس فقال قوم كان عليه السلام يصلي بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله تعالى ان يصلي الى بيت المقدس ثم اعيد الى الكعبة وقال قوم كان يصلي بمكة الى بيت المقدس الا انه كان يحمل الكعبة بينه وبينها ولا يصلي في غير المكان الذي يمكن هذا فيه وقال قوم بل كان يصلي بمكة وبعددومه المدينة الى بيت المقدس ولم يكن عليه ان يحمل الكعبة بينه وبينها ثم امره الله تعالى بالتوجه الى الكعبة

قوله تعالى (١٤٥) وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (آية)

﴿الاعراب﴾

اختلف النحويون في ان لئن لم اجيبت بجواب لو فقال الاخفش اجيبت بجواب لولأن الماضي ولها كما يلي لو فدخلت كل واحدة منهما على صاحبها قال سبحانه ولئن ارسلنا ريثما فرأوه مصفرا لظفروا لجرى لئن مجرى لولو وقال ولو انهم آمنوا واتقوا ثم قال لشبهة جري مجرى لئن وقال سيويه واصحابه ان معنى لظفروا ليطان فغنى لئن غير معنى لو وكل واحدة منهما على حقيقتها وحقيقة معنى لو انها يتبع بها الشيء لا امتناع غيره كقولك لو اتيتني لا كرمتك فامتنع الاكزام لامتناع الايتان ومعنى إن أن يقع بها الشيء لوقوع غيره تقول ان تأتي اكرمك فالاكزام يقع بوقوع الايتان ولولا مضى وان لا يستقبل وانما لحق في الجواب هذا التداخل لدلالة اللام على معنى القسم فجاء جواب القسم اغنى عن جواب الشرط لدلالته عليه وكذلك قوله انك اذا لمن الظالمين ليس بجواب للشرط على الحقيقة ولكنه جواب القسم وقد اغنى عن الجزاء بدلالته عليه وانما يجاب الشرط بالفعل او بالقاء او باذا على ما هو مشروح في مواضعه

﴿المعنى﴾

«ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب» في الكلام معنى القسم اي والله لئن أتيت الذين اعطوا الكتاب يعني اهل العناد من علماء اليهود والنصارى عن الزجاج والبصري وقيل المعنى به جميع اهل الكتاب عن الحسن وابي علي «بكل آية» اي بكل حجة ودلالة «ما تبعوا قبلتك» اي لا يجتمعون على اتباع قبلك على القول الثاني وعلى القول الاول لا يؤمن منهم احد لأن المائد لا تنفعه الدلالة وانما تنفع الجاهل الذي لا يعلم «وما انت بتابع قبلتهم» في معناه اربعة اقوال ﴿احدها﴾ انه رفع لتجوز النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تنسخ (وثانيتها) انه على وجه المقابلة لقوله ما تبعوا قبلك كما يقال ما هم بتاركي انكار الحق وما انت بتارك الاعتراف به فيكون الذي هو الكلام الثاني هو التماثل للكلام الأول (وثالثها) ان المراد ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم لأن النصارى تتوجه الى جهة الشرق الموضع الذي ولد فيه عيسى عليه السلام واليهود الى بيت المقدس فبين الله سبحانه ان ارضاء الفريقين محال (ورابعها) ان المراد حسم اطلع اهل الكتاب من اليهود اذ كانوا اطعموا في ذلك وظنوا انه يرجع الى الصلاة الى بيت المقدس وقوله «وما بعضهم يتابع قبلة بعض» في معناه قولان ﴿احدهما﴾ انه لا تصير النصارى كلهم يهودا او لا تصير اليهود كلهم نصارى ابدا كما لا يتبع جميعهم الاسلام وهذا من الاخبار بالنبي قاله الحسن والسدي (والآخر) ان معناه اسقاط اعتلالهم بانه لا يجوز مخالفة اهل

الكتاب فيها ورثوه عن انبياء الله وان بيت المقدس لم يزل كان قبلة الانبياء. فهو اولى بأن يكون قبلة اي فكما جاز ان يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز ان يخالف بوجهة ثالثة في زمان آخر للاستصلاح ويحتل ايضا ان يجري الكلام على الظاهر لأنه لم يثبت ان يهوديا تنصر ولا ان نصرانيا تهود فلا ضرورة بنا الى العدول من الظاهر الى التاويل وهذا قول القاضي وقوله «ولئن اتبعت اهلهم» الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وفيه اربعة اقوال ﴿اولها﴾ ان المراد به غيره من امته وان كان الخطاب له والمراد الدلالة على ان الوعيد يستحق باتباع اهلانهم وان اتباعهم ردة عن الحسن والزجاج (وثانيها) ان المراد ان اتبعت اهلهم في المداراة لهم حرصا على ان يوسموا انك اذا لمن الظالمين لتفك مع اعلامنا اياك انهم لا يؤمنون عن الجبائي (وثالثها) ان معناه الدلالة على فساد مذهبهم وبقبيتهم بها وان من تبعه كان ظالما (ورابعها) انه على سبيل الزجر عن الركون اليهم ومقاربتهم تقويه لنفسه ومتبعي شريعته ليستروا على عداوتهم عن القاضي «من بعد ما جاءك من العلم» اي من الآيات والوحي الذي هو طريق العلم وقيل من بعد ما علمت ان الحق ما انت عليه من القبلة والدين «انك اذا لمن الظالمين» وقد مضى معناه وهو مثل قوله لئن اشركت ليجنن عملك وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من قال انه لا يصح الوعيد بشرط وان من علم الله تعالى انه يؤمن لا يستحق العقاب اصلا لأن الله تعالى علق الوعيد بشرط يجب ان متى حصل الشرط يحصل استحقاق العقاب وفيها دلالة على فساد قول من زعم ان في المقدور لطفه لوفقه الله تعالى بالكافر لا من لاعماله لقوله ان اتيتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك فعلى قول من قال المراد به الماندين لا ينفعهم شي من الآيات وعلى قول من قال المراد به جميع الكفار فلا لطف لهم ايضا يؤمنون عنده فعل الوجهين معا يبطل قولهم وفيها دلالة ايضا على ان جميع الكفار لا يؤمنون

قوله تعالى (١٤٦) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (آية)

﴿ المعنى ﴾

اخبر الله سبحانه بانهم يعرفون النبي عليه السلام وصحة نبوته فقال «الذين آتيناهم» اي اعطيناهم «الكتاب» وهم العلماء منهم «يعرفونه» اي يعرفون محمدا وانه حق «كما يعرفون ابنائهم» قيل والضمير في يعرفونه يعود الى العلم من قوله من العلم يعني النبوة وقيل الضمير يعود الى امر القبلة اي يعرفون ان امر القبلة حق عن ابن عباس فان قيل كيف قال يعرفونه كما يعرفون ابنائهم وهم كانوا يعرفون ابنائهم من جهة الحكم ويعرفون امر النبي (ع) من جهة الحقيقة قيل انه شبه المعرفة بالمعرفة ولم يشبه طريق المعرفة بطريق المعرفة وكل واحد من المرفقين كالاخرى وان اختلف الطريقان «وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» انا خص الفريق منهم لأن من اهل الكتاب من اسلم كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما

قوله تعالى (١٤٧) أَلْحَقْ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (آية)

﴿ اللفظ ﴾

الامترا. الاستخراج وقيل الاستدرا قال الاضحي

تَدْرُ عَلَى أَسْوَقِ الْمُمْتَرِينَ وَكَفًا إِذَا مَا السَّحَابُ أَرَجَحَنَ

يعني الشاكين في دورها لطول سيرها وقيل المستخرجين ما عندها قال صاحب العين المري مسحك ضرع الناقة تمرها بيديك تسكن للعلب والريح تمرى السحاب مريا والمريقة من ذلك المريقة الشك ومنه الامترا. والتاريخ والمارة والمرء الجدال واصل الباب الاستدرا يقال بالشكر تمرى التعم اي تستدر

﴿ الاعراب ﴾

الحق مرفوع بأنه خبر مبتدا محذوف وتقديره ذلك الحق او هو الحق ومثله مردت برجل كريم زيد اي هو زيد ولو نصب لجاز في العربية على تقدير اعلم الحق من ربك او اقره الحق والنون في لا تكونن نون التأكيد يوكدها الامر والنهي ولا يوكدها الخبر لا كان الخبر يدل على كون المخبر به وليس كذلك الامر والنهي والاستغفار فألزم الخبر التأكيد بالقسم وجوابه واختصت هذه الاشياء بنون التأكيد ليبدل على اختلاف المعنى في الموكده ولما كان الخبر اصل الجمل أكد بابلغ التأكيد وهو القسم

﴿ المعنى ﴾

هو «الحق من ربك» وهو ما آتاه الله من الوحي والكتاب والشرائع «فلا تكونن من المعتدين» من الشاكين في الحق الذي تقدم اخبار الله تعالى به وفي عناد من كتم النبوة وامتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحجة وقيل من المعتدين في شيء يلزمك العلم به وهذا اولى لأنه اعم والخطاب وان كان متوجها الى النبي عليه السلام فالمراد به الامة كقوله عزاسمه يا ايها النبي اذا طلقتن النساء وأمثاله وقيل الخطاب له لأنه انما يجوز عليه ذلك للملازمة امر الله سبحانه ولولم يكن هناك امر لم تصح الملازمة وفي هذا دلالة على جواز ثبوت القدرة على خلاف المعلوم خلافا لقول المجبرة قوله تعالى (١٤٨) وَلِكُلِّ وَجْهٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ آيِنَا تَكُونُوا يَاتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم هو مولاها وروى ذلك عن ابن عباس ومحمد بن علي الباقر والباقرن هو موليها

﴿ الحجة ﴾

من قرأ هو موليها فالضمير الذي هو هو لله تعالى والتقدير الله موليها اياه حذف المفعول الثاني لجري ذكره المظهر وهو كل في قوله ولكل وجهة وهو مبتدأ وموليها خبره والجملة التي هي هو موليها في موضع رفع لكونها وصفا لوجهة ومن قرأ هو مولاها فالضمير الذي هو هو لكل وقد جرى ذكره وقد استوفى الاسم الجاري على الفعل المبني للمفعول مفعوله اللذين يقتضيهما احدهما الضمير المرفوع من مولى والاخر ضمير المونث ويجوز ان يكون الضمير الذي هو هو في قوله هو موليها عائدا الى كل والتقدير لكل وجهة هو موليها وجهه اي كل اهل وجهة هم الذين ولوا وجوههم الى تلك الجهة

﴿ اللفظة ﴾

اختلف اهل العربية في وجهة فبعضهم يذهب الى انه مصدر شذ عن القياس لجا مصححا ومنهم من يقول هو اسم ليس بمصدر جاء على اصله وانه لو كان مصدرا جاء مصححا للزم ان يجيء فعله ايضا مصححا الا ترى ان هذا المصدر انما اعتل على الفعل حيث كان عاملا عمله وكان على حركاته وسكونه فلو صح لصح الفعل لأن هذه الافعال المعتة اذا صححت في موضع تبعا باقى ذلك فوجهة اسم للمتوجه والجهة المصدر قالوا وجه الحجرة ماله يريدون هنا المصدر وما زائدة وله في موضع الصفة للذكورة والاستباق والابتداء والاسراع فظائر وله في هذا الامر سبقة وسابقة وسبق اي سبق الناس اليه

﴿ المعنى ﴾

هذا بيان لأمر التبلة ايضا وقوله «ولكل وجهة» فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان معناه لكل اهل ملة من اليهود والنصارى قبله من مجاهد واكثر المفسرين و (ثانيها) ان لكل نبي وصاحب ملة وجهة اي طريقة وهي

الاسلام وان اختلفت الاحكام كقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يعني شرائع الانبياء عن الحسن و (ثالثا) ان لكل من المسلمين واهل الكتاب قبلتي يعني صلاتهم الى بيت القدس وصلاتهم الى الكعبة عن قتادة و (رابعا) ان لكل قوم من المسلمين وجهة من كان منهم وراء الكعبة او قدامها او عن يمينها او عن شمالها وهو اختيار الجبائي «هو موليا» اي الله موليا اياهم ومعنى توليته لهم اياها انه امرهم بالتوجه نحوها في صلاتهم اليها ويدل على ذلك قوله فان توليتك قبلة ترضاها وقيل معناه الكل مولي الوجهة وجهه او نفسه الا انه استغنى عن ذكر النفس والوجه وكل وان كان مجموع المعنى فهو موحد اللفظ بلفظ البناء على لفظه فلذلك قال هو في الكناية عنه وان كان المراد به الجمع والمعنى كل جماعة منهم يولونها وجوههم ويستقبلونها وقوله «فاستقبلوا الخيرات» معناه سارعوا الى الخيرات عن الربيع والخيرات هي الطاعات لله تعالى وقيل معناه بادروا الى القبول من الله عز وجل فيا يأمركم به مبادرة من يطلب السبق اليه عن الزجاج وقيل معناه تنافسوا فيما رغبت فيه من الخير فلكل عندي ثوابه عن ابن عباس وقوله «اينا تكونوا يأت بكم الله جميعا» اي حيثما متم من بلاد الله سبحانه يأت بكم الله الى المشرق يوم القيامة وروي في اخبار اهل البيت عليهم السلام ان المراد به اصحاب المهدي في آخر الزمان قال الرضا (ع) وذلك والله ان لو قام قانتنا يجمع الله اليه جميع شعيتنا من جميع البلدان «ان الله على كل شيء قدير» اي هو قادر على جمعكم وحشركم وعلى كل شيء.

قوله تعالى (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (آية)

﴿ المعنى ﴾

«ومن حيث خرجت» من البلاد «فول وجهك شطر المسجد الحرام» اي فاستقبل بوجهك تلقاء المسجد الحرام وقيل في تكراره وجوه ﴿ احدها ﴾ انه لا كان فرضا نسخ ما قبله كان من مواضع التأكيد والتبيين لينصرف الخلق الى الحال الثانية من الحال الاولى على يقين و (ثانيا) انه مقدم لا يأتي بعده ويتصل به فاشبه الاسم الذي تكرر ليخبر عنه باخبار كثيرة كما يقال زيد كريم زيد عالم زيد فاضل وما اشبه ذلك مما يذكر لتعلق القائدة به و (ثالثا) انه في الاول بيان حال الحضرة وفي الثاني بيان حال السفرو قوله «وانه للحق من ربك» معناه وان التوجه الى الكعبة الحق الامور به من ربك ويحتمل ان يراد بالحق الثابت الذي لا يزول بنسخ كما يوصف التقديم سبحانه بانه الحق الثابت الذي لا يزول «وما الله بغافل عما تعملون» معناه هنا التهديد كما يقول الملك لعبيده ليس يخفى علي ما انتم فيه ومثله قوله ان ربك بالمرصاد

قوله تعالى (١٥٠) وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمُنُّوا بِعَدُوِّي وَلَا تَمُنُّوا بِالْعَدُوِّ وَهِيَ بِلَاغٌ لَكُمْ وَلِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ حُجَّةٌ بِلَاغٌ لَكُمْ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَكُنَّ صَاحِبِ السُّعْيِ إِذْ يَخْرُجُونَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

لئلا يكون هو لأن لا كتبت الهزئة يا لكسرة ما قبلها وترك نافع همزها تخفيفا وادغمت النون في اللام وموضع اللام من لئلا نصب والعامل فيه فولوا وقال الزجاج العامل فيه ما دخل الكلام من معنى عرفتكم ذلك لئلا يكون وكذلك قوله ولا تم نعمتي اللام تتعلق بقوله فولوا وتقديره لأنتم وقوله الا الذين ظلموا فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ انه استثناء منقطع كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن ويقال ماله على حق الا التعدي والظلم يعني لكنه يتعدى ويظلم وقال التابغة

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ مَسِيئَتُهُمْ
بِهِمْ قَوْلٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ

وكانه يقول ان كان فيهم عيب فهذا وليس هذا بعيب فاذا ليس فيهم عيب وهكذا في الآية ان كان على المؤمنين حجة فللظالم في احتجاجه وليس للظالم حجة فاذا ليس عليهم حجة و(الثاني) ان تكون الحججة بمعنى الحاجة فكأنه قال لتلا يكون للناس عليكم حجاج الا الذين ظلموا فانهم يحاجونكم بالباطل فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا و(الثالث) ما قاله ابو عبيدة ان الاهاهنا بمعنى الواوي ولا الذين ظلموا وانكر عليه القراء والمبرد قال القراء الواوي لا يأتي بمعنى الامن غير ان يتقدمه استثناء كما قال الشاعر

مَا بِالْمَدِينَةِ دَارٌ غَيْرُ وَاحِدَةٍ
دَارُ الْخَلِيفَةِ إِلَّا دَارُ مَرْوَانَ

اي دار الخليفة ودار مروان وانشد الاخفش

وَأَرَى لَهَا دَارًا يَا غَدْرَةَ النَّبِيِّ
يَدَانِ لَمْ يَدْرُسْ كَمَا رَسَمُ
إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ
عَنْهُ الرِّيَّاحُ خَوَالِدُ سَحْمُ

اي ارى لها دارا ورمادا وقال المبرد لا يجوز ان يكون الا بمعنى الواوي اصله (الرابع) ان فيه اضمار على وتقديره الا على الذين ظلموا منهم فكأنه قال لتلا يكون عليكم حجة الا على الذين ظلموا فانه يكون الحججة عليهم وهم الكفار عن قطرب وهو اختيار الازهري قال علي بن عيسى وهذان الوجهان بعيدان والاختيار القول الاول

﴿ المعنى ﴾

قد مضى الكلام في معنى اول الآية وقيل في تكراره وجوه ﴿ احدها ﴾ انه لاختلاف المعنى وان اتفق اللفظ لان المراد بالاول «ومن حيث خرجت» متصرفا عن التوجه الى بيت القدس «فول وجهك شطر المسجد الحرام» والمراد بالثاني اين ما كنت من البلاد فتوجه نحوه من كل جهات الكعبة وسائر الاقطار (وثانيها) انه من مواضع التاكيد لا جرى من النسخ ليثبت في القلوب (وثالثها) انه لاختلاف المواطن والاقوات التي تحتاج الى هذا المعنى فيها وقوله «لتلا يكون للناس عليكم حجة» قيل فيه وجوه ﴿ اولها ﴾ ان معناه لان لا يكون لأهل الكتاب عليكم حجة اذا لم تصلوا نحو المسجد الحرام بان يقولوا ليس هذا هو النبي البشر به اذ ذاك نبي يصلي بالقبطين (وثانيها) ان معناه لا تمدلوا عما امركم الله به من التوجه الى الكعبة فتكون لهم عليكم حجة بان يقولوا لو كنتم تعلمون انه من عند الله لا عدتم عنه عن الجبائي (وثالثها) ما قاله ابوروق ان حجة اليهود انهم كانوا قد عرفوا ان النبي المبعوث في آخر الزمان قبلته الكعبة فلما رأوا محمدا يصلي الى الصخرة احتجوا بذلك فصرفت قبلته الى الكعبة لتلا يكون لهم عليه حجة «الا الذين ظلموا منهم» يريد الا الظالمين الذين يكتمون ما عرفوا من انه يحول الى الكعبة وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا وقد مضى ذكر ما قيل فيه من الاقوال في الاعراب وانما اختلف العلماء في وجه الاستثناء لان الظالم لا يكون له حجة لكنه يورد ما هو في اعتقاده حجة وان كانت باطلة كما قال سبحانه حجبتهم داخضة وقيل المراد بالذين ظلموا قريش واليهود فلما قريش قالوا قد علم اننا على هدى فرجع الى قبلتنا وسيرجع الى ديننا ولما اليهود قالوا لم ينصرف عن قبلتنا عن علم وانما فعله برأيه وزعم انه قد امر به وقيل المراد بالذين ظلموا العموم يعني ظلموكم بالقاتلة وقلة الاستماع وقوله «فلا تحشروهم واخشوني» لاذكرهم بالظلم والحصومة والحاجة طيب نفوس المؤمنين فقال لا تخافوهم ولا تلتفتوا الى ما يكون منهم فإن عاقبة السوء عليهم ولا حجة لأحد منهم عليكم ولا يد وقيل لا تحشروهم في استقبال الكعبة واخشوا عتابي في ترك استقبالها فاني احفظكم من كيدهم وقوله «ولا تهنتم نعمتي عليكم» عطف على قوله لتلا وتقديره لتلا يكون لأحد عليكم حجة ولا تهنتم نعمتي عليكم بهدائيتي اياكم الى قبله ابراهيم عليه السلام بين سبحانه انه حول القبلة لهدى الذين تعرضوا

زوال القالة وتقام النعمة وروى عن ابن عباس انه قال ولا تتم نعمتي عليكم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فانصرفكم على اعدائكم وأوردتكم ارضهم وديارهم وأموالهم واما في الآخرة فبنتي ورحمتي وروى عن علي (ع) قال النعم ستة الاسلام والقرآن ومحمد (ص) والستر والعافية والنسي عما في ايدي الناس «ولعلكم تهتدون» اي لكي تهتدوا ولعل من الله واجب عن الحسن وجماعة وقيل تهتدوا الى ثوابها وقيل الى التمسك بها

قوله تعالى (١٥١) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الارسال التوجيه بالرسالة والتعميل لها ليؤدي الى من قصد والتلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق واصله من الاتباع ومنه تلاء اي تبعه والتركيبية النسبة الى الازدياد من الافعال الحسنة التي ليست بمشوبة ويقال ايضا على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء اليه والالطف فيه يقال زكى فلان فلانا اذا اطراه ومدحه وزكاه حمده على ماله فيه الزكاه والناها والطهارة والقدس والحكمة هي العلم الذي يمكن به الافعال المستقيمة

﴿ الاعراب ﴾

ما في قوله كما أرسلنا مصدرية فكأنه قال كما أرسلنا فيكم ويحتمل ان يكون كافة كما قال الشاعر

أَعْلَاقَةٌ أُمُّ الْوَالِدِ بَعْدَ مَا أَفْتَانُ رَأْسِكَ كَالثَنَامِ الْمُخْلِيسِ

فإنه يجوز كما زيد محسن اليك فاحسن الى اسبابه والعامل في الكاف من قوله كما يجوز ان يكون الفعل الذي قبله وهو قوله ولا تتم نعمتي عليكم فعلى هذا لا يوقف عند قوله ولعلكم تهتدون ويكون الوقف عند قوله مالم تكونوا تعلمون ويجوز ان يكون الفعل الذي بعده وهو قوله فاذكروني اذكركم وعلى هذا يوقف عند قوله تهتدون ويتبدأ بقوله كما أرسلنا ولا يوقف عند قوله تعلمون والاول احد قولي الزجاج واختيار الجبائي والثاني قول مجاهد والحسن وأحد قولي الزجاج وقوله منكم في موضع نصب لأنه صفة لقوله رسولا وكذلك قوله يتلوا وما بعده في موضع الصفة

﴿ المعنى ﴾

قوله «كما أرسلنا» التشبيه فيه على القول الاول معناه ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة لأن الله تعالى لطف لباده بها على ما يعلم من الصلحة ومحمود العاقبة واما على القول الثاني فعناه ان في بعثة الرسول منكم اليكم نعمة عليكم لأنه يحصل لكم به عز الرسالة فكما انعمت عليكم بهذا النعمة العظيمة فاذكروني واشكروا لي واعبدوني أنعم عليكم بالجزاء والثواب والخطاب للعرب على قول جميع المفسرين وقوله «رسولا» يعني محمدا (ص) «منكم» بالنسب لأنه من العرب ووجه النعمة عليهم بكونه من العرب ما حصل لهم به من الشرف والذكر وان العرب لم تكن تتبع رسولا يبعث اليهم من غيرهم مع نخوتهم وعزتهم في نفوسهم فكون الرسول منهم يكون أدهى لهم الى الايمان به واتباعه وقوله «يتلوا عليكم آياتنا» اراد بها القرآن «ويزكيتكم» ويعرضكم لما تكونون به ازكيا من الأمر بطاعة الله واتباع مرضاته ويحتمل ان يكون معناه ينسبكم الى انكم ازكيا بشهادته لكم بذلك ليعرفكم الناس به «ويعلمكم الكتاب والحكمة» الكتاب القرآن والحكمة هي القرآن ايضا جمع بين الصفتين لاختلاف قائدهما كما يقال الله العالم بالأمر وكلها القادر عليها وقيل اراد بالكتاب القرآن وبالْحِكْمَةَ الْوَحْيِيَّةَ مِنَ السَّنَةِ وَمَا لَا يَمْلِكُ مِنَ جَهْتِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَقَوْلُهُ «ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون» اي ما لا سبيل لكم الى علمه الا من جهة السمع فذكروهم الله بالنعمة فيه ويكون التعليم لعله دليل من جهة العقل تابعا للنعمة فيه ولا سيما اذا وقع موقع اللطف

قوله تعالى (١٥٢) **فَاذْكُرُونِي اَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وقد يكون بالقول وكلاهما يحضر به المعنى للنفس وفي اكثر الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان وليس ذلك بموجب ان لا يكون الا بعد نسيان لأن كل من حضره المعنى بالقول او العقده او الخطور بالبال ذاكر له واصله التذبه على الشيء. فن ذكرته شيئا فقد نهته عليه واذا ذكر بنفسه فقد تبه عليه والذكر الشرف والنباهة والفرق بين الذكر والخطار ان الخطار ما يمر بالقلب والذكر قد يكون بالقول ايضا وفي قوله واشكروا لي محذوف اي اشكروا لي نعمتي لأن حقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة وفي قوله ولا تكفرون ايضا محذوف لأن الكفر هو ستر النعمة وجعلها لا ستر المنعم وقولهم حمدت زيدا وذمته لاحذف فيه وان كتبت انما تحمد اوتذم من اجل الفعل كما انه ليس في قولك زيد متحرك حذف وان كان انما تحرك لأجل الحركة فليس كل كلام دل على معنى غير مذكور يكون فيه حذف الا ترى ان قولك زيد ضارب دل على مضروب وليس بمحذوف فالحمد للشيء دلالة على انه محسن والذم للشيء دلالة على انه مسيء. كقولهم نعم الرجل زيد وبئس الرجل عمرو وقالوا اشكرتك وشكرت لك وانما قيل اشكرتك لايقع اسم المنعم موقع النعمة فعدى الفعل بغير واسطة والاجود اشكرت لك النعمة لانه الاصل في الكلام قال الشاعر

هُمُ جَمَعُوا بُوَسِي وَنُعْمِي عَلَيْكُمْ فَهَلَّا شَكَرْتَ النَّوْمَ إِذْ لَمْ تُقَابِلْ

ومثل ذلك نصحتك ونصحت لك وذكرنا الرجاء في حذف الياء في مثل ولا تكفرون فيا مضى

﴿ المعنى ﴾

«فاذكروني اذكركم» قيل معناه اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي عن سعيد بن جبيرة بيانه قوله سبحانه واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقيل اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي عن ابن عباس وبيانه قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل اذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة عن ابن كيسان بيانه لاني شكرتم لازيدنكم وقيل اذكروني على ظهر الارض اذكركم في بطنها وقد جاء في الدعاء اذكروني عند البلاء اذا نسي الناسون من الوردى وقيل اذكروني في الدنيا اذكركم في العقبى وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء وبيانه قوله سبحانه فلولا انه كان من المسجين لبث في بطنه الى يوم يبعثون وفي الخبر تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقيل اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة بيانه قوله ادعوني استجب لكم وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) قال قال النبي صلى الله عليه وآله ان الملك يقبل الصحيفة من اول النهار واول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم فاملوا في اولها خيرا وفي آخرها خيرا فان الله يغفر لكم ما بين ذلك ان شاء الله فان الله يقول اذكروني اذكركم وقال الربيع في هذه الآية ان الله عز وجل ذاكر من ذكره وزائد من شكره ومعذب من كفره وقوله «واشكروا لي» اي اشكروا نعمتي واظهروها واعترفوا بها «ولا تكفرون» ولا تستروا نعمتي بالجحود يعني بالنعمة قوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الآية

قوله تعالى (١٥٣) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** (آية)

﴿ الاعراب ﴾

الذين آمنوا موضعه رفع بانه صفة لأي كما ان الناس كذلك في قوله يا ايها الناس وقد ذكرناه فيا مضى وهو قول جميع النحويين الا الاخفش فانه لا يجعله صفة لأي ويرفعه بانه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل يا من هم الذين آمنوا الا انه لا يظهر المحذوف مع اي وانما حمله على ذلك لزوم البيان لأي فقال الصفة لاتلزم وانما تلزم العلة

قال علي بن عيسى والوجه عندي ان يكون صفة بمنزلة الصلة في الزوم وقد ذكرنا الوجه في لزومها ايضا عند قوله سبحانه يا ايها الناس اعبدوا ربكم وقال ابو علي لا يجوز ان يكون اي في التداء موصولة لانها لو كانت موصولة لوصلت بكل واحدة من الجمل الاربع ولم يقتصر بها على ضرب واحد منها لأن ذلك لم يفعل بشيء من الاسماء الموصولة في موضع وجاز ايضا ان يقال يا ايها رجل لأن خبر المبتدأ لا يجوز ان يكون مقصورا على المعرفة بالألف واللام ولا يغير عنه وفي امتناع جميع التحويين من اجازة ذلك ما يدل على فساد هذا القول وايضا لو كانت موصولة للزم جواز اظهار المبتدأ المحذوف من الصلة وكان يجوز يا ايها الرجل ويا ايهاهي المرأة ولا خلاف في انه لا يجوز ذلك

﴿ المعنى ﴾

قد مضى تفسير قوله استعينوا بالصبر والصلاة فيا مضى يخاطب المؤمنين فيقول « استعينوا بالصبر » اي يجيب النفس عما تشتهي من القبحات وحملها على ما تنفر منه من الطاعات والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام في قوله الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب وبالصلاة لا فيها من الذكر والشروع في تلاوة القرآن الذي يتضمن ذكر الوعد والوعيد والهدى والبيان وما هذه صفته يدعو الى الحسنات ويذجر عن السيئات واختلف في ان الاستعانة بهما على ماذا فقيل على جميع الطاعات فكأنه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيره من الطاعات وقيل على الجهاد في سبيل الله وقوله « ان الله مع الصابرين » فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه انه معهم بالمعونة والنصرة كما يقال السلطان معك فلا تبال من لقيت (والآخر) ان المراد هو معهم بالتوفيق والتسديد اي يسهل عليهم اداء العبادات والاجتباب من القبحات ونظيره قوله سبحانه ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ولا يجوز ان يكون مع هنا بمعنى الاجتماع في المكان لأن ذلك من صفات الاجسام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفي الآية دلالة على ان في الصلاة لطفًا للعبد لأنه سبحانه امرًا بالاستعانة بها ويومئذ قوله سبحانه ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

قوله تعالى (١٥٤) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

السبيل الطريق وسبيل الله طريق مرضاته وانما قيل للجهاد سبيل الله لأنه طريق الى ثواب الله عز وجل والقيل هو نقض بنية الحياة والموت عند من قال انه معنى عرض ينافي الحياة منافاة التعاقب ومن قال انه ليس بمعنى قال هو عبارة عن بطلان الحياة وهو الاصح فأما الحياة فلا خلاف في انها معنى وهي عرض يصير الجملة كالشيء الواحد حتى يصير قادرا واحدا عالما واحدا مريدا واحدا ولا يقدر على فعل الحياة الا الله سبحانه والشعور هو ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر وهي الحواس ولذلك لا يوصف تعالى بأنه شاعر ولا بأنه يشعر وانما يوصف بأنه عالم ويعلم وقيل ان الشعور هو ادراك مادق اللطف الحس مأخوذ من الشعر لدقته ومنه الشاعر لأنه يفتن من اقامة الوزن وحسن النظم لما لا يفتن له غيره

﴿ الاعراب ﴾

قوله اموات مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف تقديره لا تقولوا هم اموات ولا يجوز فيه النصب كما يجوز قلت حسنا لأن حسنا في موضع المصدر كأنه قال قلت قولنا حسنا فاما قوله ويقولون طاعة فيجوز فيه النصب في العربية على تقدير نطبع طاعة والفرق بين بل ولكن ان لكن نبي لأحد الشينين وثابت للأخر كقولك ما قام زيد لكن عمرو وليس كذلك بل لأنها اضراب عن الاول وثابت للثاني ولذلك وقعت في الايجاب كقولك قام زيد بل عمرو

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس انها نزلت في قتلى بدر وقتل من المسلمين يومئذ اربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وكانوا يقولون مات فلان فأنزل الله تعالى هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لما امر الله سبحانه بالصبر والصلاة للأزدياد في القوة بهما على الجهاد قال «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات» فنهى أن يسمى من قتل في الجهاد امواتاً «بل احياء» اي بل هم احياء وقيل فيه اقوال «احدها» وهو الصحيح انهم احياء على الحقيقة الى ان تقوم الساعة وهو قول ابن عباس وقناعة ومجاهد واليه ذهب الحسن وعمر بن عبد واصل بن عطاء واختاره الجبائي والزماني وجميع المفسرين والثاني ان المشركين كانوا يقولون ان اصحاب محمد يقتلون نفوسهم في الحروب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فأعلمهم الله انه ليس الامر على ما قالوه وانهم سيعيرون يوم القيامة ويثابون عن البلخي ولم يذكر ذلك غيره والثالث معنى لا تقولوا هم اموات في الدين بل هم احياء بالطاعة والهدى ومثله قوله سبحانه او من كان ميتاً فأحييناه فجعل الضلال موتاً والهداية حياة عن الاعمم والرابع ان المراد انهم احياء لما قالوا من جميل الذكر والثنا كما روي عن امير المؤمنين عليه السلام من قوله هلك خزان الاموال والعلماء باقون ما بقي الدهر ايمانهم مفعودة وآثارهم في القلوب موجودة والمتد هو القول الاول لان عليه اجماع المفسرين ولان الخطاب للمؤمنين وكانوا يعلمون ان الشهداء على الحق والهدى وانهم يتشرون ويحيون يوم القيامة فلا يجوز ان يقال لهم ولكن لا تشرون من حيث انهم كانوا يشرون ذلك ويقرون به ولان حمله على ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر ولو كانوا ايضاً احياء بما حصل لهم من جميل الثناء لما قيل ايضاً ولكن لا تشرون لانهم كانوا يشرون ذلك ووجه تخصيص الشهداء بكونهم احياء وان كان غيرهم من المؤمنين قد يكونون احياء في البرزخ انه على جهة التقديم للشارة بذكر حالهم ثم البيان لا يختصون به من انهم يرزقون كما في الآية الاخرى يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله فان قيل غن زى جثث الشهداء مطروحة على الارض لا تنصرف ولا يرى فيها شيء من علامات الاحياء فالجواب ان على مذهب من يقول بالانسان من اصحابنا ان الله تعالى يجعل لهم اجساماً كاجسامهم في دار الدنيا يتمتعون فيها دون اجسامهم التي في القبور فان النعم والعذاب انما يحصل عنده الى النفس التي هي الانسان المكلف عنده دون الجنة ويؤيد ذلك ما رواه الشيخ ابو جعفر في كتاب تهذيب الاحكام مسنداً الى علي بن مهزيار عن القاسم بن محمد بن الحسين بن احمد عن يونس بن زبيان قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام جالسا فقال ما يقول الناس في ارواح المؤمنين قلت يقولون في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش فقال ابو عبد الله سبحانه الله المؤمن اكرم على الله ان يجعل روحه في حوصلة طائر خضر يابونس المؤمن اذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كتابه في الدنيا فيكون ويشرون فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا وعنه عن ابن ابي عمير عن حماد عن ابي بصير قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن ارواح المؤمنين فقال في الجنة على صور ابدانهم لو رأيتهم لقلت فلان فلان فاما على مذهب من قال من اصحابنا ان الانسان هذه الجملة المشاهدة وان الروح هو النفس المتردد في مخارق الحيوان وهو اجزاء الجوف فالتقول انه يلفظ اجزاء من الانسان لا يمكن ان يكون الحي حياً بأقل منها يوصل اليها النعم وان لم تكن تلك الجملة بكاملها لانه لا معتبر بالاطراف واجزاء السنن في كون الحي حياً فإن الحي لا يخرج بمفارقة من كونه حياً وربما قيل بان الجنة يجوز ان تكون مطروحة في الصورة ولا تكون ميتة فتصل اليها الذات كما ان النائم حي وتصل اليه الذات مع انه لا يحس ولا يشعر بشيء من ذلك فيرى في النوم ما يجد به السرور والالتذاذ حتى انه يود أن يطول نومه فلا يتبته وقد جاء في الحديث انه يفسح له مد بصره ويقال له ثم نومة العروس وقوله «ولكن لا تشرون»

اي لا تعلمون انهم احياء وفي هذه الآية دلالة على صحة مذهبنا في سوء ال قبر واثابة المومن فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت به الاخبار وانما حمل البلخي الآية على حياة الحشر لأنكاره عذاب القبر

قوله تعالى (١٥٥) وَكَلْبَلُواكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَأَلْسِنَةٍ نَّعْصِيبُهَا وَتَنَزُّلٍ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكْبَابٍ وَخَوَافِكُمْ إِنَّكُمْ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿ اللنة ﴾

البلاء الاختبار ويكون بالخير والشر والخوف اتعاج النفس لا يتوقع من الضرر والجوع ضد الشبع وهو المخصصة والمجاعة عام فيه جوع وحقيقة الجوع الشهوة الغالبة الى الطعام والشبع زوال الشهوة ولا خلاف ان الشهوة معنى في القلب لا يقدر عليه غير الله تعالى والجوع منه واما الشبع فهو معنى عند ابي علي الجبائي وهو فعله تعالى وعند ابي هاشم ليس بمعنى وهكذا القول في العطش والري والنقص نقيض الزيادة والنقصان يكون مصدرا واسما ونقص الشيء ونقصته لازم ومتعد ودخل عليه نقص في عقله ودينه ولا يقال نقصان والنقصية الواقعة في الناس والنقصية انتقاص الحق ونقصه تناول عرضه واصل النقص الخط من التام والمال معروف واموال العرب انعامهم ورجل مال اي ذو مال والثمرة افضل ما تحمله الشجرة

﴿ الاعراب ﴾

فتحت الواو في لبونكم كما فتحت الزاء في لتنصرونكم وهو انه بني على التثنية لأنها اخف اذا استحق البناء على الحركة كما استحق يا في النداء حكم البناء على الحركة من الخوف والجوع الجار والمجرور صفة شيء

﴿ المعنى ﴾

لا يبين سبحانه ما كلف عباده من العبادات عقبه بيان ما امتحنهم به من فنون المشقات فقال «ولتبونكم» اي ولتختبرنكم ومعناه تعاملكم معاملة المختبر ليظهر المعلوم منكم والخطاب لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام من عطا والربيع ولو قيل انه خطاب لجميع الخلق لكان ايضا صحيحا «بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال» اي بشيء من الخوف وشيء من الجوع وشيء من نقص الاموال فاوجز وانما قال من الخوف على وجه التبويض لأنه لم يكن موبدا وانما عرفهم سبحانه ذلك ليوطنوا انفسهم على المكروه التي تلحقهم في نصرته النبي صلى الله عليه وآله لا لهم فيها من المصلحة فاما سبب الخوف فكان قصد المشركين لهم بالعداوة وسبب الجوع تشاغلهم بالجهاد في سبيل الله عن المعاش واحتياجهم الى الاتفاق فيه وقيل للتحط الذي لحقهم والجذب الذي اصابهم وسبب نقص الاموال الانتقطاع بالجهاد عن العارة ونقص الانفس بالقتل في الحروب مع رسول الله (ص) وقيل نقص الاموال بهلاك المواشي «والانفس» بالموت وقوله «والثمرات» قيل اراد ذهاب حمل الاشجار بالخروج وقلة الثبات وارتفاع البركات وقيل اراد به الاولاد لأن الولد ثمرة القلب وانما قال ذلك لاشتغالهم بالقتال عن عمارة البستان وعن مناسكة النسوان فيقتل تول البساتين وحمل البنات والبنين ووجه الابتلاء بهذه الاشياء ما تقتضيه الحكمة من اللطاف ودقائق المصالح والاعراض ويدخره سبحانه لهم ما يرضيهم به من جلائل الاعراض وقيل في وجه اللطف في ذلك قولان ﴿احدهما﴾ ان من جاء من بعدهم اذا اصابهم مثل هذه الامور علموا انه لا يصيبهم ذلك لتقصان درجة وحط مرتبة فانه قد اصاب ذلك من هو اعلى درجة منهم وهم اصحاب النبي (ص) (والآخر) ان الكفار اذا شاهدوا المومنين يتحملون المشاق في نصرته الرسول ومواقفتهم له وتنازلهم هذه المكروه فلا يتغيرون في قوة البصيرة ونقاء السريرة علموا انهم لثا فعلوا ذلك لعلهم بصحة هذا الدين وكونهم من معرفة صدقه على اليقين فيكون ذلك داعيا لهم الى قبول الاسلام والدخول في جملة المسلمين وقوله «وبشر الصابرين» اي اخبرهم

بما لهم على الصبر في تلك المشاق والمكاره من الثوبة الجزيلة والعاقبة الجميلة
 قوله تعالى (١٥٦) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
 (١٥٧) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

امال الكسائي في بعض الروايات التون من انا واللام من لله والباقون بالتنغم

﴿ الحجة ﴾

وانما جازت الامالة في هذه الالف مع اسم الله للكسرة مع كثرة الاستعمال حتى صارت بجزلة الكلمة الواحدة
 قال الفراء لا يجوز امالة انا مع غير اسم الله تعالى في مثل قولك انا لزيد وانما لم يميز ذلك لأن الاصل في الحروف
 وما جرى مجراها امتناع الامالة فيها فلا يجوز امالة حتى ولكن وما اشبه ذلك لأن الحروف بجزلة بعض الكلمة
 من حيث امتنع فيها التصريف الذي يكون في الاسماء والافعال

﴿ اللغة ﴾

المصيبة المشقة الداخلة على النفس لا يلحقها من الضررة وهو من الاصابة كأنها تصيبها بالنكبة والرجوع مصير
 الشيء الى ما كان يقال رجعت الدار الى فلان اذا املكها مرة ثنية وهو نظير العود والمصير والاهتداء الاصابة لطريق الحق

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف عز اسمه الصابرين فقال «الذين اذا اصابتهم مصيبة» اي نالتهم نكبة في النفس او المال فوطنوا
 انفسهم على ذلك احتساباً للأجر «قالوا ان الله» هذا اقرار بالمبودية اي نحن عبيد الله وملكوه «وانا اليه راجعون»
 هذا اقرار بالبعث والتشور اي نحن الى حكمه نصير ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلام ان قولنا اتألفه اقرار على
 انفسنا بالملك وقولنا واننا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالملك وانما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة لا فيهما من
 الدلالة على ان الله تعالى يجبرها ان كانت عدلا وينصف من فاعلها ان حركات ظلما وتقديره انا لله تسلياً لأمره
 ورضاه بتدبيره وانما اليه راجعون ثقة بأننا نصير الى عدله وانقراده بالحكم في اموره وفي الحديث من استرجع
 عند المصيبة جبر الله مصيبتيه واحسن عقابه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه وقال عليه السلام من اصاب بمصيبة فاحدث
 استرجاعاً وان تقادم عهدا كتب الله له من الاجر مثله يوم اصاب وروى الصادق عليه السلام عن آياته عن النبي
 صلى الله عليه وآله قال اربع من كثر في كثر الله من اهل الجنة من كانت عصمته شهادة ان لا اله الا الله ومن
 اذا انعم الله عليه بالنعمة قال الحمد لله ومن اذا اصاب ذنباً قال استغفر الله ومن اذا اصابته مصيبة قال ان الله وانما
 اليه راجعون وقوله «او ائلك» اشارة الى الذين وصفهم من الصابرين «عليهم صلوات من ربهم» اي ثناء جميل من
 ربهم وتركيبه وهو بمعنى الدعاء لأن الثناء يستحق دائماً ففيه معنى اللزوم كما ان الدعاء يدعى به مرة بعد مرة ففيه
 معنى اللزوم وقيل بركات من ربهم عن ابن عباس وقيل مغفرة من ربهم «ورحمة» اي نعمة عاجلاً و آجلاً فالرحمة النعمة
 على المحتاج وكل احد يحتاج الى نعمة الله في دنياه وعقباه «او ائلك» اي المصيون طريق الحق في
 الاسترجاع وقيل الى الجنة والثواب وكان عمر بن الخطاب اذا قرأ هذه الآية قال نعم العبدان ونعمت الملاوة
 قوله تعالى (١٥٨) إِنَّ الصَّغَا وَالرُّوَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حُجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ
 فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير عاصم من يطوع بالياء وتشديد الطاء والواو وكذلك ما بعدهم واقدم زيد ورويس عن

يعقوب في الاول والباقي تطوع على انه فعل ماض ودوي في الشواذ عن علي عليه السلام وابن عباس وانس وسعيد ابن جبير وابي بن كعب وابن مسعود الا يطوف بها

﴿الحجة﴾

يمكن ان يكون لا على هذه القراءة زائدة كما في قوله لتلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وكقوله (من غير لاصف ولا اصطراف) اي من غير عصف ويطوع تقديره يتطوع الا انه ادغم التاء في الطاء لتتأخر بها

﴿اللغة﴾

الصفا في الاصل الحجر الاملس مأخوذ من الصفو واحده صفاة قال امرؤ القيس

لَهَا كَفَلٌ كَصَفَاةِ الْمَسِيلِ أَبْرَزَ عَنْهَا حِجَابٌ مُصِرٌ

فهو مثل حصاة وحصى ونواة ونوى وقيل ان الصفا واحد البرد الصفا كل حجر لا يخالطه غيره من طين او تراب وانما اشتقاقه من صفا يصفو اذا خلص واصله من الواو لأنك تقول في تثنيته صفوان ولا يجوز املته والمروة في الاصل الحجارة الصلبة اللينة وقيل الحصاة الصغيرة والمرولة في الرواة وقيل هو جمع مثل تمره وتر

قال ابو ذؤيب

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تُرْعَعُ

المرؤنة واصله الصلابة فالتبت انما سمي بذلك لصلابة بزره وقد صار اسمين لجبلين معروفين بمكة والاث واللام فيها للتعريف لا للجنس والشعائر المعالم للأعمال وشعائر الله معاله التي جعلها مواطن للعبادة وكل معلم لعبادة من دعاء او صلاة او غيرها فهو مشعر لتلك العبادة وواحد الشعائر شعيرة فشعائر الله اعلام متبذاته من موقف او مسمى او منصر من شعرت به اي علمت قال الكسيت

نُفَّتِلَهُمْ جِبَالًا فَجِبَالًا تَرَاهُمْ شَعَائِرَ قَرَبَانَ يَهُمُّ يُتَقَرَّبُ

والحج في اللغة هو التصد على وجه التكرار وفي الشريعة عبارة عن قصد البيت بالعمل المشروع من الاحرام والطواف والسعي والوقوف بالموقنين وغير ذلك قال الشاعر

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُوًّا كَثِيرَةً يَحْجُونَ بَيْتَ الزِّيْبْرِ قَانَ الْمَرْعَرَا

يعني يكثرون التردد اليه لسوادة والعمرة هي الزيارة اخذ من العارة لأن الزائر يعمر المكان بزيارته وهي في الشرع زيارة البيت بالعمل المشروع والجنح الليل عن الحزيقال جنح اليه جنوحا اذا مال واجنحه فاجتنب اي املته فال وجناحا الطائر يدها وبدا الانسان جناحا وجناحا المسكر جانباه والطواف الدوران حول الشيء ومنه الطائف وفي عرف الشرع الدور حول البيت والطائفة الجماعة كالحلقة الدائرة ويطوف اصد يطوف ومثله يطوع والفرق بين الطاعة والتطوع ان الطاعة موافقة الارادة في الفريضة والتطوع التبرع بالنافلة خاصة واصلاهم من الطوع انذي هو الانتقاد والشاكر فاعل الشكر وانما يوصف سبحانه بأن شاكر مجازا وتوسعا لأنه في الاصل هو المظهر للانعام عليه والله يتعالى عن ان يكون عليه نعمة لا أحد

﴿الاعراب﴾

قوله من حج ومن تطوع يحتمل امرين ﴿احدهما﴾ ان يكون من موصولا بقرلة الذي والاخر ان يكون للجزاء فان كان موصولا فلا موضع للفعل الذي بعده وهو مع صلته في موضع رفع بالابتداء والقائ على هذا مع ما بعده في قوله فلا جناح عليه فإن الله شاكر في موضع رفع بانته خبر البتداء الوصول وان كان للجزاء كان الفعل الذي بعده في موضع الجزم وكانت القاء مع ما بعدها ايضا في موضع جزم لوقوعها موقع الفعل المجرم الذي هو جزاء

والفعل الذي هو حج او تطوع على لفظ الماضي والتقدير به المستقبل كما ان ذلك في قولك ان اكرمته اكرمته كذلك وقوله فان الله شاكر عليم انما يصح ان يقع موقع الجزاء او موقع خبر المبتدأ وان لم يكن فيه ضمير عائد لان تقديره يعامله معاملة الشاكر بحسن المجازاة وايجاب المكافاة وانما دخلت الفاء في خبر المبتدأ الموصول لافيه من معنى الجزاء وان لم يكن في ربيع الجزم الا ترى ان هذه الفاء تؤذن بأن الثاني وجب لوجوب الاول

﴿ المعنى ﴾

لا ذكر سبحانه امتحان العباد بالتكليف والأثرام مرة وبالمصائب والآلام اخرى ذكر سبحانه ان من جملة ذلك امر الحج فقال «ان الصفا والروية من شعائر الله» اي انها من اعلام متعبداته وقيل من مواضع نسكه وطاعته عن ابن عباس وقيل من دين الله عن الحسن وقيل فيه حذف وتقديره الطواف بين الصفا والروية من شعائر الله وروي من جعفر الصادق عليه السلام انه قال نزل آدم على الصفا ونزلت حواء على الروية فسمي الصفا باسم آدم المصطفى وسميت الروية باسم المرأة وقوله «فن حج البيت» اي قصده بالافعال المشروعة «او اعتمر» اي اتى بالعمرة بالناسك المشروعة وقوله «فلا جناح عليه» اي لا حرج عليه «ان يطوف بها» قال الصادق (ع) كان المسلمون يرون ان الصفا والروية مما ابتدع اهل الجاهلية فأنزله الله هذه الآية وانما قال فلا جناح عليه ان يطوف بها وهو واجب او طاعة على الخلاف فيه لأنه كان على الصفا صنم يقال له إساف وعلى الروية صنم يقال له نائلة وكان المشركون اذا طافوا بها مسحوا فتخرج المسلمون عن الطواف بها لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الشعبي وكثير من العلماء فرجع رفع الجناح عن الطواف بها الى تحريمهم عن الطواف بها لأجل الصنمين لا الى عين الطواف كما لو كان الانسان محبوبا في موضع لا يمكنه الصلاة الا بالتوجه الى ما يكره التوجه اليه من المخرج وغيره فيقال له لا جناح عليك في الصلاة الى ذلك المكان فلا يرجع رفع الجناح الى عين الصلاة لأن عين الصلاة واجبة وانما يرجع الى التوجه الى ذلك المكان ورويت رواية اخرى عن ابي عبد الله عليه السلام انه كان ذلك في عمرة القضاء وذلك ان رسول الله (ص) شرط عليهم ان يوفروا الاضنام فتشغل رجل من اصحابه حتى اميدت الاضنام فجاؤا الى رسول الله (ص) فقيل له ان فلانا لم يطف وقد اميدت الاضنام فتركت هذه الآية فلا جناح عليه ان يطوف بها اي والاضنام عليها قال فكان الناس يسعون والاضنام على حالها فلما حج النبي (ص) رمى بها وقوله «ومن تطوع خيرا» فيه اقوال ﴿اولها﴾ ان معناه من تبرع بالطواف والسعي بين الصفا والروية بعد ما أدى الواجب من ذلك عن ابن عباس وغيره (وثانيها) ان معناه من تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحج والعمرة المفروضين عن الاصم (وثالثها) ان معناه من تطوع بالخيرات وانواع الطاعات عن الحسن ومن قال ان السعي ليس بواجب قال معناه من تبرع بالسعي بين الصفا والروية وقوله «فان الله شاكر عليم» اي مجازيه على ذلك وانما ذكر لفظ الشاكر تطفنا بعباده ومظاهرة في الاحسان والانعام اليهم كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والله سبحانه لا يستقرض عن عوز ولكنه ذكر هذا اللفظ على طريق التلطف اي يعامل عباده معاملة المستقرض من حيث ان العبد يفتقر في حال غناه فيأخذ اضعاف ذلك في حال فقره وحاجته وكذلك لما كان يعامل عباده معاملة الشاكرين من حيث انه يوجب الثناء له والثواب سمي نفسه شاكرا وقوله عليه اي بما تفضلون من الافعال فيجازيكم عليها وقيل علم بقدر الجزاء فلا يبخس احدا حقه وفي هذه الآية دلالة على ان السعي بين الصفا والروية عبادة ولا خلاف في ذلك وهو عندنا فرض واجب في الحج وفي العمرة وبه قال الحسن وعائشة وهو مذهب الشافعي واصحابه وقال ان السنة اوجبت السعي وهو قوله (ص) كتب عليكم السعي فاسعوا فاما ظاهر الآية فلانما يدل على اباحة ما كرهه من السعي وعند ابي حنيفة واصحابه هو تطوع وهو اختيار الجبائي وروي ذلك عن انس وابن عباس وعندنا وعند الشافعي من تركه متعمدا فلا حج له

قوله تعالى (١٥٩) **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَلْهَدِيْنَا مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** (آية)

﴿النزول﴾

المعنى بالآية اليهود والنصارى مثل كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وابن صوريا وزيد بن ثابت وغيرهم من علماء النصارى الذين كتموا امر محمد ونبوته وهم يحدونه مكتوبا في التوراة والانجيل مثبتا فيها من ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر اهل العلم وقيل انه متناول لكل من كتم ما أنزل الله وهو اختيار البلخي وهو الاقوى لأنه اهم فيدخل فيه اولئك وغيرهم

﴿المعنى﴾

ثم حث الله سبحانه على اظهار الحق وبيانه ونهى عن اخفائه وكتمانته فقال «ان الذين يكتمون» اي يخفون «ما أنزلنا من البينات» اي من الحجج المتزلة في الكتب «والهدى» اي الدلائل فالاول علوم الشرع والثاني ادلة العقل فمع بالوعيد في كتان جميعها وقيل اراد بالبينات الحجج الدالة على نبوته عليه السلام وبالهدى ما يوده الى الخلق من الشرائع وقيل البينات والهدى هي الادلة وهما بمعنى واحد وانما ذكر لاختلاف لفظيهما «من بعد ما بيناه للناس في الكتاب» يعني في التوراة والانجيل من صفته عليه السلام ومن الاحكام وقيل في الكتب المتزلة من عند الله وقيل اراد بقوله ما انزلنا من البينات الكتب المتقدمة وبالكتاب القرآن «اولئك يلعنهم الله» اي يبعدهم من رحمة بايجاب العقوبة لأنه لا يجوز لمن من لا يستحق العقوبة «ويلعنهم اللاعنون» قيل الملائكة والمؤمنون عن قتادة والربيع وهو الصحيح لقوله سبحانه عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وقيل دواب الارض وهوامها تقول منعا القطر بماضي بني آدم عن مجاهد وعكرمة وقيل كل شيء سوى الثقلين الجن والانس عن ابن عباس وقيل اذا تلعن الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها فإن لم يستحقها واحد منها رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله عن ابن مسعود فان قيل كيف يصح ذلك على قول من قال المراد باللاعنين البهائم وهذا الجمع لا يكون الا للعقلاء قيل لا اضيف اليها فعل ما يعقل عوملت معاملة من يعقل كقوله سبحانه والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وانما اضيف اللعن الى من لا يعقل لأن الله يلهمهم اللعن عليهم لا في ذلك من الزجر عن المعاصي لأن الناس اذا علموا انهم اذا عملوا هذه المعاصي استحقوا اللعن حتى انه يلعنهم الدواب والموام كان لهم في ذلك ابلغ الزجر وقيل انما يكون ذلك في الآخرة يكمل الله عقولها فتلعنهم وفي هذه الآية دلالة على ان كتان الخلق مع الحاجة الى اظهاره من اعظم الكبائر وان من كتم شيئا من علوم الدين وفعل مثل فعلهم فهو مثاهم في عظم الجرم ويلزمه كما لزمهم الوعيد وقد روي عن النبي (ص) انه قال من سئل عن علم يملكه فكتمه لم يجرم بل جازم من نار وفيها ايضا دلالة على وجوب الدعاء الى التوحيد والعدل لأن في كتاب الله تعالى ما يدل عليها تأكيدا لا في العقول من الادلة

قوله تعالى (١٦٠) **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** (آية)

﴿اللغة﴾

التوبة هي الندم الذي يقع موقع التنصل من الشيء وذلك بالتحسر على موافقته والعزم على ترك معاودته إن لمكنت المعاودة واعتبر قوم ترك المعاودة على مثله في التوب وهذا اقوى لأن الامة اجتمعت على سقوط العقاب عند هذه التوبة وفيها عداها خلاف واصلاح العمل هو اخلاصه من قبيح ما يشوبه والتبيين هو التعريض للعلم الذي يمكن به صحة التمييز من البين الذي هو القطع

﴿الاعراب﴾

موضع الذين نصب على الاستثناء من الكلام الموجب ومعنى الاستثناء الاختصاص بالشيء دون غيره فاذا قلت جاءني القوم الا زيدا فقد اختصت زيدا بانه لم يجيء واذا قلت ما جاءني الا زيد فقد اختصته بالمجيء واذا قلت ما جاءني زيد الا راكبا فقد اختصته بهذه الحالة دون غيرها من المشي والعدو وغيرها

﴿المعنى﴾

ثم استثنى الله سبحانه في هذه الآية من تاب واصبح ويؤمن من جملة من استحق اللعنة فقال «الا الذين تابوا» اي ندموا على ما قدموا «واصلحوا» نياتهم فيما يستقبل من الاوقات «ويؤمنوا» اختلف فيه فقال اكثر المفسرين بينوا ما كتبه من البشارة بالنبى صلى الله عليه وآله وقيل بينوا التوبة واصلاح السريرة بالانظار لذلك فان من ارتكب المعصية سرا كفاه التوبة سرا ومن اظهر المعصية يجب عليه ان يظهر التوبة وقيل بينوا التوبة باخلاص العمل «فاو تلك اتوب عليهم» اي اقبل توبتهم والاصل في اتوب اقبل التوبة الا انه لما وصل بحرف الاضافة دل على ان معناه اقبل التوبة وانما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبة والقابل لها للترغيب في صفة التوبة اذ وصف بها القابل لها وهو الله عز اسمه وذلك من انعام الله على عباده ثلاثا يتوهم بما فيها من الدلالة على مفارقة الذنب ان الوصف بها عيب فلذلك جعلت في اعلى صفات المدح «وانا التواب» هذه اللفظة للمبالغة اما لكثرة ما يقبل التوبة ولما لا يرد ثابا مشيا اصلا ووصفه سبحانه نفسه بالرحيم عقيب قوله التواب يدل على ان اسقاط العقاب عند التوبة تقضى من الله سبحانه ورحمة من جهته على ما قاله اصحابنا وانه غير واجب عقلا على ما يذهب اليه المعتزلة فان قالوا قد يكون الفعل الواجب نعمة اذا كان منعا بسببه كالتواب والعوض لما كان منعا بالتكليف وبالآلام التي تستحق بها الاعراض جازان يطلق عليها اسم النعمة فالجواب ان ذلك انما قلناه في التواب والعوض ضرورة ولا ضرورة هاهنا تدعو الى ارتكابه

قوله تعالى (١٦١) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** (١٦٢) **خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ** (آيتان)

﴿اللعنة﴾

واحد الناس انحن في المعنى فاما في اللفظ فلا واحد له فهو ككفر ودهط مما يقال انه اسم للجمع والخلود اللزوم ابدًا والبقاء الوجود في وقتين فصاعداً ولذلك لم يجر في صفات الله تعالى خالد وجاز باتق ولذا يقال اخلد الى قوله اي لزم معنى ما أتى به ومنه قوله ولكته اخلد الى الارض اي مال اليها ميل اللازم لها والفرق بين الخلود والدوام ان الدوام هو الوجود في الأزل وان لا يزال فإذا قيل دام المطر فهو على المبالغة وحقيقته لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا والخلود هو اللزوم ابدًا والتخفيف هو النقصان من المقدار الذي له والعذاب هو الألم الذي له امتداد والانتظار الامهال قدر ما يقع النظر في الخلاص واصل النظر الطلب فانظر بالمعنى هو الطلب بالمعنى وكذلك النظر بالقلب او باليد او بغيرها من الحواس تقول انظر الثوب اين هو اي اطلبه اين هو والفرق بين العذاب والايلام ان الايلام قد يكون مجزء من الألم في الوقت الواحد مقدار ما يتألم به والعذاب الالم الذي له استمرار في اوقات ومنه العذاب لاستمراره في الحلق والعذبة لاستمرارها بالحركة

﴿الاعراب﴾

وهم كفار جملة في موضع الحال واجمين تأكيد وانما اكد به ليرتفع الايهام والاحتمال قبل ان ينظر في تحقيق الاستدلال ولهذا لم يجر الاخشش رأيت احد الرجلين كليهما واجاز رأيتها كليهما لأنك اذا ذكرت الحكم مقرونا بالدليل انزلت الايهام للفساد واذا ذكرته وحده فقد يتوهم عليك الغلط في المقصد وانت لا ذكرت التثنية في قولك

احد الرجلين وذكرت احدا كنت بمنزلة من ذكر الحكم والدليل عليه فاما ذكر التثنية في رأيتها بمنزلة ذكر الحكم وحده وخالدين منصوب على الحال والسامل فيه الطرف من قوله عليهم لأن فيه معنى الاستمرار للجنة وذو الحال الماه والميم من عليهم كقولك عليهم المال صاغرين وقوله فيها الماه يعود الى اللعنة في قول الزجاج والى النار في قول ابي العالية لا يخفف عنهم العذاب جملة في موضع الحال ولا هم ينظرون كذلك وهم تأكيد لضمير في فعل مقدر يفسره هذا الظاهر تقديره ولا هم ينظرون هم

﴿ المعنى ﴾

لا يبين سبحانه حال من كتم الحق وحال من تاب منهم عقبه بحال من يموت من غير توبة منهم او من الكفار جميعا فقال «ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار» اي ماتوا مصرين على الكفر وانما قال وماتوا وهم كفار مع ان كل كافر ملعون في حال كفره ليصير الوعيد فيه غير مشروط لأن بالموت يفوت الثلاثي بالتوبة فلذلك شرط سبحانه وبيّن ان الكفار لو لم يموتوا على كفرهم لم تكن هذه حالهم وقيل ان هذا الشرط انما هو في خلود اللعنة لهم كقوله خالدين فيها «او تلك طيبهم لعنة الله» اي ابعاده من رحمته وعقابه «والملائكة والناس اجمعين» فإن قيل كيف قال والناس اجمعين وفي الناس من لا يلعن الكافر فالجواب من وجوه ﴿ احدها ﴾ ان كل احد من الناس يلعن الكافر اما في الدنيا واما في الآخرة او فيها جميعا كما قال ويوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا من ابي العالية و (ثانيا) انه اراد به المؤمن كأنه لم يعتد بغيرهم كما يقال المؤمنون هم الناس عن قتادة والربيع و (ثالثا) انه لا يتنع احد من لمن الظالمين فيدخل في ذلك الكافر لأنه ظالم عن السدي واللعنة انما تكون ممن الناس على وجه الدعاء ومن الله على وجه الحكم وقوله خالدين فيها اي دائنين فيها اي في تلك اللعنة عن الزجاج والحياتي وقيل في النار لأنه كالمذكور لشهرته في حال المذبذبين ولأن اللعن ابعاد من الرحمة وايجاب للعقاب والعقاب يكون في النار واما الخلود في اللعنة فيحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ الاستعاقق للجنة بمعنى انها تحق عليهم ابدًا (والثاني) في عاقبة اللعنة وهي النار التي لا تقضى ابدًا وقوله «لا يخفف عنهم العذاب» اي يكون عذابهم على وتيرة واحدة فلا يخفف احيانا ويشدد احيانا «ولا هم ينظرون» اي لا يميلون للاعتذار كما قال سبحانه ولا يؤذن لهم فيعتذرون قطعا لطمعهم في التوبة عن ابي العالية وقيل معناه لا يؤخر العذاب عنهم بل عذابهم حاضر

قوله تعالى (١٦٣) وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الواحد شي . لا ينقسم عددا كان او غيره ويجري على وجهين على الحكم وعلى جهة الوصف فالحكم كقولك جزء واحد فانه لا ينقسم من جهة انه جزء والوصف كقولك انسان واحد ودار واحدة فانه لا ينقسم من جهة انه انسان

﴿ الاعراب ﴾

هو من قوله لا إله الا هو في موضع رفع على البدل من موضع لا مع الاسم كقولك لا رجل الا زيد كأنك قلت ليس الا زيد كما تريد من المعنى اذ لم تعتد بغيره ولا يجوز النصب على قولك ما قام احد الا زيدا لأن البدل يدل على ان الاعتدال على الثاني والمعنى ذلك والنصب يدل على ان الاعتدال في الاخبار انما هو على الاول والعبارة الواضحة ان هو بدل من عمل آله قبل التركيب وقوله لا إله الا هو هو اثبات لله سبحانه وهو بمنزلة قولك الله الآله وحده وانما كان كذلك لأنه القادر على ما يستحق به العبادة ولا لم يدل على النبي في هذا الخبر من قبل انه لم يدل على إله موجود ولا معدوم سوى الله لكنه تقيض لقول من ادعى آله مع الله وانما النبي اخبار بعدم شي . كما ان الاثبات اخبار بوجوده

﴿ النزول ﴾

ابن عباس قال ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك فانزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص

﴿ المعنى ﴾

«وللهكم» اي خالقكم والنعمة عليكم بالنعمة التي لا يتدر عليها غيره والذي تحق له العبادة وقال علي بن عيسى معنى إله هو المستحق للعبادة وهذا غلط لأنه لو كان كذلك لما كان التديم سبحانه كما فيا لم يزل لأنه لم يفعل في الأزل ما يستحق به العبادة ومعنى قولنا انه تحق له العبادة انه قادر على ما اذا فعله استحق به العبادة وقوله «آله واحد» وصفه سبحانه بأنه واحد على اربعة اوجه ﴿احدها﴾ انه ليس بذئ ابعاض ولا يجوز عليه الانقسام ولا يحتمل التجزئة (والثاني) انه واحد لانظيره له ولاشبيهه له (والثالث) انه واحد في الإلهية واستحقاق العبادة (والرابع) انه واحد في صفاته التي يستحقها لنفسه فإن معنى وصفنا الله تعالى بأنه قديم انه المختص بهذه الصفة لا يشاركه فيها غيره ووصفنا له بأنه عالم قادر انه المختص بكيفية استحقاق هاتين الصفتين لأن المراد به انه عالم بجميع المعلومات لا يجوز عليه الجهل وقادر على الاجتناس كلها لايجوز عليه العجز ووصفنا له بأنه حي باقي انه لايجوز عليه الموت والفتناء فصار الاختصاص بكيفية الصفات كالاختصاص بنفس الصفات يستحقها سبحانه وحده على وجه لا يشاركه فيه غيره وقوله «لا آله الا هو» هذه كلمة لإثبات الإلهية لله تعالى وحده ومعناه الله هو الآله وحده واختلف في انه هل فيها نبي المثل عن الله سبحانه فقال المحققون ليس فيها نبي المثل عنه لأن النبي انما يصح في موجود او معدوم والله عز اسمه ليس له مثل موجود ولا معدوم وقال بعضهم فيها نبي المثل المقدر عن الله سبحانه وقوله «الرحمن الرحيم» انما قرن الرحمن الرحيم بقوله لا آله الا هو لأنه بين به سبب استحقاق العبادة على عباده وهو ما أنعم عليهم من النعم العظام التي لا يتقدر عليها احد غيره فإن الرحمة هي النعمة على المحتاج اليها وقد ذكرنا معنى الرحمن الرحيم فيما مضى

﴿ النظم ﴾

الآية متصلة بما قبلها وبما بعدها فاتصالها بما قبلها كاتصال العسنة بالسنة ليمحو أثرها ويحذر من مواقعتها لأنه لا ذكر للشرك واحكامه اتبع ذلك بذكر التوحيد واحكامه واتصالها بما بعدها كاتصال الحكم بالدلالة على صحته لأن ما ذكر في الآية التي بعدها هي الحججة على صحة التوحيد

قوله تعالى (١٦٤) **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالنَّفْثِ الْكَلْبِيِّ فِي الْبَحْرِ يَأْتِي النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي الريح على التوحيد والباقون على الجمع ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه الف ولام وقرأ ابو جعفر الرياح على الجمع كل القرآن الا في الذاريات وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم الرياح الا في عشرة مواضع في البقرة والاعراف والحجر والكهف والفرقان والنمل والروم في موضعين وفاطر والبعثية وقرأ نافع اثني عشر موضعا هذه الشرة وفي ابراهيم وعاق وقرأ ابن كثير في خمسة مواضع البقرة والحجر والكهف واول الروم والبعثية وقرأ الكسائي الرياح في ثلاثة مواضع في الحجر والفرقان واول الروم وواقته حمزة الا في الحجر

﴿ الحجة ﴾

قال ابن عباس الرياح للرحمة والرياح للعذاب وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان اذا هبت ريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ويقوي هذا الخبر قوله سبحانه ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وبشبه ان يكون النبي صلى الله عليه وآله انما قصد بقوله هذا الوضع ويقول ولا تجعلها ريحا قوله سبحانه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد تخصص اللفظة في التنزيل بشي. فيكون اشارة له فن ذلك ان هامة ما جاء في القرآن من قوله وما يدريك من مبهمة غير مبين وما كان من لفظ ما ادريك مفسر كقوله وما ادريك ما الحاقة وما القارعة وما يدريك لعل الساعة قريب قال ابو علي وتصريف الرياح على الجمع اولى لأن كل واحدة من الرياح مثل الاخرى في دلالتها على التوحيد ومن وحد فإنه اراد الجنس كما قالوا اهلك الناس الدينار والدرهم فاما قوله ولسليمان الريح عاصفة وان كانت الرياح كلها سعرت له فالمراد بها الجنس والكثرة وان كانت قد سعرت له ريح بعينها كان كقولك الرجل وانت تريد الهدوما قوله وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم فهي واحدة يدل على قوله فارسلنا عليهم ريحا صرصر وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالديور فهذا يدل على انها واحدة

﴿ اللفظة ﴾

الخلق هو الاحداث للشيء على تقدير من غير احتذاء على مثال ولذلك لا يجوز اطلاقه الا في صفات الله سبحانه لأنه لا احد سوى الله يكون جميع افعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال وقد استعمل الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الرضا بمعنى المرضي وهو بمنزلة المصدر وليس معنى المصدر بمعنى المخلوق واختلف اهل العلم فيه اذا كان بمعنى المصدر فقال قوم هو الارادة له وقال آخرون انما هو على معنى مقدر كقولك وجود وعدم وحدوث وقدم وهذه الاسماء تدل على مسمى مقدر للبيان عن المعاني المختلفة والافعال التي بها هذا الوصف في الحقيقة والسموات جمع السماء وكل سقف سما غير انه اذا اطلق لم يفهم منه غير السموات السبع وانما جمعت السموات ووحدت الأرض لأنه لما ذكر السماء بأنها سبع في قوله فسويهن سبع سموات وقوله خلق سبع سموات جمع لثلاث يومهم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع وقوله ومن الأرض مثلهن وان دل على معنى السبع فإنه لم يجز على جهة الافصاح بالتفصيل في اللفظ وايضا فان الأرض لتساكها تشبه الجنس الواحد الذي لا يجوز جمعه الا ان يراد الاختلاف وليس تجري السموات مجرى الجنس المتفق لأنه دبر في كل سما امرها التدبير الذي هو حقها والاختلاف تقيض الاتفاق واختلاف الليل والنهار اخذ من الخلف لأن كل واحد منها يخلف صاحبه على وجه العاقبة وقيل هو من اختلاف الجنس كاختلاف السواد والبياض لأن احدهما لا يسد مسد الآخر في الادراك والمعتقان ما لا يسد احدهما مسد الآخر فبما يرجع الى ذاته والليل هو الظلام الماقب للنهار واحده ليلة فهو مثل تمر وتمر والنهار هو الضياء المتسع واصله الاتساع ومنه قول الشاعر

مَلَكْتُ بِهَا كَيْفِي فَأَنْهَرْتُ قَتْمَهَا بَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاَهَا

اي اوسعت وانما جمعت الليلة ولم يجمع النهار لأن النهار بمنزلة المصدر كقولك الضياء يقع على الكثير والقليل على انه قد جاء جمع النهار نهر على وجه الشذوذ قال الشاعر

كَوْلَا التَّرِيدَانَ هَلَكْنَا بِالضُّمْرِ تَرِيدٌ لَيْلٍ وَتَرِيدٌ بِالنَّهْرِ

والنلك السفن تقع على الواحد والجمع والنلك فلك السماء وكل مستدير فلك قال صاحب العين قيل هو اسم للدوران خاصة وقيل بل اسم لاطباق سبعة فيها النجوم وفلكت الجارية اذا استدار ثديها واصل الباب الدور وما انزل الله من السماء وقال قوم السماء يقع على السحاب لأن كل شي. علا شينا فهو سما. له وقال علي بن عيسى قيل ان السحاب بخارات تصعد من الأرض وذلك جاز لا يقطع به ولا مانع من صحته من دليل عقل ولا سماع

والسما السقف قال سبحانه وجعلنا السماء سقفا محفوظا فالسما المروفة سقف الارض واصد من السمو وهو الماء فالسما الطبقة العالية على الطبقة السافلة والارض الطبقة السافلة ويقال ارض البيت وارض الترفة فهو سما لما تحته من الطبقة السافلة وارض لما فوقه الا انه صار ذلك الاسم بمنزلة الصفة الغالبة على السماء المروفة وهذا الاسم كالملم على الارض المروفة والبحر هو الحرق الواسع للما الذي يزيد على سعة النهر والمنفعة هي اللذة او السرور او مادي اليها اولى واحد منها والنتع والخير والحظ نظائر وقد تكون المنفعة بالآلام اذا ادت الى لذات والاحياء فمن الحياة وحياة الارض عمارتها بالثبات وموتها خرابها بالجفاف الذي ينتج معه النبات والبث التفريق وكل شي ببثته فقد فرقته وسمي النعم بثا لتعم القلب به والدابة من الديق وكل شي خلقه الله بما يدب فهو دابة ومار بالعرف اسما لما يركب والتصريف التقليل وصرف الدهر تقلبه وجمعه صروف والسحاب مشتق من السحب وهو جرك التي على وجه الارض كما تسحب المرأة ذيلها وكل منجر منسحب وسمي سحبا لانجراره في السماء والتضيير والتذليل والتهميد نظائر يقال سخر الله لفلان كذا اذا سهل له وسخرت الرجل اذا كلفته عملا بلا اجرة وهي السخرة وسخر منه اذا استهزأ به والرياح اربع الشمال والجنوب والعبا والديور فالشمال من بين القبلة والجنوب عن يسارها والعبا والديور متقابلان فالعبا من قبل الشرق والديور من قبل المغرب وانشد ابو زيد

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَهْجُنِي نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يُطَّلَعُ النَّجْرُ

فاذا جاءت الريح بين الصبا والشمال فهي النكبا والتي بين الجنوب والصبا الجيريا والصبا هي القبول والجنوب يسمى الازيب ويسمى النعامي والشمال يسمى عمرة لا تنصرف ويسمى مسعا ونسعا ويسمى الجنوب لاقصا والشمال حائلا قال ابو داود يصف سحبا

لَعَنَ صَحِيحاً لَلْفَحِ الْجُنُوبِ فَأَصْبَحَنَ يَتَّجِنُ مَا الْحَيَا

قوله للفتح الجنوب اي لا لتتاح الجنوب وقال زهير

جَرَّتْ سُنْحًا قُلْتُ لَهَا مَرُوعًا نَوَى مَشْمُولَةٌ فَمَتَى الْفَقَاؤُ

مشمولة اي مكرومة لانهم يكرهون الشمال لبردها وذهابها بالتم فصار كل مكروه عندهم مشمولا

﴿ المعنى ﴾

لا اخبر الله سبحانه الكفار بان لهم له واحد لا ثاني له قالوا ما الدلالة على ذلك فقال الله سبحانه «ان في خلق السموات والارض» ايجي في انشائها مقدرين على سبيل الاختراع «واختلاف الليل والنهار» كل واحد منها يختلف صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الآخر على وجه المعاقبة واختلافها في الجنس واللون والطول والقصير «والفلك التي تجري في البحر» اي السفن التي تحمل الاحمال «بما ينفع الناس» خص النفع بالذكر وان كان فيه نفع وضر لان المراد هنا عد النعم ولان الضار غيره انما يقصد منفعة نفسه والنفع بها يكون بركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب «وما انزل الله من السماء» اي من نحو السماء عند جميع المفسرين وقيل يريد به السحاب «من ما» يعني المطر «فاحيا به الارض بعد موتها» اي فعمر به الارض بعد خرابها لان الارض اذا وقع عليها المطر انبتت واذا لم يصبها مطر لم تنبت ولم يتم نباتها فكانت من هذا الوجه كالميت وقيل اراد به احياء اهل الارض باحيا الاقوات وغيرها مما تحيا به نفوسهم «وبث فيها من كل دابة» اي فرق في الارض من كل حيوان يدب واراد بذلك خلقها في مواضع متفرقة «وتصريف الرياح» اي تقلبها بأن جعل بعضها صبا وبعضها ديورا وبعضها شمالا وبعضها جنوبا وقيل تصريفها بأن جعل بعضها يأتي بالرحمة وبعضها يأتي بالعذاب عن فتادة وروي ان الريح هاجت على عهد ابن عباس فجعل بعضهم يسب الريح فقال لا تسبوا الريح ولكن قولوا اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذبا «والسحاب المسفر» اي المذلل «بين السماء والارض» يصرفها كما يشاء من بلد الى بلد ومن موضع الى موضع

«آيات» اي حجبها ودلالات «تقوم يعقلون» وقيل انه عام في العقلاء من استدل منهم ومن لم يستدل وقيل انه خاص بن استدلاله لأن من لم ينتفع بتلك الدلالات ولم يستدل بها صار كأنه لا عقل له فيكون مثل قوله انما انت منذر من يخشاها وقوله هدى للمتقين وذكر سبحانه الآيات والدلالات ولم يذكر على ما اذا تدل لحذف لدلالة الكلام عليه وقد بين العلماء تفصيل ما تدل عليه فقالوا أما السموات والارض فيدل تمييز اجزائها واحتمالها الزيادة والتقصان وانها من الحوادث لا ينفكان عن حدوثها ثم ان حدوثها وخلقها يدل على ان لها ما لا يشبهها ولا يشبهه لأنه لا يقدر على خلق الاجسام الا القديم القادر لنفسه الذي ليس بحجم ولا عرض اذ جميع ما هو بصفة الاجسام والامراض محدث ولا بد له من محدث ليس بمحدث لاستحالة التسلسل ويدل كونها على وجه الاتقان والاحكام والاتساق والانتظام على كون فاعلها عالما حكما واما اختلاف الليل والنهار وجريها على وتيرة واحدة اخذ احدهما من صاحبه الزيادة والتقصان وتعلق ذلك بجاري الشمس والقمر فيدل على عالم مدبر يدبرها على هذا الحد لا يسهو ولا يذهل من جهة انها افعال محكمة واقعة على نظام وترتيب لا يدخلها تفاوت ولا اختلال واما تلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فيدل حصول الماء على ما تراه من الرقة واللطافة التي لو اهلها لممكن يري السفن عليه وتسخير الرياح لاجرائها في خلاف الوجه الذي يجري الماء اليه على منعم دبر ذلك لمنافع خلقه ليس من جنس البشر ولا من قبيل الاجسام لأن الاجسام يتعذر عليها فعل ذلك واما الماء الذي يتزل من السماء فيدل انشاؤه وانزاله قطرة قطرة لا تلتقي اجزائه ولا تتألف في الجو فينزل مثل السيل فيخرب البلاد والديار ثم امسكه في الهواء مع ان من طبع الماء الانحدار الى وقت نزوله بقدر الحاجة وفي اوقاتها على ان مدبره قادر على ما يشاء من الامور عالم حكيم خبير واما احياء الارض بعد موتها فيدل بظهور الثمار وانواع النبات وما يحصل به من اقوات الخلق وازراق الحيوانات واختلاف طعومها وروائحها واختلاف مضارها ومنافعها في الاغذية والادوية على كمال قدرته وبدائع حكمته سبحانه من عليه حكيم ما اعظم شأنه وأما بث كل دابة فيها فيدل على ان لها صانعا عالما لها منعم بانواع النعم خالقا للذوات المختلفة بالهيئات المختلفة في التراكيب المتنوعة من اللحم والعظم والاعصاب والعروق وغير ذلك من الاعضاء والاجزاء المتضمنة لدائع الفطرية وغرائب الحكمة الدالة على عظيم قدرته وجسيم نعمته واما الرياح فيدل تصرفها بتحركها وتقريبها في الجهات مرة حارة ومرة باردة ونارة لينة واخرى عاصفة وطورا عتيا وطورا لاقعة على ان مصرفها قادر على ما لا يقدر عليه سواه اذ لو اجتمع الخلق كلهم على ان يجعلوا الصبا دبوراً او الشمال جنوباً لما امكنهم ذلك ولما السحاب المسخر فيدل على ان ممسكه هو القدير الذي لا يشبهه له ولا نظير لأنه لا يقدر على تسكين الاجسام بغير علاقة ولا دعامة الا الله سبحانه وتعالى اتقادر لذاته الذي لانهاية لقدوراته فهذه هي الآيات الدالة على ان الله سبحانه صانع غير مصنوع قادر لا يعجزه شيء عالم لا يخفى عليه شيء حي لا تلحقه الآفات ولا تغيره الحادثات ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وهو السميع البصير استشهد بحدوث هذه الاشياء على قدمه وزليته وبما وسما به من العجز والتسخير على كمال قدرته وبما ضمنها من البدائع على عجائب خلقته وفيها ايضا اوضح دلالة على انه سبحانه الثان على عباده بفوائد النعم النعم عليهم بما لا يقدر غيره على الانعام بشئ من جزيل النعم فيعلم بذلك انه سبحانه الآله الذي لا يستحق العبادة سواه وفي هذه الآية ايضا دلالة على وجوب النظر والاستدلال وان ذلك هو الطريق الى معرفته وفيها البيان لما يجب فيه النظر وابطال التقليد

قوله تعالى (١٦٥) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ إِندَادًا يُجِبُونَ لَهُمْ كُفْرًا
 اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَكَوَيَّرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ
 جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى الذين ظلموا بالياء على الخطاب وقرأ الباقون بالياء. وكلهم قرأوا اذ يرون العذاب بفتح الياء الا ابن عامر فانه قرأ اذ يرون بالضم وقرأ ابو جعفر ويعقوب ان القوة لله وان الله بكسر المزة فيها والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ ولو يرى الذين ظلموا بالياء ان لفظ التبية اولى من لفظ الخطاب من حيث انه يكون اشبه بما قبله من قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهو ايضا اشبه بما بعده من قوله كذلك يريد الله اعمالهم حسرات وحجة من قرأ ولو ترى جعل الخطاب للنبي عليه السلام لكثرة ما جاء في التنزيل من قوله ولو ترى ويكون الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به الكافة واما فتح ان القوة فن قرأ بالياء فلا يخلو من ان يكون ترى من روية البصر او التعدية الى مفعولين فان جعلته من روية البصر لم يميز ان يتعدى الى ان لأنها قد استوفت مفعولها الذي تقتضيه وهو الذين ظلموا ولا يجوز ان تكون التعدية الى مفعولين لأن المفعول الثاني في هذا الباب هو المفعول الاول في المعنى وقوله ان القوة لله لا يكون الذين ظلموا فاذا يجب ان يكون متصبا بفعل آخر غير ترى وذلك الفعل هو الذي يقدر جواباً للو كأنه قال ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب لأو ان القوة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرته سبحانه ما تيقنوا معه انه قوي عزيز وان الامير ليس على ما كانوا عليه من جحودهم لذلك او شكهم فيه ومذهب من قرأ بالياء ابيّن لأنهم ينصبون ان بالفعل الظاهر دون المضمر والجواب في هذا التحريمي. محذوقا فاذا عمل الجواب في شيء صار بمنزلة الاشياء المذكورة في اللفظ فجعل المفعول عليه محالفا عليه سائر هذا النحو من الآي التي حذف الاجوبة معها لتكون ابلغ في باب التوعيد هذا كلام ابني علي الفارسي ونحن نذكر مقاله غيره في كسر ان القوة وفتحها في الاعراب وحجة من قرأ اذ يرون العذاب قوله ورأوا العذاب وقوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب وحجة ابن عامر قوله كذلك يريد الله اعمالهم حسرات لأنك اذا بنيت هذا الفعل للمفعول به قلت يرون اعمالهم حسرات

﴿ اللفظة ﴾

الانداد والاشياء والامثال نظائر واحدها ند وقيل هي الاضداد واصل الند المثل المتاوى والحب خلاف البغض والحبة هي الارادة الا ان فيها حذفاً لا يكون في الارادة فاذا قلت احب زيداً فالمعنى اني اريد منافعه او مدمحه واذا قلت احب الله زيداً فالمعنى انه يريد ثوابه وتمظيمه واذا قلت احب الله فالمعنى اريد طاعته واتباع او امره ولا يقال اريد زيداً ولا ان الله يريد المؤمن ولا اني اريد الله فاعتيد الحذف في المحبة ولم يمتد في الارادة وقيل ان المحبة ليست من جنس الارادة بل هي من جنس ميل الطبع كما تقول احب ولدي اي يميل طبعي اليه وهذا من المجاز بدلالة انهم يقولون احببت ان افعل بمعنى اردت ان افعل ويقال احبه احباباً وحبه حبا ومحبة واحب البعير احباباً اذا برك فلا يشور وهو كالحران في الخيل قال ابو عبيدة ومنه قوله احببت حب الخير عن ذكر ربي اي لصقت بالأرض حب الخيل حتى فانتني الصلاة ويرى قال ابو علي الفارسي هو من روية العين يدل على ذلك تعديده الى مفعول واحد تقديره ولو يرون ان القوة لله اي لو يرى الكفار ذلك ويدل عليه قوله اذ يرون العذاب والشدة قوة المقدر وهو ضد الرخاوة والقوة والتدرة واحدة

﴿ الاعراب ﴾

يجوز فتح ان من ثلاثة اوجه وكسرها من ثلاثة اوجه مع القراءة بالياء. فاما الفتح (فالاول) ان يفتح بايقاع الفعل عليها بمعنى المصدر وتقديره ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب قوة الله وشدة عذابه (والثاني) ان يفتح

على حذف اللام كقولك لأن القوة لله (والثالث) على تقدير لرأوا ان القوة لله وان الله شديد العذاب على الاتصال بما حذف من الجواب واما الوجه الأول في الكسر فعلى الاستئناف والثاني على الحكاية بما حذف من الجواب كأنه قيل لقالوا ان القوة لله والثالث على الاتصال بما حذف من الحال كأنه قيل يقولون ان القوة لله فامع القراءة بالتاء فيجوز ايضا كسر ان من ثلاثة اوجه وفتحها من ثلاثة اوجه فاما الفتح ﴿فاولها﴾ ان يكون على البدل كقولك ولو ترى الذين ظلموا ان القوة لله عليهم عن الفراء وقال ابو علي وهذا لا يجوز لأن قوله ان القوة ليس الذين ظلموا ولا بعضهم ولا مشتلا عليهم (والثاني) ان يفتح على حذف اللام كقولك لأن القوة (والثالث) لرأيت ان القوة لله واما الكسر مع التاء فكالكسر مع اليا. قال الفراء والاختيار مع اليا. الفتح ومع التاء الكسر لأن الرواية قد وقعت على الذين وجواب لو محذوف كأنه قيل لرأوا مضرة اتخاذهم الانداد ولرأوا امرا عظيلا لا يحصر بالأوهام وحذف الجواب يدل على المبالغة كقولك لو رأيت السياط تأخذ فلانا لأن المحذوف يحتمل كل امر ومن قرأ ولو يرى بالياء فالذين ظلموا في موضع رفع بأنهم القاعلون ومن قرأ بالتاء فالذين ظلموا في موضع نصب وقوله جميعا نصب على الحال كأنه قيل ان القوة ثبتة لله في حال اجتماعها وهو صفة مبالغة بمعنى اذا رأوا مقدورات الله فيا تقدم الوعيد به علموا ان الله سبحانه قادر لا يمجزه شيء. وقوله يحبونهم في موضع نصب على الحال من الضمير في يتخذ وان كان الضمير في يتخذ على التوحيد لأنه يعود الى من ويجوز ان يعود الى الضمير على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى ويجوز ان يكون يحبونهم صفة لقوله اندادا قال ابو علي لو قلت كيف جاء. اذ في قوله اذ يرون العذاب وهذا امر مستقبل فالقول انه جاء. على لفظ المضى لارادة التقريب في ذلك كما جاء. وما امر الساعة الاكسح البصر او هو اقرب وان الساعة قريب وعلى هذا قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ومن هذا الضرب ما جاء في التنزيل من قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت ولو ترى اذ وقفوا على النار ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم

﴿ المعنى ﴾

«ومن الناس» من للتبعض هاهنا اي بعض الناس «من يتخذ من دون الله اندادا» يعني آلهتهم من الاوثان التي كانوا يعبدها عن قتادة ومجاهد واكثر الفسرين وقيل روماسوهم الذين يطعنونهم طاعة الارباب من الرجال عن السدي وعلى هذا المعنى ما روى جابر عن ابي جعفر عليه السلام انه قال هم أئمة الظلمة واشياهم وقوله «يحبونهم كعب الله» على هذا القول الاخير ادل لأنه يبعد ان يحبوا الاوثان كعب الله مع علمهم بأنها لا تنفع ولا تضر ويدل ايضا عليه قوله اذ تجرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يحبون عبادتهم او التعرب اليهم او الانتقاد لهم او جميع ذلك كعب الله فيه ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ كعبكم الله اي كعب المؤمن الله عن ابن عباس والحسن (والثاني) كعبهم الله يعني الذين اتخذوا الانداد فيكون المعنى به من يعرف الله من المشركين ويعبد معه الاوثان ويسوي بينهما في المحبة عن ابي علي وابي مسلم (والثالث) كعب الله اي كالحب الواجب عليهم اللازم لهم لا الواقع «والذين آمنوا اشد حبا لله» يعني حب المؤمن فوق حب هؤلاء. وحبيهم اشد من وجوه ﴿احدها﴾ اخلاصهم العبادة والتعظيم له والثنا. عليه من الاشراك (وثانيها) انهم يحبونه عن علم بأنه المنعم ابتداء. وانه يفعل بهم في جميع احوالهم ما هو الاصلح لهم في التدبير وقد انعم عليهم بالكثير فيعبده عبادة الشاكرين ويرجون رحمته على يقين فلا بد ان يكون حبه لهم له اشد (وثالثها) تهم يعلمون ان له الصفات العلى والاسماء الحسنى وانه الحكيم الخبير الذي لا مثل له ولا نظير يملك النفع والضر والثواب والعقاب واليه المرجع والمآب فهم اشد حبا لله بذلك ممن عبد الاوثان واختلف في معنى قوله اشد حبا فقيل ثبت وادوم لأن المشرك ينتقل من صنم الى صنم عن ابن عباس وقيل لأن المؤمن يعبده بلا واسطة والمشرك يعبده بواسطة عن الحسن وقوله «ولو يرى الذين ظلموا» تقديره ولو يرى الظالمون اي يبصرون وقيل لو يعلم هؤلاء الظالمون «حين يرون العذاب» والصحيح الأول

كما تقدم بيانه هذا على قراءة من قرأ بالياء. ومن قرأ بالثاء. فعناء. ولو ترى يا محمد عن الحسن والحطاب له والمراد غيره وقيل معناه لو ترى ايها السامع او ايها الانسان الظالمين اذ يرون العذاب وقوله «ان القوة لله» فيه حذف اي رأيت ان القوة لله «جميعا» فعلى هذا يكون متصلا بجواب لو ومن قرأ بالياء. فعناء. ولو يرى الظالمون ان القوة لله جميعا لزاما مضرة فعلهم وسوء عاقبتهم ومعنى قوله ان القوة لله جميعا ان الله سبحانه قادر على اخذهم وعقوبتهم وفي هذا وعيد واشارة الى ان هؤلاء الجبابرة مع تمزجهم اذا حشروا ذلوا وتحاذلوا وقد بينا الوجوه في فتح ان وكسرهما فالعنى تابع لها ودائر عليها وجواب لو محذوف على جميع الوجوه «وان الله شديد العذاب» وصف العذاب بالشدة توسعا ومبالغة في الوصف فإن الشدة من صفات الاجسام

﴿النظم﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله سبحانه اخبر ان مع وضوح هذه الآيات والدلالات التي سبق ذكرها اقام قوم على الباطل وانكار الحق فكانه قال أبعد هذا البيان وظهور البرهان يتخذون من دون الله اندادا قوله تعالى (١٦٦) اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا واورأوا لعداب و تقطعت بهم الأسباب (١٦٧) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذالك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (آيتان)

﴿اللغة﴾

التبرؤ. في اللغة والتعصي والتزير^(١) نظائر واصل التبرؤ التولي والتباعد للعداوة واذ قيل تبرأ الله من الشركين فكانه باعدهم من رحمته للعداوة التي استحقوها بالمصيبة واصل من الانفصال ومنه برأ من مرضه ويرى. يبرأ برأ وبرا. ويرى. من الدين براة والاتباع طلب الاتفاق في مقال اوفعال او مكان فاذا قيل اتبعه ليلحقه فالمراد ليتفق معه في المكان والتقطع التباعد بعد اتصال والسبب الوصلة الى المتعذر بما يصلح من الطلب والاسباب الرصلات واحدها سبب ومنه يسمى الحبل سيبا لأنك تتوصل به الى ما انقطع عنك من ماء. بقر او غيره ومضت سبة من الدهر اي ملاوة والكرة الرجمة قال الاخطل

وَلَقَدْ عَطَقْنَ عَلَى فَزَاةٍ عَطَقَةً كَرُّ الْمَيْحِ وَجُلْنَ نَمَّ مَجَالًا

والكر نقيض الفر قال صاحب العين الكر الرجوع عن الشيء والكر الحبل العليظ وقيل الشديد القتل والحسرات جمع الحسرة وهي اشد الندامة والفرق بينها وبين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضي خاصة والارادة تتعلق بالمستقبل لأن الحسرة انما هي على ما فات بوقوعه او ينقضي وقته والحسرة والندامة من النظائر يقال حسرتي بحسرة وحسرة اذا كمد على الشيء. الثابت وتلف عليه واصل الحسرة الكشف يقول حسرت العامة عن راسي اذا كشفتها وحسرت عن ذراعيه حسرا والحاسر الذي لا يدع عليه ولا منفرد

﴿الاعراب﴾

العامل في اذ قوله شديد العذاب اي وقت التبرؤ. وانتصب فتبرأ على انه جواب التمني بالقول. كأنه قال ليت لنا كرورا فتبرؤا وكما عطف الفعل على ما تأويله تأويل المصدر نصب باخبار ان ولا يجوز اظهارها فيما لم يفسح بلفظ المصدر فيه لأنه لا حمل الأول على التأويل حمل الثاني على التأويل ايضا ويجوز فيه الرفع على الاستثنا اي فنحن نتبرأ منهم على كل حال واما قوله لو ان لنا كرة فني موضع الرفع لفعل محذوف تقديره لو صح ان لنا كرة لأن لو في التمني وفي غيره تطلب الفعل وان شئت قلت تقديره لو ثبت ان لنا كرة واقول ان جواب لو هنا ايضا في

(١) كذا في النسخ التي بين ايدينا ولم تظهر لنا المناسبة اللغوية

التقدير محذوف ولذلك افاد لو في الكلام معنى التمني فيكون تقديره لو ثبت ان لناكرة فتبروا منهم لتشفينا بذلك وجازيتاهم صاعا بصاع وهذا شي . أخرجه لي الاعتبار ولم أره في الاصول وهو الصحيح الذي لا غبار عليه وبالله التوفيق واما العامل في الكاف من كذلك فقوله يريهم الله اي يريهم الله اعمالهم حسرات كذلك اي مثل تبروا بعضهم من بعض وذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منها وقيل تقديره يريهم اعمالهم حسرات كأأراهم العذاب وذلك لأنهم ايقنوا بالهلاك في كل واحد منها

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر الذين اتخذوا الانداد ذكر سوء حالهم في المعاد فقال سبحانه «اذ تبرأ الذين اتبعوا» وهم القادة والروساء من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطاء وقيل هم الشياطين الذين اتبعوا بالوسوسة من الجن من السدي وقيل هم شياطين الجن والانس والظاهر هو الاول «من الذين اتبعوا» اي من اتباع السفل «ورأوا» اي رأى التابعون والتبوعون «العذاب» اي عابنوه حين دخلوا النار «وتقطعت بهم الاسباب» فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها عن مجاهد وقتادة والربيع (والثاني) الارحام التي كانوا يتعاطفون بها عن ابن عباس (والثالث) العهد التي كانت بينهم يتوادون عليها عن ابن عباس ايضا (والرابع) تقطعت بهم اسباب اعمالهم التي كانوا يوصلونها عن ابن زيد والسدي (والخامس) تقطعت بهم اسباب النجاة عن ابي علي وظاهر الآية يحتمل الكل فينبغي ان يحمل على عمومه فكانه قيل قد زال عنهم كل سبب يمكن ان يتعلق به فلا يتفتنون بالاسباب على اختلافها من منزلة او قرابة او مودة او حلف او عهد على ما كانوا يتفتنون بها في الدنيا وذلك نهاية في الالاس «وقال الذين اتبعوا» يعني الاتباع «لو ان لناكرة» اي عودة الى دار الدنيا وحال التكليف «فتبرأ منهم» اي من القادة في الدنيا «كما تبرءوا منا» في الآخرة «كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم» فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان المراد المعاصي يتحسرون عليها لم عملوها عن الربيع وابن زيد وهو اختيار الجبائي والبخي (والثاني) المراد الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها عن السدي (والثالث) ما رواه اصحابنا عن ابي جعفر عليه السلام انه قال هو الرجل يكتسب المال ولا يعمل فيه خيرا فيرثه من يعمل فيه عملا صالحا فيرى الاول ما كسبه حسرة في ميزان غيره (والرابع) ان الله سبحانه يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه لم فرعلوا فيه والآية محتملة لجميع هذه الوجوه فالاولى الحمل على العموم «وما هم بخارجين من النار» اي يخلدون فيها بين سبحانه في الآية انهم يتحسرون في وقت لا ينفعهم فيه الحسرة وذلك ترغيب في التحسر في وقت تنفع فيه الحسرة واكثر المفسرين على ان الآية واردة في الكفار كابن عباس وغيره وفي هذه الآية دلالة على انهم كانوا قادرين على الطاعة والمعصية لأنه ليس في المعقول ان يتحسر الانسان على ترك ما كان لا يمكنه الانفكاك عنه او على فعل ما كان لا يمكنه الاتيان به الا ترى انه لا يتحسر الانسان على انه لم يصعد السماء لما لم يكن قادرا على الصعود الى السماء

قوله تعالى (١٦٨) يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابوعمر ومحمزة وابو بكر والبرجمي خطوات بسكون الطاء حيث وقع والباقون بضمها وروي في الشواذ عن علي عليه السلام خطوات بضمين ومحمزة وعن ابي الهالك خطوات بفتح الحاء والطاء.

﴿ الحجة ﴾

ما كان على فملة من الاسماء فالأصل في جمعه التثنية نحو غرفة وغرفات وحجرة وحجرات لأن التحريك فاصل

بين الاسم والصفة ومن اسكنه قال خطوات فانه نوى الضمة واسكن الكلمة عنها طلبا للصفة ومن ضم الحاء والطاء مع الهززة فكلفه ذهب بها مذهب الخطيئة فجعل ذلك على مثال فلة من الخطأ هذا قول الاخفش وقال ابو حاتم اردوا اشباع التثنية في الواو فانقلبت همزة ومن فتح الحاء والطاء فهو جمع خطوة فيكون مثل تمره وتمرته

﴿ اللثة ﴾

الاكل هو البلع عن مضغ وبلع الذهب والودولوه وما اشبهه ليس يأكل في الحقيقة وقد قيل النعام تأكل الجمر فاجروه مجرى اكل الطعام والحلال هو الجازم من افعال العباد ونظيره المباح واصله الحل نقيض العقد وانما سمي المباح حلالا لان الحلال مقد الحظر عنه ولا يسمى كل حسن حلالا لان افعاله تعالى حسنة ولا يقال انها حلال اذا الحلال اطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المتع يقال حل يحل حلالا وحل يحل حلويا وحل العقد يحله حلا واحل من احرامه وحل فهو محل وحلال وحلت عليه العقوبة وجبت والطيب هو الخالص من شائب ينقص وهو على ثلاثة اقسام الطيب المستلذ والطيب الجازم والطيب الطاهر والاصل هو المستلذ الا انه وصف به الطاهر والجازم تشبيها اذما يجر عنه العقل او الشرع كالذي تكرمه النفس في الصرف عنه وما تدعو اليه بخلاف ذلك والطيب الحلال والطيب التنظيف واصل الباب الطيب خلاف الحيث والخطوة بعد ما بين قديمي الماشي والخطوة المرة من الخطو يقال خطوات خطوة واحدة وجمع الخطوة خطى واصل الخطو نقل القدم وخطوات الشيطان آثاره والعدو المباعد عن الخير الى الشر والولي نقيضه

﴿ الاعراب ﴾

حلالا صفة مصدر محذوف اي كلوا شيئا حلالا ومن في قوله مما في الارض يتعلق بكلوا او بمحذوف يكون معه في محل نصب على الحال والعامل فيه كلوا وذو الحال قوله حلالا وقوله طيبا صفة بعد صفة

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس انها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدلج لا حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة فتهاهم الله عن ذلك

﴿ المعنى ﴾

لا قدم سبحانه ذكر التوحيد واهله والشرك واهله اتبع ذلك بذكر ما تنبأ عنه سبحانه على الترييقين من التعم والاحسان ثم نهاهم عن اتباع الشيطان لا في ذلك من الجعور لعمه والكفران فقال «يا ايها الناس» وهذا الخطاب عام لجميع المكلفين من بني آدم «كلوا» لفظ الامر ومعناه الاباحة «مما في الارض حلالا طيبا» لا اباح الاكل بين ما يجب ان يكون عليه من الصفة لأن في المأكول ما يحرم وفيه ما يحل فالحرام يقب الملكة والحلال يتقوي على العبادة وانما يكون حلالا بان لا يكون مما تناوله الحظر ولا يكون لتغير الأكل فيه حتى وهو يتناول جميع المعلات واما الطيب فقيل هو الحلال ايضا لجمع بينها لاختلاف اللفظين تأصيذا وقيل معناه ما يستطيبونه ويستلذونه في العاجل والآجل «ولا تتبعوا خطوات الشيطان» اختلف في معناه فقيل اعماله عن ابن عباس وقيل خطاياهم عن مجاهد وقيل طاعتكم ايها عن السدي وقيل آثاره عن الخليل وروي من الي جنس والي عباده عليها السلام ان من خطوات الشيطان الخلف بالطلاق والتذور في المعاصي وكل بين بنصر الله تعالى وقال القاضي يريد وساوس الشيطان وخواطره وقال الماوردي هو ما ينقلهم به من معصيته الى معصيته حتى يستوجبوا جميع المعاصي مأخوذ من خطو القدم في نقلها من مكان الى مكان حتى يبلغ مقصده «انه لكم عدو بين» اي مظهر للعداوة بما يدعوكم اليه من خلاف الطاعة فله تعالى واختلف الناس في المأكول والمنافع التي لا ضرر على احد فيها فمنهم من ذهب الى انها على الحظر ومنهم من ذهب الى انها على الاباحة واختاره المرتضى قدس الله روحه ومنهم

من وقف بين الامرين وجوز كل واحد منهما وهذه الآية دالة على ااحة المأكل الا ما دل الدليل على حظره
فجاءت موء كدة لما في العقل

قوله تعالى (١٦٩) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الامر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل فأما الأمر في اللغة فهو قول القائل لمن دونه افعل اذا كان الأمر مريدا للأمر به وقيل هو الدعا الى الفعل بصيغة افعل والسوء كل فعل قبيح يزجر عنه العقل او الشرع ويسى ايضا ما تنفر عنه النفس سوء تقول ساءني كذا يسوءني سوء اوقيل انما سمي القبيح سوءا لسوء عاقبه لأنه قد يلتذبه في العاجل والفتشاء والقاحشة والقيحة والسينة نظائر وهي مصدر نحو السراء والضراء يقال غش غشاً وغشاً وكل من تجاوز قدره فهو فاحش وانحش الرجل اذا اتى بالفتشاء وكل مالا يوافق الحق فهو فاحشة وقوله الا أن يأتيين بفاحشة مبينة معناه خروجها من بيتها بغير اذن زوجها المطلق لها والقول كلام له عبارة تنبي عن الحكاية وذلك ككلام زيد يمكن ان يأتي عمرو بعبارة عنه ينبي عن الحكاية له فيقول قال زيد كذا وكذا فيكون قوله قال زيد يؤذن بأنه يحكي بعده كلام وليس كذلك اذا قال تكلم زيد لأنه لا يؤذن بالحكاية والعلم ما اقتضى سكون النفس وقيل هو تبين الشيء على ما هو به للمدرك له

﴿ المعنى ﴾

لا قدم سبحانه ذكر الشيطان عقبه ببيان ما يدعو اليه من مخالفة الدين فقال « انما يأمركم بالسوء » اي المعاصي عن السدي وقادة وقيل بما يسوء فاعله اي يضره وهو في المعنى مثل الاول « والفتشاء » قيل المراد به الزنا وقيل السوء مالا حد فيه والفتشاء ما فيه حد عن ابن عباس « وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » قيل هو دعواهم له الانداد والاولاد ونسبتهم اليه الفواحش عن ابي مسلم وقيل اراد به جميع المذاهب الفاسدة والاعتقادات الباطلة وما يسأل على هذا ان يقال كيف يأمرنا الشيطان ونحن لا نشاهده ولا نسمع كلامه فالجواب ان معنى امره هو دعاؤه اليه كما تقول نفسي تأمرني بكذا اي تدعوني اليه وقيل انه يأمر بالمعاصي حقيقة وقد يعرف ذلك الانسان من نفسه فيجد ثقل بعض الطاعات عليه وميل نفسه الى بعض المعاصي والوسوسة هي الصوت الخفي ومنه وسواس الخلمي فيلقي اليه الشيطان اشياء بصوت خفي في اذنه ومتى قيل كيف يميز الانسان بين ما يلقي اليه الشيطان وما تدعو اليه النفس فالقول انه لا ضير عليه اذا لم يميز بينهما فانه اذا ثبت عنده ان الشيطان قد يأمره بالمعاصي جوز في كل ما كان من هذا الجنس ان يكون من قبل الشيطان الذي ثبت له عداوته فيكون اربغ في فعل الطاعة مع ثقلها عليه وفي ترك المعاصي مع ميل النفس اليها مخالفة للشيطان الذي هو عدوه

قوله تعالى (١٧٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا آنَا فَنِينَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَآؤَلُو كَانُوا آؤَابَؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شِينًا وَلَا يَهْتَدُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الفيئا اي صادفنا ووجدنا والاب والوالد واحد والاعتداء الاصابة لطريق الحق بالملم

﴿ الاعراب ﴾

أولو هنا واو العطف دخلت عليها همزة الاستنهام والمراد به التوبيخ والترجيع ومثل هذه الواو اتم اذا ما وقع آتمت به أفلم يسروا وانما جعلت همزة الاستنهام للتوبيخ لأنه يقتضي ما الاقرار به فضيحة عليه كما يقتضي الاستنهام الاخبار بما يحتاج اليه وانما دخلت الواو في مثل هذا الكلام لأنك اذا قلت اتبعه ولو ضرك فستاه اتبعه على كل

حال وليس كذلك اتبعه لو ضرك لأن هذا خاص وذلك عام فدخلت الواو لهذا المعنى

﴿ النزول ﴾

ابن عباس قال دعا النبي عليه السلام اليهود الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا اعلم منا فزلت هذه الآية وفي رواية الضحاك عنه انها نزلت في كفار قریش

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الكفار بين سبحانه حالهم في التقليد وترك الاجابة الى الاقرار بصدق النبي صلى الله عليه وآله فجا جاء به من الكتاب المجيد فقال «واذا قيل لهم» اختلف في الضمير فقيل يعود الى من من قوله من يتخلفون دون الله اتنادا وهم مشركو العرب وقيل يعود الى الناس من قوله يا ايها الناس فمدل عن المخاطبة الى التبية كما قال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقيل يعود الى الكفار اذ قد جرى ذكرهم ويصلح ايضا ان يعود اليهم وان لم يجر ذكرهم لأن الضمير يعود الى العلوم كما يعود الى المذكور والقائل لهم هو النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون «اتبعوا ما اتزل الله» اي من القرآن وشرائع الاسلام وقيل في التحريم والتعليل قالوا اي الكفار «بل نتبع ما آتينا» اي وجدنا «عليه آباءنا» من عبادة الاصنام اذا كان الخطاب للمشركين او في التمسك باليهودية اذا كان الخطاب لليهود «اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا» اي لا يطمون شيئا من امور الدين «ولا يهتدون» اي لا يصيبون طريق الحق ومعناه لو ظهر لكم انهم لا يطمون شيئا بما لزمهم معرفته اكنتم تتبعونهم ام كنتم تنصرفون عن اتباعهم فاذا صح انه يجب الانصراف عن اتباعهم فقد تبين ان الواجب اتباع الدليل دون اتباع هو لا.

قوله تعالى (١٧١) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ غَمِي فَمَنْ لَا يَعْقِلُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

المثل قول سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول نطق الراعي بالنعمة نطق نعتا اذا صاح بهازجر اقال الاخطل

فَأَنْعِقْ بِصَوَانِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَتَّكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا

ونطق التراب نعتا ونعتا اذا صوت من غير ان يد عنقه ويحركها ونطق بالعين بمناء فاذا مد عنقه وحركها ثم صاح قيل نعب والتناعتان كوكبان من كواكب الجوزاء ورجلها اليسرى ومنكبها اليمين وهو الذي يسمى المنعة وهما اضواء كواكب الجوزاء والدعاء طلب العمل من اللدعو ونظيره الأمر والفرق بينهما يظهر بالرتبة والتداء مصدر نادى مناداة ونداء والدعاء والسروال بمناء والندى له وجوه في المعنى يقال ندى الماء وندى الخيروالشر وندى الصوت وندى الحضر فالتدى هو البلل وندى الخير هو المعروف يقال اندى فلان علينا ندى كثيرا وندى ندى بالمعروف وندى الصوت بعد مذهبه وندى الحضر صفة جره واشتق النداء من ندى الصوت ناداه اي دعاه بأرفع صوته

﴿ المعنى ﴾

ثم ضرب الله مثلا للكفار في تركهم اجابة من يدعوهم الى التوحيد وركونهم الى التقليد فقال «ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق» اي يصوت «بما لا يسمع» من البهائم «الا دعاء ونداء» واختلف في تقدير الكلام وتأويله على وجوه ﴿اولها﴾ ان المعنى مثل الذين كفروا في دعائك ايهم اي مثل الداعي لهم الى الايمان كمثل الناعق في دعائه المتوق به من البهائم التي لا تفهم وانما تسمع الصوت فكما ان الانعام لا يحصل لها من دعاء الراعي الا السماع دون تفهم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك ايهم الى الايمان الا السماع دون تفهم المعنى لانهم يعرضون عن قبول قولك وينصرفون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه وهذا كما تقول العرب

فلان يخافك كخوف الأسد والمعنى كخوفه من الأسد فاضاف الخوف الى الأسد وهو في المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر
فَلَسْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ
 اراد بتسليمي على الأمير وهذا معنى قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وهو اختيار الجبائي والرماني والطبري (وثانيها) ان يكون المعنى مثل الذين كفروا ومثلنا او مثل الذين كفروا ومثلك يا محمد كمثل الذي ينطق بما لا يسمع الا دعاء ونداء اي كمثل الانعام التي تتعوق بها والتابع الراعي الذي يكلمها وهي لا تعقل لحذف المثل الثاني اكتفاء بالأول ومثله قوله سبحانه وجعل لكم سراويل تقيكم الحر والحر والبرد وقال ابو ذؤيب

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لَا أَمْرَهَا مُطِيعٌ فَمَا أَدْرِي أُرْشِدُ طَلَابَهَا

اراد رشد ام غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر وهو قول الاخفش والزجاج وهذا لأن في الآية تشبيه شيتين بشيتين تشبيه الداعي الى الايمان بالراعي وتشبيه المدعويين من الكفار بالانعام لحذف ما حذف للايجاز وابتق في الاول ذكر المدعو في الثاني ذكر الداعي وفيما ابتق دليل على ما لقي (وثالثها) ان المعنى مثل الذين كفروا وفي دعائهم الأصنام كمثل الراعي في دعائه الانعام بتعال وما جرى مجراه من الكلام فكما ان من دعا البهائم يعد جاهلا فداعي الجبارة اشد جهلا منه لأن البهائم تسمع الدعاء وان لم تفهم معناه والأصنام لا يحصل لها السماع ايضا عن ابي القاسم البلخي وغيره (ورابعها) ان مثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام وهي لا تعقل ولا تفهم كمثل الذي ينطق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة ويكون المثل مصروفا الى غير النعم وما اشبهها بما يسمع وان لم يفهم وعلى هذا الوجه ينتصب دعاء ونداء. ويتفق والآمل في تأكيد الكلام كما في قول الترمذ

هُمْ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُوا سَيُوفَهُمْ وَضَحُوا بِالْحَمْرِ مِنْ مُجَلٍّ وَمُحْرَمٍ

والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم (وخامسها) ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل النعم الذي لا يفهم دعاء. التابع قاضا سبحانه المثل الثاني الى التابع وهو في المعنى مضاف الى المتعوق به على مذهب العرب في القلب نحو قولهم طلعت الشمري وانتصب العود على الحرباء والمعنى انتصب الحرباء على العود وانشد الفراء

إِنْ سِرَّ أَجَا لَكْرِيمٍ مَفْخَرُهُ نُجَلِي بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَرُّهُ

اي تجلي بالعين وانشد ايضا

كَانَتْ فَرِيضَةُ مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّانَا فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

والمعنى كما كان الرجم فريضة الزنا وانشد

وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَرِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلَّ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٌ

اي ما تريد مخافة وعل على مخافتي وقال العباس بن مرداس

فَدَيْتُ نَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إِلَّا مَا أُطِيقُ

اراد بنفي نفسه ثم وصفهم سبحانه بما يجري مجرى التهجين والتوبيخ فقال «صم بكم عمي» اي صم عن استماع الحجة بكم عن التكلم بها عمي عن الابصار لما وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقد مر بيانه في اول السورة ابسط من هذا «فهم لا يعقلون» اي هم يتزلة من لا عقل له اذ لم ينتفعوا بعقولهم

قوله تعالى (١٧٢) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا**

لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (آية)

﴿ الفنة ﴾

الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التظيم ويكون على وجهين ﴿ احدهما ﴾ الاعتراف بالنعمة متى ذكرها للمتم عليه بالاعتقاد لها والثاني الطاعة بحسب جلالة النعمة فالأول لازم في كل حال من أحوال الذكر والثاني انه يلزم في احوال التي يحتاج فيها الى القيام بالحق واما العبادة فهي ضرب من الشكر الا انها غاية فيه ليس وراءها شكر ويقترن به ضرب من الخضوع ولا يستحق العبادة غير الله سبحانه لأنها اذا تستحق باصول النعم التي هي الحياة والقدرة والشهوة والنوع النافع ويقدر من النفع لا يوازيه نعمة منعم فلذلك اختص الله سبحانه باستحقاقها

﴿ الاعراب ﴾

مارزقتاكم موصول وصلة والماند من الموصول الى الصلة محذوف وتقديره مارزقتاكموه وجواب الشرط محذوف تقديره ان كنتم اياه تعبدون فكلوا من طيبات ما رزقتاكم وشكروا لله

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه المؤمنين وذكر نعمه الظاهرة عليهم واحسانه المبين اليهم فقال «يا ايها الذين آمنوا كلوا مما آتاكم ظاهره الامر والمراد به الاباحة لأن تناول المشتى لا يدخل في التمد وقيل أنه امر من وجهين ﴿ احدهما ﴾ بأكل الحلال (والآخر) بالاكل وقت الحاجة دفعا للضرر عن النفس قال القاضي وهذا مما يعرض في بعض الاوقات والآية غير مقصورة عليه فيجعل على الاباحة من طيبات ما رزقتاكم اي مما تستلذونه وتستطيبونه من الرزق وفيه دلالة على التهي من أكل الخبيث في قول البلخي وغيره كأنه قيل كلوا من الطيب غير الخبيث كما انه لو قال كلوا من الحلال لكان ذلك دالا على حظر الحرام وهذا صحيح فبما له ضد قبيح مفهوم فاما غير ذلك فلا يدل على قبح ضده لأن قول القائل كل من مال زيد لا يدل على انه اراد تحريم ما عده لأنه قد يكون الترضيبان لهذا خاصة وما عده موقوف على بيان آخر وليس كذلك ما ضده قبيح لأنه قد يكون من البيان تقبيح ضده «ولشكروا لله» لما نبه سبحانه على انعامه علينا بما جعله لنا من لذيذ الرزق امرنا بالشكر لأن الانعام يقتضي الشكر وقوله «ان كنتم اياه تعبدون» اي ان كنتم تعبدونه عن علم بكونه منما عليكم وقيل ان كنتم مخلصين له في العبادة وذكر الشرط هنا لقا هو على وجه المظاهرة في الحجاج ولما فيه من حسن البيان وتلخيص الكلام ان كانت العبادة لله سبحانه واجبة عليكم بأنه آلمكم فالشكر له واجب عليكم بانه منعم بحسن اليكم

قوله تعالى (١٧٣) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِتَمَيُّرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضَطَّرَّ بِغَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر الميتة مشددة كل القرآن وقرأ أهل الحجاز والشام والكسائي فمن اضطر غير باغ بضم التون ولو جسر منهم بكسر الطاء من اضطر والباقر بكسر التون

﴿ الحجة ﴾

الميتة اصلها الميتة فحذفت الياء الثانية استخفافا لتقل الياءين والكسرة والاجود في القراءة الميتة بالتخفيف وقوله فمن اضطر بالضم فهو للاتباع كما ضمت همزة الوصل في انصروا واما الكسرة فعلى اصل الحركة لالتقاء الساكنين وأما قراءة ابى جعفر فمن اضطر فلأن الاصل اضطرر فسكنت الراء الاولى للادغام ونقلت حركتها الى الطرف الذي قبلها فصارت اضطرر والاصل ان لا تنقل حركة الراء عند اسكانها لأن الطاء على حركتها الاصلية

﴿ اللغة ﴾

الاهلال في الدبيلة رفع الصوت بالتسمية وكان الشركون يسون الاوثان والمسلمون يسون الله وانهلال الطر شدة انصابه والهلال غرة القمر لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير والمحرّم يهل بالاحرام وهو أن يرفع صوته بالتلبية واستهل الصبي اذا بكى وقت الولادة والاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه وذلك كالجوع الذي يحدث للأنسان فلا يمكنه الامتناع منه والفرق بين الاضطرار والاجاء ان الاجاء قد تتوفر معه الدواعي الى الفعل من جهة الضرر والتنعف وليس كذلك الاضطرار قال صاحب العين رجل لحم اذا كان اكلوا اللحم وبيت لحم يكثر فيه اللحم والحمت التوم اذا قتلتهم وصاروا لحما واللحمة الحرب ذات القتل الشديد ولستاحم الطريد اذا اتسع واللحمة قرابة النسب واصل الباب لزوم ومنه اللحم للزوم بعضه بعضا واصل البني الطلب من قولهم بنى الرجل حاجته يعني بفا. قال الشاعر

لَا يَتَنَعَّكَ مِنْ بُفَا رَأَى لَخَيْرِ تَعْقَادُ التَّمَاثِمِ إِنَّ الْأَشَاثِمَ كَالْأَيَا مِنْ وَأَلْيَا مِنْ كَالْأَشَاثِمِ
والبفء طلب الزنا والمادي المعتدي

﴿ الاعراب ﴾

انما تعيد اثبات الشيء الذي يذكر بعدها ونفي ما عداه كقول الشاعر (وانما يدافع عن احسابهم انا أومثلي) وانما كانت لا تثبات الشيء ونفي ما سواه من قبل ان لا كانت للتوكيد وانضاف اليها ما للتوكيد ايضا اكدت ان من جهة التحقيق للشيء. واكدت ما من جهة نفي ما عداه فاذا قلت انما انا بشر فكأنك قلت ما انا الا بشر ولو كانت ما بمعنى الذي لكتب ما مفصولة ومثله قوله تعالى انما الله اله واحد اي لا اله الا الله الا اله واحد ومثله انما انت نذير اي لا نذير الا انت فاذا ثبت ذلك فلا يجوز في الميتة الا النصب لأن ما كافة ولو كانت ما بمعنى الذي لجاز في الميتة الرفع وغير باغ منصوب على الحال وتقديره لا باغيا ولا عاديا ولا يجوز ان يقع الالهة في موضع غير ما قلناه انه بمعنى النبي ولذلك عطف عليه بلا فاما الا فمعناه في الاصل الاختصاص لبعض من كل وليس ها هنا كل يصلح ان يخص منه

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه اباحة الطيبات عقبه بتحريم المحرمات فقال « انما حرم عليكم الميتة » وهو ما يموت من الحيوان « والدم ولحم الخنزير » خص اللحم لأنه العظم والقصور والالجلمة محرمة « وما اهل به لغير الله » قيل فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه ما ذكر غير اسم الله عليه عن الربيع وجماعة من المفسرين والآخرونه ما ذبح لغير الله عن مجاهد وقتادة والاول اوجه « فن اضطر » الى اكل هذه الاشياء ضرورة وبجاعة عن أكثر المفسرين وقيل ضرورة اكثره عن مجاهد وتقديره فمن خاف على النفس من الجوع ولا يجد ما ياكل يسد به الرمي وقوله « لغير باغ » قيل فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ غير باغ اللذة ولا عاد سد الجوعه عن الحسن وقتادة ومجاهد (وثانيها) غير باغ في الافراط ولا عاد في التصير عن الزجاج (وثالثها) غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمصيبة طريق الحقين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ومن مجاهد وسعيد بن جبير واعترض علي بن عيسى على هذا القول بأن قال ان الله لم يسمح لأحد قتل نفسه والتعرض للقتل في حكم الدين ولأن الرخصة لأجل الجاعة لا لأجل سفر الطاعة وهذا فاسد لأن الباغي على الامام معرض نفسه للقتل فلا يجوز لذلك استباحة ما حرم الله كما لا يجوز له ان يستقي نفسه بقتل غيره من المسلمين وقوله ان الرخصة لأجل الجاعة غير مسلم على الاطلاق بل هو مخصوص بمن لم يعرض نفسه لها « فلا اثم عليه » اي لا حرج عليه وانما ذكر هذا اللفظ ليعين انه ليس بمباح في الاصل وانما رفع الحرج لأجل الضرورة « ان الله غفور رحيم » وانما ذكر المغفرة لأحد الأمرين اما ليعين انه اذا كان يغفر المعصية فانه لا يؤخذ بما رخص فيه

واما لانه وعد بالمغفرة عند الانابة الى طاعة الله مما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبة وغيرها

قوله تعالى (١٧٤) **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْ لُتًا مَائًا كُلُّونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

البطن خلاف الظهر والبطن الغامض من الارض والبطن من العرب دون التبية

﴿ الاعراب ﴾

الذين مع صلته منصوب بأن واولئك رفع بالابتداء وخبره ما يأكلون في بطونهم الا النار والابتداء وخبره جملة في موضع الرفع بكونها خبر ان والنار نصب بياكلون

﴿ النزول ﴾

المعنى في هذه الآية اهل الكتاب باجماع المفسرين الا انها متوجهة على قول كثير منهم الى جماعة قليلة من اليهود وهم علوهم ككعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وكعب بن اسد وكانوا يصيرون من سفلتهم الهدايا ويرجون كون النبي منهم فلما بعث من غيرهم خافوا زوال مملكتهم فغيروا صفته فاتزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام الى ذكر اليهود الذين تقدم ذكرهم فقال تعالى «ان الذين يكتبون ما انزل الله من الكتاب» اي صفة محمد والبشارة به عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل كتبوا الاحكام عن الحسن والكتاب على القول الاول هو التوراة وعلى الثاني يجوز ان يحل على القرآن وعلى سائر الكتب «ويشترون به ثمنا قليلا» اي يستبدلون به عرضا قليلا وليس المراد انهم اذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان جازا بل الفائدة فيه ان كل ما يأخذونه في مقابلة ذلك من حطام الدنيا فهو قليل وللعرب في ذلك عادة معروفة ومذهب مشهور ومثله في القرآن كثير قال ومن يدع مع الله إلها آخر لا يبرهان له به ويقتلون النبيين بغير حق وفيه دلالة على ان من ادعى ان مع الله إلها آخر لا يقوم له على قوله برهان وان قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق وذلك بأن وصف النبي بما لا بد ان يكون عليه من الصفة ومثله في الشعر قول التابفة

يَحْفَهُ جَانِبًا نَيْقٍ وَيَتَّبِعُهُ مِثْلُ الزَّجَاجَةِ لَمْ تُكْتَلِ مِنَ الرَّمْدِ

اي ليس بها رمد فيكتحل له وقول الآخر

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْمٍ وَمِنْ وَصْبٍ وَلَا يَعْضُ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّقَرُ

اي ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها من اجلها وقول سويد بن ابي الكاهل

مِنْ أَنْفَسٍ لَيْسَ فِي أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سَوْءُ الْجَزَعِ

ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا آجلا او جزعا غير سي بل نفى الفحش والجزع عن اخلاقهم وفي امثال هذا كثيرة «اولئك» يعني الذين كتبوا ذلك واخذوا الاجر على الكتابان «ما يأكلون في بطونهم الا النار» ومثناه ان اكلمهم في الدنيا وان كان طيبا في الحال فكأنهم لم يأكلوا الا النار لان ذلك يوديهم الى النار كقول سبانه في اكل مال اليتيم انما يأكلون في بطونهم نارا عن الحسن والربيع واكثر المفسرين وقيل انهم يأكلون النار حقيقة في جهنم عقوبة لهم على كتابتهم فيصير ما اكلوا في بطونهم نارا يوم القيامة فمناه في الحال بما يصير اليه في المال وانما

ذكر البطون وان كان الاكل لا يكون الا في البطن لوجهين ﴿احدهما﴾ ان العرب تقول جعت في غير بطني وشبعت في غير بطني اذا جاع من يجري جوعه وشبعه مجرى شبعه فذكر ذلك لإزالة اللبس (والآخر) انه لا يستعمل المجاز بأن اجري على الرشوة اسم النار حتى يذكر البطن ليدل على ان النار تدخل اجوافهم «ولا يكلمهم الله يوم القيمة» فيه وجهان ﴿احدهما﴾ انه لا يكلمهم بما يحبون وفي ذلك دليل على غضبه عليهم وان كان يكلمهم بالسوء ال بالتوبيخ وبما ينمهم كما قال فلنستلن الذين ارسل اليهم وقال اخسوا فيها ولا تكلمون وهذا قول الحسن والجبائي (والثاني) انه لا يكلمهم اصلا فتعمل آيات المساواة على ان الملازمة تسألهم من الله وبامرهم ويتأول قوله اخسوا فيها على دلالة الحال وانما يدل نبي الكلام على الغضب في الوجه الاول من حيث ان الكلام وضع في الأصل للفائدة فلما انتفى الفائدة على وجه الحرمان دل على الغضب فاما الكلام على وجه النعم والايلام فخارج عن ذلك «ولا يذكركم» معناه لا يثني عليهم ولا يصفهم بانهم اذكياء ومن لا يثني الله عليه فهو معذب وقيل لا تقبل اعمالهم كما تقبل اعمال الاذكياء وقيل معناه لا يطهرهم من خبث اعمالهم بالمنفرة «ولهم عذاب اليم» اي موجه مؤلم

قوله تعالى (١٧٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (آية)

﴿الاعراب﴾

ما اصبرهم قيل ان ما للتعجب كالتي في قوله قتل الانسان ما اكفره اي قد حل محل ما يتعجب منه وحكي عن بعض العرب انه قال خصه ما اصبرك على الله اي ما اصبرك على عذاب الله وقيل انه للاستفهام على معنى اي شي اصبرهم يقال اصبرت السبع او الرجل ونحوه اذا نصبته لما يكرهه قال الخطيب

قُلْتُ لَهَا أَصْبِرُهَا دَائِبًا وَيَحْتِكُ مِثْلَ طَرِيْفٍ قَلِيلٍ

اي الزمها واضطرها

﴿المعنى﴾

«أو لئك» اشارة الى من تقدم ذكرهم «الذين اشتروا الضلالة بالهدى» اي استبدلوا الكفر بالهدى (ص) بالايان به فصاروا بمنزلة من يشتري السلمة بالثمن وقيل المراد بالضلالة كتمان امره مع علمهم به وبالهدى اظهاره وقيل المراد بالضلالة العذاب وبالهدى الثواب وطريق الجنة اي استبدلوا النار بالجنة وقوله «والعذاب بالمنفرة» قيل انه تأكيد لما تقدم عن ابي مسلم وقيل انهم كانوا اشتروا العذاب بالمنفرة لما عرفوا ما أعد الله لمن عصاه من العذاب ولن اطاعه من الثواب ثم اقاموا على ما هم عليه من المعصية مصرين عن القاضي وهذا اولى لانه اذا لم يكن حمل الكلام على زيادة فائدة كان اولى فكان اشتراؤهم الضلالة يرجع الى عدولهم عن طريق العلم الى طريق الجهل واشتروا هم العذاب بالمنفرة يرجع الى عدولهم عما يوجب الجنة الى ما يوجب النار وقوله «فما اصبرهم على النار» فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان معناه ما اجراهم على النار ذهب اليه الحسن وقتادة ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن ابي عبد الله (ع) (والثاني) ما عملهم باعمال اهل النار من مجاهد وهو الروي عن ابي عبد الله عليه السلام (والثالث) ما ابقاهم على النار كما يقال ما اصبر فلانا على الحبس عن الزجاج (والرابع) ما ادومهم على النار اي ما ادومهم على عمل اهل النار كما يقال ما اشبه سخاءك بمخاتم عن الكسائي وقطرب وعلى هذه الوجوه فظاهر الكلام التعجب والتعجب لا يجوز على التقديم سبحانه لانه عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليه شي والتعجب انما يكون بما لا يعرف سببه واذا ثبت ذلك فالترض ان يدلنا على ان الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجب لنا

منهم (والخامس) ماروي عن ابن عباس ان المراد اي شي. اصبرهم على النار اي حبسهم عليها فتكون للاستفهام ويمكن حمل الوجوه الثلاثة للتقدمة على الاستفهام ايضا فيكون المعنى اي شي. اجراهم على النار واعلمهم باعمال اهل النار وبقايمهم على النار وقال الكسائي هو استفهام على وجه التعجب وقال المبرد هذا حسن لانه كالتوبيخ لهم والتعجيب لنا كما يقال لمن وقع في ورطة ما اضطررك الى هذا اذا كان غنيا عن التعرض للوقوع في مثلها والمراد به الانكار والتعجب على اكتساب سبب الهلاك وتعجيب القويم منه ومن قال معناه ما اجراهم على النار فانه عنده من العبد الذي هو الحبس ايضا لأن بالجرأة يصبر على الشدة

قوله تعالى (١٧٦) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الاختلاف الذهاب على جهة التفرق في الجهات واصله من اختلاف الطريق نقول اختلفنا الطريق بقاء هذا من هنا وجاء ذلك من هناك ثم استعمل في الاختلاف في المذاهب تشبيها بالاختلاف في الطريق من حيث ان كل واحد منهم على نقيض ما عليه الآخر من الاعتقاد واما اختلاف الاجناس فهو ما لا يسد احدهما مسد الآخر فبما يرجع الى ذاته كالسواد والبياض والشقاق والشاقة انحياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوة له وهو طلب كل واحد منعها ما يشق على الآخر لاجل العداوة

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج ذلك مرفوع بالابتداء والخبر محذوف اي ذلك الامر ويجوز ان يكون مرفوعا بخبر الابتداء اي الامر ذلك ويمتثل ان يكون موضع ذلك نصبا على تقدير فعلنا ذلك لان في الكلام ما يدل على فعلنا

﴿ المعنى ﴾

«ذلك» اشارة الى احد ثلاثة اشياء. ﴿اولها﴾ ذلك الحكم بالثار عن الحسن (وثانيها) ذلك العذاب (وثالثها) ذلك الضلال وفي تقدير خبره ثلاثة وجوه ﴿احدها﴾ ما ذكرناه من قول الزجاج (وثانيها) ان تقديره ذلك الحكم الذي حكم فيههم او حل بهم من العذاب او ذلك الضلال معلوم بان الله نزل الكتاب بالحق لحذف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه (وثالثها) ذلك العذاب لهم «بان الله نزل الكتاب بالحق» ويكون الباء مع ما بعده في موضع الخبر ومن ذهب الى ان المعنى ذلك الحكم بدلالة ان الله نزل الكتاب بالحق فالصكلام على صورته ومن ذهب الى ان المعنى ذلك العذاب او الضلال بأن الله نزل الكتاب بالحق في الكلام محذوف وتقديره فكفروا به والمراد بالكتاب هاهنا التوراة وقال الجبائي هو القرآن وغيره وقال بعضهم المراد بالاول التوراة وبثاني القرآن «وان الذين اختلفوا في الكتاب» قيل هم الكفار اجمع عند اكثر المفسرين اختلفوا في القرآن على اقوال فمنهم من قال هو كلام السحرة ومنهم من قال كلام تعلمه ومنهم من قال كلام تقوله وقيل هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى عن السدي اختلفوا في التأويل والتزويل من التوراة والانجيل لانهم حرفوا الكتاب وكسوا صفة النبي صلى الله عليه وآله وجمعت اليهود الانجيل والقرآن وقوله «لني شقاق بعيد» اي بعيد عن الألفاظ والاجتماع على الصواب وقيل بعيد في الشقاق لشهادة كل واحد على صاحبه بالخلل وكلاهما عادل عن الحق والسداد وقيل في اختلاف شديد فيما يتصل باحكام التوراة والانجيل

قوله تعالى (١٧٧) لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتَفُونَ بِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّائِرِينَ فِي الْبِلَادِ وَالضَّرَّاءَ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص عن عاصم غير هبيرة وحمزة ليس البر بنصب الراي. والباقون بالرفع وروي في الشواذ عن ابن مسعود واني ليس البر بالنصب بان تولوا بايالا. وقرأ نافع وابن عامر ولكن البر بالتخفيف والرفع والباقون ولكن البر بالتشديد والنصب

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من رفع البر ان ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد العمل اولى من كون المفعول بعده وحجة من نصب البر انه قد حكى عن بعض شيوخنا انه قال في هذا التجو ان يكون الاسم ان وصلتها اولى بشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر وكأنه اجتمع مضمر ومظهر والاولى اذا اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص. من المظهر قال ابن جني يجوز ان يكون انما نصب البر مع الباء بان جعل الباء زائدة كقولهم وكفى بالله وكيفا

﴿ اللفظة ﴾

البر العطف والاحسان مصدر ويجوز ان يكون بمعنى البار اي الواسع الاحسان والبر الصدق والبر الايمان والتقوى واصله من الاتساع ومنه البر خلاف البحر لاتساعه واختلف اهل اللفظة والفقهاء في المسكين والفقير ايها الشراحو الاقوال جماعة المسكين الذي لا شيء له والفقير الذي له ما لا يكفيه وهو قول يونس وابن دريد وقول ابي حنيفة وقال آخرون الفقير الذي لا شيء له والمسكين من له شيء يسير وهو قول الشافعي والسيل الطريق وابن السبيل هو المتقطع به اذا كان في سفره محتاجا وان كان في بابه ذا يسار وهو من أهل الزكاة وقيل انه اضيف عن قتادة وانا قيل للمسافر ابن الطريق لزومه الطريق كما قيل للعطير ابن الماء قال ذو الرمة

وَرَدْتُ أَعْتِسَافًا وَالثَّرِيًّا كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلَّقٌ

والرقاب جمع رقبة وهي اصل العنق ويعبر به عن جميع البدن يقال اعتق الله رقبة ومنه قوله فتحرير رقبة والباساء واليوس والفقير والضراء السقم والوجع وهما مصدران بنيا على فعلا وليس لها فاعل لأن افعال فعلا في الصفات والنعوت ولم يأتيا في الاسماء التي ليست بنعوت

﴿ الاعراب ﴾

من نصب البر جعل ان مع صلتها اسم ليس اي ليس توليتكم وجوهكم البر كله ومن رفع البر فالعنى ليس البر كله توليتكم وكلا المذهبين حسن لأن كل واحد من اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف تكافأ في كون احدهما اسما والاخر خبرا كما تكافأ النكرتان وقد ذكرنا الوجه في ترجيح احد المذهبين على الآخر ولكن البر اذا شددت لكن نصبت البر واذا خففت رفعت البر وكسرت التون مع التخفيف لالتقاء الساكنين واما الاخبار عن البر بمن آمن ففيه وجوه ثلاثة ﴿ احدها ﴾ ان يكون البر بمعنى البار فجعل المصدر في موضع اسم الفاعل كما يقال ما غور اي غار ورجل صوم اي صائم ومثله قول الخنساء

تَرْتَعُ مَارَتَعَتْ حَتَّى إِذَا دُكِّرَتْ فَأَيْمًا هِيَ إِقْبَالُ وَإِدْبَارُ

اي انها مقبلة ومدبرة ومثله

تَظَلُّ جِيَادٌ هُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مُمَلَّدَةٌ أَعْتَمًا صُفُونًا

اي نائمة و(ثانيها) ان المعنى ولكن ذا البر من آمن بالله فحذف المضاف من الاسم و(ثالثها) ان يكون التقدير ولكن البر من آمن بالله فحذف المضاف من الخبر واقام المضاف اليه مقامه كقول الشاعر

وَكَيفَ تَوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَتُهُ كَأَيِّ مَرْحَبٍ

وكقول النابغة

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَرِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ

اي على مضافة وعلى ومثله قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ثم قال كمن آمن اي كايمن من آمن وقوله والموفون بهمدهم اذا عاهدوا وفيه قولان احدهما ان يكون مرفوعا على المدح لان التعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح والمعنى وهم الموفون والاخر ان يكون معطوفا على من آمن والمعنى ولكن ذا البر او ذوي البر المومنون والموفون بهمدهم واما قوله والصابرين فنصوب على المدح ايضا لان مذهبهم في الصفات والنعوت اذا طالت ان يعترضوا بينها بالمدح او الذم ليزول المدح او الذموم وتقديره اعني الصابرين قال ابو علي والاحسن في هذه الاوصاف التي تقطعت للرفع من موصوفها والمدح والتعظيم منهم والذم ان يخالف باعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها ليكون ذلك دلالة على هذا المعنى وانفصالا لما يذكر للتثويه والتثنية والتقص والتعظيم مما يذكر للتخليص والتمييز بين الموصوفين المشتهين في الاسم المختلفين في المعنى ومن ذلك قول الشاعر انشده القراء

إِلَى أَلْبَلِكِ الْقَرَمِ وَأَبْنِ الْهَمَامِ وَبَيْتِ الْكُتَيْبَةِ فِي الْمُرْدَمِ

وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تَعَمُّ الْأُمُورِ بِذَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ الْهَجْمِ

فنصب بيت الكتبة وذا الرأي على المدح وانشد ايضا

فَلَيْتَ أَتَيْتُ فِيهَا النُّجُومَ تَوَاضَعَتْ عَلَى كُلِّ غَشٍّ مِنْهُمْ وَسَمِينِ

غُبُوثُ الْحَيَا فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَلَزَبَةٌ أَسْوَدُ الشَّرَى يَخِينُ كُلَّ عَرَمِينِ

ومما نصب على الذم

سَقَوْنِي الْخَمْرَ نِمْ تَكْفُونِي عُدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ

وشي. آخر وهو ان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الرصف واذا خولف باعراب الالفاظ كان اشد واقوع فيا يمن ويمعترض لصيرورة الكلام وكونه بذلك ضروبا وجملا وكونه في الاجراء على الاول وجهها واحدا ووجه واحدة فلذلك سبق قول سيدي في قوله والمقيمين الصلاة وانه محمول على المدح قول من قال انه محمول على قوله بما اتزل اليك وبالمقيمين الصلاة وان كان هذا غير ممتنع وقال بعض النحويين ان الصابرين معطوف على ذوي القربى قال الزجاج وهذا لا يصلح الا ان تكون والموفون رفعا على المدح للضيق لان ما في الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف على الموصول قال ابو علي لا وجه لهذا القول لان والصابرين لا يجوز حمله على وآتى المال على حبه سواء كان قوله والموفون بهمدهم عطفا على الموصول او مدحا لان الفصل بين الصلة يقع به اذا كان مدحا كما يقع به اذا كان مفردا معطوفا على الموصول بل الفصل بينهما بالمدح اشنع لكون المدح جملة والجملة ينبغي ان تكون في الفصل اشنع واقبح بحسب زيادتها على القرد وان كان الجميع من ذلك ممتنا

﴿ النزول والنظم ﴾

لما حوت القبله وكثر الخوض في نسخها وصار كأنه لا يراعى بطاعة الله الا التوجه للصلاة واكثر اليهود والنصارى ذكرها اتزل الله سبحانه هذه الآية عن ابي القاسم البلخي وعن قتادة انها نزلت في اليهود

﴿ المعنى ﴾

«ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب» بين سبحانه ان البر كله ليس في الصلاة فان الصلاة لما امر بها لكونها مصلحة في الايمان وصارفة عن الفساد وكذلك العبادات الشرعية انما امر بها لما فيها من الالطاف والمصالح الدينية وذلك يختلف بالازمان والاوقات فقال ليس البر كله في التوجه الى الصلاة حتى يضاف الى ذلك غيره من الطاعات التي امر الله بها عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابو مسلم وقيل معناه ليس البر ما عليه النصارى من التوجه الى المشرق ولما عليه اليهود من التوجه الى المغرب عن قتادة والربيع واختاره الجاني والبليغي «ولكن البر من آمن بالله» اي لكن البر يز من آمن بالله كقولهم السخاء حاتم والشعر زهير اي السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير عن قطرب والزجاج والفراء واختاره الجاني وقيل ولكن البار اوذا البر من آمن بالله اي صدق بالله ويدخل فيه جميع ما لا يتم معرفة الله سبحانه الابيه كعرفة حدوث العالم واثبات المحدث وصفاته الواجبة والطائفة وما يستحيل عليه سبحانه ومعرفة عدله وحكمته «واليوم الآخر» يعني القيامة ويدخل فيه التصديق بالبعث والحساب والثواب والعقاب «واللائكة» اي بانهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون «والكتاب» اي وبالكتب المنزلة من عند الله الى انبيائه «والنبيين» وبالانبياء كلهم وانهم معصومون مطهرون وفيما ادوه الى الخلق صادقون وان سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وان شريعته ناسخة لجميع الشرائع والتمسك بها لازم لجميع المكلفين الى يوم القيامة «وآتى المال» اي واعطى المال «على حبه» فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان الكفاية راجعة الى المال اي على حب المال فيكون المصدر مضافا الى المفعول وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود قال هو ان تعطيه وانت صحيح تأمل العيش وتضئى الفقر ولا تهمل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت فلان كذا وفلان كذا (وثانيها) ان تكون الهاء راجعة الى من آمن فيكون المصدر مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه وهو مثل الوجه الاول سواء في المعنى (وثالثها) ان تكون الهاء راجعة الى الايتاء الذي دل عليه قوله وآتى المال والمعنى على حبه الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول التقاضي

هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاؤُ الْمُلُوكِ لَهُمْ وَالْأَخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولُ

فكفى بالهاء عن الملك لدلالة قول الملوك عليه (ورابعها) ان الهاء راجعة الى الله لان ذكره سبحانه قد تقدم اي يعطون المال على حب الله وخالصا لوجهه قال المرتضى قدس الله روحه لم ينسب الى هذا الوجه في هذه الآية وهو احسن ما قيل فيها لان تأثير ذلك ابلغ من تأثير حب المال لان المحب لله لا يرضى به متى بذله واعطاه ولم يقصد به القربة الى الله تعالى لم يستحق شيئا من الثواب وانما يؤثر حبه لله في زيادة الثواب متى حصل قصد القربة والطاعة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا يحب له لا يستحق الثواب «ذوي القربى» اراد به قرابة العطية كاروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على ذي الرحم الكاشح وقوله لفاطمة بنت قيس لما قالت يا رسول الله ان لي سبعين مثقالا من ذهب قال اجعلها في قرابتك ويحتمل ان يكون اراد قرابة النبي (ص) كما في قوله قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى وهو المروي عن ابي جعفر والى بداهته عليها السلام «واليتامى» اليتيم من لا اب له مع الصغر قيل اراد يعطيهم انفسهم المال وقيل اراد ذوي اليتامى اي يعطي من تكفل بهم لانه لا يصح ايصال المال الى من لا يمتل فعلى هذا يكون اليتامى في موضع جر عطفا على القربى وعلى القول الاول يكون في موضع نصب عطفا على ذوي القربى «والساكنين» يعني اهل الحاجة «وابن السبيل» يعني المتقطع به عن ابي جعفر ومجاهد وقيل الضيف عن ابن عباس وقاتدة وابن جبير «والسائلين» اي الطالبين للصدقة لانه ليس كل مسكين يطلب «وفي الرقاب» فيه وجهان ﴿احدهما﴾ عتق الرقاب بان يشتري ويمتق (والآخر) في رقاب المكاتبين والآية عتمة للأمرين فينبغي ان تحمل عليهما وهو اختيار الجاني والرماني

وفي هذه الآية دلالة على وجوب اعطاء مال الزكاة المفروضة بلا خلاف وقال ابن عباس في المال حقوق واجبة سوى الزكاة وقال الشعبي هي محمولة على وجوب حقوق في مال الانسان غير الزكاة مما له سبب وجوب كالانفاق على من يجب عليه نفقته وعلى من يجب عليه سد رمقه اذا خاف عليه التلف وعلى ما يلزمه من النذور والكفارات ويدخل في هذا ايضا ما يخرج به الانسان على وجه التطوع والتقربة الى الله لأن ذلك كله من البر واختاره الجبائي قالوا ولا يجوز حمل على الزكاة المفروضة لانه عطف عليه الزكاة وانما خص هو لانه ان العاقب انه لا يوجد الاضطراب الا في هو لا. «واقام الصلوة» اي اداها ليقاتها وعلى حدودها «واتى الزكاة» اي اعطى زكاة ماله «والموفون» اي الذين اذا عاهدوا اي والذين اذا عاهدوا عهدا او فورا به يعني اليهود والنذور التي بينهم وبين الله تعالى والعقود التي بينهم وبين الناس وكلاهما يلزم الوفاء به «والصابرين في البأساء والضراء» يريد بالبأساء البوس والفقر وبالضراء الوجع والمة عن ابن مسعود وقتادة وجماعة من القسرين «وحين البأس» يريد وقت القتال وجهاد العدو وروي عن علي عليه السلام انه قال اذا احمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه يريد اذا اشتد الحرب «اولئك» اشارة الى من تقدم ذكرهم «الذين صدقوا» اي صدقوا الله فيما قبلوا منه والتموه علما وتمسكوا به عملا عن ابن عباس والحسن وقيل الذين صدقت نياتهم لاعمالهم على الحقيقة «واولئك هم المتقون» اي اتقوا بفعل هذه الحاصل ناز جهنم واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان المعنى بها امير المؤمنين عليه السلام لانه لا خلاف بين الامم انه كان جامعا لهذه الحاصل فهو مراد بها قطعيا ولا قطع على كون غيره جامعا لها ولهذا قال الزجاج والفراء انها مخصوصة بالانبياء المعصومين لأن هذه الاشياء لا يوجد بها بكليتها على حق الواجب فيها الا الانبياء.

قوله تعالى (١٧٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ أَلْحُرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعَدَّى فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

كتب فرض واصل الكتابة الخط الدال على معنى فسمي به ما دل على الفرض قال الشاعر

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَائِبَاتِ جِرُّ الدِّيُولِ

والقصاص والقاصة والماوضة والمبادلة نظائر يقال قص اثره اي تلاه شيئا بعد شي. ومنه القصاص لانه يتلو اصل الجنابة ويتبعه وقيل هو ان يفعل بالثاني ما فعله هو بالاول مع مراعاة المائلة ومنه اخذ القصاص كأنه يتبع آثارهم شيئا بعد شي. والحرف نقيض العبد والحرف من كل شي. اكرمه واحرار البقول ما يؤكل غير مطبوخ وتحريم الكتابة اقامة حروفها والعنو الترك وعفت الدار اي تركت حتى درست والعفوعن العصية ترك العقاب عليها وقيل معنى العفو هاهنا ترك القود بقبول الدية من اخيه وجسع الاخ الاخوة اذا كانوا لأب فان لم يكونوا لأب فهم اخوان ذكر ذلك صاحب العين والتأدية والاداء تبليغ الغاية يقال ادى فلان ما عليه وفلان أدى للامانة من غيره

﴿ الاعراب ﴾

فاتباع مبتدأ وخبره محذوف اي فعلية اتباع او خبر مبتدأ محذوف اي حكمه اتباع ولو كان في غير القرآن لجاز فاتباعا بالمعروف واداء اليه باحسان على معنى فليتبع اتباعا وليؤد اداء ولكن الرفع عليه اجماع القراء وهو الاجود في العربية

﴿ النزول ﴾

نزلت هذه الآية في حين من العرب لأحدهما طول على الآخر وكانوا يتزوجون نساء بغير مهر واقسموا

لتقتلن بالبعد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحتهم على الضعف من جراح او نكح حتى جاء الاسلام فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لا يبين سبحانه ان البر لا يتم الا بالايمان والتمسك بالشرائع بين الشرائع وبدأ بالدماء والجراح فقال «يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم» اي فرض عليكم واوجب وقيل كتب عليكم في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ على جهة الفرض «القصاص في القتلى» المساواة في القتلى اي يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالقتول ولا خلاف ان المراد به قتل العمد لأن العمد هو الذي يجب فيه القصاص دون الخطأ المحض وشبيهه العمد ومتى قيل كيف قال كتب عليكم القصاص في القتلى والاوليا. مخبرون بين القصاص والعفو واخذ الدية والمقتص منه لافعل له فيه فلا وجوب عليه فالجواب من وجهين ﴿احدهما﴾ انه فرض عليكم ذلك ان اختار اوليا. المقتول القصاص والفرض قد يكون مضيقا وقد يكون مخيرا فيه (والثاني) انه فرض عليكم التمسك بما أُحدَّ عليكم وترك مجاوزته الى ما لم يجعل لكم واما من يتولى القصاص فهو امام المسلمين ومن يجري مجراه فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبة الولي لأنه حتى الآدمي ويجب على القاتل تسليم النفس «الحر بالحر والبعيد بالبعيد والانثى بالانثى» قال الصادق ولا يقتل حر ببعيد ولكن يضرب ضربا شديدا ويفرم دية البعد وهذا مذهب الشافعي وقال ان قتل رجل امرأة فاراد اوليا. المقتول ان يقتلوه ادوا نصف دية الى اهل الرجل وهذا هو حقيقة المساواة فإن نفس المرأة لا تساوي نفس الرجل بل هي على النصف منها فيجب اذا اخذت النفس الكاملة بالنفس الناقصة ان يرد فضل ما بينهما وكذلك رواه الطبري في تفسيره عن علي عليه السلام ويجوز قتل العبد بالحر والانثى بالذكر اجماعا وليس في الآية ما يمنع من ذلك لأنه لم يقل لا تقتل الانثى بالذكر ولا العبد بالحر فا تضمنته الآية معمولا به وما قلناه مثبت بالايجاع وبقوله سبحانه النفس بالنفس وقوله «فمن عني له من اخيه شيء» فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه من ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه لحذف المضاف للعلم به واداد بالاخ المقتول سماه اخا للقاتل فدل ان اخوة الاسلام بينها لم تنقطع وان القاتل لم يخرج عن الايمان بقتله وقيل اراد بالاخ العافي الذي هو ولي الدم سماه الله اخا للقاتل وقوله شيء دليل على ان بعض الاوليا. اذا غاسق القود لأن شيئا من الدم قد بطل بعفو البعض والله تعالى قال فمن عني له من اخيه شيء. والضبير في قوله له وفي اخيه كلاهما يرجع الى من وهو القاتل اي من ترك له القتل ورضي منه بالدية هذا قول اكثر المفسرين قالوا العفو ان يقبل الدية في قتل العمد ولم يذكر سبحانه العافي لكنه معلوم ان المراد به من له القصاص والمطالبة وهو ولي الدم والقول الآخر ان المراد بقوله فمن عني له ولي الدم والماء في اخيه يرجع اليه وتقديره فمن بذل له من اخيه يعني اخا للولي وهو المقتول الدية ويكون العافي معطي المال ذكر ذلك عن مالك ومن نصر هذا القول قال ان لفظ شيء منكر والقود معلوم فلا يجوز الكتابة عنه بلفظ الشكوة فيجب ان يكون المعنى فمن بذل له من اخيه مال وذلك يجوز ان يكون مجهولا لا يدري انه يعطيه الدية او جنسا آخر ومقدار الدية او اقل او اكثر فصيح ان يقال فيه شيء. وهذا ضيف والقول الاول اظهر وقد ذكرنا الوجه في تنكير قوله شيء. هناك واما الذي له العفو عن القصاص فكل من يرث الدية الا الزوج والزوجة عندنا واما غير اصحابنا من العلماء. فلا يستثنونها وقوله «فاتباع بالمعروف» اي فعلى العافي اتباع بالمعروف هي ان لا يشدد في الطلب وينظره ان كان مصرا ولا يطالبه بالزيادة على حقه وعلى المعفو له «واداء» اليه بإحسان» اي الدفع عند الامكان من غير مطل وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل المراد فعلى العفو عنه الاتباع والاداء. وقوله «ذلك» اشارة الى جميع ما تقدم «تحقيق من ربكم ورحمة» معناه انه جعل لكم القصاص او الدية او العفو وخيركم بينها وكان لاهل التوراة

القصاص او العفو ولاهل الانجيل العفو او الذية وقوله «فسن اعتدى بعد ذلك» اي بأن قتل بعد قبول الذية او العفو عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو الروي عن ابي جعفر والي عبد الله عليها السلام وقيل بان قتل غير قاتله او طلب اكثر مما وجب له من الذية وقيل بان جاوز الحد بعد ما بين له كيفية القصاص قال القاضي ويجب حمله على الجميع لمعوم اللفظ «فله عذاب اليم» في الآخرة

قوله تعالى (١٧٩) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ يَاۤ اُولِي الۡاَبۡبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الابواب العقول واحدها لب ماخوذ من لب النخلة ولب بالمكان وألب به اذا قام واللّب البالب

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه وجه الحكمة في ايجاب القصاص فقال «ولكم» ايها المخاطبون «في القصاص حيوۃ» فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه في ايجاب القصاص حياة لان من هم بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سبباً للحياة عن مجاهد وقتادة واكثر اهل العلم (والثاني) ان معناه لكم في وقوع القتل حياة لأنه لا يقتل الا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله اهل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائف عن السدي والعينان جميعا حسنان ونظيره من كلام العرب القتل اني للقتل الا ان ما في القرآن اكثر فائدة واوجز في العبارة وابعد من الكلفة بتكرير الجملة واحسن تأليفاً بالحروف الثلاثة فاما كثرة الفائدة فلأن فيه جميع ما في قولهم القتل اني للقتل وزيادة معاني منها ابانة العدل لذكوره القصاص ومنها ابانة الغرض الرجوب فيه وهو الحياة ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبه وحكم الله به واما الايجاز في العبارة فإن الذي هو نظير القتل اني للقتل قوله القصاص حيوۃ وهو عشرة احرف وذلك اربعة عشر حرفاً واما بعده من الكلفة فهو ان في قولهم القتل اني للقتل تكريرا غيره ابلغ منه واما الحسن بتأليف الحروف الثلاثة فإنه مدرك بالحس وموجود باللفظ فإن الخروج من اللام الى اللام اعدل من الخروج من اللام الى الهمزة بعد الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد الى الحاء اعدل من الخروج من اللام الى اللام فاجتماع هذه الامور التي ذكرناها كان ابلغ منه واحسن وان كان الاول حسناً بليغاً وقد اخذه الشاعر فقال

أَبْلَغُ اَبَا مَسْمَعٍ عَيْنِي مُمَقَلَّةٌ وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ اَقْوَامٍ

وهذا وان كان حسناً فينبه وبين لفظ القرآن ما بين اعلى الطبقة وادناها واول ما فيه ان ذلك استدعاء الى العتاب وهذا استدعاء الى العدل وفي ذلك ابهام وفي الآية بيان عجيب وقوله «يا اولي الابواب» معناه يا ذوي العقول لأنهم الذين يعرفون العواقب ويصرون ذلك فلذلك خصهم «لعلكم تتقون» في لعل ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انه بمعنى اللام اي لتتقوا (والثاني) انه للرجاء والطمع كأنه قال على رجائكم وطمعكم في التقوى (والثالث) على معنى التعرض اي على تعرضكم للتقوى وفي تتقون قولان ﴿احدهما﴾ لعلكم تتقون القتل بالحروف من القصاص عن ابن عباس والحسن وابن زيد (والثاني) لعلكم تتقون ربكم باجتنب معاصيه وهذا اعم

قوله تعالى (١٨٠) كُتِبَ عَلَيْكُمُ اِذَا حَضَرَ اَحَدُكُمْ اَلْمَوْتُ اِنْ تَرَكَ خَيْرًا اَلْوَصِيَّةُ

لِوَالِدَيْهِ وَاَلۡاَقْرَبِيۡنَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلٰى الْمُتَّقِيۡنَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المعروف هو العدل الذي لا يجوز ان ينكر ولا حيف فيه ولا جور والحضور وجود الشيء بحيث يمكن ان يدرك والحق هو الفعل الذي لا يجوز انكاره وقيل هو ما علم صحته سواء كان قولاً او فعلاً او اعتقاداً او هو مصدر حق يحق حقاً

﴿الاعراب﴾

قوله كتب عليكم المعنى وكتب عليكم الا ان الكلام اذا طال استغنى عن العطف بالواو وعلم ان معناه معنى الواو لأن القصة الاولى قد استتمت وفي القصة الثانية ذكر ما في الاولى فاتصلت هذه بتلك لأجل الذكر والوصية ارتفعت لأحد وجهين اما بانه اسم مالم يسم فاعله وهو كتب واما بانه مبتدأ وقوله للوالدين خبره والجملة في موضع رفع على الحكاية لأن معنى كتب عليكم قيل لكم الوصية للوالدين واما العامل في اذا فقيه وجهان ﴿احدهما﴾ كتب فكانه قيل كتب عليكم الوصية وقت المرض (والآخر) ما قاله الزجاج وهو ان الوصية رغب فيها في حال الصحة فتقديره كتب عليكم ان تصوا وانتم قادرون على الوصية قائلين اذا حضرنا الموت فلفلان كذا وحقا نصب على المصدر وتقديره احق ذلك حقا وقد استعمل على وجه الصفة بمعنى ذي الحق كما وصفا بالعدل فعلى هذا يكون نصبا على الحال ويجوز ان يكون مصدر كتب من غير لفظه تقديره كتب كتابا

﴿المعنى﴾

ثم بين سبحانه شريعة اخرى وهو الوصية فقال «كتب عليكم» اي فرض عليكم «اذا حضر احدكم الموت» اي لسبب الموت من مرض ونحوه من الهرم ولم يرد اذا عين الباس وملك الموت لأن تلك الحالة تشغله عن الوصية وقيل فرض عليكم الوصية في حال الصحة ان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا «ان ترك خيرا» اي مالا واختلف في المقدار الذي يجب الوصية عنده فقال الزهري في القليل والكثير مما يقع عليه اسم المال وقال ابراهيم النخعي من الف درهم الى خمسمائة وقال ابن عباس الى ثمانمائة درهم وروي عن علي عليه السلام انه دخل على مولى له في مرضه وله سبعمائة او ستائة درهم فقال الا اوصي فقال لا ان الله سبحانه قال ان ترك خيرا وايس لك كثير مال وهذا هو المأخوذ به عندنا لأن قوله حجة «الوصية للوالدين والاقربين» اي الوصية لوالديه وقربائه «بالمعروف» اي بالشيء الذي يعرف اهل التمييزه لا جور فيه ولا حيف ويحتمل ان يرجع ذلك الى قدر ما يوصي لأن من يملك المال الكثير اذا اوصى بدرهم فلم يوص بالمعروف ويحتمل ان يرجع الى الموصى لهم فكانه امر بالطريقة الجلية في الوصية فليس من المعروف ان يوصي للثني ويترك الفقير ويوصي للقريب ويترك الاقرب منه ويجب حمله على كلا الوجهين «حقا على المتقين» اي حقا واجبا على من آثر التتوى وهذا تأكيد في الوجوب واختلف في هذه الآية فقيل انها منسوخة وقيل انها منسوخة في الموارث ثابتة في غير الموارث وقيل انها غير منسوخة اصلا وهو الصحيح عند المحققين من اصحابنا لأن من قال انها منسوخة بآية الموارث فقوله باطل بأن النسخ بين الخبرين انما يكون اذا تنافى العمل بوجهها ولا تنافى بين آية الموارث وآية الوصية فكيف تكون هذه ناسخة بتلك مع فقد التنافي ومن قال انها منسوخة بقوله (ع) لاوصية لوارث فقد ابعد لأن الخبر لو سلم من كل قدح امكان يقتضي الظن ولا يجوز ان ينسخ كتاب الله تعالى الذي يوجب العلم اليقين بما يقتضي الظن ولو سلمنا الخبر مع ماورد من الطعن على رواية خصصنا عموم الآية وحملناها على انه لا وصية لوارث بما يزيد على الثالث لأن ظاهر الآية يقتضي ان الوصية جازة لهم بجميع ما يملك وقول من قال حصول الاجماع على ان الوصية ليست بفرض يدل على انها منسوخة يفسد بان الاجماع انما هو على انها لا تقيد الفرض وذلك لا يمنع من كونها مندوبا اليها مرغبا فيها وقد روى اصحابنا عن ابي جعفر عليه السلام انه سئل هل تجوز الوصية للوارث فقال نعم وتلا هذه الآية وروى السكوني عن ابي عبد الله عن ابيه عن علي عليهم السلام قال من لم يوص عند موته لذوي قربته ممن لا يرث فقد ختم عمله بمصيبة ومما يؤيد ما ذكرناه ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية وعنه عليه السلام انه قال من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصا في مروءته وعقله وروى عن ابي عبد الله (ع) انه قال ما ينبغي لامرى مسلم ان يبني الا ووصيته تحت رأسه

قوله تعالى (١٨١) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ المعنى ﴾

ثم اوعد سبحانه على تغيير الوصية فقال «فمن بدله» اي بدل الوصية وغيرها من الاوصياء او الاولياء او الشهود وانما ذكر حملا على الايضا كقوله فن جاءه موعظة من ربه اي وعظو والتبديل تغيير الشيء عن الحق فيه بأن يوضع غيره في موضعه «بعد ما سمعه» من الموصي الميت وانما ذكر السماع ليبدل على ان الوعيد لا يلزم الا بعد العلم والسماع «فانما اثم» اي اثم التبديل «على الذين يبدلونه» اي على من يبدل الوصية ويرى الميت «ان الله سميع عليم» اي سميع لما قاله الموصي من العدل او الجنف عليم بما يفعله الوصي من التصحيح او التبديل وقيل سميع لوصاياكم عليم بنياتكم وقيل سميع بجميع السموعات عليم بجميع المعلومات وفي هذه الآية دلالة على ان الوصي والوارث اذا فرط في الوصية او غيرها الا يا اثم الموصي بذلك ولم ينقص من اجره شي . فانه لا يجازى احد على عمل غيره وفيها ايضا دلالة على بطلان قول من يقول ان الوارث اذا لم يقض دين الميت فانه يوفى خذ به في قبره او في الآخرة لما قلناه من انه يدل على ان العبد لا يوفى اخذ بجرم غيره اذ لا اثم عليه بتبديل غيره وكذلك لو قضى عنه الوارث من غير ان يوصي به لم يزل ذلك عقابه الا ان يتفضل الله باسقاطه عنه

قوله تعالى (١٨٢) فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص ويعقوب موص بالتشديد وقرأ الباقون موص بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

ذكرناها عند قوله ووصى بها ابراهيم

﴿ اللنة ﴾

الجنف الجور وهو الميل عن الحق وقال صاحب العين هو الميل في الكلام وفي الامور كالميل يقال جنف علينا فلان واجنف في حكمه وهو مثل الجيف إلا أن الجيف في الحكم خاصة والجنف عام ورجل اجنف في احد شقيه ميل على الآخر قال الشاعر في الجنف
إني امرؤ منعت أرومة عاصم
ضئبي وقد جنفت علي خصوم

﴿ الاعراب ﴾

من في قوله من موص يتعلق بمحذوف تقديره فمن خاف جنفا كاذبا من موص فوضع الجار

والمجرور مع المحذوف نصب على الحال وذو الحال قوله جنفا وبين ظرف مكان لأصلح والضمير في بينهم عائد الى معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الموصي والاصلاح لانه يدل على الموصى لهم ومن ينازعهم وانشد الفراء في مثله

أَعْمَى إِذَا مَا جَارِي خَرَجْتُ حَتَّى يُوَارِي جَارِي الْخَدْرُ
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا يِي غَيْرُهُ وَقَرُّ

اراد بينها وبين زوجها وانما ذكرها وحدها

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم الوعيد لمن بدل الوصية بين في هذه الآية ان ذلك يلزم من غير حقا بباطل فاما من غير باطلا بحق فهو محسن فقال "فن خاف" اي خشى وقيل علم لان في الخوف طرفا من العلم وذلك ان القائل اذا قال اخاف ان يقع امر كذا فكانه يقول اعلم وانما يخاف لعلمه بوقوعه ومنه قوله وانذر به الذين يخافون ان يحشر والى ربهم وقوله الا ان يخافوا الا يقبأ حدود الله "من موص جنفا" اي ميلا عن الحق فيما يوصي به فان قيل كيف قال فمن خاف لما قد وقع والخوف انما يكون لما لم يقع قيل ان فيه قولين ﴿احدهما﴾ انه خاف ان يكون قد زل في وصيته فالخوف يكون للمستقبل وهو من ان يظهر ما يدل على انه قد زل لانه من جهة غالب الظن (والثاني) انه لما اشتمل على الواقع وعلى ما لم يقع جاز فيه خاف فيأمره بما فيه الصلاح فيما لم يقع وما وقع رده الى العدل بعد موته وقال الحسن الجنف هو ان يوصي به في غير قرابة وانما قال ذلك لان عنده الوصية للقرابة واجبة والامر بخلافه وقيل المراد من خاف من موص في حال مرضه الذي يريد ان يوصي جنفا وهو ان يعطي بعضا ويضر ببعض فلا اثم عليه ان يشير عليه بالحق ويرده الى الصواب ويصلح بين الموصي والورثة والموصى له حتى يكون الكل راضين ولا يحصل جنف ولا اثم ويكون قوله فاصلح بينهم اي فيما يخاف بينهم من حدوث الخلاف فيه فيما بعد ويكون قوله فمن خاف على ظاهره ويكون الخوف مترقا غير واقع وهذا قريب غير ان الاول عليه اكثر المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقوله "او اثما" الاثم ان يكون الميل عن الحق على وجه العمد والجنف ان يكون على جهة الخطأ من حيث لا يدري انه يجوز وهو معنى قول ابن عباس والحسن وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) "فاصلح بينهم" اي بين الورثة والمختلفين في الوصية وهم الموصى لهم "فلا اثم عليه" لانه متوسط مريد للاصلاح وانما قال لا اثم عليه ولم يقل يستحق الاجر لان المتوسط انما يجري امره في الغالب على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسوء الاله اياه فيبين سبحانه لنا انه لا اثم عليه في ذلك اذا قصد الاصلاح وقيل انه لما بين اثم المبدل وهذا ايضا ضرب من التبديل بين مخالفته للاول بكونه غير مأثوم برده الوصية الى العدل "فان الله غفور رحيم" يعني

اذا كان يغفر الذنوب ويرحم المذنب فاولى واحرى ان يكون كذلك ولا ذنب وروي عن الصادق
عليه السلام في قوله جنفا او اثما انه بمعنى اذا اعتدى في الوصية وزاد على الثلث وروي ذلك
عن ابن عباس وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من حضره
الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفارة لما ضيع
من زكاته في حياته وباللّٰه التوفيق
آخر المجلد الاول وفرغ من تأليفه يوم السبت لثلاث بقين
من شعبان سنة ثلاثين وخمسة وثمانون وما النصر
الامن عند الله وما توفيقى الابللّٰه



﴿ الجزء الثاني ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى (١٨٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الصوم في اللغة الإمساك ومنه يقال لاصمت صرمت لأنه إمساك عن الكلام قال ابن دريد كل شيء نسكتت حركته فقد صام صوما وقال النابغة

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرٌ صَائِفَةٌ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَأَخْرَى تَبَاكُ الْجُجَا

اي قيام وصامت الريح اي ركبت وصامت الشمس اذا استوت في منتصف النهار وصام النهار ايضا بمعناه قال امرؤ القيس

فَدَعَمَهَا وَوَسَلَّ الِهِمُّ عَنْكَ بِحَجْرَةٍ ذَمُولٌ إِذَا صَامَ النَّهَارَ وَهَجْرًا

والصوم ذوق النعام واصل الباب الإمساك وهو في الشرع إمساك عن اشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص فالاسم شرعي وفيه معنى اللغة والصيام بمعنى الصوم يقال صمت صرما وصياما

﴿ الإعراب ﴾

الصيام رفع بما لم يسم فاعله وقوله كما كتب اي مثل ما كتب فما هذه مصدرية وتقدير الكلام كتب عليكم الصيام كتابا مثل كتابته على الذين من قبلكم فحذف المصدر واقيم صفته مقامه ويحتمل ان يكون موضع الكاف نصبا على الحال من الصيام وتقديره كتب عليكم الصيام مفروضا اي في هذه الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه فريضة اخرى فقال (يا ايها الذين آمنوا) اي يا ايها المصدقون وروي عن الصادق عليه السلام انه قال : لذة ما في النداء ازال تعب العبادة والعناء وقال الحسن : اذا سمعت الله عز وجل يقول يا ايها الذين آمنوا فارع لها سمعك فإنها لأمر تؤمر به او لنهي تنهى عنه (كتب عليكم الصيام) اي فرض عليكم العبادة المعرفة في الشرع وانما خص المؤمنين بالخطاب لقبولهم لذلك ولأن العبادة لا تصح إلا منهم ووجوبه عليهم لا يتأني وجوبه على غيرهم وقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) فيه اقوال أحدها انه شبه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الأمم اي كتب عليكم صيام ايام كما كتب عليهم صيام ايام فليس فيه تشبيه عدد الصوم المفروض علينا ولا وقته بعدد الصوم المفروض عليهم او وقته وهو اختيار الجبائي واثابها ﴿ انه فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان على النصارى وكان يتفق ذلك في الحر الشديد والبرد الشديد فحولوه الى الربيع وزادوا في عدده عن الشعبي والحسن وقيل كان الصوم علينا من العتمة الى العتمة ثم اختلف فيه فقال بعضهم كان يحرم الطعام والشراب من وقت صلاة العتمة الى وقت صلاة العتمة وقال بعضهم كان يحرم من وقت النوم الى وقت النوم ثم نسخ ذلك فالمراد بقوله الذين من قبلكم النصارى على قول الحسن والشعبي واهل الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرها وقوله (لعلكم تتقون) اي لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم عن الجبائي وقيل لتكونوا اتقيا بما لطف لكم في الصيام فإنه اقوى الوسائل والوصول الى الكف

عن المعاصي كما روي عن النبي (ص) انه قال: خصاء امتي الصوم وسأل هشام بن الحكم ابا عبد الله عن علة الصيام فقال انا فرض الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك لأن الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير فأراد الله سبحانه أن يذيق الغني من الجوع ليرق على الضعيف ويرحم الجائع

قوله تعالى (١٨٤) اياماً معدوداتٍ فمن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام آخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون (آية)

﴿ القراءه ﴾

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر فدية طعام مسكين على اضافة فدية الى طعام وجمع المساكين وقرأ الباقون فدية منونة طعام رفع مسكين موحد مجرورا وقرأ حمزة والكسائي ومن يطوع خيراً والباقون تطوع وقد مضى ذكره وروي في الشواذ يطوقونه عن ابن عباس بخلاف وعائشة وسعيد بن المسيب وعكرمة وعطا يطوقونه على معنى فيطوقونه عن مجاهد وعن ابن عباس وعن عكرمة وروي عن ابن عباس ايضا يطوقونه ويطبقونه ايضا

﴿ الحجية ﴾

من قرأ فدية طعام مسكين فطعام مسكين عطف بيان لفدية وافراد مسكين جائز وان كان المعنى على الكثرة لأن المعنى على كل واحد طعام مسكين قال ابو زيد يقال اتينا الامير فكسانا كلنا حلة واعطانا كلنا مائة واما من اضاف الفدية الى طعام كاضافة البعض الى ما هو بعض له فإنه سمي الطعام الذي يفدى به فدية ثم اضاف الفدية الى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها وهو على هذا من باب خاتم حديد واما من قرأ يطوقونه فإنه يفعلونه من الطاقة فهو كقوله يحشونه ويكلفونه ويجعل لهم كالطوق في اعناقهم ويطوقونه كقولك يتكلفونه ويتجشونه واما من قرأ بتطبيقونه فإنه بتطبيقونه يتفعلونه الا ان العينين ابدلتا يا كما قالوا في تهود الجرف تهير ويطيقونه يفعلونه منه

﴿ اللغة ﴾

السفر اصله من السفر الذي هو الكشف تقول سفر يسفر سفرا او انسرفت الاويل اذا انكشفت ذاهبة وسفرت الريح السحاب قال العجاج (سفر الشال الزبرج المزبرجا) الزبرج السحاب الرقيق وفي السفر يظهر ما لا يظهر الا به وينكشف من اخلاق الناس ما لا ينكشف الا به والعدة فعلة من العدد وهي بمعنى المعداد كالطحن بمعنى المطحون والحمل بمعنى المحمول والطوق الطاقة وهي القوة يقال طاق الشيء يطوقه طوقا وطاقة واطاق إطاقة اذا قوي عليه وطوقه تطويقا البسه الطوق وهو معروف من ذهب كان او من فضة لانه يكسبه قوة بما يعطيه من الجلالة وكل شيء استدار فهو طوق وطوقه الامير اي جعله كالطوق في عنقه

﴿ الإعراب ﴾

اياما قال الزجاج يجوز في انتصابه وجهان ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ ان يكون ظرفا كأنه كتب عليكم الصيام في ايام والعامل فيه الصيام كان المعنى كتب عليكم ان تصوموا اياما وقال بعض النحويين انه مفعول ما لم يسم فاعله نحو قولك اعطني زيد المال قال وليس هذا بشي لأن الايام هاهنا متعلقة بالصوم وزيد والمال مفعولان لأن اعطني فلك أن تقيم ايها شئت مقام الفاعل وليس في هذا الا نصب ايام بالصيام قال ابو علي اياما يجوز في انتصابه وجهان ﴿٣﴾ أحدهما ﴿٤﴾ ان ينتصب على الظرف والآخر ان ينتصب انتصاب المفعول به على السمة فاذا انتصب

على انه ظرف جاز ان يكون العامل فيه كتب فيكون التقدير كتب عليكم الصيام في ايام وان شئت اتت نصبت نصب المفعول به فتقول على هذا يا مكتوب ايام عليه او يا كاتب ايام الصيام انما اجاز اضافة اسم الفاعل او المفعول الى ايام لاخراجك اياه عن ان يكون ظرفا واتساعتك في تقديره اسما ولذا كان الامر على ما ذكرناه كان ما منعه ابو اسحاق من اجازة من اجاز ان كتب عليكم الصيام اياما بمثلة اعطى زيد المال جائز غير ممنوع قال ولا يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام على ان يكون المعنى كتب عليكم الصيام في ايام لأن ذلك وان كان مستقيا في المعنى فهو في اللفظ ليس كذلك الا ترى انك اذا حملته على ذلك فصلت بين الصلة والموصول بأجنبي منها وذلك ان اياما تصير من صلة الصيام وقد فصلت بينهما بمصدر كتب لأن التقدير كتب عليكم الصيام كتابة مثل كتابته على من كان قبلكم فالكاف في كما متعلقة بكتب وقد فصلت بها بين المصدر وصلته وليس من واحد منها واقول انه يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام اذا جعلت الكاف من قوله كما كتب على الذين من قبلكم في موضع نصب على الحال اي مفروضا مثل ما فرض عليهم فيكون ما موصولا وكتب صلاته وفي كتب ضمير يعود الى ما والموصول وصلته في موضع جر باضافة الكاف اليه والكاف موضع النصب بأنه صفة للمحذوف الذي هو الحال من الصيام فعلى هذا لم يفصل بين الصلة والموصول وما هو اجنبي منهما على ما ذكره الشيخ ابو علي وقوله فعدة من ايام أخر تقديره فعليه عدة فيكون ارتفاع عدة على الابتداء على قول سيبويه وعلى قول الاخفش يكون مرتفعا بالظرف على ما تقدم بيانه ويجوز ان يكون تقديره والذي ينوب عن صومه في وقت الصوم عدة من ايام اخر فيكون عدة خبر الابتداء وأخر لا ينصرف لأنه وصف معدول عن الالف واللام لأن نظائرهما من الصغر والكبر لا يستعمل الا بالالف واللام لا يجوز نسوة صغر وان تصوموا في موضع رفع بالابتداء. وخير خبره ولكم صفة الخبر

المعنى

(اياما معدودات) اي معلومات محصورات مضبوطات كما يقال اعطيت مالا معدودا اي محصورا متعينا ويجوز ان يريد بقوله معدودات انها قلائل كما قال سبحانه دراهم معدودة يريد انها قليلة واختلف في هذه الأيام على قولين ﴿احدهما﴾ انها غير شهر رمضان وكانت ثلاثة ايام من كل شهر ثم نسخ عن معاذ وعطا وعن ابن عباس وروي ثلاثة ايام من كل شهر وصوم عاشورا عن قتادة ثم قيل انه كان تطوعا وقيل بل كان واجبا واتفق هو لا. على ان ذلك منسوخ بصوم شهر رمضان والآخر ان المعنى بالمعدودات شهر رمضان عن ابن عباس والحسن واختاره الجياني وابو مسلم وعليه اكثر المفسرين قالوا اوجب سبحانه الصوم اولا فاجمله ولم يبين انها يوم او يومان ام اكثر ثم بين انها ايام معلومات وابهم ثم بينه بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن قال القاضي وهذا اولى لأنه اذا امكن حمله على معنى من غير اثبات نسخ كان اولى ولأن ما قاله زيادة لا دليل عليه (فن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر) عطف قوله على سفر وهو ظرف على قوله مريضا وهو اسم مع ان الظرف لا يعطف على الاسم لأنه وان كان ظرفا فهو بمعنى الاسم وتقديره فمن كان منكم مريضا او مسافرا فالذي ينوب مثاب صومه عدة من ايام اخر وفيه دلالة على ان المسافر والمريض يجب عليهما الافطار لأنه سبحانه اوجب القضاء بنفس السفر والمرض ومن قدر في الآية فافطر فقد خالف الظاهر وقد ذهب الى وجوب الافطار في السفر جماعة من الصحابة كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف وابي هريرة وعروة بن الزبير وهو المروي عن ائمتنا فقد روي ان عمر بن الخطاب امر رجلا صام في السفر ان يعيد صومه وروي يوسف بن الحكم قال سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال ارأيت لو تصدقت على رجل صدقة فردها عليك الا تغضب فإنها صدقة من الله تصدق بها عليكم وروي عبد الرحمن بن عوف قال

قال رسول الله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وروى عن ابن عباس انه قال الإفطار في السفر عزيمة وروى أصحابنا عن ابي عبد الله انه قال الصائم في شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه في الحضر وعنه (ع) قال لو ان رجلا مات صائماً في السفر لما صليت عليه وعنه (ص) قال من سافر افطر وقصر الا ان يكون رجلاً سفره الى صيد او في معصية الله وروى العياشي باسناده مرفوعاً الى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله قال لم يكن رسول الله يصوم في السفر تطوعاً ولا فريضة حتى نزلت هذه الآية بكراع الغصع عند صلاة الهجير فدعا رسول الله بإناء فيه ماء فشرب وامر الناس ان يفطروا فقال قوم قد توجه النهار ولو تمنا يوماً هذا فسامهم رسول الله العصاة فلم يزالوا يسمون بذلك الاسم حتى قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى الذين يطيقونه (الهاء يعود الى الصوم عند اكثر اهل العلم اي يطيقون الصوم خير الله المطيقين الصوم من الناس كلهم بين ان يصوموا ولا يكفروا وبين ان يفطروا ويكفروا عن كل يوم بلوطام مسكين لانهم كانوا لا يتعدوا الصوم ثم نسخ ذلك بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل ان الهاء يعود الى الفداء عن الحسن والي مسلم واما المعنى بقوله الذين يطيقونه ففيه ثلاثة اقوال (اولها) انه ساير الناس كما قدمنا ذكره من التخيير والنسخ بعده وهو قول ابن عباس والشعبي وثانيها ان هذه الرخصة كانت للحوامل والمرضع والشيخ الفاني ثم نسخ من الآية الحامل والمرضع وبقي الشيخ الكبير عن الحسن وعطاء (وثالثها) ان معناه وعلى الذين كانوا يطيقونه ثم صاروا بحيث لا يطيقونه ولا نسخ فيه عن السدي وقد رواه بعض اصحابنا عن ابي عبد الله ان معناه وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم اصابهم كبر او عطاش وشبه ذلك فعليهم كل يوم مد وروى علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق عليه السلام وعلى الذين يطيقونه فدية من مرض في شهر رمضان فافطر ثم صبح فلم يقض ما فاتته حتى جاء شهر رمضان آخر فعليه ان يقضي ويتصدق لكل يوم مداً من طعام وقوله (فدية طعام مسكين) اختلف في مقدار الفدية فقال اهل العراق نصف صاع عن كل يوم وقال الشافعي عن كل يوم مد وعندنا ان كان قادراً فمدان فإن لم يقدر اجزأه مد واحد وقوله (فمن تطوع خيراً فهو خير له) قيل معناه من اطعم اكثر من مسكين واحد عن عطاء وطاوس وقيل اطعم المسكين الواحد اكثر من قدر الكفاية حتى يزيد على نصف صاع عن مجاهد ويجمع بين القولين قول ابن عباس من التطوع بزيادة الاطعام وقيل معناه من عمل برا في جميع الدين فهو خير له عن الحسن وقيل من صام مع الفدية عن الزهري وقوله (وان تصوموا خير لكم) اي وصومكم خير لكم من الافطار والفدية وكان هذا مع جواز الفدية فأما بعد النسخ فلا يجوز ان يقال الصوم خير من الفدية مع ان الافطار لا يجوز اصلاً وقيل معناه الصوم خير لمطيعه وافضل ثواباً من التكفير لمن افطر بالعجز (ان كنتم تعلمون) ان الصوم خير لكم من الفدية وقيل ان كنتم تعلمون افضل اعمالكم وفي قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل

قوله تعالى (١٨٥) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي اُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا اَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ اَيَّامٍ اٰخَرَ يَرِيْدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيْدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ تَشْكُرُونَ (آية)

﴿ القِرَاءَةُ ﴾

قرأ ابو بكر عن عاصم وتكملوا بالتشديد والباقون لتكملوا بالتخفيف وقرأ ابو جعفر العسر واليسر بالتثنية فيهما والباقون بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ وتكلموا قوله اليوم اكملت لكم دينكم ومن قرأ وتكلموا فلأن فعل وافعل كثيرا ما يستعمل احدهما موضع الآخر قال النابغة

فكملت مائة منها حمامها واسرعت حسبة في ذلك المدد

﴿ اللغة ﴾

الشهر معروف وجمعه في القلة اشهر وفي الكثرة شهور واصله من اشتهاه بالهلال يقال شهرت الحديث اظهرته وشهرت السيف انتضيته واتان شهيرة عريضة ضخمة واصل الباب الظهور واصل رمضان من الرمش وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره وانما سموه رمضان لانهم سمووا الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافر رمضان ايامه رمض الحر وقد جمعوا رمضان على رمضانات وقيل ان رمضان اسم من اسما الله فروي عن مجاهد لا تقبل رمضان ولكن قل شهر رمضان فانك لا تدري ما رمضان وقد جاء في الاخبار المروية عن النبي (ص) انه قال من صار رمضان ايمانا واحسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل انها سمي رمضان لانه يرمض الذنوب اي يحرقتها والقرآن امله الجمع لقولهم ما قرأت الناقة سلاقط اي ما جمعت رحمها على سلا ومنه القراءة والقارئ لانه يجمع الحروف والفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل والارادة اصلها الواو لانك تقول راودته على ان يفعل كذا مراودة ومنه راديرود رواداً فهو رائد وفي المثل الرائد لا يكذب اهله واصل الباب الطالب والارادة بمعنى الطلب للمراد لانها كالسبب له واليسر ضد العسر واليسار الغنى والسعة واليسار اليد اليسرى واليسر الجماعة يجتمعون على الجزور في اليسر والجمع الايسار واصل الباب السهولة واصل العسر الصلابة يقال عسر الشيء عسرا ورجل عسر يعمل بشماله وعسر الرجل اذا افتقر وضده اليسر ويقال كمل الشيء واكلمته وكلمته اي قمته

﴿ الإعراب ﴾

شهر رمضان في ارتفاعه ثلاثة اوجه (احدها) أن يكون خبر مبتدا محذوف يدل عليه قوله اياما اي هي شهر رمضان (والثاني) ان يكون بدلا من الصيام فكانه قال كتب عليكم شهر رمضان (والثالث) ان يرتفع بالابتداء ويكون خبره الذي انزل فيه القرآن وان شئت جعلت الذي أنزل فيه القرآن صفة له واضمرت الخبر حتى كأنه قال وفيها كتب عليكم شهر رمضان اي صيام شهر رمضان ولا ينصرف رمضان للتعريف وزيادة الالف والنون المضارعين لانهما التانيث ويجوز في العربية شهر رمضان بالنصب من وجهين (احدهما) صوموا شهر رمضان والآخر على البدل من قوله اياما فقوله هدى في موضع النصب على الحال اي هاديا للناس وقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فالشهر ينتصب على انه ظرف لا على انه مفعول به لانه لو كان مفعولا به لزم الصيام المسافر كما يلزم المقيم من حيث أن المسافر يشهد الشهر شهادة المقيم فلما لم يلزم المسافر علمنا ان معناه فمن شهد منكم المصر في الشهر ولا يكون مفعولا به كما لو قلت احييت شهر رمضان يكون مفعولا فان قلت كيف جاء ضميره متصلا في قوله فليصمه اذا لم يكن مفعولا به قلنا لأن الاتساع وقع فيه بعد ان استعمل ظرفا على ما تقدم بيان امثاله وانما عطف الظرف على الاسم في قوله ومن كان مريضا او على سفر لانه بمعنى الاسم فكانه قال او مسافرا كقوله سبحانه دعانا جنبه او قاعدا او قائما اي دعانا مضطجعا واما العطف باللام في قوله وتكلموا العدة ففيه وجهان (احدهما) انه عطف جملة على جملة لأن بعده محذوف وتقديره وتكلموا العدة شرع ذلك أو اريد ذلك ومثله قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اي وليكون من الموقنين اربناه ذلك (والثاني) ان يكون عطفا على تأويل محذوف ودل عليه ما تقدم من الكلام لانه لما قال يريد الله بكم اليسر دل على انه قد فعل ذلك

يسهل عليكم فجاز وتكملوا العدة عطفاً عليه قال الشاعر

يا رب غير آيهم مع الي
لا رواكد جمرهن هبا
ومشجج اما سوا قذاله
فبدا وغيب ساره المزاه

أي سائرهم فعطف على تأويل الكلام كأنه قال بها رواكد ومشجج هذا قول الزجاج والاول قول الفراء.

المعنى

ثم بين سبحانه وقت الصوم فقال (شهر رمضان) أي هذه الأيام المعدودات وشهر رمضان أو كتب عليكم شهر رمضان أو شهر رمضان هو الشهر (الذي انزل فيه القرآن) فبين أنه خصه بالصوم فيه لاختصاصه بالفضائل المذكورة وهو أنه انزل فيه القرآن الذي عليه مدار الدين والإيمان ثم اختلف في قوله انزل فيه القرآن فقيل إن الله انزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم انزل على النبي بعد ذلك نجوماً في طول عشرين سنة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله وقيل إن الله تعالى ابتداء أنزله في ليلة القدر من شهر رمضان عن ابن إسحاق وقيل أنه كان يتول إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ما يحتاج إليه في تلك السنة جملة واحدة ثم ينزل إلى مواقع النجوم إرسالاً في الشهور والأيام عن السدي يسنده إلى ابن عباس وروى الثعلبي بإسناده عن أبي ذر الغفاري عن النبي (ص) أنه قال انزلت صحف إبراهيم ثلاث مضي من شهر رمضان وفي رواية الواحدي في أول ليلة منه وانزلت توراة موسى است مضي من شهر رمضان وانزل أنجيل عيسى ثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وانزل زبور داود لثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد لأربع وعشرين من شهر رمضان وهذا بعينه رواه العياشي عن أبي عبد الله عن أبيه عن النبي (ص) وقيل المراد بقوله انزل فيه القرآن أنه انزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه معنى في فرضه كما يقول القائل انزل الله في الزكاة كذا يريد في فرضها ثم وصف سبحانه القرآن بقوله (هدى للناس) أي هادياً للناس ودالاً لهم على ما كلفوه من العلوم (وآيات من الهدى) أي ودلالات من الهدى وقيل المراد بالهدى الأول الهدى من الضلالة وبالثاني بيان الحلال والحرام عن ابن عباس وقيل أراد بالأول ما كلف من العلم وبالثاني ما يشتمل عليه من ذكر الأنبياء وشرائعهم وأخبارهم لأنها لا تدرك إلا بالقرآن عن الأصم والقاضي وقوله (والفرقان) أي وما يفرق بين الحق والباطل وروى عن أبي عبد الله (ع) أنه قال القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به وروى الحسن بن محبوب عن أبي أيوب عن أبي الررد عن أبي جعفر قال خطب رسول الله (ص) الناس في آخر جمعة من شعبان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس: إنه قد اظلمت لكم شهر في ليلة خيرة من ألف شهر وهو شهر رمضان فرض الله صيامه وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلاة كمن تطوع بصلاة سبعين ليلة فيا سواه من الشهور وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كأجر من أدى فريضة من فرائض الله فيا سواه ومن أدى فيه فريضة من فرائض الله كان كمن أدى سبعين فريضة من فرائض فيا سواه من الشهور وهو شهر الصبر وإن الصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزيد الله فيه من رزق المؤمنين ومن فطر فيه مؤمناً صائماً كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيا مضى وقيل له يا رسول الله ليس كلنا نقدر على أن نفطر صائماً قال إن الله كريم يعطي هذا الثواب من لم يقدر منكم إلا على مذقة من لبن يفطر بها صائماً أو شربة من ماء عذب أو تمرات لا يقدر على أكثر من ذلك ومن خفف فيه عن مملوكه خفف الله عليه حسابه وهو شهر اوله رحمة وإوسطه مغفرة وآخره اجابة والعتق من النار ولا غنى بكم فيه عن أربع خصال خصلتين ترضون الله بهما وخصلتين لا غنى لکم عنهما فأما اللتان ترضون الله بهما فشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله فيه حوائجكم والجنة وتسالون الله فيه العافية وتعوذون به من النار وفي رواية

سلمان الفارسي فاستكثروا فيه من اربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان لا غنى بكم عنهما فاما الخصلتان اللتان ترضون ربكم بهما فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفروه واما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار وقال رسول الله نوم الصائم عبادة وصحته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف وقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فيه وجهان (احدهما) فمن شهد منكم المصر وحضر ولم ينب في الشهر والائف واللام في الشهر للعهد والمراد به شهر رمضان فليصم جميعه وهذا معنى ما رواه زرارة عن أبي جعفر أنه قال لما سئل عن هذه ما أبينها لمن عقلا قال من شهد شهر رمضان فليصمه ومن سافر فيه فليغفر وقد روي ايضا عن علي وابن عباس ومجاهد وجماعة من المفسرين انهم قالوا من شهد الشهر بأن دخل عليه الشهر وهو حاضر فعليه ان يصوم الشهر كله (والثاني) من شاهد منكم الشهر مقيا مكلفا فليصم الشهر بعينه وهذا نسخ للتخيير بين الصوم والقديية وإن كان موصولا به في التلاوة لأن الانفصال لا يعتبر عند التلاوة بل عند الاتزال والاول اقوى وقوله (ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر) قد مضى تفسيره في الآية المتقدمة وحد المرض الذي يوجب الافطار ما يخاف الانسان معه الزيادة المفرطة في مرضه وروى ابو بصير قال سألت ابا عبد الله عن حد المرض الذي على صاحبه فيه الافطار قال هو موثمن عليه مغموض اليه فإن وجد ضعفا فليغفر وان وجد قوة فليصم كان المرض على من كان وروي ايضا أن ذلك كل مرض لا يقدر على القيام بمقدار زمان صلاته وبه قال الحسن وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء واما السفر الذي يوجب الافطار عندنا فما كان مباحا وطاعة وكانت المسافة ثمانية فراسخ اربعة وعشرين ميلا وعند الشافعي ستة عشر فرسخا وعند ابي حنيفة اربعة وعشرين فرسخا واختلف في العدة من الايام الاخر فقال الحسن وجماعة هي على التضييق إذا برى المريض او قدم المسافر وقال ابو حنيفة موسع فيها وعندنا موقت فبها بين رمضانين وتجوز متابعة ومتفرقة والتابع افضل فإن فرط حتى لحقه رمضان آخر لزمه القديية والقضاء به قال الشافعي وقوله (يريد الله بكم اليسر) أي في الرخصة للمريض والمسافر إذ لم يوجب الصوم عليهما وقيل يريد الله بكم اليسر في جميع أموركم (ولا يريد بكم العسر) أي التضييق عليكم وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة لأنه بين أن في أفعال المكلفين ما يريد سبحانه وهو اليسر وفيها ما لا يريد وهو العسر لأنه إذا كان لا يريد بهم العسر فإن لا يريد تكليف ما لا يطاق اولى وقوله (ولتكملوا العدة) تقديره يريد الله لأن يسهل عليكم ولأن تكملوا أي تنموا عدة ما افطرت فيه وهي أيا السفر والمرض بالقضاء اذا اقمتم وبرأتم فتصوموا للقضاء بعدد ايام الافطار وعلى القول الآخر فتقدهر ولا يكال العدة شرع الرخصة في الافطار ويحتمل ان يكون معناه ولتكملوا عدة الشهر لأنه مع الطاعة وعدم العذر يسهل عليه اكمال العدة والمريض والمسافر يتعسر عليهما ذلك فيكملان العدة في وقت آخر ومن قال ان شهر رمضان لا ينقص ابدا استدل بقوله ولتكملوا العدة وقال بين تعالى أن عدة شهر رمضان محصورة يجب صيامها على الكمال ولا يدخلها نقصان ولا اختلال فالجواب عنه من وجهين (احدهما) ان المراد اكلوا العدة التي وجب عليكم صيامها وقد يجوز ان يكون هذه العدة تارة ثلاثين وتارة تسعة وعشرين والآخر ما ذكرناه من أن المراد راجع الى القضاء ويؤيده انه سبحانه ذكره عقيب ذكر السفر والمرض وقوله (ولتكبروا الله على ما هداكم) المراد به تكبير ليلة الفطر عقيب أربع صلوات المغرب والعشاء الآخرة والعداة وصلاة العيد على مذهبنا وقال ابن عباس وجماعة التكبير يوم الفطر وقيل المراد به وتعظموا الله على ما ارشدكم له من شرائع الدين (ولعلكم تشكرون) أي لشكروا الله على نعمه

قوله تعالى (١٨٦) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَحَبُّ دَعْوَةٍ الدَّاعِ إِذَا

فيه مفسدة له ولا لغيره ويشترط ذلك بلسانه او يتوبه بقلبه فانه سبحانه يحبه إذا اقتضت المصلحة اجابته او يؤخر الاجابة إن كانت المصلحة في التأخير وإذا قيل إن ما تقتضيه الحكمة لا بد أن يفعله فما معنى الدعاء واجابته فجوابه ان الدعاء عبادة في نفسها يعبد الله سبحانه بها لما في ذلك من اظهار الخضوع والانقياد اليه سبحانه وايضا فإنه لا يمتنع أن يكون وقوع ما سأله انا صار مصلحة بعد الدعاء ولا يكون مصلحة قبل الدعاء ففي الدعاء هذه الفائدة ويؤيد ذلك ما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي (ص) ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا اعطاه الله بها احدي خصال ثلاث اما أن يعجل دعوته وإما أن يؤخر له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء. مثله قالوا يا رسول الله إذا نكثرت قال الله أكثر وفي رواية انس بن مالك الله أكثر وأطيب ثلاث مرات وروي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله إن العبد يدعو الله وهو يحبه فيقول يا جبرائيل لا تقض لعبي هذا حاجته واخرها فإني أحب ان لا ازال اسمع صوته وان العبد يدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبرائيل اقض لعبي هذا حاجته واخرها فإني أحب ان لا ازال اسمع صوته وروي عن أمير المؤمنين (ع) انه قال ربما اخرت عن العبد اجابة الدعاء ليكون اعظام لأجر السائل واجزل لإعطاء الأمل وقيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو الله سبحانه فلا يستجيب لنا فقال لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه واكتتمت نعمة الله فلم تودوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتوه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ودفتتم الاموات فلم تعتبروا بهم وتركتهم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس

قوله تعالى (١٨٦) أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباسكم وأنتم لباسهن علم الله أنكم كنتم تخفون أنفسكم بتاب عليكم ودفأ عنكم فالآن باشرؤهن وأبتئوا ما كتب الله لكم وكألو وأشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون (آية)

اللغة

الرفث الجماع ههنا بلا خلاف وقيل ان اصله القول الفاحش فكسبى به عن الجماع قال المعجاج « عن اللغاورفث التكلم » قال الاخفش انما عديت بالي في الآية لأنه بمعنى الإفضاء. واللباس الثياب التي من شأنها ان تستر الابدان ويشبهه به الاعشى فيقال لبس السيف بالخلية والعرب تسمى المرأة لباسا وازارا قال الشاعر

إذا ما الضجيج ثنى عطنه تثنت فكانت عليه لباسا

وقال

الا ابليغ ابا حفص رسولا فدي لك من اخي ثقة ازاوي

قال اهل اللغة معناه امرأتى والاختيان الحيانة يقال خانه يخونه خونا وخيانة واختانه اختيانا (وخائنة الأعين) مسارقة النظر الى ما لايجل واصل الباب منع الحق، والمباشرة الصاق البشرة بالبشرة وهي ظاهر الجلد والابتناء طلب البنية (والخيط الأبيض) بياض الفجر (والخيط الاسود) سواد الليل فأول النهار طلوع الفجر الثاني لأنه اوسع ضياء. قال ابو داود

فلما أضأت لنا غدوة ولاح من الصبح خيط أنارا

والحيط في اللغة معروف يقال خاطه يحيطه خيطا وخياطة والحيط القطيع من النعام ونعامة خيطا. قيل خيطها طول قصها ومنعها وقيل اختلاط سوادها ببياضها والسواد والبياض لونان كل واحد منهما اصل بنفسه وبيضة الإسلام مجتمعة وابتاضوهم اي استأصلوهم بمعنى اقتلعوا بيضتهم والسواد والمساودة المسارة لأن الخفاء فيه كخفاء الشخص في سواد الليل وسواد العراق سمي به لكثرة الماء والشجر الذي تسود به الأرض وسواد كل شيء شخصه وسويداء القلب وسواده دمه الذي فيه وقيل حبة القلب والمكوف والاعتكاف اصله اللزوم يقال عكفت بالمكان اي اقمته به ملازما له قال الطرماع

فبات بنات الليل في الليل عكفا عكوف البواكي بينهم صريع

وهو في الشرع عبارة عن اللبث في مكان مخصوص للعبادة (والحد على وجه) الحد المنع وحدود الله فرائضه قال الزجاج هي مامنع الله من مخالفتها والحد جلد الزناني وغيره والحد حد السيف وغيره والحد حد الدار والحد فرق بين الشينين والحد نهاية الشيء التي تمنع من ان يدخله ما ليس منه أو ان يخرج عنه ما هو منه وقال الخليل الحد الجامع المانع والحد أد البواب قال الاعشى

فقمنا ولما يصبح دبركنا إلى جونة عند حدادها

يعني صاحبها الذي يحفظها ويمنعها وكل من منع شيئا فهو حداد ومن ذلك احدثت المرأة على زوجها معناه امتنعت من الزينة والحديد لما سمي حديدا لأنه يستنع به من الاعداء. فأصل الباب المنع

﴿ النزول ﴾

روى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه رفعه الى ابي عبد الله قال كان الاكل محرما في شهر رمضان بالليل بعد النوم وكان النكاح حراما بالليل والنهار في شهر رمضان وكان رجل من اصحاب رسول الله يقال له مطعم بن جبير اخو عبد الله بن جبير الذي كان رسول الله وكله بغم الشعب يوم احد في خمسين من الرماة وفارقه اصحابه وبقي في اثني عشر رجلا فقتل على باب الشعب وكان اخوه هذا مطعم بن جبير شيخا ضعيفا وكان صائرا فأبطأت عليه اهله بالطعام فنام قبل ان يفطر فلما انتبه قال لأهله قد حرم علي الأكل في هذه الليلة فلما اصبح حضر حفر الخندق فأغمي عليه فرآه رسول الله فرق له وكان قرم من الشباب ينكحون بالليل سرا في شهر رمضان فانزل الله هذه الآية فأحل النكاح بالليل في شهر رمضان والاكل بعد النوم الى طلوع الفجر واختلفت العامة في اسم هذا الرجل من الانصار فقال بعضهم قيس بن صرمه وقيل ابو صرمه وقيل ابو قيس بن صرمه وقيل صرمه بن اياس وقالوا جاء الى رسول الله فقال عملت في النخل نهاري اجمع حتى اذا امسيت فأتيت أهلي لتطعمني فأبطأت فنمت فابقطوني وقد حرم علي الأكل وقد امسيت وقد جهدي الصوم فقال عمر يا رسول الله اعتذر اليك من مثله رجعت إلى أهلي بعد ما صليت العشاء فأتيت امرأتي وقام رجال واعترفوا بمثل الذي سمعوا فتزلت الآية عن ابن عباس والسدي

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه وقت الصيام وما يتعلق به من الاحكام فقال (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) اي الجماع وقال ابن عباس ان الله سبحانه حبي يكتفي بما شاء ان الرفث واللباس والمباشرة والافضا. هو الجماع وقال الزجاج الرفث هو كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة وهذا يقتضي تحريما متقدما الزيل عنهم والمراد بليلة الصيام الليلة التي يكون في غدها الصوم وروي عن ابي جعفر واني عبد الله كراهية الجماع في اول ليلة من كل شهر الا اول ليلة من شهر رمضان فإنه يستحب ذلك لمكان الآية والاشبه ان يكون المراد به ليالي الشهر كله وانما وحده لانه اسم جنس يدل على الكثرة (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) اي هن سكن لكم وانتم سكن لهن كما قال (وجعلنا الليل لباسا) اي سكننا عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والمعنى تلبسونهن

وتخالطونهن بالمساكنة اي فل ما يصبر احد الزوجين عن الآخر وقيل انما جعل كل واحد منهما لباسا للآخر لانضمام جسد كل واحد منهما الى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه فلما كانا يتلابسان عند الجماع - سمي كل واحد منهما لباسا لصاحبه وقال الربيع من فراش لكم وانتم خلف لمن (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) لما حرم عليهم الجماع والاكل بعد النوم وخالفوا في ذلك ذكرهم الله بالنعمة في الرخصة التي نسخت تلك التحريم فقال علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم بالمعصية اي لا تؤدون الأمانة بالامتناع عن المباشرة وقيل معنى تختانون تنقصون انفسكم من شهواتها وتمتعونها من لذاتها باجتنا ب ما نهيتهم عنه فغفقه الله عنكم (فتاب عليكم) اي قبل توبتكم وقيل معناه فرخص لكم وازال تشديد عنكم (وعفا عنكم) فيه وجهان (احدهما) غفر ذنوبكم والآخر ازال تحريم ذلك عنكم وذلك عفوه عن تحريمه عليهم (فلا آن بأشروهن) بالليل اي جامعوهن لفظه امر ومعناه الإباحة (وابتغوا ما كتب الله لكم) فيه قولان (احدهما) اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد عن الحسن واكثر المفسرين وهو ان يجامع الرجل اهله رجاء ان يرزقه الله ولدا يعبده ويسبح له والآخر اطلبوا ما كتب الله لكم من الحلال الذي بينه في كتابه فان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقوله (وكلوا واشربوا) اباحة للاكل والشرب (حتى يتبين لكم) اي ليظهر ويتميز لكم على التحقيق الحيط الأبيض من الحيط الأسود اي النهار من الليل فاول النهار طلوع الفجر الثاني وقيل بياض الفجر من سواد الليل وقيل بياض اول النهار من سواد آخر الليل وانما شبه ذلك بالحيط لأن القدر الذي يحرم الافطار من البياض يشبه الحيط فيزول به مثله من السواد ولا اعتبار بالاتشار (من الفجر) يحتل - من - معنيين (احدهما) ان يكون بمعنى التبويض لأن المعنى من بعض الفجر وليس الفجر كله عن ابن دويد والآخر انه للتبيين لأنه بين الحيط الأبيض فكأنه قال الحيط الأبيض الذي هو الفجر وروي ان عدي بن حاتم قال للنبي اني وضعت خيطين من شعر ابيض واسود فكنت انظر فيهما فلا يتبين لي فضحك رسول الله حتى رويت نواجذه ثم قال يا ابن حاتم انما ذلك بياض النهار وسواد الليل فابتداء الصوم من هذا الوقت ثم بين تعالى الانتهاء فقال (ثم اتوا الصيام الى الليل) اي من وقت طلوع الفجر الثاني وهو المستطيل المعترض الذي يأخذ الافق وهو الفجر الصادق الذي يجب عنده الصلاة الى وقت دخول الليل وهو بعد غروب الشمس وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق واقبال السواد منه والا فاذا غابت الشمس مع ظهور الافاق في الأرض المسبوطة وعدم الجبال والروابي فقد دخل الليل وقوله (ولا تبشروهن) في معناه قولان ههنا (احدهما) أنه اراد به الجماع عن ابن عباس والحسن وقتادة (والثاني) انه اراد الجماع وكل ما دونه من قبلة وغيرها عن مالك وابن زيد وهو مذهبنا وقوله (وانتم عاكفون في المساجد) اي معتكفون اي لا تبشروهن في حال اعتكافكم في المساجد والاعتكاف لا يصح عندنا الا في احد المساجد الاربعة المسجد الحرام ومسجد النبي ومسجد الكوفة ومسجد البصرة وعند سائر الفقهاء يجوز في سائر المساجد إلا ان مالكا قال انه يختص بالجامع ولا يصح الاعتكاف عندنا إلا بصوم وبه قال ابو حنيفة ومالك وعند الشافعي يصح بغير صوم وعندنا لا يكون الا في ثلاثة ايام وعند ابى حنيفة يوم واحد وعند مالك عشرة ايام لا يجوز اقل منه وعند الشافعي ما شاء ولو ساعة واحدة وفي الآية دلالة على تحريم المباشرة في الاعتكاف ليلا ونهارا لأنه علق المباشرة بحال الاعتكاف وقوله (تلك حدود الله) تلك اشارة الى الاحكام المذكورة في الآية حدود الله حرمت الله عن الحسن وقيل معناه معاصي الله عن الضحاك وقيل ما منع الله منه عن الزجاج (فلا تقربوها) أي فلا تأتوها وقيل معناه تلك فرائض الله فلا تقربوها بالمخالفة (كذلك) اي مثل هذا البيان الذي ذكر (يبين الله آياته للناس) اي حججه وادلته على ما امرهم به ونهاهم عنه (لعلهم يتقون) اي لكي يتقوا معاصيه وتعدي حدوده فيما امرهم به ونهاهم عنه وابعدهم إياها وفي هذا دلالة على ان الله تعالى اراد التقوى من جميع الناس

قوله تعالى (١٨٧) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْأُوا بِهَا إِلَى الْحُكْمِ إِنَّا كُنَّا
فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْأَيْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الباطل الذاهب الزائل يقال بطل إذا ذهب وقيل الباطل هو ما تعلق بالشيء على خلاف ما هو به خبراً كان
او اعتقاداً او ظناً او تخيلاً والحكم هو الذي يفصل بين الخصمين يمنع كل واحد من منازعة الآخر ويقال أدلى
فلان بحجته إذا اقامها وهو من قولهم ادليت الدلو في البئر إذا ارسلتها ودلوها إذا اخرجتها فمعنى قولهم ادلى
بحجته ارسلها واتى بها على صحة وفي تشبيه الخصومة بارسال الدلو في البئر وجهان (احدهما) انه تعلق بسبب
الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذي هو الحبل (الثاني) انه يمضي فيه من غير تثبيت كمضي الدلو في الإرسال
من غير تثبيت والفريق القطيعة المعزولة من الجملة سواء كان من الناس او من غيرهم والأيتم الفعل الذي
يستحق به الذم

﴿ الإعراب ﴾

وتدلو محله جزم على النهي عطفاً على قوله ولا تأكلوا ويحتمل ان يكون نصبا على الظرف ويكون نصبه
بإضمار أن كقول الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
اي لا تجمع بينهما

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه شريعة من شرائع الإسلام نسقا على ما تقدم من بيان الحلال والحرام فقال (ولا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل) اي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل والنظم والوجوه التي لا تحل كقوله فلا
تقتلوا أنفسكم اي ولا يقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تأكلوا أموالكم بالهوى واللب مثل ما يؤخذ في
التمار والملاهي لأن كل ذلك من الباطل وروي عن ابي جعفر انه يعني بالباطل اليمين الكاذبة يقطع به الاموال
وروي عن ابي عبد الله قال كانت قريش يقامر الرجل في اهله وماله فنهاهم الله والاولى حمله على الجميع لأن
الآية تحتمل الكل (وتدلوها بها الى الحكم) وتلقوا بها الى القضاة وقيل فيه اقوال (احدهما) انه الودائع وما
لا يقوم عليه بينة عن ابن عباس والحسن وقتادة (وثانيها) انه مال اليتيم في يد الاوصياء لأنهم يدفونه الى
الحكام اذا طولبوا به ليقطعوا بعضه وتقوم لهم في الظاهر حجة عن الجبائي (وثالثها) انه ما يؤخذ بشهادة الزور
عن الكلبي والاولى ان يحمل على الجميع (لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالأيتم) اي لتأكلوا طائفة من اموال
الناس بالفعل الموجب للإثم بان يحكم الحاكم بالظاهر. وكان الأمر في الباطل بخلافه وانتم تعلمون ان ذلك
الفريق من المال ليس بحق لكم وانتم مبطلون وهذا اشد في الزجر وقال ابو عبد الله (ع) علم الله انه سيكون
في هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق فهى الله تعالى المؤمنين ان يتحاكوا اليهم وهم يعلمون انهم
لا يحكمون بالحق وهذا يدل على ان الإقدام على المعصية مع العلم او مع التمكن من العلم أعظم

قوله تعالى (١٨٨) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَجِ وَآلِيسَ
الْبِرِّ بَأَنَّ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَآلِيسَ الْبِرُّ مِنْ آتَيْتُمْ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا أَنْتُمْ
اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابن ذكوان والكسائي البيوت والشيوخ وأخواتها بكسر اوائلها الا العيوب وقرأ حمزة وحماد ويحيى عن عاصم كلها بالكسر الا الجيوب وقالوا بكسر منها البيوت فقط والباقيون بالضم

﴿ الحجة ﴾

من كسر أوائل هذه الكلمات إنما فعل ذلك لأجل اليا. أبدل من الضمة الكسرة لأن الكسرة أشد موافقة للياء. من الضمة لها كما كسر الفاء من عينة ونبيب في تصغيرين وناب وإن لم يكن في أبنية التصغير على هذا الوزن لتقريب الحركة مما بعدها. ومن ضمها فعلى الأصل لأنها فعول

﴿ اللغة ﴾

الأهلة جمع هلال واشتقاقه من قولهم استهلّ الدي إذا بكى حين يولد أو صاح وقولهم أهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وإنما قيل هلال لأنه حين يرى يهل الناس بذكره يقال أهلّ الهلال واستهل ولا يقال أهلّ ويقال أهللنا الهلال وأهللنا شهر كذا أي دخلنا فيه وقد اختلف في تسميته هلالاً لم يسمى ومتى يسمى قرأ فقال بعضهم يسمى هلالاً ليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالاً إلى أن يعود في الشهر الثاني وقال آخرون يسمى هلالاً ثلاثاً ليل ثم يسمى قرأ وقال بعضهم يسمى هلالاً حتى يحتجر وتحجيره أن يستدير بخطة دقيقة وهذا قول الأصمعي وقال بعضهم يسمى هلالاً حتى يهرضوه سواد الليل ثم يقال قر وهذا يكون في الليلة السابعة واسم القدر عند العرب الزبرقان واسم دارته الهالة واسم ضوئه الفضة والميقات مقدار من الزمان جعل علماً لما يقدر من العمل والتوقيت تقديراً للوقت وكما قدرت غاية فهو موقت والميقات منتهى الوقت والآخرة ميقات الحلق والأهلال ميقات الشهر والحج ذكرنا مناه فيما مضى والبرالنفع الحسن والظهر الصفحة المقابلة لصفحة الوجه والباب المدخل يقول منه بوجه تبويبا إذا جعله ابواباً والباب الحاجب لأنه يلزم الباب والباب القاعة من الشيء كالباب من الجملة

﴿ الإعراب ﴾

قوله للناس في موضع رفع صفة لمواقيت تقديره هي مواقيت كائنة للناس والبا. في قوله بأن تأتوا مزيدة لتأكيد النفي وان تأتوا في موضع الجر بالبا. والجار والمجرور في موضع النصب بأنهما خبر ليس وقوله (ولكن البر من اتقى) قيل فيه وجهان (أحدهما) ان تقديره (ولكن البر من اتقى) كما قلناه في قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) والآخر ان تقديره ولكن البار من اتقى وضع المصدر موضع الصفة

﴿ النزول ﴾

روي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله ان اليهود يكفرون مسألنا عن الأهلة فأنزل الله هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انهم سألوا رسول الله لم خلقت هذه الأهلة فأنزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم بين شريعة أخرى فقال (يسألونك عن الأهلة) أي أحوال الأهلة في زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة في ذلك قل يا محمد هي مواقيت للناس والحج أي هي مواقيت وقت يحتاج الناس إلى مقاديرها في صومهم وفطريهم وعدة نسانهم ومحل ديونهم وحجهم فبين سبحانه ان وجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانها ما تعلق بذلك من مصالح الدين والدنيا لأن الهلال لو كان مدورا أبداً مثل الشمس لم يمكن التوقيت به وفيه أوضح دلالة على أن الصوم لا يثبت بالعدد وأنه يثبت بالهلال لأنه سبحانه نص على ان الأهلة هي المتبعة في المواقيت

والدلالة على الشهور فلو كانت الشهور إنما تعرف بطريق العدد لحص التوقيت بالعدد دون روية الالهة لأن عند اصحاب العدد لا عبرة بروية الالهة في معرفة المواقيت وقوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) فيه وجوه (احدها) انه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من ابوابها ولكنهم كانوا ينتقبون في ظهر بيوتهم أي في مؤخرها نقبا يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التدين بذلك عن ابن عباس وقتادة وعطاء ورواه ابو الجارود عن أبي جعفر (ع) وقيل إلا أن الحمس وهو قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر ابن صعصعة كانوا لا يفعلون ذلك وإنما سموا أحمرًا لتشدهم في دينهم والحامسة الشدة وقيل بل كانت الحمس تفعل ذلك وإنما فعلوا ذلك حتى لا يحول بينهم وبين الديار شي (وثانيها) ان معناه ليس البر بأن تأتوا البيوت من غير جهاتها وينبغي أن تأتوا الأمور من جهاتها أي الأمور كان وهو المروي عن جابر عن أبي جعفر (ع) وثالثها) ان معناه ليس البر طلب المعروف من غير أهله وإنما البر طلب المعروف من أهله ولكن البر من أتقى قد مر معناه (وأتوا البيوت من أبوابها) قدمضى معناه وقال ابو جعفر آل محمد ابواب الله ووسيلته والدعاة إلى الجنة والقادة إليها والأدلاء عليها إلى يوم القيامة وقال النبي (ص) أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتق المدينة إلا من بابها ويروى أنا مدينة الحكمة (واقفوا الله لعلكم تفلحون) معناه واقفوا ما نهاكم الله عنه وزهدم فيه لكي تفلحوا بالوصول إلى ثوابه الذي ضمنه للمتقين

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله (ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) بقوله (يسألونك عن الأهلّة) انه لما بين أن الأهلّة مواقيت للناس والحج وكانوا إذا أحرموا يدخلون البيوت من ورائها عطف عليها قوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) وقيل انه لما بين أن أمورنا مقدرة بأوقات قرن به قوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) أي فكما ان أموركم مقدرة بأوقات فلتكن أفعالكم جارية على الاستقامة باتباع ما أمر الله به والانتها. عماهى عنه لأن اتباع ما أمر به خير من اتباع ما لم يأمر به

قوله تعالى (١٨٩) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

القتال والمقاتلة محاولة الرجل قتل من يحاول قتله والقتال محاولة كل واحد من المتعادين قتل الآخر والاعتداء مجاوزة الحد يقال عدا طوره إذا جاوز حده

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس نزلت هذه الآية في صلح الحديبية وذلك ان رسول الله لما خرج هو وأصحابه في العام الذي أرادوا فيه العمرة وكانوا الفاواربعمائة فصاروا حتى نزلوا الحديبية فصدتهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا المهدي بالحديبية ثم صالحهم المشركون على أن يرجع من عامه ويعود العام القابل ويحلوا له مكة ثلاثة أيام فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء فرجع إلى المدينة من فوره فلما كان العام المقبل تجهز النبي (ص) وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تقضي لهم قريش بذلك وأن يصدوهم عن البيت الحرام ويقاتلوهم وكره رسول الله قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فأنزل الله هذه الآية وعن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذه أول آية نزلت في القتال فلما نزلت كان رسول الله يقاتل من قاتله ويركف عمّن كف عنه حتى نزلت (اقتلوا المشركين حيث وجدتمهم) فنسخت هذه الآية

المعنى

ثم بين سبحانه أمر الجهاد فقال مخاطباً للمؤمنين (وقاتلوا) أي مع الكفار (في سبيل الله) أي دين الله وهو الطريق الذي بينه للعباد ليسلكوه على ما أمرهم به وودعاهم إليه (الذين يقاتلونكم) قيل أمروا بقتال المقاتلين دون النساء. وقيل أنهم أمروا بقتال أهل مكة والأولى حمل الآية على العموم إلا من أخرجه الدليل (ولا تعتدوا) أي ولا تجاوزوا من قتال من هو من أهل القتال إلى قتال من لم تؤمروا بقتاله وقيل معناه لا تعتدوا بقتال من لم يبدأكم بقتال (إن الله لا يحب المعتدين) ظاهره يقتضي أنه يسخط عليهم لأنه على جهة الذم لهم وقد ذكرنا معنى المحبة لهم فيما مضى واختلف في الآية هل هي منسوخة أم لا فقال بعضهم منسوخة على ما ذكرناه وروى عن ابن عباس ومجاهد أنها غير منسوخة بل هي خاصة في النساء والذاري وقيل أمر بقتال أهل مكة وروى عن أئمتنا (ع) أن هذه الآية ناسخة لقوله كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وكذلك قوله (واقتلوهم حيث تقتلوهم) ناسخ لقوله (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم)

قوله تعالى (١٩٠) **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَاتَّخِرْ جُوهَهُمْ مِنْ حَيْثُ أُخْرِجُواكُمْ**
وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُواكُمْ فِيهِ فَإِنِ
قَاتَلُواكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (آية)

القراءة

قرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم كل بغير الف والباقون بأنف في جميع ذلك

الحجة

من قرأها بغير الف فإنما اتبع المصحف لأنه كتب في المصاحف بغير الأنف ومن قرأ بالأنف فقال إنما تحذف الأنف في الخط كما في الرحمن

اللغة

تقته أتقته تقفا وتقافة أي وجدته ومنه قولهم رجل تقف تقف أي يجد ما يطلبه وثقف الرجل ثقافة فهو ثقف وثقف ثقفا بالتحريك فهو ثقف إذا كان سريع التعلم والثقاف حديثاً يقوم بها الرماح المعوجة والثقيب التقويم والفتنة أصلها الاختبار ثم ينصرف إلى معان منها الابتلاء نحو قوله فتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء على أثر ابتلاء ومنها المذاب كقوله جعل فتنة الناس كهذاب الله ومنها الصد عن الدين نحو قوله واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك والمراد بها في الآية الشرك بالله وبرسوله

الاعراب

حيث فيه ثلاث لغات ضم ائنا وفتحها وكسرها فالضم لشبهها بالناية نحو قبل وبعد لأنه منع الإضافة إلى المفرد مع لزومه معنى الإضافة أيه فيجري لذلك مجرى قبل وبعد في البناء على الضم والفتح لاجل البناء كما فتحت أين وكيف والكسر لاجل إنه الأصل في التحريك لانتقاء الساكنين والجملة بعد حيث في موضع جر بإضافة حيث إليها في الموضعين وتقاتلوا منصوب باضاران وهو صلة ان والموصول والصلة في محل جر مجتى وحتى يتعلق بتقاتلهم

﴿ النزول ﴾

نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام فعاثوا المؤمنين بذلك فبين الله سبحانه ان الفتنة في الدين وهو الشرك اعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وان كان غير جائز

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله تعالى المؤمنين مبيها لهم كيفية القتال مع الكافرين فقال (واقتلوهم اي الكفار) حيث ثقتهم (اي وجدتموهم) واخرجوهم من حيث اخرجوكم) يعني اخرجوهم من مكة كما اخرجوكم منها (والفتنة اشد من القتل) اي شركهم بالله وبرسوله اعظم من القتل في الشهر الحرام وسعي الكفر فتنة لأن الكفر يؤدي الى الهلاك كما أن الفتنة تؤدي الى الهلاك وقيل لأن الكفر فساد يظهر عند الاختبار وقوله (ولا تقتلوا عند المسجد الحرام حتى يقتلواكم فيه) نهي عن ابتدائهم بقتال او قتل في الحرم حتى يتبدى المشركون بذلك (فإن قاتلوكم) أي بدأوكم بذلك (فاقتلواهم كذلك جزاء الكافرين) ان يقتلوا حيث ما وجدوا وفي الآية دلالة على وجوب اخراج الكفار من مكة كقوله حتى لا يكون فتنة والسنة قد وردت أيضا بذلك وهو قوله لا يجتمع في جزيرة العرب دينان

قوله تعالى (١٩١) فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الانتهاء الامتناع والنهي الزجر عن الفعل بصيغة لا تفعل مع كراهة الناهي لذلك الفعل والامر الدعاء الى الفعل بصيغة افعل مع ارادة الامر لذلك والنهي الغدير لمنه الماس ان يفيض والنهي بمنزلة المنع ونهاية الشيء غايته والنهي جمع نهي وهي العقل والتناهي هي المواضع التي تنهبط فيتناهى اليها ماء السماء واحدا تنهية والانهااء ابلاغ الشيء الشيء نهيته والمغفرة تغطية الذنب بما يصير به بمنزلة غير الواقع في الحكم

﴿ المعنى ﴾

(فإن انتهوا) اي امتنعوا من كفرهم بالتوبة منه عن مجاهد وغيره (فإن الله غفور رحيم) فاختصر الكلام لدلالة ما تقدم من الشرط عليه وفيه الدلالة على انه يقبل توبة القاتل عددا لأنه بين عز اسمه انه يقبل توبة المشرك والشرك اعظم من القتل

قوله تعالى (١٩٢) وَقَاتِلْهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ بَعْتَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الدين ههنا الاذعان بالطاعة كما في قول الاعشى
هودان الزباب اذ كرهوا الدين
وقبل هو الاسلام واصل الدين العادة قال الشاعر

تقول إذا درأت لها وضيبي
اعذا دينه ابدا وديني

وقد استعمل بمعنى الطاعة في قوله ما كان ليأخذها في دين الملك وبمعنى الإسلام في قوله (إن الدين عند الله الإسلام) لأن الشريعة يجب أن يجرى فيها على عادة مستمرة

المعنى

ثم بين تعالى غاية وجوب القتال وقال يخاطب المؤمنين (وقاتلوا حتى لا تكون فتنة) أي شرك عن ابن عباس وقنادة ومجاهد وهو المروي عن الصادق (ع) (ويعنون الدين لله) وحتى تكون الطاعة لله والالتقيا لأمير الله وقيل حتى يكون الإسلام لله أي حتى لا يبقى الكفر ويظهر الإسلام على الأديان كلها (فإن انتهوا) أي امتنعوا من الكفر واذعنوا للإسلام (فلا عدوان إلا على الظالمين) أي فلا عقوبة عليهم وإنما العقوبة بالقتل على الكافرين المقيمين على الكفر فسمي القتل عدواناً من حيث كان عقوبة على العدوان وهو الظلم كما قال من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وجزاً. سنة سنة مثلها وإن عاقبتم فعاقبوا وحين ذلك لازدواج الكلام والمزاوجة هنا إنما حصلت في المعنى لأن التقدير فإن انتهوا عن العدوان فلا عدوان إلا على الظالمين وهذا الوجه مروي عن قتادة والربيع وعكرمة وقيل معنى العدوان الابتداء بالقتال عن مجاهد والسدي وهذه الآية ناسخة للأولى التي تضمنت النهي عن القتال في المسجد الحرام حتى يبدأوا بالقتال فيه لأن فيها إيجاب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في الإسلام عن الحسن والجاني وعلى ما ذكرناه في الآية الأولى عن ابن عباس أنها غير منسوخة فلا تكون هذه الآية ناسخة بل تكون موكدة وقيل بل المراد بها أنهم إذا ابتدأوا بالقتال في الحرم يجب مقاتلتهم حتى يزول الكفر

قوله تعالى (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ آتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْدُوا عَلَيْهِ يُبْتَلِ مَا آتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (آية)

اللغة

إنما سمي الشهر الحرام لأنه يحرم فيه ما يحل في غيره من القتال ونحوه والحرمات جمع حرمة وهي ما يجب حفظه ويحرم هتكه والحرام هو القبيح المنوع من فعله والحلال المأذون فيه والتصاص الأخذ بالمظلوم من الظالم من أجل ظلمه إياه واعتدى عليه وعدي عليه بمعنى مثل قرب وانقرب وجلب واجتلب وقيل إن في الفعل مبالغة ليست في فعل

المعنى

ثم بين الله تعالى القتال في الشهر الحرام فقال (الشهر الحرام بالشهر الحرام) المراد بها هاهنا ذو القعدة وهو شهر صد عام الحديبية والأشهر الحرم أربعة ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمعرم وواحد فرد وهو رجب كانوا يحرمون فيها القتال حتى لو أن رجلاً قتل أخيه أو أخيه لم يتعرض له بسوء وإنما قيل ذو القعدة لتعودهم فيه عن القتال وقيل في تقديره وجهان (أحدهما) أنه قتال شهر الحرام أي في الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وقيل أنه الشهر الحرام على جهة العوض لما فات في السنة الأولى ومعناه الشهر الحرام ذو القعدة الذي دخلتم فيه مكة واعتصمتم وقضيتن منها وطركم في سنة سبع بالشهر الحرام ذي القعدة الذي صدتم فيه عن البيت ومنتم عن مرادكم في سنة ست (والحرمات قصاص) قيل فيه قولان (أحدهما) أن الحرمات قصاص بالمراغمة بدخول البيت في الشهر الحرام قال مجاهد لأن قريشا فخرت بردها رسول الله (ص) عام الحديبية محرماً في ذي القعدة عن البلد الحرام فأدخله الله مكة في العام المقبل في ذي القعدة فقتل عمرتوا قصه بأحيل بينه وبينه وهو معنى قتادة والضحاك والربيع وعبد الرحمن بن زيد وروى عن ابن عباس

وأبني جعفر الباقر مثله والثاني ان الحرمات قصاص بالقتال في الشهر الحرام أي لا يجوز للمسلمين إلا قصاصاً قال الحسن ان مشركي العرب قالوا لرسول الله أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام قال نعم وإنما أراد المشركون أن يضروه في الشهر الحرام فيقاتلوه فأنزل الله هذا أي ان استحلوا منكم في الشهر الحرام شيئاً فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم وبه قال الزجاج والجبائي وإنما جمع الحرمات لأنه أراد جرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الأحرار وقيل لأن كل حرمة تستحل فلا يجوز إلا على وجه المجازاة (فن اعتدى عليكم) أي ظلمكم (فاعتدوا عليه بثل ما اعتدى عليكم) أي تجازوه باعتدائهم وقابلوه بثله والثاني ليس باعتداء على الحقيقة ولكن ساء اعتداء لأنه مجازاة اعتداء وجعله مثله وإن كان ذلك جوراً وهذا عدلاً لأنه مثله في الجنس وفي مقدار الاستحقاق لأنه ضرر كما ان ذلك ضرر فهو مثله في الجنس والمقدار والصفة (واتقوا الله) فإيا أمرهم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة لهم أو يريد ان نصره الله معهم واصل مع الصحابة في المكان أو الزمان وفي هذه الآية دلالة على أن من غصب شيئاً وأتلفه بغيره رد مثله ثم إن المثل قد يكون من طريق الصورة في ذوات الأمتال ومن طريق المعنى كالقيم فيها لا مثل له

قوله تعالى (١٩٤) **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا**
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الإنفاق إخراج الشيء عن ملكه إلى ملك غيره لأنه لو أخرجه إلى هلاكه لم يسم إنفاقاً. والإيقاع تصيير الشيء إلى جهة السفلى وقد يقال القى عليه مسألة مجازاً كما يقال طرح عليه مسألة وقد يقال لكل من أخذ في عمل القى يديه إليه وفيه قال لبيد حتى إذا القت يداً في كافر وأجن عورات الشغور ظلماً
يعني الشمس أي بدأت في الميب. التهلكة والهالك واحد وقيل التهلكة مصدر بمعنى الهلاك وليس في كلام العرب مصدر على تقلة بضم العين إلا هذا وقيل التهلكة كل ما يصير عاقبة إلى الهلاك وأصل الهلاك الضياع وهو مصير الشيء بحيث لا يدري أين هو ومنه يقال للكافر هالك وللمعذب هالك والهالك الضياع الفاجرة والهالك الحداد وأصله ان بني الهالك بن عمرو كانوا قبونا فنسب إليه كل قين والإحسان هو إيصال النفع الحسن إلى الغير وليس المحسن من فعل الفعل الحسن لأن مستوفي الدين لا يسمى محسناً وإن كان فعله حسناً ولا يقال ان القديم تعالى بفعل العقاب محسن وإن كان العقاب حسناً وإنما اعتبرنا النفع الحسن لأن من أوصل نفعاً قبيحاً إلى غيره لا يقال انه محسن إليه

﴿ الإعراب ﴾

البا. في قوله تعالى بأيديكم زائدة كما يقال جذبت الثوب وبالثوب وعلمته وعلمت به وقال الشاعر
ولقد ملأت على نصيب جلده بمساة ان الصديق يعاقب
أي ملأت جلده مساة وقيل ليست البا. بزائدة ولكنها على أصل الكلام من وجهين (أحدهما) أن كل فعل متعد إذا كني عنه أو قدر على المصدر دخلته البا. تقول ضربته ثم كني عنه فتقول فعلت به ويقال أوقعت الضرب به فجا. على أصل الأفعال للتعدي والآخر انه لما كان معناه لا تهلكتوا أنفسكم بأيديكم دخلت البا. لتدل على هذا المعنى وهو خلاف أهلك نفسه بيد غيره

﴿ المعنى ﴾

لما أوجب سبحانه القتال في سبيل الله عقبه بذكر الإنفاق فيه فقال (وانفقوا في سبيل الله) معناه وانفقوا

من اموالكم في الجهاد وطريق الدين وكل ما أمر الله به من الخير وابواب البر في سبيل الله لأن السبيل هو الطريق فسبيل الله الطريق إلى الله وإلى رحمة الله وثوابه إلا أنه كثر استعماله في الجهاد لأن الجود بالنفس اقصى غاية الجود والجهاد هو الأمر الذي يخاطر فيه بالروح فكانت له مزية (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قيل معناه هجره (احدها) انه أراد لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم بترك الاتفاق في سبيل الله فيغلب عليكم العدو عن ابن عباس وجماعة من المفسرين (وثانيها) انه عني به لا تركبوا المعاصي باليأس عن المغفرة عن البراء بن عازب وعبدة السلباني (وثالثها) ان المراد لا تقتحموا الحرب من غير نكابة في العدو ولا قدرة على دفاعهم عن الثوري واختاره البلخي (ورابعها) ان المراد ولا تسرفوا في الاتفاق الذي يأتي على النفس عن الجبائي ويقرب منه ما روي عن أبي عبد الله لو أن رجلا أنفق ما في يديه في سبيل الله ما كان أحسن ولا وفق لقوله سبحانه ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين يعني المتصددين وقال عكرمة معناه أحسنوا الظن بالله يبر بكم وقال عبد الرحمن بن زيد وأحسنوا بالعود على المحتاج والأولى حمل الآية على جميع هذه الوجوه ولا تنافي فيها وفي هذه الآية دلالة على تحريم الإقدام على ما يخاف منه على النفس وعلى جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف لأن في ذلك القاء النفس إلى التهلكة وفيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار والبنائة إذا خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين كما فعله رسول الله عام الحديبية وفعله أمير المؤمنين بصفين وفعله الحسن مع معاوية من المصالحة لما تشتت أمره وخاف على نفسه وشيعته فإن عورضا بأن الحسين قاتل وحده فالجواب ان فعله يجتسل وجهين (احدهما) انه ظن انهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله والآخر انه غلب على ظنه انه لو ترك قتالهم قتله الملعون ابن زياد صبيرا كما فعله ابن عمه مسلم فكان القتل مع عز النفس والجهاد أهون عليه

قوله تعالى (١٩٥) **وَإِتْمُوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِفُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَدِدَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِمْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَلِمَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاهِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (آية)**

اللفظة

قد ذكرنا حقيقة الحج والعمرة فيما مضى عند قوله (فمن حج البيت او اعتمر) فلامعنى لاعادته والاحصار المنع يقال للرجل الذي قد منعه الخوف او المرض عن التصرف قد احصر فهو محصر ويقال للرجل الذي حبس قد حصر فهو محصور وقال الفراء يجوز ان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر وخالفه فيه ابو العباس المبرد والزجاج قال المبرد ونظيره حبسه جعله في الحبس وأحبسه عرضه للحبس واقبله عرضه للقتل وكذلك حصره حبسه أي أوقع به الحصر أو أحصره عرضه للحصر وحصر حصرًا إذا عي في الكلام والحصير البخيل حبسه رفته والحصير الذي لا يبرح يسره لأنه قد حبس نفسه عن البرح به والحصير الحبس والحصير الملك والحصور المنيوب المعجم عن الشني والحضور الذي لا اربعة له في النساء وأصل الباب الحبس وفي أصل الهدي قولان (احدهما) انه من الهدية يقال اهديت الهدية اهداء وأهديت الهدى إلى بيت الله اهداء فعلى هذا إما يكون هدياً لأجل التقرب به إلى الله والآخر انه من هدها إذا ساقه إلى الرشد فسمي هدياً لأنه يسلك إلى الحرم الذي هو موضع الرشد وواحد الهدي هدية كما يقال شربة وشري وتمر وتمر وجمع الهدي هدي على زنة فيل كما يقال عبد وعبيد

وكلب وكليب وقيل واحد الهدى هدية مثل عطية ومطي قال الفرزدق

حلفت برب مكة والمصلى وأعناق الهدى مقلدات

والحلق حلق الرأس يقال حلق وحاق والمحاق موضع الحلق بنى والمحاق الحلاق وحلق الطائر في الهواء إذا ارتفع وحلق ضرع الناقة إذا ارتفع لبنها والحلق مجرى الطعام والشراب في المري وحلق الأرض مجاريها في أوديتها وحلق المنية واصل الاستمرار والرأس أعلى كل شيء والأذى كل ما تأذيت به ورجل أذى إذا كان شديد التأذي وأدله الضرر بالشيء والنسك جمع النسيكة وهي الذبيحة ويجمع أيضا نساكك كصحيفة وصحائف وصحف وكلماء ذبح فله فهو نسيكة والنسك العبادة ومنه رجل ناسك أي عابد والتمتع أصله الالتذاذ والاستمتاع ومتمتع الحججة هي أن يتسر في أشهر الحج ثم يحل ويتمتع بالإحلال بأن يفعل ما يفعله المحل ثم يحرم بالحج من غير رجوع إلى الميقات فهو إحلال بين أحرامين وأهل الرجل زوجته والأهل الزوج وأهل الرجل أخص الناس به وأهل البيت سكانه وأهل الإسلام من يدين به وأهل القرآن من يقروه ويقوم بحقوقه وأهله لهذا الأمر أي جعلته أهله وقولهم أهلا ومرحبا أي اختصاصا بالتحية والتكرمة والعقاب مصدر يقال عقبه عقابا ومعاقبة وعقوبة وأصله من عقب الشيء أي خلفه فكان القبيح يعقبه الشدة وعقب الإنسان نسله وعقبه موخر قدميه

❖ الاعراب ❖

قوله (فما استيسر من الهدى) موضع ما رفع كأنه قال فعلية ما استيسر ويجوز أن يكون موضعه نصبا وتقديره فاهدوا ما استيسر والرفع أولى لكثرة نظائره كقوله (فقدية من صيام) فعدة من أيام) فضيام ثلاثة أيام في الحج) وقوله (في الحج) يتعلق بالمصدر وليس في موضع خبر وهذا النحو قد جاء مرفوعا على تقدير اخبار خبر

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه فرض الحج والعمرة على العباد بعد بيانه فريضة الجهاد فقال (واتموا الحج والعمرة لله) أي أتومها بتناسكها وحدودها وتأدية كل ما فيها من ابن عباس وعجاه وقيل معناه أتموها إلى آخر ما فيها وهو المروي عن أمير المؤمنين وعلي بن الحسين ومن سعيد بن جبير وسروق والسدي وقوله لله أي اتصدوا بهما التقرب إلى الله والعمرة واجبة عندنا مثل الحج وبه قال الشافعي في الجدي وقال أهل العراق انها مسنونة وإن كان أفعال الحج النية والأحرام والوقوف بعرفة والوقوف بالمشر وطواف الزيارة والسعي بين الصفا والمروة وإنما الفرائض التي ليست باركان فالتيية وركعتا الطواف وطواف النساء وركعتا الطواف له وأما المسنونات من أفعال الحج فذكر في الكتب المصنفة فيهما وإن كان فرائض العمرة النية والأحرام وطواف الزيارة والسعي وإنما ما ليس بركن من فرائضها فالتيية وركعتا الطواف وطواف النساء وركعتا الطواف له وقوله (فإن أحصرتم) فيه قولان (أحدهما) إن معناه منعكم خوف أو عدو أو مرض فامتنعتم لذلك عن ابن عباس وعجاه وقتادة وعطاء وهو المروي عن أنسنا (والثاني) معناه إن منعكم حابس قاهر عن مالك (فما استيسر من الهدى) فعليكم ما سهل من الهدى أو فاهدوا ما تيسر من الهدى إذا أردتم الإحلال والهدى يكون على ثلاثة أنواع جزور أو بقرة أو شاة وأيسرها شاة وهو المروي عن علي وابن عباس والحسن وقتادة وروي عن ابن عمر وعائشة انه ما كان من الإبل والبقرة دون غيرها والأول هو الصحيح (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أي لا تحلقوا من أحرامكم حتى يبلغ الهدى محله وينحر أو يذبح واختلف في محل الهدى على قولين (الأول) انه الحرم فإذا ذبح به في يوم النحر أحل عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وعطاء (والثاني) انه الموضع الذي يصد فيه لأن النبي (ص) نحر هديه بالحديبية وأمر أصحابه ففعلوا مثل ذلك وليست بالحديبية من الحرم عن مالك وأما علي مذهبا فالأول حكم المحصر بالمرض والثاني حكم المحصور بالعدو وإن كان الأحرام بالحج فمحل منى يوم النحر وإن كان الأحرام بالعمرة

فصله مكة (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) أي من مرض منكم مرضا يحتاج فيه إلى الحلق للدواوة أو تأذى بهوم رأسه أبيض له الحلق بشرط القدية وروى اصحابنا ان هذه نزلت في انسان يعرف بكعب بن عجرة وانه كان قد قتل رأسه وقوله (فقدية) أي فحلق لذلك العذر فعليه فدية أي بدل وجزاء. يقوم مقام ذلك من صيام أو صدقة أو نسك المروي عن أنتمنا ان الصيام ثلاثة أيام والصدقة على ستة مساكين وروى على عشرة مساكين والنسك ثبابة وهو يحير فيها وقوله (فإذا أمنتم) معناه فإذا أمنتم الموانع من العدو والمرض وكل مانع (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى) فعليه ما تيسر من الهدى والتمتع عندنا هو الفرض اللازم لمن لم يكن من حاضري المسجد الحرام وحاضر المسجد الحرام هو من كان على اثني عشر ميلا من كل جانب إلى مكة فمن كان خارجا عن هذا الحد فليس من الحاضرين وصفة التمتع بالعمرة إلى الحج أن ينشئ الاحرام في أشهر الحج ثم يدخل إلى مكة فيطوف بالبيت ويسمى بين الصفا والمروة ويقصر ويحل من احرامه ثم ينشئ احراما آخر للحج من المسجد الحرام ويخرج إلى عرفات ثم يفيض إلى المشعر ويأتي بأفعال الحج على ما هو مذكور في الكتب وفي بعض ذلك خلاف بين الفقهاء والهدى واجب للتمتع بلا خلاف لظاهر التنزيل على خلاف في انه نسك أو جبران وعندنا انه نسك (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج) أي فمن لم يجد الهدى ولا ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وعندنا ان هذه الأيام الثلاثة يوم قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وإن صام في أول المشر جاز ذلك رخصة وإن صام يوم التروية ويوم عرفة قضى يوما آخر بعد انقضاء أيام التشريق وإن فاته صوم يوم التروية أيضا صام الأيام الثلاثة بعد أيام التشريق متتابعات وقوله (وسبعة إذا رجعت) أي وسبعة أيام إذا رجعت إلى بلادكم وأهاليكم وبه قال قتادة وعطاء وقيل معناه إذا رجعت من منى فصوموها في الطريق عن مجاهد والأول هو الصحيح عندنا وقوله (تلك عشرة كاملة) فيه اقوال (أحدها) ان معناه كامل من الهدى إذا وقعت بدلا منه استكملت ثوابه عن الحسن وهو المروي عن ابي جعفر واختاره الجاثي (وثانيها) انه لازالة الإبهام لتلا يظن ان الواو بمعنى أو فيكون كأنه قال فصيام ثلاثة أيام في الحج أو سبعة إذا رجعت لأنه إذا استعمل أو بمعنى الواو جاز أن يستعمل الواو بمعنى أو كما قال فانكحوا ما طاب لكم من النساء مشى وثلاث ورباع فالواو ههنا بمعنى أو فذكر ذلك لارتفاع اللبس عن الزجاج وابي القاسم البلخي (وثالثها) أنه انما قال كلمة للتوكيد كما قال جرير

ثلاث واثنتان فمن خمس
وسادسة قيل إلى شمام

وقوله (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) أي ما تقدم ذكره من التمتع بالعمرة إلى الحج ليس لأهل مكة ومن يجري مجراهم وإنما هو لمن لم يكن من حاضري مكة وهو من يكون بينه وبينها أكثر من اثني عشر ميلا من كل جانب (واتقوا الله) فيما امركم به ونهاكم عنه (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن عصاه الحديث روى معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام أن رسول الله (ص) أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم أتزل عليه واذن في الناس الآية فأمر المؤذنين أن يؤذنوا على أصواتهم بأن رسول الله يحج من عامه هذا فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب فاجتمعوا فخرج رسول الله في أربع بقين من ذي القعدة فلما انتهى إلى ذي الحليفة غزالت الشمس اغتسل ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عنده الشجرة فصلى فيه الظهر واحرم بالحج ثم ساق الحديث الى ان قال فلما وقف رسول الله بالمروة بعد فراغه من السعي أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن هذا جبرائيل وأومى بيده الى خلفه يأمرني ان أمر من لم يسق هديا ان يحل ولو استقبلت من أمري ما استقبلت لصنعت مثل ما امرتكم ولكنني سمعت الهدى ولا ينبغي لسائق الهدى ان يحل حتى يبلغ هذا الهدى محله فقال له رجل من القوم انخرج حججا وروستنا تقطر فقال إنك ان تؤمن بها ابدا فقام اليه سراقة بن مالك بن خشم الكناني فقال يا رسول الله

علمتنا ديننا فكاننا خلقنا اليوم فهذا الذي امرتنا به لعامنا او لما نستقبل فقال له رسول الله بل هو للأبد إلى يوم القيامة ثم شبك بين اصابه بعضها في بعض وقال دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة وقدم علي من اليمن على رسول الله وهو بمكة فدخل على فاطمة وهي قد احلت فوجد عليها ثيابا مصبوغة فقال ما هذا يا فاطمة فقالت امرنا بهذا رسول الله فخرج الى رسول الله مستفتيا محرشا على فاطمة فقال يا رسول الله اني رأيت فاطمة قد احلت وعليها ثياب مصبوغة فقال رسول الله انا امرت الناس بذلك وانت يا علي بهم اهملت فقال قلت يا رسول الله اهلالا كاهلال النبي فقال رسول الله كن على احرامك مثلي وانت شريكى في هديي قال وتزل رسول الله بمكة بالطحاه هو واصحابه ولم يتزل الدور فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس امر الناس ان يغسلوا ويهلوا بالحج فخرج النبي واصحابه مهلين بالحج حتى اتوا منى وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر ثم غدا والناس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهو جمع ويمنعون الناس ان يفيضوا منها فانزل الله على نبيه ثم افيضوا من حيث افاض الناس يعني ابراهيم واسماعيل واسحاق في افاضتهم منها ومن كان بعدهم فلما رأت قريش ان قبة رسول الله قد مضت كأنه دخل في انفسهم شي الذي كانوا يرجون من الافاضة من مكانهم حتى انتهى إلى غرة وهي بطن عرفة بجبال الاراك فضرب قبة وضرب الناس اخيبتهم عندها فلما زالت الشمس خرج رسول الله ومعه قومه وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وامرهم ونهاهم ثم صلى الظهر والعصر باذان واقامتين ثم مضى الى الموقف فوقف به فجعل الناس يبتردون اخفاف ناقتهم يقفون إلى جانبها فنحاهم ففعلوا مثل ذلك فقال يا أيها الناس انه ليس موضع اخفاف ناقتي الموقف ولكن هذا كله موقف واومى بيده إلى الموقف فتفرق الناس وفعل مثل ذلك بالمزدلفة فتوقف حتى وقع قرص الشمس ثم افاض وامر الناس بالدعة حتى إذا انتهى إلى المزدلفة وهي المشعر الحرام صلى المغرب والعشاء الآخرة باذان واحد واقامتين ثم اقام حتى صلى فيها الفجر وعجل ضمنا. بني هاشم بالليل فامرهم ان لا يرموا الجمره جمره العقبة حتى تطلع الشمس فلما اضاء له النهار افاض حتى انتهى إلى منى فرمى جمره العقبة وكان الهدي الذي جاء به رسول الله اربعا وستين او ستا وستين وجاء علي باربع وثلاثين او ست وثلاثين ففخر رسول الله ستا وستين بدنة ونحر علي عليه السلام اربعا وثلاثين بدنة وامر رسول الله ان يأخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم ثم تطرح في برمة ثم تطبخ فاكل رسول الله منها وعلي وتحسبا من مرقها ولم يعط الجزارين جلودها ولا جلالها ولا قلايدها وتصدق به وحلق وزار البيت ورجع إلى منى فاقام بها حتى كان يوم الثالث من آخر ايام التشريق ثم رمى الجمار ونفر حتى انتهى إلى الابطح فقالت عائشة يا رسول الله ترجع نسائك بحجة وعمرة معا وارجع بحجة فاقام بالابطح وبعث معها عبد الرحمن بن ابي بكر إلى التنعيم فأهلت بعمرة ثم جاءت فطافت بالبيت وصلت ركعتين عند مقام ابراهيم وسعت بين الصفا والمروة ثم اتت النبي فارتحل من يومه فلم يدخل المسجد ولم يطف بالبيت ودخل من اعلى مكة من عقبة المدنيين وخرج من أسفل مكة من ذي طوى

قوله تعالى (١٩٦) الحج اشهر معلومات فمن فرض فبين الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى وأنتمون يا أولي الألباب (آية)

﴿ القراة ﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فلا رفث ولا فسوق بالرفع ولا جدال بالفتح وقرأ أبو جعفر جميع ذلك بالرفع بالتشوين وقرأ الباقون الجميع بالفتح

* الحجة *

حجة من فتح الجميع أن يقول انه اشد مطابقة للمعنى المقصود ألا ترى أنه إذا فتح فقد نفى جميع الرفث والفسوق كما أنه إذا قال لا ريب فقد نفى جميع هذا الجنس فإذا رفع ونون فكأن النفي لواحد منه ألا ترى أن سيبويه يرى أنه إذا قال لا غلام عندك ولا جارية فهو جواب من سأل فقال اغلام عندك ام جارية فالفتح أولى لأن النفي قد عم والمعنى عليه وحجة من رفع انه يعلم من الفحوى انه ليس المنفي رفثاً واحداً ولكنه جميع ضروبه وأن النفي قد يقع فيه الواحد موقع الجميع وإن لم يبين فيه الاسم مع لا نحو ما رجل في الدار

* اللغة *

الرفث اصله في اللغة الافحاش في النطق قال العجاج «عن اللغة ورفث التكلم» وقيل الرفث بالفتح الجعاج وباللسان المواعد للجعاج وبالعين العمز للجعاج والفسوق الخروج من الطاعة والجدال في اللغة والمجادلة والمنازعة والمشاورة والمخاصمة نظائر وجدات الحبل فتلته والجديل زمام البعير فيل بمعنى مفعول والمجدل القصر والجدال في الارض ذات الرمل الرقيق وغلام جادل إذا ترعرع واشتد والزاد الطعام الذي يتخذ لسفر والمزود وعاء يعمل فيه الزاد وكل من انتقل بخير من عمل أو كسب فقد تزود منه تزودا والاب العقل سمي بذلك لأنه افضل ما في الانسان وافضل كل شيء له

* الإعراب *

الحج مبتدأ واشهر خبره وتقديره أشهر الحج أشهر معلومات ليكون الثاني هو الاول في المعنى أو الحج حج أشهر معلومات فحذف المضاف أي لا حج إلا في هذه الأشهر فلا شهر على هذا متسع فيها مخرجة عن الظروف والمعنى على ذلك ألا ترى أن الحج في الأشهر وقد يجوز أن يجعل الحج الأشهر على الاتساع لكونه فيها واكثرته من الفاعلين له كما قالت الحنساء.

ترتع ما رعت حتى إذا ادكرت فانما هي إقبال وإدبار

جعلتها الإقبال والإدبار لكثرة ما رعت وقوله فلا رعت إذا فتحت فعلى البناء وقد تقدم بيانه فيما مضى وإذا رعت فعلى الابتداء ويكون في الحج خبراً لهذه المرفوعات وإذا فتحت ما قبل المرفوع وأثبت ما بعده مرفوعاً جاز أن يكون عطفاً على الموضع وجاز أن يكون بمعنى ليس كما في قوله

من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح

وما بعد الفاء في موضع الرفع لوقوعه موقع الفعل المضارع بعد الفاء والفاء مع ما بعده في محل الجزم أو في محل الرفع لأنه جواب شرط مبني

* المعنى *

(الحج) أي أشهر الحج (أشهر معلومات) أي أشهر موقنة معينة لا يجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم والتأخير اللذين كان يفعله النساء الذين أنزل فيهم إننا نسي زيادة في الكفر الآية وأشهر الحج عندنا شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة على ما روي عن أبي جعفر وبه قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم وقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة عن عطاء والربيع وطاوس وروي ذلك في أخبارنا وإنما صارت هذه أشهر الحج لأنه لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها بلا خلاف وعندنا لا يصح أيضاً الإحرام بالعرة التي يتستع بها إلى الحج إلا فيها ومن قال ان جميع ذي الحجة من أشهر الحج قال لأنه يصح أن يقع فيها بعض أفعال الحج مثل صوم الأيام الثلاثة وذبح الهدي ومتى قيل كيف سمي الشهرين وبعض الثالث أشهراً فجوابه أن الاثنين قد يقع عليه لفظ الجمع كما في قوله «ظهرها مثل ظهور الترسين» وايضاً فقد يضاف الفعل إلى الوقت وإن وقع في بعضه ويضاف الوقت إليه كذلك

تقول صليت صلاة يوم الجمعة وصلاة يوم العيد وإن كانت الصلاة في بعضه وقدم زيد يوم كذا وإن كان قدم في بعضه فكذلك جاز أن يقال في شهر الحج ذو الحجة وإن وقع الحج في بعضه (فن فرض فيهن الحج) معناه فمن أوجب على نفسه فيهن الحج أي فمن أحرم فيهن بالحج بلا خلاف أو بالعمرة التي يتتبع بها إلى الحج على مذهبنا (فلا رفث) كنى بالرفث عن الجماع هاهنا عند اصحابنا وهو قول ابن مسعود وقتادة وقيل هو مواعدة الجماع والتعريض للنساء به عن ابن عباس وابن عمر وعطاء وقيل هو الجماع والتعريض له بداعبة أو مواعدة عن الحسن (ولا فسوق) وروى اصحابنا انه الكذب وقيل هو معاصي الله كلها عن ابن عباس والحسن وقتادة وهذا أعم ويدخل فيه الكذب وقيل هو التنازع بالألقاب لقوله بنس الاسم الفسوق بعد الإيمان عن الضحاك وقيل هو السباب لقوله سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر عن ابراهيم ومجاهد وقال بعضهم لا يجوز أن يراد به هنا إلا مانهي المحرم عنه مما يكون حلاله إذا أحل لاختصاصه بالنهي عنه وهذا تخصيص للعموم بلا دليل وقد يقول القائل ينبغي لك أن تقيد لسانك في رمضان لتلافسد صومك وقد جاء في الحديث إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولا يكون يوم صومك كيوم فطارك فإنما خصه بذلك لعظم حرمة (ولا جدال في الحج) روى اصحابنا انه قول لا والله وبلى والله صادقا او كاذبا وللمفسرين فيه قولان (احدهما) انه المراد والباب والاضطراب على جهة المحك واللجاج عن ابن عباس وابن مسعود والحسن (والثاني) ان معناه لاجدال في ان الحج قد استدار في ذي الحجة لأنهم كانوا ينشئون الشهور فيقدمون ويؤخرون فربما اتفق في غيره عن مجاهد والسدي (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) معناه ما تفعلوا من خير يجازم الله العالم به لأن الله عالم بجميع المعلومات على كل حال إلا انه جعل يعلمه في موضع بجازه للمباينة في صفة العدل أي انه يعاملكم معاملة من يعلمه إذا ظهر منكم فيجازي بهو ذلك تأكيد أن الجزاء لا يكون إلا بالفعل دون ما يعلم انه يكون منهم قبل أن يفعلوه (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) قيل فيه قولان (احدهما) انه معناه ان قوما كانوا يرمون بأزوادهم ويتسبون بالمتوكلة فقيل لهم تزودوا من الطعام ولا تلقوا كلكم على الناس وخير الزاد مع ذلك التقوى عن الحسن وقتادة ومجاهد (والثاني) ان معناه تزودوا من الأعمال الصالحة (فإن خير الزاد التقوى) وذكر ذلك في اثنا افعال الحج لأنه أحق شيء بالاستكثار من أعمال البر فيه (واتقون) فيها أمرتكم به ونهيتمكم عنه (يا أولي الأبواب) يا ذوي العقول

قوله تعالى (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ مَرَقَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرِعِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (آية)

اللغة

الجناح الحرج في الدين وهو الميل عن الطريق المستقيم والابتغاء الطلب والافاضة مأخوذة من فيض الاناء. عن امتلانه فمعنى أفضتم دفعتهم من عرفات إلى المزدلفة عن اجتماع وكثرة ويقال أفاض القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه وأكثروا التصرف وأفاض الرجل اتاه إذا صب وأفاض الرجل بالقداح إذا ضرب بها لأنها تقع متفرقة قال ابو ذؤيب

وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

وأفاض البعير بجرته إذا رمى بها متفرقة كثيرة قال الراعي

وأفض بعد كظومهن بحجرة من ذي الأباطح اذرعين حقيلا

فالإفاضة في اللغة لا تكون إلا عن تفرق عن كثرة وعرفات اسم للبقعة المعروفة يجب الوقوف بها في الحج

من قبله أي من قبل الهدى وقيل من قبل محمد فتكون الماء كناية عن غير مذكور (لمن الضالين) عن النبوة والشريعة فهذاكم إليه

قوله تعالى (١٩٨) **ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة التغطية للذنب والفرق بين غفور وغافر ان في غفور مبالغة لكثرة المغفرة فاما غافر فيستحق الوصف به من وقع منه النفران والغفور هو المغفرة وقد فرق بينهما بأن الغفور ترك العقاب على الذنب والمغفرة تغطية الذنب بايجاب التوبة ولذلك كثرت المغفرة في صفات الله دون صفات العباد فلا يقال استغفر السلطان كما يقال استغفر الله

﴿ المعنى ﴾

(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) قيل فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ إن المراد به الإفاضة من عرفات وانه امر لتريش وحلفائها وهم الحرس لانهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة ولا يفيضون منها ويقولون نحن اهل حرم الله فلا نخرج منه وكانوا يقفون بالمزدلفة ويفيضون منها فامرهم الله بالوقوف بعرفة والإفاضة منها كما يفيض الناس والمراد بالناس سائر العرب عن ابن عباس وعائشة وعطاء ومجاهد والحسن وقتادة وهو المروي عن الباقين (ع) وقال الضحاك انه أمر لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض ابراهيم عن الضحاك قال ولما كان ابراهيم إماما كان بمنزلة الأمة فسماه وحده ناسا - (والثاني) - أن المراد به الإفاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر عن الجبائي قال والآية تدل عليه لانه قال فإذا افضتكم من عرفات ثم قال ثم أفيضوا فوجب ان يكون افاضة ثانية فدل ذلك على ان الافاضتين واجبتان والناس المراد به ابراهيم كما انه في قوله الذين قال لهم الناس نعمين بن مسعود الاشجعي وقيل إن الناس ابراهيم واسماعيل واسحاق ومن بعدهم من الأنبياء. عن أبي عبد الله وبما يسأل على الاول ان يقال إذا كان ثم للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا وقد روى أصحابنا في جوابه ان هاهنا تقدما وتأخيرا وتقديره (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا افضتكم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) وقيل أراد بالناس آدم عن سعيد بن جبير والزهري وقيل هم أهل اليمن وربيعة عن الكلبي وقيل هم العلماء الذين يعلمون الدين ويعلمونه الناس (واستغفروا الله) أي اطلبوا المغفرة منه بالتندم على ما سلف من المعاصي (إن الله غفور) أي كثير المغفرة (رحيم) واسع الرحمة

قوله تعالى (١٩٩) **فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْخُلُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

أصل القضاء فصل الأمر على احكام وقد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك وقد يفصل بأن يعمل على تمام كقوله فقضاهن سبع سموات وقد يفصل بالإخبار به على القطع كقوله وقضينا إلى بني اسرائيل وقد يفصل بالحكم كقضاء القاضي على وجه الإلزام والخلاق النصب من الخير واصله التقدير وهو النصب من الخير على وجه الاستحقاق وقيل انه من الخلق فهو نصيب مما يوجبه الخلق الكريم

﴿ الإعراب ﴾

أشد في موضع جر ولكنه لا ينصرف لأنه على وزن الفعل وهو صفة ويجوز أن يكون منصوبا على المصدر

على واذكروه (أشد ذكرا) وذكرنا منصوب على التمييز. في الآخرة الجار والمجرور يتعلق بما يتعلق به اللام في قوله له وله في موضع خبر للبتداء الذي هو من خلاق فإن من مزينة والجار والمجرور في موضع رفع بالابتداء ويجوز أن يكون في الآخرة في موضع نصب على الحال والعامل فيه ما في له من الفعل

﴿ المعنى ﴾

(فإذا قضيتهم مناسكتكم) معناه فإذا أدبتم مناسكتكم وقيل فإذا فرغتم من مناسكتكم والمناسك جمع المنسك والمنسك يجوز أن يكون موضع النسك ويجوز أن يكون مصدرا فإن كان موضعا فالمعنى فإذا قضيتهم ما وجب عليكم إيقاعه في متعباتكم وإن كان بمعنى المصدر فإنما جمع لأنه يشتمل على أفعال وأذكار فجاء جمعه كالأصوات أي فإذا قضيتهم أفعال الحج فاذكروا الله واختلف في الذكر على قولين - (أحدهما) - أن المراد به التكبير المختص بأيام منى لأنه الذكر المرغوب فيه المندوب إليه في هذه الأيام والآخرة المراد به سائر الأدمية في تلك المواطن لأن الدعاء فيها أفضل منه في غيرها (كذكركم آباءكم) معناه ما روي عن أبي جعفر الباقر (ع) أنهم كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك ويعدون مفاخر آباءهم ومآثرهم ويذكرون أيامهم القديمة وأيادهم الجليلة فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكرهم آباءهم في هذا الموضع (أو أشد ذكرا) أو يزيدوا على ذلك بأن يذكروا نعم الله ويعدوا آلامه ويشكروا نعمه لأن آباءهم وإن كانت لهم عليهم أياد ونعم فنعم الله عليهم أعظم وأياديه عندهم أفخم ولأنه المنعم بتلك المآثر والمفاخر على آباءهم وعليهم وهذا هو الوجه في تشبيهه هذا الذكر الواجب بذلك الذكر الذي هو دونه في الوجوب وهو قول الحسن وقتادة وقيل معناه واستغثوا بالله وافتزعوا إليه كما يفزع الصبي إلى أبيه في جميع أموره ويلجأ بذكره فيقول يا أبت عن عطا والاول أصح وقوله (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) بين سبحانه أن الناس في تلك المواطن أصناف فمنهم من يسأل نعيم الدنيا ولا يسأل نعيم الآخرة لأنه غير مؤمن بالبعث والنشور (وما له في الآخرة من خلاق) أي نصيب من الخير موفور

قوله تعالى (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين القول والكلام أن القول يدل على الحكاية وليس كذلك الكلام نحو قال الحمد لله فإذا أخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحق والحكاية على ثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ حكاية على اللفظ والمعنى نحو قال أتوني أفرغ عليه قطرا إذا حكاها من يعرف لفظه ومعناه وحكاية على اللفظ نحوها إذا حكاها من يعرف لفظه دون معناه وحكاية على المعنى نحو أن تقول نوحا بدل قوله قطرا والآيتاء الاعطاء وأصله الآتي بمعنى المجيء فأتى إذا كان من المجيء وأتى غيره حملة على المجيء فيقال أتاه ما يجب وأتى غيره ما يجب وق أصله من وقى يقى وقاية ووقا والوقا أصله الحجز بين الشئين والوقا الحاجز الذي يسلم به من الضرر

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه دعاء من سأله من أمور الدنيا في تلك المواطن الشريفة مالا يرتضيه عقبه بإيسأله المؤمنون فيها من الدعاء الذي يرغب فيه فقال (ومنهم من يقول ربنا آتنا) أي اعطنا (في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) وقنا عذاب النار أي نعيم الدنيا ونعيم الآخرة عن انس وقتادة وروي عن أبي عبد الله أنها السعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا ورضوان الله والجنة في الآخرة وقيل العلم والعبادة في الدنيا والجنة في الآخرة عن الحسن وقتادة وقيل

هي المال في الدنيا وفي الآخرة الجنة عن ابن زيد والسدي وقيل هي المرأة الصالحة في الدنيا وفي الآخرة الجنة عن علي (ع) وروي عن النبي (ص) انه قاله من أوتي قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه واخراه فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقتي عذاب النار

قوله تعالى (٢٠١) أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب (آية)

اللغة

النصيب الحظ وجمعه أنصبا. وأنصبة وحد النصيب الجزء الذي يختص به البعض من خير أو شر والكسب الفعل الذي يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر والسريع من العمل هو القصير المدة يقال سرع سرعة وسرعا فهو سريع واقبل فلان في سرعان قومه أي في أوائلهم السريعين والحساب مصدر كالمحاسبة

المعنى

(أولئك لهم نصيب مما كسبوا) أي حظ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه (والله سريع الحساب) ذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وأن وقت الجزاء قريب ويجري مجراه قوله وما امر الساعة إلا كلمح البصر وهو اقرب وعبر عن الجزاء بالحساب لأن الجزاء ككفاة للعمل وبمقداره فهو حساب له يقال احسبني الشيء كفايا ﴿ وثانيها ﴾ أن يكون المراد به انه يحاسب اهل الموقف في أوقات يسيرة لا يشغله حساب احد عن حساب غيره كما لا يشغله شأن عن شأن وورد في الخبر انه تعالى يحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر وروي بقدر حلب شاة وهذا أحد ما يدل على أنه ليس بجسم وانه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آلة لأنه لو كان كذلك لما جاز ان يخاطب اثنين في وقت واحد بخاطبتين مختلفتين وكان يشغله خطاب بعض الخلق عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على اعمالهم طويلة وروي عن امير المؤمنين (ع) انه قال معناه انه يحاسب الخلق دفعة كما يبرزهم دفعة ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه أنه تعالى سريع القبول لدعاء هؤلاء والواجابة لهم من غير احتباس فيه وبحث عن المقدار الذي يستحقه كل داع كما يحبس المخلوقون للاحصاء والاحتساب ويقرب فيه ما روي عن ابن عباس انه قال يريد انه لا حساب على هؤلاء وإنما يعطون كسبهم بأيمانهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت بها عنكم وهذه حسناتكم قد ضعتها لكم

قوله تعالى (٢٠٢) واذكروا الله في أيام معدودات فمن تجلّ في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون (آية)

اللغة

المعدودات تستعمل كثيرا في اللغة للشيء القليل وكل عدد قل أو كثر فهو معدود ولكن معدودات ادل على القلة لأن كل قليل يجمع بالأنف والتاء والحشر جمع القوم من كل ناحية الى مكان والمحشر المكان الذي يحشرون فيه وحشرتهم البينة إذا أجهت بهم لانها تضهم من النواحي الى المصير وسهم حشر خفيف لطيف لأنه ضامر باجماعه وأذن حشرة لطيفة وضامرة وحشرات الارض دوابها الصغار لاجتماعها من كل ناحية فأصل الباب الاجتماع

الإعراب

العامل في اللام من قوله (لمن اتقى) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ أن تقديره ذلك (لمن اتقى) فيكون الجار والمجرور في موضع خبر المبتدأ وإنما حذف ذلك لأن الكلام الأول دل على وعد للعامل ﴿ والثاني ﴾ ان يكون العامل فيه معنى لا إثم عليه لأنه قد تضمن معنى جعلناه لمن اتقى

﴿ المعنى ﴾

(واذكروا الله في أيام معدودات) هذا أمر من الله للكافرين ان يذكروه في أيام معدودات وهي أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النحر والأيام المعلومات عشر ذي الحجة عن ابن عباس والحسن وأكثر أهل العلم وهو للروى عن ائمتنا وذكر الفراء ان المعلومات أيام التشريق والمعدودات العشر والذكر المأمور به هو ان تقول عقيب خمس عشرة صلوات الله اكبر لا إله إلا الله والله اكبر الله اكبر والله الحمد لله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا والله اكبر على ما رزقناه من بهيمة الانعام واول التكبير عندنا عقيب الظهر من يوم النحر وآخره عقيب صلاة النحر من اليوم الرابع من النحر هذا لمن كان بنى ومن كان بغير منى من الامصار يكبر عقيب عشر صلوات اولها صلاة الظهر من يوم النحر ايضا هذا هو المروي عن الصادق عليه السلام وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء ووافقنا في ابتداء التكبير من صلاة الظهر من يوم النحر ابن عباس وابن عمر قوله (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه) المعنى في ذلك الرخصة في جواز النحر في اليوم الثاني من أيام التشريق والافضل ان يقيم إلى النحر الأخير وهو الثالث من التشريق وإذا نحر في الأول نحر بعد الزوال إلى غروب الشمس فإن غربت فليس له ان ينحر إلى اليوم الثالث وقوله فلا إثم عليه فيه قولان - (احدها) - ان معناه لا إثم عليه لأن نسيته صادرة مكفرة بما كان من حجه المبرور وهو قول ابن مسعود - (والثاني) - ان معناه لا إثم عليه في التعجيل والتأخير وإنما نفى الإثم لثلاثتهم متوهم ان في التعجيل إثما وإنما قال فلا إثم عليه في التأخير على جهة المزوجة كما يقال ان اعلنت الصدقة فحسن وان اسرت فحسن وان كان الاسرار احسن وافضل عن الحسن وقوله لمن اتقى فيه قولان - (احدها) - ان الحج يقع مبرورا مكفرا للسينات اذا اتقى ما نهى الله عنه والآخر ما رواه أصحابنا أن قوله لمن اتقى متعلق بالتعجيل في اليومين وتقديره فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه لمن اتقى الصيد إلى انقضاء النحر الأخير وما بقي من احرامه ومن لم يتقها فلا يجوز النحر في الأول وهو المروي عن ابن عباس واختاره الفراء وقد روي أيضا عن أبي عبد الله في قوله فمن تعجل في يومين اي من مات في هذين اليومين فقد كفر عنه كل ذنب ومن تأخر اي من أجله فلا إثم عليه إذا اتقى الكبائر وقوله (واتقوا الله) اي اجتنبوا معاصي الله (واعلموا انكم اليه تحشرون) اي تحققوا انكم بعد موتكم تجمعون إلى الموضع الذي يحكم الله فيه بينكم ويجازيكم على اعمالكم

قوله تعالى (٢٠٣) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجَبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ الدُّخَانُ الْحَصَامُ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَوَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَانْتَسَلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

الاعجاب هو سرور المعجب بما يستحسن ومنه العجب بالنفس وهو سرور المعجب من الشيء استحسانا له وذلك إذا تعجب من شدة حسنه تقول عجب وتعجب وعجبه غيره واعجبه واستعجب الرجل إذا اشتد تعجبه قال الازهري المعجب كل شيء غير مألوف والالذ الشديد المحصومة تقول لد يلد لدودا ولده يلدو إذا غلبه في المحصومة ولد الدواء في حلقه إذا أوجره في احد شقي فمه والالذيدان جانبوا الوادي ولديدا كل شيء جانباه والتلذد التلقت من تحير والحصام قيل انه جمع الحصم عن الزجاج وفعل إذا كان صفة فإنه يجمع على فعال نحو صعب وصعاب وإذا كان اسما فإنه يجمع في القلة على افعال وفي الكثرة على فعال كفرخ وفراخ وقيل الحصام مصدر كالمخاصمة عن الخليل والتولي هو الانحراف والزوال عن الشيء إلى خلاف جهته وقوله سعى قد يكون بمعنى عمل وقد

يكون بمعنى اسرع قال الأعشى

وَسَمِي لَكِنْدَةً سَمِي غَيْرَ مَوَاكِلِ قَيْسٍ فَضَرَ عَدُوَهَا وَبَنَى لَهَا

أي عمل لكندة والإفساد هو عمل الضرر بغير استحقاق ولا وجه من وجوه المصلحة والاهلاك العمل الذي ينفي الانتفاع والحراث الزرع (والنسل) العقب من الولد وقال الضحاك الحراث كل نبات (والنسل) كل ذات روح ويقال نسل ينسل نسلًا إذا خرج فسقط ومنه نسل وبر البعير أو ريش الطائر والناس نسل آدم لخروجهم من ظهره واصل باب النسل الخروج

الإعراب

ليفسد نصب باضمار ان ويجوز اظهارها بأن يقال لأن يفسد فيها ولا يجوز اظهار ان في قوله لينذر من (وما كان الله لينذر المؤمنين) والفرق بينهما ان اللام في ليفسد على اصل الاضافة في الكلام والسلام في لينذر لتأكيد النفي كما دخلت الباء في ليس زيد بقائم

التزول

قال ابن عباس نزلت الآيات الثلاثة في المرائي لانه يظهر خلاف ما يبطن وهو المروي عن الصادق (ع) الا أنه غير المعني به وقال الحسن نزلت في المنافقين وقال السدي نزلت في الأخنس بن شريق وكان يظهر الجليل بالنبي والمجبة له والرغبة في دينه ويبطن خلاف ذلك

المعنى

ثم بين سبحانه حال المنافقين بعد ذكره احوال المؤمنين والكافرين فقال (ومن الناس من يعجبك قوله) أي تستحسن كلامه بما حمد ويعظم موقعه من قلبك (في الحياة الدنيا) أي يقول آمنت بك وأنا صاحب لك ونحو ذلك (ويشهد الله على ما في قلبه) أي يحلف بالله ويشهد على انه مضمرة ما يقول فيقول اللهم اشهد علي به وضميره على خلافه وهو الدخام) أي وهو أشد المخاضين خصومة ومن قال ان الحصام مصدر فمعناه وهو شديد الخصومة عند المخاضة جدل مبطل (وإذا تولى) أي أعرض عن الحسن وقيل معناه ملك الأمر وصار واليا عن الضحاك ومعناه إذا ولي سلطانا جار وقيل ولي عن قوله الذي اعطاه عن ابن جريج (سعى في الأرض) أي اسرع في المشي من عندك وقيل عمل في الأرض (ليفسد فيها) قيل ليقطع الرحم ويسفك الدماء عن ابن جريج وقيل ليظهر الفساد ويعمل المعاصي (ويهلك الحراث والنسل) أي النبات والاولاد وذكر الأزهرى ان الحراث النساء والنسل الاولاد لقوله نساؤكم حراث لكم وروي عن الصادق (ع) ان الحراث في هذا الموضع الدين والنسل الناس (والله لا يحب الفساد) أي العمل بالفساد وقيل اهل الفساد وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة إن الله تعالى يريد القبائح لأنه تعالى نفى عن نفسه محبة الفساد والمحبة هي الإرادة لأن كل ما يحب الله ان يكون فقد اراد ان يكون وما لا يحب ان يكون لا يريد ان يكون قوله تعالى (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمُ وَكَأَنَّهُمْ كَالْمُهَادِ (آية)

اللغة

الاتقاء طلب السلامة بما يحجز عن المخافة واتقاء الله إنها هو اتقاء عذابه والاختذ ضد الاعطاء والعزة القوة التي تمتنع بها عن الذلة والمهاد الوطاء من كل شيء وكل شيء وطنته فقد مهدته والأرض مهاد لأجل توطنته للنوم والقيام عليه

المعنى

ثم بين تعالى صفة من تقدم من المنافقين فقال (وإذا قيل له اتق الله) أي وإذا قيل لهذا المنافق اتق الله فيما

نهاك عنه من السعي في الارض بالفساد واهلاك الحرث والنسل (اخذته العزة بالاثم) قيل في معناه قولان (احدهما) حملته العزة وحسية الجاهلية على فعل الاثم ودعته اليه كما يقال اخذته بكذا اي الزمته ذلك واخذته الحمى اي لزمته - (والثاني) - اخذته العزة من اجل الاثم الذي في قلبه من الكفر عن الحسن (فحسبه جهنم) اي فكفاه عقوبة من اضلاله ان يصلي نار جهنم (ولبئس المهاد) اي القرار عن الحسن كما قال في موضع آخر وبئس القرار لان القرار كالوطاء في الثبوت عليه وقيل انما سميت جهنم مهاداً لأنها بدل من المهاد كما قال سبحانه فبشره بعباد اليم لأنه موضع البشري بالنعيم على جهة البدل منه وفي هذه الآية دلالة على ان من تكبر عن قبول الحق اذا دعي اليه كان مرتكباً اعظم كبيرة ولذلك قال ابن مسعود ان من الذنوب التي لا تغفر ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك

قوله تعالى (٢٠٦) وَمَنْ الْاَسِ مِنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ رُوُوفٌ بِالْءِءَادِ (آية)

❖ اللغة ❖

الشراء من الاضداد يقال شري إذا باع وشري اذا اشترى وقوله (وشروه بئس بئس دراهم معدودة) اي باعوه والرضا ضد السخط وقد تقدم معنى الرووف

❖ الإعراب ❖

ابتغاء نصب لأنه مفعول له كقول الشاعر

واغفر عوداء الكريم ادخاره
واعرض عن قول اللئيم نكرما

❖ النزول ❖

روى السدي عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب حين هرب النبي (ص) عن المشركين الى الغار ونام علي (ع) على فراش النبي (ص) ونزلت الآية بين مكة والمدينة وروي انه لما نام على فراشه قام جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرائيل ينادي بنبيخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة وقال عكرمة نزلت في ابي ذر الغفاري جندب بن السكن وصهيب بن سنان لأن اهل ابي ذر اخذوا ابا ذر فانفلت منهم فقدم على النبي (ص) فلما رجع مهاجراً عرضوا عنه فانفلت حتى نزل على النبي (ص) وأما صهيب فإنه اخذه المشركون من اهله فاقتدى منهم بهاله ثم خرج مهاجراً وروي عن علي وابن عباس ان المراد بالآية الرجل الذي يقتل على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تنادة نزلت في المهاجرين والأنصار وقال الحسن هي عامة في كل مجاهد في سبيل الله

❖ المعنى ❖

ثم عاد سبحانه الى وصف المؤمن الأمر بالمعروف في قوله وإذا قيل له اتق الله لأن هذا القائل أمر بالخير والمعروف فقال (ومن الناس من يشري) اي يبيع نفسه (ابتغاء مرضاة الله) اي لابتغاء رضا الله وانما اطلق عليه اسم البيع لأنه إنما فعل ما فعل لطلب رضا الله كما ان البائع يطلب الثمن بالبيع والله روف بالعبادي واسع الرحمة بعبيده ينيلهم ما حاولوه من مرضاته وثوابه

قوله تعالى (٢٠٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الحجاز والكسائي في (السلم كافة) بفتح السين والباقون بكسرها

﴿ الحجة ﴾

قال الاخفش السلم بكسر السين الصلح وفيه ثلاث لغات السلم السلم والسلم وانشد

انائل انني سلم لاهلك فاقبلي سلمي

قال ابو عبيدة السلم بكسر السين والاسلام واحد وهو في موضع آخر المسألة والصلح والسلم الاستسلام ومنه قوله تعالى ورجلا سلما لرجل اي مستسلما له منقاداً لما يريد منه فيكون مصدرا وصف به ويحتمل ايضا ان يكون فعلا بمعنى فاعل مثل بطل وحسن ونظيره يابس ويبس وواسط ووسط

﴿ اللغة ﴾

(كافة) معناه جميعاً واشتقاقه في اللغة مما يكف الشيء في آخره ومن ذلك كفة القميص لحاشيته لأنها تمنعه من ان ينتشر وكل مستطيل فحرفه كفة ويقال في كل مستدير كفة نحو كفة الميزان واستكف السائل وتكفف اذا بسط كفه للسؤال وكل شيء جمعه فقد كففته واستكف القوم بالشيء اذا احدقوا به

﴿ الإعراب ﴾

كافة منصوب على الحال من الراو في ادخلوا وقيل هو حال من السلم ولكم يتعلق بمحذوف فهو في موضع

﴿ المعنى ﴾

نصب على الحال من عدو

لما قدم تعالى ذكر الفرق الثلاث من العباد دعاء جميعهم إلى الطاعة والانقياد فقال (يا أيها الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله و (ادخلوا في السلم) اي في الاسلام اي دوموا فيما دخلتم فيه كقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله وبرسوله عن ابن عباس والسدي والضحاك ومجاهد وقيل معناه ادخلوا في السلم في الطاعة عن الربيع وهو اختيار البلخي والكلام محتمل للامرين وحملها على الطاعة اعم ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من ان المراد به الدخول في الولاية (كافة) اي جميعا اي ادخلوا جميعا في الاسلام والطاعة والاستسلام وقيل معناه ادخلوا في السلم كله اي في جميع شرائع الاسلام ولا تتركوا بعضه معصية ويؤيد هذا القول ما روي ان قوم من اليهود اسلموا وسألوا النبي أن يبقي عليهم تحريم السبت وتحريم لحم الاوبل فأمرهم أن يلتزموا جميع احكام الاسلام (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره ونزغاته لأن ترككم شيئا من شرائع الاسلام اتباع للشيطان (إنه لكم عدو مبين) اي مظهر للعداوة بامتناعه من السجود لآدم بقوله لأحتكن ذريته إلا قليلا

قوله تعالى (٢٠٨) فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

يقال زل الرجل يزل زلا وزلا ومزلة إذا اذنب وزل في الطريق زليلا واصله من الزوال ومعنى الزلة الزوال عن الاستقامة والعزيم هو التدبير المنيع الذي لا يعجزه شيء واصل العزيم الامتناع ومنه ارض عزاز إذا كانت مستنعة بالشدة وقد ذكرنا معنى الحكيم فيما سبق

﴿ الإعراب ﴾

ما حرف موصول وجاءتكم صلته واعلموا جملة في موضع الرفع لأنها بعد الفاء في جواب الشرط والفاء مع الجملة في محل الجزم او محل الرفع لأنه جواب شرط مبني

المعنى

لما أمر سبحانه عباده بالطاعة وعقبه بالوعيد على تركها قال (فإن زلتم) أي تنحيتم عن التقصد وعدلتم عن الطريق القويم الذي أمركم الله تعالى بسلكه (من بعد ما جاءكم اليقينات) أي الحجج والمعجزات (فاعلموا إن الله عزيز) في تقمته لا يمتنع شيء من بطشه وعقوبته (حكيم) فيما شرع من أحكام دينه لكم وفيما يفعل بكم من العقاب على معاصيكم بعد إقامة الحجة عليكم

قوله تعالى (٢٠٩) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِي الْأُمُورُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (آية)

القراءة

قرأ أبو جعفر والملائكة بالجر والباقون بالرفع وقرأ ابن عامر والكسائي وحمزة (ترجع الأمور) بفتح التاء والباقون بضمها

الحجة

من قرأ والملائكة بالجر فإنه عطفاً على الغمام أي في ظلل من الغمام وفي ظلل من الملائكة أي جماعة من الملائكة وقراءة السبع بالرفع عطفاً على قوله الله أي إلا أن يأتيهم الله وإلا أن يأتيهم الملائكة وحجة من قرأ (ترجع الأمور) على بناء الفعل للمفعول به قوله ثم رددوا إلى الله ولئن رددت إلى ربي ولئن رجعت إلى ربي وحجة من قرأ ترجع على بناء الفعل للفاعل قوله ألا إلى الله تصير الأمور إليه مرجعكم

اللغة

النظر هنا بمعنى الانتظار كما في قول الشاعر

فبينا نحن ننظره أبانا معلق شكوة وزناد راع

أي ننظره وأصل النظر الطلب لأدراك الشيء وإذا استعمل بمعنى الانتظار فلأن المنتظراً يطلب إدراك ما يتوقع وإذا كان بمعنى الفكر بالقلب فلأن المتفكر يطلب به المعرفة وإذا كان بالعين فلأن الناظر يطلب الرؤية والنظر جمع ظلة وهي ما يستظل به من الشمس وسمي السحاب ظلة لأنه يستظل به والغمام السحاب الأبيض الرقيق سمي بذلك لأنه يغم أي يستر

الإعراب

هل حرف استفهام بمعنى النفي. إلاها هنا لنقض النفي. أن يأتيهم الله في موضع نصب ينظرون. من الغمام يتعلق بحذوف فهو جملة ظرفية في موضع الجر صفة ظلل

المعنى

ثم عقب سبحانه ما تقدم من الوعيد بوعيد آخر فقال (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) أي هل ينظرون هؤلاء المكذبون بآيات الله إلا أن يأتيهم أمر الله أو عذاب الله وما توعدهم به على معصيته في شر من السحاب وقيل قطع من السحاب وهذا كما يقال قتل الأمير فلانا وضربه وأعطاه وإن لم يتول شيئاً من ذلك بنفسه بل فعل بأمره فأسند إليه لأمره به وقيل معناه ما ينتظرون إلا أن يأتيهم جلائل آيات الله غير أنه ذكر نفسه تفخياً للآيات كما يقال دخل الأمير البلد ويراد بذلك جنده وإنما ذكر الغمام ليكون أهول فإن الأهرال تشبه بظلال الغمام كما قال سبحانه وإذا غشيهم موج كالثقل وقال الزجاج معناه يأتيهم الله بما وعدهم

من العذاب والحساب كما قال فاتهم الله من حيث لم يحتسبوا اي اتاهم بجدلاته إياهم وهذه الأقوال متقاربة المعنى بل المعنى في الجميع واحد اي هل ينتظرون إلا يوم القيامة وهو استفهام يراد به التني والانتكار اي ما ينتظرون كما يقال هل يطلب بطل هذا إلا تمتعت اي ما يطالب ومثله في التنزيل هل ينظرون إلا أن يأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك وقد يقال أتى وجاء فيا لا يجوز عليه المجيء والذهاب تقول أتاني وعيد فلان وجاءني كلام فلان وأتاني حديثه ولا يراد به الا تيان الحقيقي قال

أتاني فلم أسرر به حين جاءني
حديث بأعلى القبتين عجيب
وقال الآخر

أتاني نصرهم وهم بعيد بلادهم بأرض الخيزران

واما قوله (والملائكة) فقد ذكرنا الوجه في رفعه وجره قبل وقيل معنى الآية إلا أن يأتيهم الله بظلم من التهام اي ببلائل آياته وبالملائكة وقوله (وقضي الأمر) معناه فرغ من الأمر وهو المحاسبة وانزال اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار هذا في الآخرة وقيل معناه وجب العذاب اي عذاب الاستئصال وهذا في الدنيا (وإلى الله ترجع الأمور) اي اليه ترد الأمور في سؤاله عنها ومجازاته عليها وكانت الأمور كلها له في الابتداء. فملك بعضها في الدنيا غيره ثم يصير كلها اليه في الحشر لا يملك احد هناك شيئا وقيل اليه ترجع أمور الدنيا والآخرة قوله تعالى (٢١٠) سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب (آية)

الإعراب

كم في موضع نصب لأنه مفعول ثان لاتينا وإنما وجب له صدر الكلام لتضمنه معنى الاستفهام ثم ان هذه الجملة التي هي (كم آتيناهم من آية) قد وقعت موقع المفعول الثاني لقوله سل من آية يتعلق بآتيناهم ايضا وما حرف موصول جاءت صلة والموصول والصلة في موضع جر بلوضافة بعد اليه

المعنى

(سل) يا محمد (بني إسرائيل) اي اولاد يعقوب وهم اليهود الذين كانوا حول المدينة والمراد به علوهم وهو سؤال تقرير لتأكيد الحجة عليهم (كم آتيناهم) اي اعطيناهم (من آية بينة) من حجة ظاهرة واضحة مثل اليد البيضاء وقلب العصا وخلق البحر وتظليل التمام عليهم وإنزال المن والسلوى عن الحسن ومجاهد وقيل كم من حجة واضحة لمحمد تدل على صدقه عن الجبائي (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) في الكلام حذف وتقديره فبدلوا نعمة الله وكفروا بآياته وخالفوه فضلوا وأضلوا ومن يبدل الشكر عليها بالكفران وقيل من يصرف أدلة الله عن وجوها بالتأويلات الفاسدة الخالية من البرهان (فإن الله شديد العقاب) له وقيل شديد العقاب لمن عصاه فيدخل فيه هذا المذكور وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة في انه ليس لله سبحانه على الكافرين نعمة لأنه حكم عليهم بتبديل نعم الله كما قال في موضع آخر يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ونحو ذلك من وجه آخر وهو انه اضاف التبديل اليهم واوعدهم عليه بالعقوبة فلو لم يكن فعلهم لما استحقوا العقوبة. والتبديل هو أن يحرف او يكتم او يتأول على خلاف جهته كما فعلوه في التوراة والانجيل وكما فعلوه مبتدعة الأمة في القرآن

النظم

لما بين الله تعالى شرائعه وان الناس فيها ثلاث فرق مؤمن وكافر ومتناق ثم وعد واوعد بين بعد ذلك أن تركهم الايمان ليس بتصوير في الحجاج ولكن لسوء طباعهم ونخب أفعالهم فقد فعلوا قبلك يا محمد هذا الصنيع فقال

(سل بني إسرائيل)

قوله تعالى (٢١١) زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (آية)

* اللغة *

الزئين والتحصين واحد والزين خلاف الشين والزينة اسم جامع لكل ما يتزين به

* الإعراب *

الدنيا صفة الحياة بغير حساب الجار والمجرور في محل نصب على الحذف والعامل فيه يرزق وذو الحال الضمير
في يرزق او الموصول الذي هو من يشاء وتقديره غير محاسب او غير محاسب

* النزول *

نزلت الآية في ابي جهل وغيره من رؤساء قريش بسطت لهم الدنيا وكانوا يسخرون من قوم من المؤمنين
فقرأ مثل عبد الله بن مسعود وعمار وبلال وخباب ويقولون لو كان محمد نبيا لاتبعه اشرافنا عن ابن عباس وقيل
نزلت في عبد الله بن أبي واصحابه يسخرون من ضعفاء المؤمنين عن مقاتل وقيل نزلت في رؤساء اليهود من بني
قريظة والتضير وتينقاع سخروا من قراء المهاجرين عن عطاء ولا مانع من نزوله في جميعهم

* المعنى *

ثم بين سبحانه ان عدوهم عن الايمان انما هو لا يثارهم الحياة الدنيا فقال (زين للذين كفروا الحياة الدنيا)
وفيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان الشيطان زينها لهم بأن قوى دواعيهم وحسن فعل القبيح والاخلال بالواجب
اليهم فلما الله فلا يجوز أن يكون المزين لهم إياها لأنه زهد فيها وقال واعلم انها متاع التورور وقال قل متاع
الدنيا قليل من الحسن والجبائي ﴿ والآخر ﴾ ان الله زينها لهم بأن خلق فيها الأشياء المحبوبة المعجبة وبما
خلق لهم من الشهوة لها كما قال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير الايقو انما كان كذلك لأن
التكليف لا يتم إلا مع الشهوة فالإنسان انما يكلف بأن يدعى إلى شيء تنفر نفسه عنه او يزجر عن شيء
تنوق نفسه اليه وهذا معنى قول النبي (ص) حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وانما ذكر الفعل وهو مستند
إلى الحياة لأن تأنيت الحياة غير حقيقي وهو بمعنى العيش والبقاء ونحوهما ولأنه فصل بين الفعل والفعل بقوله
(للذين كفروا) وإذا قالوا في الفعل الحقيقي حضر القاضي اليوم امرأة وجوزوا التذكير فيه فهو في التأنيت
غير الحقيقي اجوز (ويسخرون من الذين آمنوا) وبهزون من المؤمنين لفقرهم وقيل لايمانهم بالبعث وجاهد
في ذلك وقيل لزهدهم في الدنيا ويمكن حمله على الجميع إذ لا تنافي بين هذه الأقوال (والذين اتقوا فوقهم
يوم القيامة) اي الذين اجتنبوا الكفر فوق الكفار في الدرجات وقيل اراد أن تمنعهم بنعيم الآخرة اكثر من
استمتاع هولاء في الآخرة بنعيم الدنيا وقيل اراد ان حالهم فوق هولاء الكفار لأنهم في عيلين وهولاء في سجين
وهذا كقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ومثله قول حسان يعني رسول الله و ابا جهل (فشر كما لخير كما
القداء) وقيل انه اراد ان حال المؤمنين في الهزء بالكفار والضحك منهم في الآخرة حال فوق هولاء في الدنيا ويدل على
ذلك قوله تعالى إن الذين اجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون إلى قوله فالنوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه يطعمهم الكثير
الواسع الذي لا يدخله الحساب من كثرته ﴿ وثانيها ﴾ انه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابلة اعمالهم
وإيمانهم وكفرهم فلا يدل بسط الرزق للكافر على منزلته عند الله وإن قلنا ان المراد به في الآخرة نعمته

ان الله لا يثيب المؤمنين في الآخرة على قدر اعمالهم التي سلفت منهم بل يزيدهم تفضلا ﴿ وثالثها ﴾ انه يعطيه عطاؤه لا يواخذة بذلك أحد ولا يسأله عنه سائل ولا يطلب عليه جزاء. ولا مكافاة ﴿ ورابعها ﴾ انه يعطي العدد من الشيء لا يضبط بالحساب ولا يأتي عليه العدد لأن ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطي الشيء لا من عدد أكثر منه فينقص منه كمن يعطي الألف من الألفين والشرة من المائة عن قطرب ﴿ وخامسا ﴾ ان معناه يعطي اهل الجنة ما لا يتناهى ولا يأتي عليه الحساب وكل هذه الوجوه جائز حسن

قوله تعالى (٢١٢) كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلف فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر القاري وحده ليحكم بضم اليا. وفتح الكاف والباقون بفتح اليا. وضم الكاف

﴿ المجعة ﴾

وجه القراءة الظاهرة ان الكتاب يحكم ويكون على التوسع كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ويحوز ان يكون فاعل يحكم الله اي يحكم الله في عباده ووجه قراءة ابي جعفر ظاهر

﴿ اللغة ﴾

الامة على وجوه ذكرناها عند قوله تلك امة قد خلت وهي هنا بمعنى الملة والدين

﴿ الإعراب ﴾

(مبشرين ومنذرين) نصب على الحال بالحق في موضع الحال والعامل فيه انزل واذو الحال الكتاب (ليحكم) جار ومجرور واللام يتعلق بأنزل و (بغيا بينهم) نصب على انهم مفعول له اي لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغي ويحوز ان يكون مصدرا وقع موقع الحال (وما) اسم موصول و (اختلفوا) صلته واللام يتعلق بهدي ومن الحق في موضع الحال من الموصول والعامل فيه هدى والبا. في بإذنه يتعلق بهدي ايضا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه احوال من تقدم من الكفار تسلية للنبي فقال (كان الناس أمة واحدة) اي ذوي أمة واحدة اي اهل ملة واحدة وعلى حين واحد فحذف المضاف واختلف في انهم على اي دين كانوا فقال قوم انهم كانوا على الكفر وهو المروي عن ابن عباس في إحدى الروايتين والحسن واختاره الجبائي ثم اختلفوا في اي وقت كانوا كفارا فقال الحسن كانوا كفارا بين آدم ونوح وقال بعضهم كانوا كفارا بعد نوح إلى ان بعث الله ابراهيم والنبيين بعده وقال بعضهم كانوا كفارا عند مبعث كل نبي وهذا غير صحيح لأن الله بعث كثيرا من الأنبياء إلى المؤمنين فإن قيل كيف يجوز ان يكون الناس كلهم كفارا والله تعالى لا يجوز ان يخفى الارض من حجة له على خلقه قلنا يجوز ان يكون الحق هناك في واحد او جماعة قليلة لم يمكنهم اظهار الدين خوفا وتقية فلم يعتد بهم إذا كانت الغلبة للكفار وقال آخرون انهم كانوا على الحق وهو المروي عن قتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن عباس في الرواية الأخرى ثم اختلفوا فقال ابن عباس وقاتدة هم كانوا بين آدم ونوح وهم بشر ففرق كانوا على شريعة من الحق فاختلوا بعد ذلك وقال الراقي والكلبي هم اهل سفينة نوح حين غرق الله

الحلق تم اختلفوا بعد ذلك فالتقدير على قول هؤلاء. كان الناس أمة واحدة فاختلوا (بعث الله النبيين) وقال مجاهد المراد به آدم كان على الحق إماماً لذريته بعث الله النبيين في ولده وروى أصحابنا عن أبي جعفر الباقر (ع) انه قال كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلالاً بعث الله النبيين وعلى هذا فالمعنى انهم كانوا متعبدين بما في عقولهم غير مهتدين الى نبوة ولا شريعة تم بعث الله النبيين بالشرائع لما علم ان مصالحهم فيها بعث الله ابي ارسل الله النبيين (مبشرين) لمن اطاعهم بالجنة (ومنذرين) لمن عصاهم بالنار (وانزل معهم الكتاب) اي انزل مع كل واحد منهم الكتاب وقيل معناه وانزل مع بعثهم الكتاب إذ الانبياء لم يكونوا منزليين حتى ينزل الكتاب معهم واراد به مع بعضهم لأنه لم ينزل مع كل نبي كتاب وقيل المراد به الكتب لأن الكتاب اسم جنس فعناه أجمع قوله (بالحق) اي بالصدق والعدل وقيل معناه وانزل الكتاب بأنه حق وانه من عند الله وقيل معناه وانزل الكتاب بما فيه من بيان الحق وقوله (ليحكم بين الناس) الضمير في يحكمم يرجع إلى الله اي ليحكم الله منزل الكتاب وقيل يرجع إلى الكتاب اي ليحكم الكتاب فأضاف الحكم إلى الكتاب وان كان الله هو الذي يحكمم على جهة التفضيم لأمر الكتاب (فيا اختلفوا فيه) من الحق قبل انزال الكتاب ومتى سئل عن هذا فقيل إذا كانوا مختلفين في الحق فكيف عمهم الكفر في قول من قال انهم كانوا كلهم كفاراً لجوابه انه لا يستنع ان يكونوا كفاراً وبعضهم يكفر من جهة الغلو وبعضهم يكفر من جهة التقصير كما كفر اليهود والنصارى في المسيح فقالت النصارى هو رب وقالت اليهود هو كاذب وقوله (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه) معناه وما اختلف في الحق إلا الذين أعطوا العلم به كاليهود فإنهم كتبوا صفة النبي بعدما أعطوا العلم به (من بعد ما جاءتهم البينات) اي الأدلة والحجج الواضحة وقيل التوراة والانجيل وقيل معجزات محمد (بغيا بينهم) اي ظاهراً وحسداً وطلباً للرئاسة وقوله (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) معناه فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه بعلمه والإذن بمعنى العلم مشهور في اللغة قال الحارث بن حلزة «اذنقتنا بينها اسما» اي اعلمتنا وإنما خص المؤمنين لأنهم اختصوا بالاهتداء وقيل ان معنى بإذنه بلطفه فعلى هذا يكون في الكلام محذوف اي فاهدوا بإذنه وإنما قال هداهم لما اختلفوا فيه من الحق ولم يقل هداهم للحق ذمياً اختلفوا فيه لأنه لما كانت العناية بذكر الاختلاف كان أولى بالتقديم فقدمه ثم فسره بمن (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) فيه أقوال ﴿أحدها﴾ ان المراد به البيان والدلالة والصراط المستقيم هو الإسلام وخص به المكلفين دون غيرهم بمن لا يحتمل التكليف عن الجبائي ﴿وثانيها﴾ ان المراد به يهديهم باللطف فيكون خاصاً بمن علم مسن حاله انه يصلح به عن البلخي وابن الأخشيد ﴿وثالثها﴾ ان المراد به يهديهم إلى صراط الجنة ويأخذ بهم على طريقها فتكون مخصوصاً بالمؤمنين

قوله تعالى (٢١٣) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلو من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب (آية)

﴿ القراة ﴾

قرأ نافع وحده حتى يقول بالرفع والباقون بالنصب

﴿ الحجة ﴾

من نصب فالمعنى وزلزلوا إلى أن قال الرسول وما ينصب بمدحى جاء من الافعال على ضربين ﴿أحدهما﴾ أن يكون بمعنى إلى كما في الآية والآخر أن يكون بمعنى كي كما تقول أسلمت حتى أدخل الجنة فهذا

تقديره أسلمت كمي ادخل الجنة فالإسلام قد كان والدخول لم يكن وفي الوجه الأول كلا الفعلين السبب والمسبب قد مضى واما من قرأ بالرفع فالفعل الواقع بعد حتى لا يكون إلا فعل حال ويجيء أيضا على ضربين (احدهما) أن يكون الفعل الأول الذي هو السبب قد مضى والفعل الثاني المسبب لم يمتض كما تقول مرض حتى لا يرجونه وتتجه الآية على هذا الوجه لأن المعنى زلزلوا فيما مضى حتى ان الرسول يقول الآن متى نصر الله وحكيت الحال التي كانوا عليها كما حكيت الحال في قوله هذا من شيعته وهذا من عدوه (والثاني) ان يكون الفعلان جميعا قد مضيا نحو سرت حتى ادخلها فالدخول متصل بالسير بلا فصل بينها والحال محكية كما كانت في الوجه الأول ألا ترى أن ما مضى لا يكون حالا وحتى إذا رفع الفعل بعدها حرف يستأنف الكلام بعدها وليست العاطفة ولا الجارة وإذا نصب الفعل بعدها فهي الجارة وينصب الفعل بعدها باضمار ان كما ينصب بعد اللام والفعل وان المضمره معها في موضع جر بحتى

❖ اللغة ❖

الزلزلة شدة الحركة والزلازل البلية المزعجة لشدة الحركة والجمع زلازل وأصله من قولك زال الشيء عن مكانه ضوعف لفظه لمضاعفة معناه نحو صر وصرصر وصل وصلصل فإذا قلت زلزله فتأويله ككررت تحويله عن مكانه

❖ الإعراب ❖

ام هذه هي المنقطعة ومعناه بل احسبتم والفرق بين احسبتم وأم حسبتم ان ام لا تكون إلا متصلة بكلام والألف تكون مستأنفة ان تدخلوا صلة وموصول في موضع نصب بأنه مفعول حسبتم وقد سد مسد مفعوليه وقيل مفعوله الثاني محذوف وتقديره أم حسبتم دخولكم الجنة ثابتا والجنة نصب لأنها ظرف مكان لتدخلوا ولما أصله لم زيد عليها ما فغيرت معناها كما غيرت معنى لو إذا قلت لوما فصيرته بمعنى هلا والفرق بين لم ولما ان لما يصح أن يوقف عليها مثل قولك في جواب من يقول أقدم الأمير لوما ولا يجوز أن يقول لم وفيما توقع لأنها عقيبته قد إذا انتظر قوم ركوب الأمير قلت قد ركب فإن نفيت هذا قلت لما يركب وليس كذلك لم ويجمعها نفي الماضي مثل مرفوع بأنه صفة محذوف مرفوع بيا تي تقديره ولما يأتكم نصب مثل الذي أصاب الذين خلوا من قبلكم واطافة مثل غير حقيقية لأنه في تقدير الانفصال فالمجرور في تقدير المنصوب لأنه مفعول ولما مع الجملة في موضع نصب على الحال والواو واو الحال وتقديره ان تدخلوا الجنة غير مصابين ومستهم البأساء في موضع الحال أيضا باضمار قد والعامل فيه خلوا وزلزلوا معطوفة على مستهم ونصر الله مبتدا واطافة غير حقيقية ومتى في موضع خبر المبتدأ

❖ النزول ❖

قيل نزلت يوم الخندق لما اشتدت المخافة وحوصر المسلمون في المدينة فدعاهم الله إلى الصبر ووعدهم بالنصر عن قتادة والسدي وقيل نزلت في حرب أحد لما قال عبد الله بن أبي لأصحاب النبي إلى متى تقتلون أنفسكم لو كان محمد نبيا ماسلط الله عليه الاسر والقتل وقيل نزلت في المهاجرين من اصحاب النبي (ص) إلى المدينة إذ تركوا ديارهم وأمورهم ومسهم الضر عن عطا

❖ المعنى ❖

ثم ذكر سبحانه ما جرى على المؤمنين من الأمم الخالية تسلية لنيبه ولأصحابه فيما نالهم من المشركين وأمثالهم لأن سماع اخبار الحيار الصالحين يرغب في مثل احوالهم فقال (أم حسبتم) معناه بل أظننتم وخطمت ايها

المؤمنون (أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) معناه ولما تمتحنوا به وتبتلوا بثل ما امتحنوا فتصبروا كما صبروا وهذه استدعاء إلى الصبر وبعده الوعد بالنصر والمثل مثل الشبه والشبه أي لم يصبكم شبه الذين خلوا أي مضوا قبلكم من النبيين والمؤمنين وفي الكلام حذف وتقديره مثل محنة الذين أو مصيبة الذين مضوا ثم ذكر سبحانه ما أصاب أو أتت فقال (مستهم البأساء والضراء) والمس واللمس واحد البأساء نقيض النعامة والضراء نقيض السراء وقيل البأساء القتل والضراء الفقر وقيل هو ما يتعلق بمضار الدين من حرب وخروج من الأهل والمال واخراج فمدحوا بذلك إذا توقعوا الفرج بالصبر (وزلزلوا) أي حركوا بأنواع البلايا وقيل معناه هنا ازعجوا بالمخافة من العدو وذلك لفطر الحيرة (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) قيل هذا استعجال للموعود كما يفعله המתحن وإنما قاله الرسول استبطاء للنصر على جهة التمني وقيل إن معناه الدعاء لله بالنصر ولا يجوز أن يكون على جهة الاستبطاء لنصر الله لأن الرسول يعلم أن الله لا يؤخره عن الوقت الذي توجبه الحكمة ثم أخبر الله سبحانه أنه ناصر أوليائه لا محالة فقال (ألا إن نصر الله قريب) وقيل إن هذا من كلامهم بأنهم قالوا عند الأيأس (متى نصر الله) ثم تفكروا ففعلوا إن الله منجز وعده فقالوا (ألا إن نصر الله قريب) وقيل إنه ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملة وتفصيلا وقال المؤمنون متى نصر الله وقال الرسول (ألا إن نصر الله قريب) كقوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله أي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضله بالنهار

قوله تعالى (٢١٤) **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْآقْرِبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (آيَةٌ)**

➤ اللغة ➤

النفقة اخراج الشيء من الملك ببيع أو هبة أو صلة أو نحو ذلك وقد غلب في العرف على اخراج ما كان من المال من عين أو ورق والسؤال طلب الجواب بصيغة مخصوصة من الكلام

➤ الإعراب ➤

موضع ما من قوله ماذا ينفقون يحتمل أن يكون مرفوعا أو منصوبا فأما الرفع فيكون على تقدير ما الذي ينفقون أي أي شيء الذي ينفقونه والعائد من الصلة محذوف ويكون ذا موصولا بمنزلة الذي وينفقون صلته والنصب على تقدير أي شيء ينفقون فيكون ما وذا بمنزلة شيء واحد ويكون ذا لغوا لأن ما مفيدة للمعنى وما من قوله ما أنفقتم اسم للشرط في محل الرفع بالابتداء وأنفقتم في محل الجزم بما من خير جار ومجرور في موضع الحال ومن للتبيين وتقديره ما أنفقتم كأننا مسن خير فذو الحال الضمير المحذوف من الصلة فللردين الجار والمجرور خبر مبتدأ محذوف والمبتدأ والخبر في محل الرفع لوقوعها بعد الفاء والفاء مع ما بعده جواب للشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه ما مع الشرط والجزاء في موضع رفع لأنها خبر المبتدأ الأول (وما تفعلوا) ما اسم شرط في محل النصب بتفعلوا ويجوز أن يكون ما في أنفقتم أيضا منصوب بالموضع ما أنفقتم فيكون مفعولاه

❖ النزول ❖

نزلت في عمر بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال كثير فقال يا رسول الله بماذا أتصدق وعلى من أتصدق فأنزل الله هذه الآية

❖ المعنى ❖

(يسألونك) يا محمد (ماذا) أي شيء ينفقون والسؤال عن الإنفاق يتضمن السؤال عن المنفق عليه فإنهم قد

علموا أن الأمر وقع بإتفاق المال فجاء الجواب ببيان كيفية النفقة وعلى من ينفق فقال قل يا محمد (ما أنفقتم من خير) أي ما دل على إن له مقدارا وأنه مما ينتفع به لأن ما لا ينتفع به لا يسمى خيرا (فلوالدين والأقربين) والمراد بالوالدين الأب والأم والجد والجدة وإن علوا لأنهم يدخلون في اسم الوالدين والمراد بالأقربين اقارب المعطي (واليتامى) أي كل من لا أب له مع صفوه (والمساكين) الفقراء (وابن السبيل) المنقطع به واختلفوا في هذه النفقة فقال الحسن المراد به نفقة التطوع على من لا يجوز وضع الزكاة عنده والزكاة لمن يجوز وضع الزكاة عنده فهي عامة في الزكاة المفروضة وفي التطوع وقال السدي الآية واردة في الزكاة ثم نسخت ببيان مصادر الزكاة والأول أظهر لأنه لا دليل على نسخها واتفق العلماء على أنه لا يجوز دفع الزكاة إلى الأب والأم والجد والجدة وإلى الأولاد فأما النفقة فلا خلاف أن النفقة على الوالدين إذا كانا فقيرين واجبة وأما النفقة على ذي الرحم فلا يجب عندنا وعند الشافعي ويجب عند أبي حنيفة وقوله (وما تفعلوا من خير) أي من عمل صالح يقربكم إلى الله (فإن الله به عليم) يجازيكم به من غير أن يضيع منه شيء لأنه تعالى لا ينجي عليه شيء

﴿ النظم ﴾

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن الآية الأولى فيها دعاء إلى الصبر على الجهاد في سبيل الله وفي هذه الآية بيان لوجه النفقة في سبيل الله وكل ذلك دعاء إلى فعل البر والطاعة

قوله تعالى (٢١٥) كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الكره بالفتح المشقة التي تحمل على النفس والكره بالضم المشقة حمل على النفس أو لم يحمل وقيل الكره الكراهة والكره المشقة وقديكره الإنسان ما لا يشق عليه وقديشق عليه ما لا يكرهه وقيل الكره والكره لغتان مثل الضعف والضعف والحير نقيض الشر والحير النفع الحسن والشر الضر القبيح وهذا هو الأصل ثم يستعملان في غير ذلك توسعا يقال شر بشر شرارة وشرار الناس وشررها لهبها وشرة الشباب نشاطه وتشريد اللحم أو الثوب أن تبسطه ليحف والإشرا الإظهار

﴿ الإعراب ﴾

(وهو كره لكم) فيه حذف وتقديره وهو ذو كره لكم ويجوز أن يكون معناه وهو مكروه لكم فوقع المصدر موقع المفعول ومثله رجل رضا أي ذو رضا ويجوز أن يكون بمعنى مرضي (وعسى أن تكرهوا) موضع أن تكرهوا رفع بأنه فاعل عسى وعسى تامة لأنها تمت بالفاعل ولم تحتج إلى خبر

﴿ المعنى ﴾

هذه الآية بيان لكون الجهاد مصلحة لمن أمر به قال سبحانه (كتب عليكم القتال) أي فرض عليكم الجهاد في سبيل الله (وهو كره لكم) أي شاق عليكم تكرهونه كراهة طباع لا على وجه السخط وقد يكون الشيء مكروها عند الإنسان في طبعه ومن حيث تنفر نفسه عنه وإن كان يريد أن الله تعالى أمره بذلك كالصوم في الصيف وقيل معناه أنه مكروه لكم قبل أن يكتب عليكم لأن المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله عليهم (وعسى أن تكرهوا شيئا) معناه وقد تكرهون شيئا في الحال وهو خير لكم في عاقبة أموركم كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح (وهو خير لكم) لأن لكم في الجهاد إحدى الحسنين

إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) أي وقد تحبون ما هو شر لكم وهو التعمد عن الجهاد لمحبة الحياة وهو شر لما فيه من الذل والفقر في الدنيا وحرمان الغنيمة والأجر في العقبى (وإنه يعلم) أي يعلم ما فيه مصالحكم ومنافعكم وما هو خير لكم في عاقبة أمركم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شق عليكم وأجمع المفسرون إلا عطاء. إن هذه الآية دالة على وجوب الجهاد وفرضه غير أنه فرض على الكفاية حتى إن لو قعد جميع الناس عنه أثموا به وإن قام به من في قيامه كفاية وغنا. سقط عن الباين وقال عطاء. إن ذلك كان واجباً على الصحابة ولم يجب على غيرهم وقوله شاذ عن الاجماع

قوله تعالى (٢١٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْقِتْلَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَبَأُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِّنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قِيمَتُهُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الصد والمنع والصرف نظائر يقال صد عن الشيء يصد صدوداً وصدداً إذا عرض وعدل عنه وصد غيره يصد صدداً إذا عدل به عنه ومنعه والصدد ما استقبلك وصار في قبالتك لأنه يعدل إلى مواجهتك والصدان ناحيتا الشعب والوادي والصداد ضرب من الجردان يعدل لك لشدة تحمزه الصداد الوزغ لأنه يعدل عنه استقذاراً له واصل الباب العدول لا يزال أصله من الزوال وهو العدول ومعنى لا يزال يدوم موجوداً وما زال أي دام. وحبط عمل الرجل حبطاً وحبطاً واحبطه الله احباطاً واحبط فساد يلحق الماشية في بطونها لا كل الحباط وهو ضرب من الكلال يقال حبطت الإبل تحبط حبطاً إذا اصابها ذلك ثم سمي المهلك حبطاً وفي الحديث إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم

﴿ الإعراب ﴾

قتال فيه مجرور على البدل من الشهر وهو بدل الاشتمال لأن الزمان يشتمل على ما يقع فيه ومثله في المكان قوله قتل أصحاب الأخدود النار وقال الاعشى

لقد كان في حول ثواء ثوبته تقضى لباناتٍ ويسأمُ سائمٌ

وقال الكوفيون هو مجرور على اضمحار عن وقال بعضهم هو على التكرير وهذه الفاظ متقاربة في المعنى وإن اختلفت في العبارة عنه وقوله قتال مرفوع بالابتداء وكبير خبره وصد عن سبيل الله مبتدأ وكفر به معطوف عليه وإخراج أهله منه معطوف عليه أيضاً وخبره أكبر عند الله أي هذه الأشياء أكبر عند الله أي أعظم إن شاء الله وأجاز القراء رفعه على وجين ﴿ أحدهما ﴾ أنه مردود على كبير أي قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به أي القتال قد جمع أنه كبير وأنه صد عن سبيل الله وكفر به ﴿ والآخرة ﴾ أن يجعل الصد الكبير أي القتال فيه كبير والصد عن سبيل الله كبير فيكون مرتفعاً بالابتداء. وخبره محذوف وخطأه العلماء بالنحو قالوا لأنه يصير المعنى في التقدير الأول قل القتال في الشهر الحرام كفر بالله وهذا خطأ بالاجماع ويصير التقدير في الثاني وإخراج أهله منه أكبر عند الله من الكفر وهذا أيضاً خطأ بالاجماع وللقراء إن يقول في هذه: المعنى وإخراج أهله منه أكبر من القتال

فيه لا من الكفر به لأن المعنى في إخراج أهله منه إخراج النبي والمؤمنين بعده فأما الوجه الأول فلا مخلص للفراغ منه والمسجد الحرام مجرور عطف على سبيل الله كأنه قال وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وهو قول المبرد وقيل انه عطف على الشهر الحرام كأنه قال يسألونك عن القتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهو قول الفراء ولا يجوز حمله على الباء في قوله وكفر به لأنه لا يعطف على الضير المجرور إلا بإعادة الجار إلا في ضرورة شعر ومن يرتدد على اظهار التضعيف لسكون الثاني ويجوز يرتد بفتح الدال على التحريك لالتقاء الساكنين بأخف الحركات ويجوز بكسر الدال على أصل التحريك لالتقاء الساكنين والفتح أجود

﴿ النزول ﴾

قال المفسرون بعث رسول الله سرية من المسلمين وأمر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن عمه النبي (ص) وذلك قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة فانطلقوا حتى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن الحضرمي في غير تجارة لقريش في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو رجب فاخصم المسلمون فقال قائل منهم هذه غرة من عدو وغنم رزقتوه ولا ندري أين الشهر الحرام هذا اليوم أم لا وقال قائل منهم لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام ولا نرى أن تستحلوه لطعم أشقيتم عليه فقلب على الأمر الذي يريدون عرض الحياة الدنيا فشدوا على ابن الحضرمي قتلوه وغنموا غيره فبلغ ذلك كفار قريش وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المشركين والمسلمين وذلك أول فيسبى اصابه المسلمون فركب ولقد كفار قريش حتى قدموا على النبي (ص) فقالوا أيحل القتال في الشهر الحرام فأنزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(يسألونك) يا محمد والسائلون اهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام عن الحسن وأكثر المفسرين وقيل السائلون اهل الإسلام سألوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه (عن الشهر الحرام قتال فيه) يعني عن قتال في الشهر الحرام وهو رجب سمي بذلك لتحریم القتال فيه ولعظم حرمة ولذلك كان يسمى في اهلوية منزع الأسنه ومنصل الال لأنهم كانوا ينزعون الأسنه والنصال عند دخول رجب انطوا على ترك القتال فيه وكان يدعى الأصم لأنه لا يسمع فيه فمقعة السلاح فنبب الصمم اليه كما قيل ليل نائم وسر كاتم فكان الناس لا يخاف بعضهم بعضاً وتأمين السبل إلى أن ينقضي الشهر (قل يا محمد) قتال فيه (أي في الشهر الحرام) (كبير) أي ذنب عظيم ثم استأنفه وقال (وصد عن سبيل الله وكفر به) أي والصد عن سبيل الله والكفر بالله (والمسجد الحرام) أي والصد عن المسجد الحرام وعلى القول الآخر معناه يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام وقيل معناه والكفر والمسجد الحرام عن الجبائي فحمله عن الباء في قوله (وكفر به وإخراج أهله) يعني اهل المسجد وهم المسلمون (منه) أي من المسجد (أكبر) أي أعظم وزرا (عند الله) يعني إخراجهم المسلمين من مكة حين هاجروا إلى المدينة والظاهر يدل على أن القتال في الشهر الحرام كان محرماً لقوله قل قتال فيه كبير وذلك لا يقال إلا فيأهو محرم محذور وقيل ان النبي (ص) عقل ابن الحضرمي وقوله (والفتنة اكبر من القتل) معناه الفتنة في الدين وهو الكفر أعظم من القتل في الشهر الحرام يعني قتل ابن الحضرمي وقال قتادة وغيره ان تحريم القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ بقوله وقتلوه حتى لا تكون فتنة وبقوله أقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال عطاء بن رباح على التحريم وعندنا انه باق على التحريم فيسبى لهنه الأشهر حرمة ولا يتبدون فيها بالقتال وكذلك في الحرم وإنما أباح الله تعالى للنبي (ص) قتال اهل مكة عام الفتح فقال (ع) ان الله أحلهالي في هذه الساعة ولم يجعلها لأحد من بعدي إلى يوم القيامة ومن لا يرى منهم حرمة الحرم وحرمة هذه الأشهر جاز قتاله أي وقت كان والتحريم منسوخ في حقه وقوله تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم)

يعني أهل مكة يقاتلونكم يا معشر المسلمين (حتى يردوكم عن دينكم) أي يصرفوكم عن دين الإسلام ويلجئوكم إلى الارتداد (إن استطاعوا) أي إن قدروا على ذلك (ومن يرتدد منكم عن دينه) هذا تحذير عن الارتداد ببيان استحقاق العذاب عليه (فيست وهو كافر) يعني مات على كفره (فأولئك حبست أعمالهم في الدنيا والآخرة) معناه أنها صارت بمنزلة ما لم يكن لايقاعهم إياها على خلاف الوجه المأمور به لأن إيجاب العمل وإبطاله عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب وليس المراد أنهم استحقوا على أعمالهم الثواب ثم انحبط لأنه قد دل الدليل على أن الإيجاب على هذه الوجه لا يجوز (أولئك أصحاب النار فيها خالدون) أي دائمون

﴿ النظم ﴾

نظم الآية وتقديرها يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام قتل ذلك كبير ولكن الكفر بالله وصد المسلمين عن بيت الله ودينه وإخراجهم عن أوطانهم أعظم عند الله واكبر وزرا وهو لا الكفار مع هذه الأفعال يقاتلونكم ليردوكم عن الدين فكل واحد من هذا أعظم مما سألوها عنه
قوله تعالى (٢١٧) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الهجر ضد الرصد يقال هجره بهجره هجرانا وهجرنا وهجرة إذا قطع مواصلته وهجر المريض بهجر هجرا إذا قال ما ينبغي أن يهجر من الكلام وسوا المهاجرين لهجرتهم قومهم وأرضهم وإنما أطلق على هؤلاء اللفظ الذي يقع على الاثنين لأن كل واحد من هؤلاء فعل مثل صاحبه وترك ما تركه اختيارا لصحة النبي وجاهدت العدو مجاهدة وجهادا إذا حملت نفسك على المشقة في قتاله والرجاء الأمل وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون وقال ابو ذؤيب

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل
أي لم يخف وذلك أن الرجاء للشيء معه الخوف من أن لا يكون فلذلك سمي الخوف باسم الرجاء

﴿ الزول ﴾

تزلت الآية في قصة عبدالله جحش واصحابه لما قاتلوا في رجب وقتل وافد السهمي ابن الحضرمي فظن قومه انهم إن سلموا من الاثم فليس لهم اجر فأنزل الله الآية فيهم بالوعد

﴿ المعنى ﴾

(إن الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (والذين هاجروا) أي قطعوا عائلتهم وفارقوا منازلهم وتركوا أموالهم (وجاهدوا في سبيل الله) أي قاتلوا الكفار في طاعة الله التي هي سبيله المشروعة لعباده وإنما جمع بين هذه الأشياء لبيان فضلها والترغيب فيها لأن الثواب لا يستحق على واحد منهما على الانفراد (أولئك يرجون رحمة الله) أي يأملون نعمة الله في الدنيا والعقبى وهي النصرة في الدنيا والثبوت في العقبى (والله غفور) يغفر ذنوبهم (رحيم) يرحمهم وإنما ذكر لفظ الرجاء للمؤمنين وإن كانوا يستحقون الثواب قطعا وبقينا لأنهم لا يدرون ما يكون منهم في المستقبل الإقامة على طاعة الله أو الانقلاب عنها إلى معصية الله ووجه آخر وهو الصحيح وهو أن يرجوا رحمة الله في غفران ما عصيهم التي لم يتفق لهم التوبة منها واختاروا دونها فهو يرجون أن يعصط الله عقابهم عنهم فضلا فأما الوجه الأول وإنما يصح على مذهب من يجوز أن يكفر المؤمن بعد إسلامه

او يفعل في المستقبل كبيرة تحبط ثواب إيمانه وهذا لا يصح على مذهبتنا في الموافاة وقال الحسن أراد به إيجاب الرجاء والطمع على المؤمنين لأن رجاء رحمة الله من اركان الدين واليأس من رحمته كفر كما قال ولا ييأس من روح الله الآية والأمن من عذابه خسران كما قال ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون فمن الواجب على المؤمن أن لا ييأس من رحمته وان لا يأمن من عقوبته ويؤيده قوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وليس في الآية دلالة على أن مات مصرا على كبيرة لا يرجو رحمة الله لأمرين ﴿ احدهما ﴾ ان دليل المفهوم غير صحيح عند اكثر المحصلين ﴿ والآخر ﴾ انه قد يجتمع عندنا الايمان والهجرة والجهاد مع ارتكاب الكبيرة ولا يخرج من هذه صورته عن تناول الآية له

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما ذكر في الأولى العذاب ذكر بعدها الثواب ليكون العبد بين الخوف والرجاء إذ ذلك أحق بتدبير الحكماء واؤكد في الاستدعاء.

قوله تعالى (٢١٨) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْ تَرَفَعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَدْنَيْتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

آيتان في الكوفي وآية واحدة فيا عد الحوفي تتفكرون آية وتركما غيره

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم إثم كثير بالباء. والباقون بالباء. وقرأ أبو عمرو وحده قل العفو بالرفع والباقون بالنصب

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ بالباء. أن يقول الباء. أولى لأن الكبير مثل العظم ومقابلته الصغر والكبير العظيم قال تعالى وكل صغير وكبير مستطر وقد استعملوا في الذنب إذا كان موثقا الكبيرة كقوله كباثر ما تنهون عنه وكباثر الاثم فذلك ينبغي أن يكون قوله قل فيها إثم كبير بالباء. لأن شرب الحمر والميسر من الكبيرة وقالوا في غير الموبق صغير وصغيرة ولم يقولوا قليل ومقابل الكثير القليل كما ان مقابل الكبير الصغير ويدل على ذلك أيضا قوله وإثمها أكبر من نفعها واتفاقهم هنا على أكبر ورفضهم لأن أكثر وجه مسن قرأ بالباء. انه قد جاء فيها إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء. في الحمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وفي الحديث لعن الرسول في الحديث عشرة مشترها والمشتراة له وعاصرها والمعصورة له وساقها والمستقى لها وحاملها والمعصولة اليه وأكل ثمنها فهذا يقوي قراءة مسن قرأ كثير. واما وجه قول من نصب العفو فهو أن قولهم ماذا يستعمل على ضربين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون مامع ذا اسما واحدا ﴿ والآخر ﴾ أن يكون ذا معنى الذي فالأول قول العرب عما ذا تسل أثبتوا الأنف في ما لما كان مامع ذا بمنزلة اسم واحد فإن الحذف إنما يقع إذا كانت الأنف آخر ومن ذلك قول الشاعر

يا خوب، تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفغن إلى الدبرين تحنانا

أي ما بال نسوتكم فإذا كان ما مع ذا بمنزلة اسم واحد كان قوله ماذا ينفقون في موضع نصب بمنزلة ما ينفقون أي أي ما ينفقون فجواب هذا العفو بالنصب وأما وجه قول من رفع فهو أن يجعل ماذا على الضرب الآخر فيكون تقديره ما الذي ينفقون فيجوابه العفو على أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي الذي ينفقون العفو ومثله في التنزيل وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين وأعلم أن سيويبه لا يجوز أن يكون ذا بمنزلة الذي إلا في هذا الموضع لما قامت الدلالة على ذلك والكوفيون يميزون في غير هذا الموضع ويحتجون بقول الشاعر

عدس ما لعباد عليك اشارة نجوت وهذا تحملين طليق

وبقوله سبحانه وما تلك بينك يا موسى ولا دلالة لهم في الآية فإن قوله بينك يجوز أن يكون ظرفاً في موضع الحال فلا يكون صلة وكذلك تحملين في البيت والعامل في الحال في الموضعين ما في المبهم من معنى الفعل

اللغة

الحمر أصله الستر والحمر ما وارك من الشجر وغيره ومنه الحمار للمقنعة ودخل في خمار الناس أي في الكثير الذي يستتر فيهم ويقال خامره الدا. إذا خالطه قال كثير

هنيئاً مريئاً غير دا. مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلحت

وخمرت الاناء. أي غطينه وفي الحديث كان النبي يسجد على الحمرة وهي السجادة الصغيرة من الحصر سبيت بذلك لأنها تستر الوجه عن الأرض قال الزجاج وقد لبس على أبي الأسود الدؤلي قليل أن هذا المسكر الذي سموه بغير الحمر حلال فظن أن ذلك كما قيل له ثم رده طبعه إلى أن حكم بأنها واحد فقال له

دع الحمر تشربها الغواة فإني رأيت أخاها مجرماً بمكانها

فإن لا يكنها أو تكنه فإنه أخوها غدقه أمه بلبانها

وأصل الباب الستر والميسر التمار اشتق من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه من قولك يسر لي هذا الشيء يسر يسراً وميسراً إذا وجب لك والياسر الواجب بقصدح وجب لك أو غيره وقيل للمقامر يلسر ويسر قال النابغة

أو ياسر ذهب القداح بوفره أسف تأكله الصديق مخلع

أي قامر وقيل اخذ من التجزئة لأن كل شيء جزأته فقد يسرته والياسر الجازر والميسر الجزور وقيل اخذ من اليسر وهو السهولة لأنهم كانوا يشتركون في الجزور ليسهل أمرها إلا أنه على جهة التمار والعفو مأخوذ من الزيادة ومنه قيل حتى عفوا أي زادوا على ما كانوا عليه من العذاب قال الشاعر

ولكننا بعض السيف منا باسوق عاقبات الشحم كوم

أي زائدات الشحم وقيل هو مأخوذ من الترك من قوله فمن عني له من أخيه شيء أي ترك ومنه قوله عفوت لكم عن صدقة الخيل أي تركتها فيكون العفو المتروك غني عنه والمخالطة مجامعة يتعذر معها التمييز كمخالطة الخيل للما. وما أشبهه والمخيلطان الشريكان لاختلاط أموالهما والمخيلط القوم أمرهم واحد والاعتات الحمل على مشقة لا تطاق ثقلاً وعتت العظم عنتاً أصابه وهن أو كسر بعد جبر وعتت عنتاً إذا اكتسب مأثماً وتعتته تعنتاً إذا لبس عليه في سرأله له والاكمة العنوت الطويلة وأصل الباب المشقة والشدة

الإعراب

العامل في الظرف من قوله في الدنيا والآخرة قوله يبين أي يبين لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة ويجوز أن يكون يتفكرون أيضاً أي يتفكرون في أمر الدنيا وأمر الآخرة وقوله فأخوانكم رفع على أنه

خير مبتدأ محذوف وتقديره فهم اخوانكم ويجوز في العربية فإخوانكم على النصب على تقدير فإخوانكم
بمخالطون والوجه الرفع

﴿ النزول ﴾

نزلت في جماعة من الصحابة أتوا رسول الله (ص) فقالوا افتنا في الخمر والميسر فإنها مذهب للعقل مسلبة
للمال فنزلت الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه إلى بيان الشرائع والأحكام فقال (يسألونك) يا محمد (عن الخمر) وهي كل شراب
مسكر مخالط للعقل مغط عليه وما أسكر كثيره قليله خمر هذا هو الظاهر في روايات اصحابنا وهو مذهب
الشافعي وقيل الخمر عصير العنب إذا اشتد وغلي وهو مذهب أبي حنيفة (والميسر) وهو القمار كله عن ابن عباس
وابن مسعود ومجاهد وقتادة والحسن وهو المروي عن أنس حتى قالوا ان لعب الصبيان بالجوذ هو قمار (قل فيها)
أي في الخمر والميسر (إثم كبير) أي وزر عظيم وكثير من الكثرة (ومنافع للناس) منفعة الخمر ما كانوا
يأخذونه في ألتانها وما يحصل من اللذة والطرب والقوة بشربها ومنفعة القمار هو ان يفوز الرجل بمال صاحبه من
غير كد ولا مشقة ويرتفق به الفقراء. (وإثمها أكبر من نفعها) أي ما فيها من الإثم أكبر مما فيها من النفع
لأن نفعها في الدنيا وما يحصل من الإثم بها يوجب سخط الله في الآخرة فلا يظهر في جنبه الا نفع قليل
لا يبقا. له قال الحسن في الآية تحريم الخمر من وجهين ﴿ احدهما ﴾ قوله وإثمها أكبر فإثمها إذا زادت
مضرة الشيء على منفعتها اقتضى العقل الامتناع عنه ﴿ والثاني ﴾ انه بين ان فيها الإثم وقد حرم في آية
أخرى الإثم فقال قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم وقيل ان الخمر يسمى إثما في اللغة قال الشاعر

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم يصنع بالعقول

على انه قد وصف الإثم بأنه كبير والكبير محرم بلا خلاف وقال الضحاك معناه وإثمها بعد تحريمها
أكبر من نفعها قبل تحريمها وقال سعيد بن جبير كلاهما قبل التحريم يعني أن الإثم الذي يحدث من اسبابها
أكبر من نفعها وقال قتادة هذه الآية لا تدل على تحريمها وإنما تدل الآية التي في المائدة من قوله إنما الخمر
والميسر إلى آخرها وقوله (ويسألونك ماذا ينفقون) أي أي شيء ينفقون والسائل عمرو بن الجحوم سأل عن
النفقة في الجهاد وقيل في الصدقات (قل العفو) فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ انه ما فضل عن الأهل والعيال او
الفضل عن النعي عن ابن عباس وقتادة ﴿ وثانيها ﴾ ان العفو الوسط من غير إسراف ولا اقتار عن الحسن وعطا
وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿ وثالثها ﴾ ان العفو ما فضل عن قوت السنة عن أبي جعفر الباقر (ع)
قال ونسخ ذلك بآية الزكاة وبه قال السدي ﴿ ورابعها ﴾ ان العفو اطيب المال وافضله وقوله (كذلك)
إنما وحد الكاف لأن الخطاب للنبي ويدخل فيه الأمة وقيل ان تقديره كذلك ايها القبيل (بيِّن الله لكم
الآيات) أي الحجج في امر النفقة والخمر والميسر وقيل في سائر شرائع الإسلام (لعلكم تتفكرون) أي
لكي تتفكروا (في الدنيا والآخرة) أي في امر الدنيا وامر الآخرة فتعلمون ان الدنيا دار بلا. وعنا. وفناء
والآخرة دار جزاء وبقا. فترعدوا في هذه وترغبوا في تلك وقيل انه من صلة يبين أي كما يبين لكم
الآيات في الخمر والميسر يبين لكم الآيات في أمور الدنيا والآخرة لكي تتفكروا في ذلك دلالة على ان الله
أراد منهم التفكير سواء تفكروا أو لم يتفكروا (ويسألونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما أنزل الله ولا
تقربوا مال اليتيم الآية وان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انطلق كل من كان عنده يتيم فمزل طعامه من
طعامه وشرا به من شرابه واشتد ذلك عليهم فسألوا عنه فنزلت هذه الآية ولا بد من اضرار في الكلام لأن

السؤال لم يقع عن اشخاص اليتامى ولا ورد الجواب عنها فالمنى يسألونك عن القيام على اليتامى والتصرف بأموال اليتامى قل يا محمد (اصلاح لهم خير) يعني اصلاح لأموالهم من غير أجر ولا أخذ عوض منهم خير واعظم أجراً (وإن تحالطوهم) أي تشاركوهم في أموالهم وتحالطوها بأموالكم فتصيبوا من أموالهم عوضاً عن قيامكم بأموالهم (فإخوانكم) أي فهم إخوانكم والأخوان يعين بعضهم بعضاً ويصيب بعضهم من مال بعض وهذا أذن لهم فيما كانوا يتخرجون منه من مخالطة الأيتام في الأموال من المأكل والشرب والسكن ونحو ذلك ورخصة لهم في ذلك إذا تحروا الصلاح بالتوفير على الأيتام عن الحسن وغيره وهو المروي في أخبارنا (والله يعلم المفسد من المصلح) معناه والله يعلم من كان غرضه من مخالطة اليتامى افساد مالهم أو إصلاح مالهم (ولو شاء الله لاعتكفكم) أي لضيق عليكم في أمر اليتامى ومخالطتهم والزمكم ما كنتم تجنونونه من مشاركتهم وقال الزجاج معناه لكلفكم ما يشق عليكم فتعتون ولكنه لم يفعل وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة لأنه سبحانه إذا لم يشأ اعتاقهم ولو أعتقهم لكان جائزاً حسناً لكنه وسع عليهم لما في التوسعة من النعمة فكيف يصح أن يشأ تكليف ما لا يطاق وكيف يكلف ما لا سبيل للكلف إليه ويأمره بما لا يتصور احدائه من جهته وأي عنت اعظم من هذا قال البلخي وفيه ايضاً دلالة على فساد من قال انه تعالى لا يقدر على الظلم لأن الإعنت بتكليف ما لا يجوز في الحكمة مقدور ولو شاء لقلعه (إن الله عزيز) يفعل بعزته ما يجب لا يدفعه عنه دافع (حكيم) في تدبيره وافعاله ليس له عما توجه الحكمة مانع

قوله تعالى (٢٢٠) وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَمْ يَكُنْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا أُعْجِبْتُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ لَهُ ذُرَىٰ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

النكاح اسم يقع على العقد والوطء. وقيل إن أصله الوطء. ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح كما إن الحدث يسمى عذرة وهي اسم للفناء ويسمى غائطاً وهو اسم للمكان المظلمين يقال نكح ينكح نكاحاً إذا تزوج وانكحه غيره وزوجه والأمة المملوكة يقال أمة بيئنة الأموة وأميت فلانة وتأميتها إذا جعلتها أمة وأصل أمة فعلة بدلالة قولهم في جمعها إماماً، وأم نحو أكمة وآكام وأم

﴿ الإعراب ﴾

يؤمن في محل النصب بأن مضرة وإن يؤمن في موضع جر بحتى وحتى يتعلق بتكح ومن مشركة من يتعلق بنجير والجار والمجرور في محل النصب بأنه مفعول به ولو أعجبتكم جواب لو محذوف تقديره ولو أعجبتكم أمة مشركة لأمة مؤمنة خير منها ولا تنكحوا المشركين المفعول الثاني محذوف تقديره ولا تنكحوا المشركين الأزواج حتى يؤمنوا وإعراب قوله حتى يؤمنوا وقوله ولو أعجبتكم مثل ما قلنا في حتى يؤمن ولو أعجبتكم

﴿ النزول ﴾

نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي بعثه رسول الله إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين وكان قويا شجاعاً فدعت امرأة لها عناق إلى نفسها فأبى وكانت خلة في الجاهلية فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال حتى استأذن رسول الله فلما رجع استأذن في التزوج بها فنزلت الآية

* المعنى *

لما تقدم ذكر المخالطة بين تعالى من يجوز مخالطته بالنكاح فقال (ولا تنكحوا المشركات) اي لا تزوجوا النساء الكافرات (حتى يؤمن) اي يصدقن بالله ورسوله وهي عامة بمدنا في تحريم منا كحة جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة فاختلفوا فيه فقال بعضهم لا يقع اسم الشركات على اهل الكتاب وقد فصل الله بينها فقال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين وما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين وعطف احدها على الآخر فلا نسخ في الآية ولا تخصيص وقال بعضهم الآية متناولة لجميع الكفار والشرك يطلق على الكل ومن جحد نبوة نبينا محمد (ص) فقد أنكر معجزه و اضافه إلى غير الله وهذا هو الشرك بعينه لأن المعجز شهادة من الله له بالنبوة ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال أن الآية منسوخة في الكتاب بالآية التي في المائدة والمحصات من الذين أوتوا الكتاب عن ابن عباس والحسن ومجاهد ومنهم من قال انها مخصوصة بغير الكتابيات عن قتادة وسعيد بن جبير ومنهم من قال انها على ظاهرها في تحريم نكاح كل كافرة كتابية كانت او مشركة عن ابن عمر وبعض الزيدية وهو مذهبنا وسيأتي بيان آية المائدة في موضعها إن شاء الله (ولامة مؤمنة خير من مشركة) معناه مملوكة مصدقة مسلمة خير من حرة مشركة (ولو أعجبكم) ولو أعجبكم بالها أو حسبها أو جمالها وظاهر هذا يدل على انه يجوز نكاح الأمة المؤمنة مع وجود الطول فأما قوله فمن لم يستطع منكم طولا الآية فإنها هي على التزويه دون التحريم (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) معناه ولا تنكحوا النساء المسلمات جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم حتى يؤمنوا وهذا يؤيد قول من يقول ان قوله ولا تنكحوا المشركات يتناول جميع الكافرات وقوله (ولابد مؤمن خير من مشرك) اي عبد مصدق مسلم خير من حر مشرك ولو أعجبكم ماله أو حاله أو جلاله والفرق بين ولو أعجبكم وبين وإن أعجبكم ان لو للماضي وإن للمستقبل وكلاهما يصح في معنى الآية وهو مسن العجب الذي هو بمعنى الاستعظام وليس من التعجب (أو لئنك) يعني المشركين (يدعون إلى النار) يعني إلى الكفر والمعاصي التي هي سبب دخول النار وهذا مثل التعليل لأن الغالب ان الزوج يدعو زوجته إلى دينه (والله يدعو إلى الجنة) أي إلى فعل ما يوجب الجنة (والمفطرة) من الايمان والطاعة (بلذنه) اي بأمره يعني بما يأمر ويأذن فيه من الشرائع والاحكام عن الحسن والجبائي وقيل با علامة وقوله (ويبين آياته للناس) اي حججه وقيل أوامره ونواهيه وما يحظره ويبيحه للناس (لعلهم يتذكرون) اي لكي يتذكروا او يتعلموا

قوله تعالى (٢٢١) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِ لُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (آية)

* القراءة *

قرأ اهل الكوفة غير حفص حتى يطهرن بتشديد الطاء والها. والباقون بالتخفيف

* الحجة *

من قرأ يطهرن فإنه من طهرت المرأة وطهرت طهرا وطهارة وطهرت بالفتح اقيس لأنه خلاف طمشت فينبغي أن يكون على بنائه وايضا فقوله طاهر يدل على انه مثل قعد فهو قاعد ومن قرأ يطهرن فإنه يتطهرن فادغم التاء في الطاء.

﴿ اللغة ﴾

حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً ومحاضاً والمصدر من هذا الباب المفعل والمفعول جائز فيه قال الراعي

بفيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقبلاً

أي قبولة وامرأة حائض ونساء. حيض والاعتزال التنحي عن الشيء وكل شيء تحيته عن موضع فقد عزلته عنه ومنه عزل الوالي وانت من هذا بمنزل أي متحجج وعزلاء المزادة مخرج الماء من إحدى جانبيها والجمع عزال والمزال من الناس والذي لا ينزل مع القوم في السفر لكنه ينزل ناحية والطهر خلاف الدنس والطهور يكون اسماً ويكون صفة فإذا كان اسماً كان على ضربين ﴿أحدهما﴾ أن يكون اسماً ليس بمصدر كما حكاه سيويه تطهرت طهوراً حسناً وتوضأت وضوءاً ﴿والآخر﴾ أن يكون اسماً ليس بمصدر كما جاء في قوله طهوراً تاء. احدكم كذبي وهو اسم لما يظهر كالظهور والوجور والسعوط والسحور وأما كونه صفة فهو في قوله وأنزلنا من السماء ماء طهوراً فهذا كالرسول والمعجوز ونحو ذلك من الصفات التي جاءت على فاعول ولا دلالة فيه على التكرير لما لم يكن متعدياً نحو ضروب الأثرى ان فعلت غير متعد كما يتعدى ضربت ومن الصفة قوله هو الطهور ماؤه لأنه ارتفع به الماء. كما يرتفع الاسم بالصفة المتقدمة

﴿ الإعراب ﴾

من حيث جار ومجرور وكن حيث مبني لا يظهر فيه الإعراب وإنما بني لمشابهة الحرف لأنه لا يفيد إلا مع غيره كالحرف ومن يتعلق بقوله فاتهن من حيث أمرم الله جملة في محل الجر بإضافة حيث إليه

﴿ النزول ﴾

قيل كانوا في الجاهلية يتجنبون مواكبة الحايض ومشاربتها ومجالستها فسألوا عن ذلك فقالت الآية عن الحسن وقتادة والربيع وقيل كانوا يستجيزون آيات النساء في ادبارهن أيام الحيض فلما سألو عنه بين لهم تحريمه عن مجاهد والأول عندنا أقوى

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه شريعة أخرى فقال (ويسألونك) يا محمد والسائل أبو الدرداء (عن المبيض) أي عن المبيض واحواله (قل) يا محمد (هو أذى) معناه قذو ونجس عن قتادة والسدي وقيل دم عن مجاهد وقيل هو أذى لهم وعليهن لما فيه من المشقة قاله القاضي (فاعتزلوا النساء في المبيض) أي اجتنبوا مجامعتهم في الفرج عن ابن عباس وعائشة والحسن وقتادة ومجاهد وهو قول محمد بن الحسن ويوافق مذهبنا أنه لا يجرم منها غير موضع الدم فقط وقيل يجرم مادون الأزار ويحل ما فوقه عن شريح وسعيد بن المسيب وهو قول أبي حنيفة والشافعي (ولا تقرهون) بالجماع أو مادون الأزار على الخلاف فيه (حتى يطهرن) بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن وبالتشديد معناه يقتسلن عن الحسن ويتوضأن عن مجاهد وطاوس وهو مذهبنا (فإذا تطهرن) أي اقتسلن وقيل توضأن وقيل غسلن الفرج (فأتوهن) فبما معروهن وهو اباحة وإن كان صورته صورة الأمر كقوله وإذا حللتم فاصطادوا (من حيث أمرم الله) معناه من حيث أمرم الله تجنبه في حال الحيض وهو الفرج عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع وقيل من قبل الطهر دون الحيض عن السدي والضحاك وقيل من قبل النكاح دون الفجور عن ابن الحنفية والأول البق بالظاهر قال الزجاج معناه من الجهات التي تحل فيها أن تقرب المرأة ولا تقرهون مسن حيث لا يجب أي لا تقرهون وهن نائمات أو محرّمات أو معتكفات وقال الفراء ولو أراد الفرج لقال في حيث فلما قال من حيث علمنا أنه أراد من الجهة التي أمرم الله بها وقال غيره إنما قال من حيث لأن من لا يتبدا. الغاية في الفعل نحو قولك

انت زيدا من مآته اي من الوجه الذي يوثق منه (ان الله يحب التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) قيل معناه المتطهرين بالما. عن عطا وقد رواه اصحابنا ايضا في سبب نزول الآية وقيل يجب المتطهرين من الذنوب عن سعيد ابن جبير ولم يذكر المتطهرات لأن الموتى يدخل في المذكر وقيل التوابين مسن الكبائر والمتطهرين من الصغائر وفي هذه الآية دلالة على وجوب اعتزال المرأة في حال الحيض وفيها ذكر غاية التحريم ويشتمل ذلك على فصول احدها ذكر الحيض واقله واكثره وعندنا اقله ثلاثة ايام واكثره عشرة ايام وهو قول اهل العراق وعند الشافعي واكثر اهل المدينة اقله يوم وليلة واكثره خمسة عشر يوما وثانيها حكم الوطء في حال الحيض فإن عندنا ان كان في اوله يلزمه دينار وان كان في وسطه فنصف دينار وان كان في آخره فربيع دينار وقال ابن عباس عليه دينار ولم يفصل وقال الحسن يلزمه بدنة او رقبة او عشرون صاعا وثالثها غاية تحريم الوطء. واختلف فيه فبينهم من جعل الغاية انقطاع الدم ومنهم من قال إذا توضأت او غسلت فرجها حل وطؤها عن عطا وطاوس وهو مذهبنا وان كان المستحب ان لا يقربها الا بعد الغسل ومنهم من قال اذا انقطع دمها فاغتسلت حل وطؤها عن الشافعي ومنهم من قال اذا كان حيضها عشرا فنفس انقطاع الدم يحلها للزوج وان كان دون العشرة فلا يحل وطؤها الا بعد الغسل او التيمم او مضي وقت الصلاة عليها عن ابي حنيفة

قوله تعالى (٢٢٢) نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لأنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (آية)

﴿ الإعراب ﴾

أنى في محل نصب لانه ظرف مكان إذا كان بمعنى حيث او أين او ظرف زمان اذا كان بمعنى متى والعامل فيه فاتوا وشتتم جملة فعلية في موضع الجر باضافة الظرف اليها وإذا كان أنى بمعنى كيف فهو في محل نصب على المصدر ولا محل لشتتم وتقديره فاتوا حرثكم اي نوع شتتم

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الرجل اذا اتى المرأة من خلفها في قبلها خرج الولد احوال فكذبهم الله عن ابن عباس وجابر وقيل انكرت اليهود اتيان المرأة قائمة وباركة فانزل الله اباحتها عن الحسن

﴿ المعنى ﴾

لما بين تعالى احوال النساء في الطهر والحيض عقب ذلك بقوله (نساؤكم حرث لكم) وفيه وجهان - احدهما - ان معناه مزدرع لكم ومحترث لكم عن ابن عباس والسدي - والثاني - ان معناه ذوات حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة فحذف المضاف وهذا في المعنى مثل الاول عن الزجاج وقال ابو عبيدة كنى بالحرث عن الجماع والثالث معناه كحرث لكم فحذف كاف التشبيه كما قال الشاعر

النشر مسك والوجوه دنا نير واطراف الاكف عنم

وقد سمي العرب النساء حرثا قال المفضل بن سلسة انشدني ابي

اذا اكل الجراد حرث قوم فحرثي همه اكل الجراد

يريد امرأتي (فاتوا حرثكم) اي موضع حرثكم يعني نساؤكم (اننى شتتم) معناه من أين شتتم عن قتادة والربيع وقيل كيف شتتم عن مجاهد وقيل متى شتتم عن الضحاك وهذا خطأ عند اهل اللغة لأن أنى لا يكون إلا بمعنى من أين كما قال أنى لك هذا وقيل معناه من أي وجه واستشهد بقول الكمييت
سى ومن اين آبلك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب

وليس في البيت شاعر لهم لانه لا يجوز ان يكون اتى به لاختلاف اللفظين كما يقولون متى كان هذا وأي وقت كان ويجوز ان يكون بمعنى كيف واستدل مالك بقوله اتى شتم على جواز اتيان المرأة في دبرها ورواه عن نافع عن ابن عمر وحكاه زيد بن اسلم عن محمد بن المنكدر وبه قال كثير من اصحابنا وخالف في ذلك جميع الفقهاء وقالوا ان الحرف لا يكون الا بحيث النسل فيجب ان يكون الوطء حيث يكون النسل فاجبوا عن ذلك بان النساء وان كن لناحرنا فقد ابيح لنا ووطئهن بلا خلاف في غير موضع الحرف كالوطء فيا دون الفرج وما شبهه وقوله (وقدموا لأنفسكم) معناه قدموا الأعمال الصالحة التي أمرتم بها ورغبت فيها لتكون ذخرا لكم عند الله ووجه اتصاله بما قبله انه لما تقدم الأمر بعدة اشياء قال بعدها وقدموا لأنفسكم بالطاعة فيا أمرتم به (واتقوا الله) واتقوا الله بترك مجاوزة الحد فيا بين لكم وفي ذلك الحث على العمل بالواجب الذي عرفوه والتحذير من مخالفة ما الزموا وقيل معنى التقديم هنا طلب الولد فإن في افشاء الولد الصالح يكون تقدما عظيما لقوله إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة جارية وعلم به ينتفع بعد موته وقيل هو تقديم الافراط لقوله من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحلة القسم قليل يا رسول الله واثنان قال واثنان وقيل هو التسمية عند الجماع عن عطا وقيل هو الدعاء عند الجماع عن مجاهد ويؤيده ما روي عن ابن عباس قال قال النبي إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليقل بسم الله اللهم جنبي الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن قدر بينها ولد لم يضره شيطان وقيل هو التزوج بالعائفة ليكون الولد طاهرا صالحا (واعلموا انكم ملائكة) أي ملائكة جزائه يعني ثوابه إن أظلموه وعقابه إن عصيتموه وإنما أضافه إليه على ضرب من المجاز (وبشر المؤمنين) بالثواب والجنة ولا يصح حمل اللقا على الرواية لأن لفظ اللقا يقع على معان مختلفة يقال لقي جهده ولقي حممه ولأن في الآية اثبات اللقا لجميع العباد وهذا خلاف ما ذهب إليه اهل التشبيه

قوله تعالى (٢٢٣) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آية)

اللغة

يقال لكل من يصلح للشيء هو عرضة له والمرأة عرضة للشكاح والدابة المعدة للسفر عرضة له وقال الشاعر
فهذي لأيام الحروب وهذه للهوي وهذي عرضة لارتحالها
أي عدة وقال ابو العباس العرضة الاعتراض في الحيروالشر واليمين والقسم والحلف واحد وقيل أخذ من القوة لأنه يتقوى به على ما يخلف عليه ومنه قوله «تلقاها عرابة باليمن» وقيل أخذ من الجارحة لأنهم كانوا عند الايمان يضربون ايديهم على ايديهم فسمي الحلف بذلك وقيل أخذ من اليمن الذي هو البركة لأنه عقد خير يتبرك بذكره للتأكيد

الاعراب

قوله ان تبروا في مرضه ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ ان موضعه جر بحذف اللام عن الحليل قال ابو علي جاز أن يكون المصدر الذي هو ان مع الفعل في موضع جر وإن لم يميز ذلك في غير ان لأمرين ﴿احدهما﴾ ان الكلام قد طال بالصلة فحسن الحذف ﴿والآخر﴾ أن أن حرف وإذا حذف اللام صار كأن حرفا كان قد أقيم مقام من فعاقبه فلماذا حسن حذف اللام مع ان دون المصدر غير الموصول في اللفظ بالفعل وأقول عنى بذلك انك إذا قلت جنتك لضرب زيد لم يميز أن تحذف اللام فتقول جنتك ضرب زيد وإذا قلت جنتك لأن تضرب زيدا جاز أن تحذف اللام فتقول جنتك أن تضرب زيدا ﴿والثاني﴾ ان موضعه النصب لأنه لما حذف الجار وصل الفعل

وهو قول سيويه وهو القياس واقول على القولين جميعا فيكون تقديره لأن لا تبروا على النفي او لأن تبروا على الإثبات فعلى القول الاول وهو النفي يكون في موضع النصب بأنه مفعول له وعلى القول الثاني وهو الإثبات يجوز أن يكون مفعولا له ويجوز أن يكون في محل النصب على الحال والعامل فيه ما في قوله لا يأتكم من معنى الفعل تقديره لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم كائنة لأن تبروا أي لبركم وذو الحال الايمان ﴿ والثالث ﴾ ما قاله قوم ان موضعه رفع تقديره ان تبروا وتتقوا أولى فحذف الخبر الذي هو اولى لأنه معلوم المعنى

﴿ النزول ﴾

تلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يدخل على ختنه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين امرأته فكان يقول إني حلفت بهذا فلا يحل لي أن أفعله فتزلت الآية

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه احوال النساء وما يحل منهن عقبه بذكر الايلاق. وهو اليمين التي تحرم الزوجة فابتدأ بذكر الايمان اولاً لتأسيس الحكم الايلاق. فقال (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) وفي معناه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة لكم من البر والتقوى من حيث تعتمدونها لتعتلوا بها وتقولوا حلفنا بالله ولم نحلفوا به عن الحسن وطاووس وقنادة وأصاه في هذا الوجه الاعتراض الذي هو المانع بينكم وبين البر والتقوى لأن المعارض بين الشئين يكون مانعا من وصول احدهما إلى الآخر فالعلة مانعة كهذا المعارض ﴿ والثاني ﴾ ان عرضة معناه حجة فكأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع من البر والتقوى فإن كان قد سلف منكم بين ثم ظهر ان غيرها خير منها فافعلوا الذي هو خير ولا تحتجوا بما قد سلف من اليمين عن ابن عباس ومجاهد والربيع وأصله في هذا القول والأول واحد لأنه منع مسن جهة الاعتراض لعله او حجة ﴿ والثالث ﴾ ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله علة مبتذلة في كل حق وباطل لأن تبروا في الحلف بها وتتقوا المأثم فيها عن عائشة لأنها قالت لا تحلفوا به وان بررتم وبه قال الجائي وابو مسلم وهو المروي عن أنس بن مالك ما رواه عثمان بن عيسى عن أبي أيوب الخزاز قال سمعت أبا عبد الله يقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فإنه سبحانه يقول ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم قال ابو مسلم ومن أكثر ذكر شي في معنى فقد جعله عرضة له وتقول جعلتني عرضة لقومك قال الشاعر ﴿ ولا تجعليني عرضة للوائم ﴾ وتقديره على الوجه الأول والثاني لا تجعلوا الله مانعا من البر والتقوى باعترضك به حلقا وعلى الوجه الثالث لا تجعلوا الله مما تحلف به دائما باعترضك بالحلف به في كل حق وباطل وقوله (ان تبروا) قيل في معناه اقوال ﴿ الاول ﴾ لأن تبروا على معنى الإثبات أي لأن تكونوا برة أتقيا. فإن من قلت يمينه كان اقرب إلى البر من كثرت يمينه وقيل لأن تبروا في اليمين ﴿ والثاني ﴾ ان المعنى لدفع ان تبروا او ترك أن تبروا فحذف المضاف عن المبرد ﴿ والثالث ﴾ ان معناه ان لا تبروا فحذف لا عن أبي عبيدة قال وقد حذف لأنه في معنى القسم كقول امرئ القيس ﴿ فقلت بين الله أبرح قاعدا ﴾ أي لا أبرح وأنكر المبرد هذا لأنه لما كان معه ان بطل أن يكون جوابا للقسم وإنما يجوز والله أقوم في القسم بمعنى لا أقوم لأنه لو كان اثباتا لقال لا أقوم باللام والنون والمعنى في قول أبي العباس وأبي عبيدة واحد والتقدير مختلف (وتتقوا) أي اتقوا الإثم والمعاصي في الايمان (وتصلحوا بين الناس) في الايمان وتصلحوا بين الناس عطف على ما سبق ومعناه ولا تجعلوا الحلف بالله علة او حجة في ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا لكي تكونوا من البردة والاتقيا. والمصلحين بين الناس او لدفع ان تبروا وتتقوا وتصلحوا وعلى الوجه الثالث لا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة لأن تبروا وتتقوا وتصلحوا أي بين الناس فإن من كثرت يمينه لا يوثق بحلفه ومن قلت يمينه فهو اقرب إلى التقوى والإصلاح بين الناس (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بما في ضمائركم لا يخفى عليه من ذلك خافية وفي هذه الآية دلالة على ان

من حلف على شيء فرأى غيره خيراً منه فله ان ينقض بينه ويفعل الذي هو خير وهل يجب عليه الكفارة فيه خلاف فعند اكثر الفقهاء يجب عليه الكفارة ولا كفارة عليه عندنا ومن اقسم على غيره ليفعل فعلاً او ليمتنع عن فعل ولا يبالي بذلك قال بعضهم ان المقسم عليه لا يأثم بذلك . المسحوق ان المقسم عليه يأثم بقول النبي من سألكم بالله فأعطوه ومن استأذكم بالله فأعيذوه .

قوله تعالى (٢٢٤) لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَأَلَيْسَ بِكُفْرَانِكُمْ إِذَا حَلَلْتُمْ يَسْمَعُ بَلَاءَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْغَيْبِ عَنِ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

أصل اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه يقال لنا يلغو لغوا إذا أتى بكلام لا فائدة فيه والغى الكلمة إذا طرحها لأنه لا فائدة فيها واللغوية الكلمة القبيحة الفاحشة ومنه اشتقاق اللغة لأنها كلام لا فائدة فيه عند غير اهله ولغو الطائر منطلقه قال ثعلبة بن صعير المازني

باكرتهم بسباء جون ذارع قبل الصباح وقبل لغو الطائر

واللغاء الذكر بالكلام القبيح لغى يلغى لغى وأصل اللغو الأنافة وهو في صفته تعالى الإهمال بتأخير العقاب على الذنب

﴿ الاعراب ﴾

في أيمانكم في موضع الحال والعامل فيه يؤاخذ وذو الحال اللغو . بما كسبت يجوز أن يكون ما اسما موصولا ويجوز أن يكون حرفاً موصولا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه اقسام اليمين فقال (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اختلفوا في بين اللغو فقيل هو ما يجري على عادة الناس من قول لا والله وبلى والله من غير عقد على يمين يقتطع بها مال ولا يظلم بها احد عن ابن عباس وعائشة والشعبي وهو المروي عن ابي جعفر واي عبد الله وهو قول الشافعي وقيل هو ان يحلف وهو يرى انه صادق ثم تبين انه كاذب فلا إثم عليه ولا كفارة عن الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وهو قول ابي حنيفة واصحابه وقيل هو يمين الضمان لا يؤاخذكم بالحث فيها عن ابن عباس ايضا وطاوس وبه قال سعيد بن جبير إلا انه اوجب فيها الكفارة وقال مسروق كل يمين ليس له الرقاة فهي لغو ولا يجب فيها كفارة (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أي بما عرضتم وقصدتم لأن كسب القلب المقدم والنية وفيه حذف اي من أيمانكم وقيل بأن تحلفوا كاذبين او على باطل عن ابراهيم (والله غفور) يغفر الذنوب (حلیم) يسهل العقوبة على الذنب ولا يجعل بها

قوله تعالى (٢٢٥) الَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ نَفْسًا وَرَبًّا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُمْسِكُوا بِعَهْلِ اللَّهِ لَنْ يَكُونَ لَهُمْ جَزَاءٌ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا قَوْمًا مُّؤْمِنِينَ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

الى الرجل من امرأته يولى آيلاء . من الآلية والآلوة وهي الحلف قال الشاعر

كفينا من تغيب من نوار وأحثنا الية مقسمينا

وانتلى وتالى بمعناه وفي التنزيل ولا يأتمل أولوا الفضل منكم وقرأ ولا يتال وجمع الآلية الايا واليات كعشية وعشايا وعشيات وجمع الآلوة الابي كركوبة وركائب والتربص الانتظار ويقال تربصت به قال الشاعر

تربص بهاريب المنون لعلها تطلق يوما او يموت حللها

والنبي الرجوع يقال فاء يعني فينا إذا رجع وفاء النبي إذا تحول عن جهة الفداة ب رجوع الشمس عنه والفرق بين النبي والظل ما قال المبرد ان النبي ما نسخ الشمس لأنه هو الراجع والظل ما لا شمس فيه وكل في ظل وليس كل ظل فينا واهل الجنة في ظل لا في في لأن الجنة لا شمس فيها وفي التنزيل وظل ممدود وجمع النبي اقياء والنبي غنائم المشركين افاء الله علينا منهم وهو من رجوع الشيء إلى حقه وفلان سريع النبي من غضبه أي الرجوع والعزم هو العقد على فعل شيء في مستقبل الاوقات وهو إرادة مقدمة للفعل بأكثر من وقت واحد يتعلق بفعل اللازم يقال عزم على الشيء يعزم عزمًا واعتزم وعزمت عليك لتفعلن أي اقسمت وعزم الراقي كأنه اقسم على الداء وما لفلان عزيمة أي ما يثبت على شيء لتلونه وعزائم القرآن التي تقرأ على ذوي الآفات لما يرجى من البر بها والطلاق حل عقد النكاح بسبب من جهة الرجل وامرأة طالق زعم قوم ان تاء التأنيث إنفا حذفت لأنه لاحظ فيه للمذكر وهذا ليس شيء لأن في الكلام اشياء كثيرة يشترك فيها المذكر والمؤنث لا يثبت فيها الماه في المؤنث يقال بعير ضامر وناقصة ضامر وامثاله كثيرة وقال سيويه انه وقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث لأن المعنى شيء طالق وحقيقته انه على جهة النسب نحو قولهم امرأة مطلق أي ذات طفل وطالق أي ذات طلاق فإذا أجرته على الفعل قلت طالقة قال الاعشى

أيا جارتني بيني فإنك طالقه كذلك أمور الناس غاد وطارقه

واصل الطلاق من الانتلاق وطلقت المرأة عند الولادة فهي مطلوقة إذا تمخضت والطلاق الشوط من الجري والطلاق الجبل الشديد القتل والسميع من كان على صفة يجب لاجلها أن يدرك السموات إذا وجدت وهي ترجع إلى كونه حيا لا آفة به والسامع المدرك ويوصف القديم سبحانه في الآية بأنه سميع ولا يوصف في الازل بأنه سامع إنفا يوصف به إذا وجدت السموات

الإعراب

يجوز في أربعة اشهر ثلاثة اوجه الجر على الاضافة و عليه القراءة وهذه الاضافة غير حقيقية فإن الاربعة في محل النصب وإن كان مجرور اللفظ ويجوز في العربية الرفع والنصب تربص اربعة اشهر كقوله فشهادة احدهم اربع شهادات بالله ومثله فجزاء مثل ما كتل من النعم وتربص اربعة اشهر كقوله ألم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا أي تكفكم احياء وامواتا

المعنى

ثم بين تعالى حكم الإيلاء لأنه من جماعة الايمان والاقسام وبهزيمة من شرائع الاسلام فقال (للذين يؤولون) أي يحلفون وفيه حذف أي ان يعتزلوا عن وطء نسائهم على وجه الاضرار بهن (تربص اربعة اشهر) أي التوقف والتثبت في اربعة اشهر واليمين التي يكون الرجل بها مولا هي اليمين بالله عز وجل او بشيء من صفاته التي لا يشاركة فيها احد غيره على وجه لا يقع موقع اللغو الذي لا فائدة فيه ويكون الحلف على الامتناع من الجماع على وجه النضب والضرار وهو المروي عن علي وابن عباس والحسن وقيل في النضب والرضا عن ابراهيم والشعي وجماعة من الفقهاء وقيل هو في الجماع وغيره من الضرار نحو ان يحلف لا يكلمها عن سعيد ابن المسيب (فإن فاءوا) أي رجعوا إلى امر الله بأن يجامعوا عند القدرة عليه ويراجعوا بالقول عند العجز عن الجماع عن ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب وهو مذهبنا وبه قال ابو حنيفة واصحابه وقيل يكون فائيا بالعزم في حال العذر إلا انه ينبغي ان يشهد على فيثمه من الحسن و ابراهيم وعلقمة وهذا يكون عندنا للعاجز عن الجماع ويجب على الفائي عندنا كفارة ولا عقوبة عليه وبه قال ابن عباس وسعيد بن المسيب وقائدة وقال الحسن و ابراهيم لا كفارة عليه ولا عقوبة لقوله (فإن الله غفور رحيم) ومعنى غفور عندنا انه لا يشعه بعقوبة ومن حلف أن

لا يجامع اقل من اربعة اشهر لا يكرن موليا ومن حلف أن لا يقربها وهي مرضعة مخافة ان تحمل فيضرب ذلك بولدها لا يلزمه حكم الايلاء. واذامضت اربعة اشهر ولم يجامع الزمه الحاكم اما الرجوع والكفارة واما الطلاق فإن امتنع جسه حتى يفيء او يطلق (وإن عزموا الطلاق) عزيمه الطلاق عندنا ان يعزم ثم يتلفظ بالطلاق ومتى لم يتلفظ بالطلاق على الوجه المشروع فإن المرأة لا تبين منه إلا ان تستعدي فإن استعدت وانظره الحاكم اربعة اشهر فإنه يوقف عند الاشهر الاربعة ويقال له في او طلق فإن لم يفعل جسه حتى يطلق وبه قال الشافعي إلا انه قال متى امتنع من الطلاق والفتة طلق عنه الحاكم طلاقه رجعية وقال ابو حنيفة واصحابه إذا مضت اربعة اشهر ولم يفيء بانت منه بتولية ولا رجعة له عليها وعليها العدة يحطها في العدة ولا يحطها غيره (فلأن الله سبحانه عليم) يسع قوله ويعلم ضميره وقيل يسع ايلاءه ويعلم نيته وإنما ذكر عقيب الاول فلأن الله غفور رحيم لأنه لما اخبر عن المولى انه يلزمه الفيء او الطلاق بين انه إن فاء. فلأن الله غفور رحيم بأن يقبل رجوعه ولا يتبعه بقباب ما ارتكبه وذكرها هنا انه سبحانه عليم لما اخبر عنه بايقاع الطلاق وكأنه ذلك مما يسع واحب بأنه لا يخفى عليه وانه يسعه فكل لا يليلق إلا بموضعه وذلك من عظيم فصاحة القرآن

قوله تعالى (٢٢٧) وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوَلْتِهِنَّ أَسْحَقُ بُرْدِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (آية)

اللفظة

اعروء جمع قروء وجمعه القليل اقروء والكثير اقروا وقروء وصار بنا. الكثير فيه اغلب في الاستعمال يقال ثلاثة قروء مثل ثلاثه شحوع استغنى بينا. الكثير عن بنا. القليل ووجه آخر وهو انه لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا دخله معنى الكثرة فأتى بينا. الكثرة للاشعار بذلك فالقروء كثيرة إلا انها ثلاثة في ثلاثة في القسمة وهذا الحرف من الاضداد وأصله في اللفظة يحتمل وجهين أحدهما ^١ والاجتماع ومنه قرأت القرآن لاجتماع حروفه وما قرأت الناقه سلاقط اي لم يجتمع رحما على ولد قط قال عمرو بن كلثوم

ذراعي عيطل ادما بكر هجان اللون لم تقرأ جنيئا

فعل هذا يقال اقراءت المرأة فهي مقرى. إذا حاضت واتشد له «قروء» كقروء الحائض وذلك لاجتماع الدم في الرحم ويحيى. على هذا ان يكون القروء الطهر لاجتماع الدم في جملة البدن ^٢ والوجه الثاني ^٣ ان اصل القروء الوقت الجاري في الفعل على عادة وهو يصلح للحيض والطهر يقال هذا قارى الرياح اي وقت هبوبها قال الشاعر

شئيت العقر عقر بني شليل إذا هبت لقاربها الرياح

اي لوقت هبوبها وشدة بردها والذي يدل على ان القروء الطهر قول الأعشى

وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا

مورثة مالا وفي الأرض رفعة لما ضاع فيها من قروء نساككا

فالذي ضاع هاهنا الاطهار لا الحيض والبوالة جمع بعل ويقال بعل يعبل بعولة وهو بعل وسهي الزوج بعلا لأنه عال على المرأة بملكه لزوجيتها وقوله أتدعون بعلاي ربا وقيل انه صنم والبعل النخل يشرب بمروقه لأنه مستعمل على شربه وبعل الرجل بأمره إذا ضاق به ذرعا لأنه علاه منه ماضاق به ذرعه وجعل الرجل بطر لأنه

استعلى تكبرا وامرأة بل لا تحسن لبس الثياب لأن الحيرة تستعلي عليها فتدهشها والرجال جمع رجل يقال رجل بين الرجالة أي القوة وهو ارجلها أي اقوامها وفرس رجيل قروي على المشي وسميت الرجل رجلا لقوتها على المشي ورجل من جراد قطعة منه تشبها بالرجل لأنها قطعة من الجملة والراجل الذي يمشي على رجله وارتجل الكلام ارتجالا لأنه قروي عليه مسن غير ركوب فككرة وترجل النهار لأنه قروي ضياؤه يقزول الشمس إلى الأرض ورجل شعره إذا طوله واصل الباب القوة والدرجة المقتلة

الإعراب

ان كن يؤمن بالله جواب الشرط محذوف وتقديره إن كن يؤمن بالله لا يكتمن وكذلك جواب الشرط من قوله تعالى إن ارادوا إصلاحا محذوف وتقديره إن ارادوا إصلاحا فبعولتهن أحق بردهن مثل الذي عليهن إضافة مثل غير حقيقية لأن الذي عليهن مفعوله

المعنى

ثم بين سبحانه حكم المطلقات والطلاق فقال (والمطلقات) أي المخليات عن جبال الأزواج بالطلاق وإنما يعني المطلقات المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل لأن في الآية بيان عدتهن (يتربصن بأنفسهن ثلاثة قرو) معناه ينتظرن بأنفسهن انقضاء ثلاثة قرو. فلا يتزوجن لفظه خبر ومعناه امر والمراد بالقرو الاطهار عندنا وبه قال زيد بن ثابت وعائشة وابن عمر ومالك والشافعي واهل المدينة قال ابن شهاب ما رأيت احدا من اهل بلدنا الا وهو يقول الاقراء الاطهار إلا سعيد بن المسيب والمروى عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد ورووه ايضا عن علي ان القرو الحيض والمراد بثلاثة قرو. ثلاثة حيض وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه واستشهدوا بقوله عليه السلام للمستحاضة دعي الصلاة ايام اقرائك والصلاة إنما تترك في ايام الحيض واستشهد من ذهب إلى ان القرو الطهر بقوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) أي في طهر لم تجامع فيه كما يقال امرأة الشهر (كذا) ويقول النبي (ص) لما طلق ابن عمر زوجته وهي حايض مرة فليراجعها فإذا طهرت فليطلق او ليسك وتلا النبي (ص) إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن قبل عدتهن فأخبر ان العدة الاطهار دون الحيض لأنها حينئذ تستقبل عدتها ولو طلقت حايضا لم تكن مستقبلة عدتها إلا بعد الحيض وروى اصحابنا عن زرارة قال سمعت ربيعة الرأي يقول ان من رأيت ان الاقراء التي سمي الله في القرآن إنما هي الطهر فبها بين الحيضين وليست بالحيض قال فدخلت على أبي جعفر فعدته بما قال ربيعة فقال كذب لم يقل برأيه وإنما بلغه عن علي عليه السلام قلت اصلحك الله أكان علي يقول ذلك قال نعم كان يقول إنما القرو الطهر تقرأ فيه الدم فتجمعه فإذا جاء الحيض قذفته قلت اصلحك الله رجل طلق امرأته طاهرة من غير جماع بشهادة عدلين قال إذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للأزواج قال قلت إن اهل العراق يروون عن علي (ع) انه كان يقول هو أحق بردها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة فقال كذبوا (ولايجل هن) أي للمطلقات اللاتي تجب عليهن العدة (ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن) قيل اراد به الحيض عن ابراهيم وعكرمة وقيل اراد به الجبل عن ابن عباس وقتادة وقيل اراد بالحيض والجبل عن ابن عمر والحسن وهو المروي عن الصادق (ع) قال قد فرض الله إلى النساء ثلاثة اشياء الحيض والطمهر والجبل وهذا القول أعم والأخذ به اولى وإنما لم يجعل هن الكتمان لئلا يظلمن الزوج بمنع المراجعة عن ابن عباس وقيل بنسبة الولد إلى غيره كفعل الجاهلية عن قتادة وقوله (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فهذه صفة موحليته وليس هذا بشرط حتى انها إذا لم تكن مومنة يجعل لها الكتمان ولكن المراد ان الايمان يمنع من ارتكاب هذه المعصية كما يقول الرجل لصاحبه إن كنت مؤمنا فلا تظلم وهذا على وجه الوعيد (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك) يعني ان ازواجهن أولى بمراجعتهم وهي ردهن إلى

الحالة الأولى في ذلك الأجل الذي قدر لمن في مدة العدة فإنه ما دامت تلك المدة باقية كان للزوج حق المراجعة ويفوت بانتقضائها وفي هذا ما يدل على أن الزوج ينفرد بالمراجعة ولا يحتاج في ذلك إلى رضا المرأة ولا إلى عقد جديد وأشهاد وهذا يختص بالرجعيات وإن كان أول الآية عاما في جميع المطلقات الرجعية والبائنة (إن أرادوا إصلاحا) لا أضرارا وذلك إن الرجل كان إذا أراد الأضرار بامرأته طلقها واحدة وتركها حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها وتركها مدة ثم طلقها أخرى وتركها مدة كما فعل في الأولى ثم راجعها وتركها مدة ثم طلقها أخرى فجعل الله الزوج أحق بالمراجعة على وجه الإصلاح لا على وجه الأضرار وإنما شرط الإصلاح في إباحة الرجعة لا في ثبوت أحكامها لإجماع الأمة على أن مع إرادة الأضرار يثبت أحكام الرجعة وقوله (ولهن) أي للنساء على أزواجهن (مثل الذي لهم عليهن) من الحق (المعروف) وهذا من الكلمات العجيبة الجامعة للفوائد الجملة وإنما أراد بذلك ما يرجع إلى حسن العشرة وترك المضارة والتسوية في القسم والنفقة والكسوة كما أن للزوج حقوقا عليها مثل الطاعة التي أوجبها الله عليها له وإن لا تدخل فراش غيره وإن تحفظ ماءه فلا تحتال في إسقاطه وروي أن امرأة معاذ قالت يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها قال إن لا يضرب وجهها ولا يقبضها وإن يطعمها بما يأكل ويلبسها بما يلبس ولا يهجرها وروي عنه (ص) أنه قال اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله ومن حكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم من تكرهونه فلن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله (ولللرجال عليهن درجة) قيل معناه فضيلة منها الطاعة ومنها أن يملك التخلية ومنها زيادة الميراث على قسم المرأة والجهاد هذا قول مجاهد وقتادة وقيل معناه مقترلة في الأخذ عليها بالفضل في المعاملة حتى يقول ما أحب أن استوفي منها جميع حقي ليكون لي عليها الفضيلة عن ابن عباس وقيل معناه أن المرأة تنال اللذة من الرجل كما ينال الرجل منها وله الفضل بنفقته وقيامه عليها من الزواج وفي تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم قال حق الرجال على النساء أفضل من حق النساء على الرجال وفي كتاب من لا يحضره الفقيه روى عن الباقر (ع) قال جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة فقال لها إن تطيعه ولا تعصيه ولا تصدق من بيتها بشيء إلا بإذنه ولا تصوم تطوعا إلا بإذنه ولا تمتعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن خرجت بغير إذنه كعتهم ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة النضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها فقالت يا رسول الله مسن أعظم الناس حقا على المرأة قال زوجها قالت فما لي من الحق عليه مثل ما له من الحق علي قال لا ولا مسن كل مائة واحدة فقالت والذي بعثك بالحق لا يملك رقبتك رجل أبدا وقال عليه السلام لو كنت أمرا أحدا يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها (والله عزيز حكيم) أي قادر على ما يشاء يمنع ولا يمنع ويقهر ولا يقهر فاعل ما تدعو إليه الحكمة وقد قيل في الآية أن المطلقة قبل الدخول والمطلقة الحاملة نسختا من هذه الآية بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن وقيل أنها مخصوصتان من الآية كما ذكرناه في أول الآية

قوله تعالى (٢٢٨) الطلاق مرتان فإمساكٌ بمروءةٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ ولا يحلُّ لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدودَ الله فلا جناحَ عليهما فيما اقتدتا به تلكَ حدودَ الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدودَ الله فأولئك هم الظالمون (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر وابو حمزة إلا ان يخافا بضم الياء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

خاف فعل يتعدى الى مفعول واحد وذلك المفعول يكون ان وصلتها نحو قوله تخافون ان يتخطفكم الناس ويكون غيرها نحو قوله تخافونهم فوجه قراءة حمزة الأيضافا انه لما بنى الفعل للمفعول به اسند الفعل اليه فلم يبق شيء يتعدى اليه فاما ان من قوله ان لا يقيافا فان الفعل يتعدى اليه بالجار كما تعدى بالجار في قوله لو خافك الله عليه حرمه وموضع ان في الآية جاز بالجار المقدر على قول الخليل والكسائي ونصب في قول سيويه وأصحابه إلا أنه لما جذف الجار وصل الفعل الى المفعول الثاني مثل استغفر الله ذنبا وامرتك الخير فقراءته مستقيمة على ما رأيت فإن قال قائل لو كان يخافا كما قرأ لكان ينبغي ان يكون فإن خيفا قيل لا يلزمه هذا السؤال لمن خالفه في القراءة لأنهم قد قرأوا إلا ان يخافا ولم يقولوا فإن خافا وليس يلزم هذا السؤال جميعهم لأنهم **أحدهما** انه انصرف من النية الى الخطاب كما قال الحمد لله ثم قال إياك نعبد وما آتيتك من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون وهذا النحو كثير في التثنية وغيره **والآخر** ان يكون الخطاب في قوله فإن خفتم مصروفا الى الولاية والفقهاء الذين يقومون بأمر الكافة وجاز ان يكون الخطاب للكثرة فيسبغ انصرافا من النية الى الخطاب لأن ضمير الاثنين في يخافا ليس يراد به اثنان مخصوصان انها يراد به ان كل من كان هذا شأنه فهذا حكمه فأما من قرأ يخافا بفتح الياء فالمنعني انه اذا خاف كل واحد من الزوج والمرأة ان لا يقيأ حدود الله حل الاقتداء.

﴿ اللغة ﴾

المرء والمرتان كالكرة والكرتين واصل المرة المرور خلاف الوقوف والمرة شدة القتل لاستمراره على الاحكام والإمساك خلاف الاطلاق وما بفلان مسكة وتماسك اذا لم يكن فيه خير والمسك البخيل والمسك الإهاب لانه يمسك البدن باحتوائه عليه والمسك السواد لاستمساكه في اليد والتسريح مأخوذ من السرح وهو الاطلاق وسرح الماشية في المرعى سرحا إذا أطلقها ترعى وسرحت الماشية انطلقت في المرعى والسرحان الذئب لاتباعه السرح والسرحة الشجرة المرتفعة لانطلاقها في جهة الطول والسرح المشط لاطلاق الشعر به والسراح الجراد لانطلاقه في البلاد وان يخافا معناه ان يظنا قال الشاعر

أتاني كلام عن نصيب يقوله وما خفت ياسلام انك عائي
يعني ما ظننت وأنشد الفراء

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عرونها
ولا تدفني في الفلاة فإنني اخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

وقال أبو عبيدة إلا أن يخافا معناه يوقنا فإن خفتم ههنا معناه فإن ابتغتم

﴿ الإعراب ﴾

الطلاق رفع بالابتداء ومرتان الخبر وقوله فامساك خبر مبتدأ محذوف تقديره قالواجب عليك امساك ولو كان في الكلام فامساكا بالنصب لكان جازيا على فامسكوهن امساكا بمرفوع كما قال فامسكوهن بمرفوع ان يخافا موصول وصلة موضعها نصب بأنه مفعول له تقديره لما خفتم وان لا يقيأ في موضع نصب بأنه مفعول يخافا تقديره يخافا ترك اقامة حدود الله

﴿ النزول ﴾

روى هاشم بن عروة عن ابيه عن عائشة ان امرأة اتتها فشكت ان زوجها يطلقها ويسترجعها يضارها بذلك وكان الرجل في الجاهلية اذا طلق امرأته ثم راجعها قبل ان تنقض عدها كان له ذلك وان طلقها الف مرة لم يكن للطلاق عندهم حد فذكرت ذلك لرسول الله فنزلت الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق ثلاثا والطلاق الثالث قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وروي ايضا انه قيل للنبي الطلاق مرتان فأين الثالثة قال امسك بعروف او تسريح باحسان وقوله إلا ان يخافا فانزل في ثابت بن قيس بن شماس وزوجته جميلة بنت عبد الله بن ابي وكان يسيبها وتبغضه فقال لها اتردين علي حديقته قالت نعم زازيده قال لاحديقته فقط فردت عليه حديقته فقال يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان اول خلع في الاسلام

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه عدد الطلاق فقال الطلاق مرتان اي الطلاق الذي تملك فيه الرجعة مرتان وفي معناه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه بيان تفضيل طلاق السنة وهو أنه إذا اراد طلاقها ينبغي ان يطلقها في طهر لم يقر بها فيه بجراح تطليقة واحدة ثم يتركها حتى تخرج من العدة او حتى تحيض وتطهر ثم يطلقها ثانية عن ابن عباس ومجاهد ﴿ والثاني ﴾ ان معناه البيان عن عدد الطلاق الذي يوجب البيونة ما لا يوجبها وفي الآية بيان انه ليس بعد التطليقتين الا الفرقة البائنة ولفظه لفظ الخبر ومعناه الامرأي طلقوا دفعين وقوله (فامسك بعروف) تقديره فالواجب إذا راجعها بعد التطليقتين امسك بعروف أي على وجه جميل سائغ في الشريعة لا على وجه الاضرار بهن (او تسريح باحسان) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه الطلقة الثالثة ﴿ والثاني ﴾ انه يترك الممتدة حتى تبين بانقضاء العدة عن السدي والضحاك وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ولا يحل لكم) خطاب للزواج (ان تأخذوا) في حال الطلاق والاستبدال (ما آتيتوهن) اي اعطيتوهن من المهر (شيئا) ثم استثنى الخلع فقال (الا ان يخافا الا يقيا حدود الله) معناه الا ان يغلب على ظنهما ان لا يقيا حدود الله لما بينهما من اسباب التباعد والتباغض وقال ابن عباس هو ان يظهر من المرأة النشوز وسوء الخلق بغضا للزوج وقال ابو عبد الله اذا قالت المرأة له لا اغتسل لك من جنبتي ولا ابر لك قسما ولا وطنن فراشك ولا دخلن عليك بغير اذنك اذا قالت له هذا حل له ان يخلعها وحل له ما اخذ منها وعلى الجملة اذا خاف ان تعصي الله فيه بارتكاب محظور او اخلال بواجب وان لا قطعها فيما يجب عليها فحينئذ يحل له ان يخلعها وروي مثل ذلك عن الحسن وقال الشعبي هو نشوزها ونشوزها (فان خفتهم الا يقيا حدود الله) اي فإن ظننتهم ان لا يكون بينهما صلاح في المقام (فلا جناح عليهما) اي فلا حرج ولا إثم عليهما وهذا يفيد الاباحة وفي قوله عليهما وان كانت الاباحة للزوج وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان الزوج لو خص بالذكر لأوهم انها عاصية وان كانت الفدية له جائزة فين الاذن لهما في ذلك ليزول الابهام عن علي بن موسى ﴿ والآخر ﴾ ان المراد به الزوج وما ذكره معه المرأة لاقتراهما كقوله نسيما حورتها وقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما هو من الملح دون العذب فجاز للاتساع قال الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن وهذا اليعقوبية لان الذي يبيح الخلع عندنا هو ما لولاه لكانت المرأة عاصية وأقول ان الذي عندي في ذلك ان جواز وقوع العصيان منها هو السبب في اباحة الخلع ورفع الجناح انما تعلق بالخلع لا بسبابه والوجه الأول اولي بالاختيار واشد ملائمة بظاهر الآية والوجه الاخير مرغوب عنه لعدوله عن سنن الاستقامة اذ لا يكون الاثنان واحدا في الحقيقة (فيا اقتدت به) اي بذلت من المال واختلف في ذلك فعندنا ان كان البغض منها وحدها وخاف منها العصيان جاز ان يأخذ للمهر وزيادة عليه دان كان منهما فدون المهر وقيل انه يجوز الزيادة على المهر والنقصان من غير تفصيل عن ابن عباس وابن عمر ورجاء بن حيوة وابراهيم ومجاهد وقيل المهر فقط عن ربيع وعطا

والزهري والشعبي ورووه عن علي والخلع بالفدية على ثلاثة اوجه ﴿احدها﴾ ان تكون المرأة عجزا او ذمية فيضار بها الزوج لتفتدي نفسها فهذا لا يحل له الفدا لقوله وإن اردتم استبدال زوج مكان زوج الآية ﴿والثاني﴾ ان يرى الرجل امرأته على فاحشة فيضار بها لتفتدي نفسها فهذا جائز وهو معنى قوله ولا تمضون لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴿والثالث﴾ ان يخافا الا يقيا حدود الله لسوء خلق أو قلة نفقة من غير ظلم أو نحو ذلك فيجوز لهما جميعا الفدية على ما مر تفصيله (تلك حدود الله) اي اوامره ونواهيه وما نصب من الآيات في الخلع والطلاق والرجعة والعدة (فلا تعدوها) أي فلا تجاوزوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله) اي يتجاوزها بأن يخالف ما حد له (فأولئك هم الظالمون) واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع لأنه قال الطلاق مرتين ثم ذكر الثالث على الخلاف في أنها قوله أو تسريح باحسان او قوله فإن طلقها ومن طلق ثلاثا بلفظ واحد فإنه لم يأت بالمرتين ولا بالثالثة كما انه لما أوجب على العباد اربع شهادات فلو أتى بالاربع بلفظ واحد لما أتى بالمشروع ولم يحصل حكم اللعان وكذلك لو رمى في الجمار بسبع حصيات دفعة واحدة لم تجزى عنه بلا خلاف وكذلك الطلاق

قوله تعالى (٢٢٩) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (آية)

﴿ الإعراب ﴾

موضع ان في قوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا جر باضمار الجار وتقديره في أن يتراجعا عن الخليل والكسائي والزجاج وقيل موضعه نصب وهو اختيار الزجاج وباقي النحويين وموضع أن الثانية وهو ان يقيا حدود الله نصب بلا خلاف بظنا وانما جاز حذف في من ان يتراجعا ولم يجر حذفه من المصدر الذي هو التراجع لطول ان بالصلة كما جاز الذي ضربت زيدا لطول الذي بالصلة ولم يجر في المصدر كما لم يجر في اسم الفاعل نحو زيد ضارب عمرا يريد ضاربه

﴿ النزول ﴾

الزهري عن عروة عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة بن وهب القرظي الى رسول الله (ص) فقالت إني كنت عند رفاعة فطلقني فبنت طلاقتي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وأن ما معه مثل هدية الثوب وأنه طلقني قبل ان يمسي فارجع الى ابن عمي فتبسم رسول الله وقال تريدان ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عيشتك وتذوق عيشتي وفي قصة رفاعة وزوجته نزل فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حكم التولية الثالثة فقال (فإن طلقها) يعني التولية الثالثة على ما روي عن أبي جعفر وبه قال السدي والضحاك وقيل هو تفسير قوله او تسريح باحسان عن مجاهد وهذا على مذهب من جعل التسريح طلاقا (فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) اي لا تحل هذه المرأة اي لا يحل نكاحها لهذا الرجل الذي طلقها حتى تزوج زوجا غيره وبجامعها واختلف في ذلك فقيل المقدم علم بالكتاب والوطء بالسنة عن الجبائي وقيل بل كلاهما علم بالكتاب لأن لفظ النكاح يطلق عليهما فكانه قيل حتى يتزوج وبجامعها الزوج ولان المقدم استفاد بقوله زوجا غيره والنكاح استفاد بقوله حتى تنكح وإنما أوجب الله ذلك لعلمه بصعوبة تزوج المرأة على الرجل

حتى لا يعجلوا بالطلاق وان يشتبوا قال ابو مسلم وهذا من الكنايات الفصيحة والايجاز العجيب (فإن طلقها) الزوج الثاني (فلا جناح عليها ان يترجعا) اي فلا جناح على الزوج وعلى المرأة ان يعقدا بينهما عقد النكاح ويعودا الى الحالة الاولى فذكر النكاح بلفظ التراجع (ان طلقا) اي ان رجيا وقيل علما وقيل اعتقدا (ان يقيا حدود الله) في حسن الصحبة والمعاشرة وانه يكون بينهما الصلاح وتلك اشارة الى الأمور التي بينها في النكاح والطلاق والرجعة (حدود الله) او امره ونواهيها (بينهما) يفصلها (تقوم يعلمون) خص العالمين بذكر البيان لهم لانهم هم الذين ينتفعون ببيان الآيات فصار غيرهم بمنزلة من لا يعتد به ويجوز ايضا أن يكونوا خصوا بالذكر تشريفا لهم كما خص جبرائيل وميكائيل بالذكر من بين الملائكة وتدل الآية على أنه إذا طلقها الثالثة فلا تعل له إلا بعد شرائط الزوج الثاني ووطئه في القبل وفرقته وانقضاء عدتها وصفة الزوج الذي يحل المرأة للزوج الاول أن يكون بالغاً ويعقد عليها عقدا صحيحاً دائماً واختلف في التحليل على ثلاثة أقاويل فمنهم من قال اذا نوى التحليل يفسد النكاح ولا تعل للأول عن مالك والاوزاعي والثوري وروي نحوه عن أبي يوسف واحتجوا بقوله لمن الله المحلل والمحلل له ومنهم من قال إذا لم يشترط في العقد حل وإذا شرطه يفسد ولا يعجل عند الشافعي ومنهم من قال يصح العقد ويبطل الشرط ويعجل للأول ولكن يكره ذلك وهو الظاهر من مذهب أبي حنيفة وأهل العراق وقال محمد يصح النكاح ولا يعجل للأول وفي قوله فلا تعل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره دلالة على أن النكاح بغير ولي جائز وان المرأة يجوز لها أن تعقد على نفسها لأنه أضاف العقد إليها دون وليها

قوله تعالى (٢٣٠) وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهِنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُنكِسُوهُنَّ لِضَرَارٍ تَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آية)

اللغة

الأجل آخر المدة وعاقبة الأمور والمراد بالمعروف هاهنا الحق الذي يدعى اليه العقل والشرع للسرقة بصحته خلاف المنكر الذي يزجر عنه العقل او السمع لاستحالة المعرفة بصحته فما يجوز المعرفة بصحته معروف وما لا يجوز المعرفة بصحته منكر

الإعراب

فبلغن أجلهن الجملة في موضع جر بالعطف على الجملة قبلها وهي طلقتم النساء مجرورة الموضع باضافة إذا إليها وضاردا نصب على الحال من الواو في تمسكون تقديره ولا تمسكون مضارين واللام في لتعدوا يتعلق بتمسكون وضاردا وهزوا مفعول ثانٍ لتتخذوا وما أنزل موصول وصلة في محل نصب بالعطف على نعمة من الكتاب في محل نصب على الحال والعامل فيه اذكروا وذو الحال ما أنزل ومن يكون بمعنى التبيين يبظكم جملة في موضع الحال والعامل فيه أنزل

المعنى

ثم بين سبحانه ما يفعل بعد الطلاق فقال (وإذا طلقتم النساء) وهذا خطاب للزوج (فبلغن أجلهن) البلوغ هاهنا بلوغ مقاربة اي قاربين انقضاء المدة بما يتعارفه الناس بينهم بما تقبله النفوس ولا تنكره العقول والمراد بالمعروف هاهنا أن يسكها على الوجه الذي اباحه الله من القيام بما يجب لها من النفقة وحسن العشرة وغير ذلك (او سرحوهن

بمعروف) اي اتركوهن حتى تنتقضي عدتهن فيمكن املك بانفسهن (ولا تمسكوهن ضرازا) اي لا تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الاضرار بهن اما في تطويل العدة او بتضييق النفقة في العدة (لتمتدوا) اي لتظلموهن (ومن يفعل ذلك) اي الامساك للمضارة (فقد ظلم نفسه) فقد اضر بنفسه وعرضها لعذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) اي لا تستخفوا باوامره وفروضه ونواهيه وقيل آيات الله قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان (واذكروا نعمة الله عليكم) فيا اباحه لكم من الازواج والاموال وما بين لكم من الحلال والحرام (وما انزل عليكم من الكتاب) يعني العلوم التي دل عليها والشرائع التي بينها (يعظكم به) لتعظوا فتونجروا بفعل ما امركم الله به وترك ما نهاكم عنه (واتقوا الله) اي معاصيه التي تؤدي الى عقابه وقيل اتقوا عذاب الله باتقائه معاصيه (واعلموا ان الله بكل شيء عليم) من افعالكم وغيرها

قوله تعالى (٢٣١) وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَآضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكى لَكُمْ وَأَطْهرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آية)

✽ اللغة ✽

العضل الحبس وقيل هو مأخوذ من المنع وقيل هو مأخوذ من الضيق والشدة والامر المعضل المستنع بصعوبته وعضلت الناقه فهي معضلة اذا احتبس ولدها في بطنها وعضلت الدجاجة اذا احتبس بيضها وتقول عضل المرأة يعضلها عضلا اذا منعها من التزويج ظلما واعضل الداء الأطباء اذا امياهم ان يقوموا به وامتنع عليهم لشدة داء عضال وفلان عضلة من العضل أي داهية من الدواهي

➤ الإعراب ➤

موضع ان من قوله ان ينكحن ازواجهن جر عند الخليل والكسائي وتقديره من ان ونصب عندغيرهما بوصول الفعل ذلك يوعظ به مبتدأ وخبر وقوله من كان يؤمن بالله في موضع رفع بيوعظ ومنكم في موضع الحال من الضمير في يؤمن

➤ النزول ➤

نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملا. ان ترجع الى الزوج الاول وهو غاصم بن عدي فإنه كان طلقها وخرجت من العدة ثم اراد ان يجتمعا بعقد آخر فمنها من ذلك فقلت الآية عن قتادة والحسن وجماعة وقيل نزلت في جابر بن عبد الله عضل بنت عم له عن السدي والوجهان لا يصحان على مذهبتنا لأنه لا ولاية للأخ وابن العم عندنا ولا تأثير لعضلها فالوجه في ذلك ان تحمل الآية على المطلقين كما في الظاهر فكأنه قال لا تعضلوهن اي لا تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن اضرازا بهن لا رغبة فيهن فإن ذلك لا يسوغ في الدين ويجوز ان يكون العضل محمولا على الجبر والحيلولة بينهما وبين التزويج دون ما يتعلق بالولاية

➤ المعنى ➤

(واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) اي انقضت عدتهن (فلا تعضلوهن) اي لا تمنعهن ظلما عن التزوج وقيل المراد به التخلية وقيل هو خطاب للأولياء ومنع لهم من عضلهم وقيل خطاب للأزواج يعني ان تطلقوهن في السر ولا تظهروا طلاقهن كيلا يتزوجن غيرهم فييقنن لا مسكات امساك الازواج ولا مخليات تخلية الطلاق او تطولوا العدة عليهم (ان ينكحن ازواجهن) اي من رضين بهم ازواجا لهم وقيل الذين كانوا ازواجا لهم من قبل

(اذا تراضوا بينهم بالمعروف) اي بما لا يكون مستحكرا في عادة ولا خلق ولا عقل وقيل إذا تراضى الزوجان بالتكاح الصحيح عن السدي وقيل اذا تراضيا بالمهر قليلا كان او كثيرا (ذلك) اشارة الى ما سبق من الأمر والنهي (يوعظ به) يزجر ويخوف به (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) إنما خصهم بالذكر لأنهم الذين انتفعوا به او لأنهم اولى بالاتعاض به وقيل لأن الكافر انما يلزمه الوعظ بعد قبوله الايمان واعترافه بالله تعالى (ذلكم اذ كسى لكم) اي خير لكم وافضل واعظم بركة وأحرى ان يجعلكم أذكيا. (واطهر) اي اطهر لقلوبكم من الريبة فانه لعل في قلبها حبا فاذا منعت من التزويج لم يؤمن أن يتجاوزا الى ما حرم الله وقيل اطهر لكم من الذنوب (والله يعلم) ما لكم فيه من الصلاح في العاجل والآجل (وانتم لا تعلمون) وأنتم غير عالمين الا بها اعطىكم وليس لأحد ان يستدل بالآية على ان القعد لا يصح الا بولي لأننا قد بينا ان المراد بالعضل المنع وإذا حملنا الآية على انها خطاب للزوج سقط قولهم وهذا لي لانه لم يجز للأوليا. ذكر كما جرى ذكر المطلقين

قوله تعالى (٢٣٢) والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد أن يرضع الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة يولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن اراد ا فصلا عن تراضيهنهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سألتم ما آتيتن بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير (آية)

القراءة

قرأ أهل البصرة وابن كثير وقتيبة عن الكسائي لا تضار بالرفع وتشديد الراء. وقرأ أبو جعفر وحده بتخفيف الراء. وسكونها والباقرن بتشديدها وفتحها وقرأ ابن كثير وحده ما آتيتن. مقصورة الألف والباقرن ما آتيتن وكذلك في الروم

الحجة

من رفع فلأن قبله لا تكلف فاتبعه ما قبله ليكون احسن لتشابه اللفظ فإن قلت أن ذلك خبر وهذا أمر قيل إن الأمر قديمي على لفظ الخبر في التثنية الا ترى الى قوله والمطلقات يربصن بأنفسهن ويوكذلك انما بعده على لفظ الخبر وهو قوله وعلى الوارث مثل ذلك والمعنى ينبغي ذلك فلا وقع موقعه صار في لفظه ومن فتح جعله امرا وفتح الراء ليكون حركته موافقة لما قبلها وهو الألف فاما قراءة ابي جعفر لا تضار فينبغي أن يكون اراد لا تضار كما روى في الشواذ عن ابان عن عاصم الا انه حذف احدى الرائين تخفيفا كما قالوا احست في احست وظلت ومست في ظلمت ومستت ومن قرأ آتيتن فالمراد ابتاء المهر كقوله وآتيتن إحداهن قنطارا وقوله إذا آتيتوهن أجورهن وأما قول ابن كثير فتقديره إذا سلمتم ما آتيتن نقده او آتيتن سرقه فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ثم حذف الما. من الصلة فكانه قال آتيت نقدا الف اي بذلته كما يقول آتيت جيلا أي فعلته ويؤيده قول زهير

فما بك من خير أتوه فإنما توارثة آباء أبائهم قبل

فكما تقول آتيت خيرا فكذلك تقول آتيت نقدا وقد وقع آتيت موضع آتيت ويجوز ان يكون ما في الآية مصدرا فيكون التقدير اذا سلمتم الايتان والايان المأني مما يبذل بسوق او نقد كقولك ضرب الأمير اي مضروبه

﴿ اللغة ﴾

الرضع مص الثدي بشرب اللبن منه يقال ارضع ورضع والمصدر الرضع والرضع والرضاعة ورضع راضع يرضع لبن ناقته من لومه لئلا يسمع الضيف صوت الشغب وارضعت المرأة فهي مرضعة وقولهم مرضع بغير هاء ذات رضاع والحول السنة مأخوذ من الانقلاب في قولك حال الشيء عما كان عليه يحول ومنه الاستحالة في الكلام لانقلابه عن الصواب وقيل اخذ من الانتقال من قولك تحول عن المكان والكسوة مصدر كسوته ثوبا اي البسته واكسنى اي لبس والكسوة اللباس والتكليف الالزام الشاق واصله من الكلف وهو ظهور الأثر لأنه يلزمه ما يظهر فيه اثره وتكلف أي تحمل والكلف بالشيء الايلاء به والوسع الطائفة مأخوذ من سعة المسلك الى الغرض فيمكن لذلك فلو ضاق لأعجز عنه فالسعة فيه بمنزلة القدرة فلذلك قيل الوسع بمعنى الطاقة والفصال القطام لانفصال المولود عن الاعتداء بشدي امه الى غيره من الاقوات وفصيلة الرجل بتو ابيه لانفصالهم من اصل واحد والفصل الفرق والتشاور مأخوذ من الشور وهو اجتناب العسل تقول شرت العسل أشوره شورا إذا اجتنبته من مكانه والمشورة استخراج الرأي من المستشار لانها تجتنى منه وأشار اليه إشارة أومى اليه والمشيرة الاصع التي تسمى السبابة لأنه تشاربها والشاره الهيئة واللباس الحسن لانه بما يشار إليه لحسنه والتشوير استخراج سير الدابة كالاجتناب.

﴿ الإعراب ﴾

عن تراض في موضع الحال تقديره فإن أرادا متراضين منهما في موضع جر صفة لتراض أن تسترضعوا اولادكم معناه لا اولادكم فحذفت اللام لدلالة الاسترضاع عليه من حيث لا يكون إلا للاولاد ولا يجوز دعوت زيدا تريد لزيد لانه لا يجوز أن يكون مدعوا له إذ معنى دعوت زيدا لعمره خلاف دعوت زيدا فقط فلا يجوز للاتباس وقوله بالمعروف جاز أن يتعلق بسلمت كأنه قال إذا سلمت بالمعروف ما أتيتم ويجوز أن يتعلق بأتيتم على حد قولك أتيته بزيد

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه حكم الطلاق عقبه ببيان احكام الاولاد الصغار في الرضاع والتربية وما يجب في ذلك من الكسوة والنفقة فقال (والوالدات) اي الامهات (يرضعن اولادهن) صيغته صيغة الخبر والمراد به الامراي يرضعن اولادهن كقوله يترضعن بأنفسهن وجاز ذلك التصرف في الكلام مع رفع الاشكال إذ لو كان خبرا لكان كذبا لجواز أن يرضعن أكثر من حولين أو أقل وقولك حسبك درهم معناه اکتف بدرهم ثم وقيل هو خبر بمعنى الأمر وتقديره والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين في حكم الله الذي أوجبه على عباده فحذف للدلالة عليه وهذا أمر إستجاب لا أمر إيجاب والمعنى إنهن احق برضاعهم من غيرهن بدليل قوله وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ثم بين مدة الرضاع فقال (حولين كاملين) أي عامين تلمين أربعة وعشرين شهرا وإنما ذكر كاملين وإن كانت الثلثية تأتي على إستيفاء العدة لرفع الابهام الذي يعرض في الكلام فإن الرجل يقول سرت شهرا واقمت عند فلان سنقر إن كان قد سار قريبا من شهر واقام قريبا من السنة وفي هذا بيان لأمرين ﴿ احدهما ﴾ مندوب ﴿ والثاني ﴾ فرض فالمندوب وهو ان يجعل الرضاع تمام الحولين والمفروض هو ان المرضعة تستحق الاجرة في مدة الحولين ولا تستحق فيا زاد عليه واختلف في هذا الحال هل هو لكل مولود او للبعض فقال ابن عباس ليس لكل مولود ولكن لمن ولد لسته اشهر وإن ولد لسبعة اشهر فثلاثة وعشرون وإن ولد لتسعة اشهر فاحد وعشرون يطلب بذلك الكلمة ثلاثين شهرا في الحمل والفصال وعلى هذا يدل ما رواه اصحابنا في هذا الباب لأنهم رووا ان ما نقص عن احد وعشرين شهرا فهو جور على الصبي وقال الثوري وجماعة هو لازم في كل ولد إذا اختلف والداه رجعا إلى

الحولين من غير زيادة ولا نقصان ولا يجوز لها غير ذلك والرضاع بعد الحولين لا حكم له في التحريم عندنا وبه قال ابن عباس وابن مسعود واكثر العلماء. قالوا المراد بالآية بيان التحريم الواقع بالرضاع ففي الحولين يحرم وما بعده لا يحرم وقوله (لمن اراد أن يتم الرضاعة) اي لمن اراد أن يتم الرضاعة المفروضة عليه وهذا يدل على أن الرضاع غير مستحق على الأم لأنه علقه بالارادة ويدل عليه قوله وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى وقال قتادة والربيع فرض الله على الوالدات ان يرضعن اولادهن حولين ثم أنزل الرخصة بعد ذلك فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة يعني إن هذا منتهى الرضاع وليس فيا دون ذلك حدد محدود وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به (وعلى المولود له) يعني الاب (رزقهن) يعني الطعام والادام (وكسوتهن) يعني لباسهن والمراد رزق الأم وكسوتهما ما دامت في الرضاعة اللازمة وذلك في المطلقة عن الثوري والضحاك واكثر المفسرين (بالمعروف) يعني على قدر اليسار لأنه علم احوال الناس في الغنى والفقر وجعل حق الحضانة للأم والنفقة على الأب على قدر اليسار ولم يرد به نفقة الزوجات لأنه قابلها بالارضاع ونفقة الزوجة لا تجب بسبب الارضاع وإنما تجب بسبب الزوجية وقال بعضهم اراد به نفقة الزوجات وقوله (لا تكلف نفس إلا وسعها) اي لا يلزم إلا دون طاقتها (لا تضار والدة يولدها) اي لا تترك الوالدة ارضاع ولدها غيظا على ابيه فيضربولده به لأن الوالدة أشفق عليه من الأجنبية (ولا مولود له يولده) اي لا يأخذه من أمه طلبا للاضرار بها فيضربولده فيكون المضارة على هذا يعني الاضرار اي لا تضر الوالدة ولا الوالد بالولد وإنما قال تضار والفعل من واحد لأنه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلة ان يكون الفعل من اثنين وقيل الضرر يرجع إلى الولد كأنه يقول لا تضار كل واحد من الأب والأم بالصبي الأم بأن لا ترضعه والأب بأن لا ينفق او بأن ينتزعه من الأم والباء زائدة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا والد ولده وقيل معناه لا تضار والدة الزوج يولدها ولو قيل في ولدها لجاز في المعنى وروى عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام لا تضار والدة بأن يترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع (ولا مولود له يولده) اي لا تمنع نفسها من الأب خوف الحمل فيضرب ذلك بالأب وقيل لا تضار والدة يولدها بأن ينتزع الولد منها ويسترضع امرأة غيرها مع اجابتها إلى الرضاع بأجرة المثل فعلى هذا يكون معنى يولدها بسبب ولدها ولا مولود له أي لا تمنع هي من الارضاع إذا أعطيت أجرة مثلها فإن فعلت استأجر الأب مرضعة ترضعه غيرها ولا تمنعه من روية الولد فيكون فيه مضارة بالوالد وقوله يولده بسبب ولده ايضا وليس بين هذه الأقوال تناف فالاولى حمل الآية على جميعها وقوله (وعلى الوارث) قيل معناه وارث الولد عن الحسن وقاتدة والسدي وهو من يرثه إذا مات وقيل وارث الوالد عن قبيصة بن ذؤيب والأول أقوى (مثل ذلك) اي مثل ما كان على الوالد من النفقة والرضاع عن الحسن وقاتدة وقيل مثل ما كان على الوالد من ترك المضارة عن الضحاك والمفهوم عند اكثر العلماء الامران معا وهو اليتيم بالعموم واختلفوا في ان النفقة على كل وارث او على بعضهم فقيل هي على العصباء دون اصحاب الفرائض من الأم والأخوة من الأمر عن عمر بن الخطاب والحسن وقيل على وارث الصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون ذي رحم ليس محرم كابن العم وابن الأخت فيجب على ابن الأخت ولم يجب على ابن العم وإن كان وارثه في تلك الحال عن ابي حنيفة وصاحبيه وقيل على الوارث اي الباقي من ابويه عن سفيان وهو الصحيح عندنا وهو ايضا مذهب الشافعي لأن عنده لا يجبر على نفقة الرضاع إلا الوالدان فقط وقد روي ايضا في اخبارنا ان على الوارث كائنا من كان النفقة وهذا يوافق الظاهر وبه قال قتادة واحمد واسحاق وقوله (فإن ارادا فصلا) أي قبل الحولين عن مجاهد وقاتدة وهو المروي عن ابي عبد الله وقيل قبل الحولين او بعدهما عن ابن عباس (عن تراض منها) أي من الأب والأم (وتشاور) يعني اتفاق منهما ومشاورة وإنما شرط تراضيهما وتشاورهما مصلحة للولد لأن الوالدة تعلم مسن تربية الصبي

ما لا يعلمه الوالد فلو لم يتفكرا ويتشاورا في ذلك أدى إلى ضرر الصبي (فلا جناح عليها) اي لا حرج عليها إذا تأسك الولد فإن تنازعا رجعا إلى الحولين وقوله (وإن أردتم) خطاب للآباء (أن تسترضعوا اولادكم) اي لأولادكم ان تطلبوا لهم مرضع غير أمهاتهم لا بآباء أمهاتهم الرضاع او لعة بهن من انقطاع لبن او غيره (فلا جناح عليكم) اي لا حرج ولا ضيق في ذلك (إذا سلمتم ما آتيتن بالمعروف) أي إذا سلمتم إلى الأم أجره المثل مقدار ما أرضعت من مجاهد والسدي وقيل إذا سلمتم الاسترضاع عن تراض واتفاق دون ذلك الضرر عن أبي شهاب وهذا معنى قول ابن عباس وفي رواية عطا قال إذا سلمت أمه ورضي ابوه لعل له غنى يشتري له مرضعا وقيل إذا سلمتم أجره المسترضعة عن الثوري وقيل إذا سلمتم أجره الأم او الظئر عن ابن جريج ومعنى قوله آتيتن ضمتنم والزمتم ثم أوصى بالتقوى فقال (واتقوا الله) يعني معاصيه او عذابه في مجاوزة ما حده لكم (واعلموا ان الله بما تعملون) اي بأعمالكم (بصير) اي عليم لا يخفى عليه شيء منها وفي قوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها دلالة على فساد قول المجبرة في حسن تكليف ما لا يطاق لأنه إذا لم يميز أن يكلف مع عدم الجدة فإن لا يكلف مع عدم القدرة اخرى فإن في الحالين لا سبيل له إلى اداء ما كلف

قوله تعالى (٢٣٣) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

روي في الشواذ عن علي يتوفون بفتح الياء.

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنى هو على حذف المفعول اي الذين يتوفون ايامهم او آجالهم واعارهم وحذف المفعول به كثير في القرآن وفصح الكلام إذا كان هناك دليل عليه كما قال الله وأوتيت من كل شيء اي شيئا قال الخطيب

منعمة تصون إليك منها كصونك من ردا شرعي

اي تصون الكلام منها وتوفيت الشيء استوفيته أخذته واقيا

﴿ اللغة ﴾

يذر ويدع يترك ولا يستعمل منها الماضي استغني عنه بترك والعة في ذلك انهم تركوا الواوات في اول الكلمة حتى انهم لم يلحقوها اولا على جهة الزيادة اصلا والأجل غاية الوقت في محل الدين ونحوه لتأخيره إلى ذلك الوقت والأجل نقيض العاجل لتأخره عن وقت غيره وفعله من أجل كذا اي لعاقبة كذا وهي متأخرة عن وقت الفعل الذي دعت اليه والقطع من بقر الوحش يسمى اجلا وقد تأجل الصرار اي صار اجلا لتأخر بعضه عن بعض وأجل عليهم شرا أجلا اي خباؤه لأنه أعقبهم شرا والأجل الآخرة والعاجلة الدنيا والحجيرة العالم بخبر الخبر وأصله من السهولة والحجار الارض السهلة واخبرت بالشيء لأنه تسهيل لطريق العلم به والحجيرة الاكار والمخابرة المواقرة وهو أن يزرع على النصف او الثلث او نحوه وذلك لتسهيل الزراعة

﴿ الإعراب ﴾

الذين مرتفع بالابتداء ويتوفون صلته ومنكم في موضع النصب على الحال من الواو في يتوفون ويذرون أزواجا عطف على الصلة فهو ايضا من الصلة ويتربصن وما بعده خبر المبتدأ وإذا كان خبر المبتدأ لا يخلو من

ان يكون هو هو او يكون له فيه ذكر فلا يجوز أن يكون هذا الظاهر على الذي هو عليه لخلوه من ضربي خير الابتداء. وقد قيل فيه أقوال ﴿احدها﴾ ان تقدير خبر المبتدأ يقربن بعدهم لأن المعنى يقربن أزواجهم بعدهم اربعة اشهر وعشرا وجاز حذف هذا الذي يتعلق به الرجوع إلى المبتدأ كما جاز ذلك في قولهم السمن منوان بدرهم والمعنى على منوان منه بدرهم عن الأخص ﴿والثاني﴾ ان يكون تقديره أزواجهم يقربن عن أبي العباس المبرد فالمحذوف على هذا هو المبتدأ الذي هو أزواجهم وساغ هذا الحذف لقيام الدلالة عليه كما يسوغ حذف المفرد إذا قامت الدلالة عليه وقيام الدلالة على المضاف أن الأزواج قد تقدم ذكرهن فساغ اضارهن وحسن وأما حذف المضاف إليه فلاقتضاء المبتدأ الرجوع إليه وقد جاء المبتدأ مضافا محذوفا كما جاء المفرد وذلك قوله تعالى لا يفرنك قلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل اي تقلبهم متاع قليل ﴿والثالث﴾ ان يكون تقديره يقربن أزواجهم ثم كني عن الأزواج عن الكسائي وإنما قال وعشرا بالتأنيث تظليا لليالي على الأيام وإذا اجتمعت في التاريخ لأن ليلة كل يوم قبله كما قيل لغمس بقين وقد علم المخاطب ان الأيام داخلة مع الليالي وأنشد سيويه

فطاف ثلاثا بين يوم وليلة
يكون النكيران تضيف وتجأرا
فيا فعلن ما مع صلته في موضع الجر بغي وقوله بالمعروف الجار والمجرور في موضع نصب على الحال

المعنى

لما بين عدة المطلقات بين عدة الوفاة فقال (والذين يتوفون) منكم اي يقبضون ويموتون (ويبدون) اي يتركون (أزواجا) اي نساء (يقربن بانفسهن) اي ينتظرن انقضاء العدة ويجسبن انفسهن عن التزويج معتدات (اربعة اشهر وعشرا) اي عشر ليال وعشرة ايام وهذه عدة المتوفى عنها زوجها سواء كانت مدخولا بها أو غير مدخول بها حرة كانت او امة فإن كانت حبل فعدتها ابعد الاجلين من وضع الحمل او مضي اربعة اشهر وعشر وواقنا في عدة الأمة الاصح وخالف باقي الفقهاء في ذلك فقالوا عدتها نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام واليه ذهب قوم من اصحابنا وقالوا في عدة الحامل انها بوضع الحمل وان كان بعد على المنقل ورروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابي مسعود البدوي وأبي هريرة وعندنا أن وضع الحمل يختص عدة المطلقة والذي يجب على المعتدة في عدة الوفاة اجتنابه هو الزينة والكحل بالأثمد وترك النقلة عن المنزل عن ابن عباس والزهري والامتناع من التزويج لا غير عن الحسن واحدى الروايتين عن ابن عباس وعندنا ان جميع ذلك واجب (فاذا بلغن اجلهن) اي آخر العدة بانقضائها (فلا جناح عليكم) قيل انه خطاب للأولياء وقيل لجميع المسلمين لانه يلزمهم منعها عن التزويج في العدة وقيل معناه لا جناح على النساء عليكم (فيا فعلن في انفسهن) من النكاح واستعمال الزينة التي لا ينكر مثلها وهذا معنى قوله (بالمعروف) وقيل معنى قوله بالمعروف ما يكون جائزا وقيل معناه النكاح الحلال عن مجاهد (والله بما تعملون خبير) اي علم وهذه الآية ناسخة لقوله والذين يتوفون منكم ويبدون أزواجا وصية لازواجهم متاعا إلى الحول غير اخراج وان كانت متقدمة في التلاوة عليه

قوله تعالى (٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتُمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمٌ اللَّهُ أَنْتُمْ مَتَذَكَّرُونَ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا (٢٣٥) وَلَا تَمْرُقُوا مِنْهُنَّ فَاحْذَرُوهُنَّ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (آية)

﴿ النزول ﴾

آية في الكوفي وآيتان في غيرهم يترك قولاً معروفاً

﴿ اللغة ﴾

التعريض ضد التصريح وهو ان تضمن الكلام دلالة على ما تريد واصله من العرض من المشي الذي هو جانبه وناحيته منه وفي الحديث من عرض عرضناه ومن مشى على الكلا القيناه في النهر ومعناه مسن عرض بالقذف عرضنا له بتأديب لا يبلغ الحد ومن صرح القيناه في نهر الحد والفرق بين التعريض والكناية ان التعريض تضمن الكلام دلالة على شيء ليس فيه ذكر له والكناية العدول عن الذكر الأخص بالشيء إلى ذكر يدل عليه فالأول كقول القائل ما أتبع البخل تعرض بأن المخاطب بخيل (والثاني) كقولك زيدا ضربته كنيته عنه بالهاء . والخطبة الذكر الذي يستدعي به إلى عقدة النكاح أخذ من الخطاب وهو توجيه الكلام للإفهام والخطبة الوعظ المستق على ضرب من التأليف وقيل الخطبة ما له أول ولا آخر مثل الرسالة والخطبة للحال نحو الجلسة والعقدة والاكنتان الستر للشيء والكن السرايض والفرق بين الاكنتان والكن ان الاكنتان الاضمار في النفس ولا يقال كنيته في نفسي والكن في المعنى الصون وفي التنزيل بيض مكنون والكانون يحتاج اليه في وقت الاكنتان من البرد والكنانة الجعبة الصغيرة تتخذ للنبيل والسر في اللغة على ثلاثة أوجه الاخفاء في النفس والشرف في الحسب يقال فلان في سر قومه أي في صميمهم والجماع في الفرج قال امرؤ القيس

الأ زعمت بسباسة اليوم انسي كبرت وأن لا يشهد السر أمثالي
وقال الأسي

ولا تنكحن جارة إن سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا

والعزم عقد القلب على أمر تفعله وفي الحديث خير الأمور عوازمها يعني ما وكدت عزمك عليه والعقدة من العقد وهو الشد وفي المثل يا عاقداً اذكر حلا وعقد اليبين خلاف اللغو

﴿ الإعراب ﴾

فيا عرضتم الحار والمجرور في موضع الحال وكذا في قوله من خطبة النساء . ان تقولوا في موضع نصب بدل من سرا تقديره ولا تواعدوهن إلا قولاً معروفاً ولا تنزموا عقدة النكاح أي على عقدة النكاح فعطف على استخفافاً كما قالوا ضرب زيد الظهر والبطن معناه على الظهر والبطن الال سيبويه ان الحذف في هذه الأشياء لا يقاس عليه

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر عدة النساء وجواز الرجعة فيها للازواج عقبه ببيان حال غير الازواج فقال (ولا جناح عليكم) أي لا حرج ولا ضيق عليكم بامشرا الرجال (فيا عرضتم به من خطبة النساء) المعتدات ولم تصرحوا به وذلك بأن تذكروا ما يدل على رغبتكم فيها ثم اختلف في معناه فقيل التعريض هو أن يقول الرجل للمعتدة اني أريد النكاح واني أحب امرأة من صفتها كذا وكذا فيذكر بعض الصفات التي هي عليها عن ابن عباس وقيل هو ان يقول انك لنافعة وانك لموافقة لي وانك لمعجبة جميلة فإن قضى الله شيئاً كان عن القاسم بن محمد والشعبي وقيل هو كل ما كان من الكلام دون عقد النكاح عن ابن زيد (او أكننتم في أنفسكم) أي أسرتم وأضمرتم في أنفسكم من نكاحهن بعد مضي عدتهن وقيل هو اسرار العزم دون اظهاره والتعريض اظهاره عن مجاهد وابن زيد (علم الله انكم ستذكرونهن) برغبتكم فيهن خوفاً منكم أن يسبقكم اليهن غيركم فأباح لكم ذلك (ولكن لا تواعدوهن سرا) فيه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه لا تواعدوهن في السر لأنها أجنبية والمواعدة في السر

تدعو إلى ما لا يجل ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه الزنا عن الحسن ويرهيم وقتادة وقالوا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزينة وهو معرض للنكاح فنهوا عن ذلك ﴿ وثالثها ﴾ انه العهد على الامتناع من تزويج غيرك عن ابن عباس وسعيد بن جبير ﴿ ورابعها ﴾ هو أن يقول لها اني ناكحك فلا تقوتيني نفسك عن مجاهد ﴿ وخامسها ﴾ ان السر هو الجماع فعناه ولا تصفوا أنفسكم بكثرة الجماع ولا تذكروه عن جماعة ﴿ وسادسها ﴾ انه اسرار عقدة النكاح في انسر عن عبد الرحمن بن زيد ويجمع هذه الأقوال ما روي عن الصادق انه قال لا تصرحوا لمن النكاح والتزويج قال ومن السر أن يقول لها موعدك بيت فلان (إلا أن تقولوا قولاً معروفاً) يعني التعريض الذي أباحه الله وإلا بمعنى لكن لأن ما قبله هو المنهي عنه وما بعده هو المأذون فيه وتقديره ولكن قولوا قولاً معروفاً (ولا تعزموا عقدة النكاح) أي على عقدة النكاح يعني لا تبتوا النكاح ولا تعقدوا عقدة النكاح في العدة ولم يرد به النهي عن العزم على النكاح بعد العدة لأنه أباح ذلك بقوله أو أكنتم (حتى يبلغ الكتاب أجله) معناه حتى تنتضي العدة بلا خلاف وقيل الكتاب هو القرآن والمعنى حتى يبلغ فرض الكتاب أي ما فرض في القرآن من العدة والأجل المضروب لها وقيل معناه حتى يبلغ الفرض أجله وعبر بالكتاب عن الفرض كما يقال كتب أي فرض وهذا لأن ما كتب فقد أثبت فقد اجتمعا في معنى الثبوت وقيل ان هذا تشبيه للعدة بالدين المؤجل المكتوب أجله في كتاب فكما يتأخر المطالبة بذلك الدين حتى يبلغ الكتاب أجله كذلك يتأخر خطبة النكاح في العدة إلى انقضاء العدة (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) مسن اسراركم وضائركم (فاحذروه) فاتقوا عقابه ولا تخالفوا أمره (واعلموا ان الله غفور) لعباده (حلِيم) يميل العقوبة المستحقة فلا يعجل بها

قوله تعالى (٢٣٦) لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة وتمسوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي تمسوهن بضم التاء وبأن في موضعين هاهنا وفي الأحزاب وقرأ الباقون تمسوهن وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة إلا أبوبكر وابن ذكوان قدره بفتح الدال في الموضعين والباقيون بسكانها

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ تمسوهن قوله ولم يمسنى بشر ولم يطمشن وانكحوهن والنكاح عبارة عن الوطء. قال جرير التاركون على طهر نساوهم والنا كحون بشطي دجلة البقر وحجة من قرأ ولا تاء - وهن ان فاعل وفعل قديراد بكل واحد منها ما يراد بالآخر وذلك نحو طارقت النعل وعاقبت اللص وقال أبو الحسن يقال هو القدر والقدر وهم يختصمون في القدر والقدر قال الشاعر (ألا يا قوم للنواتب والقدر) وخذ منه بقدر كذا وقدر كذا لنتان وفي كتاب الله فسالت أودية بقدرها وقدرها وعلى الموسع قدره وقدره وما قدروا الله حتى قدره ولو حركت كان جائزاً وكذلك ان كل شيء خلقناه بقدر ولو خفت كان جائزاً إلا أن رؤوس الآي كلها متحركة فيلزم الفتح لأن ما قبلها مفتوح

﴿ اللغة ﴾

الموسع الذي يكون في سعة لغناه والمقتر الذي يكون في ضيق لفقره يقال أوسع الرجل إذا كثرت ماله

واتسعت حاله واقترب إذا افتقر وفترت الشيء اقتربه فترا وفترتة تقديرا إذا ضيقت الاتفاق منه والفتار دخان الشحم على النار لقلته بالإضافة إلى بقيته والفتر الغبار والفتر مسامير الدرع لقلتها وصغرها والفتير ابتداء الشيب لقلته ويجوز أن يكون مشبها بالدخان أول ما يرتفع والفترة ناموس الصائد لأنها كالفتار وأصل الباب الإقلال وقدرت الشيء أقدره وأقدره قدرا وقدرت على الشيء أقدر عليه قدرة وقدورا

﴿ الإعراب ﴾

ما لم تمسوهن موصول وصلته في موضع نصب تقديره مدة ترك المس فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والعامل في الظرف طلق وجواب الشرط محذوف تقديره إن طلقتم النساء. فلا جناح عليكم متاعا نصب على أحد وجهين إما أن يكون حالا من قدره والعامل فيه الظرف أي تمتا متاعاً وأما على المصدر أي تمتوهن متاعاً وحقا ينتصب أيضا على أحد وجهين إما أن يكون حالا من قوله بالمعروف والعامل فيه معنى عرف حقا وأما أن يكون على التأكيد بمجمله الخبر فكأنه قال أخبركم به حقا أو أحقه حقا أو حق ذلك عليهم حقا كأنه قال إيجابا على المحسنين

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل الفرض والميس فقال (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء. ما لم تمسوهن) هذا إباحة للطلاق قبل الميس وفرض المهر ورفع الإثم عن الطلاق قبل الدخول إن لا يتوهم أحد أن الطلاق في هذه الحالة محظور والمس كناية عن الوطء والمفروض صداقتها داخلة في دلالة الآية وإن لم يذكر لأن التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لمن (أو) لم تفرضوا لمن فريضة) لأن أو تنبي عن ذلك إذ لو كان على الجمع لكان بالواو والمراد بالفريضة الصداق بلا خلاف لأنه يجب بالعقد على المرأة فهو فرض لوجوبه بالعقد ومعناه أو لم تقدروا لمن مهرا مقدرا وإنما خص التي لم يدخل بها بالذكر في رفع الجناح دون المدخول بها وإن كان حكمها واحدا لأمرين ﴿ أحدهما ﴾ لإزالة الشك على ما قدمنا ذكره ﴿ والثاني ﴾ لأن له أن يطلق التي لم يدخل بها أي وقت شاء بخلاف المدخول بها فإنه لا يجوز أن يطلقها إلا في طهر لم يجامعها فيه (وتمعوهن) أي أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتمتع به (على الموسع قدره) أي على الغني الذي هو في سعة لغناه على قدر حاله (وعلى المقتر قدره) أي على الفقير الذي هو في ضيق بقدر إمكانه وطاقتة والمتعة خادم أو كسوة أو رزق عن ابن عباس والشعبي والريبيم وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو مذهب الشافعي وقيل هو مثل نصف صداق تلك المرأة المنكوحه عن أبي حنيفة وأصحابه ثم اختلف في ذلك فقيل إنما تجب المتعة لتي لم يسلم لها صداق خاصة عن سعيد بن المسيب وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وقيل المتعة لكل المطلقة إلا المختلعة والمبارثة والملازمة عن الزهري وسعيد بن جبير وأبي العالية وقيل المتعة لكل مطلقة سوى المطلقة المفروض لها إذا طلقت قبل الدخول فإنما لها نصف الصداق ولا متعة لها عن ابن عمر ونافع وعطاء وهو مذهب الشافعي وقد رواه أصحابنا أيضا ذلك محمول على الاستحباب وقوله (متاعا) أي وتمعوهن متاعا (بالمعروف) أي وسطا ليس فيه اسراف ولا تقتير وقيل متاعا معتبرا بحال الرجل في اليسار والاقتار وقيل معتبرا بحالها جميعا إذ لا يسوي بين حرة شريفة وبين أمة معتقة ليكون ذلك خارجا عن التعارف عن القاضي وقال أهل المدينة يؤمر الزوج به من غير أن يجبر عليه وعندنا يجبر عليه وبه قال أهل العراق (حقا على المحسنين) أي واجبا على الذين يحسنون الطاعة ويبتنون المعصية وإنما خص المحسنين بذلك تشريفا لهم لأنه لا يجب على غيرهم ودل ذلك على وجوب الإحسان على جميعهم فإن على كل إنسان أن يكون محسنا فهو كقول هدى للمعتق

وقيل معناه من أراد أن يحسن فهذا حقه وحكمه وطريقه عن أبي مسلم هذا كله في المطلقة فاما المتوفى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق فلها الميراث وعليها العدة اجماعا وقال اكثر الفقهاء لما صدق مثلها وحكى ابو علي الجبائي عن بعض الفقهاء انه قال لا مهر لها وهو الذي يليق بذهبنا لأنه لا نص لأصحابنا في ذلك

قوله تعالى (٢٣٧) وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَإِنْ تَعَفَّوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

روي في الشواذ عن الحسن او يعفو الذي بيده بسكون الواو وعن علي ولا تناسوا الفضل

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنبي سكون الواو من المضارع في موضع النصب قليل وسكون اليا فيه اكثر وأصل السكون في هذا إنما هو للألف نحو ان يسمى ثم شبهت اليا بالألف لقربها منها نحو قوله

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمُوسَاتِ أَيْدِي جَوَارِبَتِنَ نَاعِمَاتِ

وقوله (كان ايديهن بالقاع الفرق) ثم شبهت الواو في ذلك باليا. قال الاخطل

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْهَوْ بِبَعْضِ حَدِيثِهَا رَفَعْنِ وَأَنْزَلْنِ الْقَطِينِ الْمَوْلِدَا

وقال «أبي الله أن اسمو بأب ولا أب» وأما قوله تعالى ولا تناسوا فإنها نهي عن فعلهم الذي اختاروه وتظاهروا به كما يقال تغافل وتسام وتحسن هذه القراءة إنما تنهى الإنسان عن فعله والنسيان ظاهره ان يكون من فعل غيره كأنه أنسى فنسي قال الله سبحانه وما أنسانيه إلا الشيطان

﴿ الإعراب ﴾

فنصف ما فرضتم رفع تقديره فعليكم نصف ما فرضتم وقوله يعفون في موضع نصب بأن إلا أن فعل المضارع إذا اتصل به نون ضمير جماعة الموتى بني فيستوي في الرفع والنصب والجرم وان يعفون موصول وصلة في محل النصب على الاستثناء او يعفو تقديره أو أن يعفو وهو في محل النصب بالعطف على الموصول والصلة قبلها وان تعفوا في موضع الرفع بالابتداء وأقرب خبره وتقديره والعفو اقرب للتقوى واللام يتعلق بأقرب وهو بمعنى من أو ألى والألف واللام في النكاح بدل من الاضافة إذ المعنى او يعفو الذي بيده عقدة نكاحه ومثله قوله فإن الجنة هي المأوى ومعناه هي مأواه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل المسيس بعد الفرض فقال (وإن طلقتموهن) يعني إن طلقتم ايها الرجال النساء. (من قبل أن تمسوهن) اي تجامعهن (وقد فرضتم لهن فريضة) اي اوجبتن لهن صداقا وقدرتم مهرا (فنصف ما فرضتم) اي فعليكم نصف ما قدرتم وهو المهر المسمى (إلا أن يعفون) يعني الحرائر البالغات غير المولى عليهن لفساد عقولهن اي يتوكلن ما يجب لهن من نصف الصداق فلا يطالبن الأزواج بذلك عن ابن عباس ومجاهد وسائر اهل العلم (او يعفو) اي يتوكل ويهب الذي بيده عقدة النكاح قيل هو الولي عن مجاهد وعلقمة والحسن وهو المروي عن ابي جعفر والي عبد الله وهو مذهب الشافعي غير ان عندنا الولي هو الأب او الجد مع

وجرد الأب الأذننى على البكر غير البالغ فاما من عداها فلا ولاية له إلا بتوليتهما إياه وقيل هو الزوج ورواه عن علي وسعيد بن المسيب وشريح وبرهيم وقتادة والضحاك وهو مذهب ابي حنيفة ورواه ايضا اصحابنا غير ان الأول اظهر وهو المذهب ومن جعل العفو للزوج قال له ان يعفون جميع النصف ومن جعله للولي من اصحابنا قال له ان يعفوا عن بعضه وليس له ان يعفو عن جميعه فإن امتنعت المرأة عن ذلك لم يكن لها ذلك إذا اتتته المصلحة عن ابي عبد الله (وان تعفو اقرب للتقوى) خطاب للزوج والمرأة جميعا عن ابن عباس وللزوج وحده عن الشعبي قال وإنما جمع لأنه خطاب لكل زوج وقول ابن عباس اقرب له يومه وإنما كان العفو اقرب للتقوى من وجهين ﴿ احدى ﴾ ان معناه اقرب إلى أن يتقي احدهما ظلم صاحبه لأن من ترك لغيره حق نفسه كان اقرب إلى ان لا يظلم غيره بطلب ما ليس له ﴿ والثاني ﴾ ان معناه اقرب إلى ان يتقي معصية الله لأن من ترك حق نفسه كان اقرب إلى أن لا يعصي الله بطلب ما ليس له (ولا تنسوا الفضل بينكم) اي لا تتركوا الأخذ بالفضل والإحسان بينكم والافضال فتأخذوا بمر الحكم واستيفاء الحقوق على الكمال . بين الله سبحانه في هذه الآية الحكم الذي لا يعذر احد في تركه وهو انه ليس للزوج أن ينقصها من نصف المهر ولا للمرأة أن تطالبه بالزيادة ثم بين طريق الفضل من الجانبين وندب اليه وحث عليه (إن الله بما تعملون) أي بأعمالكم (بصير) اي عالم وروي عن سعيد بن المسيب ان هذه الآية ناسخة لحكم المتعة في الآية الأولى وقال ابو القاسم البلخي وهذا ليس بصحيح لأن الآية تضمنت حكم من لم يدخل بها ولم يسم لها مهرا إذا طلقها وهذه تضمنت حكم التي فرض لها المهر ولم يدخل بها إذا طلقها واحد الحكمين غير الآخر وأقول إذا بينا في الآية الأولى انها تتناول المطلقات غير المدخول بهن سواء فرضهن المهر أو لم يفرض وقلنا ان متعهن لا يحمل على العموم إذ لا متعة لمن فرض لها المهر وإن لم يدخل بها فلا بد من تخصيص فيه وتقديره وحذف اي ومتعوا من طلقتم منهن ولم تفرضوا لهن فريضة وإنما جاز هذا الحذف لدلالة ذكر من فرض لها المهر وحكمها في الآية الأخرى عليه وهذا ما سنح لي ها هنا ولم أر احدا من المفسرين تعرض لذكره وبالله التوفيق

قوله تعالى (٢٣٨) حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحفظ ضبط الشيء في النفس ثم يشبه به ضبطه بالمنع من الذهاب والحفظ خلاف النسيان واحفظه أغضبه لأنه حفظ عليه ما يكرهه ومنه الحفيظة الحمية والحفاظ المحافظة والوسطى تأنيث الأوسط وهو الشيء بين الشئين على جهة الاعتدال واصل القنوت الدوام على امر واحد وقيل اصله الطاعة وقيل اصله الدعاء في حال القيام قال علي بن عيسى والأول احسن لحسن تصرفه في الباب لأن الدوام على الطاعة قانت وكذلك الدوام في صلواته على السكوت إلا عن الذكر المشروع وكذلك الدوام على الدعاء . ويقال فلان يقنت عليه أي يدعو عليه دائما

﴿ النزول ﴾

عن زيد بن ثابت ان النبي كان يصلي بالهجرة وكانت اتقل الصلوات على اصحابه فلا يكون وراؤه إلا الصف او الصفان فقال لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم فقلت هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لما حث الله سبحانه على الطاعة خص الصلاة بالمحافظة عليها لأنها اعظم الطاعات فقال (حافظوا على الصلوات) اي داوموا على الصلوات المكتوبات في مواقيتها بتام اركانها ثم خص الوسطى تفخيا لشأنها فقال (والصلوة الوسطى) كقوله سبحانه من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال اي والصلوة الوسطى

خاصة فداؤوا عليها ثم اختلف في الصلاة الوسطى على اقوال **﴿٢٣٩﴾** أحدها **﴿١﴾** أنها صلاة الظهر عن زيد بن ثابت وابن عمر وابن عباس وسعيد الخدري وأسامة وعائشة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وذكر بعض أئمة الزيدية أنها الجمعة يوم الجمعة والظهر سائر الأيام ورواه عن علي وبدل عليه سبب نزول هذه الآية وهو أنها وسط النهار وأول صلاة فرضت وروي عن علي قال قال النبي (ص) إن الله في السماء الدنيا حلقة تنزل فيها الشمس فإذا زالت الشمس سح كل شيء لربنا فأمر الله سبحانه بالصلاة في تلك الساعة وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء فلا تفلق حتى يصلى الظهر ويستجاب فيها الدعاء **﴿٢﴾** وثانيها **﴿٣﴾** أنها صلاة العصر عن ابن عباس والحسن وروي ذلك عن علي وابن مسعود وقتادة والضحاك وروي ذلك عن أبي حنيفة وروي مرفوعاً إلى النبي قالوا لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وإنما خصت بالذكر لأنها تقع في وقت اشتغال الناس في غالب الأمر وروي عن النبي أنه قال الذي تقوته صلاة العصر فكأننا وتر أهل وماله وروى بريدة قال قال النبي (ص) بكرروا بالصلاة في يوم الغيم فإنه من فاتته صلاة العصر حبط عمله **﴿٤﴾** وثالثها **﴿٥﴾** أنها المغرب عن قبيصة بن ذؤيب قال لأنها وسط في الطول والقصر من بين الصلاة وروى الثعلبي بإسناده عن عائشة قالت قال رسول الله إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها الله عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرًا في الجنة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين أو أربعين سنة **﴿٦﴾** ورابعها **﴿٧﴾** أنها صلاة العشاء الآخرة عن بعضهم قال لأنها بين صلاتين لا تقصران وروي عن النبي أنه قال من صلى العشاء الآخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة من صلى صلاة الفجر في جماعة كان كقيام ليلة **﴿٨﴾** وخامسها **﴿٩﴾** أنها صلاة الفجر عن معاذ وابن عباس وجابر بن عبد الله وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو قول الشافعي قالوا لأنها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وبين الظلام والضياء ولأنها صلاة لا تجتمع مع غيرها فهي منفردة بين مجتمعين وبدل عليه من التزويل قوله وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا يعني تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار وهو مكتوب في ديوان الليل وديوان النهار قالوا وبدل عليه آخر الآية وهو قوله وقوموا لله قانتين يعني وقوموا فيها لله قانتين قال أبو رجاء العطاردي صلى بنا ابن عباس في مسجد البصرة صلاة الغداة ففتت فيها قبل الركوع ورفع يديه فلما فرغ قال هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا أن نقوم فيها قانتين أورد الثعلبي في تفسيره وروى بإسناده مرفوعاً إلى أنس بن مالك قال ما زال رسول الله يقنت في صلاة الغداة حتى فارق الدنيا **﴿١٠﴾** وسادسها **﴿١١﴾** أنها إحدى الصلوات الخمس لم يعينها الله وأخفاها في جملة الصلوات المكتوبة ليحافظوا على جميعها كما أختي ليلة القدر في ليالي شهر رمضان واسمه الأظهم في جميع الأسبوع وساعة الإجابة في ساعات الجمعة عن الربيع بن خيثم وأبي بكر الوراق (وقوموا لله قانتين) قال ابن عباس معناه داعين والقنوت هو الدعاء في الصلاة في حال القيام وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وقيل معناه طائعين عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وطاوس وإحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل معناه خاشعين عن مجاهد قال نهوا عن العبث والاتفات في الصلاة وقيل ساكتين عن ابن مسعود وزيد بن أرقم والأصل فيه الإتيان بالدعاء أو غيره من العبادات في حال القيام ويجوز أن يطلق في سائر الطاعات فإنه وإن لم يكن فيه القيام الحقيقي فإن فيه القيام بالعبادة

قوله تعالى (٢٣٩) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (آية)

اللغة

الرجال جمع راجل مثل تجار وصحاب وقيام في جمع تاجر وصاحب وقائم والرجل هو الكائن على رجله

واقفاً كان أو ماشياً والركبان جمع راكب كالفرسان جمع فارس وكل شيء علا شينا فقد ركبته والركاب المطي وركبت الرجل اركبه ركبا اي ضربته بركبتي واصبت ركبته أيضاً وهذا قياس في جميع الاعضاء نحو رأسته وبطنته وظهرته

﴿ الإعراب ﴾

رجالا منصوب على الحال تقديره فصلوا رجالا كما علمكم الكاف يتعلق بأذكروا وما مصدرية في ما علمكم وقوله ما لم تكونوا تعلمون موصول وصلة في موضع المفعول الثاني لعلم

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه وجوب المحافظة على الصلاة عقبه بذكر الرخصة عند المخافة فقال (وإن خفتم) اي إن لم يمكنكم ان تقوموا قانتين موفين الصلاة حقها لحوف عرض لكم (فرجالاً) اي فصلوا رجالا على أرجلكم وقيل مشاة (او ركباناً) اي على ظهور دوابكم عنى بها صلاة الخوف وصلاة الخوف من العدو ركعتان في السفر والحضر الا المغرب فإنها ثلاث ركعات ويروى أن علياً صلى ليلة الهريرخس صلوات بالإيمان وقيل بالتكبير وان النبي صلى يوم الأحزاب إيماناً (فإذا أمنتم) من الخوف (فاذكروا الله) اي فصلوا صلاة الأمان وقيل اذكروا الله بالثناء عليه والحمد له (كما علمكم) من أمور دينكم وغير ذلك من أمور (ما لم تكونوا تعلمون)

قوله تعالى (٢٤٠) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن كثير والكسائي وأبو بكر عن عاصم وصية بالرفع والباقون بالنصب

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي حجة من قرأ وصية بالرفع انه يجوز أن يرتفع من وجهين ﴿ أحدهما ﴾ ان يكون مبتدأ والظرف خبره وحسن الابتداء بالنكرة لأنه موضع تخصيص كما حسن أن يرتفع سلام عليكم وخير بين يديك ونحو قوله للتمس المعروف أهل ومرحب لأنها في موضع دعاء فجاز فيها الابتداء بالنكرة لما كان معناها كمنى المنسوب والآخر ان تضر له خبراً فيكون لأزواجهم صفة وتقدير الخبر المضمر فعلهم وصية لأزواجهم ومن نصب وصية حمله على الفعل اي ليوصوا وصية ويكون قوله لأزواجهم وصفاً كما كان في قوله من اضمر الخبر كذلك ومن حجتهم ان الظرف إذا تأخر عن النكرة كان استعماله صفة أكثر وإذا كان خبراً تقدم على النكرة إذا لم يكن في معنى المنسوب كقوله تعالى ولهم أهال من دون ذلك ولدينا مزيد فإذا تأخرت فالأكثر فيها ان تكون صفاتاً وقال بعضهم لا يجوز غير الرفع لأنه لا يمكن الوصية بعد الوفاة ولأن فرض النفقة كان لمن أوصى او لم يوص قال علي بن عيسى وهذا غلط لأن المعنى والذين تحضرهم الوفاة منكم فذلك قال يتوفون على لفظ الحاضر الذي يتناول نحو قوله الذين يصلون فليعرضوا عن الفكر فيما يشغلهم فأما قولهم ان الفرض كان لمن وان لم يوصوا فغير صحيح لأن الزوج إذا فرط في الوصية فلا ينكر ان يوجه الله على الورثة وقال قتادة والسدي كان يجب على الزوج الوصية لها كما اوجب الوصية للوالدين والأقربين وقوله متاعاً نصب على وجهين ﴿ أحدهما ﴾ أنه على تقدير متعوهن متاعاً ﴿ والثاني ﴾ جعل الله لهم ذلك متاعاً لأن ما قبله دل عليه وقوله

غير إخراج منصوب على وجهين ﴿أحدهما﴾ أن يكون صفة لمتاع ﴿والثاني﴾ أن يكون مصدرا وضع موضع الحال قال الفراء وهو كقولك جئتك غير رغبة اليك فكأنه قال متعوهن متاعا في مساكنهن وأقول إن تقديره غير مخرجات إخراجا فيكون ذو الحال هن من متعوهن ويجوز أن يكون تقديره غير مخرجين فيكون ذو الحال الواو من متعوهن

﴿ المعنى ﴾

(والذين يتوفون منكم) أي الذين يقاربون منكم الوفاة لأن المتوفى لا يؤمر ولا ينهى (ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم) أي فليوصوا وصية لهن ومن رفع فعناه وصية من الله لأزواجهن أو عليهم وصية لهن (متاعا إلى الحول) يعني ما ينتفعن به حولا من النفقة والكسوة والسكنى وقيل هو مثل التمتع في المطلقات وكان واجبا في المتوفى عنها زوجها بالوصية من مال الزوج (غير إخراج) أي لا يخرجن من بيوت الأزواج (فإن خرجن) بأنفسهن قبل الحول من غير أن يخرجهن الورثة وقيل إن المراد إذا خرجن بعد مضي الحول وقد مضت العدة فإن يعني إذا عن القاضي وغيره (فلا جناح عليكم) يا معشر أولياء الميت (فيا فعلن في أنفسهن من معروف) اختلفوا في رفع الجناح قيل لا جناح في قطع النفقة والسكنى عنهن عن الحسن والسدي قالا وهذا دليل على سقوط النفقة بالخروج وإن ذلك كان واجبا لهن بالإقامة إلى الحول فإن خرجن قبله بطل الحق الذي وجب لهن بالإقامة وقيل لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها سنة في البيت غير واجب ولكن قد خيرا الله في ذلك عن الجبائي وقيل لا جناح عليكم إن تزوجن بعد انقضاء العدة وهذا أوجه وتقديره إذا خرجن من العدة بانقضاء السنة فلا جناح إن تزوجن وقوله من معروف يعني طلب النكاح والترين (والله عزيز) قادر لا شيء يعجزه (حكيم) لا يصدر منه إلا ما تقتضيه الحكمة واتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة وقال أبو عبد الله كان الرجل إذا مات أنفق على امرأته من صلب المال حولا ثم أخرجت بلا ميراث ثم نسختها آية الربع والثلث فالمرأة ينفق عليها من نصيبها وعنه قال نسختها بقرصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ونسختها آية الموارث

قوله تعالى (٢٤١) **وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ** (٢٤٢) **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** (آياتان)

﴿ الإعراب ﴾

الوجه في انتصاب قوله حقا مثل ما بيناه فيما قبل في قوله حقا على المحسنين كذلك الكاف يتعلق بيبين أي مثل هذا البيان يبين لكم

﴿ النزول ﴾

قيل لما نزلت ومتعوهن على الموسع قدره إلى قوله حقا على المحسنين قال بعضهم إن أحبيت فعلت وإن لم ارد ذلك لم أفعل فأنزل الله هذه الآية عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه بيان احوال المعتدات عقبه ببيان ما يجب لهن من التمتع فقال (وللمطلقات متاع بالمعروف) اختلف فيه فقال سعيد بن جبيرة وأبو العالية والزهري إن المراد بهذا المتاع التمتع وإن التمتع واجبة لكل مطلقة وقال أبو علي الجبائي المراد به النفقة وهو المتاع المذكور في قوله متاعا إلى الحول وقال سعيد بن المسيب الآية منسوخة بقوله تعالى فنصف انرضتم وبندنا أنها مخرجة بتلك الآية إن نزلت معا وإن كانت تلك متأخرة فنسوخة

لأن عندنا لا تجب المتعة الا للمطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر فأما المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يسر لها مهر وإن سمي لها مهر فما سمي لها وغير المدخول بها المفروض مهرها لها نصف المهر ولا متعة في هذه الأحوال وبه قال الحسن فلا بد من تخصيص هذه الآية وذكرنا الكلام في المتعة عند قوله (ومتعوهن) وقوله (بالمعروف حقا على المتقين) مضى تفسيره وخص المتقين هنا كما خص المحسنين هناك (كذلك يبين الله لكم آياته) أي كما بين الله لكم الأحكام والآداب التي مضت مما تحتاجون إلى معرفتها في دينكم وبين لكم هذه الأحكام فشبّه البيان الذي يأتي بالبيان الماضي والبيان هو الدلالة التي يفرق بها بين الحق والباطل (لعلكم تعقلون) معناه لكي تعقلوا آيات الله وقيل معناه لعلكم تكمل عقولكم فإن العقل الغريزي إنما يكمل بالعقل المكتسب والمراد به استعمال العقل مع العلم به ومن لم يستعمل العقل فكأنه لا عقل له وهذا كقوله تعالى إنا التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة جعلهم جهالاً لأنهم آتوا هراهم على ما علموا أنه الحق

قوله تعالى (٢٤٣) ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون (آية)

﴿ اللغة ﴾

الروية هنا بمعنى العلم ومعنى ألم تر ألم تعلم وهذه الألف التوقيف وتر متروكة الهززة وأصله ألم تر من رأى يرى مثل نأى بناى إلا أنهم على اسقاط الهمز هنا للتخفيف

﴿ الإعراب ﴾

حذر الموت نصب لأنه مفعول له وجاز أن يكون نصبه على المصدر لأن خروجهم يدل على حذروا الموت حذرا

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر قوله بين آياته للناس عقبه بذكر آية من آياته فقال (لم تر) أي لم تعلم . يا محمد أو أيها السامع أولم ينته علمك إلى خبر هؤلاء (الذين خرجوا من ديارهم) قيل هم من قوم بني اسرائيل فروا من طاعون وقع بأرضهم عن الحسن وقيل فروا من الجهاد وقد كتب عليهم عن الضحاك ومقاتل واحتجا بقوله عقيب الآية وقاتلوا في سبيل الله وقيل هم قوم حزقيل وهو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بأمر بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل وقد كان يقال له ابن العجوز وذلك ان أمه كانت عجوزاً فسألت الله الولد وقد كبرت وعقت فوهبه الله لها وقال الحسن هو ذو الكفل وإنما سمي حزقيل ذا الكفل لأنه كفل سبعين نبيا نجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا فإني ان قتلت كان خيرا من أن تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسألوا حزقيل عن الأنبياء السبعين فقال انهم ذهبوا ولا ادري أين هم ومنع الله ذا الكفل منهم (وهم الوف) اجتمع اهل التفسير على ان المراد بالوف هنا كثرة العدد إلا ابن زيد فإنه قال معناه خرجوا موتاني القلوب لم يخرجوا عن تباعض فجعله جمع الف مثل قاعد وقعود وشاهد وشهود واختلف من قال المراد بالعدد الكثير فقيل كانوا ثلاثة آلاف عن عطاء الخراساني وقيل ثمانية آلاف عن مقاتل والكلبي وقيل عشرة آلاف عن ابن روق وقيل بضعة وثلاثين الفا عن السدي وقيل أربعين الفا عن ابن عباس وابن جريج وقيل سبعين الفا عن عطاء بن أبي رباح وقيل كانوا عددا كثيرا عن الضحاك والذي يقضي به الظاهر أنهم كانوا أكثر من عشرة آلاف لأن بنا فعمل للكثرة وهو ما زاد على العشرة وما نقص عنها يقال فيه آلاف يقال فيه عشرة آلاف ولا يقال عشرة الوف (حذر الموت) أي من خوف الموت (فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) قيل في معناه قولان

﴿احدهما﴾ ان معناه أماتهم الله كما يقال قالت السماء فهطلت معناه فهطلت السماء قلت براسي كذا وقلت بيدي كذا ومعناه اشرت براسي وبيدي وذلك لما كان القول في الاكثر استفهاما للفعل كالتقول الذي هو تسمية وما جراه مجراه ما كان يستفتح به الفعل صار معناه قالت السماء فهطلت اي استفتحت بالهطلان كذلك معناه هاهنا فاستفتح الله باماتهم ﴿والثاني﴾ ان معناه اماتهم بقول سمعته الملائكة لضرب من العبرة ثم احياهم الله بدعا، نبيهم حزقييل عن ابن عباس وقيل انه شعون من انبياء بني اسرائيل (ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون) لما ذكر النعمة عليهم با اراهم من الآيات العظيمة في انفسهم ليلتموا سبيل الهدى ويمتنبوا طريق الردى ذكر بعده ما له عليهم من الانعام والاحسان مع ما هم عليه من الكفران وهذه الآية حجة على من انكر عذاب القبر والرجعة معا لأن احياء اولئك مثل احياء هؤلاء الذين احياهم الله للاعتبار

﴿ القصة ﴾

قيل ان اسم القرية التي خرجوا منها هربا من وبانها داوردان قيل واسط قال الكلبي والضحاك ومقاتل أن ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فمكروا ثم جبنوا وكبروا الموت فاعتلوا وقالوا ان الأرض التي يأتيها بها الوباء فلا يأتيها حتى ينتطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت كثير فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في انفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فأماتهم الله جميعا وامات دوابهم واتى عليه ثمانية ايام حتى انتفضت ارواح اجسادهم فخرج اليهم الناس فجزوا من ذنوبهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها قالوا واتى على ذلك مدة حتى بليت اجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمر عليهم حزقييل وجعل يتفكر فيهم متعجبا منهم فأوحى اليه يا حزقييل تريد ان اريك آية وارريك كيف احيى الموتى قال نعم فأحياهم الله وقيل انهم كانوا قوم حزقييل فأحياهم الله بعد ثمانية أيام وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقييل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى ثم قال يارب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدمونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى الله اليه قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقييل احيوا بلذن الله فعاثوا وسأل عمران بن اعين ابا جعفر الباقر (ع) عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا ثم احياهم فقال احياهم حتى نظر الناس اليهم ثم أماتهم ام ردهم الى الدنيا حتى سكنوا الدور واكلوا الطعام قال لا بل ردهم الله حتى سكنوا الدور واكلوا الطعام ونكحوا النساء ومكثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بأجلهم

قوله تعالى (٢٤٤) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ المعنى ﴾

اختلف في المخاطب بقوله (وقاتلوا في سبيل الله) فقيل توجيه الخطاب الى الصحابة بعد ما ذكرهم بحالهم فر من الموت فلم ينفعه الفرار يحرضهم على الجهاد لئلا يسلكوا في الفرار من الجهاد سبيل اولئك الذين فروا من الديار وقيل انه خطاب للذين جرى ذكرهم على تقدير وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله (واعلموا ان الله سميع عليم) اي سميع لما يقول المنافق عليم بما يجنه فاحذروا حاله

قوله تعالى (٢٤٥) مَنْ ذَا الَّذِي يَرِضُ اللَّهُ فَرَضًا حَسَنًا فَيُضَاعَفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَيُخِطُّ وَيُرْجِمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

فيضاعفه فيه أربع قراءت قرأ أبو عمرو ونافع وحزمة والكسائي فيضاعفه بالالف والرفع وقرأ أعاصم بالالف والنصب وقرأ ابن كثير وأبو جعفر فيضعفه بالتشديد والرفع وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب وقرأ أبو عمرو والكسائي وحزمة يسط وبسطة وفي الأعراف أيضا بالسين وروي عنهم أيضا بالصاد ويعقوب وهشام بالسين والباقون مختلف عنهم

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي للرفع في قوله فيضاعفه وجهان ﴿ احدهما ﴾ أن يعطفه على ما في الصلة والآخر ان يستأنفه فأما النصب في فيضاعفه فالرفع أحسن منه الا ترى ان الاستفهام انما هو عن فاعل الاقراض لا عن الاقراض وإذا كان كذلك لم يكن مثل قوالك اتعرضني فأشكرك لأن الاستفهام ههنا عن الاقراض ووجه قول ابن عامر وعاصم في النصب من فاعل فيضاعفه انه حمل الكلام على المعنى وذلك انه لما كان المعنى أيكون قرض حمل قوله فيضاعفه على ذلك كما ان من قرأ من يضل الله فلا هادي ويذرهم جزم قوله ويذرهم لما كان معنى قوله فلا هادي له لا يهده ونحو ذلك مما يحمل فيه الكلام على المعنى دون اللفظ كثير فأما القول في يضاعف ويضعف فكل واحد منهما في معنى الآخر وقوله اضعافا منصوب على الحال وتقديره فيكثره فإذا هي اضعايف فيكون حالاً بعد الفراغ من الفعل ووجه قول من ابدل من السين الصاد في هذه المواضع التي ذكرت ان الطاء حرف مستعمل يتصعد من مخرجها الى الحنك ولم يتصعد السين تصعدها فكره التصعد عن التسفل فابدل من السين حرفاً في مخرجها في تصعد الطاء فتلازم الحرفان وصار كل واحد منهما وفق صاحبه في التصعد فزال في الابدال ما كان يكره من التصعد عن التسفل ولو كان اجتماع الحرفين على عكس ما ذكرناه وهو أن يكون التصعد قبل التسفل لم يكره ذلك ولم يبدلوا الا ترى انهم قالوا طسم الطريق وقسوت وقست فلم يكرهوا التسفل عن تصعد كما كرهوا بسط حتى قالوا بسط فأبدلوا فأما من لم يبدل السين في بسط وترك السين فلأنه الاصل ولأن ما بين الحرفين من الخلاف يسير فاحتمل الخلاف لقلته

﴿ اللغة ﴾

القرض هو قطع جزء من المال بالإعطاء على أن يرد بعينه أو يرد مثله بدلا منه وأصل القرض القطع بالناب يقال قرض الشيء يقرض اذا قطعه بنابه وقرض فلان فلانا اذا اعطاه ما يتجازاه منه والاسم منه القرض والتضعيف والمضاعفة والاضعايف بمعنى وهو الزيادة على اصل الشيء حتى يصير مثلين أو اكثر تقول ضعفت القوم اضعايفهم ضعفا اذا كثرتهم فصرت مع أصحابك على الضعف منهم وضعف الشيء مثله في المقدار إذا زيد عليه فكل واحد منها ضعف وضعف الشيء ضعفا وضعفا والضعف خلاف القوة والقبض خلاف البسط يقال قبضه يقبضه قبضا والقبض ضم الكف على الشيء والقبض التشنج ويقبض عنه اذا اشأز عنه لأنه ضم نفسه عن الانبساط اليه وقبض الانسان إذا مات والملك قابض الارواح وبسط يبسط بسطا والبساط ما بسطته والبساط بفتح الباء الارض الواسعة وكتب يبسط بالسين وبسطة بالصاد لأن القلب على الساكن اقوى منه على المتحرك

﴿ المعنى ﴾

لما حث سبحانه على الجهاد وذلك ان يكون بالنفس والمال عقبه بالتلطف في الاستعداد الى اعمال البر والاتفاق في سبيل الخير فقال (من ذا الذي يقرض الله) أي ينفق في سبيل الله والمائة والمراد به الأمر وليس هذا يقرض حاجة على ما ظنه اليهود فقال إنما يستقرض منا ربنا عن عوز فإنما هو فقير ونحن اغنياء بل

سمى تعالى الاتفاق قرضا تطلقا للدعاء الى فعله وتأكيذا للجزاء عليه فإن القرص يوجب الجزاء (قرضا حسنا) والقرض الحسن ان ينفق من حلال ولا يفسده بمن ولا اذى وقيل هو ان يكون محتسبا طيبا به نفسه عن الواقدي وقيل هو ان يكون حسن الموقع عند الاتفاق فلا يكون خيسا والأولى أن يكون جامعا لهذه الأمور كلها فلا تنافي بينها فيضاعفه له اضعافا كثيرة اي فيزيده له اي يعطيه مالا يعلمه الا الله وهو مثل قوله تعالى ويوت من لدنه اجرا عظيما عن الحسن والسدي وروي عن الصادق (ع) انه قال لما نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله خير منها قال رسول الله رب زدني فأنزل الله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فقال رسول الله رب زدني فأنزل الله سبحانه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا (فيضاعفه له اضعافا كثيرة) والكثير عند الله لا يحصى والله يقبض ويبسط معناه والله يقبض الرزق عن اقوام بان يقتره عليهم ويبسط الرزق على اقوام بان يوسع عليهم عن الحسن وابن زيد وقيل معناه يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها عاجلا او آجلا او كلاهما عن الاصم والزجاج وقيل يقبض الرزق بوت واحد ويبسط لوارثه (واليه ترجعون) وهذا تأكيد للجزاء قال الكلبي في سبب نزول هذه الآية ان النبي (ص) قال من تصدق بصدقة فله مثراها في الجنة فقال ابو الدرداج الانصاري واسمه عمرو بن الدرداج يا رسول الله إن لي حديقين ان تصدقت باحدهما فإن لي مثليها في الجنة قال نعم قال وام الدرداج معي قال نعم قال والصبية معي قال نعم فتصدق بافضل حديقتيه فدفعها الى رسول الله فترت الآية فضاعف الله له صدقته النبي الف وذلك قوله اضعافا كثيرة قال فرجع ابو الدرداج فوجد ام الدرداج والصبية في الحديقة التي جعلها صدقة فقام على باب الحديقة وتخرج ان يدخلها فنادى يا أم الدرداج قالت لبيك يا أبا الدرداج قال اني قد جعلت حديقتي هذه صدقة واشترت مثليها في الجنة وام الدرداج معي والصبية معي قالت بارك الله لك فيما شريت وفيما اشترت فخرجوا منها واسلموا الحديقة الى النبي فقال النبي كم نخلة متدل عدوقها لأبي الدرداج في الجنة

قوله تعالى (٢٤٦) ألم تر إلى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم
ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا قلنا كتب عليهم
القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحده عسيتم بكسر السين والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

المشهور في عسيتم فتح السين ووجه قراءة نافع انهم قالوا هو عس بذلك وما اعساه واعس به حكاه ابن الاعرابي وهذا يقوي قراءة نافع لأن عس مثل حر وشج وقد جاء فعل وفعل مثل نغم ونغم وورث بك زنادي وورثت فكذلك عست وعسيتم فإن اسند الفعل الى ظاهر فقياس عسيتم ان تقول عسى زيد مثل رضى فإن قاله فهو قياس قوله وان لم يقله فسانع له ان يأخذ بالفتن معا ويستعمل احدهما في موضع والاخرى في موضع آخر كما فعل ذلك غيره

﴿ اللغة ﴾

الملا الجماعة الاشراف من الناس وروي ان رجلا من الانصار قال يوم يدر إن قتلنا الا عجائز صلوات الله على النبي او أنك الملا من قريش او رأيتهم في انديتهم لهبتهم ولو امروك لاطعتهم ولاحتقرت فعالك عند فعالهم وملاّت الإنا.

اترعه لانه يجتمع فيه ما لا يكون مزيد عليه ومالات الرجل عاونه وقاملاً واعلى ذلك اذا تماوتوا وملأ الرجل ملاءة فهو ملي بالأمر إذا امكنه القيام به والملا الخلق لأن جميع افعال صاحبه يجري عليه يقال احسنوا املاءكم اي اخلاقكم قال

تنادوا يال بهشة اذ رأونا فقلنا أحسني ملاً جهيناً

واصل الباب الاجتماع فيلا يحتمل المزيد وإناسي الاشراف ملاً لأنه لا مزيد على شرفهم وقيل لأن هيتهم قلاً الصدور والملا مقصورا المتسع من الأرض قال الشاعر

ألا غنياني وارفعاً الصوت بالملا فإن الملا عندني تريد المدى بعدا

✽ الإعراب ✽

من بنى اسرائيل الجار والمجرور في محل نصب على الحال والعامل فيه تر وذو الحال الملا ومن بعد موسى في موضع الحال ايضاً وهو حال بعد حال او حال من الضمير في الجار والمجرور قبله وقوله نقاتل جزم على الجواب للسألة التي هي على لفظ الأمر اي ان تبعث لنا ملكاً نقاتل ولو كان بالياء لباعز الرفع على ان يكون صفة للملك قال الزجاج والرفع في نقاتل بعيد يجوز على معنى فإننا نقاتل في سبيل الله وكثير من التحويين لا يميز الرفع فيه وقوله الا تقاتلوا في موضع نصب لأنه خبر عسى وقوله وما لنا ان لا نقاتل قال ابو الحسن الأخفش فيه وفي قوله وما لكم ان لا تأكلوا ان ان زائدة كأنه قال ما لنا لا نقاتل وما لكم لا تأكلون كقوله مالكم لا تنطقون وما لك لا تأمنا وقع الفعل المنفي موقع الحال كما وقع الموجب موقعه في قواك مالك تفعل وقد يقال ايضاً في نحو ذلك ان المعنى وما لنا في ان لا نقاتل وما لكم في ان لا تأكلوا فكأنه حمل الآية على وجهين قال ابو علي والقول الثاني اوضح ويكون ان مع حرف في موضع نصب بالحال كقوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين ونحو ذلك ثم حذف الجار وسد ان وصلتها ذلك المسد والحال في الاصل هو الجالب للحرف المقدر الا أنه ترك اظهاره لدلالة المنصوب عنه عليه ومثله في وقوع الظرف موقع الحال قال أبو ذؤيب

يعثرن في حد الطباة كأنما كسيت برود بني يزيد الأذرع

وهذا كما يقال خرجت في الثياب اي خرجت لابسا ووجه ثالث ذكره المبرد وهو ان يكون ما جحدوا وتقديره وما لنا ان نترك القتال وعلى الوجهين الاولين يكون ما استهما ما وقد اخرجنا جملة في موضع الحال وتقديره وما لنا الا نقاتل مخرجين من ديارنا وذو الحال الضمير في الان نقاتل وقليلاً منصوب على الاستثناء من الموجب

✽ المعنى ✽

لما قدم تعالى ذكر الجهاد عقبه بذكر القصة المشهورة في بني اسرائيل تضمنت شرح ما نالهم في قعودهم عنه تحذيراً من سلوك طريقهم فيه (الم تر) اي ألم ينته عليك يا محمد (الى الملا) اي جماعة الاشراف (من بني اسرائيل من بعد موسى) اي من بعد وفاته (اذ قالوا لنبي لهم) اختلف في ذلك النبي فقيل اسمه شعون سته امه بذلك لأن امه دعت الى الله ان يرزقها غلاماً فسمع الله دعاها فيه وهو شعون بن صفيه من ولد لاوي بن يعقوب عن السدي وقيل هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب عن قتادة وقيل هو اشمويل وهو بالعربية اسماعيل عن اكثر المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر (ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله) اختلف في سبب سؤالم ذلك فقيل كان سبب سؤالم ذلك استدلال الجابرة لهم لما ظهر على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من ديارهم وسبوا كثيراً من ذريتهم بعد ان كانت الخطايا قد كثرت في بني اسرائيل وعظمت فيهم الاحداث ونسوا عهد الله تعالى ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم فبعث الله اليهم اشمويل

نبياً فقالوا له إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً فقاتل في سبيل الله آية من نبيتك عن الربيع والكلبي وقيل أرادوا قتال العمالة فسلوا ملكاً يكون أميراً عليهم تنتظم به كلمتهم ويجمع أمرهم ويستقيم حالهم في جهاد عدوهم عن السدي وقيل بعث الله أشمويل نبياً فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالة ما كان فقالوا لأشمويل ابعث لنا ملكاً عن وهب وقال أبو عبد الله كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير الجنود والنبي يقيم له أمره وينبئه بالخبر من عند ربه فأجابهم نبيهم فقال (هل عسى أن كتب عليكم القتال) أي لعلمكم أن فرض عليكم المعاربة مع ذلك الملك (أن لا تقاتلوا) أن لا تقفوا بما تقولون وتجتنبوا فلا تقاتلوا وإنما سألهم عن ذلك ليعرف ما عندهم من الحرص على القتال وهذا كأخذ العهد عليهم ومعنى عسى أن كتب عليكم القتال) قلت عسى أن أفعل كذا فعناه قاربته فعله (قالوا) يعني قال الملاء (وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله ومعناه أي شيء لنا في ترك القتال وقيل معناه ليس لنا ترك القتال) وقد أخرجنا لفظه عام ومعناه خاص أي قالوا أخرج بعضنا (من ديارنا وابتائنا) أوطاننا وأهاليها بالسبي والتهرب على نواحيها والمعنى أنهم أجابوا نبيهم بأن قالوا إنما كنا لا نرغب في القتال إذ كنا أعزاً لا يظهر علينا عدونا فإما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا بد من الجهاد (فلم كتب عليهم القتال) فيه حذف تقديره فسأل النبي الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً يجاهدون معه أعداءهم فسمع الله دعوتهم وأجاب مسألتهم فبعث لهم ملكاً وكتب عليهم القتال أي فرض فلما كتب عليهم القتال (تولوا) أي عرضوا عن القيام به وضيعوا أمر الله (إلا قليلاً منهم) وهم الذين عبروا النهر على ما نبئته من بعد (والله علم الظالمين) هذا تهديد لمن يتولى عن القتال لأنهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله

قوله تعالى (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَى بِكُنْ لَه الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يَأْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (آية)

اللغة

اصطفاه اختاره واستصفاه بمعناه واصله اصطفاه إلا أن التاء أبدلت طاء لأن التاء من مخرج الطاء والطاء مطبقة كما أن الصاد مطبقة فأبدلوا منها إيسهل التطق بها بعد الصاد والبسطة الفضيلة في الجسم والمال والجسم هذه الطويل العريق بدلالة قولهم جسم جسامة أي ضخمة وهذا جسيم أي ضخم وهذا أجسم من هذا إذا زاد عليه في الطول والعرض والعرق وقيل الجسم هو المؤلف وقيل هو القائم بنفسه والصحيح الأول

الإعراب

طالوت وجالوت وداود لا تنصرف لأنها أسماء أعجمية وفيها سببان التعريف والعجبة فإما جاموس فلو سميت رجلاً به لانصرف وإن كان أعجمياً لأنه قد تمكن في العربية لأنك تدخل عليه الألف واللام فتقول الجاموس ملكاً نصب على الحال والعامل فيه بعث وذو الحال طالوت واني في موضع نصب لأنه خبر يكون والملك اسمه وله في موضع الحال وذو الحال الملك تقديره أني يكون له الملك يستقر له علينا ويجوز أن يكون كان هنا تامة فيتعلق اللام بيبكون واني في موضع نصب على الحال من يكون وعلينا يتعلق بالملك ونحن أحق من محل النصب على الحال أيضاً تقديره أني يكون له أن يملك علينا ونحن أحق منه بالملك ولم يوت سعة في محل الحال أيضاً عطف على نحن أحق والعامل فيه الملك وذو الحال الضمير في أن يملك وتقديره أن يملك علينا غير موتى سعة مالية

المعنى

(وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) أي جعله ملكاً وكان طالوت من ولد بنيامين

ابن يعقوب ولم يكن من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وسمي طالوت لظوله ويقال كان سقا. وقيل كان خرنبدجا وقيل كان دباغا وكانت النبوة في سبط لاوي بن يعقوب وكانت المملكة في سبط يهوذا بن يعقوب وقيل في سبط يوسف وقوله ملكا يعني اميرا على الجيش عن مجاهد وقيل بعثه نيا بعد ان جعله ملكا (قاوا انى يكون له الملك علينا) أي من اين له الملك وهذا اول اعتراضهم إذ انكروا ملكه (ونحن احق) أي اولى (بالمملك منه) لأننا من سبط النبوة والمملكة واوتينا المال (ولم يوت سعة من المال) أي لم يعط اي اولى ما يملك به الناس وهو المال إذ لا بد للملك من المال يحصل به المالك وقيل معناه ولم يوت سعة من المال فيشرف به ويجبر نقصاً لو كان فيه حتى يساوي أهل الانساب فاعلمهم الله انه أعرف بوجود الحكمة منهم فإن المقصود في الملك والرئاسة هو العلم والشجاعة واخبرهم بذلك عن لسان نبيهم (قال ان الله اصطفاه) أي اختاره (عليكم) عن ابن عباس (وزاده بسطة) أي فضيلة وسعة (في العلم والجسم) وكان اعلم بني اسرائيل في وقته وأجلهم واتهم واعظمهم جسداً وقواهم شجاعة وقيل كان اذا قام الرجل فبسط يده رافعاً لها نال رأسه قال وهب كان ذلك فيه قبل الملك وزاده ذلك بعد الملك (والله يوتي ملكه من يشاء) أي لا تنكروا ملكه وان لم يكن من اهل بيت الملك فإن الله سبحانه مالك الملك يوتي الملك من يشاء. (والله واسع) قيل في معناه ثلاثة اقوال **أحدها** أنه واسع الفضل فعذف كما يقال فلان كبير أي كبير القدر **والثاني** ان الواسع بمعنى الموسع أي يوسع على من يشاء. من نعمه كما جاء أنهم بمعنى مؤتم وسيع بمعنى مسع **والثالث** ان معناه ذو سعة نحو عيشة راضية أي ذات رضا ورجل تامر أي ذو ثمر ولاين أي ذو لبن وقوله (عليهم) أي عليهم بمن يتبني ان يوتي الفضل والمملكة اما للاستصلاح واما للامتحان وفي هذه الآية دلالة على ان الملك قد يضاف اليه سبحانه وذلك بأن ينصب الملك للتدبير ويعطيه آلات الملك ويأمر الخلق بالانقياد له فعند ذلك يجوز ان يقال بعث الله سبحانه ملكا وان لم يكن في البعثة كلاً نبياً. ويقال في ملكه ايضا انه من جهة الله سبحانه لأن تصرفه صادر عن اذنه وفيها دلالة ايضا على ان الملك ليس بواجب ان يكون وراثته وإنما يكون بحسب ما يعلمه الله من المصلحة وفيها دلالة على ان من شرط الإمام ان يكون اعلم من رعيته وأكل وأفضل في خصال الفضل والشجاعة لأن الله علل تقديم طالوت عليهم بكونه اعلم واقرى فلولا ان ذلك شرط لم يكن له معنى

قوله تعالى (٢٤٨) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ (آية)

اللغة

التابوت بالتاء لفة جمهور العرب والتابوه بالهاء لفة الانصار والسكينة مصدر وقع موقع الاسم نحو القضية والبقية والعزيمة وأخذ من السكون

الإعراب

موضع ان ياتيكم رفع المعنى ان آية ملكه إتيان التابوت اياكم فيه سكينة من ربكم مبتدأ وخبر في موضع النصب على الحال من التابوت مما ترك الجار والمجرور في موضع الصفة لبقية

المعنى

(وقال لهم نبيهم ان آية ملكه) أي علامة قليك الله اياه وحجة صحة ملكه (ان ياتيكم التابوت) وفي هذا دليل على انهم قالوا لرسولهم ان كان ملكه بأمر من الله ومن عنده فأنا بعلامة تدل على ذلك فأجابهم بهذا

وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن ابي جعفر ان التابوت كان الذي انزله الله على ام موسى فوضعت فيه ابنها والقته في البحر وكان في بني اسرائيل معظما يتبركون به فلما حضر لموسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة واودعه عند وصيه يوشع بن نون فلم يزل التابوت بينهم وبنو اسرائيل في عز وشرف ما دام فيهم حتى استخفوا به وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات فلما عملوا المعاصي واستخفوا به رفعه الله عنهم فلما سألو نبيهم ان يبعث اليهم ملكا بعث الله لهم طالوت ورد عليهم التابوت وقيل كان في ايدي أعداء بني اسرائيل من العارفة غلبوهم عليه لما مرج امر بني اسرائيل وحدث فيهم الأحداث ثم انتزع الله مسن ايديهم وردده على بني اسرائيل تحمله الملائكة عن ابن عباس ووهب روي ذلك عن ابي عبد الله وقيل كان التابوت الذي أتزه الله على آدم فيه صور الانبياء فتوارثه اولاد آدم وكان في بني اسرائيل يستمتحون به على عدوهم وقال قتادة كان في بركة التيه خلفه هناك يوشع بن نون فحملته الملائكة إلى بني اسرائيل وقيل كان قدر التابوت ثلاثة اذرع في ذراعين عليه صفائح الذهب وكان من شمشار وكانوا يقدمونه في الحروب ويجعلونه أمام جندهم فإذا سمع من جوفه أنين زف التابوت أي سار وكان الناس يسرون خلفه فإذا سكن الأنين وقف فوقف الناس بوقوفه (فيه سكينه من ربكم) قيل في التابوت نفسه وقيل فيافي التابوت واختلف في السكينه فقيل ان السكينه التي كانت فيه ربيع هفافة من الجنة لها وجه كوجه الإنسان عن علي (ع) وقيل كان له جناحان ورأس كراس الهرة من الزبرجد والزمرد عن مجاهد وروي ذلك في اخبارنا وقيل كان فيه آية يسكنون اليها عن عطا وقيل روح من الله يكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف عن وهب (وبقية بما ترك آل موسى وآل هارون) قيل انها عصا موسى ورضاض الألواح عن ابن عباس وقاتدة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر الصادق وقيل هي التوراة وشي من ثياب موسى عن الحسن وقيل كان فيه ايضا لوحان من التوراة وقفيذ من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا موسى وعمامة هارون وعصاه هذه اقوال أهل التفسير في السكينه والبقية والظاهر ان السكينه أمانة وطمانينة جعلها الله فيه ليسكن اليه بنو اسرائيل والبقية جائز أن يكون بقية من العلم اوشي من علامات الأنبياء. وجائز ان يتضمنها جميعا على ما قاله الزجاج وقيل أراد بآل موسى وآل هارون موسى وهارون على نبيينا وعليها السلام يعني مما ترك موسى وهارون تقول العرب آل فلان يريدون نفسه اتشدابو عبيدة

فلا تبك ميتا بعد ميت أخته علي وعباس وآل أبي بكر

يريد أبا بكر نفسه وقال جميل

بشيئة من آل النساء وإنما يكن لأدنى لا وصال لغائب (كذا)

أي من النساء (تحمله الملائكة) قيل حملته الملائكة بين السماء والارض حتى رآه بنو اسرائيل عيانا عن ابن عباس والحسن وقيل لما غلب الأعداء على التابوت ادخلوه بيت الأضنام فاصبحت اصنامهم منكبة فأخرجوه ووضعوه ناحية من المدينة فأخذهم وجمع في اعناقهم وكل موضع وضعوه فيه ظهر فيه بلاء وموت ووباء فاشير عليهم بان يخرجوا التابوت فاجمع رأيهم على أن يأتوا به ويحملوه على عجلة ويشدوها على ثورين ففعلوا ذلك وارسلوا الثورين فجات الملائكة وساقوا الثورين الى بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى تحمله الملائكة تسوقه كما تقول حملت متاعي الى مكة ومعناه كنت سيبا لحمله الى مكة (إن في ذلك لآية لكم) أي في رجوع التابوت اليكم علامة أن الله سبحانه ملك ما لوت عليكم (ان كنتم مؤمنين) مصدقين ولا يجوز ان يكون على تثيت الايمان لهم لأنهم كفروا حين ردوا على نبيهم وقيل ان كنتم مؤمنين كما تزعمون

قوله تعالى (٢٤٩) فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مَبْتَلِكُمْ يَنْهَرُ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْمَئِنَّ فَإِنَّهُ يَتَّبِعِي إِلَّا مَنْ غَطَّرَ بِغَرَفَةٍ بِرِيْدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٌ غَابَتْ مِنْهُمْ كَثِيرَةٌ يَا ذَنْبَ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو واهل المدينة غرفة بالفتح والباقون بالضم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من فتح العين عدى الفعل الى المصدر المفعول. في قوله محذوف. والمعنى إلا من اغترف ماء غرفة ومن ضم العين عدى الفعل الى المفعول به ولم يعد الى المصدر لأن الغرفة العين المترفة فهو بمنزلة إلا من اغترف ماء والبغداديون يجعلون هذه الاسماء المشتقة من المصادر بمنزلة المصادر ويعلمونها كما يعلمون المصادر فيقولون عجبت من دهنك لحيتك وقد جاء من العرب ما يدل عليه وهو قول الشاعر (وبعد عطائك المائة الرقاعا) واشياء غير هذا فعلى هذا يجوز ان ينصب الغرفة نصب الغرفة وقد قال سيويه في نحو الجلسة والركبة انه قد يستغنى بها عن المصادر او قال تقع مواقعها وهذا كالمقارب لقولهم ولو قيل ان الضم هنا اوجه لقوله فشربوا منه والمشروب منه الغرفة لكان قولاً

﴿ اللفظة ﴾

الفصل التعلع وفصل بالجنود اي سار بهم وقطعهم عن موضعهم وفصل الصبي فصلا قطعه عن الابن والجنود جمع جند وجند الجنود اي جمعهم وفي الحديث الارواح جنود مجندة واصل الباب الجند الغليظ من الارض يقال طعم الماء كما يقال طعم الطعام وانشدوا

فإن شئت حرمت النساء سواهم وإن شئت لم اطعم نقاخا ولا يرذا

اراد لم اذق والنقاخ العنب وغرف الماء يغرف غرقا واغترف بمعنى والمغرفة الآلة التي يغرف بها وغرف غروف كبير والمجاوزه من الجواز يقال جاز الشيء يجوز اذا قطعه واجازه اجازة اذا استصوبه والشيء يجوز إذا لم يمنع منه دليل وجوز الشيء وسطه مشبه بجواز الطريق وهو وسطه الذي يراز فيه وقيل ان اشتقاق الجوزاء منه لأنها تترص جوز النبا. والمجاز في الكلام لأنه خروج عن الاصل الى ما يجوز في الاستعمال واصل الباب الجواز وهو المرور من غير شيء يصدر منه التجاوز عن الذنب لأنه المرور عليه بالصفح والطاقة القوة يقال اطلقت الشيء طاقة وطوقا مثل اطعمته إطاعة وطوعا والفئة الطائفة من الناس والجمع فئون وفئات ولا يجوز في عدة العداة لأن نقص عدة من اوله وليس كذلك فئة وما نقص من اوله يجري في الباب على اطراد بمنزلة غير المنقوص واما فئة ومائة وعزة فإن النقص فيه على غير اطراد وتقول فأوت راسه بالسيف إذا قطعته وايضا الشيء ايضا اذا انقطع واصل الباب القطع ومنه الفئة لأنهم قطعوا من الناس

﴿ الإعراب ﴾

قوله بيده من فتح فاء غرفة جاز ان يتعلق بالمصدر عنده وجاز ان يعلقه بالفعل ايضا ومن اعدل الغرفة افعال المصدر جاز ان يتعلق بالباء بها في قوله وكلا الأمرين مذهب ومن اغترف في موضع نصب بالاستثناء. ولم خبرية وهي في موضع رفع بالابتداء.

* المعنى *

(فلما فصل طالوت بالجنود) في الكلام حذف لدلالة ما بقي عليه وهو فاتألم التايوت بالصفة التي وعدوا بها فصدقوا وانقادوا لطالوت فلما فصل طالوت اي خرج من مكانه وقطع الطريق بالجنود أي العساكر واختلف في عددهم فقيل كانوا ثمانين الف مقاتل عن السدي وقيل سبعين الفا عن مقاتل وذلك أنهم لما رأوا التايوت أيقنوا بالنصر فبادروا الى الجهاد (قال) يعني طالوت (ان الله مبتليكم بنهر) أي مختبركم وممتحنكم ومعنى الابتلاء ههنا تمييز الصادق عن الكاذب في قوله عن الحسن وكان سبب ابتلائهم بالنهر شكائهم قلة الماء وخوف التلف من العطش عن وهب وقيل انما ابتلوا بذلك ليصبروا عليه فيكثر ثوابهم ويستحقوا به النصر على عدوهم وليتمردوا الصبر على الشدائد فيصبروا عند المحاربة ولا يتهزموها واختلف في النهر الذي ابتلوا به فقيل هو نهر بين الاردن وفلسطين عن قتادة والربيع وقيل هو نهر فلسطين عن ابن عباس والسدي وقوله (فمن شرب منه) الهاء كتابة عن النهر في اللفظ وهو في المعنى للماء ويقال شربت من نهر كذا ويراد به الماء (فليس مني) معناه ليس من أهل ولايتي وليس من اصحابي ومن يتبعني (ومن لم يطمعه) اي ومن لم يطمع من ذلك الماء (فإنه مني) أي من أهل ولايتي وأوليائي هو من الطعم الذي هو ما يذوقه الذوق أي لم يجد طعمه لا من الطعام والطعم يوجد في الماء وفي الطعام جميعا (إلا من اغترف غرفة بيده) الا من اخذ الماء مرة واحدة باليد ومن قرأ بالضم فمعناه الا من شرب مقدار مل كفه (فشربو منه) أي شربوا كلهم اكثر من غرفة الا قليلا منهم قيل ان الذين شربوا منه غرفة كانوا ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا عن الحسن وقاتدة وجماعة وقيل اربعة آلاف رجل وناق ستة وسبعون الفا ثم ناقق اربعة الآف الا ثلاثمائة وبضعة عشر عن السدي وقيل من استكثر من ذلك الماء عطش ومن لم يشرب الا غرفة روي وذهب عطشه ورد طالوت عند ذلك العصاة منهم فلم يقطعوا معه النهر (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) معناه فلما تحطى النهر طالوت والمؤمنون معه وهم أصحابه وروي عن البراء بن عازب وقاتدة والحسن انما جاوز معه المؤمنون خاصة كانوا مثل عدد أهل بدر وقيل بل جاوز المؤمنون والكافرون إلا أن الكافرين انزلوا وبقي المؤمنون على عدد أهل بدر عن ابن عباس والسدي وهذا أقوى لقوله سبحانه فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فلما رأوا كثرة جنود جالوت (قالوا) اي قال الكفار منهم (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فقال المؤمنون حينئذ الذين عددهم عدة أهل بدر (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) قال ابو القاسم البلخي ويجوز ان يكونوا كلهم مؤمنين غير أن بعضهم اشد ايقانا وأقوى اعتقادا وهم الذين قالوا كم من فئة قليلة إلى آخره (قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله) أي راجعون إلى الله وإلى جزائه قيل في يظنون ثلاثة أقوال **أحدها** ان معنى يظنون يستيقنون عن السدي كقول دريد بن الصمة

فقلت لهم ظنوا بألقي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

اي أيقنوا **الثاني** ان معناه يحدوثون نفوسهم وهو اصل الظن لأن حديث النفس بالشيء قد يكون مع الشك وقد يكون مع العلم الا أنه قد كثر على ما كان مع الشك **الثالث** يظنون انهم ملاقوا الله بالقتل في تلك الرقعة (كم من فئة) اي فرقة (قليلة غلبت فئة كثيرة) اي قهرت فرقة كثيرة (باذن الله) أي بنصره عن الحسن لأنه اذا أذن الله في القتال نصر فيه على الوجه الذي اذن فيه (والله مع الصابرين) بالنصرة لهم على اعدائهم

قوله تعالى (٢٥٠) ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (آية)

* اللغة *

البروز اصله الظهور ومنه البراز وهي الارض الفضاء. ورجل برز وامرأة برزة اي ذو عفة وفضل لظهور ذلك منهما والافراغ الصب للشيء على جهة اخلاء المكان منه يقال فرغ يفرغ فراغا وافرغ فراغا واصبح فورا. اد ام موسى فراغا اي خاليا من الصبر واصل الفراغ الخلو والتبثيت تمكين الشيء في مكانه للزومه اياه وقد يقال ثبته بمعنى حكم بوجوده ورجل ثبت المقام اذا كان شجاعا لا يبرح موقفه وطلعه فانتبت فيه الرمح اي نفذ فيه لانه يلزم فيه واثبت حجته اي اقامها ورجل ثبت اي ثقة ما مون فيا روي والنصر هو المعونة على العدو ويكون ذلك باشياء منها بزيادة القوة ومنها بالرعب عن الملاقاة ومنها بالاطلاع على العورة ومنها بتخييل الكثرة ومنها باختلاف الكلمة والفرق بين النصر والالطف ان كل نصر من الله فهو لطف وليس كل لطف نصرا لان الالطف يكون في اخذ طاعة بدلا من معصية وقد يكون في فعل طاعة من التوافل والنصر فعل الله والصبر من فعل العبد لانه يجازى عليه وهو حبس النفس عما تنازع اليه من الفعل وهو ها هنا حبسها عما تنازع اليه من القرار من القتال

* المعنى *

(ولما برزوا) اي ظهر طالوت والمؤمنون معه (ا) محاربة (جالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ) اي اصب علينا صبرا اي وقفنا للصبر على الجهاد وشبهه بتفريغ الاوانا من جهة انه نهاية ما توجه الحكمة كما انه نهاية ما في الواحد من الآتية (وثبت اقدامنا) اي وقفنا للثبوت على الامر (وانصرنا) اعنا (على) جهاد (القوم الكافرين) قوم جالوت

قوله تعالى (٢٥١) فهزمهم ياذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه بما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين (آية)

* القراءة *

قرأ ابو جعفر ونافع ويعقوب دفاع الله بالالف وفي الحج مثله وقرأ الباقون بنير الف

* الحجة *

قال ابو علي دفاع يحتمل امرين احدهما ان يكون مصدر الفعل كالكتاب واللقاء ونحو ذلك الثاني ان يكون مصدر الفاعل ويبدل عليه قراءة من قرأ ان الله يدافع عن الذين آمنوا وكان معنى دفع ودافع سواء الا ترى الى قوله ولقد حرصت بأن ادافع عنهم فإذا المنية اقبلت لا تدفع كأن المعنى حرصت بأن ادفع عنهم المنية والمنية لا تدفع فوضع ادافع موضع ادفع فإذا كان كذلك فيدفع ويدافع متقاربان

* اللغة *

المهزم الدفع يقال هزم القوم في الحرب بهزمهم هزما اذا دفعهم بالقتال هربا منه فانهمزوا انهزما وتهزم السقا. اذا ييس فتصدع لاندفاع بعضه عن بعض والاهتزام الذبح يقال اهتزم شاتك قبل ان تهزم فتهلك لدفع ضياهما بتذكيتهما واصل الدفع الصرف عن الشيء والدفاع السيل والدفعة اندفاع الشيء. جملة

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه تمام القصة فقال (فهزمهم) ولا بد من حذف هنا كأنه لما قالوا ربنا افرغ علينا صبورا قال فاستجاب لهم ربهم فهزمهم بنصره اي دفعهم وكسروهم لأن ذكر المغزبة بعد سؤال النصرة دليل على

معنى الإجابة ومعنى هزموهم سببوا هزيمتهم بأن فعلوا ما الجأهم إليها فملى هذا يكون حقيقة وقال ابو علي الجبائي ذلك مجاز لأنهم لم يفعلوا هزيمتهم كما يقال اخرجته من منزله اذا الجأه الى الخروج ولم يفعل خروجه والصحیح الاول وقوله (بأذن الله) اي بأمر الله وقيل بعلم الله (وقتل داود جالوت)

❦ القصة ❦

وكان من قصة داود على ما رواه علي بن ابراهيم بن هاشم عن الصادق (ع) ان الله اوحى الى نبيه ان جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب واسمه داود بن ايشاراع وكان لايشا عشرة بنين اصغرهم داود فلما بعث الله طالوت الى بني اسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث الى ايشا بأن احضر ولدك فلما حضروا دعا واحدا واحدا من ولده فابسه درع موسى فنهى من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لايشا هل خلفت من ولدك احدا قال نعم اصغرهم تركته في الغم يرعاها فبعث اليه فجاء به فلما دعي اقبل ومعه مقلع قال فنادته ثلاث صخرات في طريقه يا داود خذني فاخذها في مخلاته وكان حجر الفيرزج وكان داود شديد البطش شجاعا قويا في بدنه فلما جاء الى طالوت ابسه درع موسى فاستوت عليه قال فجاء داود فوقف هذا جالوت وكان جالوت على الغيل وعلى رأسه الساج وفي جبهته ياقوتة تلمع نورا وجنوده بين يديه فاخذ داود حجرا من تلك الاحجار فرمى به في ميمنة جالوت ووقع عليهم فانهمزوا واخذ حجرا آخر فرمى به في ميسرة جالوت فانهمزوا ورمى بالثالث الى جالوت فاصاب موضع الياقوتة في جبهته ووصلت الى دماغه ووقع الى الارض ميتا وقيل ان جالوت طلب البراز فخرج اليه داود فرماه بحجر من مقلع فوقع بين عينيه وخرج من قفاه واصاب جماعة كثيرة من اهل عسكره فقتلهم وانهمز القوم عن آخرهم عن وهب وغيره من المفسرين (واتاه الله الملك) اي واعطاه الملك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين عن الضحاك (والحكمة) قيل النبوة ولم يكن نبيا قبل قتل جالوت فجمع الله له الملك والنبوة عند موت طالوت في حسالة واحدة لأنه لا يجوز ان يتأس من ليس بنبي لانه قلب ما توجبه الحكمة لأن النبي يوثق بظاهره وباطنه ولا يخبر الا بحق ولا يدعو الا الى حق فليس كذلك من ليس بنبي عن الحسن وقيل يجوز ذلك اذا كان يفعل ما يفعل بأمره ومشورته (وعلمه بما يشاء) معناه وعلمه امور الدين وما يشاء. امور الدنيا منها صنعة الدروع فإنه كان يلين له الحديد كالشمع وقيل الزبور والحكم بين الناس وكلام الطير والنمل وقيل الصوت الطيب والالخان (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) قيل فيه ثلاثة اقوال احدها لولا دفع الله يجنود المسلمين الكفار ومعرتهم لغلبوا وخربو البلاد عن ابن عباس ومجاهد والثاني معناه يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك عن علي وقتادة وجماعة من المفسرين ومثله ما رواه جميل عن ابي عبد الله قال ان الله يدفع بين يصلي من شيعتنا عن لا يصلي منهم ولو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا وان الله يدفع بين يزكي من شيعتنا عن لا يزكي منهم ولو اجتمعوا على ترك الزكاة لهلكوا وان الله يدفع بين يبيع من شيعتنا عن لا يبيع منهم ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا وقريب من معناه ما روي عن النبي انه قال لو لا عباد الله ركم وصيان رضع وبهائم رتم لصب عليكم العذاب صابوروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ان الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده واولاد دورته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم والثالث ان في معنى قول الحسن ما يزرع الله بالسلطان اكثر مما يزرع بالقرآن لأن من يتبع عن الفساد لحرف السلطان اكثر ممن يتبع منه لاجل الوعد والوعيد الذي في القرآن (ولكن الله ذو فضل على العالمين) اي ذو نعمة عليهم في دينهم ودنياهم

قوله تعالى (٢٥٧) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين (آية)

﴿ اللغمة ﴾

التلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة من غير فاصلة لأن التالي الشيء يليه من غير فصل بغيره واصل التلو اي قاع الشيء بعد الشيء الذي يليه والحق هو وقوع الشيء موقعه الذي هو له من غير تغيير عنه بما لا يجوز فيه والرسالة تحمیل جملة من الكلام لها فائدة الى المقصود بالدلالة

﴿ الإعراب ﴾

يتلوها جملة في موضع الحال والعامل فيه معنى الإشارة في تلك وذو الحال آيات الله أي متلوة عليك والباء في بالحق يتعلق يتلو ايضا

﴿ المعنى ﴾

(تلك) إشارة الى ما تقدم ذكره من امة الوف من الناس دفعة واحدة وحياتهم دفعة واحدة بدعائهم ومن تملك طالوت وهو من اهل الخمول الذي لا يتقاد لمثله الناس لما جعل الله له من الآية علما على تملكه ونصرة اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت واصحابه مع قوتهم وشوكتهم (آيات الله) اي دلالات الله على قدرته (نتلوها عليك) وتقرؤها عليك يا محمد (بالحق) بالصدق وقيل يقرأها جبريل عليك (بالحق) بأمرنا (وإنك لمن المرسلين) معناه وإنك لمن المرسلين بدلالة اخبارك بهذه الآيات مع أنك لم تشاهدها ولم تتخالط أهلها ولا تعلم ذلك مع عدم المشاهدة ومخالطة أهلها الا يوحي من جهة الله والله لا يوحي الا الى انبيائه

قوله تعالى (٢٥٣) **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كالم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه روح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد (آية)**

﴿ الإعراب ﴾

درجات منصوب على الحال والعامل فيه رفع وذو الحال بعضهم وتقديره رفع بعضهم ذوي درجات فحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بعد الفراغ من الفعل تقديره ورفع بعضهم فإذا هم ذوو درجات ويجوز ان يكون ظرف مكان ويجوز ان يكون اسما وضع موضع المصدر تقديره ورفع بعضهم رفعا

﴿ المعنى ﴾

(تلك) بمعنى أو تلك إلا أنه أراد به الإشارة إلى الجماعة فأتى بلفظ الأفراد الذي تكون للموتث المفرد كما يقال القوم خرجت أي أو تلك الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء في الكتاب (فضلنا بعضهم على بعض) إذا ذكر الله تفضيل بعض الرسل على بعض الأمور ﴿أحدها﴾ لأن لا يغلط غلط فيسوي بينهم في التفضيل كما استووا في الرسالة ﴿وثانيها﴾ ان يبين أن تفضيل محمد عليهم كتفضيل من مضى من الأنبياء بعضهم على بعض ﴿وثالثها﴾ أن التفضيل قد تكون بعد اداء الفريضة وهذه التفضيلة المذكورة ههنا هي ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليلة نحو كلامه لموسى بلاسفير وكإرساله محمدا الى الكافة من الجن والانس وقيل أراد التفضيل في الآخرة لتفاضلهم في الأعمال وتحمل الاثقال وقيل بالشرائع فمنهم من شرع ومنهم من لم يشرع والفرق بين الابتداء بالتفضيلة وبين المحاباة أن المحاباة اختصاص البعض لنفع على ما يوجب الشهوة دون الحكمة وليس كذلك الابتداء بالتفضيلة لأنه قد يكون للمصلحة التي لولاها لفسد التدبير وأدى إلى حرمان

الثواب للجميع فمن حسن النظر لهذا الانسان تفضيل غيره عليه إذا كان في ذلك مصلحة له فهذا وجه تدعوايه الحكمة وليس كالوجه الأول الذي إذا تدعوايه الشهوة « منهم من كالم الله » أي كالمه الله وهو موسى « ورفع بعضهم درجات » قال مجاهد أراد به محمداً (ص) فإنه تعالى فضله على جميع أنبيائه بأن بعثه إلى جميع المكلفين من الجن والإنس وبأن اعطاه جميع الآيات التي اعطاها من قبله من الأنبياء وبأن خصه بالقرآن الذي لم يعطه غيره وهو المعجزة القائمة ليوم القيامة بخلاف سائر المعجزات فإنها تقدمت وانقضت وبأن جعله خاتم النبيين والحكمة تقتضي تأخير أشراف الرسل لأعظم الأمور (وآتينا عيسى بن مريم البينات) أي الدلالات كإبراهيم الأسمه والأبرص وإحياء الموتى والإخبار عما كانوا يأكلونه ويدخرونه في بيوتهم (وأيدناه بروح القدس) قدم تفسيره في الآية الخامسة والثمانين من هذه السورة (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) أي من بعد الرسل وقال قتادة والربيع من بعد موسى وعيسى وأتى بلفظ الجمع لأن ذكرهما يفني عن ذكر المتبعين لهما كما يقال خرج الأمير فنكروا في العدو نكابة عظيمة معناه ولو شاء الله لم يقتل الذين من بعد الأنبياء بأن يلجنهم إلى الإيمان ويمنعهم عن الكفر إلا أنه لم يلجنهم إلى ذلك لأن التكليف لا يحسن مع الضرورة والإلجا. والجزء لا يحسن إلا مع التخليه والاختيار عن الحسن وقيل معناه لو شاء الله ما امرهم بالقتال (من بعد ما جاءتهم البينات) من بعد وضوح الحجية فإن المقصد من بعثة الرسل قد حصل بإيمان من آمن قبل القتال (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) بتوفيق الله ولطفه وحسن اختياره (ومنهم من كفر) بسوء اختياره (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرر ذلك تأكيداً وتنبهاً وقيل الأول مشينة الإكراه أي لو شاء الله اضطرهم إلى حال يرتفع معها التكليف والثاني الأمر للمؤمنين بالكف عن قتالهم (ولكن الله يفعل ما يريد) ما تقتضيه المصلحة وتوجيه الحكمة

قوله تعالى (٢٥٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح فيها اجمع وفي سورة ابراهيم لا يبيع فيه ولا خلال وفي الطور لا تلو فيها ولا تأثم وقرء الباقون جميعها بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اما من فتح بلا تنوين فإنه جعله جواب هل فيها من تلو او تأثم ومن رفع جعله جواب فيها تلو او تأثم وقد ذكرنا صدرا من القول على النفي فيما تقدم والمعنيان متقاربان في ان النفي يراد به العموم والكثرة وفي القراءتين يدل على ذلك قول امية « فلا تلو ولا تأثم فيها » الا ترى انه يريد من نفي التلو وان كان قد رفعه ما يريد بنفي التثمين الذي فتحه ولم ينونه فإن جعلت قوله فيها خبراً اضرمت للأول خبراً وان جعلته صفة اضرمت لكل واحد من الإسمين خبراً

﴿ اللغة ﴾

البيع هو استبدال المتاع بالثمن والبيع نقيض الشراء والبيع ايضاً الشراء لأنه تارة عقد على الاستبدال بالثمن وتارة على الاستبدال بالمتاع والبيع الصفقة على ايجاب البيع والبيعة الصفقة على ايجاب الطاعة واليعان البايح والمشتري والحللة خالص المودة والحلل الانفراج بين الشينين وخلته بالخلل اخله خللاً اذا شككته به واختلال

الحال انحرافها بالفقر والخليل الخالص المودة من الخلة لتخلل الاسرار بينهما وقيل لأنه يستنع من الشوب في المودة بالنقيصة والخليل ايضا المحتاج من الخلة والحل معروف لتخلله بحدته ولطفه فيا ينشأ فيه والحل الرجل الخفيف الجسم والخل الطريق في الرمل وفي فلان خلة رائقة اي خصلة والخلة جفن السيف وقد ذكرنا معنى الشفاعة عند قوله ولا تقبل منها شفاعة

﴿ المعنى ﴾

لما قص الله سبحانه اخبار الأمم السابقة وثبت رسالة نبينا (ص) عقبه بالبحث على الطاعة فقال (يا ايها الذين آمنوا) اي صدقوا محمدا (ص) فيما جاء به (انفقوا مما رزقناكم) قيل اراد به الفرض كالتزكاة ونحوها دون النفل لاقتران الوعيد به عن الحسن ولأن ظاهر الامر يقتضي الايجاب وقيل يدخل فيه النفل والفرض عن ابن جريج واختاره البلخي وهو الاقوى لأنه اعم ولأن الآية ليس فيها وعيد على ترك النفقة وانما فيها اخبار عن عظم احوال يوم القيامة وشدائدها (من قبل ان يأتي يوم) اي يوم القيامة (لا يبيع فيه) اي لا تجارة (ولا خلة) اي ولا صداقة لأنهم بالمعاصي يصيرون اعداء. وقيل لأن شغله بنفسه يمنع من صداقة غيره وهذه كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض اعدو الا المتقين (ولا شفاعة) اي لغير المؤمنين مطلقا فاما المؤمنون فقد يشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم انبياءهم كما قال سبحانه ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ومن ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه (والكافرون هم الظالمون) إنما ذم الله الكافر بالظلم وان كان الكافر اعظم منه لأمرين ﴿ احدهما ﴾ الدلالة على ان الكافر ضر نفسه بالخلود في النار فقد ظلم نفسه ﴿ والآخر ﴾ انه لما نفى البيع في ذلك اليوم والخلة والشفاعة واخبر انه قد حرم الكافر هذه الأمور قال وليس ذلك بظلم منا بل الكافرون هم الظالمون لانهم عملوا بانفسهم ما استحقوا به حرمان هذه الأمور ووجه آخر في تخصيص الكافر بالظلم وهو ان ظلم الكافر هو غاية الظلم وليس يبلغ ظلم المؤمنين لانفسهم وغيرهم مبلغ ظلم الكافرين ونظيره قول القائل فلان فقيه في البلد وفلان هو الفاضل ويراد به تقدمه على غيره فيا اضيف اليه

قوله تعالى (٢٥٥) **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (آيَاتان)**

بصري وآية واحدة عند غيرهم عد البصري الحي القيوم آية . فضل الآية ذكر ابن انجويه القسوي في كتاب الترغيب بإسناد متصل عن ابي بن كعب قال قال رسول الله يا أبا المنذر اي آية في كتاب الله اعظم قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري ثم قال ليهنك العلم والذي نفس محمد بيده ان لهذه الآية لساناً وشفتين يقدر الملك الله عن ساق العرش وروى الثعلبي بإسناده عن عبد الله بن عمر قال قال النبي من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة كان الذي يتولى قبض نفسه ذو الجلال والاكرام وكان كمن قاتل مع انبياء الله حتى استشهد وبإسناده عن علي (ع) قال سمعت نبيكم على اعراف المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره وعنه قال سمعت رسول الله يقول يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الشجر السدر

وسيد الشهور الأشهر الحرم وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي يا علي إن فيها لخسيتين كلمة في كل كلمة خمسون بركة وروي عن عبد الله بن مسعود قال من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في كل ليلة في بيت لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح أربع آيات من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وخواتيمها وروي عن أبي جعفر الباقر قال من قرأ آية الكرسي مرة صرف الله عنه ألف مكروه من مكاربه الدنيا وألف مكروه من مكاربه الآخرة أيسر مكروه الدنيا القفر وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر وعن أبي عبد الله قال إن لكل شيء ذروة وذروة القرآن آية الكرسي

﴿ اللغة ﴾

الحي من كان على صفة لا يستحيل معها أن يكون قادرا عالما وإن شئت قلت هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرك المدرجات إذا وجدت والقيوم أصله قيوم على وزن فيعمل إلا أن الياء والواو إذا اجتمعتا وأولاهما ساكنة قلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء قياسا مطردا والقيام أصله قيوم على وزن فيعمل ففعل به ما ذكرناه قال أمية بن أبي الصلت

لم يخلق السماء والنجوم والشمس معها قمر يقوم
قدرها المهيمن القيوم والحشر والجنة والنعيم
إلا لأمر شأنه عظيم

والسنة النوم الخفيف وهو النعاس قال عدي بن الرقاع

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

وهو مصدر وسن يوسن وسنا وسنة قال المنفلد السنة في الراس والنوم في القلب والنوم خلاف اليقظة يقال نام نوما واستنام إليه أي استأنس إليه واطأن إلى ناحيته وقال الليث يقال لكل من أحرز شيئا أو بلغ علمه أقصاه قد أحاط به ويقال وسع فلان الشيء يسهه إذا احتله واطاقه وامكنه القيام به ويقال لا يملك هذا أي لا تطيقه ولا تحتله الكرسي كل أصل يعتمد عليه قال الشاعر

تحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تتوب
أي علما بحوادث الأمور وقال آخر

نحن الكراسي لا تعد هوازن أفعالنا في النائبات ولا اسد
وقال آخر

مالي بأمرك كرسي أكاثمه وهل بكرسي علم الغيب مخلوق

وكل شيء تراكب فقد تكارس ومنه الكراسة لتراكب بعض ورقها على بعض ورجل كروس عظيم الراس ويقال كرسي الملك من كذا وكذا أي ملكه مشبه بالكرسي المعروف وأصل الباب الكرسي تراكب الشيء بعضه على بعض وآده يؤوده أودا إذا اتقله وجهه وأدت العود أوده أودا فأناد نحو عجته فانعاج والأود والأوداء على وزن الأعوج والعوجاء والمعنى واحد والجمع الأود كالعرج والمعنى أصله من العلو وهو سبحانه علي بالاعتقاد ونفوذ السلطان ولا يقال رفيع بالاعتقاد لأن الرفعة في المكان والعلو منقول إلى معنى الاعتقاد يقال فلان علا على قرنه يعلو علوا فهو عال وعلا بمعنى اقتدر ولا يقال ارتفع عليه بمعناه ولذلك يقال استعلى عليه بالحجة ولا يقال ارتفع عليه بالحجة والعلو بضم العين وكسرها خلاف السفل وعلا في الأرض علوا تجبرومنه قوله إن فرعون علا في الأرض أي تجبر والله تعالى العلي والمتعالي أي القادر القاهر لا يعجزه شيء وفلان من عليا الناس أي من

أشرفهم والعظيم معناه العظيم الشأن وقيل العظيم بمعنى العظيم كما قالوا في الخمر العتيق أي المعتقة والاول اقوى

﴿ الإعراب ﴾

الله رفع بالابتداء. وما بعده خبره والكلام مخرجه مخرج النفي أي ان لا يصلح إله سوى الله وحقيقته الاثبات لا إله واحد هو الله فكانه قيل الله هو الإله دون غيره وارتفع هو في لا إله إلا هو على احد وجهين ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ بالابتداء. كأنه قال ما إله الا الله ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ ان يكون بدلا كأنه قال ما إله ثابتا او موجودا الا الله ويجوز في العربية نصب الله في قول لا إله إلا الله على الاستثناء.

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر الأمم واختلافهم على انبيائهم في التوحيد وغيره عقبه بذكر التوحيد فقال (الله) أي من يحق له العبادة لقدوته على اصول النعم وقد ذكرنا اختلاف الانحرال في اصله وفي معناه في مقتضب سورة الفاتحة (لا إله الا هو) أي لا احد تحت له العبادة ويستحق الإلهية غيره (الحي) قد ذكرناه ومعناه (القيوم) القائم بتدبير خلقه من إنشائهم ابتداء. وإبصال ارزاقهم اليهم كما قال (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) عن قتادة وقيل القيوم هو العالم بالامور من قولهم هذا يقوم بهذا الكتاب أي يعلم ما فيه وقيل معناه الدائم الوجود عن سعيد بن جبير والضحاك وقيل معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها من حيث هو عالم بها عن الحسن واللفظ لجميع هذه الوجوه محتمل (لا تأخذه سنة) أي نعاس (ولا نوم) ثقيل مزيل للقوة وقيل معناه لا يغفل عن الخلق ولا يسهو كما يقال للعاقل انت نائم وانت وستان (له ما في السماوات وما في الارض) معناه له ملك ما فيها وله التصرف فيها (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) هو استفهام معناه الإنكار والنفي أي لا يشفع يوم القيامة احد لاحد الا باذنه وامره وذلك ان المشركين كانوا يزعمون ان الاصنام تشفع لهم فآخبر الله سبحانه ان احدا ممن له الشفاعة لا يشفع الا بعد أن يأذن الله له في ذلك وبأمره به (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) قيل فيه وجوه ﴿١﴾ احدها ﴿٢﴾ أن معناه يعلم ما بين ايديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة عن مجاهد والسدي ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ معناه يعلم الغيب الذي تقدمهم من قولك بين يديه أي قدامه وما مضى فهو قدام الشيء فيحمل عليه على هذا التقدير لا ان هذا اللفظ حقيقة في الماضي وما خلفهم يعني الغيب الذي يأتي بعدهم عن ابن جريج ﴿٥﴾ والثالث ﴿٦﴾ ان ما بين ايديهم عبارة عما لم يأت كما يقال رمضان بين ايدينا (وما خلفهم) عبارة عما مضى كما يقال في شوال قد خلفنا رمضان عن الضحاك (ولا يحيطون بشيء من علمه) معناه من معلومه كما يقال اللهم اغفر لنا علمك فينا أي معلومك فينا ويقال اذا ظهرت آية هذه قدرة الله أي مقدور الله والإحاطة بالشئ علما ان يعلمه كما هو على الحقيقة (إلا بما شاء) يعني ما شاء ان يعلمهم ويطلعهم عليه (وسع كرسیه السماوات والارض) اختلف فيه على اقوال ﴿١﴾ احدها ﴿٢﴾ وسع علمه السماوات والارض عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر وأبي عبد الله (ع) ويقال للعلباء كراسي كما يقال اوتلد الارض لأن بهم قوام الدين والدنيا ﴿٣﴾ وثانيها ﴿٤﴾ ان الكرسي ههنا هو العرش عن الحسن وثالثا سمي كرسيا لتكريب بغضه على بعض ﴿٥﴾ وثالثها ﴿٦﴾ أن المراد بالكرسي ههنا الملك والسلطان والقدرة كما يقال اجعل لهذا الحائط كرسيا أي عمادا يعمد به حتى لا يقع ولا يميل فيكون معناه احاط قدرته بالسماوات والارض وما فيها ﴿٧﴾ ورابعها ﴿٨﴾ ان الكرسي سرير دون العرش وقد روي عن ابي عبد الله وتقریب منه ما روي عن عطاء. انه قال ما السماوات والارض عند الكرسي الا كحلقة خاتم في فلاة وما الكرسي عند العرش الا كحلقة في فلاة ومنهم من قال ان السماوات والارض جميعا على الكرسي والكرسي تحت العرش كالعرش فوق السما. وروي الاصبغ بن نباتة ان عليا قال ان السماوات والارض وما فيها من مخلوق في جوف الكرسي وله اربعة املاك يحملونه باذن الله ملك منهم في صورة الأدميين وهي

أكرم الصور على الله وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق للأدبيين والملك الثاني في صورة الثور وهو سيد البهائم يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم والملك الثالث في صورة الذر وهو سيد الطيور وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع الطيور والملك الرابع في صورة الأسد وهو سيد السباع وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع قال ولم يكن في جميع الصور صورة أحسن من الثور ولا أشد انتصاباً منه حتى اتخذ الملائكة من بني إسرائيل العجل وعبده فحفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياءاً من الله أن عبدوا من دون الله بشيء يشبهه وتخوف أن ينزل الله به العذاب (ولا يؤذوه حفظها) أي لا يشق على الله ولا يتقله حفظ السموات والأرض وقيل الماء في يؤذوه يعود إلى الكرسي وهذا على قول من يقول أن السموات والأرض على الكرسي (وهو العلي) عن الأشباه والأنداد والامثال والانداد وعن إمارات النقص ودلالات الحدوث وقيل هو بمعنى العلو الذي هو بمعنى القدرة والسلطان والملك وعلو الشأن والقهر والاعتلاء والجلال والكبرياء. (العظيم) أي العظيم الشأن القادر الذي لا يعجزه شيء والعالم الذي لا يخفى عليه شيء لا نهاية لمقدوراته ولا غاية لمعلوماته وروى علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسين بن خالد أنه قرأ أبو الحسن الرضا (ع) الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه

قوله تعالى (٢٥٦) لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (آية ١)

﴿ اللغة ﴾

الرشد نقيض الغي وهو الرشد والرشد تقول غوي بغوي غيا وغواية إذا سلك طريق الهلاك وغوي إذا خاب قال الشاعر :-

ومن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

وغوي الفصيل يغوي غوي إذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك والطاقوت وزنها في الأصل فعلوت وهو مصدر مثل الرجوت والرهوت والرحوت ويدل على أنها مصدر وقوعها على الواحد والجماعة بلفظ واحد وأصلها طغيوت لأنها من اليا. يدل على ذلك قوله في طغيانهم يعمهون ثم إن اللام قدمت إلى موضع العين فصارت طغيوت ثم قلبت اليا، الفالتحر كهاو انفتاح ما قبلها فصارت طاغوت فوزنها الآن بعد القلب فعلوت وجميع طاغوت طواغيت وطواغيت وطواغ علي حذف الزيادة والظواغيت على العوض من المحذوف والعروة عروة الدلو ونحوه لأنها متعلقة وعروت الرجل أعروه عروا إذا ألمت به متعلقاً بسبب منه واعتراه هم إذا تعلق به وعرته الحمى تعروه إذا علقت به فالاصل في الباب التعلق قال الأزهري العروة كل نبات له أصل ثابت كالشج والقيصوم وغيره وبه شبهت عرى الأشياء. في لزومها والوثقى تأنيث الأوثق والانقسام والانقطاع والانتصاع نظائر قال الأعشى

وميسمها عن شتيت النبات غير ذي كس (كذا) ولا منقسم

﴿ النزول ﴾

يقال فصته فانقسم

قيل نزلت الآية في رجل من الأنصار كان له غلام أسود يقال له صبيح وكان يكرهه على الإسلام عن مجاهد وقيل نزلت في رجل من الأنصار يدعى بالحصين وكان له ابنان فقدم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما أرادوا الرجوع من المدينة اتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ومضيا إلى الشام فأخبر أبو الحصين

رسول الله (ص) فأنزل الله تعالى لا اكراه في الدين فقال رسول الله (ص) ابعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبها فأنزل الله فلا وربك لا يؤمنون الآية قال وكان هذا قبل ان يؤمر النبي بقتال أهل الكتاب ثم نسخ وأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة عن السدي وهكذا قال ابن عباس وابن زيد انها منسوخة بآية السيف وقال الباقون هي محكمة وقيل كانت امرأة من الأنصار تكون مقالاتا فتدفع اولاد اليهود فجاء الإسلام وفيهم جماعة منهم فلما اجليت بنو النضير إذا فيهم اناس من الأنصار فقالوا يا رسول الله أبناوتنا واخواننا فقلت لا اكراه في الدين فقال خيروا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فأجلوهم عن ابن عباس

المعنى

لما تقدم ذكر اختلاف الأمم وانه لو شاء الله لأكرههم على الدين ثم بين تعالى دين الحق والتوحيد عقبه بأن الحق قد ظهر والعبد قد خير فلا اكراه بقوله (لا اكراه في الدين) وفيه عدة أقوال ﴿ أحدها ﴾ أنه في أهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية عن الحسن وقتادة والضحاك ﴿ وثانيها ﴾ أنه في جميع الكفار ثم نسخ كما تقدم ذكره عن السدي وغيره ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكروه عن الزجاج ﴿ ورابعها ﴾ انها نزلت في قوم خاص من الأنصار كما ذكرناه في التزويل عن ابن عباس وغيره - (وخامسها) - ان المراد ليس في الدين اكراه من الله ولكن العبد مخير فيه لأن ما هو دين في الحقيقة هو من افعال القلوب إذا فعل لوجه وجوبه فاما ما يكره عليه من اظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة كما أن من اكراه على كلمة الكفر لم يكن كافرا والمراد الدين المعروف وهو الإسلام ودين الله الذي ارتضاه (قد تبين الرشد من الغي) قد ظهر الايمان من الكفر والحق من الباطل بكثرة الحجج والآيات الدالة عقلا وسمعا والمعجزات التي ظهرت على يد النبي (فن يكفر بالطاغوت) فيه اقوال - (احدها) - أنه الشيطان عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله - (وثانيها) - انه الكاهن عن سعيد بن جبير - (وثالثها) - أنه الساحر عن أبي العالية - (ورابعها) - أنه مردة الجن والانس وكلما يطغى - (وخامسها) - انه الأصنام وما عبد من دون الله وعلى الجملة فالمراد من كفر بما خالف أمر الله (ويؤمن بالله) اي بصدق الله وما جاءت به رسله (فقد استمسك) تمسك واتصم (بالعروة الوثقى) أي بالعصمة الوثيقة وعقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا يحله شبهة وعن مجاهد هو الايمان بالله ورسوله وجرى هذه مجرى المثل الحسن البيان بإخراج ما لا يقع به الاحساس إلى ما يقع به (لا انفصام لها) اي لا انقطاع لها يعني كما لا ينقطع أمر من تمسك بالعروة كذلك لا ينقطع امر من تمسك بالايمان (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بضمائركم

قوله تعالى (٢٥٧) **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (آية)

اللغة

الولي من الولي وهو القرب من غير فصل وهو الذي يكون اولي بالغير من غيره وأحق بتدبيره ومنه الوالي لأنه يلي القوم بالتدبير وبالامر والنهي ومنه المولى من فوق لأنه يلي أمر العبد بسد الخلة وما به اليه الحاجة ومنه المولى من أسفل لأنه يلي أمر المالك بالطاعة ومنه المولى لابن العم لأنه يلي أمره بالنصرة لتلك القرابة ومنه ولي

اليتيم لأنه يلى أمره بال حفظ له والقيام عليه والولي في الدين وغيره لأنه يلى أمره بالنصرة والمعونة كما توجه الحكمة والمعاقدة فجميع هذه المواضع الأولى والأحق ملحوظ فيها وولى عن الشيء إذا أدير عنه لأنه زال من ان يليه بوجهه واستولى على الشيء إذا احتوى عليه لأنه وليه بالقهر والله تعالى ولي المؤمنين على ثلاثة أوجه أحدها أنه يتولاهم بالمعونة على إقامة الحجج والبرهان لهم في هدايتهم كقوله (والذين اهتدوا زادهم الله هدى) وثانيها أنه وليهم في نصرهم على عدوهم وإظهار دينهم على دين مخالفيهم وثالثها أنه وليهم يتولاهم بالمثوبة على الطاعة والمجازاة على الأعمال الصالحة

المعنى

لما ذكر سبحانه المؤمن والكافر بين ولي كل واحد منهما فقال (الله ولي الذين آمنوا) أي نصيرهم ومعينهم في كل ما بهم اليه الحاجة وما فيه لهم الصلاح من أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم (يخرجهم من الظلمات إلى النور) أي من ظلمات الضلالة والكفر إلى نور الهدى والإيمان لأن الضلال والكفر في المنع من ادراك الحق كالظلمة في المنع من ادراك المبصرات ووجه اخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والطاعة هو انه هداهم اليه ونصب الأدلة لهم عليه ورغهم فيه وفعل بهم من الاطراف ما يقوي به دواعيهم الى فعله لأننا قد علمنا انه لولا هذه الأمور لم يخرجوا من الكفر الى الإيمان فصح اضافة الاخراج اليه تعالى لكون هذه الأمور التي عددنا من جهة الله تعالى كما يصح من احدنا اذا اشار الى غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه فيه وعرفه ما له فيه من الصلاح ان يقول ادخات فلانا البلد الفلاني وانا اخرجته من كذا وكذا (والذين كفروا والياؤهم الطاغوت) أي يتولون أمورهم وانصارهم الطاغوت والطاغوت هاهنا واحد اريد به الجميع وهذا جائز في اللغة اذا كان في الكلام دليل على الجماعة قال الشاعر

بها جيف الحسرى فأما عظامها
فجلدها في معنى جلودها وقال العباس بن مرداس

فقلنا أسلموا وأنا أخوكم
فقد برئت من الإحن الصدور

والمراد به الشيطان عن ابن عباس وقيل رؤساء الضلالة عن مقاتل (يخرجونهم من النور الى الظلمات) أي من نور الإيمان والطاعة والهدى الى ظلمات الكفر والمعصية والضلال واذن اخراجهم من النور الى الظلمات الى الطوائف على ما تقدم ذكره من انهم يغرونهم ويدعونهم الى ذلك ويزينون فعله لهم فصح اضافته اليهم وهذا يدل على بطلان برهان قول من قال ان الاضافة الاولى تقتضي ان الإيمان من فعل الله تعالى بالمؤمن لأنه لو كان كذلك لاقتضت الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشيطان وعندهم لا فرق بين الامرين في انهما من فعله تعالى عن ذلك وايضا فلو كان الامر على ما ظنوا لما صار الله تعالى وليا للمؤمنين وناصرهم لهم على ما اقتضته الآية والإيمان من فعله لا من فعلهم ولما كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله فيهم ولم يفصل بين الكافر والمؤمن وهو المتولي لفعل الامرين فيها ومثل هذا لا يخفى على منصف فإن قيل كيف يخرجونهم من النور وهم لم يدخلوا فيه قلنا قد ذكر فيه وجهان - أحدهما - ان ذلك يجري بقول القائل اخرجني والدي من ميراثه فنتعه من الدخول فيه اخراج ومثله قوله في قصة يوسف اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن فيها قط وقوله ومنهم من يرد الى ارضل العمر وقال الشاعر

فإن تكن الايام احسن مرة
الى فقد عادت لمن ذنوب

ولم يكن لها ذنوب قبل ذلك والوجه الآخر انه في قوم ارتدوا عن الاسلام عن مجاهد والأول اقوى وقوله (أو آتاك اصحاب النار) إلى آخره قد مضى تفسيره

قوله تعالى (٢٥٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُبَيِّتُ قَالَ أَأَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة أنا أحيي باثبات الألف في أنا والمد إذا كان بعدها همزة مضمومة أو مفتوحة نحو أنا أخوك
فإن كان بعدها همزة مكسورة نحو إن أنا إلا نذير حذفوا الألف اجماعاً

﴿ الحجية ﴾

الأصل في أنا همزة والنون وإنما يلحقها الألف في الوقف كما ان الهاء تلحق للوقف في مسلمونه وكما
أن الهاء التي تلحق للوقف تسقط في الوصل كذلك هذه الألف تسقط في الوصل وقد جاءت الفأنامشبة في الوصل
في الشعر نحو قول الأعشى

فكيف أنا وانتحال القوافي بعد المشيب كفى بذلك عارا
وقول الآخر

أنا شبيخ العشيبة فاعرفوني حميداً قد تزربت السنما
قال أبو علي وما روي في اثبات الألف في أنا إذا كان بعد الألف همزة فإني لا أعلم بين همزة وغيرها من
الحروف فصلاً ولا شيئاً يجب من أجله اثبات الألف التي حكمها ان تثبت في الوقف

﴿ اللغة ﴾

في بهت اربع لغات بهت على وزن ظرف وبهت على وزن حذر وبهت على وزن ذهب وبهت على وزن مالم
يسم فاعله وهذا هو الأوضح وعليه القراءة يقال بهت الرجل يبهت بهتا إذا انقطع وتغير ويقال بهت الرجل
أبهته بهتانا إذا قابلته بكذب فالبهت الخيرة عند استيلاء الحجية لأنها كالخيرة للمواجه بالكذب لأن تحير
المكذب في مذهبه كتحير المكذوب عليه ومنه قوله أتأخذونه بهتانا كأنه قال أتأخذونه ادعاء للكذب فيه

﴿ الإعراب ﴾

ألم تر إلى الذي إنما ادخلت إلى في الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل كما يقولون أما ترى
إلى فلان كيف يصنع ومنه مني هل رأيت كفلان في صنعة كذا وإنما دخلت إلى ما بين حروف الجر لهذا المعنى
لأنها لما كانت بمعنى الغاية والنهاية صار الكلام بمنزلة هل انتهت رويتك إلى من هذه صفته ليدل على بعد وقوع
مثله على التعجب منه لأن التعجب إنما يكون مما استبهم سببه ولم تجر العادة به وقد صارت إلى هاهنا بمنزلة
كاف التشبيه لما بيننا من العلة إذ كان ما ندره مثله كالذي يبعد وقوعه

﴿ المعنى ﴾

لما بين تعالى انه ولي المؤمنين وان الكفار لا ولي لهم سوى الطاغوت تسلياً لنبيه (ص) قص عليه بعده قصة
ابراهيم ونورود فقال (ألم تر) يا محمد اي الم ينته علمك ورويتك (الى الذي حاج ابراهيم) اي الى من كان
كالذي حاج فكأنه قال هل رأيت كالذي حاج اي خاصم وجادل ابراهيم وهو نورود بن كتمان وهو اول من

تجبر وادعى الربوبية عن مجاهد وغيره و إنما اطلق لفظ المحاجة وان كانت مجادلة بالباطل ولم تكن له فيه حجة لأن في زعمه ان له فيه حجة واختلف في وقت هذه المحاجة فقيل عند كسر الاصنام قبل القائه في النار وجماعها عليه برداوسلاما عن الصادق (ع) (في ربه) اي في ربه ابراهيم الذي يدعو الى توحيد وعبادته (ان آتاه الله الملك) اي لأن آتاه الله الملك الها. من آتاه تعود الى المحاج ل ابراهيم اي اعطاه الله الملك وهو نعيم الدنيا وسعة المال فبطر الملك حمله على محاجة ابراهيم عن الحسن والحسيني والملك على هذا الوجه جائز ان ينعم الله تعالى به على كل احد فاما الملك بتسليك الأمر والنهي وتديير امور الناس وإيجاب الطاعة على الخلق فلا يجوز ان يوتييه الله إلا من يعلم انه يدعو الى الصلاح والهدى والرشاد دون من يدعو الى الكفر والفساد ولا يصح منه لعلمه بالقبوب والسرائر تقويض الولاية الى من هذا سبيله لما في ذلك من الاستفساد وقيل ان الها. تعود الى ابراهيم عن ابي القاسم البلخي ويسأل على هذا فيقال كيف يكون الملك ل ابراهيم والحبس والاطلاق الى نمرود وجوابه ان الحبس والاطلاق والأمر والنهي كان من جهة الله ل ابراهيم وانا كان نمرود يفعل ذلك على وجه القهر والغلبة لا من جهة ولاية شرعية (إذ قال ابراهيم ربي الذي يحبني ويميت) في الكلام حذف وهو إذ قال له نمرود من ربك فقال ربي الذي يحبني ويميت بدأ بذكر الحياة لانها اول نعمة ينعم الله بها على خلقه ثم يميتهم وهذا ايضا لا يقدر عليه الا الله تعالى لأن الإماتة هي أن يخرج الروح من بدن الحي من غير جرح ولا نقض بنية ولا احداث فعل يتصل بالبدن من جهة وهذا خارج عن قدرة البشر (قال انا احبي وأميت) اي فقال نمرود انا احبي بالتخليه من الحبس من وجب عليه القتل واميت بالقتل من شئت ممن هو حي وهذا جهل من الكافر لأنه اعتمد في المعارضة على العبارة فقط دون المعنى عادلا عن وجه الحجة بفعل الحياة للميت او الموت للحي على سبيل الاختراع الذي ينفرد به تعالى ولا يقدر عليه سواه (قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) قيل في انتقاله من حجة الى اخرى وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان ذلك لم يكن انتقالا وانقطاعا عن ابراهيم فإنه يجوز من كل حكيم ايراد حجة أخرى على سبيل التأكيد بعد تمام ما ابتدأ به من الحجج وعلامة تمامه ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهة لها تأثير عند التأمل والتدبر لموقعها من الحجة المعتمد عليها ﴿ والثاني ﴾ ان ابراهيم انما قال ذلك ليبين ان من شأن من يقدر على احياء الأموات واماتة الأحياء ان يقدر على اتيان الشمس من المشرق فإن كنت قادرا على ذلك فأت بها من المغرب وانما فعل ذلك لانه لو تشاغل معه بالتي اردت اختراع الموت والحياة من غير سبب ولا علاج لاشبهه على كثير ممن حضر فعدل الى ما هو اوضح لان الانبياء انما بعثوا للبيان والايضاح وليست امورهم مبنية على علاج الحصين وطلب كل واحد منهما غلبة خصمه وقد روي عن الصادق (ع) ان ابراهيم (ع) قال له احبي من قتلته ان كنت صادقا ثم استظهر عليه ما قاله ثانيا (فهت) الذي كفر اي تحير عند الانتطاع بما بان من ظهور الحجة فإن قيل فهلا قال له نمرود فليات بها ربك من المغرب قيل عن ذلك جوابان ﴿ احدهما ﴾ انه لما علم بما رأى من الآيات انه لو اقترح ذلك لآتى به الله تصديقا ل ابراهيم فكان يزداد بذلك فضيحة عدل عن ذلك ﴿ والثاني ﴾ ان الله خذله ولطف ل ابراهيم حتى انه لم يأت بشبهة ولم يلبس (والله لا يهدي القوم الظالمين) بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد وقيل معناه لا يهديهم الى المحاجة كما يهدي انبياءه واوليائه وقيل معناه لا يهديهم بالطائفه وتأييده اذا علم انه لا لطف لهم وقيل لا يهديهم الى الجنة وهذا لا يعارض قوله فاما نمرود فهديناهم لانا قد بينا معاني الهداية ووجهها قيل عند قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فبعضها عام لجميع المكلفين وبعضها خاص بالمؤمنين وفي هذه الآية دلالة على ان المعارف غير ضرورية اذ لو كانت كذلك لما صحت المحاجة في اثبات الصائم وفيها دلالة على فساد التقليد وحسن الحجج وانه تعالى انما يعلم بأفعاله التي لا يقدر عليها غيره وفي تفسير ابن عباس ان الله سبحانه سلب على نمرود بعوضة فعضت

شفتيه فامرئ اليها يده ليأخذها فطارت في منخره فذهب ليستخرجها فطارت في دماغه فعذبه الله بها اربعين ليلة ثم اهلكه

قوله تعالى (٢٥٩) أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أتى
يحيى هذره الله بعد موتها فأما ته الله مئة عام ثم بعته قال كم آيئت قال آيئت يوماً أو بعض
يوم قال بل آيئت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجملك
آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها أحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله
على كل شيء قدير (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو وابن عامر وحزمة والكسائي ببت بالادغام والباقون بالظهار وقرأ أهل العراق غير أبي عمرو
وعاصم لم يتسن واقتد بعذف الماء وصلوا والباقون بأثبت الماء في الوصل ولم يختلفوا في إبتائها في الوقف وقرأ
أهل الحجاز والبصرة ننشزها بضم النون الأولى وبالراء وقرأ أهل الكوفة والشام ننشزها بالزاي وروى أبان عن عاصم
ننشزها بفتح النون وضم الشين وبالراء وقرأ حزمة والكسائي قال اعلم موصلة الألف ساكنة الميم
والباقون اعلم مقطوعة الألف مرفوعة الميم

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي من ادغم لبث أجرى التاء والثاء مجرى المثلين من حيث اتفق الحرفان في انهما من طرف اللسان
واصول الثنايا واتفقا في الممس ومن بين ولم يدغم فتباين المخرجين لأن الطاء والذال والثاء من حيز والظاء والذال
والثاء من حيز ومن قرأ لم يتسنه بالماء في الوصل فيحتمل أمرين ﴿ احدها ﴾ ان يكون الها لاما من السنة
فيمن قال شجرة سنهاء فيكون سكون الماء للجزم ﴿ والآخر ﴾ ان يكون مسن السنة ايضاً فيمن قال
استنوا وسنوات او يكون من المسنون الذي يراد به المتغير كأنه لم يتسنه ثم قلب على حد القلب في لم يتظن
وحكي ان أبا عمرو والشيباني الى هذا كانا يذهبان في هذا الحرف فالهاء في يتسنه على هذين القولين يكون للوقف
فينبغي ان يلحق في الوقف وتسقط في الدرج واما قوله اقتده فيجوز ان يكون الماء كناية عن المصدر ولا يكون
التي للوقف ولكن لما ذكر الفعل دل على مصدره فاضره كما اضمر في قوله ولا تحسبن الذين يبنون بيما اتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم وقال الشاعر

غدا سراقه للقرآن يدرسه والمرء عند الرشى ان يلحقها ذئب

فالهاء في يدرسه للمصدر لا يجوز ان يكون للمفعول لأن الفعل قد تعدى الى المفعول باللام فلا يجوز ان يتعدى
اليه مرة ثانية وكذلك قوله فبهديهم اقتده يكون اقتد الاقتداء فيضم لدلالة الفعل عليه ومن قرأ كيف ننشزها
فمعناه كيف نحبيها يقال انشر الله الميت فنشره وقد وصفت العظام بالاحياء قال تعالى قال من يحيي العظام وهي
رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وكذلك في قوله ننشزها ومن قرأ ننشزها بالزوا فالنشز الارتفاع قال
ابو الحسن نشزوا نشزته فتقدير ننشزها زفع بعضها الى بعض للاحياء ومن هذا النشوز من المرأة وهو ان تنبو
عن الزوج في العشرة فلا تلائمه ومن قرأ قال اعلم على لفظ الخبر فلأنه لما شاهد من احياء الله وبمشه اياه بعد وفاته
ما شاهد الخبر عما تبينه وتيقنه اي اعلم هذا الضرب من العلم الذي لم اكن اعلمته قبل ومن قال اعلم على لفظ
الأمر فالمعنى يتول الى الخبر وذلك انه لما تبين له ما تبين من الأمر الذي لا مجال للشبهة عليه تزل نفسه منزلة

غيره فخطبها كما يخاطب سواها كقول الاعشى

ارمي به البيدا اذا هجرت وانت بين القرو والمعاصر
فقال انت وهو يريد نفسه ومثله قوله
ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل
فخطب نفسه كما يخاطب غيره قال ابو الحسن وهو اجود في المعنى

— ﴿اللغة﴾ —

اصل الخوا، الخلاء. قال الراجز «يدو خوا، الأرض من خوائه» والخوا، الفرجة بين الشيتين خلوا ما بينهما وخوت الدار تخوي خوا فهي خاوية اذا باد اهلها خلوها منهم والخواى، الجوع خوى يخوي خوى خلوا البطن من الغذاء. والتخوية التفريغ بين العضدين والجنبين خلوما بينهما بتباعدهما. على عروشها اي على ابنتها قال ابو عبيدة هي الخيام وهي بيوت الاعراب وقال غيره خاوية على عروشها اي بقيت حيطانها لا سقف عليها وكل بناء. عرش وعريش مكة ابنتها وعرش يعرش عرشا اذا بنى والعريش البيت لارتفاع ابنته والعرش السرير لارتفاعه عن غيره وعرش الرجل قوام امره وعرش البيت سقفه والتعريش جعل الحشبة تحت الكرم ليستد عليه يقال عرشته وعريشته واصل القرية الجمع من قرية المال وسميت قرية لاجتماع الناس فيها للإقامة بها وانى يجيى من اين يجيى او كيف يجيى والعالم الحول وجمعه الاعوام وهو حول يأتي بعد شتوة وصيف لأن فيه سباحا طوليا ربما يمكن من التصرف فيه والعرام الساجة والسفينة تعوم في جريها والابل تعوم في سيرها والاعتيام اصطفا. خيار مال الرجل لانه يجري في اخذه شيئا بعد شي كالسباح في الماء الجاري واعتم الموت النفوس اولاً فاولاً كذلك واصل الباب السبح واللبث المكث يقال لبث فهو لابتث وتلبث تلبثا اذا تمكث والحماير يقال للوحشى والاهلي واصله من الحمرة لأن الحمرة اغلب عليه وحمارة القيط شدة حره وحرمر فو الفرس يحمر حمرا اذا انتن وموت احمر شديد مشبه بحمرة النار والاسود والاحمر العرب والعجم لأن السواد اغلب على لون العرب كما أن الحمرة اغلب على لون العجم ومنه قول الاشعث لعل غلبت عليك هذه الحمرا. اي العجم والنشر خلاف الطي والنشر إذاعة الحديث وحث العسود بالمنشار والنشر الرائحة الطيبة وربما قيل في الغيثة والنشر الرقية والنشر بالزاي المرتفع من الأرض

﴿الإعراب﴾

او حرف عطف وهو عطف على معنى الكلام الاول وتقديره رأيت كالذي حاج ابراهيم في ربه او كالذي مر على قرية وموضع الكاف نصب بمر ومعناه التعجب لان كل ما خرج من بابيه لعظمه عن حد نظرته فهو بما يتعجب منه تقول ما اجهله اي قد خرج بجهله عن حد نظرته وكذلك لو قلت هل رأيت كزيد الجاهل لدلت على مثل الأول منه في التعجب لما بينا ان ما افعله صيغة وضعت للتعجب وليس كذلك هل رأيت لأنها في الاصل للاستفهام وقيل الكاف زائدة للتوكيد كما زيدت في قوله ليس كمثلته شي والاول اوجه لأنه لا يحكم بزيادة الا لضرورة وقوله انى استفهام في موضع نصب على الحال من يحيى وتقديره قادرا ان يحيى ويجوز ان يكون مصدرا ليحيى وتقديره أي نوع يحيى اي أي احياء يحيى وهذا اولى لأنه يكون سوا الا عن كيفية الاحياء لانكارا لأصل الاحياء وموضع كم نصب بلبثت كانه قال امانة سنة لبثت ام اقل ام اكثر وقوله ولنجملك دخلت الروا لاتصال اللام بفعل محذوف كأنه قال ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك لأن الروا لو اسقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم كيف في محل النصب على الحال من نشرو او تنشر وذو الحال الضمير المستكن فيه

او على المصدر ونشزها جملة في موضع الحال من انظر وذو الحال العظام

﴿ المعنى ﴾

(او كالذي مر) اي او هل رأيت كالذي مر ومعناه ان شئت فانظر في قصة الذي حاج ابراهيم وان شئت فانظر الى قصة الذي مر (على قرية) وهو عزيز عن قتادة وعكرمة والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله وقيل هو ارميا عن وهب وهو المروي عن ابي جعفر وقيل هو الحضرمي عن ابن اسحاق والقرية التي مر عليها هو بيت المقدس لما خربه بنو نصر عن وهب وقاتدة والربيع وعكرمة وقيل هي الارض المقدسة عن الضحاك وقيل هي القرية التي خرج منها الالوف حذر الموت عن ابن زيد (وهي خاوية على عروشها) اي خالية وقيل خراب عن ابن عباس والربيع والضحاك وقيل ساقطة على ابنتها وسقوفها كأن السقوف سقطت ووقعت البنين عليها قال (اني يحبي هذه الله بعد موتها) اي كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها وقيل كيف يحبي الله اهلها بعد ما ماتوا واطلق لفظ القرية واراد به اهلها كقوله واسئل القرية ولم يقل ذلك انكارا ولا تعجبا ولا ارتيابا ولكنه احب ان يريه الله احياءا مشاهدة كما يقول الواحد منا كيف يكون حال الناس يوم القيامة وكيف يكون حال اهل الجنة وكيف يكون حال اهل النار في النار وكقول ابراهيم رب اني كيف تحيي الموتى احب ان يريه الله احياء الموتى مشاهدة ليحصل له العلم به ضرورة كما حصل العلم دلالة لأن العلم الاستدلالي ربما اعتوته الشبهة (فأما الله مائة عام) اي مائة سنة (ثم بعثه) اي احياءه كما كان (قال كم لبثت) في التفسير انه سمع ندا من السماء كم لبثت يعني في بيتك ومنامك وقيل ان القائل له نبي وقيل ملك وقيل بعض المعبرين من شاهده عند موته وحيائه (قال لبثت يوما او بعض يوم) لان الله اماته في اول النهار وحياءه بعد مائة سنة في آخر النهار فقال يوما ثم التفت فرأى بقيع من الشمس فقال او بعض يوم فقال (بل لبثت مائة عام) معناه بل مكثت في مكانك مائة سنة (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) اي لم تغيره السنون وانما قال لم يتسنه على الواحد لأنه اراد به جنس الطعام والشراب اي انظر الى ما تركته انه لم يتسنه وقيل اراد به الشراب لانه اقرب الى المذكورين اليه وقيل كان زاده عصيرا وتينا وعنبا وهذه الثلاثة اسرع الاشياء تغيرا وفسادا فوجد العصير حلوا والتين والعنب كما جنبا لم يتغيرا (وانظر الى حمارك) معناه انظر اليه كيف تفرق اجزائه وتبدد عظامه ثم انظر كيف يحييه الله وإنما قال له ذلك ليستدل بذلك على طول حياته (ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك وقيل معناه فعلنا ذلك اجابة لك الى ما اردت ونصا. ولنجعلك آية للناس اي حجة للناس في البعث وانظر الى العظام كيف ننشزها) كيف نخيها وبالزاي كيف نرفعها من الارض فنردها الى اماكنها من الجسد وتركب بعضها على بعض (ثم نكسوها) اي نلبسها (لحما) واختلف فيه فقيل اراد عظام حمارة عن السدي وغيره فعلى هذا يكون تقديره وانظر الى عظام حمارك وقيل اراد عظامه عن الضحاك وقاتدة والربيع قالوا اول ما احيى الله منه عينه وهو مثل غرق البيض فجعل ينظر الى العظام البالية المتفرقة تجتمع اليه والى اللحم الذي قد اكلته السباع الذي يأتلف الى العظام من هاهنا ومن هاهنا ويلتزم ويلتزم بها حتى قام وقام حماره (فلما تبين له) اي ظهر وعلم وانما علم انه مات مائة سنة بشيئين ﴿ احدثهما ﴾ ﴿ باخبار من اراد الآيات المعجزة في نفسه وحماره وطعامه وشرابه وتقطع اوصاله ثم اتصال بعضها الى بعض حتى رجع الى حالته التي كان عليها في اول امره ﴿ والآخرة ﴾ انه علم ذلك بالآثار الدالة على ذلك لما رجع الى وطنه فرأى ولد ولده شيوخا وقد كان خلف آباءهم شبابا الى غير ذلك من الامور التي تغيرت والأحوال التي تقلبت وروي عن علي (ع) ان عزيزا خرج من اهله وامرأته حامل وله خمسون سنة فأماته الله مئة سنة ثم بعثه فرجع الى اهله ابن خمسين سنة وله ابن له مائة سنة فكان ابنه اكبر منه فذلك من آيات الله وقيل انه رجع وقد احرق يختصر التوراة فأملأها من ظهر قلبه فقال رجل

منهم حدثني أبي عن جدي انه دفن التوراة في كرم فإن رأيتوني في كرم جدي اخرجتها لكم فاروه فاخرجها فعارضوا ذلك بما املى فما اختلفا في حرف فقالوا ما جعل الله التوراة في قلبه الا وهو ابنه فقالوا عزير ابن الله (قال) اي قال المار على القرية (اعلم) اي اتيقن ومن قرأ اعلم فعمناه على ما تقدم ذكره من انه يحاطب نفسه وقيل انه امر من الله تعالى له (ان الله على كل شيء قدير) اي لم اقل ما قلت عن شك وارتياب ويحتمل انه إذا قال ذلك لأنه ازداد بما شاهد وعان يقينا وعلما اذ كان قبل ذلك علم استدلال فصار علمه ضرورة ومعانية

قوله تعالى (٢٦٠) وإذ قال إبراهيم ' رب انني كيف تحيي الموتى قال او لم تؤمن قال بلى واين يطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فسرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادهن يا ربنا سميا واعلم ان الله عزير حكيم (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وحمة وخلف ورويس عن يعقوب فصرهن بكسر الصاد والباقون فصرهن بضم الصاد وروي في الشواذ عن ابن عباس فصرهن بكسر الصاد وتشديد الراء. وفتحها ومن عكرمة نصرهن بفتح الصاد وكسر الراء وتشديدها وقرأ عاصم في رواية ابني بكسر جزأ متقلا مهورا حيث وقع وقرأ ابو جعفر جزأ مشددا والباقون بالهمز والتخفيف

﴿ الحجة ﴾

يقال صرته اصوره اي املته ومنه قول الشاعر ﴿ يصور عنوقها احوى زنيمة ﴾ اي يميل عنوق هذه الغنم تيس احوى وصرته اصوره قطعته قال ابو عبيدة فصرهن من الصور وقال هو القطع وقال ابو الحسن وقد قالوا بمعنى القطع صار يصير ايضا قال الشاعر

وفرع يصير الجيد وحف كأنه على اللبت فنوان الكروم الدوالح

ومعنى هذا يميل الجيد من كثرته فقد ثبت ان الميل والقطع يقال في كل واحد منهما ايضا صار يصير فمن جعل فصرهن اليك بمعنى املهن اليك حذف من الكلام والمعنى املهن اليك فقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا فحذف الجملة لدلالة الكلام عليها كما حذف من قوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فاضرب فانفلق ومن قدر فصرهن على معنى فقطعهن لم يحتاج الى اضرار ويحتمل كلا الوجهين كل واحد من القراءتين على ما ذكرناه وقوله اليك ان جعلت صرهن بمعنى فقطعهن كان اليك متعلقا بخذاي خذاليك اربعة من الطير فقطعهن ثم اجعل وان جعلته بمعنى املهن احتمل اليك ان يكون متعلقا بخذ وان يكون متعلقا بصرهن وقياس قول سيبويه ان يكون متعلقا بقوله فصرهن لأنه اقرب اليه ومن قرأ فصرهن بكسر الصاد وتشديد الراء فانه يكون من صره بصره اي قطعه والمتعدي من هذا الباب قليل وقد روي عن عكرمة ايضا فصرهن بضم الصاد فيكون من صره بصره وهذا على القياس ومن قرأ فصرهن فهو فعلهن من صرى بصري تصرية اذا حبس وقطع قال

رب غلام قد صرى في فقرته ماء الشباب عنفوان شرته

اي حبسه وقطعه ومنه الشاة المصرة اي المحبوسة اللبن المقطوعة في ضرعها عن الخروج واما الوجه في قراءة من قرأ جزءا بالتثنية فقد ذكرنا عند قوله تعالى قالوا اتخذنا هزا ومن قرأ جزءا بالتشديد فأصله جزءا ثم خفف هزته ثم إنك إذا خففت كان لك السكون وان شئت الإشمام فتقول الجزء وإن شئت التشديد (فتقول) الجزء ثم انه وصل على وقفه قال جزا كما قال الشاعر

ببازل وجننا او عبهل كأن مهواها على الكلكل

فاجرى الوصل مجرى الوقف

﴿ اللغّة ﴾

اطمأن يطمئن توطأ والمطمئن من الارض ما انحفض وتطامن واطمأن اليه اذا وثق به لسكون نفسه اليه وتوطي حاله بالامانة عنده واصل البلب التوطئة والطيير معروف وطار يطير طيرانا وطيرورة والباب يدل على خفة الشيء في الهواء ثم يستعار ذلك في غيره وفي كل سرعة وتطيير من الطيرة وهو زجر الطير بما يكره وطائر الانسان عمله الذي تقلده من خير او شر لانه بمثالة طائر الزجر في البركة والتشوم وفجر مستطير منتشر في الافق وغبار مستطار وفرس مطار حديد الفواد لانه طيار في جريه والجبل وتدمن او تاد الارض وجبل فلان على كذا اي طبع ورجل ذو جبلة اذا كان غلظ الجسم والجبلة الأمة من الناس واجبل الحافر اذا بلغ الى صلابة لا يمكنه الحفر عندها ومنه اجبل الشاعر اذا صعب عليه القول والجزء بعض الشيء وجزأته بعضته والفرق بين الجزء والسهم ان السهم من الجملة ما ينقسم عليه نحو الاثنين من العشرة وقد يقال الجزء لما لا ينقسم عليه نحو الثلاثة من العشرة ولا تنقسم العشرة عليها وان كانت الثلاثة جزءا من العشرة

﴿ الإعراب ﴾

العامل في إذ في المعنى اذكر اي او اذكر هذه القصة من الزجاج ويجوز ان يكون عطفا على قوله ألم ترى الذي حاج ابراهيم أي والم تر اذ قال وموضع كيف نصب بقوله تحيي الموتى والمعنى بأي حال تحيي الموتى وقوله ليطمئن قلبي اللام يتعلق بمعنى اربي تقديره أرني ليطمئن قلبي من الطير صفة لأربعة فعلى هذا يكون من للتبويض وللتبيين ويجوز أن يتعلق بخذ فعلى هذا لا يكون إلا للتبيين منهن اي جزء من كل واحد منهن فلما قدم على جزء وقع موضع النصب على الحال من جزء وقوله سعيما مصدر وقع موقع الحال وكأنه قال يسعين سعيما او سعيات سعيما

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر تعالى ما اريه ابراهيم عيانا من احياء الموتى فقال (واذ قال ابراهيم برباني كيف تحيي الموتى) اختلف في سبب سؤال ابراهيم هذا على وجوه ﴿ احدها ﴾ ما قاله الحسن والضحاك وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله انه رأى جيفتقرها السباع فيأكل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر فسأل الله ابراهيم فقال يارب قد علمت انك تجمعها من بطون السباع والطيور ودواب البحر فأرني كيف تحييها لأعين ذلك ﴿ وثانيها ﴾ ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ان الملك بشر ابراهيم (ع) بأن الله قد اتخذه خليلا وأنه يجيب دعوته ويحيي الموتى بدعائه فسأل الله تعالى ان يفعل الله ذلك ليطمئن قلبه بانه قد اجاب دعوته واتخذه خليلا ﴿ وثالثها ﴾ ان سبب السؤال منازعة نمرود اياه في الاحياء إذ قال انا احيي وأميت واطلق مجوسا وقتل انسانا فقال ابراهيم ليس هذا يا احيا وقال يارب أرني كيف تحيي الموتى ليعلم نمرود ذلك وروي ان نمرود توعد بالقتل ان لم يحيي الله الميت بحيث يشاهده فلذلك قال ليطمئن قلبي اي بان لا يقتلني الجبار عن محمد بن اسحاق بن يسار ﴿ ورابعها ﴾ أنه أحب ان يعلم ذلك علم عيان بعد ان كان عالما به من جهة الاستدلال والبرهان لتزول الخواطر ووساوس الشيطان وهذا أقوى الوجوه (قال أو لم تؤمن) هذه الألف استفهام ويراد به التقرير كقول الشاعر

ألستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

أي قد آمنت لامحالة فلم تسأل ذا وهذه الألف إذا دخلت على الاثبات فالمراد النفي كقوله أنت قلت للناس أي لم تقل (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) أي بلى أنا مؤمن ولكن أنت ذاك لازداد يقينا الى يقيني عن

الحسن وقتادة ومجاهد وابن جبير وقيل لأعين ذلك ويسكن قلبي الى علم العيان بعد علم الاستدلال وقيل ليطمنن قلبي بأنك قد اجبت مسئلتني واتخذتني خليلا كما وعدتني (قال فخذ أربعة من الطير) مختلفة الاجناس وإنما خص الطير من بين سائر الحيوانات لخاصية الطيران وقيل انها الطاووس والديك والحمام والغراب أمر أن يقطعها ويخلط ريشها بدمها هذا قول مجاهد وابن جريج وعطاء وابن زيد وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (فصرهن اليك) اي قطعهن عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقيل معناه اضمهن اليك عن عطاء. وابن زيد وقد تقدم بيانه في وجه القراءة (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا) وروي عن ابي عبد الله (ع) ان معناه فرقهن على كل جبل وكانت عشرة اجبل ثم أخذ بمنافيرهن وادعهن باسمي الاكبر وحلفهن بالجبروت والعظمة يأتينك سعيًا ففعل ابراهيم ذلك وفرقهن على عشرة اجبل ثم دعاهن فقال اجبن ياؤذن الله فكانت تجتمع ويأتلف لحم كل واحد وعظمه الى رأسه وطارت الى ابراهيم وقيل ان الجبال كانت سبعة عن ابن جريج والسدي وقيل كانت اربعة عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل اراد كل جبل على العموم بحسب الإمكان كأنه قال فرقهن على كل جبل يمكنك التفرقة عليه عن مجاهد والضحاك ويسأل فيقال كيف قال ثم ادعهن ودعا الجبل قبيح وجوابه أنه اراد بذلك الإشارة اليها والايمان. لتقبل عليه إذا احيها الله وقيل معنى الدعاء هاهنا الاخبار عن تكويتها احياء كقوله سبحانه كونوا قردة خاسئين وقوله اتيا طوعا او كرها عن الطبري وقول من قال أنه جعل على كل جبل طيرا ثم دعاها بعيد من الصواب والفائدة لأنه إذا طلب بالعلم به كونه قادرا على احياء الموتى عيانا وليس في إتيان طائر حي اليه بالايمان. ما يدل على ذلك وفي الكلام حذف فكأنه قال فقطعهن ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً فإن الله يحييهن فإذا احياهن فادعهن فيكون الايمان اليها بعد أن صارت احياء ففعل ابراهيم ذلك فنظر الى الريش يسعى بعضها الى بعض وكذلك العظام والاحم ثم اتينه مشيا على ارجلهن فتلقى كل طائر رأسه وذلك قوله يأتينك سعيًا وذكر عن النضر بن شميل قال سألت الخليل بن احمد عن قوله تعالى يأتينك سعيًا هل يقال للطائر إذا طار سعى فقال لا قلت فما معناه قال معناه يأتينك وأنت تسمى سعيًا (واعلم ان الله عزيز) أي قوي لا يعجز عن شيء (حكيم) في افعاله وأقواله وقيل عزيز بذل الأشياء له ولا يستنع عليه شيء حكيم افعاله كلها حكمة وصواب وما يسأل في هذه الآية ان يقال كيف اجيب ابراهيم إلى آيات الاخرة دون موسى في قوله (ارني انظر اليك) وجوابه من وجهين ﴿ احدهما ﴾ انه سأل آية لا يصح معها بقا التكليف من وقوع الضرورة التي لا يترضاها الشكوك بوجهه وإبراهيم إنما سأل في شيء خاص يصح معه التكليف ﴿ والآخرة ﴾ ان الأحوال قد تختلف فيكون الأصلح في بعض الأحوال الإجابة وفي بعضها المنع فبما تقدم فيه إذن

قوله تعالى (٢٦١) مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

النبت الحشيش وكل ما ينبت من الأرض يقال نبت نباتا ونباتا وانبته الله انباتا والينبوت شجر الحشيش وأنبت الغلام إذا راهق واستبان شعر عاتته والسنبلة على وزن فنلة كقولهم اسبل الزرع بمعنى سنبل إذا صار فيه السنبل والاصل فيه الإسبال وهو ارسال الستر ونحوه فكما يسترل بالأسبال يسترل الزرع بالسنبل ولأنه صار فيه حب مستور كما يستر بالأسبال والمائة معرفة يقال أمات الغنم إذا بلغت مائة وامايتها أي أبيتها مائة وقيتها مائة والمأي الفساد بين القوم

المعنى

(مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله) قيل تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم كمثل حبة وقيل تقديره مثل الذين ينفقون كمثل زارع حبة وسبيل الله هو الجهاد وغيره من ابواب البر كلها على ما تقدم بيانه فالآية عامة في النفقة في جميع ذلك وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) واختاره ابو علي الجبائي وقيل هي خاصة بالاتفاق في الجهاد فاما غيره من الطاعات فانها يجزى بالواحد عشرة امثالها (كمثل حبة انبتت) اي اخرجت (سبع سنابل في كل سنبل مئة حبة) يعني ان النفقة في سبيل الله بسبعائة ضعف ومتى قيل هل رأى في سنبل مئة حبة حتى يضرب المثل بها فجوابه ان ذلك متصور وان لم ير كقول امرئ القيس ﴿ ومنونة زرق كاتياب اغرول ﴾ وقوله تعالى طلعا كأنها رونس الشياطين وايضا فقد رأى ذلك في الجاورس ونحوه (والله يضاعف لمن يشاء) أي يزيد على سبعائة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وروي من ابن عمر انه قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ص) رب زد امتي فقل قوله من الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة قال رب زد امتي فقل إنسا يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله (والله واسع) اي واسع المقدرة لا يضيق عنه ما شاء من الزيادة وقيل واسع الرحمة لا يضيق عن المضاعفة (عليهم) بما يستحق الزيادة عن ابن زيد وقيل عليهم بما كان من النفقة وبنية المنفق وما يقصده من الاتفاق

النظم

اتصلت هذه الآية بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وما بين الآيتين اعتراض بالاستدعاء الى الحق وبيان الحجة والعبر عن علي بن عيسى وقيل لما قص تعالى ما فيه البرهان على التوحيد وما أتى رسله من البينات حث على الجهاد واعلم ان من عاند بعد هذه الدلالات يجب قتاله فحث على قتاله كقوله بعد هذا البرهان وبين أن في جهادهم والنفقة فيهم الثواب العظيم عن الزجاج

قوله تعالى (٢٦٢) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (آية)

اللغة

المن هو ذكر ما ينصص المعروف كقول القائل احسنت الى فلان وانعشته ونحو ذلك وأصل المن القطع ومنه قوله لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع ومنه قولهم جبل منين اي ضعيف لانه مقطوع وسمي ما يكدر المعروف بأنه مئة لانه يقطع الحق الذي يجب به والمئة النعمة العظيمة سميت بذلك لأنها تجل عن قطع الحق بها لعظمتها والمئة القوة في القلب والمن الذي يقع من السماء والمن الذي يوزن به لانه يقطع على مقدار مخصوص والاذى ضرر يتعجل وصوله الى المضروب والحرف توقع الضرر وهو يرجع الى الاعتقاد والحزن التهم السذي يغلظ على النفس

المعنى

لما أمر الله تعالى بالاتفاق عقبه ببيان كيفية الاتفاق فقال (الذين ينفقون) أي يخرجون (اموالهم في سبيل الله) وقد تقدم بيانه (ثم لا يتبعون ما انفقوا) أي نفقاتهم (مناً) أي منة على الملقى (ولا اذى) والمن هو أن يقول له ألم أعطك كذا ألم أحسن اليك ألم أغنك ونحوها والاذى أن يقول أراخني الله منك ومن ابتلائي بك ويحتمل

أن يكون معنى الأذى أن يعبس وجهه عليه أو يتبعه أو يؤذيه فيما يدفعه إليه أو يصرفه في بعض اشغاله بسبب انفاقه عليه فكل هذا من المن والأذى الذي يكدر الصنعة وينقص النعمة ويبطل الأجر والثوبة وقوله (لهم أجرهم عند ربهم) إلى آخره قد مر تفسيره وقيل معناه لهم جزاء أعمالهم عند ربهم وإنما قال عند ربهم لتكون النفس اسكن إليه وأوثق به لأن ما عنده لا يخاف عليه فوت ولا نقص (ولا خوف عليهم) من فوت الأجر ونقصانه يوم القيامة (ولا هم يحزنون) لقوته ونقصانه وفي هذه الآية دلالة على انه يصح الوعد بشرط لأن مفهوم الكلام أن تقديره في المعنى ان لم يتبعوا ما أنفقوا مشا ولا أذى فلهم من الأجر كذا والوعد إذا كان مشروطا فتم لم يحصل الشرط لم يحصل استحقاق الثواب وقد روي عن النبي (ص) انه قال المنان بما يعطي لا يكلمه الله ولا ينظر إليه ولا يذكىه وله عذاب ألم

قوله تعالى (٢٦٣) قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم

الغنى

الغنى الواسع الملك والله غني بأنه مالك لجميع الأشياء لأنه قادر عليها لا يتعذر عليه شيء منها والغنى ضد الحاجة يقال غني يغني غنا واستغنى وأغناه الله والغنا الكفاية للغنى به عن غيره والغنية الاستغناء. وقد غني القوم إذا تزوا في مكان يغنيهم والمكان الذي يتزاون به مغني وقد غني فلان غنا. إذا بالغ في التطريب وفي الانشاد حتى يستغني. الشعر أن يزداد في نعمه وقد غنيت المرأة غنيا قال قيس بن الخطيم

أجد بعمره غنيانها فتهجر أم شأننا شأنها

غنيانها غناؤها والعواني النساء. لأنهن غنيتن بجمالهن وقيل بأزواجهن والحليم مر ذكره

المعنى

(قول معروف) أي كلام حسن جميل لا وجه فيه من وجوه القبح يرد به السائل وقيل معناه دعاء صالح نحو ان يقول صنع الله بك وأغناك الله عن المسألة وأوسع الله عليك الرزق وأشبه ذلك وقيل معناه عذبة حسنة وقيل قول في إصلاح ذات البين عن الضحاك (ومغفرة) قيل فيه اقوال **﴿ احدها ﴾** ان معناه سلامة من المعصية لأن حالها كحال المغفرة في الأمان من العقوبة عن الجبائي **﴿ وثانيها ﴾** ان معناه ستر على السائل وسوآله **﴿ وثالثها ﴾** ان معناه عفو المسؤول عن ظلم السائل عن الحسن وعلى هذا فيكون ظلم السائل أن يسأل في غير وقته أو يلهف في سوآله أو يسيء الأدب بأن يفتح الباب أو يدخل الدار بغير إذن فالعفو عن ظلمه (خير من صدقة) يتبعها أذى وإنما صار القول المعروف والعفو عن الظلم خيرا من الصدقة التي (يتبعها أذى) لأن صاحب هذه الصدقة لا يحصل على خير لا على عين ماله في دنياه ولا على ثوابه في عقباه والقول بالمعروف والعفو طاعتان يستحق الثواب عليها وقد روي عن النبي (ص) انه قال إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسأته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين اما بذل يسير او رد جميل فإنه قد يأتيكم من ليس بأئس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى (والله غني) عن صدقاتكم وعن جميع طاعاتكم لم يأمركم بها ولا بشيء منها حاجة منه اليها وإنما أمركم بها ودعاكم اليها لحاجتكم إلى ثوابها (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة وقيل لا يعجل بالعقوبة على من يمين ويؤذي بصدقته ولو وقع هاهنا موقع حليم حميد او عليهم لم يحسن

قوله تعالى (٢٦٤) يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالأيدي والآذي كالذي

يُنْفِقُ مَالَهُ رِقَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْتِيهِمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ رُبَابٌ

فَأَصَابَهُ وَايِسٌ فَتَرَكَهُ صُلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
قَوْمَ الْكَافِرِينَ (آية)

﴿اللغة﴾

الرناء والمرأة أصله من الروبة كأنه يفعل ليرى غيره ذلك وجمع في رنأ. الناس بين همزتين ولا يجمع في ذوائب وإن حال بينهما الألف في كلا الموضعين حقة الواحد ولأنهما مقترحان في الواحد فهو أخف لها والصفوان واحدته صفوانة مثل سعدان وسعدانة ومرجان ومرجانة وهي الحجر الأملس والصفاء بمعنى الصفوان وذكر الكسائي في جمع صفوان صفي وأنكر ذلك المبرد وقال إن ما هو جمع صفا مثل عصي وعصا وقفي وقفا والتراب والتراب واحد وترب الرجل إذا لصق بالتراب من الفقر ومنه قوله مسكينا ذا متربة لأنه قعد على التراب للفقر وترب الرجل إذا صار ماله بعدد التراب والتراب اللسنة وقيل فيه اقوال منها ان الاتراب خرجوا إلى التراب في وقت من الزمان ومنها أنهم صبيان يلعبون في اتراب ومنها أنهم في الاشتباه كالتراب. والتراب عظام الصدر لأنها متشابهة والوايل المطر الشديد الوقع وبلت السماء تبل وبلا والوبيل الشديد والوبال سوء العاقبة واصل الباب الشدة والصلد الحجر الأملس قال الشاعر

ولست يجلب جلب ربيع وقره ولا بصفا صلد عن الخير معزل

والصلد من الأرض ما لا ينبت شيئا لصلابته والصلد البخيل وصد الزند صلودا إذا لم يور ناراً وفرس صلود إذا ابطأ عرقه وقد صلود إذا ابطأ عليها وأصل الباب ملامسة في صلابة

﴿الإعراب﴾

الكاف في قوله كالذي ينفق ماله في موضع نصب على الحال من الواو في تبطلوا. رنأ. الناس مصدر وضع موضع الحال من الضمير في ينفق تقديره ينفق ماله مرثيا ويجوز أن يكون مفعولاً له. عليه تراب جملة في موضع جر بكونه صفة مطابقة وصلدا حال من تركه وذو الحال هما. ولا يقدرُونَ جملة فعلية في موضع الحال والواو عائد إلى معنى الذي لأنه جنس لا إلى لفظه

﴿المعنى﴾

ثم أكد تعالى ما قدمه بما ضرب من الأمثال فقال (يا ايها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن) أي بالمنة على السائل وقيل بالمنة على الله (والأذى) بمعنى أذى صاحبها ثم ضرب تعالى مثلا لعن المنان وعمل المنافق جميعا فإنها إذا فعلا الفعل على غير الوجه الأمور به فإنهما لا يستحقان عليه ثوابا وهذا هو معنى الابطال وهو إيقاع العمل على غير الوجه الذي يستحق عليه الثواب فقال (كالذي ينفق ماله رنأ. الناس) هذا يدخل فيه المؤمن والكافر إذا اخرجوا المال للرنأ. (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا للكافر خاصة أي لا يصدق بوحدياته الله ولا بالبعث والجزاء وقيل انه صفة للمنافق لأن الكافر معان غير مرأ. وكل مرأ. كافر أو منافق (فمثل كمثل صفوان) أي حجر أملس (عليه تراب فأصابه وابل) أي مطر عظيم القطر شديد الوقع (فتَرَكَهُ صُلْدًا) حجرا صلبا أملس شبه سبحانه فعل المنافق والمنان بالصفاء الذي أزال المطر ما عليه من التراب فإنه لا يقدر أحد على رد ذلك التراب عليه كذلك إذا دفع المنان صدقة وقرن بها المن فقد اوقعها على وجه لا طريق له إلى استدراكه وتلافيه لوقوعها على الوجه الذي لا يستحق عليه الثواب فإن وجوه الأفعال تابعة لحدوث الأفعال فإذا قاتت فلا طريق إلى تلافيتها وليس في الآية ما يدل على ان الثواب الثابت المستقر يبطل

ويزول بالمن فيما بعد ولا بالريا. الذي يحصل فيما يستقبل من الأوقات على ما قاله اهل الوعيد (لا يقدر على شي مما كسبوا) ان لا يقدر هو لا. على نفقتهم ولا على ثوابها ولا يعلمون اين النفقة واين ثوابها ولا يحصلون منها على شي كما لا يحصل احد على التراب اذبه المطر عن الحجر فقد تضمنت الآية والآي التي قبلها الحث على الصدقة وإنفاق المال في سبيل الخير وابواب البر ابتغاء مرضاة الله والنهي عن المن والأذى والريا والسعة والنفاق والخبر عن بطلان العمل بها وما جاء في معناه من الحديث مارواه ابن عباس عن النبي (ص) قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد يسمع اهل الجمع اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا أجوركم ممن عملتم له فإني لأقبل عملا خالطه شي من الدنيا واهلها وروى عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله من أسدى إلى مؤمن معروف ثم آذاه بالكلام أو من عليه فقد أبطل الله صدقته ثم ضرب فيه مثلا فقال كالذي ينفق ماله رثاء الناس إلى قوله الكافرين وقال ابو عبد الله (ع) ما من شي أحب إلي من رجل سلفت مني إليه يد اتبعته وأختها وأحسن رقبها له لأنني رأيت منع الأواخر يقطع لسان شكر الاوائل (والله لا يهدي القوم الكافرين) اي لا يشيب الكافرين على اعمالهم إذ كان الكفر محبطا لها ومانعا من استحقاق الثواب عليها وإنما يشيب المؤمنين الذين يوقعون اعمالهم على الوجه التي يستحق بها الثواب وقيل معناه لا يهديهم إلى الجنة بأعمالهم كما يهدي المؤمنين وقيل معناه لا يعطيهم ما يعطي المؤمنين من زيادة اللطاف والتوفيق

قوله تعالى (٢٦٥) مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (آية)

﴿ القراة ﴾

قرأ عاصم وابن عامر بربوة بفتح الراء والباقون بضمها وروى في الشواذ عن ابن عباس بكسر الراء وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمر وأكلها بالتخفيف والباقون بالتثنية

﴿ اللغة ﴾

الربوة والربوة والربوة بالحركات الثلاث في الراء. والرباوة الربية قال ابو الحسن والذي يختاره ربوة بضم الراء. ويؤيد هذا الاختيار قولهم ربا في الجمع والأكل المأكول يدل على ذلك قوله تعالى توتني أكلها كل حين اي ما يؤكل منها قال الاعشى

جندك التالذ الطريف من السا

فلا كمال جمع أكل مثل عنق وعتاق والأكل الفعل والأكلة الطعمة والأكلة الواحدة قال الشاعر

فما أكلة إن نلتها بغنيمة ولا جوعة إن جعتها بغرام

ففتح الألف من التعللة بدلالة قوله ولا جوعة وإن شئت ضمنت وغنيت الطعام وقال ابو زيد انه لذ وأكل اي له حظ ورزق من الدنيا وضعف الشي مثله زائدا عليه وضعفه مثله زائدين عليه وقال قوم ضعف الشي مثله والطل المطر الصغار يقال اطلت الساء. فهي مطلة وروضة طل ندية والطل ابطال الدم بأن لا يثار بصاحبه طل دمه فهو مطلول لأنه يتزله ما جاء عليه الطل فأذبه فكانه قبل غسله والطل ما شخص من الدار لأنه كموضع الندى بالطل لعبارة الناس له خلاف المستوى القعر لأن الحصب حيث تكون الأنبية وصار الطلل اسما لكل شخص والاطلال الاشراف على المشي وما بالناقة طلل اي بها طرق وهو الشحم وطللة الرجل امرأته واصل الباب الطل المطر

﴿ الإعراب ﴾

ابتغاء مرضاة الله مفعول له وتثبيتا معطوف عليه بربوة الجار والمجرور في موضع الصفة لجنة واصابها وابل في موضع جر لأنها صفة بعد صفة وضعين حال من أكل قاله الزجاج ارتقع ظل على معنى فإن لم يصبها وابل فالذي يصبها ظل فعلى هذا يكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون فاعل فعل مقدر أي فيصبيها ظل

﴿ المعنى ﴾

(ومثل الذين ينفقون) أي يخرجون (أموالهم) في أعمال البر (ابتغاء مرضات الله) أي طلبا لرضا الله (وتثبيتا من أنفسهم) بقوة اليقين والبصيرة في الدين عن سعيد بن جبير والسدي والشعبي وقيل معناه انهم يشبثون أي يصنعون صدقاتهم عن الحسن ومجاهد وقيل معناه وتوطينا لنفوسهم على الثبوت على طاعة الله عن أبي علي الجبائي واعترض على الحسن ومجاهد بأنه لم يقل وتثبيتا وليس هذا بشي لأنهم إذا ثبتوا أنفسهم فقد ثبتوا وقوله (كمثل جنة بربوة) معناه كمثل بستان لمرتفع من الارض وإنما خص الربوة لأن نبتها يكون احسن وريها اكثر من المستغل الذي يسيل الماء اليه ويجمع فيه فلا يطيب ريعه ألم ترى قول الأعشى

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

فخص بها الحزن للمعنى الذي ذكرناه (أصابها وابل) أي أصاب هذه الجنة مطر شديد (فأتت أكلها ضعفين) أي فأعطت غلتها ضعفين ما تعطي إذا كانت بأرض مستغلة ويحتمل أن يكون معناه مرتين في كل سنة واحدة كما قال سبحانه توثي أكلها كل حين بإذن ربها ومعناه كل ستة أشهر فيما روي قال ابو عبد الله (ع) معناه يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله (فإن لم يصبها وابل) أي مطر شديد (فظل) أي أصابها مطر لين أراد به ان خيرها لا يخلف على كل حال ولا يرى العبار عليها على كل حال وإنما ارتقع فظل على تقدير فالذي يصبها ظل (والله بما تعملون بصير) معناه عالم بأفعالكم فيجازيكم بحسبها وقيل عالم بالرائي والمخلص وفيه ترغيب وترهيب

قوله تعالى (٢٦٦) أَيُودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَكَهْ ذُرِّيَةٌ ضَعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الجنة البستان الكثير الشجر لأن الشجر يجنه بكثرة فيه والنخيل معروف وقيل انه مأخوذ من نخل المنخل لاستخلافه كاستخلاص اللباب بالنخل والنخل جمع نخلة وهي شجرة التمر ويذكر ويؤث قال الله سبحانه كأنهم اعجاز نخل خاوية واعجاز نخل منقعر والانتخال الاختيار والتنخل التخير واصل الباب النخل للدقيق والعنب ثمر الكرم ورجل عانب وعنب ورجل عانب عظيم الأنف وتحت نقيض فوق وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت أي الذين كانوا تحت اقدم الناس لا يشعر بهم ذلا والأنهار جمع النهر وهو المجرى الواسع من مجاري الماء والاصابة الوقوع على المقصد والكبر حال زائدة على مقدار آخر والفرق بين الكبير والكثير ان الكثير مضمّن بعدد وليس كذلك الكبير تقول دار واحدة كبيرة ولا يجوز كثيرة والضعف يجمع على ضعفاء وضعا والاعصار غبار يلتف بين السماء والارض كالتفاف الثوب في العصر قال الشاعر

﴿ان كنتدريما فقد لاقيت اعصارا﴾ والمعصرات السحب والفكر جولان القلب بالحواطير يقال افكرو وفكرو وتفكرو بمعنى

﴿ الإعراب ﴾

قوله أيود أحدكم أن تكون عطف عليه بياض فقال وأصابه الكبر قال الفراء يجوز ذلك في يود لأنها تتلقى مرة بلو ومرة بأن فيجاز ان يقدر احداها ما كان الأخرى لاتفاق المعنى فكانه قال أيود أحدكم لو كانت له جنة قال علي بن عيسى وعندي انه قد دل بأن على الاستقبال ويتضمن الكلام معنى لو على التمني كأنه قال قيل أوجب أحدكم متمنيا له والتمني يقع على الماضي والمستقبل ألا ترى أنه يصح أن يتمنى أن كان له ولد ويصح أن يتمنى أن يكون له ولد والمجبة لا تقع إلا على المستقبل والفرق بين المودة والمجبة أن المودة قد تكون بمعنى التمني نحو قولك أود لو قدم زيد بمعنى أتمنى لو قدم ولا يجوز أحب لو قدم ومن في قوله من نضيل للبين وهو في موضع رفع صفة لجنة تجري من تحتها الأنهار جملة في موضع رفع بكونها صفة لجنة إذا عادت الماء إلى الجنة وفي محل جر لكونها صفة لنضيل إذا عادت الماء إلى نضيل

﴿ المعنى ﴾

(أيود أحدكم أن تكون له جنة) أي بستان (من نضيل واعناب تجري من تحتها الانهار) أي يشتمل على النضيل والاعناب والانهار الجارية (له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر) أي ولحقه الشيخوخة وخطوطن في السن (وله ذرية ضغفاء) أي اولاد صفار ناقصو القوة (فأصابها) أي أصاب تلك اللجنة (اعصار) أي ريح شديدة تهب من الأرض نحو السماء مثل العمود وتسميها الناس الزوبعة (فيه نار) أي في ذلك الاعصار نار (فاحترقت) تلك اللجنة وهذا مثل ضربه الله في الحسرة بسلب العمة واختلف فيه على وجوه ﴿أحدها﴾ أنه مثل المراني في النفقة لانه يتنفع بها عاجلا وينقطع عنه آجلا اخرج ما يكون اليه عن السدي ﴿وثانيها﴾ انه مثل المفرط في طاعة الله تعالى بسلاذ الدنيا يحصل في الآخرة على الحسرة العظمى عن مجاهد والمراد به ان حاجته الى الاعمال الصالحة كحاجة هذا الكبير الذي له ذرية ضغفاء الى ثمار اللجنة وقد احترقت فتكون اعظم حسرة لأن الكبير الذي قد ينس من سعي الشباب في كسبه فكان اضعف املا واشد حسرة كذلك من لم يكن له في الآخرة عمل صالح يوصله الى الجنة فصبرته مثل ذلك ﴿وثالثها﴾ انه مثل الذي يحتم عمله بفساد عن ابن عباس وكل هذه الوجوه تحتمل الآية (كذلك) أي كهذا البيان الذي بين لكم في امر الصدقة وقصة ابراهيم والذي مر على قرية وجميع ما سلف (بين الله لكم الآيات) أي الدلالات التي تحتاجون اليها في امور دينكم (لعلكم تتفكرون) أي تنظرون وتفهمون

قوله تعالى (٢٦٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْنِصُوا فِيهِ وَاطْلُمُوا إِنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَمِيدٌ (آيَةٌ)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير عن القواس ولا تيسموا بتشديد التاء فيها وفي اخواتها وهي احد وثلاثون موضعا من القرآن والباقيون تيسموا بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

كلاهما بمعنى واحد كأن ابن كثير رد الحرف الساقط في القراءة الأخرى وادغم لانه كان في الاصل تا. ان

تاء المخاطب وتاء الفعل فحذفت تاء الخطاب في القراءة العامة لتلا يتكرر حرفان مثلان وتحذف الكلمة

﴿ اللغة ﴾

التييم التعمد قال خفاف (فعمداً على عيني تيممت مالكا) وقال الأعمش

تيممت قيساً وكم دونه من الارض عن مهمه ذي شزن

يقال امتت الشيء خفيفة ويمتته وامتته ويمتته وتيمتته بمعنى اي قصدته ومنه الإمام لأنه المقصود المعتمد والإمام ايضاً حيط البناء لأنه يمدد ويعتمد بالبناء عليه واليم لجة البحر لأنه يعتمد به البعيد من الارض واليام الحمام لأنها يعتمد الى اوكلها بحسن هدايتها والخبيث الردي من كل شيء وخبيث الفضة والحديد ما نقاه الكبير لأنه ينفي الردي واصله الرداوة والاعماض في البيع الحط من الثمن ليعب فيه وذلك لاختفاء بعض الثمن بالحط له والعموض الخفاء غمض يغمض فهو غامض والتغويض للعين اطباق الجفن والعمض النوم والغمض المطمئن من الارض واصل الباب الخفاء والاعماض غمض البصر واطباق جفن على جفن قال رزبة

ارق عيني عن الاعماض برق سري في عارض نهاض

ثم صار عبارة عن التسامح والتساهل في البيع

﴿ الإعراب ﴾

قال الفراء الاصل في ان تعوضوا ان مكسورة الهزة لأن الكلام في معنى الجزاء وهو إن اغمضتم بعض الاعماض اخذتموه ومثل إلا ان يحاقا الا ان يقيا حدود الله وانكر ذلك المحققون قالوا أن هذه التي بمعنى المصدر ونحو ان تأتيني خير ذلك والمعنى ولستم بأخذيه الا لاغماضكم فيه

﴿ النزول ﴾

روي عن ابي عبد الله (ع) انها نزلت في اقوام لهم اموال من ربا الجاهلية وكانوا يتصدقون منها فنهاهم الله عن ذلك وأمر بالصدقة من الطيب الحلال وقيل انها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة عن علي (ع) والبراء بن عازب والحسن وقتادة

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الاتفاق وبيان صفة المنفق وانه يجب أن ينوي بالصدقة التقرب وأن يحفظها مما يبطلها من المن والاذى بين تعالى صفة الصدقة والمتصدق عليه ليكون البيان جامعاً فقال (يا ايها الذين آمنوا) مخاطب المؤمنين (أنفقوا) اي تصدقوا (من طيبات ما كسبتم) اي من حلال ما كسبتم بالتجارة عن ابن مسعود ومجاهد وقيل من خياره وجياده ونظيره قوله لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن عبيد بن رفاعة قال خرج علينا رسول الله (ص) فقال يا معشر التجار انتم فجار الا من اتقى وبر وصدق وقال بالمال هكذا وهكذا وقال (ع) تسعة اعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في السابيا، وروت عائشة عنه أنه قال اطيب ما اكل الرجل من كسبه ان ولده من كسبه وقال سعيد بن عمير سئل النبي (ص) اي كسب الرجل اطيب قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور وقال علي (ع) من تجر بنير علم ارتطم في الربا ثم ارتطم واختلفوا في ذلك على وجوه قليل هذا أمر بالنفقة في الزكاة عن عبيدة السلماني والحسن وقيل هو في الصدقة المتطوع بها لأن المفروض من الصدقة له مقدار من القيمة ان قصر عنه كان ديناً عليه الى ان يؤديه بتمامه وان كان مال الزكي كله ردياً فجاز له ان يعطي منه عن الجبائي وقيل وهو الاصح انه يدخل فيه الفرائض والنوافل والمراد به الاتفاق في سبيل الخير واعمال البر على العموم وفيه دلالة على أن ثواب الصدقة من الحلال المكتسب اعظم منه من الحلال غير المكتسب وإنما كان

ذلك لأنه يكون اشق عليه (وبما اخرجنا لكم من الأرض) أي وأنفقوا واخرجوا من الغلات والثار ما يجب فيه الزكاة (ولا تيسموا الحثيث منه تنفقون) أي لا تقصدوا الردي من المال أو ما كسبتموه أو اخرجته الله لكم من الأرض فتفقون منه وقيل المراد بالحثيث ههنا الحرام ويقوى القول الأول وقوله (ولستم بأخذيه الا ان تمعضوا فيه) لأن الإغماض لا يكون الا في الشيء الردي دون ما هو حرام وفيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه لا تصدقوا بما لا تأخذونه من غرمانكم إلا بالمسامحة والمساهلة فالاغماض هاهنا المساهلة عن البراء بن عازب ﴿ والاخر ﴾ أن معناه بما لا تأخذونه الا أن تحطوا من الثمن فيه عن الحسن وابن عباس وقتاده ومثله قول الزجاج ولستم بأخذيه الا في وكس فكيف تعطونه في الصدقة (واعلموا ان الله غني) عن صدقاتكم (حديد) أي مستحق للحمد على نعمه وقيل مستحق الى خلقه بما يعطيهم من النعم أي مستبدع لهم الى ما يوجب لهم الحمد وقيل انه بمعنى الحمد أي انه مع غناه عنكم وعن صدقاتكم يقبلها منكم ويحمدكم عليها وحديد بهذا الموضع اليق من حكيم كما ان حليا بالآية المتقدمة اليق من حديد لأنه سبحانه لما أمر بالانفاق من طيبات المكاسب بين انه غني عن ذلك وانه يحمد فاعله اذا فعله على ما امره به ومعناه انه يجازيه عليه

قوله تعالى (٢٦٨) الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ لِلْفَقْرِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يُعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الفقر الحاجة وهو ضد الغنى والفقر لغة فيه يقال افقره الله افقاراً وافقرت افتقاراً لان الفقر بمنزلة كسر الفقار في تعذر المراد والفقار عظام منتظمة في النخاع تسمى خرز الظهر واحدها فقرة والافقار اعادة الدابة لتركب ثم ترد والفاقرة الداهية لأنها تكسر الفقار ويقال وعدته الخير ووعدته بالخير وعدة وموعدة وموعدا وموعودا وموعودة والفرق بين الوعد والوعيد ان الوعد في الشر خاص والوعيد يصلح بالتقييد للخير والشر معا غير أنه اذا اطلق اختص بالخير وكذلك اذا ابهم التقييد كما يقال ووعدته باشيا. لانه بمنزلة المطلق والفحشاء الفحش والفاخش البخيل قال طرفة

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

قال علي بن عيسى الفحشاء المعاصي وانما سمي البخيل فاحشا لانه مسي برده الاضياف والسؤال قال كعب اخي يا اخي لا فاحش عند بيته ولا برم عند اللقاب هيبوب

﴿ المعنى ﴾

ثم حذر تعالى من الشيطان المانع من الصدقة فقال (الشيطان يعدكم الفقر) بالنتفة في وجوه البر وانفاق الجيد من المال وقيل بتأدية الزكاة عليكم في اموالكم (ويأمركم بالفحشاء) أي بالمعاصي وترك الطاعات وقيل بالانفاق من الردي وسماه فحشا لأن فيه معصية الله تعالى فإن النفي اذا ترك الاتفاق على وجه ذوي الحاجات من اتاربه وجيرانه ادى ذلك الى التقاطع (والله يعدكم مغفرة منه) أي يعدكم بالاتفاق من خيار المال ان يستر عليكم ويصفح عن عقوبتكم (وفضلا) أي ويعدكم ان يخلف عليكم خيرا من صدقتكم ويتفضل عليكم بالزيادة في ارزاقكم وروي عن ابن عباس انه قال اثنان من الله واثنان من الشيطان فاللذان من الله المغفرة على المعاصي والفضل في الرزق واللذان من الشيطان الرعد بالفقر والأمر بالفحشاء. وروي عن ابن مسعود انه قال للشيطان لمة وللملاك لمة وروي مثله عن ابي عبد الله عليه السلام ثم قال فلمة الشيطان وعده بالفقر وامره بالفحشاء. ولمة المالك امره بالاتفاق ونهيه عن المعصية (والله واسع) ذكرنا معناه فيما تقدم وقيل واسع معناه يعطي عن سعة يعني ان عطيته لا تضره ولا تنقص خزائنه (عليم) بمن يستحق العطية ومن لا يستحقها

قوله تعالى (٢٦٩) **يُوتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ** وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذُكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب من يوت بكسر التاء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

من كسر التاء فإنه اراد من يوتيه الله الحكمة ففاعل يوت الضمير المستكن فيه العائد الى الله كما هو في قوله يوت الحكمة ويؤيد هذه القراءة قراءة الاعمش ومن يوته الله وحذف ضمير المفعول الذي هو الماء العائد الى من الذي هو للجزء وهو في موضع الرفع بالابتداء كما حذف الضمير العائد الى الموصول في نحو قوله اهذا الذي بعث الله رسولا والاولى أن يكون من على هذه القراءة موصولة لتكون بمعنى الذي لا بمعنى الجزء. وأقول وبالله التوفيق يجوز ان يكون من للجزء. وهنا ويكون في موضع نصب بكونه مفعولا اوليا ليوتي ولزمه التقديم على الفعل مع كونه مفعولا لنيابته عن حرف الشرط الذي له صدر الكلام ومثله من في قول زهير

رأيت المتأيا خبط عشواء من تصب تمته ومن تحطى يعمر فيهرم

ومن قرأ ومن يوت بفتح التاء فاسم ما لا يسم فاعله هو الضمير المستكن العائد الى من ويوت مجزوم بمن والجزء فقد أوتي خيرا

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف تعالى نفسه فقال (يوتي الحكمة) اي يوتي الله الحكمة (من يشاء) وذكر في معنى الحكمة وجوه قيل انه علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه وواخيه وحلاله وحرامه وامثاله عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هو الاصابة في القول والفعل عن مجاهد وقيل انه علم الدين عن ابن زيد وقيل هو النبوة عن السدي وقيل هو المعرفة بالله تعالى عن عطاء وقيل هو الفهم عن ابراهيم وقيل هو خشية الله عن الربيع وقيل هو القرآن والفقهاء عن ابي عبد الله (ع) وروي ايضا عن مجاهد وقيل هو العلم الذي تعظم منفعة وتجل فائدته وهذا جامع للأقوال وقيل هو ما أتاه الله انبياء واممهم من كتابه وآياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه وذلك تفضل منه يوتيه من يشاء عن أبي علي الجبائي وانا قيل للعلم حكمة لأنه يستع به عن القبيح لما فيه من الدعاء الى الحسن والزجر عن القبيح وروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الله اتاني القرآن وأتاني من الحكمة مثل القرآن وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة الا كان خرابا الا تفقهوا وتعلموا فلا تموتوا جهالا (ومن يوت الحكمة) أي ومن يوت ما ذكرناه (فقد أوتي) اي اعطي (خيرا كثيرا وما يذكر إلا اولو الأبواب) اي وما يتعظ بأيات الله الا ذوو العقول فإن قيل لم تعد بأولي الأبواب التذكر وكل مكلف ذولب قيل لم تطلق على جميع المكلفين هذه الصفة لما فيها من المدحة فلذلك عقد التذكر بهم وهم الذين يستعملون ما توجه عقولهم من طاعة الله في كل ما أمر به ودعا اليه وسمي العقل لبا لأنه انفس ما في الانسان كما ان لب الثمرة انفس ما فيها

قوله تعالى (٢٧٠) **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ** وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

النذر هو عقد المرء على النفس فعل شيء من البر بشرط ولا ينقذ ذلك الا بقوله لله علي كذا ولا يثبت بغير هذا اللفظ واصل النذر الخوف لأنه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير في الأمر ومنه نذر الدم وهو العقد على سفكه للخوف من مضرة صاحبه قال عمرو بن معدي كرب

هم يندرون دمي واز نذر ان لقيت بأن اشدا

يقال نذرت النذر انذره وانذره ومنه الإيذار وهو الإيلاء بوضع العدو والخوف ليتقى والانصار جمع نصير مثل شريف واشراف والنصير هو المعين على العدو

﴿ الإعراب ﴾

ما يعنى الذي وما بعدها صلتها والعائد اليها ضمير المفعول المحذوف من أنفقتم تقديره وما أنفقتموه وهو في موضع رفع بالابتداء وخبره فإن الله يعلمه والعائد إلى المبتدأ من الخبر الماء في يلمه ولا يجوز ان يعود إلى النفقة لأنها مؤنثة ولا إلى النفقة والنذر لأن ذلك يوجب التثنية واقول يجوز أن يكون ما للجزاء ويكون منصوباً بأنفقتم ولا يحتاج فيه إلى حذف المفعول فيكون التقدير أي شيء أنفقتم أو نذرتم والقاء في موضع الجزاء من نفقة الجار والمجرور في محل نصب على الحال من أنفقتم وذو الحال ما

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه إلى ذكر الإنفاق والترغيب فيه فقال (وما أنفقتم من نفقة) أي ما تصدقتم به من صدقة بما فرض الله عليكم وقيل معناه ما أنفقتم من وجوه الخير وسبل البر من نفقة واجبة أو مندوب اليها (أو نذرتم من نذر) أي ما أوجبتوه أنتم على أنفسكم بالنذر فوفيتم به من فعل بر مثل صلاة أو صوم أو صدقة ونحو ذلك (فإن الله يعلمه) معناه يجازي عليه لأنه عالم فدل ذكر العلم على تحقيق الجزاء إيجازاً للكلام (وما للفقراء) أي ليس للراضعين النفقة والنذر في غير موضعها مثل ان يفتقر رياء أو ضراراً أو شقاقاً أو من مال منصوب أو مأخوذ من غير حله أو بنذر في معصية أو بترك الوفاء به مع القدرة عليه (من انصار) من اعوان يدفعون عذاب الله عنهم

قوله تعالى (٢٧١) **إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُوْهُهَا فَقَرَارًا فَوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَتُكْفِرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر واهل الكوفة غير عاصم فنما هي بفتح النون وقرأ اهل المدينة غير ورش وابو عمر ويحيى بكسر النون وسكون العين وقرأ الباقون نما بكسر النون واللين وكذلك في النساء نعماً يظلمكم وقرأ أهل المدينة والكوفة غير عاصم ونكفر بالنون والجزم وقرأ ابن عامر وحفص بالياء والرفع والباقون بالنون والرفع

﴿ الحجة ﴾

من قرأ فنما هي فحجته ان أصل الكلمة نعم فجاها بالكلمة على اصلها كما قال ﴿ نعم الساعون في الأمر المبر ﴾ ومن قرأ فنما بسكون العين لم يكن قوله مستقيماً عند النحويين لأن فيه الجمع بين ساكنين والأول منهما ليس بحرف مد ولين والتقاء الساكنين إنما يجوز عندهم هناك نحو دابة واصم (?) وتأمروني لأن ما في الحرف من

المد يصير عرضا من الحركة وقد انشد سيوييه شعرا قد اجتمع فيه الساكنان على حد ما اجتمعا في نعما وهو
 كأنه بعد كلال الزاجر ومسحة مر عقاب كاسر
 وانكره اصحابه ولعل من قرأ به أخفى ذلك كاخذه بالاخفا. في نحو بارئكم فظن السامع الاخفا.
 اسكانا لطف ذلك في السمع وخفائه ومن قرأ فنعما فإنه اتبع العين النون فرارا من الجمع بين ساكنين
 واختار ابو عبيدة قراءة ابي عمرو وقال هي لغة النبي (ص) في قوله لعمر بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح
 هكذا روي في الحديث بسكون العين وقوله ونكفر من رفعه فعلى وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون
 خبر المبتدأ المحذوف وتقديره ونحن نكفر عنكم ﴿والآخر﴾ ان يكون كلاما مستأنفا مقطوعا
 مما قبله ولا يكون الحرف العاطف للاشتراك ويكون لطف جملة على جملة واما من جزم فإنه يحمله على موضع
 فهو خير لكم ومثله قراءة من قرأ من يضل الله فلا هادي له وبذرهم لأن قوله فلا هادي له في موضع
 جزم مثل قوله فهو خير لكم وأما الياء والنون في قوله ونكفر فن قال وبكفر فلان ما بعده على لفظ الافراد
 ومن قال ونكفر فإنه اتى بلفظ الجمع ثم افرد كما اتى بلفظ الافراد ثم جمع في قوله تعالى سبحان الذي
 أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ثم قال باركنا حوله لتريه من آياتنا

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين الصدقة والزكاة ان الزكاة لا تكون إلا فرضا والصدقة قد تكون فرضا وقد تكون نفلا
 والاخفا. الستر والخصي الاظهار خفا يخفيه خفيا اي أظهره قال امرئ القيس

فإن تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد

والخوفي من الريش ما دون القوادم لأنها تخفي بها والخفية عرين الأسد لأنه يختفي فيها واصل الباب
 الستر والابداء والاعلان نظائر والاخفا. والإسرار والإغماض نظائر

﴿ الإعراب ﴾

قوله فنعما هي تقديره ان تبدوا الصدقات فنعما شيئا ابدأوها فإهاها هنا تكررة موصوفة وهي في موضع نصب لأنه
 تفسير الفاعل المضمر قبل الذكر في نعم والابداء هو المخصوص بالمدح فحذف المضاف الذي هو الابداء واقيم
 المضاف اليه الذي هو ضمير الصدقات مقامه في الكلام من الدلالة عليه ولأن الفعل المتقدم يدل على مصدره
 ولأن قوله وان تخفوها فهو خير لكم أي الاخفا خير لكم فكما ان هنا ضمير الاخفا كذلك يجب ان
 يكون ضمير الابداء مرادا هناك

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر تعالى صفة الانفاق ورجب فيه بقوله (إن تبدوا الصدقات) معناه ان تظهروا الصدقات وتعلنوها
 (فنعما هي) أي فنعمة الشيء ونعم الأمر اظهارها واعلاتها اي ليس في ابدانها كراهة (إن تخفوها) أي تستروها
 (وتوتوها الفقراء) اي تعطوها الفقراء وتوتوها اليهم في السر (فهو خير لكم) اي فالاخفا. خير لكم وأبلغ
 في الثواب واختلفوا في الصدقة التي يكون اخفاؤها أفضل من ابدانها فقول ان صدقة التطوع اخفاؤها أفضل
 لأنه يكون ابعد من الرياء باخفائها واما المفروض فلا يدخله الرياء ويلحقه تهمة المنع باخفائها فإظهارها أفضل عن ابن عباس
 والثوري وكذا رواه علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق قال الزكاة باخفائها المفروضة تخرج علانية وتدفع علانية
 وغير الزكاة إن دفعه سرا فهو أفضل وقيل الاخفا. في كل صدقة من زكاة وغيرها أفضل عن الحسن وقنادة وهو
 الأشبه بعموم الآية (ونكفر عنكم من سيئاتكم) معناه ونجح عنكم خطيئاتكم ونفرها لكم ومن قرأ

بالرفع فمعناه ونحن نكفر عنكم او يكفر الله عنكم من سيئاتكم ودخلت من التبيين واحتج به من قال المراد بالسيئات الصغائر فاما على مذهبنا فاسقاط العقاب تفضل من الله فله أن يتفضل باسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من الافاد انه يسقط جميع العقاب وقال بعضهم ان من زيادة وقد يقال كل من طعمني وخذ من مالي ما شئت فيكون للتعميم والأول اولى ومما جاء في الحديث من صدقة السر قوله صدقة السر تطفى غضب الرب وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار وتدفع سبعين بابا من البلاء وقوله سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الاظله الامام العدل والشاب الذي نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه يتعلق بالمساجد حتى يعود اليها ورجلان تحابا في الله واجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لم تعلم بينه ما تنفق شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقوله تعالى (والله يا تعملون خير) معناه انه تعالى عالم بما تعملونه في صدقاتكم من اخفائها واعلانها لا يخفى عليه شيء من ذلك فيجازيكم على جميعه

قوله تعالى (٢٧٢) **أَيَسَّ عَلَيكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلَمُونَ (آية)**

❖ الإعراب ❖

ما تنفقوا من خير فلا نفسكم شرط وجزاء وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله قيل لفظه نفي ومعناه النهي اي لا تنفقوا كقوله لا يسه إلا المطهرون وقيل هي جملة مفيدة بنفسها معطوفة على ما قبلها وهو خبر على ظاهره وابتغاء نصب لأنه مفعول له وما تنفقوا من خير يوف اليكم شرط كالأول ولذلك حذف النون في الموضعين - ﴿ النزول ﴾ -

كان المسلمون يمتنعون عن الصدقة على غير اهل دينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية عن ابن عباس وابن الحنيفة وسعيد بن جبيرة وقيل كانت اسماء بنت أبي بكر مع رسول الله في عمرة القضاء فجاءتها أمها فتبذرتها وجدتها تسألها وهما مشركان فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استأذن رسول الله (ص) فإنكما سألتما على ديني فاستأذنته في ذلك فأنزل الله هذه الآية عن الكلبي

❖ المعنى ❖

(ليس عليك هداهم) قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه ليس عليك هداهم يمنع الصدقة عنهم لتحملهم به على الايمان وهو نظير قوله أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعلى هذا يكون معناه الاباحة للتصدق عليهم بصدقة التطوع ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه ليس عليك هداهم بالحمل على النفقة في وجوه البر وسبل الخير عن الحسن وأبي علي الجبائي وتقديره ليس عليك أن تهدي الناس إلى نيل الثواب والجنة وإنما عليك أن تهديهم إلى الايمان بأن تدلهم عليه وهذا تسلية للنبي لأنه كان يغمم بترك قبولهم منه وامتناعهم عن الايمان لعلمه بما يوزل اليه أمرهم من العقاب الدائم فسلا الله تعالى بهذا القول ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد ليس عليك ان تهدي الناس بعد ان دعوتهم وأنذرتهم وبلغتهم ما أمرت بتبليغه ونظيره ان عليك إلا البلاغ وليس المعنى ليس عليك أن تهديهم إلى الايمان والطاعة لأنه ما بعث إلا لذلك (ولكن الله يهدي من يشاء) إنما علق الهداية بالمشيئة لأن المعلوم منه انه يصلح بالالطف أي بلطف الله بزيادة الهدى والتوفيق إن يشاء عن الزجاج وأبي القاسم البلخي واكثر اهل العلم وقيل معناه يهدي إلى طريق

الجنة عن الجاني (وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم) أي ما تنفقوا في وجوه البر من مال فلا أنفسكم ثوابه والغرض فيه الترغيب في الانفاق لأن الإنسان إذا علم ان منفعة انفاقه عائدة اليه مختصة به كان اسرع بالانفاق وأرغب فيه وأحرص عليه وبذلك يفارق عطية الله لأن المنفعة في عطائه عائدة إلى المعطي ومختصة به دون الله ومعظم المنفعة في عطية العبد ترجع اليه وتختص به دون المعطي (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) أي إلا طلب رضوان الله وهذا اخبار من الله عن صفة انفاق المؤمنين المخلصين المستجيبين لله ولرسوله انهم لا ينفقون ما ينفقونه إلا طلبا لرضا الله تعالى وقيل ان معناه النهي وإن كان ظاهره الخبر أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء مرضاة الله وفي ذكر الوجه هنا قولان ﴿ احدهما ﴾ ان المراد به تحقيق الاضافة لأن ذكر الوجه يرفع الابهام انه له ولغيره وذلك انك لما ذكرت الوجه ومعناه النفس دل على انك تصرف الروهم عن الاشتراك إلى تحقيق الاختصاص وكنتم بذلك محققا للاضافة ومزيلا لابهام الشركة ﴿ والثاني ﴾ انك إذا قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف في الذكر من فعلته له لأن وجه الشيء في الأصل اشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر من غير تحقيق وجه ألا ترى انك تقول وجه الرأي ووجه الأمر ووجه الدليل فلا تريد تحقيق الوجه وإنما تريد اشرف ما فيه من جهة شدة ظهوره وحسن بيانه (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) أي يوفركم جزاؤه وثوابه والتوفية اكمال الشيء وانما حسن اليكم مع التوفية لأنها تضمنت معنى التأدية وقيل معناه تعطون جزاءه وافروا وافيها في الآخرة عن ابن عباس (وانتم لا تظلمون) يتبع ثوابه ولا ينقصان جزائه كقوله آتت أكملها ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص

قوله تعالى (٢٧٣) الْمُفْقَرَاءَ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّنْفِغِ أَعْرَاهُمْ يَسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا نُفِيقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وعاصم وابو جعفر وابن عامر يحسبهم بفتح السين كل القرآن والباقون بكسرها

﴿ اللفظة ﴾

قال ابو زيد حسبت الشيء أحسبه وحسبنا وحسبت الشيء أحسبه حسابا وحسابا وحسابا واحسبت الرجل احسابا إذا اطعمته وسقيته حتى يشبع ويروى وتعليه حتى يرضى والاحصار المنع عن التصرف لمرض او حاجة او مفاقة والحصرو منع الغير وليس كالأول لأنه منع النفس وقد تقدم تفسيره عند قوله فإن أحصرتم والضرب المشي في الأرض واليابا العلامة التي يعرف بها الشيء وأصله الارتفاع لأنه علامة رفعت للظهور ومنه السوم في البيع وهو الزيادة في مقدار الثمن للارتفاع فيه عن الحد ومنه سوم الحسف للرفع فيه بتحليل ما يشق ومنه سوم المشية ارسالها في المرعى والتنفغ ترك السؤال يقال عف عن الشيء وتنفغ عنه إذا تركه ومنه قول روية ﴿ نفغ عن اسرارها بعد العنق ﴾ أي تركها والاحلاف الاخلاص في المشكلة قال الزجاج معنى الحف شمل بالمسألة وهو مستغن عنها واللحاف من هذا اشتقاقه لأنه يشمل الانسان في التنطية

﴿ الإعراب ﴾

العامل في قوله للفقراء محذوف وتقديره النفقة للفقراء وقد تقدم ما يدل عليه وقال بعضهم هو مردود على اللام الأولى من قوله وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم قال علي بن عيسى وهذا لا يجوز لأن بدل الشيء من غيره

لا يكون إلا والمعنى يشتمل عليه وليس كذلك ذكر النفس ههنا لأن الاتفاق لما من حيث هو عائد اليها وللفقراء من حيث هو واصل اليهم وليس من باب وقفه على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا لأن الامر لازم للاستطيع خاصة ولا يجوز أن يكون العامل فيه تنفقوا لانه لا يفصل بين العامل والمعمول فيه بالاجنبي كما لا يجوز كانت زيدا الحمى تأخذه لا يستطيعون ضربا جملة في موضع الحال من احصروا وضربا مفعول يستطيع يحسبهم الجاهل في موضع الحال ايضا وذو الحال الفقراء والخالق مصدر وضع موضع الحال من يسألون اي لا يسألون ملحفين ويجوز أن يكون مصدرا لأن الاخلاف سؤال على صفة

﴿ النزول ﴾

قال ابو جعفر (ع) نزلت الآية في اصحاب الصفة وكذلك رواه الكلبي عن ابن عباس وهم نحو من اربعائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر بأوون اليهم فجعلوا انفسهم في المسجد وقالوا نخرج في كل سرية يعيشها رسول الله فحث الله الناس عليهم وكان الرجل إذا أكل وعنده فضل أتاهم به إذا امسى

﴿ المعنى ﴾

لما أمر سبحانه بالنفقة ورغب فيها ما بلغ وجوه الترغيب وبين ما يكمل ثوابها عقب ذلك ببيان أفضل الفقراء الذين هم مصرف الصدقات فقال (للفقراء الذين احصروا في سبيل الله) معناه النفقة المذكورة في هذه الآية وما قبلها للفقراء الذين حبسوا ومنعوا في طاعة الله اي منعوا انفسهم من التصرف في التجارة للمعاش اما لحوف العدو من الكفار واما للمرض والفقير واما للاقبال على العبادة وقوله في سبيل الله يدل على انهم حبسوا انفسهم عن التقرب لاشتغالهم بالعبادة والطاعة (لا يستطيعون ضربا) اي ذهابا وتصرفا (في الارض) لبعض ما ذكرناه من المعاني وقيل لمنع انفسهم من التصرف في التجارة اي الزموا انفسهم الجهاد في سبيل الله فلا يقع منهم التصرف لغيره وليس معناه انهم لا يقدرون عليه كما يقال أمرني الأمير بالمقام في هذا الموضع فلا استطاع أن أبرح منه أي لا أبرح منه لازامي نفسي طاعة الأمير (يحسبهم الجاهل) اي يظنهم الجاهل بحالهم وباطن أمورهم (اغنياء من التمتع) اي الامتناع من السؤال والتجمل في اللباس والستر لما فيه من الفقر وسوء الحال طلبا لرضوان الله وطعنا في جزيل ثوابه (تعرفهم بسياتهم) اي تعرف حالهم بالنظر إلى وجوههم لما يرى من علامة الفقر عن السدي والربيع وقيل لما يرى من التضعف والخضوع الذي هو شعار الصالحين عن مجاهد (لا يسألون الناس اخلافا) قيل معناه انهم لا يسألون الناس اصلا وليس معناه انهم يسألون من غير اخلاف عن ابن عباس وهو قول الفراء والزجاج واكثر ارباب المعاني وفي الآية ما يدل عليه وهو قوله يحسبهم الجاهل اغنياء من التمتع في المسئلة ولو كانوا يسألون لم يكن يحسبهم الجاهل اغنياء لأن السؤال في الظاهر يدل على الفقر وقوله ايضا تعرفهم بسياتهم ولو سألو لعرفوا بالسؤال قالوا وإنما هو كقولك ما رأيت مثله وانت لم ترد أن له مثلا ما رأيت وانما تريد انه ليس له مثل فيرى فعناه لم يكن سؤال فيكون الخاف كقول الاعشى

لا يغمز الساق من ابن ومن نصب ولا يعص علي شر سوفه الصفر

ومعناه ليس بساقها ابن ولانصب فيغمزها ليس ان هناك ابنا ولا يغمز وفي الحديث ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتبؤس ويجب الخليم المتعفف من عباده ويغض الفاحش البذي السائل الملحف وعنه (ع) قال ان الله كره لكم ثلاثا قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ونهي عن عقوق الامهات ووأد البنات وعن منع وهات وقال (ع) الأيدي ثلاث فيد الله العليا ويد المعطي التي تليه ويد السفلى إلى يوم القيامة ومن سأل وله ما يغنيه جاءت مسئلته يوم القيامة كدوحا او خورشا او خدوشا في وجهه قيل وما غناه قال خمسون درهما او عدلها من الذهب (وما تنفقوا من خير) من مال وقيل معناه في وجوه الخير (فإن الله به عليهم) اي يجازيكم عليه

قوله تعالى (٢٧٤) الَّذِينَ يُتَّفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (آية)

الإعراب

سرا وعلانية حالان من يتفقون وتقديره مسرين ومعلنين فهما اسمان وضعا موضع المصدر عند ربهم ظرف
مكان والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم

التزول

قال ابن عباس نزلت الآية في علي (ع) كانت معه اربعة دراهم فتصدق بواحد نهارا وبواحد ليلا وبواحد
سرا وبواحد علانية وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وابي جعفر (ع) وروي عن ابي ذر والاوزاعي انها نزلت
في النفقة على الخليل في سبيل الله وقيل هي عامته في كل من انفق ماله في طاعة الله على هذه الصفة وعلى هذا فإنا نقول
الآية نزلت في علي (ع) وحكمها سائر في كل من فعل مثل فعله وله فضل السبق إلى ذلك

المعنى

ثم بين سبحانه كيفية الانفاق وثوابه فقال (الذين يتفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) في هذه
الحالات اي يتفقون على الدوام لأن هذه الأوقات معينة للصدقات ولا وقت لها سواها (فلهم اجرهم عند ربهم)
أتى بالقاء ليدل على ان الجزاء إنما هو من اجل الانفاق في طاعة الله ولا يجوز أن يقال زيد فله درهم لأنه ليس
فيه معنى الجزاء (ولا خوف عليهم) من احوال يوم القيامة وافزاعها (ولا هم يحزنون) فيها وقيل لا خوف
من فوت الأجر ونقصانه عليهم ولا هم يحزنون على ذلك

قوله تعالى (٢٧٥) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا
فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آية)

اللغة

اصل الربا الزيادة من قولهم ربا الشيء يربو إذا زاد والربا هو الزيادة على رأس المال وأرنب الرجل إذا عامل
في الربا ومنه الحديث من اجبي فقد ارنب واصل التخبط الحبط وهو الضرب على غير استواء خبطته اخبطه خبطا
والحبط ضرب البعير الارض بيده والتخبط ايضا بمعنى يقال تحبط البعير الارض إذا ضربها بقوائمه ويقال للذي
يتصرف في امر ولا يهتدي فيه هو يخبط خبط عشواء قال زهير

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطى يعمر فيهرم

والتخبط المس بالجنون والتخبيل لأنه كالضرب على غير استواء في الادهاش والحباط داء كالجنون لأنه
اضطراب في العقل يقال به خبطة من جنون ويقال فلان مس والس واولق اي جن والسلوف التقدّم يقال سلف
يسلف سلوفا ومنه الأمم السالفة اي الماضية والسالفة أعلى العتق والاسلاف الاعطاء قبل الاستحقاق يقال اسلفته
المال اسلافا وسلافة الحمر صفوها لأنه اول ما يخرج مسن عصيرها والعود الرجوع وعبادة المريض المصير اليه

ليعرف خبره والعود من العيدان لأنه يعود إذا قطع ومنه العود الذي يتغير به والمعاد كل شيء إليه المصير والآخرة معاد الناس والمعاد تكرار الشيء مرة بعد مرة والعيد كل يوم مجمع عظيم لأنه يعود في السنة أو الأسبوع والعائدة الصلة لأنها تعود بالنفع على صاحبها

الإعراب

كما يقوم الكفاف في محل النصب على المصدر والموصول حرف تقديره لا يقومون إلا مثل قيام الذي يتخبطه الشيطان ومن المس يتعلق يتخبط ومن للتبيين

المعنى

لما حث الله تعالى على الانفاق وبين ما يحصل للمنفق من الأجر العاجل والآجل عقبه بذكر الربا الذي ظنه الجاهل زيادة في المال وهو في الحقيقة محق في المال فقال (الذين يأكلون الربا) في الدنيا (لا يقومون) يوم القيامة (إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) معناه إلا مثل ما يقوم الذي يصرعه الشيطان من الجنون فيكون ذلك اشارة لأهل الموقف على أنهم أكلة الربا عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وقيل إن هذا على وجه التشبيه لأن الشيطان لا يصرع الإنسان على الحقيقة ولكن من غلب عليه المرة السودا وضعف عقده بما يجيل الشيطان إليه أمورا هائلة ويوسوس إليه فيقع الصرع عند ذلك من فعل الله ونسب ذلك إلى الشيطان مجازا لما كان ذلك عند وسوسته عن النبي علي الجبائي وقيل يجوز أن يكون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون بعض عن أبي الهذيل وابن الأخشيد قالوا لأن الظاهر من القرآن يشهد به وليس في العقل ما ينم منه ولا يمنع الله تعالى الشيطان عنه امتحانا لبعض الناس وعقوبة لبعضهم على ذنب ألم به ولم يقب منه كما يتسلط بعض الناس على بعض فيظلمه ويأخذ ماله ولا يمنعه الله تعالى منه ويكون هذا علامة لا سكي الربا يعرفون بها يوم القيامة كما أن على كل عاص من معصيته علامة تليق به فيعرف بها صاحبها وعلى كل مطيع من عاقبته اشارة تليق به فيعرف بها صاحبها وذلك معنى قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقال النبي في شهداء أحد رملوهم بدمائهم وثيابهم وقال (ع) يبعث أمتي يوم القيامة من قبورهم غرام محجلين من آثار الرضوخ. وروي عنه (ع) انه لما قال أسري بي إلى السماء رأيت رجالا بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم قفلت من هولاء. يا جبرائيل قال هولاء. أكلة الربا ورواه اصحابنا عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله (ص) لما أسري بي إلى السماء رأيت اقواما يريد احدهم أن يقوم ولا يقدر عليه من عظم بطنه قفلت من هولاء. يا جبرائيل قال هولاء. الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا يقولون ربنا متى تقوم الساعة والوعيد في الآية متوجه إلى كل من أربى وإن لم يأكله ولكنه تعالى نبه بذكر الأكل على سائر وجوه الانتفاع بالربا وإنما خص الأكل لأنه معظم المقاصد من المال ونظيره قوله ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية والمراد بالأكل في الموضوعين سائر وجوه الانتفاع دون حقيقة الأكل (ذلك) أي ذلك العقاب لهم بأنهم (قالوا) إنما البيع مثل الربا معناه بسبب قولهم إنما البيع الذي لا ربا فيه مثل البيع الذي فيه الربا قال ابن عباس كان الرجل منهم إذا حل دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه له زدني في الأجل وأزيدك في المال فيتراضيان عليه ويعملان به فإذا قيل لهم هذا ربا قالوا هما سواء يعنون بذلك ان الزيادة في الثمن حال البيع والزيادة فيه بسبب الأجل عند محل الدين سواء فذمهم الله به والحق الوعيد بهم وخطأهم في ذلك بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا) أي أحل الله البيع الذي لا ربا فيه وحرم البيع الذي فيه الربا والفرق بينهما ان الزيادة في احدهما لتأخير الدين وفي الآخر لأجل البيع وايضا فإن البيع بدل البذل لأن الثمن فيه بدل المشتمن والربا زيادة من غير بدل لتأخير في الأجل

او زيادة في الجنس والمنصوص عن النبي (ص) تحريم التفاضل في ستة اشياء الذهب والفضة والخطبة والشعر والتمر والملح وقيل الزبيب قال (ع) الا مثلا بثل يدا بيد من زاد واستراد فقد اربى لاخلاف في حصول الربا في هذه الاشياء الستة وفي غيرها خلاف بين الفقهاء وهو مقيس عليها عندهم وعندنا ان الربا لا يكون الا فيما يكال او يوزن واما علة تحريم الربا فقد قيل هي ان فيه تعطيل المعاش والاجلاب والمتاجر اذا وجد الربى مسن يعطيه دراهم وفضلا بدراهم وقال الصادق (ع) انما شدد في تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضا او رفا (من جاءه موعظة من ربه) معناه فمن جاءه زجر ونهي وتذكير من ربه (فانتهي) اي فاتجر وتذكر واعتبر (فله ما سلف) معناه فله ما اخذ واكل من الربا قبل النهي لايلزمه رده قال الباقر (ع) من ادرك الاسلام وتب مما كان عمله في الجاهلية وضع الله عنه ما سلف وقال السدي معناه له ما اكل وليس عليه رد ما سلف فاما ما لم يقبض بعد فلا يجوز له اخذه وله رأس المال وقوله جاءه موعظة وقال في موضع آخر قد جاء تكلم موعظة لأن تأنيته غير حقيقي فإن الموعظة او الرعظ بمعنى واحد (وامره إلى الله) معناه وامره بعد مجي الموعظة والتحريم والانتهاؤ إلى الله إن شاء عصمه عن أكله وثبته في انتهاؤه عنه وإن شاء خذله وقيل معناه وامره في حكم الآخرة إلى الله تعالى إن لم يتب وهو غير مستحل له إن شاء عذبه بعدله وإن شاء عفا عنه بفضله وقيل معناه أمره إلى الله فلا يؤاخذ به سلف من الربا (ومن عاد) إلى أكل الربا بعد التحريم وقيل ما كان بقوله قبل مجي الموعظة من ان البيع مثل الربا (فأوتئك اصحاب النارهم فيها خالدون) لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر مستحل للربا فلماذا توعد بعذاب الأبد ولا خلاف بين الفقهاء ان الربا محرم في النقد والنسيئة وقال بعض من تقدم لا ربا إلا في النسيئة واما اهل الجاهلية فإنهم كانوا يربون بتأخير الدين عن محله إلى محل آخر بزيادة فيه ولا خلاف في تحريمه وما جاء في الحديث في الربا ما روي عن علي (ع) انه قال لعن رسول الله (ص) في الربا خمسة آكله وموكله وشاهديه وكتبه وعنه (ع) قال إذا أراد الله بقربة هلاكها ظهر فيهم الربا وعنه (ع) قال الربا سبعون بابا أهورنها عند الله كالذي ينكح أمه وروي جميل بن دراج عن أبي عبد الله قال درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم في بيت الله الحرام

قوله تعالى (٢٧٦) **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

المحق نقصان الشيء حالا بعد حال يقال محقه الله يحقه محقا فانحق وامتحق اي هلك وتلف بذهابه حالا بعد حال والمحاق آخر الشهر لانحق الهلال فيه والأثم المتأدي في الأثم والأثم الفاعل للأثم

﴿ المعنى ﴾

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله (يمحق الله) اي ينقص الله (الربا) حالا بعد حال إلى أن يتلف المال كله وقال ابن عباس معناه يهلكه ويذهب بملكه وقيل للصادق (ع) وقد يري الرجل يربي فيكثر ماله فقال يححق الله دينه وإن كثر ماله وقال ابو القاسم البلخي يحقه الله في الدنيا بسقوط عدالته والحكم بفسقه والتسمية بالفسق (ويربي الصدقات) اي وينسي الصدقات ويزيدها بأن يشر المال في نفسه في العاجل وبالاجر عليه والثواب في الأجل وذلك بحسب الانتفاع بها وحسن النية فيها وقد روي عن النبي (ع) انه قال ان الله تعالى يقبل الصدقات ولا يقبل منها إلا الطيب ويربها لصاحبها كما يربي احدكم مهره او فضيله حتى ان القصة لتضير مثل احد والنكته في الآية ان المرابي إنما يطلب بالربى زيادة المال ومانع الصدقة إنما يمنها لطلب زيادة المال

فبين الله سبحانه ان الربا سبب نقصان دون النماء وان الصدقة سبب النماء دون النقصان (والله لا يجب كل كفار اثم) الكفار فعال من الكفر وهو المقيم عليه المستمسك به المعتاد له ومعناه والله يفيض كل كفار لتعمته باستحلال الربا منهك في غوايته متاد في اثمه باكله وإفنا لم يقل كل كافر لأنه اذا استحل له الربا صار كافرا لأنه اذا كثر اكله للربا مع الاستحلال فقد ضم كفرا الى كفره واذا استحل الربا ولم يعقد عقد الربا لم يلحقه من المندمة ما يلحق من جمع بين الأمرين فالجامع بين الأمرين يستدعي من غضب الله مالا يستدعيه احد الأمرين ودروي عن النبي (ص) انه قال يأتي على الناس زمان لا يبقى احد الا اكل الربا فمن لم يأكله اصابه من غيره

قوله تعالى (٢٧٧) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (آية)

﴿ المعنى ﴾

هذه الآية ظاهرة المعنى وقد مر تفسيرها فيما مضى وإنا جمع بين هذه الخصال لالأن الثواب لا يستحق على كل واحدة منها اذ لو كان كذلك لكان فيه تصغير من كل واحدة منها ولكن جمع بينها للترغيب في الاعمال الصالحة والتفخيم لامرها والتعظيم لثأتها اوليان ان الجمع بين هذه الخصال اعظم اجرا من الافراد بوحدة منها ونظيره قوله سبحانه والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الآية فجمع بين هذه الخصال في الوعيد ليبين ان الوعيد يستحق بكل واحدة منها وللتحذير عن كل خصلة منها لأن من المعلوم ان من دعاهم الله إليها آخر لا يحتاج الى شرط عمل آخر في استحقاق الوعيد اذ لو كان الوعيد انما يستحق بجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحد منها وقد ذكرنا ان امثال هذه الآية يدل على ان الايمان ليس من افعال الجوارح ولا مشتتلا عليها اذ لو كان كذلك لما صار لعطفها عليه معنى لأن الشيء لا يعطف على نفسه فإن قالوا ان ذلك يجري مجرى قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والذين كفروا وكذبوا باياتنا فنقول ان الخلاف هاهنا كالخلاف هناك لأن التكذيب عندنا ليس بالكفر نفسه وانما هو دلالة على الكفر وكذلك الصد عن سبيل الله واستدل بهذه الآية وامثالها في بطلان التحايط لأنه تعالى ضمن الثواب بنفس هذه الخصال ولم يشترط ان لا يوتى بما يجعلها فإن قالوا لا بد من هذا الشرط كما ان الوعيد على الكفر لا بد ان يكون مشروطا بارتقاء التوبة فالجواب ان التوبة انما صارت شرطا هناك لمكان اجماع المسلمين لأن التوبة مسقطه للعقاب وانما وعد الله تعالى باسقاط العقاب عندها تفضلا منه سبحانه ولا اجماع على ما ادعوه من الشرط في آيات الوعد فبان الفرق بين الأمرين

قوله تعالى (٢٧٨) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** (٢٧٩) **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ** (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم برواية أبي بكر غير ابن غالب والبرجي وحمة فاذنوا بالمد وكسر الذال والباقون فاذنوا وقرئ في الشواذ لا تظلمون ولا تظلمون

﴿ الحجة ﴾

قال سيويه آذنت اعلمت واذنت والتأذين النداء. والتصويت بالاعلام قال وبعض العرب يجري اذنت مجرى اذنت الذي معناه التصويت والنداء. قال ابو عبيدة اذنتك بحرب فاذنت به تاذن اذنا اي اعلمت فمن قرأ فاذنوا بحرب من الله فقصر فالمعنى اعلموا بحرب من الله والمعنى انكم في امتناعكم من وضع ذلك حرب من الله ورسوله ومن قرأ فاذنوا بتقديره فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب فالفعل محذوف على قوله واذا مروا باعلام غيرهم اعلموهم ايضا لا محالة ففي امرهم باعلام ما لم يعلمهم ايضا انهم حرب ان لم يمتنعوا عما نهوا عنه وليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهو في الابلاغ اكد

﴿ الاعراب ﴾

ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف تقديره ان كنتم مؤمنين فاذنوا ما بقي من الربا وموضع لا تظلمون نصب على الحال من لكم فالتقدير فلکم رؤوس أموالكم غير ظالمين ولا مظلومين

﴿ التزول ﴾

روي عن ابي جعفر الباقر (ع) ان الوليد بن المغيرة كان يربى في الجاهلية وقد بقي له بقايا على تقيف فاراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد ان اسلم فزلت الآية وقال السدي وعكرمة زلت في بقية من الربا كانت للعباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عبيد بن عمير ناس من تقيف فجاهلوا الاسلام ولما اموال عظيمة في الربا فانزل الله هذه الآية فقال النبي (ص) على ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع واول ربا اضعه العباس بن عبد المطلب وكل دم من دم الجاهلية موضوع واول دم اضعه دم ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب كان مرضعا في بني ليس فقتله هذيل وقال مقاتل نزلت في اربعة اخوة من تقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو بن عبد بن عوف الثقفي وكانوا يداينون بني المغيرة وكانوا يربون فلما ظهر النبي (ص) على الطائف وصالح تقيفا اسلم هؤلاء الابوة الاربعة فطلبوا رباهم من بني المغيرة واختصروا الى عتاب بن اسيد عامل رسول الله على مكة فكتب عتاب الى النبي بالقصة فانزل الله الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حكم ما بقي من الربا فقال (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) في امر الربا وفي جميع ما نهى الله عنه (وذروا ما بقي من الربا) اي واتركوا ما بقي من الربا فلا تأخذوا واقتصروا على رؤوس أموالكم وقوله (ان كنتم مؤمنين) معناه من كان مؤمنا فهذا حكمه فاما من ليس بمؤمن فإنه يكون حربا وقيل معناه ان كنتم مؤمنين بتحريم الربا مصدقين به وبما فيه من المسعدة التي يعلمها الله (فان لم تفعلوا) اي فان لم تقبلوا امر الله ولم تنقادوا له ولم تتركوا بقية الربا بعد نزول الآية بتركه (فاذنوا بحرب من الله ورسوله) اي فليقتلوا واعلموا بقتال من الله ورسوله والمعنى ايقنوا انكم تستحقون القتل في الدنيا والنار في الآخرة لمخالفة امر الله ورسوله ومن قرأ فاذنوا فمعناه فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب ومعنى الحرب عداوة الله وعداوة رسوله وهذا اخبار بعظم المعصية ودوي عن ابن عباس وقتادة والربيم أن من عامل بالربا استتابه الإمام فإن تاب وإلا قتل وقال الصادق آكل الربا يوجب بعد البيعة فإن عاد ادب وان عاد قتل (وإن تبتم) من استحلال الربا واقررتهم بتحريمه (فلكم رؤوس أموالكم) دون الزيادة (لا تظلمون) باخذ الزيادة على رأس المال (ولا تظلمون) بالنقصان من رأس المال

قوله تعالى (٢٨٠) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر عسرة بضم السين والباقون عسرة باسكانها وهما لغتان وقرأ زيد عن ابن يعقوب ميسرة بضم السين مضافا الى الها. وروى ذلك عن مجاهد وقرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والباقون بتشديدها وقد تقدم الكلام في مثله فإن الاصل في القراءة تين تصدقوا فحذف في احدها بحذف احدى التين وفي الأخرى بالادغام

﴿ اللغة ﴾

النظرة التأخير وهو اسم مقام الانتظار مثل الآخرة يقال بعته باخرة وبنظرة اي بنسيئة ورأيت فلانا باخرة الناس اي في آخرهم والميسرة والميسور بمعنى اليسار والغنى والسعة وما روي من قراءة من قرأ الى ميسرة فلم يجزه البصريون لأن مفعول لا يجي في الأحاد الا بالثاء. وقد جاء في الجمع قال جميل

بشئ الزمي لا إن لا إن لزمته على كثرة الواشين اي معون

وروي

ابلق النعمان عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظاري
والاول جمع معونة ومالك جمع مالكة وهي الرسالة ومثل هذا الذي نقل لا يعتد به سيويه فربما اطلق
القول وقال ليس في الكلام كذا وان كان قد جاء عليه حرف او حرفان

﴿ الإعراب ﴾

كان هذه هي التامة وهي التي تتم بفاعلها ويكتفى به وتقديره وان وقع ذو عسرة وقيل هي ناقصة محذوفة الخبر وتقديره وإن كان ذو عسرة غريبا لكم وكان يجوز لو قرئ وان كان ذا عسرة اي وان كان الذي عليه الدين ذا عسرة وروى ذلك في الشواذ عن ابي فنظرة مرفوعة لأنها خبر مبتدأ محذوف والفاء فيه للجزاء وتقديره فالذي تعاملونه به نظرة وان تصدقوا في موضع رفع بأنه مبتدأ وخبره خير لكم

﴿ المعنى ﴾

لما امر سبحانه باخذ رأس المال من الموسر بين بعده حال المسر فقال (وان كان ذو عسرة) معناه وان وقع في غمائكم ذو عسرة ويجوز ان يكون تقديره وان كان غريبا لكم ذو عسرة (فنظرة) اي فالذي تعاملونه به نظرة (الى ميسرة) اي الى وقت اليسار اي فالواجب نظرة صيته صيغة الخبر والمراد به الأمر اي فانظروا الى وقت يساره واختلف في حد الاعسار فروى عن ابي عبد الله (ع) انه قال هو إذا لم يقدر على ما يفضل من قوته وقوت عياله على الاقتصاد وقال ابو علي الجبائي هو التعذر بالاعدام او بكساد المتاع او نحوه واختلف في وجوب انتظار المسر على ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ انه واجب في كل دين عن ابن عباس والضحاك والحسن وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وابي عبد الله ﴿ وثانيها ﴾ انه واجب في دين الربا خاصة عن شريح وابراهيم النخعي ﴿ وثالثها ﴾ انه واجب في دين الربا بالآية وفي كل دين بالقياس عليه وقال الباقر (ع) الى ميسرة معناه الى ان يبلغ خبره الإمام فيقضي عنه من سهم الغارمين إذا كان انفق في المعروف (وأن تصدقوا خير لكم) معناه وان تصدقوا على المسر بما عليه من الدين خير لكم (ان كنتم تعلمون) الخبر من الشر وتميزون ما لكم عما عليكم وما جاء في معنى الآية من الحديث قوله (ع) من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وروى بريدة عنه انه قال من انظر معسرا كان له بكل

يوم صدقة وفي هذه الآية دلالة على ان الإنسان ان علم ان غريمه معسر حرم عليه جسه وملازمته ومطالبته بما له عليه وانه يجب عليه انظاره انتظارا لليسارة وان الصدقة برأس المال على المعسر خير وافضل من انتظار يسره ورووي عن ابن عباس وابن عمر ان آخر ما نزلت من القرآن آي الربا

قوله تعالى (٢٨١) **وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (آية)**

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء والباقون بضمها

﴿ الحجة ﴾

حجة أي عمرو قوله إن الينا إياهم فأضاف المصدر إلى الفاعل فهذا بمنزلة ترجعون واب مثل رجع ومن حجة قوله وإنا إليه راجعون فألينا مرجعهم

﴿ الإعراب ﴾

يوما منصوب لأنه مفعول به ولا ينتصب على الظرف لأنه ليس المعنى اتقوا في هذا اليوم وقوله ترجعون فيه إلى الله جملة في موضع نصب بكونه صفة لقوله يوما وتوفي كل نفس ما كسبت في موضع نصب بأنه عطف على صفة يوم إلا انه حذف منه فيه لدلالة الأول عليه

﴿ النزول ﴾

هذا آخر آية نزلت من القرآن وقال جبرائيل ضعها في رأس الثمانين والمأتين من البقرة عن ابن عباس والسدي قال المفسرون لما نزلت هذه الآية انك ميت وانهم ميتون قال رسول الله (ص) ليتني اعلم مستي يكون ذلك فأنزل الله تعالى سورة النصر إذا جاء نصر الله والفتح فكان رسول الله (ص) يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزول هذه السورة فيقول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه فقيل له انك لم تكن تقوله قبل هذا فقال اما ان نفسي نعتت إلي ثم بكى بكاء شديدا فقيل يا رسول الله اوتبكي من الموت وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال فأين هول المطلع واين ضيق القبور وظلمة اللحد واين القيامة والاهوال فعاش رسول الله (ص) بعد نزول هذه السورة عاما تاما ثم نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه إلى آخر السورة وهذه السورة آخر سورة كاملة نزلت من القرآن فعاش رسول الله (ص) بعدها ستة اشهر ثم لما خرج رسول الله إلى حجة الوداع نزلت عليه في الطريق يستفتونك في النساء قل الله يفتيكهم إلى آخرها فسميت آية الصيف ثم نزل عليه وهو واقف بعرفة اليوم أكلت لكم دينكم الآية فعاش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت عليه آيات الربا ثم نزلت بعدها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وهي آخر آية نزلت من السماء فعاش رسول الله (ص) بعدها احدا وعشرون يوما وقال ابن جريح تسع ليال وقال سعيد بن جبير ومقاتل سبع ليال ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول حين بزغت الشمس وروى اصحابنا لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة لسنة واحدة من ملك اздشير بن شيرويه بن ابرويزن هرمز بن انوشروان بنفسه هو (ص) حيا وميتا

﴿ المعنى ﴾

ثم حذر سبحانه المكلفين من بعد ما تقدم من ذكر آي الحدود والاحكام فقال (واتقوا يوما) مناه واجدروا يوما واخشوا يوما (ترجعون فيه إلى الله) تردون جميعا إلى جزاء الله ويقال إلى ملك الله لنفعمكم وضركم دون

غيره ممن ملكه إياه في دار الدنيا وهو المراد بكل ما في القرآن من هذا اللفظ لأن الله سبحانه لا يغيب عن أحد ولا يغيب احد عن علمه وملكه وسلطانه ويدل عليه قوله وهو معكم أينما كنتم وما يكون من نجوی ثلاثة إلا هو رابعهم وإنما خص يوم القيامة بهذه الصفة لأن الناس إذا حشروا انقطع أمرهم وبطل ملكهم ولا يبقى لواحد منهم أمر ولا نهي كما قال سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (ثم توفي كل نفس ما كسبت) قيل فيه وجهان احدهما توفي جزاء ما كسبت من الأعمال والثاني توفي ما كسبت من الثواب والعقاب لأن الكسب على وجهين كسب العبد لعله وكسبه لما ليس من فعله كما يكسب المال (وهم لا يظلمون) معناه لا يتقصون ما يستحقونه من الثواب ولا يزداد عليهم ما يستحقونه من العقاب

قوله تعالى (٢٨٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَابَرْتُمْ بَدِينًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَابْتَئِزُّوا بَيْنَكُمْ بِكَاتِبٍ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّبِعِ اللَّهُ رُبَّهُ وَلَا يَبْخُسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِئَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ شَهِدْتُمْ بِدِينِنَا مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وحده ان تضل بكسر الهزة والباقون بقمتها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وقتيبة فتذكر بالتخفيف والنصب وقرأ حمزة تذكر بالتشديد والرفع وقرأ الباقر فتذكر بالتشديد والنصب وقرأ عاصم وحده تجارة حاضرة بالنصب وقرأ الباقر بالرفع وقرأ ابو جعفر ولا يضار بتشديد الراء وتكسينها والباقر لا يضار بالنصب والتشديد

﴿ الحجة ﴾

الوجه في قراءة حمزة ان تضل إحداها بكسر الهزة هو انه جعل ان للجزاء والفاء في قوله فتذكر جواب الجزاء وموضع الشرط وجزائه رفع بكونهما وصفا للشكورين وهما المرأتان في قوله فرجل وامرأتان فقوله رجل وامرأتان خبر مبتدأ محذوف وتقديره فمن يشهد رجل وامرأتان ويجوز ان يكون رجل مرتفعا بالابتداء وامرأتان معطوفتان عليه وخبر الابتداء محذوف وتقديره فرجل وامرأتان يشهدون وقوله ممن ترضون من الشهداء فيه ذكر يعود إلى الموصوفين الذين هم رجل وامرأتان ولا يجوز ان يكون فيه ذكر الشهيدين المتقدم ذكرهما لاختلاف اعراب الموصوفين ألا ترى ان شهيدين منصوبان ورجل وامرأتان اعرابها الرفع فإذا كان كذلك علمت ان الوصف الذي هو ظرف إنما هو وصف لقوله فرجل وامرأتان دون من تقدم ذكرهما من الشهيدين والشرط وجزاؤه وصف لقوله وامرأتان لأن الشرط جملة يوصف بها كما يوصل بها في نحو قوله الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة واللام التي هي في قوله ان تضل فيمن جعل ان جزاء في موضع جزم وإنما حركت بالفتح

لالتقاء الساكنين ولو كسرت للكسرة قبلها لكان جائزا في القياس واما قوله فتذكر فقياس قول سيبويه في قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه والآي التي تلاها معها ان يكون بعد الفاء في فتذكر مبتدأ محذوف ولو اظهرته لكان فهما تذكر احدها الأخرى فالذكر العائد إلى المبتدأ المحذوف الضمير في قوله احدها واما الأصل في تذكر فهو من الذكر الذي هو ضد النسيان وذكر فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمز او وضعت العين منه تعدى إلى مفعول آخر وذلك نحو فرحته وافرحته فمن قرأ فتذكر كان ممن جعل بالتضعيف ومن قرأ فتذكر كان ممن نقل بالهمزة وكلاهما سايبغ والمفعول الثاني في قوله فتذكر احدها الأخرى محذوف والمعنى فتذكر احدها الأخرى الشهادة التي تحملتها واما قراءة الاكثريين وهو ان تضل بفتح الالف فإن يتعلق فيها بفعل مضمحل دل عليه هذا الكلام وذلك احد ثلاثة أشياء الأول هو ان قوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يدل على قولك واستشهدوا رجلا وامرأتين وعلى هذا فتقديره فليشهد رجل وامرأتان فتعلق ان انما هو بهذا الفعل والثاني ما قاله ابو الحسن وهو ان تقديره فليكن رجل وامرأتان وعلى هذا فيكون معناه فليحدث شهادة رجل وامرأتين فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه والثالث ان يضر خبر المبتدأ الذي هو فرجل وامرأتان اي فرجل وامرأتان يشهدون فيكون يشهدون العامل في ان وموضع اضربه فيمن فتح الهمزة من ان تضل قبل ان وفيمن كسر ان بعد انقضاء الشرط بجزائه واما موضع ان هذه فنصب وتقديره لأن تضل احدها فتذكر فإن قيل فإن الشهادة إنما وقعت للذكر والحفظ لا للضلال الذي هو النسيان فجوابه ان سيبويه قد قال امر بالشهاد لأن تذكر احدها الأخرى وانما ذكر ان تضل لأنه سبب الاذكار كما يقول القائل اعدته ان يميل الحائط فادعمه وهو لا يطلب بذلك ميلان الحائط ولكنه اخبر بعلته الدعم وسببه وقوله فتذكر او فتذكر بالنصب معطوف على الفعل المنصوب بان واما قراءة من قرأ إلا ان تكون تجارة حاضرة بالرفع فالوجه فيها ان يكون كان بمعنى وقع وحدث فكانه قال الا ان تقع تجارة حاضرة مثل قوله وإن كان ذو عسرة وإما من نصب تجارة حاضرة فيكون على خبر كان ولم يخجل اسم كان من احد شيئين احدهما ان يكون ما يقضيه الكلام من الاشهاد والارتهان قد علم من فحواء التبايع فاضمر التبايع لدلالة الحال عليه كما يقال إذا كان غدا فأتني والآخر ان يكون اضر التجارة فكانه قال الا ان تكون التجارة حاضرة مثل ذلك قول الشاعر

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي إذا كان يوما ذا كواكب أشعنا

اي اذا كان اليوم يوما واما قوله لا يضار فقيه قولان ﴿احدها﴾ ان اصله لا يضار فادغمت الراء في الراء وقتحت لالتقاء الساكنين فيكون معناه لا يكتب الكاتب إلا بالحق ولا يشهد الشاهد إلا بالحق ﴿الثاني﴾ ان اصله لا يضار بفتح الراء الأولى فادغمت فيكون المعنى لا يُدع الكاتب على وجه يضر به وكذلك الشاهد والأول ابين واما قراءة ابي جعفر بشكين الراء مع التشديد فقيه نظر ووجهه انه اجري الوصل مجرى الوقف كقولهم ﴿ببازل وجنا او عيمل﴾ وقد تقدم امثاله

اللغة

تقول داينت الرجل مداينة إذا عاملته بدن اخذت منه او اعطيته وتدائن القوم او الرجلان بمعناه

قال الشاعر

داينت ارووي والديون تقضى فطلت بعضا وأدت بعضا

ويقال دنت وادنت إذا اقترضت وادنت إذا اقترضت قال

أدان وانبأه الأولون بأن المدان ملي وفي

والاملال الاملا. يقال امل عليه وامل عليه بمعنى والبخس النقص فلما يقال يخسه حقه بيضه بخسا وثمان

بخس ناقص عن حقه والبخس فقو. العين لأنه ادخال نقص على صاحبها والسفيه الجاهل واصل السفه الخفة
قال الشاعر

نُخَافُ أَنْ تَسْفِهَ أَحْلَامَنَا فَتُخَمَلُ الدَّهْرُ مَعَ الْحَامِلِ

وانما سمي الجاهل بالسفيه لخفة عقله وتقول من الاباء. أبي رأبي ولم يأت مثله في اللغة لأن فعل يفعل لا يأتي
الا ان يكون في موضع العين من الفعل او اللام حرف من حروف الخلق والقول فيه ان الالف من ابي اشبهت
المهززة فجاء. يفعل منه مفتوحا لهذه العلة والضلال اصله الهلاك تقول العرب ضل الماء. في اللبن ومنه قوله ان المجرمين
في ضلال وسمر وقيل اصله الذهاب بحيث لا يوجد وقيل ومنه انذا ضلانا في الارض والسأم الملل يقال سأم يسأم
سأما إذا مل من الشيء وضجر منه قال زهير

سُمِّتَ تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ يَسَامًا

واقسط اي اعدل والقسط العدل يقال اقسط إذا عدل وقسط يقسط تسوطا إذا جار والقسط الحصة

المعنى

لما أمر سبحانه بانظار المعسر وتأجيل دينه عقبه ببيان احكام الحقوق الموجبة وعقود المداينة فقال (يا أيها الذين
آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (إذا تداينتم) اي تعاملتم وداين بعضكم بعضا (بدين) قيل فيه قولان
﴿ احدىهما ﴾ انه على وجه التأكيد وتمكين المعنى في النفس كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه ﴿ والاخر ﴾
انه إذا قال بدين لأن تداينتم قد يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذي هو الجزاء. وقد يكون بمعنى تعاملتم
بدين فقيده بالدين لتخليص اللفظ من الاشتراك (إلى أجل مسمى) اي وقت مذكور معلوم بالتسمية قال ابن
عباس ان الآية وردت في السلم خاصة وكان يقول أشهد أن الله اباح السلم المضمون إلى اجل معلوم وانزل فيه
اطول آية من كتابه وتلا هذه الآية وظاهر الآية يقع على كل دين مؤجل سلما كان او غيره وعليه
المفسرون والعقهاء (فاكتبوه) معناه فاكتبوا الدين في صك لئلا يقع فيه نسيان او جحود وليكون ذلك توثقة
للحق ونظرا للذي له الحق وللذي عليه الحق وللشهود فوجه النظر للذي له الحق ان يكون حقه موقفا بالصك
والشهود فلا يضيع حقه ووجه النظر للذي عليه الحق ان يكون ابعده من الجحود فلا يستوجب التهمة والعقوبة
ووجه النظر للشهود أنه إذا كتب بخطه كان ذلك اقوم للشهادة وابعده من السهو واقرب إلى الذكر واختلف في
هذا الأمر فقيل هو مندوب اليه عن ابي سعيد الخدري والحسن والشعبي وهو الأصح وعليه الاكثر وقيل هو
فرض عن الربيع وكتب ويدل على صحة القول الاول قوله فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اوتى من أمانته
والمفهوم من هذا الظاهر فإن اتهمته على ماله اي يأتمنه عليه ثم بين كيفية الكتابة فقال (وليكتب بينكم
كتاب بالعدل) يعني وليكتب كتاب المداينة او البيع بين المتعاقدين كاتب بالقسط والانصاف والحق لا يزيد
فيه ولا ينقص منه في صفة ولا مقدار ولا يستبدل ولا يكتب شيئا يضر بأحدهما إلا بعلمه (ولا يأت كاتب) اي ولا يتنعج
كاتب من (ان يكتب) الصك على الوجه المأمور به (كما علمه الله) من الكتابة بالعدل وقيل كما فضله الله
تعالى بتعليمه إياه فلا يخطئ على غيره بالكتابة واختلف في الكتابة هل هي فرض أم لا فقيل هي فرض على
الكتابة كالجهاد ونحوه عن الشعبي وجماعة من المفسرين واختاره الرماني والجبائي وجوز الجبائي ان يأخذ
الكاتب والشاهد الأجرة على ذلك قال الشيخ ابو جعفر الطوسي (ره) وعندنا لا يجوز ذلك والورق الذي يكتب
فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين ويكون الكتاب في يده لأنه له وقيل واجب على الكاتب ان يكتب في حال
فراغه عن السدي وقيل واجب عليه ان يكتب إذا أمر عن مجاهد وعطا وقيل ان ذلك في الموضوع الذي لا يتقدر
فيه على كاتب غيره فيضرب بصاحب الدين إن امتنع فاذا كان كذلك فهو فريضة وان قدر على كاتب غيره فهو

في سعة إذا قام به غيره عن الحسن وقيل كان واجبا ثم نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد عن الضحاك (فليكتب) أمر للكاتب أي فليكتب الصك على الوجه المأمور به وكانت الكتابة على عهد رسول الله (ص) فيهم قلة فلذلك أكد بقوله فليكتب إذ الجمع بين الأمر بالشيء والنهي عن تركه ادعى إلى فعله من الاقتصار على أحدهما ثم بين سبحانه كيفية الاملاء على الكاتب فقال سبحانه (وليمل الذي عليه الحق) يعني المديون يقر على نفسه بلسانه يعلم ما عليه فليكتب (وليتق الله به) أي الذي عليه الحق في الاملاء (ولا يخس) أي ولا ينقص (منه) أي من الحق (شيئا) لا من قدره ولا من صفته ثم بين الله تعالى حال من لا يصح منه الاملاء فقال (فإن كان الذي عليه الحق سفيا) أي جاهلا بالاملاء عن مجاهد وقيل صغيرا فلما عن السدي والضحاك وقيل عاجز الحق عن ابن زيد (أو ضعيفا) أي ضعيف العقل من عته أو جنون وقيل شيئا خرفا (أو لا يستطيع ان يمل هو) أي مجنوننا وقيل عيا أخرس عن ابن عباس وقيل الأقرب ان يحمل على ثلاث صفات لكيلا يؤدي إلى التكرار ثم اختلف في ذلك فقيل السفيه المجنون والضعيف الصغير ومن لا يستطيع ان يمل الأخرس ونحوه ثم يدخل في كل واحد من هو في معناه وقيل السفيه المبذر والضعيف الصبي المراهق ومن لا يستطيع ان يمل المجنون عن القاضي (فليمل وليه بالعدل) قيل معناه فليمل ولي الذي عليه الحق إذا عجز عن الاملاء بنفسه عن الضحاك وابن زيد وقيل معناه ولي الحق وهو الذي له الحق عن ابن عباس لأنه اعلم بدينه فيملي بالحق والعدل ثم أمر سبحانه بالشهاد فقال (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) يعني أطلبوا الشهود واشهدوا على المكتوب رجلين من رجالكم أي من أهل دينكم وقال مجاهد معناه من الأحرار العالمين بالدين المسلمين دون العبيد والكفار والحرية ليست بشرط عندنا في قبول الشهادة وإنما اشترط الإسلام مع العدالة وبه قال شريح والليثي وابو ثور وقيل هذا أمر للقضاة بأن يلتزموا عند القضاء بالحق شهيدين من المدعي عند إنكار المدعى عليه فيكون السين في الحالتين سين السؤال والطلب (فإن لم يكونا رجلين) يعني فإن لم يكن الشهيدين رجلين (فرجل وامرأتين) أي فليكن رجل وامرأتان أو فليشهد رجل وامرأتان (من ترضون من الشهداء) عدلته وهذا يدل على ان العدالة شرط في الشهود وبدل ايضا على اننا لم نتعبد بالشهاد مرضيين على الاطلاق لقوله من ترضون ولم يقل من المرضيين لانه لا طريق لنا إلى معرفة من هو مرضي عند الله تعالى وإنما تعبدنا بالشهاد من هو مرضي عندنا في الظاهر وهو من مرضى دينه وامامته ونعرفه بالستر والصلاح (ان تضل احدهما) أي تنسى احدي المرأتين (فتذكر احدهما الاخرى) قيل هو من الذكر الذي هو ضد النسيان عن الربيع والسدي والضحاك وأكثر المفسرين والتقدير فتذكر احدها الاخرى الشهادة التي تحملها ومن قرأ فتذكر بالتخفيف من الاذكار فهو بهذا المعنى ايضا اي يقول لها هل تذكرين يوم شهدنا في موضع كذا وبعضرتنا فلان او فلانة حتى تذكر الشهادة وهذا لأن النسيان يغلب على النساء اكثر مما يغلب على الرجال وقيل هو من الذكر أي يجعلها كذكر من الرجال عن سفيان بن عيينه والاول اقوى فإن قيل لم كرر لفظة احدها وهلا قال فتذكرها الاخرى فجوابه على وجهين ﴿١﴾ احدها ﴿٢﴾ انه انما كرر ليكون الفاعل مقدما على المفعول ولو قال فتذكرها الاخرى لكان قد فصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وذلك مكروه ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ ما قاله الحسين بن علي المغربي ان معناه ان تضل احدي الشهادتين أي تضيع بالنسيان فتذكر احدي المرأتين الاخرى لتلا يتكرر لفظ احدها بلا معنى ويؤيد ذلك انه لا يسمى ناسي الشهادة ضالا ويقال ضلت الشهادة اذا ضاعت كما قال سبحانه قالوا ضلوا عنا أي ضاعوا منا ثم خاطب سبحانه الشهود فقال (ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا) وفي معناه ثلاثة اقوال ﴿١﴾ احدها ﴿٢﴾ ان معناه ولا يمنع الشهداء إذا دعوا لاقامة الشهادة عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وهذا إذا كانوا عالمين بالشهادة على وجه لا يرتابون فيه ولم يخافوا من ادانها خسرنا ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ ان معناه إذا دعوا لاتباب الشهادة وتحملها عن قتادة والربيع ﴿٥﴾ والثالث ﴿٦﴾ ان معناه إذا دعوا إلى اتياب الشهادة وإلى

واقمتها عن ابن عباس والحسن وعن أبي عبد الله (ع) وهو أولى لأنه أعم فائدة (ولا تسأموا) أي ولا تضجروا ولا تملوا (إن تكتبوه) أي تكتبوا الحق (صغيرا) كان الحق (أو كبيرا) وقيل إن هذا خطاب للشاهد ومعناه لا تملوا أن تكتبوا الشهادة على الحق (إلى أجله) أي إلى أجل الدين وقيل معناه إلى أجل الشاهد أي إلى الوقت الذي تجوز فيه الشهادة والأول أقوى (ذلكم) الكتاب أو كتابة الشهادة والصك (اقسط) أي أعدل (عند الله) لأنه سبحانه أمر به واتباع أمره أعدل من تركه (واقوموا للشهادة) أي اصوبوا للشهادة وابتعدوا عن الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان وقيل معناه احفظوا للشهادة مأخوذ من القيام على الشيء بمعنى الحفظ (وادنى ألا ترتابوا) أي اقرب إلى أن لا تشكروا في مبلغ الحق والأجل (إلا أن تكون تجارة) معناه إلا أن تقع تجارة أي مداينة ومبايعة حاضرة حاله يبدأ بيد ومن قرأ بالنصب فمعناه إلا أن تكون التجارة تجارة (حاضرة تدبرونها بينكم) أي تتناقلونها من يد إلى يد نقدا لا نسيئة (فليس عليكم جناح) أي حرج وضيق (ألا تكتبوها) ومعناه فليس عليكم إثم في ترك كتابتها لأن الكتابة للوثيقة ولا يحتاج إلى الوثيقة إلا في النسيئة دون النقد (واشهدوا إذا تبايعتم) أي واشهدوا الشهود على بيعكم إذا تبايعتم وهذا أمر على الاستحباب والندب عن الحسن وجبب الفقهاء وقال أصحاب الظاهر الأشهاد فرض في التبايع (ولا يضار كاتب ولا شهيد) أصله يضار بكسر الراء الأولى عن الحسن وقتادة وعطاء وابن زيد فيكون النهي للكاتب والشاهد عن المضارة فعلى هذا فمعنى المضارة أن يكتب الكاتب ما لم يعل عليه ويشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه أو بأن يمنع من إقامة الشهادة وقيل الأصل فيه لا يضار بفتح الراء الأولى عن ابن مسعود ومجاهد فيكون معناه لا يكلف الكاتب الكتابة في حال عذر لا يتفرغ إليها ولا يضيق الأمر على الشاهد بأن يدعى إلى اثبات الشهادة واقامتها في حال عذر ولا يعنف عليهما قال الزجاج والأول أبين لقوله (وان تفعلوا فإنه فسوق بكم) فالفاسق أشبه بغير العدل وبين حرف الكتاب منه بالذي دعا شاهدا ليشهد أو دعا كتابا ليكتب وهو مشغول وقال غيره معناه وان تفعلوا مضارة الكاتب والشهيد فإن المضارة في الكتابة والشهادة فسوق بكم أي خروج عما أمر الله سبحانه (واقفوا الله) أي أمركم به ونهاكم عنه (ويعلمكم الله) ما تحتاجون إليه من أمور دينكم (والله بكل شيء عليم) أي عليم بذلك وبكل ما سواه من المعلومات وذكر علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره إن في البقرة حسنة حكم وفي هذه الآية خاصة خمسة عشر حكما

قوله تعالى (٢٨٣) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا فَرِهَانَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبًا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن على وزن فعل والباقون فرهان على وزن فعال

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي الرهن مصدر ولما نقل فسمي به كسر كما تكسر الاسماء. وجمع على بناهين من ابنية الجموع وهو فعل وفعال وكلاهما من ابنية الكثير ويخفف العين من رهن كما خفف في رسل وكتب ومثل رهن ورهن سقت وسقت وقال الأعمش

آليت لا أعطيه من أبناثنا رهنا فيفسدهم كمن قد أفسدا

﴿ اللغة ﴾

يقال رهنت عند الرجل رهنا ورهنته رهنا وأنا ارهنته إذا وضعت عنده ورهنته ضيعة وقالوا ارهنته ايضا وفعلت فيه اكثر قال

براهني فيرهني بنيه وارهنه بني بما أقول

قال الاصمعي من روى بيت ابن ممام

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وارهنتهم مالكا

فقد اخطأ إنما الرواية وارهنهم مالكا كما تقول وثبت اليه واصك عينه ونهضت اليه واخذ بشعره وتقول ارهنت لهم الطعام اي ادمته لهم وارهنته بمعناه والطعام راهن وراه وقد ارهنت في ثمن السلعة إذا أسلفت فيه قال ﴿عبيدة أرهنت فيها الدنانير﴾ واما قول النبي (ص) لا يفتق الرهن فمعناه ان يقول الراهن ان جتتك بفكاكه إلى شهر وإلا فهو لك بالدين فهذا باطل بلا خلاف

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه حكم الوثيقة بالرهن عند عدم الوثيقة بالشهاد فقال (وان كنتم) ايها المتديونون المتبايعون (على سفر) اي مسافرين (ولم تجدوا كتابا) للصلك ولا شهودا تشهدونهم (فرهان مقبوضة) تقديره فالوثيقة رهن فيكون رهن خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون التقدير فرهان مقبوضة يقوم مقام الوثيقة بالصلك والشهود والقبض شرط في صحة الرهن فإن لم يقبض لم ينعقد الرهن بالاجماع (فأون أمن بعضكم بعضا) اي فأون أمن صاحب الحق الذي عليه الحق ووثق به واثمنه على حقه ولم يستوثق منه بصك ولا رهن (فليؤد الذي ائتمن) اي الذي عليه الحق (أمانته) بأن لا يجهد حقه ولا يبخس منه شيئا ويؤديه اليه واقيا وقت محله أمن غير مطلق ولا تسويق و اراد بقوله امانته اي ما اوتمن فيه فهو مصدر بمعنى المفعول (وليتق الله ربه) معناه وليتق الذي عليه الحق عقوبة الله ربه فيا ائتمن عليه بجهوده او النقصان منه (ولا تكتسوا الشهادة) يعني بعد تحملها وهو خطاب للشهود ونهي لهم عن كتمان الشهادة إذا دعوا اليها (ومن يكتسها) اي ومن يكتم الشهادة مع علمه بالمشهود به وعدم اذتيابه فيه وتمكنه من ادائها من غير ضرر بعد ما دعي إلى اقامتها (فإنه آثم قلبه) اضاف الإثم إلى القلب وان كان الإثم هو للجسلة لأن اكتساب الإثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب لأن العزم على الكتمان إنما يقع بالقلب ولأن اضافة الإثم إلى القلب ابلغ في الذم كما ان اضافة الايمان إلى القلب ابلغ في المدح قال تعالى أو آثك كذب في قلوبهم الايمان (والله بما تعملون) اي ما تسرونه وتكتسونه (عليم) وروي عن النبي (ص) انه قال لا ينقض كلام شاهد زور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار وكذلك من كتم الشهادة وفي قوله تعالى فأون أمن بعضكم بعضا دلالة على ان الاشهاد والكتابة في المدينة ليسوا واجبين وانما هما على سبيل الاحتياط وتضمنت هذه الآية وما قبلها من بدائع لطف الله تعالى ونظره لعباده في امر معاشهم ومعادهم وتعليبهم ما لا يسهم جهله ما فيه بصيرة لمن تبصر وكفاية لمن تفكر

قوله تعالى (٢٨٤) اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ خَفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وعاصم وابو جعفر ويعقوب فينفر ويعذب بالرفع وقرأ الباقون بالجزم فيها

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي وجه قول من جزم انه اتبعه ما قبله ولم يقطعه منه وهذا أشبه بما عليه كلامهم ألا ترى انهم يطلبون المشاكلة ويلزمونها فمن ذلك ان ما كان مطوقا على جملة من فعل وفاعل واشتغل عن الاسم الذي من الجملة التي يعطف عليها الفعل يختار فيه النصب ولو لم يكن قبله الفعل والفاعل لاختاروا الرفع وعلى هذا ما جاء في التزييل نحو قوله وكلا ضربنا له الأمثال وقوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فكذلك ينبغي أن يكون الجزم أحسن ليكون مشاكلا لما قبله في اللفظ وهذا النحو من طلبهم المشاكلة كثير ومن لم يجزم قطعه من الاول وقطعه منه على احد وجهين اما ان يجعل الفعل خبرا لمبتدأ محذوف واما أن يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمها

﴿ المعنى ﴾

(فَمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) اللام لام الملك اي له تصريف السموات والارض وما فيها وتديرهما لقدرتة على ذلك ولأنه الذي أبدعها وأنشأها فجميع ذلك ملكه وما ملكه يصرفه كما يشاء. (وإن تبدوا ما في أنفسكم) وتعلموه اي تظهروا ما في أنفسكم من الطاعة والمعصية (أو تحفوه) اي تكتسوه (يحاسبكم به الله) اي يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه وقيل منناه أن تظهروا الشهادة أو تكتسوها فإن الله يعلم ذلك ويجازيكم به عن ابن عباس وجاعة وقيل انها عامة في الاحكام التي تقدم ذكرها في السورة خوفهم الله سبحانه من العمل بخلافها وقال قوم ان هذه الآية منسوخة بقوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ورووا في ذلك خبرا ضعيفا وهذا لا يصح لأن تكليف ما ليس في الوسع غير جائز فكيف ينسخ وإنا المراد بالآية ما يتناوله الأمر والنهي من الاعتقادات والارادات وغير ذلك مما هو مستور عنا فاما ما يدخل في التكليف من الوسوس والمواجس وما لا يمكن التحفظ عنه من الخواطر فخارج عنه لدلالة العقل وقوله (ص) تجوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها على هذا يجوز أن تكون الآية الثانية مبينة الأولى وإزالة توهم من صرف ذلك إلى غير وجه وظن ان ما يحظر بالبال أو تتحدث به النفس مما لا يتعلق بالتكليف فإن الله يؤاخذ به والأمر بخلاف ذلك وقوله (فينفر لمن يشاء) اي ينفر لمن يشاء منهم رحمة وفضلا (ويعذب من يشاء) منهم ممن يستحق العقاب عقلا (والله على كل شيء قدير) من المغفرة والعذاب عن ابن عباس ولفظ الآية عام في جميع الاشياء والقول فيما يحظر بالبال من المعاصي ان الله تعالى لا يؤاخذ به وإنما يؤاخذ بما يعزم الانسان ويعقد قلبه عليه مع امكان التحفظ عنه فيصير من افعال القلب فيجازيه به كما يجازيه بأفعال الجوارح وإنما يجازيه جزاء العزم لا جزاء عين تلك المعصية لأنه لم يباشرها وهذا بخلاف العزم على الطاعة فان العزم على فعل الطاعة يجازى على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعة كما جاء في الأخبار ان المنتظر للصلاة في الصلاة ما دام ينتظرها وهذا من لطائف نعم الله تعالى على عباده

﴿ النظم ﴾

ذكر في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها ونحوه ﴿ احدها ﴾ انه لما فرغ من بيان الشرائع ختم السورة بالتوحيد والموعظة والاقرار بالجزاء. ﴿ والثاني ﴾ انه لما قال والله بكل شيء عليم اتبعه بأنه لا يخفى عليه شيء لأن له ملك السموات والارض عن أبي مسلم. ﴿ والثالث ﴾ انه لما أمر بهذه الوثائق بين انه إنما يعتد بها لا أمر يرجع إلى المكلفين لا لأمر يرجع إليه فإن له ما في السموات وما في الارض

قوله تعالى (٢٨٥) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ
رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (آية)

﴿ القراة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم وكتابه والباقون وكتبه على الجمع وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء والباقون بالنون

﴿ الحجة ﴾

من قرأ كتابه على الواحد ففيه وجهان ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ أنه بمعنى القرآن ﴿٣﴾ ولثاني ﴿٤﴾ أنه بمعنى الجنس
فيوافق القراة الأخرى على الجمع وقد جاء المضاف من الاسماء بمعنى الكثرة نحو قوله وإن تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيها فهذا يراد به الكثرة كما يراد بما فيه لام التعريف
والاختيار فيه الجمع ليشاكل ما قبله وما بعده ولأن أكثر القراء عليه ومن قرأ لا يفرق فعلى تقدير لا يفرق
الرسول أو كل لا يفرق والنون على تقدير وقالوا لا نفرق كقوله ولو ترى إذ المجرمون ناكوا وادؤوسهم عند
ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا أي ويقولون ربنا

﴿ الإعراب ﴾

غفرانك نصب على أنه بدل من الفعل المأخوذ منه فكأنه قيل اللهم اغفر لنا غفرانك واستغنى بالمصدر عن
الفعل في الدعاء فصار بدلا عنه معاقبا له

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر الله تعالى فرض الصلاة والزكاة واحكام الشرع واخبار الأنبياء ختم السورة بذكر تعظيمه
وتصديق نبيه (ص) بجميع ذلك فقال (آمن الرسول) أي صدق محمد (ص) (بما أنزل إليه من ربه) من الاحكام
المذكورة في السورة وغيرها (والمؤمنون كل) أي كل واحد منهم (آمن بالله) أي صدق باثباته وصفاته
ونفي التشبيه عنه وتقريره عما لا يليق به (وملائكته) أي وبلائكته وبأنهم معصومون مطهرون (وكتبه)
أي وبأن القرآن وجميع ما أنزل من الكتب حق وصدق (ورسله) وبجميع أنبيائه (لا نفرق بين احد من
رسله) أي ويقولون لا نفرق بين احد من رسل الله في الايمان بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعله أهل
الكتاب من اليهود والنصارى (وقالوا سمعنا وأطعنا) معناه سمعنا قولك وأطعنا أمرك إذا جعلته راجعا إلى الله
أو سمعنا قوله وأطعنا أمره إذا جعلته راجعا إلى النبي (ص) وقيل معناه سمعنا قول الله وقول الرسول سماع
القائلين المطيعين وذلك خلاف ما أخبر الله تعالى عن الكفار حيث قالوا سمعنا وعصينا (غفرانك ربنا) أي يقولون
يا ربنا اغفر لنا وقيل معناه يقولون نسألك غفرانك (وإليك المصير) معناه إلى جزائك المصير فجعل مصيرهم إلى
جزائه مصيرا إليه كقول ابراهيم إني ذاهب إلى ربي سيهدين ومعناه إلى ثواب ربي أو إلى ما أمرني به ربي وهذا
هو اقرار بالبعث والنشور

قوله تعالى (٢٨٦) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
أَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ

عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الوسع ما دون الطاقة ويسمى ذلك وسعا بمعنى انه يسع الإنسان ولا يضيق عنه واخطأنا أي كسبنا خطيئة
وقال ابو عبيدة اخطأ وخطأ، لغتان والفرق بين اخطأ وخطى ان اخطأ قد يكون على وجه الائم وغير الائم فاما
خطى فالائم لا غير قال الشاعر

والناس يلحون الأُمير إذا هم

والاصر في اللغة الثقل قال النابغة

يا مانع الضيم ان يغشى سراتهم

وكل ما عطفك على شيء من عهد او رجم فهو اصر وجمعه اصار ويقال اصره بأصره واصرا والاسم الأصر

قال النابغة

يا ابن الحواضن والحاضنا

اي عهدك والاصرة صلة الرحم للعطف لها قال الكمي

نصحت اديم الود بيني وبينهم

واصل الباب العطف فالأصر الثقل لأنه يعطف حامله بثقله عليه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه فيما أمر ونهى لا يكلف إلا دون الطاقة فقال (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) اي لا يأمر
ولا ينهى أحد إلا ما هو له مستطوع وقيل ان معنى قوله إلا وسعها إلا يسرها دون عسرها ولم يكلفها طاقتها ولو كلفها
طاقتها بلغ المجهود منها عن سفيان بن عيينه وهذا قول حسن وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة في تجريد تكليف
العبد ما لا يطيقه لأن الوسع هو ما يتسع له قدرة الانسان وهو فوق المجهود واستفراغ القدرة وقال بعضهم ان
معناه إلا ما يسعها ويحمل لها وهذا خطأ لأن من قال لعبد لا أمرك إلا بما اطلق لك ان فعله لكان ذلك فيما منه
وخطأ لأن نفس امره اطلاق فكأنه قال لا اطلق لك ولا أمرك إلا بما امرك وقوله (لها ما كسبت) معناه لها
ثواب ما كسبت من الطاعات (وعليها) جزاء (ما اكتسبت) من السيئات ويجوز ايضا ان يسمى الثواب والمعاقب
كسبا من حيث حصل بكسبه (ربنا لا تؤاخذنا) قيل تقديره قولوا ربنا على جهة التعليم للدعاء عن الحسن وقيل
تقديره يقولون ربنا على جهة الحكاية والثناء (ان نسينا او اخطأنا) قيل فيه وجوه احدها ان المراد بنسينا
تركنا كقوله تعالى نسوا الله فسيهم اي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه وقوله وتنسون انفسكم ومنه
قول الشاعر

ولم اك عند الجود للجود قاليا

ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا

اي تلوكا والمراد باخطأنا اي اذنبنا لأن المعاصي توصف بالخطأ من حيث انها ضد الصواب وان كان فاعلها
متعمدا فكأنه تعالى امرهم ان يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من القبائح والثاني معنى قوله ان
نسينا ان تعرضنا لاسباب يقع عندها النسيان عن الأمر والنهية عن الواجب او اخطأنا اي تعرضنا لاسباب يقع عندها

الخطأ ويحسن الدعاء بذلك كما يحسن الانتذار منه والثالث ان معناه لا تؤاخذنا ان نسينا اي ان لم نفعل فعلا يجب فعله على سبيل السهو والتفلة او اخطانا اي فعلنا فعلا يجب تركه من غير قصد ويحسن هذا في الدعاء على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى واظهار الفقر إلى مسأته والاستعانة به وان كان مأمونا منه المواخذة بشئله ويجري ذلك مجرى قوله فيا بعد (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) على احد الأجوبة وقوله قل رب احكم بالحق وقد تقدم ذكر أمثاله والرابع ما روي عن ابن عباس وعطاء ان معناه لا تعاقبنا ان عصينا جاهلين او متعمدين وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) قيل فيه وجهان ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ ان معناه لا تحمل علينا عملا ننجز عن القيام به ولا تعذبنا بتركه ونقضه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع والسدي ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ ان معناه لا تحمل علينا تقلا عن الربيع ومالك وعطاء يعني لا تشدد الأمر علينا (كما حملته على الذين من قبلنا) اي على الأمم الماضية والقرون الخالية لأنهم كلوا إذا ارتكبوا خطيئة عجبت عليهم عقوبتها وحرم عليهم بسببها ما احل لهم من الطعام كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واخذ عليهم من اليهود والمواثيق وكلفوا من انواع التكاليف ما لم يكلف هذه الأمة تخفيفا عنها (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قيل فيه وجوه ﴿٥﴾ احدها ﴿٦﴾ ان معناه ما يتحمل علينا تحمله من انواع التكاليف والامتحان مثل قتل النفس عند التوبة وقد يقول الرجل لأمر يصعب عليه في لا يطيقه ﴿٧﴾ والثاني ﴿٨﴾ ان معناه ما لا طاقة لنا به من العذاب عاجلا وآجلا ﴿٩﴾ والثالث ﴿١٠﴾ انه على سبيل التعبد وان كان تعالى لا يكلف ولا يحمل احدا ما لا يطيقه كما ذكرنا قبل (واعف عنا) ذنوبنا (واغفر لنا) خطايانا اي استرها وارحمنا بانعامك علينا في الدنيا والغفر في الآخرة وادخال الجنة (انت مولانا) اي ولينا واولى بالتصرف فينا وناصرنا (فانصرنا على القوم الكافرين) اي اعنا عليهم بالقهر لهم والقلبة بالحجة عليهم وقد روي عن النبي (ص) ان الله سبحانه قال عند كل فصل من هذا الدعاء فعلت واستجبت ولهذا استحب الاكثار من هذا الدعاء ففي الحديث المشهور عن النبي (ص) قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه اتي كفتاه قيام ليلتها وعن عبد الله بن مسعود قال لما أسري برسول الله (ص) انتهى به إلى سدة المنتهى واعطى ثلثا الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته إلا المقححات وعن ابن المنكدر رفعه إلى النبي (ص) قال في آخر سورة البقرة آيات انهن قرآن وانهن دعاء وانهن يرضين الرحمن وفي تفسير الكلبي باسناده ذكره عن ابن عباس قال بينا رسول الله إذ سجع نقيضا يعني صوتا فرفع رأسه فإذا باب من السماء قد فتح فنزل عليه ملك وقال ان الله يشرك بنورين لم يعطها نبيا قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لا يقرأها أحد إلا أعطيته حاجته وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال كان الرجل إذا تعلم سورة البقرة جل فينا أي عظم

سورة آل عمران

هي كلها مدنية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجميع المفسرين عدد آياتها مائتان إلا آية شامي ومائتان في الباقيين خلافاً في سبع آيات عد الكوفي ألم آية والانجيل الثانية آية وترك وأنزل الفرقان وعد البصري رسولا إلى بني اسرائيل آية وترك الشامي التوراة والانجيل الاول وعد مقام ابراهيم هو ابو جعفر وترك ابو جعفر ما تحبون وعد اهل الحجاز حتى تنفقوا ما تحبون

﴿ فضلها ﴾

روى ابى بن كعب عن رسول الله (ص) قال من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها مائتان من حرج جهنم، ابن عباس قال قال رسول الله (ص) من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس، بريدة قال قال رسول الله (ص) تعلموا سورة البقرة وسورة آل عمران فإنها الزهراوان وانها تظللان صاحبها يوم القيامة كأنها غمامتان او غيابتان او فرقان من طير صواف

﴿ تفسيرها ﴾

قوله تعالى (١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ألم (٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٣) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِمَّن قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ (٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

خمس آيات بلا خلاف إلا ان الكوفي عد ألم آية وترك وأنزل الفرقان وغيرهم بالعكس من ذلك

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر والاعشى (?) والبرجمي عن ابى بكر عن عاصم ألم الله بسكون الميم وقطع همزة الله وقرأ الباقون موصولا وبفتح الميم وروي في الشواذ عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابراهيم النخعي والأعشى وعن زيد بن علي بن الحسين وعن جعفر بن محمد الصادق وعن النبي (ص) الحي القيوم وروي عن الحسن الانجيل بفتح الهمزة

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اتفاق الجميع على اسقاط الألف الموصولة في اسم الله تعالى دل على ان الميم ساكنة كما أن سائر حروف التهجى مبنية على الوقف فلما التقت الميم الساكنة ولام التعريف حركت الميم بالفتح للساكن الثالث الذي هو لام التعريف والدليل على ان التحريك للساكن الثالث وهو مذهب سيويه ان حروف التهجى يجتمع فيها الساكنان نحو حاميم عين سين قاف وذلك انها مبنية على الوقف كما ان اسماء العدد كذلك فحركت الميم للساكن الثالث بالفتح كما حركت النون في قوله من الله بالفتح لا لتقاء الساكنين واما من قطع الألف فكانه قد وقف على الميم واستأنف فقطع الهمزة لابتدائه بها واما القيام فقد قال ابن جني انه صفة على فيعال

من قام يقوم ومثله من الصفة التيداق وأصله من القيوم التقت الواواليا. وسبقت الأولى بالسكون فقلت الواو يا. وادغم فيها اليا. وقراءة الجماعة القيوم فيعمل من هذا أيضا واما الانجيل بفتح الهززة فتال غير معروف النظر في كلامهم لأنه ليس في كلامهم افعيل بفتح الهززة قولوا كان اعجيبا لكان فيه ضرب من الحجاج لكنه عندهم عربي وهو افعيل من نجل ينجل إذا أثار واستخرج ومنه نجل الرجل لولده لأنه استخرجهم من صلبه ومن بطن امرأته قال الاعشى

انجب ازمان والداه به إذ نجلاه فنم ما نجلا

أي انجب والداه ازمان اذ نجلاه ففصل بين المضاف الذي هو ازمان وبين المضاف اليه الذي هو إذ كقولهم حيثئذ ويومئذ بالفاعل وقيل له انجيل لأن به يستخرج علم الحلال والحرام كما قيل توراة وهي فوعة من وري الزند إذا قدح وأصله ووراة فأبدلت الواو التي هي الفاء. تا. كما قالوا التجاه والتخمة والتكلمان والتراث من الوجه والوخامة والوكل والوراة فهي من وري الزند إذا ظهرت ناره وذلك من نجل ينجل إذا استخرج لما في الكتابين من معرفة الحلال والحرام وكما قيل لكتاب نبيتا (ص) الفرقان لأنه فرق بين الحق والباطل فالملاني كما ترى متعقبة وكلاهما الاظهار والابراز والفرق بين الاشياء. وقال علي بن عيسى النجل الأصل فكأن الانجيل أصل من أصول العلم وقال غيره النجل الفرع ومنه قيل للولد نجل فكأن الانجيل فرع على التوراة يستخرج منها وقال ابن فضال هو من النجل وهو من السعة يقال عين نجلا. وطلعة نجلا. وكأنه قد وسع عليهم في الانجيل ماضيق على اهل التوراة وكل محتمل

﴿ الاعراب ﴾

مصداقا نصب على الحال وقوله من قبل أي من قبل انزال الكتاب فلما قطعه عن الاضافة بناء على الضم وموضع هدى نصب على الحال من التوراة والانجيل اي هاديين ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هما هدى

﴿ التزول ﴾

قال الكلبي ومحمد بن اسحاق والربيع بن أنس نزلت اوائل السورة إلى نيف وثمانين آية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله (ص) وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافيهم وفي الاربعة عشر ثلاثة نفر يوزون اليهم امرهم العاقب امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد قائمهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة استقهم وجبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله (ص) المدينة ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الخبثات جيب واردة في جمال رجال بلحرت بن كعب يقول بعض من رأهم من اصحاب رسول الله (ص) ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وقاموا فصلوا في مسجد رسول الله (ص) فقالت الصحابة يا رسول الله هذا في مسجدك فقال رسول الله (ص) دعوهم فصلوا إلى المشرق فكلم السيد والعاقب رسول الله (ص) فقال لهما رسول الله (ص) أسلما قالوا قد أسلمنا قبلك قال كذبنا يمينكما من الإسلام دعاوكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالوا إن لم يكن ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال لهما النبي (ص) الستم تعلمون انه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قديم على كل شيء ويحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء. وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى

قال السهم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذي الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا لم الى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع ومائتين آية

﴿ المعنى ﴾

ان الله تعالى لما ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والايان افتتح هذه السورة بالتوحيد والايان ايضاً فقال (لم) وقد ذكرنا الاختلاف فيه وفي معناه وفي محله في اول سورة البقرة (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وقد ذكرنا ما فيه في تفسير آية الكرسي وروي عن ابن عباس انه قال الحي القيوم اسم الله الاعظم وهو الذي دعا به آصف بن برخيا صاحب سليمان (ع) في حمل عرش بلقيس من سبا الى سليمان قبل ان يرتد اليه طرفه (نزل عليك) يا محمد (الكتاب) يعني القرآن (بالحق) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ بالصدق في اخباره ﴿ والثاني ﴾ بالحق اي بتوجيه الحكمة من الارسال وهو حق من الوجهين (مصدقاً لما بين يديه) اي لما قبله من كتاب ورسول عن مجاهد وقواده والربيع وجميع المفسرين وانا قيل لما بين يديه لما قبله لأنه ظاهره كظهور الذي بين يديه وقيل في معنى مصدقاً ههنا قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه مصدقاً لما بين يديه وذلك لموافقته لما تقدم الخبر به وفيه دلالة على صحة نبوته (ص) من حيث لا يكون ذلك كذلك الا وهو عند الله علام الغيوب ﴿ والثاني ﴾ ان معناه انه يخبر بصدق الانبياء وباتوابعه من الكتب ولا يكون مصدقاً لبعض ومكذباً للبعض (وانزل التوراة) على موسى (والانجيل) على عيسى (من قبل) اي من قبل انزال القرآن (هدى للناس) مفعول له اي دلالة وبيانا وقيل يعني به الكتب الثلاثة او ليتهيء اهل كل كتاب بكتابه واهل كل زمان بما انزل في زمانه وقيل ان هدى للناس حال من الكتاب اي هادياً للناس (وانزل الفرقان) يعني به القرآن وإنما كور ذلك لما اختلفت دلالات صفاته وان كانت لموصوف واحد لأن كل صفة فيها فائدة غير فائدة الاخرى فإن الفرقان هو الذي يفرق بين الحق والباطل فيما يحتاج اليه من امور الدين في الحج وغيره من الاحكام وذلك كله في القرآن ووصفه بالكتاب يفيدان من شأنه ان يكتب وروي عبدالله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) انه قال الفرقان هو كل آية محكمة في الكتاب وهو الذي يصدق فيه من كان قبله من الانبياء وقيل المراد بالفرقان الدلالة الفاصلة بين الحق والباطل عن ابي مسلم وقيل المراد به الحجة القاطعة لمحمد (ص) على من حاجه في امر عيسى وقيل المراد به النصر (ان الذين كفروا بايات الله) اي بحججه ودلالاته (لهم عذاب شديد) لما بين حججه الدالة على توحيده وصدق انبيائه عقب ذلك بوعيد من خالف فيه وجعه ليتكامل به التكليف (وا لله عزيز) اي قادر لا يتمكن احد ان يمنعه من عذاب من يريد عذابه واصل العزة الامتناع ومنه ارض عزازي منيعة السلوك لصعوبتها ومنه يقال من عزيز أي من غلب سلب لأن الغالب يمتنع عن الضيم فأنه تعالى عزيز اي يمتنع من حيث انه قادر لنفسه لا يعجزه شي (ذو انتقام) اي ذو قدرة على الانتقام من الكفار لا يتهيأ لأحد منعه والانتقام مجازاة المسي على أساءته (ان الله لا يخفى عليه شي في الأرض ولا في السماء) لما ذكر سبحانه الوعيد على الاخلال بمعرفة مع نصب الأدلة على توحيده وصدق انبيائه اقتضى ان يذكر انه لا يخفى عليه شي فيكون في ذلك تحذير من الاعتقاد بالاستمرار بمعصيته لأن المجازي لا تخفى عليه خافية فان قيل لم قال لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء ولم يقل لا يخفى عليه شي على وجه من الوجوه فيكون اشد مبالغة قلنا لان الغرض ان يعلم انه يعلم ما يستسر به في الارض او في السماء والانصاح بذكر ذلك اعظم في النفس واهول في الصدر مع الدلالة على انه عالم بكل شي فان قيل لم لم يقل انه عالم بكل شي في الارض والسماء قلنا لان الوصف بان لا يخفى عليه شي يدل على انه يعلمه من كل وجه يصح ان يعلم منه مع ما فيه من التصرف في العبارة وانما لا يخفى عليه شي لأنه عالم لنفسه فيجب ان يعلم كل ما يصح ان يكون معلوماً وما

يصح ان يكون معلوما لانهاية له فلا يجوز ان يخفى عليه شيء بوجه من الوجوه

قوله تعالى (٦) 'هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ -
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

التصوير جعل الشيء على صورة لم يكن عليها والصورة هيئة يكون عليها الشيء في التأليف واصلها من صاره بصوره اذا اماله لانها مائلة الى هيئة بالشبه لها والفرق بين الصورة والصفة ان الصيغة عبارة عما وضع في اللغة ليدل على امر من الامور وليس كذلك الصورة لان دلالتها على جعل جاعل شيئا على بينة والارحام جمع رحم واصله الرحمة وذلك لانها مما يتراحم بهويتهاطف يقولون وصلتك رحم والمشيئة هي الارادة

﴿ الإعراب ﴾

كيف في موضع نصب على المصدر تقديره اي نوع يشاء وجملة يشاء في موضع الحال من يصوركم اي يصوركم في الارحام اي يخلق صوركم في الارحام شائيا مريدا اي نوع اراده

﴿ المعنى ﴾

(هو الذي يصوركم) اي يخلق صوركم في الارحام (كيف يشاء) على اي صورة شاء وعلى اي صفة شاء. من ذكر او انشى او صبيح او دميم او طويل او قصير (لا إله الا هو العزيز) في سلطانه (الحكيم) في افعاله ودلت الآية على وحدانية الله وكمال قدرته وتام حكيمته حيث صور الولد في رحم الام على هذه الصفة وركب فيهم انواع البدائع من غير آله ولا كلفة وقد تقرر في عقل كل عاقل ان العالم لو اجتمعوا على ان يخلقوا من الماء بعوضة ويصوروا منه صورة في حال ما يشاهدونه ويصرفونه لم يقدروا على ذلك ولا وجدوا اليه سبيلا فكيف يقدرون على الخلق في الارحام فتبارك الله احسن الخالقين وهذا الاستدلال مروى عن جعفر بن محمد (ع)

قوله تعالى (٧) 'هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المحكم ماخوذ من قولك احكمت الشيء اذا تقنته واتقنته وام الكتاب اصله ومكة ام القرى ويقال لعلم الجيش ام واصله امية ولذلك يجمع على امهات وقد يقال امات ايضا والمتشابه الذي يشبه بعضه بعضا فيغض اخذ من الشبه لانه يشبه به المراد والزيج الميل وازافه اماله والترايع التبايل في الاسنان والابتغاء الطلب والفتنة اصلها الاختبار من قولهم فتنن الذهب بالنار أي اختبرته وقيل معناه خلصته والتأويل التفسير واصله المرجع والمصير من قولهم آل لمره الى كذا يقول اولوا اذا صار اليه واولته تأويلا اذا صيرته اليه قال الاعشى

على انها كانت تأول حبيها تأول ربعي السقاب فاصحبا

اي كان حبيها صغيرا فأل الى العظم كما آل السقب وهو الصغير من اولاد النوق الى الكبير والراسخون

الثابتون يقال رسخ رسوخاً اذا ثبت في موضعه وارسخه غيره

الإعراب

منه آيات جملة من مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال من انزل وتقديره انزل الكتاب محكما ومتشابهها أم الكتاب جملة في موضع الرفع لكونها صفة لآيات واخر عطف على آيات وهو صفة مبتدأ محذوف وتقديره ومنه آيات اخر ومتشابهات صفة بعد صفة واخر غير منصرف قال سيبويه ان اخر فارقت اخواتها والاصل الذي عليه بناء اخواتها لان اخر اصلها ان يكون صفة بالالف واللام كما يقال الصغرى والصفر فلما عدل عن مجرى الالف واللام واصل افعال منك وهي بما لا تكون الا صفة منعت الصرف وقاله الكسائي إنما لم تصرف لأنه صفة وهذا غلط لأن قولهم مال لبد وحطلم منصرفان مع كونها صفة وابتداء نصب لأنه مفعول له في الموضعين وكل مسن عند ربنا مبتدأ وخبر وهو اسم دال على المضاف اليه كثير في الكلام حذف المضاف اليه منه عند البصريين ولا يجيزون انا كلاً فيها على الصفة وأجازه الكوفيون لأنه إنما حذف عندهم لدلالته عليه اسماً كان او صفة وإنما بني قبل على الغاية ولم يبن كل وإن حذف من كل واحد منها المضاف اليه لأن قبل ظرف يعرف وينكر ففرق بين ذلك بالبناء الذي يدل على تعريفه بالمضاف اليه والاعراب الذي يدل على تنكيره بالانفصال وليس كذلك كل لأنه معرفة في الافراد دون نكرة فاما ليس غير فشبّه بحسب لما فيه من معنى الأمر

المعنى

لما تقدم بيان ازال القرآن عقبه بيان كيفية ازاله فقال (هو الذي انزل عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن (منه) أي من الكتاب (آيات محكمات من أم الكتاب) أي اصل الكتاب (وأخر متشابهات) قيل في المحكم والمتشابه اقوال **١** أحدها **٢** ان المحكم ما علم المراد بظاهره مسن غير قرينة تعقرون اليه ولا دلالة تدل على المراد به لوضوح نحو قوله تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولا يظلم ذرة ونحن ذلك بما لا يحتاج في معرفة المراد به إلى دليل والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقدر به ما يدل على المراد منه لاتباسه نحو قوله وأضل الله على علم فإنه يفارق قوله وأضلهم السامري لأن اضلال السامري قبيح واضلال الله تعالى حسن وهذا معنى قول مجاهد المحكم ما تشبه معانيه والمتشابه ما اشبهت معانيه وإنما يقع الاشتباه في امور الدين كالتوحيد ونفي التشبيه والجور ألا ترى ان قوله ثم استوى على العرش يحتمل في اللغة أن يكون كاستواء المجلس على سريره وان يكون بمعنى القهر والاستيلاء والوجه الأول لا يجوز عليه سبحانه **٣** وثانيها **٤** ان المحكم التاسع والمتشابه المنسوخ عن ابن عباس **٥** وثالثها **٦** ان المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً عن محمد بن جعفر بن الزبير والي علي الجبائي **٧** ورابعها **٨** ان المحكم ما لم تكرر الفاظه والمتشابه ما تكرر الفاظه كقصة موسى وغير ذلك عن ابن زيد **٩** وخامسها **١٠** ان المحكم ما يعلم تعيين تأويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله كقيام الساعة عن جابر بن عبد الله وإنما وحد أم الكتاب ولم يقل من أم الكتاب لوجهين **١١** أحدهما **١٢** انه على وجه الجواب كأنه قيل ما أم الكتاب فقال من أم الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نحن نظيره **١٣** والثاني **١٤** ان الآيات بمجموعها أصل الكتاب وليست كل آية محكمة أم الكتاب وأصله لأنها جرت مجرى شيء واحد في البيان والحكمة ومثله قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية ولم يقل آيتين لأن شأنها واحد في انها جاءت به من غير ذكر فلم تكن الآيات لها إلا به ولا له إلا بها ولو أراد ان كل واحد منها آية على التفصيل لقال آيتين (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق وإنما يحصل الزيغ بشك او جهل (فيتبعون ما تشابه منه) أي يمتحنون به على باطلهم (ابتغاء الفتنة) أي لطلب الضلال والاضلال وفساد الدين على الناس وقيل لطلب التلبيس على ضعفاء الخلق عن مجاهد

وقيل لطلب الشرف والمال كما سمي الله المال فتنة في مواضع من كتابه وقيل المراد بالفتنة هاهنا الكفر وهو المروي عن أبي عبد الله وقول الربيع والسدي وابتغاء تأويله وطلب تأويله على خلاف الحق وقيل لطلب مدة اكل^(١) محمد على حساب الجمل (وابتغاء) عاقبته ويدل على ذلك قوله ذلك خير واحسن تأويلا اي عاقبة وقول العرب تأول الشيء إذا انتهى وقال الزجاج معنى ابتغائهم (تأويله) انهم طلبوا تأويل بعثهم واحيائهم فاعلم الله ان ذلك لا يعلمه إلا الله ويدل على ذلك قوله هل ينظرون إلا تأويله واختلف في الذين عنوا بهذا فقيل عني به وقد نجران لما حاجوه في أمر عيسى وسألوه فقالوا أليس هو كلمة الله وروحا منه فقال بلى فقالوا حسبنا فأنزل الله فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه يعني انهم قالوا ان الروح ما فيه بقاء البدن فأجروه على ظاهره والمسلمون يحملونه على ان بقاء البدن كان في وقته به كما ان بقاء البدن بالروح وقد قامت الدلالة على ان القديم تعالى ليس بذي اجزاء واعضاء وإنما يضاف الروح اليه تشريفا للروح كما يضاف البيت اليه ثم انزل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب عن الربيع وقيل هم اليهود طلبوا علم اكل^(٢) هذه الأمة واستخراجه بحساب الجمل عن الكلبي وقيل هم المتأفقون عن ابن جريج وقيل بل كان من احتج بالمشابه لباطله فلا يقيفه عامة كالحرورية والسبائية عن قتادة (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) اي الثابتون في العلم الضابطون له المتقنون فيه واختلف في نظمه وحكمه على قولين احدهما ان الراسخون معطوف على الله بالواو على معنى ان تأويل المشابه لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم فإنهم يعلمونه (ويقولون) على هذا في موضع النصب على الحال وتقديره قائلين (أما بالله كل من عند ربنا) كقول ابن المفرغ الحميري

الريح تبكي شجوة والبرق يلعب في غمامه

أي والبرق يبكي ايضا لامعا في غمامه وهذا قول ابن عباس والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير واختيار أبي مسلم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) فإنه قال كان رسول الله افضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التأويل والتزويل وما كان الله ليتزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله وهو واوصياؤه من بعده يعلمونه كله وما يؤيد هذا القول ان الصحابة والتابعين أجمعوا على تفسير جميع آي القرآن ولم نرهم توقفوا على شيء منه ولم يفسروه بأن قالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله وكان ابن عباس يقول في هذه الآية أنا من الراسخين في العلم والقول الآخر ان الراوي في قوله والراسخون او الاستئناف فعلى هذا القول يكون تأويل المشابه لا يعلمه إلا الله تعالى والوقف عند قوله وما يعلم تأويله إلا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون آمنا به فيكون مبتدأ وخبر وهذا قول عائشة وعروة بن الزبير والحسن ومالك واختيار الكسائي والقراء والجبائي وقالوا ان الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به فالآية راجعة على هذا التأويل إلى العلم بمدة اكل^(٣) هذه الأمة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى وخروج الدجال ونحو ذلك مما استأثر الله بعلمه ويكون التأويل على هذا القول بمعنى المتأول كقوله هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يعني الموعود به وقوله كل من عند ربنا معناه المحكم والمتشابه جميعا من عند ربنا (وما يذكر) أي وما يتفكر في آيات الله ولا يرد المتشابه إلى المحكم (إلا أولوا الأنباب) أي ذور العقول فإن قيل لم أنزل الله تعالى في القرآن المتشابه وهلا جعله كله محكما فالجواب انه لو جعل جميعه محكما لاتكل الناس كلهم على الخبر واستغنوا عن النظر ولكان لا يتبين فضل العلماء على غيرهم ولكان لا يحصل لهم ثواب النظر واتعاب الحواطر في استنباط المعاني وقال القاضي الماوردي قد وصف الله تعالى جميع القرآن بأنه محكم بقوله الر كتاب احكمت آياته ووصف جميعه ايضا بأنه متشابه بقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فمعنى الأحكام الاتقان والمنع أي

(١) لعلها اجل إمامة محمد (٢) و(٣) لعلها اجل

هو ممنوع باتقائه واحكام معانيه عن اعتراض خلل فيه فالقرآن كله محكم من هذا الوجه وقوله متشابهاً أى يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق والثواب والبعد عن الخلل والتناقض فهو كله متشابه من هذا الوجه

قوله تعالى (٨) رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٩) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (آيَاتان)

﴿ اللغمة ﴾

العبارة تليق الشيء من غير مثناة والهيئة والنحلة والصلة نظائر وفي لندن خمس لغات لندن ولدن بضم اللام والدال ولدن بفتح اللام والدال ولدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون ولدن بحذف النون والميعاد بمعنى الوعد كما ان الميعات بمعنى الوقت

﴿ الإعراب ﴾

اللام في قوله ليوم لا ريب فيه معناه في يوم وإنما جاز ذلك لما دخل الكلام من اللام فإن تقديره جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه فأغنت عن في لأن حروف الاضافة متواخية لما يجمعها من معنى الاضافة وقد كان يجوز فتح ان في قوله ان الله لا يخلف على تقدير جامع الناس ليوم لا ريب فيه لأن الله لا يخلف الميعاد ولم يقرأ به

﴿ المعنى ﴾

(ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) هذه حكاية عن قول الراسخين في العلم الذين ذكروهم الله في الآية الأولى وذكر في تأويله وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه لا تمنعنا لطفك الذي معه تستقيم القلوب فتسيل قلوبنا عن الايمان بعد إذ وفقتنا بالطاقك حتى هديتنا اليك وهذا دعاء للتثبيت على الهداية بالامداد بالالطاف والتوفيقات ويجري مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا والمعنى لا تحل بيننا وبين من لا يرحمنا فيسلط علينا فكانهم قالوا لا تحل بيننا وبين نفوسنا بمنعك التوفيق والالطاف عنا فتريغ ونضل وإنما يمنع ذلك بسبب ما يكتبه العبد من المعصية ويفرط فيه من التوبة كما قال فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه لا تكلفنا من الشدائد ما يصعب علينا فعله وتركه فتريغ قلوبنا بعد الهداية ونظيره فلما كتب عليهم القتال تولوا فأضافوا ما يقع من زيغ القلوب اليه سبحانه لأن ذلك يكون عند تشديده تعالى المحنة عليهم كما قال سبحانه فزادتهم رجساً إلى رجسهم ولم يزدهم دعائي إلا فراراً ﴿ وثالثها ﴾ ما قاله ابو علي الجبائي ان المراد لا ترغ قلوبنا من ثوابك ورحمتك وهو ما ذكره الله من الشرح والسعة بقوله يشرح صدره للإسلام وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة ومن ذلك التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين ويمنع الكافرين كما قال تعالى أو تلك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم ومن ذلك كتابته الايمان في قلوب المؤمنين كما قال أو تلك كتب في قلوبهم الايمان وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكانهم سألوا الله أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب ﴿ ورابعها ﴾ أن الآية محمولة على الدعاء بأن لا تزيغ القلوب عن اليقين والايمان ولا يقتضى ذلك انه تعالى سئل عما لولا المسئلة لجاز أن يفعله لأنه غير ممتنع ان يدعو على سبيل الانتطاع اليه والافتقار إلى ما عنده بأن يفعل ما نعلم أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم انه واجب ان لا يفعله إذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال سبحانه قل رب احكم بالحق وقال ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسالك وقال حاكيا عن ابراهيم ولا تخزني يوم يبعثون فإن قيل هلا جاز على هذا أن يقول ربنا لا تظلمنا ولا

تجر علينا فالجواب إنما لم يميز ذلك لأن فيه تسخطا من السائل وإنما يستعمل ذلك فيمن جرت عادته بالجور والظلم وليس كذلك ما نحن فيه (وهب لنا من لدنك رحمة) أي من عندك لطفًا تتوصل به إلى الثبات على الإيمان إذ لا تتوصل إلى الثبات على الإيمان إلا بطلقك كما لا يتوصل إلى ابتدائه إلا بذلك وقيل نعمة (إنك أنت الوهاب) المعطي للنعمة الذي شأنه المحبة والعطية (ربنا) أي ويقولون ياسيدنا وخالقنا (إنك جامع الناس) للجزاء (ليوم) أي في يوم (لا ريب فيه) أي ليس فيه موضع ريب وشك لوضوحه وهذا يتضمن أقرارهم بالبعث (إن الله لا يخلف الميعاد) أي لا يخلف الوعد وقيل هو متصل بما قبله من دعاء الراسخين في العلم وإن خالف آخر الكلام أوله في الخطاب والغيبة فيكون مثل قوله حتى إذا كنتم في الفلك وجريين بهم وتقديره فاغفر لنا إنك لا تخلف ما وعدته وقيل أنه على الاستيناف وهو اختيار الجبائي فيكون اخبارا عن الله تعالى

قوله تعالى (١٠) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ آموالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الوقود الحطب والوقود ايقاد النار

﴿ المعنى ﴾

ثم بين تعالى حال الذين في قلوبهم زيغ فقال (إن الذين كفروا) بآيات الله ورسله (لن تغني) أي لن تدفع (عنهم) أموالهم ولأولادهم من الله شيئاً (قال ابو عبيدة من هنا بمعنى عند وقال المبرد وهي على اصلها لاابتداء الغاية وتقديره لن تغني عنهم غنا ابتداء وانتهاء. وقيل معناه من عذاب الله شيئاً (وأولئك هم وقود النار) أي حطب النار تتقد النار بأجسامهم كما قال في موضع آخر حطب جهنم

قوله تعالى (١١) **كُدِّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الدأب العادة يقال دأب يدأب دأباً ودأباً إذا اعتاد الشيء وتمرن عليه والدأب الاجتهاد يقال دأب في كذا دأباً ودؤبوا إذا اجتهد فيه وبالغ وتقل من هذا إلى العادة لأنه بالغ فيه حتى صار عادة له قال زهير

لأرتحلن بالفجر ثم لأدئبن إلى الليل إلا أن يعرجني طفل

والذنب والجرم واحد يقال أذنب فهو مذنب والذنب تلو الشيء يقال ذنبه بذنبه إذا تلاه والذنب الدلو لأنها تالية للجبل في الجنب والذنب النصيب لأنه كالدلو في الانعام والذنب الفرس الوافر شمر الذنب واصل الباب التلو فالذنب الجرم لما يتلو من استحقاق الذم كما ان العقاب سمي بذلك لأنه يستحق عقيب الذنب

﴿ الإعراب ﴾

الكاف في قوله كدأب متعلق بمحذوف وتقديره عادتهم كمادة آل فرعون فيكون الكاف في موضع رفع بأنها خبر مبتدأ ولا يجوز أن يعمل فيها كفروا لأن صلة الذين قد انقطعت بالحجر ولكن جاز أن يكون في موضع نصب بوقود النار لأن فيه معنى الفعل على تقدير تتقد النار بأجسامهم كما تتقد بأجسام آل فرعون كذبوا جملة

في موضع الحال والعامل فيه المعنى في دأب آل فرعون وقد مقدرة معه

المعنى

عادة هؤلاء الكفار في التكذيب بما أنزل اليك (كذاب آل فرعون) أي كعادة آل فرعون في التكذيب برسولهم وما أنزل اليه عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك والسدي وقيل معناه اجتهاد هؤلاء الكفار في قهرك وابطال امرك كاجتهاد آل فرعون في قهر موسى عن الاصم والزجاج وقيل كعادة الله في آل فرعون في انزال العذاب بهم بأسلف من اجرامهم وقيل كسنة آل فرعون عن الربيع والكسائي وأبي عبيدة وقيل كما رآل فرعون وشأنهم عن الاخفش وقيل كحال آل فرعون عن قطرب (والذين من قبلهم) يعني كفار الأمم الماضية (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم) أي عقبهم الله بذنوبهم وسمى المعاقبة مؤاخنة لأنها اخذ بالذنب فالأخذ بالذنب عقوبة (والله شديد العقاب) لمن يعاقبه

قوله تعالى (١٢) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادِ (آية)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم سيغلبون ويحشرون بالياء فيها والباقون بالتاء

الحجة

من اختار التاء فلعله قد كان لكم آية فاجرى الجميع على الخطاب ومن اختار الياء فللتصرف في الكلام والانتقال من خطاب المواجهة الى الخبر بلفظ النائب وبويده قوله قل للذين كفروا ان يتنها يغفر لهم ما قد سلف قل للذين آمنوا يغفروا وقيل ان الخطاب لليهود والضمير في ستغلبون للمشركين لأن اليهود اظهروا السرور بما كان من المشركين يوم احد فعلى هذا لا يكون الا بالياء لان المشركين غيب

اللغة

الحشر الجمع مع سوق ومنه يقال للنبي الحاشر لأنه يحشر الناس على قدميه كأنه يقدمهم وهم خلفه لأنه آخر الاصفياء فيحشر الناس في زمانه وملته وجهنم اسم من اسما النار وقيل اخذ من جهنم وهي البئر البعيدة القعر والمهاد القرار وهي الموضع الذي يتشهد فيه أي ينام فيه مثل الفراش

الغزل

روى محمد بن اسحاق بن يسار عن رجاله قال لما اصاب رسول الله قريشا بيدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع فقال يامعشر اليهود احدثوا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم وقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يفرنك انك لقيت قوما انصارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله هذه الآية وروي ايضا عن عكرمة وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس ورواه اصحابنا ايضا وقيل نزلت في مشركي مكة ستغلبون يوم بدر عن مقاتل وقيل بل نزلت في اليهود لما قتل الكفار بيدر وهزموا قالت اليهود انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله شكوا وقالوا لا والله ما هو به فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة لم تنقض فنقضوا ذلك العهد قبل اجله وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة في ستين راكبا فوافقهم واجمعوا امرهم على رسول الله لتكون كلمتنا

واحدة ثم رجعا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الآية عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس

المعنى

لما تقدم ذكر ما اصاب القرون الخالية بالتكذيب للرسول من العذاب حذر هؤلاء من ان يحل بهم ما حل بأولئك فقال تعالى (قل للذين كفروا) اما مشركي مكة او اليهود على ما تقدم ذكره (ستغلبون) اي ستهزمون وتصيرون مغلوبين في الدنيا (وتحشرون) اي تجسعون (الى جهنم) في الآخرة وقد فعل الله ذلك فاليهود غلبوا بوضع الجزية عليهم والمشركون غلبوا بالسيف واذا قرئ سيغلبون بالياء فقد يمكن ان يكون المغلوبون والمحشورون من غير المخاطبين وانهم قوم اخرون ويمكن ان يكونوا اياهم قال الفراء يقال قل لعد الله انه قائم وانك قائم واذا قرئ بالتاء فلا يجوز ان يظن هذا فلا يكونون غير المخاطبين (وبس المهاد) اي بنس ما مهد لكم وبس ما مهدتم لانفسكم عن ابن عباس وقيل معناه بس القرار عن الحسن وقيل بس الفراش المهدهم وفي الآية دلالة على صحة نبوة نبينا (ص) لان مشجبه قد خرج على وفق خبره فدل ذلك على صدقه ولا يكون ذلك على وجه الاتفاق لانه بين اخبارا كثيرة من الاستقبال فخرج الجميع كما قال فكما ان كل واحد منها كان معجزا اذ الله لا يطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول كذلك هذه الآية واذا ثبت صدقه على احد الخبرين وهو انهم سيغلبون ثبت صدقه في الخبر الآخر وهو انهم يحشرون الى جهنم

قوله تعالى (١٣) لقد كان لكم آية في فتنتين التفتتا فتتاقتا في سبيل الله وأخرى كافرته يرونهم مثلهم رأيت العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لآية لمن لا يبصر (آية)

القراءة

قرأ اهل المدينة والبصرة عن ابي عمرو ترونهم بالتاء والباقون بالياء وروي في الشواذ عن ابن عباس يرونهم بضم الياء

الحجة

قال ابو علي (ره) من قرأ يرونهم بالياء فلان بعد الخطاب غيبة وهو قوله فتتاقتا في سبيل الله وأخرى كافرته يرونهم اي ترى الفتنة المقاتلة في سبيل الله الكافرة مثلهم وما يؤيد الياء قوله مثلهم ولو كان على التاء لكان مثلهم وان كان قد جاء وما آتيتهم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ورأيت هنا هي المتعدية الى مفعول واحد وبدل على ذلك تعييده برأي العين واذا كان كذلك كان انتصاب مثلهم على الحال لا على انه مفعول ثان واما مثل فقد يفرد في موضع التثنية والجمع فمن الافراد في التثنية قوله ﴿وساقين مثل زيد وجعل﴾ ومن افراده على الجمع قوله انكم اذا مثلهم ومن جمعه قوله ثم لا يكونوا امثالكم ومن قرأ ترونهم فللخطاب الذي قبله وهو قوله قد كان لكم آية ترونهم مثلهم فالضمير في ترونهم للمسلمين والضمير المنصوب للمشركين اي ترون ايها المسلمون المشركين مثل المسلمين فاما قراءة ابن عباس يرونهم فوجهه ما قاله ابن جنبي ان رأيت ورأى اقوى في اليقين من اريت وارى تقول أرى ان سيكون كذا اي هذا غالب ظني وأرى ان سيكون كذا اي اعلمه واتحققه

اللغة

قد ذكرنا معنى الفتنة عند قوله كم من فتنة قليلة غلبت فتنة كثيرة والاتقاء والتلاقي والاجتماع واحد والابيد

القوة ومنه قوله تعالى وداود ذا الأيد يقال ادته ايده اي قوته وايدته اويده تأييدا بمعناه والعبارة الآية يقال اعتبرت بالشيء اعتبارا وعبرة والعبور النفوذ من احد الجانبين إلى الآخر وسميت الآية عبرة لأنه يعبر عنها من منزل العلم إلى منزل الجهل والمعتبر بالشيء تارك جهله وواصل إلى علمه بما رأى والعبارة الكلام يعبر بالمعنى إلى المخاطب والعبارة تفسير الرويا والتعبير وزن الدراهم وغيرها والعبارة الدمعة واصل الباب النفوذ

الإعراب

قوله فنة تحتل ثلاثة اوجه من الاعراب الرفع على الاستئناف بتقدير منهم فنة كذا وأخرى كذا والجر على البدل والتصب على الحال كقول كثير

فكنت كذبي رجلين رجل صحيحة	ورجل رمى فيها الزمان فشلت
أنشد بالرفع والجر وقال ابن مفرغ	
فكنت كذبي رجلين رجل صحيحة	ورجل رماها صائب الحدان
فأما التي صحت فأزد شنوة	وأما التي شلت فأزد عمان
وقال آخر	

إذا مت كان الناس صنفين شامت وآخر ممن بالذي كنت أصنع

ولا يجوز أن يقول مررت بثلاثة صريع وجريح بالجر لأنه لم يستوف العدة ويجوز بالرفع على تقدير منهم صريع ومنهم جريح فإن قلت مررت بثلاثة صريع وجريح وسليم جاز الرفع والجر فإن زدت فيه اقتلوا جاز الأوجه الثلاثة والقراءة بالرفع لا غير وقوله رأى العين يجوز أن يكون مصدرا ليرى والعين في موضع الرفع بانه الفاعل ويجوز أن يكون ظرفا للمكان كما يقول ترونهم أمامكم

التزول

تزلت الآية في قصة بدر وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب لواء رسول الله (ص) والمهاجرين علي بن ابي طالب (ع) وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكانت الايل في جيش رسول الله (ص) سبعين بعيرا والحيل فرسين فرس للمقداد بن أسود وفرس لمرتد بن أبي مرثد وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف وجسيم من استشهد يومئذ اربعة عشر رجلا من المهاجرين وثمانية من الانصار واختلف في عدة المشركين فروي عن علي (ع) وابن مسعود انهم كانوا الفا وعن قتادة وعروة بن الزبير والربيع كانوا بين تسعائة إلى ألف وكانت خيلهم مائة فرس ورأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله (ص) وكان سبب ذلك غير ابي سفيان

المعنى

لما وعد سبحانه الظفر لاهل الايمان بين ما فعله يوم بدر بأهل الكفر والظن ان فقال (قد كان لكم آية) قيل الخطاب لليهود الذين نقضوا العهد أي كان لكم ايها اليهود دلالة ظاهرة وقيل الخطاب للناس جميعا ممن حضر الواقعة وقيل للمشركين واليهود آية أي حجة وعلامة ومعجزة دالة على صدق محمد (ص) (في فتنتي التثنا) أي فرقتين اجتمعتا يبد من المسلمين والكافرين (فنة) فرقة (تقاتل) تعارب (في سبيل الله) في دينه وطاعته وهم الرسول واصحابه (وأخرى) أي فرقة أخرى (كافرة) وهم المشركون من أهل مكة (يرونهم مثلهم) أي ضعفهم (رأي العين) أي في ظاهر العين واختلف في معناه فقيل معناه يرى المسلمون المشركين مثلي عدد أنفسهم

قلهم الله في أعينهم حتى رأوه سبائة وستة وعشرين رجلا تقوية لقلوبهم وذلك ان المسلمين قد قيل لهم فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين فأراهم الله عددهم حسب ما حد لهم من العدد الذي يلزمهم ان يقدموا عليهم ولا يجبروا عنهم وقد كانوا ثلاثة امثالهم ثم ظهر العدد القليل على العدد الكثير عن ابن مسعود وجماعة من العلماء وقيل ان الروية للمشركين يعني يرى المشركون المسلمين ضعفي ما هم عليه فإن الله تعالى قبل القتال قتل المسلمين في أعينهم ليجترأ عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثروهم في أعينهم ليجبنوا وقلل المشركين في أعين المسلمين ليجترأوا عليهم وتصديق ذلك قوله تعالى وإذ يريكهم في أعينكم قليلا وقليلكم في أعينهم الآية وذلك احسن اسباب النصر للمؤمنين والخذلان للكافرين وهذا قول السدي وإنما يتأتى هذا القول على قراءة من قرأ بالياء فأما قول من قرأ بالياء فلا يحتمله إلا قول الأول على أن يكون الخطاب لليهود الذين لم يحضروا وهم المعنيون بقوله قل للذين كفروا استغلبون وتحشرون وهم يهود بني قينقاع فكانه قال ترون ايها اليهود المشركين مثلي المسلمين مع ان الله اظهرهم عليهم فلا تغتروا بكثرةكم واختار البلخي هذا الوجه او يكون الخطاب للمسلمين الذين حضروا الواقعة أي ترون ايها المسلمون المشركين مثلي المسلمين وقال الفراء يحتمل قوله يرونهم مثليهم حتى ثلاثة امثالهم لأنك إذا قلت عندي الف واحتاج إلى مثلها فأنت تحتاج إلى الفين لأنك تريد احتياجا إلى مثلها مضافا إليها لا يعني بدلا منها فكأنك قلت احتاج إلى مثلها وإذا قلت احتاج إلى مثلها فأنت تحتاج إلى ثلاثة آلاف فكذلك في الآية المعنى يرونهم مثليهم مضافا اليهم فذلك ثلاثة امثالهم قال والمعجز فيه إذا كان من جهة غلبة القليل الكثير وأنكر هذا الوجه الزجاج لمخالفته لظاهر الكلام وما جاء في آية الانتقال من تقليل الانتقال فإن قيل كيف يصح تقليل الاعداد مع حصول الروية وارتفاع الموانع وهل هذا إلا قول من جوز أن يكون عنده اجسام لا يدركها او يدرك بعضها دون بعض قلنا يحتمل أن يكون التقليل في عين المؤمنين بأن يظنهم قليلي العدد لا أنهم ادركوا بعضا دون بعض لأن العلم بما يدركه الإنسان جملة غير العلم بما يدركه مفصلا ولأننا قد ندرك جمعا عظيما بأسرهم ونشك في اعدادهم حتى يقع الخلاف في حزر عددهم فعلى هذا يكون الوجه تأويل تقليل الاعداد وقوله (والله يؤيد بنصره من يشاء) النصر منه سبحانه على الاعداء يكون على ضربين نصر بالغلبة ونصر بالحجة فالنصر بالغلبة إنما كان بغلبة العدد القليل للعدد الكثير على خلاف مجرى العادة وبما أمدهم الله به من الملائكة وقوى به نفوسهم من تقليل العدة والنصر بالحجة وهو وعده المتقدم بالغلبة لإحدى الطائفتين لا محالة وهذا ما لا يعلمه إلا علام الغيوب (إن في ذلك) أي في ظهور المسلمين مع قتلهم على المشركين مع كثرتهم وتقليل المشركين في أعين المسلمين وتكثر المسلمين في أعين المشركين (لغيره لأولي الأبصار) أي لذوي العقول كما يقال فلان بصير بالأمور ولا يراد به الابصار بالحواس الذي يشترك فيه سائر الحيوان

قوله تعالى (١٤) زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَبَاقِ (آية)

اللغة

الشهوات جمع شهوة وهي توقان النفس إلى المشتهى يقال اشتهى يشتهي شهوة واشتها. والشهوة من فعل
الله ولا يقدر عليها احد من البشر وهي ضرورية فينا فإنه لا يمكننا دفعها عن نفوسنا والقناطر جمع قنطار وهو

المال الكثير العظيم وأصله من الإحكام يقال قنطرت الشيء أحكمته والقنطر الداهية وقيل أصله من القنطرة وهو البناء المقود للعبور والمقنطرة المحصلة من قناطر كقنطير كقنطير درهم مدرهمة أي مجموعة كذلك ودنانير مدرة وقيل إنفاً كقنطير المقنطرة للتأكيد وقد يؤتى بالمفعول والفاعل تأكيداً فالمفعول مثل قوله حجراً محجوراً ونسياً منسياً والفاعل كقولهم شعشاعر وموت مائت والمراد بالجميع المبالغة والتأكيد وسميت الخيل خيلاً لاختيارها في مشيها والاختيار من التخيل لأنه يتخيل به صاحبه في صورة من هو أعظم منه كبرا والمسومة من قولهم أسمت الماشية وسومتها إذا دعيتها والسيما الحس والسيما بمعناه قال الشاعر

غلام رماه الله بالحسن يافعاً له سيميا لا تشق على البصر

والسيما العلامة وهو أصل الباب والمآب المرجع من الأوب وهو الرجوع

المعنى

ثم أنزل الله تعالى ما أخبره به عن السبب الذي دعا الناس إلى العدول عن الحق والهدى والركون إلى الدنيا فقال (زين للناس حب الشهوات) أي حب المشتيات ولم يرد بها نفس الشهوة ولهذا فرها بالنساء والبنين وغيرهما ثم اختلف فيمن زينها لهم فقيل الشيطان عن الحسن قال فوالله ما أجد أذى للدنيا من خلقها وقيل زينها الله تعالى لهم بما جعل في الطباع من الميل إليها وبما خلق فيها من الزينة محنة وتشديداً للتكليف كما قال سبحانه إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً وقيل زين الله تعالى ما يحسن منه وزين الشيطان ما يفسد عن أبي علي الجبائي ثم قدم سبحانه ذكر النساء فقال (من النساء) لأن الفتنة بين أعظم وقال النبي (ص) ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال النساء جائل الشيطان وقال أمير المؤمنين (ع) المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لا بد منها وهي عقرب حلوة للسمعة ثم قال (والبنين) لأن حبه يدعو إلى جمع الحرام وقال النبي (ص) للأشعث بن قيس هل لك من ابنة حمزة من ولد قال نعم لي منها غلام ولوددت أن لي به جفنة من طعام أطعمها من معي من بني جملة فقال لئن قلت ذلك أنهم لثيرة القلوب وقرة العين وأنهم مع ذلك لمجنبة منجلة محزنة (والقناطر) جمع قنطار واختلف في مقداره فقيل ألف ومائتا أوقية عن معاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر وقيل ألف ومائتا مثقال عن ابن عباس والحسن والضحاك وقيل ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم عن الحسن بخلاف وقيل ثمانون ألفاً من الدراهم أو مائة رطل عن قتادة وقيل سبعون ألف دينار عن مجاهد وعطاء وقيل هو مل مسك ثور ذهباً عن أبي بصير وبه قال الفراء وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (والمقنطرة) المضاعفة عن قتادة وقيل هي تسعة قناطر عن الفراء وقيل هي الأموال المنضدة بعضها فوق بعض عن الضحاك وقيل الكاملة المجتمعة وقيل هي من الذهب والفضة عن الزجاج ولا يصح قول من قال من الذهب خاصة لأن الله ذكر القنطار فيها جميعاً وجميع الأقوال يرجع إلى الكثرة (والحيل المسومة) قيل معناه الأفراس الراحية عن سعيد بن جبيرة وابن عباس والحسن والربيع وقيل هي الحسن من السيميا وهو الحسن عن مجاهد وعكرمة والسدي وقيل هي المعلمة عن قتادة وفي رواية عن ابن عباس المعلمة للجهاد عن ابن زيد (والأنعام) وهي جمع النعم وهي الإبل والبقر والغنم من الضان والمز ولا يقال لجنس منها على الانفراد نعم إلا للإبل خاصة لأنها يغلب عليه جملة وتقصيلاً (والحراث) معناه الزرع هذه كلها مجنبة إلى الناس كما ذكر الله تعالى ثم بين أن ذلك كله مما يتمتع به في الحياة ثم يزول عن صاحبه والمرجع إلى الله فأجدر بالإنسان أن يزهده فيه ويرغب فيها عند ربه فقال (ذلك متاع الحياة الدنيا) يعني كل ما سبق ذكره مما يستمتع به في الحياة الدنيا ثم يفنى (والله عنده حسن المآب) يعني حسن المرجع فالمآب مصدر سمي به موضع الأواب

قوله تعالى (١٥) قُلْ أُوۡبَيۡتُكُمۡ بِخَيْرٍ مِّنۢ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوۡا۟ عِنۡدَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِيۡ
مِنۡ تَحْتِهَا۟ الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضۡوَانٌ مِّنۡ أَهۡلٍ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلۡعِبَادِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو بكر عن عاصم ورضوان بضم الراء كل القرآن والباقون بكسر الراء.

﴿ الحجة ﴾

الرضوان مصدر فمن كسره جعله كالريان والحرم ان ومن ضمه جعله كالرجعان والشكران والكفران

﴿ الإعراب ﴾

• انتهى الاستفهام في أوئبئكم عند قوله عند ربهم ثم استأنف جنات تجري على تقدير الجواب كأنه قيل ما ذلك الخير قال هو جنات وقيل انتهى الاستفهام عند قوله بخير من ذلك ثم ابتداء فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات ويجوز في العربية في اعراب جنات الرفع والجبر فالجبر على أن يكون آخر الكلام عند ربهم ولا يجوز الجبر على الوجه الآخر للفصل باللام كما لا يجوز أمرت لك بأقن ولا أخيك ماثنين حتى يقول باثنين ولو قدمت قلت وماثنين لأخيك لجاز وخالدين نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

لما صغر تعالى الدنيا وزهد فيها في الآية الأولى عظم الآخرة وشرفها ورجب فيها في هذه الآية فقال (قل) يا محمد لا أمتك (أوئبئكم) أخبركم (بخير من ذلكم) بأنفع لكم مما سبق ذكره في الآية المتقدمة من شهورات الدنيا ولذاتها وزهراتها (للذين اتقوا) ما حرم الله عليهم (عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت أشجارها الأنهار وعلى القول الآخر أخبركم بخير مما سبق للذين اتقوا عند ربهم ثم ابتداء فقال جنات أي ذلك الخير جنات تجري من تحت أبنيتها الأنهار وبين الله بهذا ان انهار الجنة جارية ابدية ليست كأنهار الدنيا التي يجري ماؤها تارة وينقطع أخرى (خالدين فيها) أي مقيمين في تلك الجنات (وازواج مطهرة) من الحيض والنفاس وجميع الأقدار والادناس والطبائع الذميمة والأخلاق اللثيمة (ورضوان من الله) ووراء هذه الجنات رضوان من الله (والله بصير بالعباد) أي خبير بأفعالهم واحوالهم

قوله تعالى (١٦) الَّذِينَ يَفۡوُلُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَنَنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ
(١٧) الصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَانِتِينَ وَٱلۡمُنۡفِقِينَ وَٱلۡمُتَّوۡبِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ [آيتان]

﴿ اللفظة ﴾

المغفرة هي الستر للذنوب يرفع التبعة والذنوب والجرم بمعنى واحد والفرق بينهما ان اصل الذنب الاتباع فهو مما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعة والجرم اصله القطع فهو القبيح الذي ينقطع به عن الواجب والفرق بين القول والكلام ان القول فيه معنى الحكاية وليس كذلك الكلام والصابر الحابس نفسه عن جميع معاصي الله والمقيم على ما أوجب عليه من العبادات والصادق المخبر بالشيء على ما هو به والقانت المطيع والاسحار جمع سحر وهو الوقت الذي قبل طلوع الفجر أصله الحفاء الحفاء الشخص في ذلك الوقت والسحر منه ايضا الحفاء سببه والسحر الرثة الحفاء موضعها

﴿ الإعراب ﴾

يجوز في موضع الذين الرفع والنصب والجر فالجر للاتباع للذين اتقوا والرفع والنصب على المدح وكذلك باقي الصفات ويجوز أن يكون جرا على الصفة للذين اتقوا

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف المتقين الذين سبق ذكرهم في قوله للذين اتقوا فقال (الذين يقولون) اي المتقين القائلين (ربنا إننا آمننا) صدقنا الله ورسوله (فاغفر لنا ذنوبنا) اي استرها علينا وتجاوزها عنا (وقتنا) اي وادفع عنا (عذاب النار) ثم وصفهم بصفات آخر ومدحهم وثنى عليهم فقال (الصابرين) اي على فعل ما أمرهم الله به وترك ما نهاهم عنه وإن شئت قلت الصابرين على الطاعة وعن المعصية (والصادقين) في إيمانهم وأقوالهم (والقانتين) قيل المطيعين عن قتادة وقيل الدائمين على الطاعة والعبادة عن الزجاج وقيل القائمين بالواجبات عن القاضي (والمتقين) اموالهم في سبيل الخير ويدخل فيه الزكاة المفروضة والتطوع بالاتفاق (والمستغفرين بالاسحار) المصلين وقت السحر عن قتادة ورواه الرضا عن أبيه (ع) عن ابي عبد الله (ع) وقيل السائلين المغفرة في وقت السحر عن أنس وقيل المصلين صلاة الصبح في جماعة عن زيد بن اسلم وقيل الذين ينتهي صلاتهم إلى وقت السحر ثم يستغفرونه ويدعون عن الحسن وروي عن أبي عبد الله ان من استغفر الله سبعين مرة في وقت السحر فهو من أهل هذه الآية وروى أنس بن مالك عن النبي (ص) انه قال ان الله عز وجل يقول اني لأهم بأهل الارض عذابا فإذا نظرت إلى عار بيوتي وإلى المهجدين وإلى المتحابين في وإلى المستغفرين بالاسحار صرفته عنهم

قوله تعالى (١٨) شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم (١٩) إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي أن الدين بفتح الالف والباقون بالكسر قال الزجاج وروي عن ابن عباس قال انه لا إله إلا هو بكسر الالف والقراءة انه بالفتح

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الوجه الكسر في ان لأن الكلام الذي قبله قد تم ومن فتح ان جعله بدلا والبدل وإن كان في تقدير جملتين فإن العامل لما لم يظهر اشبه الصفة فإذا جعلته بدلا جاز أن تبدله من شيتين ﴿ احدهما ﴾ من قوله انه لا إله إلا هو فكان التقدير شهد الله أن الدين عند الله الإسلام فيكون البدل من الضرب الذي الشيء فيه هو هو وإن شئت جعلته من بدل الاشتغال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل وإن شئت جعلته من القسط لأن الدين الذي هو الإسلام قسط وعدل فيكون من البدل الذي الشيء فيه هو هو وقال غيره ان الاولى والثانية يجوز في العربية فتحهما جميعا وكسرهما جميعا وفتح الاولى وكسر الثانية وكسر الاولى وفتح الثانية فمن فتحها وقع الشهادة على ان الثانية وحذف حرف الإضافة من الاولى وتقديره شهد الله انه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الاسلام ومن كسرهما اعترض بالأولى على التعظيم لله تعالى كما قيل لبيك

إن الحمد والنعمة لك وكسر الثانية على الحكاية لأن معنى شهد معنى قال قال الموزج شهد بمعنى قال في لغة قيس عيلان ومن فتح الأولى وكسر الثانية وهو الأجود وعليه أكثر القراء. اوقع الشهادة على الأولى واستأنف الثانية ومن كسر الأولى او فتح الثانية اعترض بالأولى وأوقع الشهادة على الثانية

﴿ اللغة ﴾

حقيقة الشهادة الإخبار بالشيء عن مشاهدة او ما يقوم مقام الشهادة ومعنى الدين هاهنا الطاعة واصله الجزاء. وسميت الطاعة ديناً لأنها للجزاء ومنه الدين لأنه كالجزء. في وجوب القضاء. والإسلام اصله السلم معناه دخل في السلم واصل السلم السلامة لأنها انقياد على السلامة ويصلح ان يكون اصله التسليم لأنه تسليم لأمر الله والتسليم من السلامة لأنه تأدية الشيء على السلامة من الفساد فالإسلام هو تأدية الطاعات على السلامة من الادغال والإسلام والإيمان بمعنى واحد عندنا وعند المعتزلة غير ان عندهم الواجبات من افعال الجوارح من الإيمان وعندنا الإيمان من افعال القلوب الواجبة وليس من افعال الجوارح وقد شرحناه في اول البقرة والاسلام يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبي (ص) من العبادات الشرعية والاستسلام له وترك التكبر عليه فإذا قلنا ان المؤمن هو الإيمان وهو الإسلام فالإسلام هو الإيمان ونظير ذلك قولنا الإنسان بشر والإنسان حيوان على الصورة الإنسانية فالحيوان على الصورة الإنسانية بشر والاختلاف ذهاب احد النفسين إلى خلاف ما ذهب اليه الآخر فهذا الاختلاف في الاديان فاما الاختلاف في الأجناس فهو امتناع أحد الشينين أن يسد مسد الآخر فيا يرجع إلى ذاته والبني طلب الاستعلاء بالظلم وأصله من بغيت الحاجة إذا طلبتها

﴿ الإعراب ﴾

قيل في نصب قائما قولان ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ انه حال من اسم الله تعالى مؤكدة لأن الحال المؤكدة تقع مع الأسماء في غير الاشارة تقول انه زيد معروف وهو الحق مصدقا وشهد الله قائما بالقسط اي قائما بالعدل ﴿والثاني﴾ انه حال من هو من قول لا إله الا هو وبغيا نصب على وجهين ﴿٣﴾ احدهما ﴿٤﴾ على انه مفعول له والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب للبني بينهم مثل حذر الشر ونحو ذلك وقيل انه منصوب بما دل عليه وما اختلف كأنه لما قيل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب دل على وما بني الذين اوتوا الكتاب فحمل بغيا عليه

﴿ المعنى ﴾

لما قدم تعالى ذكر ارباب الدين اتبعه بذكر اوصاف الدين فقال (شهد الله انه لا إله الا هو) أي اخبر الله بما يقوم مقام الشهادة على وحدانيته من عجيب صنعه وبديع حكمته وقيل معنى شهد الله قضى الله عن ابي عبيدة قال الزجاج وحقيقته علم الله وبين ذلك فإن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه ومنه شهد فلان عند القاضي اي بين ما علمه فانه تعالى قد دل على توحيده بجميع ما خلق وبين انه لا يقدر احد ان ينشئ شيئا واحدا ما انشأه (والملائكة) اي وشهدت الملائكة بما عاينت من عظيم قدرته (واولو العلم) أي وشهد اولو العلم بما ثبت عندهم وتبين من صنعه الذي لا يقدر عليه غيره وروي عن الحسن ان في الآية تقديما وتأخيرا والتقدير شهد الله انه لا إله الا هو (قائما بالقسط) وشهدت الملائكة انه لا إله الا هو قائما بالقسط وشهد اولو العلم انه (لا إله الا هو) قائما بالقسط والعدل الذي قامت به السموات والأرض ورواه اصحابنا ايضا في التفسير واولو العلم هم علماء المؤمنين عن السدي والكافي وقيل معنى قوله قائما بالقسط انه يقوم باجراء الامور وتدبير الخلق وجزاء الأعمال بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجري افعاله على الاستقامة وانما كرر قوله لا إله الا هو لأنه بين بالاول انه المستحق للتوحيد لا يستحقه سواه وبالتالي انه القائم برزق الخلق وتدبيرهم بالعدل لا ظلم في فعله

(العزيز الحكيم) مر تفسيره وتضمنت الآية الإبانة عن فضل العلم والعلماء. لأنه تعالى قرن العلماء بالملائكة وشهادتهم بشهادة الملائكة وخصهم بالذكر كأنه لم يعدت بغيرهم والمراد بهذا العلم التوحيد وما يتعلق به من علوم الدين لأن الشهادة وقعت عليه وما جاء في فضل العلم والعلماء من الحديث ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي (ص) انه قال ساعة من عالم يتكلم على فراشه ينظر في علمه خيرا من عبادة العابد سبعين عاما. وروى انس بن مالك عنه (ص) قال تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وتذكره لأهل قرية لأنه معلم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والنار والأنيس في الوحشة والصاحب في القرية والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والقرب عند الغرباء. يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة يقتدى بهم ويقتفى آثارهم وينتهي إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجتحتها تمسحهم وفي صلاتهم تستغفر لهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيطان البحار وهوامها وسباع الارض وانعامها والسما ونجومها الا وان العلم حياة القلوب ونور الابصار وقوة الابدان يبلغ بالعبد منازل الاحرار ومجلس الملوك والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام وبه توصل الارحام والعلم امام العمل والعمل تابعه يلهم السعداء ويمرر الأشقياء. وما جاء في فضل هذه الآية ما رواه انس عن النبي (ص) قال من قرأ شهد الله الآية عند منامه خلق الله منها سبعين الف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة. الزبير بن العوام قال قلت لادنون هذه العشية من رسول الله (ص) وهي عشية عرفة حتى اسمع ما يقوله فجبست ناقتي بين ناقة رسول الله وناقة رجل كان جنبه فسمعته يقول شهد الله انه لا إله إلا هو الآية فما زال يرددتها حتى دفع. غالب القطنان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الأعمش فكنت اختلفت اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان انحدر إلى البصرة قام من الليل يتهدد فر بهذه الآية شهد الله انه لا إله إلا هو الآية ثم قال الأعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الإسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه وودعته ثم قلت آية سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال لا احذئك بها إلى سنة فكسبت على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله (ص) يحيا بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبي هذا عهدا عندي وانا احق من وفي بالعهد ادخلوا عبي هذا الجنة وقال سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنفا فلما نزلت شهد الله انه لا إله إلا هو الآية خررن سجدا وقوله (ان الدين) اي الطاعة (عند الله) هو (الإسلام) وقيل المراد بالإسلام التسليم لله ولأوليائه وهو التصديق وروي عن امير المؤمنين (ع) في خطبة له انه قال لا تسب الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل رواه علي بن ابراهيم في تفسيره قال ثم قال ان المؤمن اخذ دينه عن ربه ولم يأخذه عن رأيه ان المؤمن يعرف ايمانه في عمله وان الكافر يعرف كفرانه بانكاره ايها الناس دينكم دينكم فإن السيئة فيه خير من الحسنة في غيره ان السيئة فيه تقفر وان الحسنة في غيره لا تقبل (وما اختلف الذين اتوا الكتاب) معناه وما اختلف اليهود والنصارى في صدق نبوة محمد (ص) لما كلوا يجدونه في كتبهم بنصته وصفته ووقت خروجه (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بعد ما جاءهم العلم ثم اخبر عن علة اختلافهم فقال (بغيا بينهم) اي حسدا وتقديره وما اختلف الذين اتوا الكتاب بغيا بينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم والعلم المذكور يجوز ان يراد به البيئات التي هي طريق العلم فيدخل فيه المبتلون من أهل الكتاب علموا أو لم يعلموا ويحتمل ان يراد به نفس العلم فلا يدخل فيه إلا من علم بصفة محمد (ص) وكتمه عنادا وقيل المراد بالذين اتوا الكتاب اليهود والكتاب التوراة لما عهد موسى (ع) اليهم واقام فيهم يوشع بن نون ومضى ثلاثة قرون واختلفوا عن الربيع وقيل المراد بالذين اتوا الكتاب النصارى والكتاب الانجيل واختلفوا في امر عيسى (ع) عن محمد

ابن جعفرين الزبير وقيل خرج مخرج الجنس ومعناه كتب الله المتقدمة واختلفا بعدها في الدين عن الجاني (ومن يكفر بأيات الله) أي بحججه وقيل بالثورة والانجيل وما فيها من صفة محمد (ص) وقيل بالقرآن وما دل عليه (فإن الله سريع الحساب) أي لا يفوته شيء من أعمالهم وقيل معناه سريع الجزاء. حقيقة الصواب أن تأخذ مالك وتعطي ما عليك

قوله تعالى (٢٠) فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَصَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَّمْتُمْ فَأِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ [آية]

﴿ القراءة ﴾

حذف عاصم وحمة والكسائي الياء. من اتبعن اجتراء بالكسرة واتباعا للمصحف واثبتها الباقون على الاصل

﴿ الحجة ﴾

حذف الياء في اواخر الآي أحسن لأنها تشبه القوافي ويجوز في وسط الآي أيضا وأحسنها ما كان قبلها نون مثل قوله ومن اتبعن فإن لم يكن نون جاز أيضا نحو قواك هذا غلام. وما أشبه ذلك والاجود اثبات الياء. وإن شئت اسكنت الياء. وإن شئت فتحتها

﴿ الإعراب ﴾

ومن اتبعن في محل الرفع عطفا على التاء. في قوله أسلمت ولم يؤكّد الضمير فلم يقل أسلمت أنا ومن اتبعن ولو قلت أسلمت وزيد لم يحسن إلا أن تقول أسلمت أنا وزيد وإنما جاز هنا لطول الكلام فصار طوله عوضا من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل

﴿ المعنى ﴾

لما قدم الله سبحانه ذكر الإيمان والاسلام خاطب نبيه فقال (فإن حاجوك) المعنى فإن حاجك وخاصك النصارى وهم وفد نجران (فقل) يا محمد (أسلمت وجهي لله) وفيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه انتقلت لأمر الله في اخلاص التوحيد له والحجة فيه انه الزمهم على ما اقروا من ان الله خالقهم اتباع أمره في ان لا يعبدوا إلا اياه ﴿ والثاني ﴾ ان معناه اعرضت عن كل معبود دون الله واخلصت قصدي بالعبادة اليه وذكر الأصل الذي يلزم جميع المكلفين الاقرار به لأنه لا يتبعض فبما يحتاج إلى العمل عليه في الدين الذي هو طريق النجاة من العذاب إلى النعم ومعنى وجهي هنا نفسي وأضاف الإسلام إلى الوجه لأن وجه الشيء أشرف ما فيه لأنه يجمع الحواس وعليه يظهر آية العز والسرور فمن اسلم وجهه فقد اسلم كله ومنه قوله كل شيء هالك إلا وجهه (ومن اتبعني) أي ومن اهتدى بي في الدين من المسلمين فقد أسلموا أيضا كما أسلمت (وقل) يا محمد (للذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والأُمِّيِّينَ) أي الذين لا كتاب لهم عن ابن عباس وغيره وهم مشركو العرب وقد مر تفسير الأُمِّيِّينَ واشتقاقه عند قوله ومنهم أميون (أسلمتم) أي أخلصتم كما أخلصت لفظ الاستفهام وهو بمعنى التوقيف والتهديد فيكون متضمنا للأمر فيكون معناه أسلموا فإن الله تعالى أراح العليل وأوضح السبل ونظيره فهل أنتم متبهون أي انتهوا وهذا كما يقول الانسان لغيره وقد وعظه بمواعظ أقبلت وعظي يدعوه إلى قبول الوعظ (فإن أسلموا فقد اهتدوا) إلى طريق الحق (وإن تولوا) أي كفروا ولم يقبلوا وأعرضوا عنه (فإنما عليك البلاغ) معناه فإنما عليك أن تبلغ وتقيم الحجة وليس عليك ان لا يتولوا

(والله بصير بالعباد) معناه هاهنا انه لا يفوته شيء من أعمالهم التي يجازيهم بها لأنه بصير بهم أي عالم بهم وبسرائرهم لا يخفى عليه خافية وقيل معناه عالم بما يكون منك في التبليغ ومنهم في الإيمان والكفر
 قوله تعالى (٢١) **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ [آياتنا]**

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة يقاتلون بالالف وقيل إننا قرأها اتباعا لمصحف عبد الله بن مسعود لأن فيه وقاتلوا الذين يأمرون والباقون يقتلون وهي القراءة الفاضلة

﴿ الإعراب ﴾

إنما دخلت الفاء في قوله فبشرهم لشبه الجزاء وإن لم يجز ليت الذي يقوم فيكرمك وجزاء الذي يقوم فيكرمك لأن الذي إننا دخلت الفاء في خبرها لما في الكلام من معنى الجزاء وليت تبطل معنى الجزاء وليس كذلك ان لأنها بمنزلة الابتداء

﴿ المعنى ﴾

لا قدم سبحانه ذكر الاحتجاج على أهل الكتاب وحسن الوعد لهم ان اسلموا وشدة الوعيد ان ابوا فصل
 ١. الآية كفرهم فقال (ان الذين يكفرون) اي يحدون حجج الله تعالى وبيناته (ويقتلون النبيين) قيل هم اليهود فقد روي عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة فقال رجل قتل نبيا او رجلا امر معروف او نهى عن منكر ثم قرأ (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) ثم قال (ع) يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكره الله تعالى (فبشرهم بعذاب اليم) اي اخبرهم بأن لهم العذاب الأليم وإنما قال بشرهم على طريق الاتساع والاستمارة والبشارة تكون في الخير دون الشر لأن ذلك لهم مكان البشارة للمؤمنين ولأنها مأخوذة من البشرة وبشرة الوجه تتغير بالسرور في الخير وبالغم في الشر ويقال كيف قال فبشرهم وإنما قتل الأنبياء اسلافهم فالجواب لأنهم رضوا بافعالهم واقتدوا بهم فأجلوا معهم وقيل معناه بشر هولاء بالعذاب الليم لأسلافهم وقوله بغير حق لا يدل على ان قتل النبيين ما هو حق بل المراد بذلك ان قتلهم لا يكون إلا بغير حق كقوله ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به والمراد بذلك تأكيد النفي والمبالغة فيه كما يقال فلان لا يرجي خيره والقرض في ذلك انه لا خير عنده على وجه من الوجوه وكما قال ابو ذؤيب

متفلق انشاؤها عن قاني فالقرطصاء وغيره لا يرضع

اي ليس له بقية لبن فيرضع وعلى هذا فقد وصف القتل بما لا بد ان يكون عليه من الصفة وهو وقوعه على خلاف الحق وكذلك الدعاء في قوله تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به وصفه بأنه لا يكون إلا من غير برهان وقد استدلل علي بن عيسى بهذه الآية على جواز انكار المنكر مع خوف القتل وبالخبر الذي رواه الحسن عن النبي (ص) انه قال افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر يقتل عليه وهذا فيه نظر لأن من شرط حسن انكار المنكر أن لا يكون فيه مفسدة ومتى ادى إلى القتل فقد انتفى عنه هذا الشرط فيكون قبيحا

والوجه في الآية والأخبار التي جاءت في معناها ان يغلب على الظن ان انكار المنكر لا يؤدي إلى مفسدة فيحسن ذلك بل يجب وان يعقبه القتل لأنه ليس مسن شرطه ان يعلم ذلك بل يكفي فيه غلبة الظن (او أنك الذين كفروا بآيات الله) وقتلوا الأنبياء والأمرين بالمعروف (وحبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) يريد بأعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتوراة واقامة شريعة موسى (ع) واراد ببطلاتها في الدنيا انها لم تحقق دعاءهم وامرهم ولم ينالوا بها الثناء والمدح وفي الآخرة انهم لم يستحقوا بها مشوبة فصارت كأنها لم تكن لأن حبوط العمل عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب والأجر والمدح وحسن الذكر وانما تحبط الطاعة حتى تصير كأنها لم تفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به (وما لهم من ناصرين) يدفعون عنهم العذاب

قوله تعالى (٢٣) ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون (٢٤) ذلك يا أيها الذين آمنوا كنتمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون [آياتان]

﴿ اللغة ﴾

النصيب الحظ من الشيء وهو القسم المجهول لمن اضيف اليه والدعاء استدعاء الفعل ثم قد يكون بصيغة الامر وبالخبير وبالادلة والحكم والخبير الذي يفصل الحق من الباطل مأخوذ من الحكمة وهي المنع والغرور الاجتماع فيما لا يصح غره يغره غرور فهو مغرور والغرور الشيطان لأنه يغر الناس والغار الغافل لأنه كالمغتر والغرارة الدنيا تغر اهلها والغر العمر الذي لم يجرب الامور ومصده الغرارة لأنه من شأنه ان يقبل الغرور والغرور الخطر اخذ منه والغر آثار طبي الثوب اطوه على غره اي على آثار طبيه والفرزق الطائر فرخه والافتراء الكذب وفري فلان كذبا يغريه فرية والفري الشق وفرية مفرية اي مشقوقة وقد تفرى خرزها اي تشقق وفريت الارض سرتها وقطعتها

﴿ الإعراب ﴾

يدعون جملة في موضع الحال من اوتوا يتولى فريق جملة معطوفة على يدعون وهم معرضون في موضع نصب ايضا على الحال من يتولى اياما نصب على الظرف لأن مس النار يكون في تلك الايام ومعدودات صفة الايام

﴿ المعنى ﴾

لما قدم تعالى ذكر الحجاج بين انهم اذا عظمهم الحجبة فروا الى الضجة واعرضوا عن المحجة فقال (ألم تر) معناه ألم ينته عليك (الى الذين اوتوا نصيباً) اي اعطوا نصيباً اي حفظا من الكتاب يدعون الى كتاب الله اختلف فيه فقيل معناه التورية عن ابن عباس دعا اليها اليهود فلما علمهم بلزوم الحجبة لهم لما فيه من الدلالات على نبوة محمد (ص) وصدقه وانما قال اعطوا نصيباً من الكتاب لانهم كانوا يعلمون بعض ما فيه وقيل معناه القرآن عن الحسن وقتادة دعوا الى القرآن لأن ما فيه موافق لما في التورية من اصول الديانة واركان الشريعة وفي الصفة التي تقدمت البشارة بها (ليحكم بينهم) يشمل ثلاثة اشياء احدها ان معناه ليحكم بينهم في نبوة محمد (ص) عن ابي مسلم وجاعة والثاني ان معناه ليحكم بينهم في امر ابراهيم وان دين الاسلام والثالث معناه ليحكم بينهم في امر الرجم فقد روي عن ابن عباس ان رجلا وامرأة من اهل خيبر زنيا وكانا ذوي شرف فيهم وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمها لشرفها ورجوا ان يكون عند رسول الله رخصة في امرها فرفضوا امرها الى

رسول الله فحكم عليها بالرجم فقال له النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو جرت عليها يا محمد ليس عليها الرجم فقال لهم رسول الله بيني وبينكم التوراة قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكمم بالتوراة قالوا رجل اعرب يسكن فذلك يقال له ابن صوريا فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبرائيل قد وصفه لرسول الله فقال له رسول الله انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله بشي من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال ابن سلام يارسول الله قد جاوزها وقام الى ابن صوريا ورفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله (ص) وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليها البينة رجما وان كانت المرأة حبلية تنتظر بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله (ص) باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فانزل الله تعالى هذه الآية (ثم يتولى فريق منهم) أي طائفة منهم عن الداعي (وهم معرضون) عن اتباع الحق (ذاك) معناه شأنهم ذلك فهو خبر مبتدأ محذوف فأنه تعالى بين العلة في امراضهم عنه مع معرفتهم به والسبب الذي جرأهم على الجحد والانكار (بأنهم قالوا لن تمسنا النار) أي لن تصيبنا النار (إلا اياماً معدودات) وفيه قولان احدهما انها الايام التي عبدوا فيها العجل وهي اربعون يوماً عن الربيع وقتادة والحسن الا ان الحسن قال سبعة ايام والثاني انهم ارادوا اياماً منقطعة عن الجبائي (وغيرهم في دينهم) أي اصمهم في غير طمع (ما كانوا يفترون) أي افترواهم وكذبهم واختلفوا في الافتراء الذي غرهم على قولين احدهما قولهم نحن ابناؤه الله واحبائه عن قتادة والآخر قولهم لن تمسنا النار الا اياماً معدودات عن مجاهد وهذا لا يدل على خلاف ما يذهب اليه من جواز العفو واخراج المعاقبين من اهل الصلاة من اهل النار لأننا نقول ان عقاب من ثبت دوام ثوابه بايانه لا يكون الا منقطعاً وان لم يحط علماً بقدر عقابه ولا نقول ايام عقابه بعدد ايام عصيانه كما قالوا وبين القولين بون ظاهر

قوله تعالى (٢٥) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [آية]

﴿ اللغة ﴾

كيف موضوعة للسؤال عن الحال ومعناه هاهنا التنبيه بصيغة السؤال على حال من يساق الى النار وفيه بلاغة واختصار شديد لأن تقديره أي حال يكون حال من اعتر بالدعاوى الباطلة حتى اداه ذلك الى الخلود في النار وتظيره قول القائل (انا كرمك وان لم تحي فكيف اذا جنتي) معناه فكيف اكرامي لك اذا جنتي يريد اعظم الاكرام والتقدير فكيف حالهم اذا جمعناهم أي في وقت جمعهم لأنه خبر مبتدأ محذوف

﴿ المعنى ﴾

ثم اكد سبحانه ما تقدم فقال (فكيف) حالهم (اذا جمعناهم) أي وقت جمعهم وحشرهم (ليوم) أي جزء يوم (لا ريب فيه) لا شك فيه لمن نظر في الأدلة اذ ليس فيه موضع ريبه وشك ولو قال جمعناهم في يوم لم يدل على الجزء واللام يدل على ذلك كما يقال جنته ليوم الخميس أي لما يكون في يوم الخميس ولا يعطى جنته في يوم الخميس هذا المعنى (ووفيت كل نفس ما كسبت) فيه قولان احدهما ان معناه ووفرت على كل نفس جزء ما كسبت من ثواب او عقاب والثاني اعطيت ما كسبت أي اجتلبت بعملها من الثواب والعقاب كما يقال كسب فلان المال بالتجارة والزراعة (وهم لا يظلمون) أي لا ينقصون عما استحقوه من الثواب ولا يزدون على ما استحقوه من العقاب

قوله تعالى (٢٦) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يُبَدِّلُ الْخَيْرُ أُنْكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٧) تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [آيتان]

﴿ فضل الآية ﴾

روى جعفر بن محمد (ع) عن ابيه عن آبائه عن النبي (ص) انه قال لما اراد الله ان ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهادته وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن بارب تهبطننا إلى دار الذنوب والى من يعصيك ونحن معلقات بالطهور والعرش فقال وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن في دير كل صلاة مكتوبة إلا اسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه وإلا نظرت اليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين نظرة والاقضية له في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة والا اعذته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنع دخول الجنة إلا ان يموت وقال معاذ بن جبل احتسبت عن رسول الله يوما لم اصل معه الجمعة فقال يا معاذ ما يمنعك عن صلاة الجمعة قلت يا رسول الله كان ليوحنا اليهودي علي اوقية من تبر وكان علي باي يرصدني فاشفقت ان يجسني دونك قال اتحب يا معاذ ان يقضي الله دينك قلت نعم يا رسول الله قال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء إلى قوله بغير حساب يا رحمان الدنيا ورحيمها تعطي منها ما تشاء وتمنع منها ما تشاء اقض عني ديني فإن كان عليك مل الأرض ذهباً لأداه الله منك

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحزمة والكسائي وحفص ويعقوب الميت بالتشديد الباقون بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال المبرد لا خلاف بين علماء البصرة انها سواء وأنشد لابن رعدة النسائي

ليس من مات فاستراح يميت وإنما الميت ميت الأحياء

أما الميت من يعيش كثيراً كاسفاً باله قليل الرجاء

فجمع بين اللتين وما مات وما لم يميت في هذا الباب يستويان في الاستعمال وقال بعضهم الميت بالتشديد الذي لم يميت بعد وبالتخفيف الذي قد مات والصحيح الاول ألا ترى انه قل ما جاء.

ومنهل فيه الغراب يميت سقيت منه القوم واستقيت

فهذا قد مات

﴿ اللغة ﴾

الترع قلع الشيء عن الشيء يقال ترع فلان إلى اخواله أي ترع اليهم بالشبه فصار واحدا منهم بشبه لهم والنزاع الحنين إلى الشيء والنزوع عن الشيء التترك له الايلاج الادخال يقال اولجه فريج ولوجا وولجا وولجة والوليجه بطانة الرجل لأنه يطلعه على دخلة أسره والتولج كناس التلبي لأنه يدخله والولج والولجة شيء يكون بين يدي فناء القوم

* الإعراب *

اللهم بمعنى يا الله والميم المشددة عند سيبويه والحليل عرض عن لأن يا لا يوجد مع الميم في كلامهم فلم ان الميم في آخر الكلمة بمنزلة يا في اولها والضممة التي في اولها ضمة الاسم المنادى المفرد والميم مفتوحة لسكونها وسكون الميم التي قبلها وقال الفراء. اصله يا الله ام يجيز فالتعريف الهمزة وطرحت حركتها على ما قبلها ومثله علم انما اصله هل ام واعترض على قول الخليل بان الميم انما تراد مخففة في مثل قم وانهم وبأنها اجتمعت مع يا في قول الشاعر وما عليك ان تقولي كلما
سبحت او صليت يا اللهم

اردد علينا شيخنا مسلما

وقال علي بن عيسى هذا ليس بشي لأن الميم هاهنا عوض من حرفين فشددت كما قيل قمتن وضربتن لما كانت التون عوضا من حرفين في قمتن أو ضربتموا فاما قمتن وذهبتن فالتون هناك عوض عن حرف واحد وأما البيت فإنما جاز ذلك فيه لضرورة الشعر واما علم فإن الأصل فيه ان حرف التنبيه وهي ها دخلت على لم عند الخليل وقوله مالك الملك اكثر النحويين على انه منصوب بانه منادى مضافا قال الزجاج ويحتمل ان يكون صفة من اللهم لأن اللهم بمنزلة يا الله فيكون مثل قولك يا زيد ذو الجبة توتي الملك فعل وفاعل ومفعول في موضع النصب على الحال والفاعل فيه حرف النداء وذو الحال اللهم او مالك ومن تشاء. مفعول ثان والتقدير توتي الملك من تشاء. ان توتي وتنزح الملك من تشاء ان تنزعه منه وكذا الباء في بيدك الخير مبتدأ وخبر في موضع الحال ايضا والفاعل فيه توتي وتنزح وتمز وتذل وذو الحال الضمير المستكن فيها

* النزول *

قيل لما فتح رسول الله (ص) مكة ووعده امته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات من اين لمحمد (ص) ملك فارس والروم ألم يكفه المدينة ومكة حتى طمع في الروم وفارس ونزلت هذه الآية عن ابن عباس وانس ابن مالك وقيل ان النبي (ص) خط الحندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منافق قال النبي (ص) سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة ونعمان ابن مقرن المرني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذي ناب اخرج الله من بطن الحندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله (ص) واخبره خبر هذه الصخرة فإما ان نعدل عنها فإن المعدل قريب واما ان يأمرنا فيه بأمره فإننا لا نحتاج ان نجاوز خطه قال فرقي سلمان إلى رسول الله وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الحندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يمتك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فإننا لا نحب ان نجاوز خطك قال فهبط رسول الله (ص) مع سلمان الحندق والتسعة على شفة الحندق فأخذ رسول الله (ص) المعول من يد سلمان فضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتها حتى كان لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثانية فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتها حتى كان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثالثة فكسرها فبرق منها برق اضاء بها ما بين لابتها حتى كان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبير فتح وكبر المسلمون واخذ بيد سلمان ورقي فقال سلمان بأبي انت وامي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت منك قط فالتفت رسول الله (ص) إلى القوم وقال رأيتهم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي

الاولى فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها انياب الكلاب فأخبرني جبرائيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور الحير من ارض الروم كأنها انياب الكلاب واخبرني جبرائيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها انياب الكلاب واخبرني جبرائيل ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعدهم وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون بئسكم ويعدم الباطل ويخبركم انه يبصر من يشرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الحندق من الفرق ولا تستطيعون ان تبرزوا فنزل القرآن واذ يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله في هذه القصة قل اللهم مالك الملك توتى الملك الآية رواه الثعلبي باسناده عن عمرو بن عوف

المعنى

لما ذكر سبحانه مكابد اهل الكتاب علم رسوله حاجتهم وكيف يجيبهم إذا سألوا واجابوا فقال (قل) يا محمد (اللهم) يا الله (مالك الملك) مالك كل ملك وملك كل مالك دونك هالك وكل ملك دونك يهلك وقيل مالك العباد وما ملكوا عن الزجاج وقيل مالك أمر الدنيا والآخرة وقيل مالك النبوة عن مجاهد وسعيد بن جبير (توتى الملك من تشاء) تعطي الملك من تشاء وفيه محذوف اي من تشاء ان توتيه وتنزع الملك من تشاء ان تنزعه منه كما تقول أخذ ما شئت ودع ما شئت ومعناه وتقطع الملك عن تشاء ان تقطعه عنه على ما توجه الحكمة وتقضيه المصلحة واختلف في معناه فقيل توتى الملك واسباب الدنيا محمدا واصحابه وامته وتنزعه عن صناديد قريش ومن الروم وفارس فلا تقوم الساعة حتى يفتحها اهل الإسلام عن الكلبي وقيل توتى النبوة والإمامة من تشاء من عبادك وتولية التصرف في خلقك وبلادك تنزع الملك على هذا الوجه من الجبارين بقهرهم وازالة ايديهم فإن الكافر والفاسق وان غلب أو ملك فليس ذلك بملك يوتيه الله لقوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين وكيف يكون ذلك من ايتاء الله وقد امر بقصر يده عنه وازالة ملكه (وتعز من تشاء) بالايان والطاعة وتذل من تشاء) بالكفر والمعاصي وقيل تعز المؤمن بتغليبه والثنا عليه وتذل الكافر بالجزية والسبي وقيل تعز محمدا واصحابه وتذل ابا جهل واضرابه من المعتولين يوم بدر في القلب وقيل تعز من تشاء من أوليائك بانواع العزة في الدنيا والدين وتذل من تشاء من اعدائك في الدنيا والآخرة لأن الله تعالى لا يذل اوليائه وان افقرهم وابتلاهم فإن ذلك ليس على سبيل الإذلال بل ليكرمهم بذلك في الآخرة يعزهم ويجلهم غاية الإعزاز والاجلال (بيدك الخير) اللامر للجنس اي الخير كله في الدنيا والآخرة من قبلك وانما قال بيدك الخير وان كان بيده كل شيء من الخير والشر لأن الآية تضمنت ايجاب الرغبة اليه فلا يحسن في هذه الحالة إلا ذكر الخير لأن الترغيب لا يكون إلا في الخير وهذا كما يقال امر فلان بيد فلان (انك على كل شيء قدير) اي قادر على جميع الأشياء لا يعجزك شيء تقدر على ايجاد المعدوم وافناء الموجود واعادة ما كان موجودا (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل) قيل في معناه قولان ﴿احدها﴾ ان معناه ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة في النهار وينقص من النهار فيجعل ذلك النقصان زيادة في الليل على قدر طول النهار وقصره عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعامة المفسرين ﴿والآخر﴾ معناه تدخل احدهما في الآخر باتيانه بدلا منه في مكانه عن ابي علي الجبائي (وتخرج الحي من الميت) اي من النطفة وهي ميتة بدليل قوله وكنتم امواتا فأحياكم (وتخرج الميت من الحي) اي النطفة من الحي وكذلك الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والسدي وقيل ان معناه تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن عن الحسن وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) والي عبد الله (ع) (وترزق من تشاء بغير حساب) معناه بغير تقدير

كما يقال فلان يتفق بغير حساب لأن من عادة المقتر ان لا يتفق إلا بحساب ذكره الزجاج وقيل معناه بغير مخالفة نقصان لما عنده فإنه لا نهاية لمقدوراته فما يؤخذ منها لا ينقصها ولا هو على حساب جز. من كذا كما يعطي الواحد منا العشرة من المائة والمائة من الألف وقيل ان المراد بن يشاء ان يرزقه اهل الجنة لأنه يرزقهم رزقا لا يتناوله الحساب ولا العد ولا الإحصاء من حيث انه لا نهاية له وبطابقه قوله فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب

قوله تعالى (٢٨) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْيَةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ [آية]

❖ القراءة ❖

قرأ يعقوب وسهل تقية وهو قراءة الحسن ومجاهد والباقون تقاة وامال الكسائي تقاة وقرأ نافع وحزمة بين التفضيم والإمالة والباقون بالتفضيم

❖ الحجة ❖

الاجود في تقاة التفضيم من اجل الحرف المستعلي وهو القاف وانما جازت الإمالة لتوذن ان الالف منقلبة من الياء وتقاة وزنها فعلة نحو تودة وتحمة فها جيمها مصدر تقى تقيه وتقاة واتقاء وتقوى واصلا وقاء. الا ان الواو المضومة ابدلت ياء استتقالا لها فإنهم يفرون من ضمة الواو الى الهزة والى التاء. فاما التاء فلقريرها من الواو مع انها من حروف الزيادات وأما الهزة فلأنها نظيرتها في الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها اولا والتقية الاظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب للخوف على النفس

❖ الاعراب ❖

معنى من ابتداء الغاية من قوله من دون المؤمنين على تقدير لا تجعلوا ابتداء الولاية مكانا دون المؤمنين لأن مكان المؤمن الاعلى ومكان الكافر الادنى كما تقول زيد دونك ولست تريدان زيدا في موضع متسفل وانه في في موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع والحسة كالسفال وقوله فليس من الله في شيء من في من الله يتعلق بمحذوف وهو حال والعامل فيه ما يتعلق به في وتقديره فليس في شيء من الله فمن الله في موضع الصفة لشيء فلما تقدمه انتصب على الحال وقوله ان تتقوا في محل الجرياء. محذوف أوفى محل النصب بمحذوف الباء على ما مر امثاله

❖ المعنى ❖

لما بين سبحانه انه مالك الدنيا والآخرة والقادر على الاعزاز والاذلال نهى المؤمنين عن موالاته من لا اعزاز عندهم ولا اذلال من اعدائه ليكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه المؤمنين دون اعدائه الكافرين فقال (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) أى لا ينبغي للمؤمنين ان يتخذوا الكافرين اولياء. لنفوسهم وان يستعينوا بهم ويلتجئوا اليهم ويظهروا المحبة لهم كما قال في عدة مواضع من القرآن نحو قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء. ولا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء. وقوله (من دون المؤمنين) معناه يجب ان يكون الموالاته مع المؤمنين وهذا نهى عن موالاته الكفار ومعاقبتهم على المؤمنين وقيل نهى عن ملاطفة الكفار عن ابن عباس والاولياء جمع الولي وهو الذي يأمر من ارتضى فعله بالمعونة والنصرة

ويجزي على وجهين ﴿أحدهما﴾ المعين بالنصرة ﴿والآخر﴾ الممان فقوله تعالى ولي الذين آمنوا معناه معينهم بنصرته ويقال المؤمن ولي الله أي معان بنصرته وقوله (ومن يفعل ذلك) معناه من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين (فليس من الله في شيء) أي ليس هو من أولياء الله والله بريء منه وقيل ليس هو من ولاية الله تعالى في شيء وقيل ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال إلا أن تتقوا منهم تقاة والمعنى إلا أن يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن أن لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم فعند ذلك يجوز له اظهار مودتهم بلسانه ومداراتهم تقيه منه ودفعاً عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك وفي هذه الآية دلالة على أن التقيه جائزة في الدين عند الخوف على النفس وقال اصحابنا انها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة وربما وجبت فيها الضرب من اللطف والاستصلاح وليس تجوز من الأفعال في قتل المؤمن ولا يعلم أو يغلب على الظن انه استفساد في الدين قال المفيد انها قد تجب أحياناً ويكون فرضاً ويجوز أحياناً من غير وجوب وتكون في وقت افضل من تركها وقد يكون تركها أفضل وإن كان فاعلها معذوراً ومعفوا عنه متفضلاً عليه بترك اللوم عليها وقال الشيخ ابو جعفر الطوسي (قدمه) ظاهر الروايات تدل على انها واجبة عند الخوف على النفس وقد روي رخصة في جواز الافصاح بالحق عنده وروي الحسن ان مسيلة الكذاب اخذ رجلين من اصحاب رسول الله (ص) فقال لأحدهما اتشهد بأن محمداً رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله فقال نعم ثم دعا بالآخر فقال اتشهد ان محمداً رسول الله قال نعم ثم قال اتشهد اني رسول الله فقال اني اصم قالها ثلاثاً كل ذلك يحجبه بثل الأول فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول الله فقال اما ذلك المقتول فمضى على صدقه وبقينه واخذ بفضله فهيننا له واما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعه عليه فعلى هذا تكون التقيه رخصة والافصاح بالحق فضيلة وقوله (ويحذركم الله نفسه) يعني اياه فوضع نفسه مكان اياه ومعناه ويحذركم الله عقابه على اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين وعلى سائر المعاصي وذكر (نفسه) لتحقيق الاضافة كما يقال احذر الأسد أي صولته واقتراسه دون عينه (وإلى الله المصير) ومعناه وإن جزاء الله المرجع وقيل إلى حكمه

قوله تعالى (٢٩) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آية]

﴿ اللغة ﴾

الصدر معروف وهو اعلى مقدمة كل شيء والصدر الانصراف عن الماء بعد الري والتصدير حزام الرجل ليليه إلى الصدر والصدار شبيهه بالبقيرة تلبسها المرأة لأنه قصير يغطي الصدر وما حاذاه

﴿ الاعراب ﴾

يعلمه الله جزم لأنه جواب الشرط وان كان الله يعلمه كان اولم يكن ومعناه يعلمه كأننا ولا يصح وصفه بذلك قبل ان يكون ورفع ويعلم ما في السموات على الاستئناف

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم النهي عن اتخاذ الكفار أولياء لا خوفاً من الابطان بخلاف الاظهار فيما نهوا عنه فقال سبحانه (قل) يا محمد (ان تخفوا) أي ان تستروا (ما في صدوركم) يعني ما في قلوبكم وانما ذكر الصدر لأنه محل القلب (او تبدوه) أي تظهروا (يعلمه الله) فلا ينفعكم اخفائه وهو مع ذلك يعلم ما في السموات وما في الأرض) وانما قال ذلك ليذكر بعلومه انه على التفصيل فيتم التحذير إذ كان من يعلم ما في السموات

وما في الأرض على التفصيل يعلم الضمير (والله على كل شيء قدير) فيقدر على اخذكم ومجازاتكم

قوله تعالى (٣٠) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الأمدة الناية التي ينتهي إليها قال النابتة

الا لملك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد

﴿ الإعراب ﴾

في انتصاب يوم وجوه ﴿٣٠﴾ أحدها ﴿٣٠﴾ أنه منصوب بيحذركم أي يحذركم الله نفسه يوم تجد ﴿٣٠﴾ والثاني ﴿٣٠﴾ بالمصير تقديره إلى الله المصير يوم تجد ﴿٣٠﴾ والثالث ﴿٣٠﴾ اذكر يوم تجد وقوله ما عملت ما هاهنا بمعنى الذي لأنه عمل فيه تجد فهي في موضع نصب ويحتمل أن يكون مع ما بعدها بمعنى المصدر وتقديره يوم تجد كل نفس عملها بمعنى جزاء عملها محضرا منصوب على الحال من تجد إذا جعلته من الوجدان فإن جعلته من العلم فهو مفعول ثان وقوله وما عملت من سوء يصلح فيها معنى الذي ويقويه قوله يود بالرفع ولو كان بمعنى الجزاء لكان تود مفتوحا أو مكسورا والرفع جائز على ضعف وأقول إن جواب لو هنا محذوف وتقدير الكلام تود أن بينها وبينه أمدا بعيدا أو ثبت ذلك لأن لو يقتضي الفعل ولا يدخل على الاسم وإن مع اسمه وخبره بمثالة مصدر فيكون تقديره لو ثبت أن بينها وبينه أمدا بعيدا فيكون في ذكر فاعل الفعل القدر بعد لو دلالة على مفعول تود المحذوف وفي لفظ تود دلالة على جواب لو هذا مما سنع لي الآن وهو واضح بحمد الله تعالى ومنه

﴿ المعنى ﴾

لما حذر العقاب في الآية المتقدمة بين وقت العقاب فقال (يوم تجد كل نفس ما عملت) في الدنيا (من) طاعة و (خير محضرا) ونظيره قوله ووجدوا ما عملوا حاضرا وعملت نفس ما أحضرت ثم اختلفت في كيفية وجود العمل محضرا فقيل تجد صحائف الحسنات والسيئات عن أبي مسلم وغيره وهو اختيار القاضي وقيل ترى جزاء عملها من الثواب والعقاب فأما أعمالهم فهي أعراض قد بطلت ولا يجوز عليها الإعادة فيستحيل أن ترى محضرة (وما عملت من سوء) معناه تجد كل نفس الذي عملته من معصية محضرا (تود لو أن بينها وبينه) أي بين معصيتها (أمدا بعيدا) أي غاية بعيدة أي تود أنها لم تكن فعلها وقيل معناه مكانا بعيدا عن السدي وقيل ما بين المشرق والمغرب عن مقاتل (ويحذركم الله نفسه) قد مر ذكره (والله رؤوف بالعباد) أي رحيم بهم قال الحسن ومن قام رأفته بهم إن حظرهم عقابه على معاصيه

قوله تعالى (٣١) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٢) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

المحبة هي الإرادة إلا أنها تضاف إلى المراد ثمة وإلى متعلق المراد أخرى تقول أحب زيدا وأحب إكرام زيد ولا تقول في الإرادة ذلك لأنك تقول أريد إكرام زيد ولا تقول أريد زيدا وإنما كان كذلك لقوة تصرف

المحبة في موضع ميل الطباع الذي يجري مجرى الشهوة فعملت تلك المعاملة في الاضافة ومحبة الله تعالى للعبد هي ارادة ثوابه ومحبة العبد لله هي ارادته لطاعته وقالوا أحببت فلانا فهو محبوب استغنوا به عن محب كما استغنوا بأحببت عن حبيت وقال عنقرة

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

فجا. به على الأصل وحكى الزجاج عن الكسائي حبيت من الثلاثي وقوله ويفرركم لا يجوز في القياس إدغام الراء في اللام كما يقال ادغام اللام في الراء في هل رأيت لأن الراء مكررة ولا يدغم الزائد في الناقص للإخلال بالطاعة واتباع الداعي فيما دعاه اليه بأمره أو إرادته ولذلك قد يكون الإنسان مطيعا للشيطان فيما يدعو اليه وإن لم يقصد ان يعطيه لأنه إذا مال مع ما يجده في نفسه من الدعاء إلى المعصية فقد أطاع الداعي اليها

﴿ النزول ﴾

قال محمد بن جعفر الزبير نزلت الآياتان في وفد نجران من النصارى لما قالوا إنا نعظم المسيح جبا لله

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ان الايمان به لا يجدي إلا إذا قارنه الايمان برسوله (ص) فقال (قل) يا محمد (إن كنتم تحبون الله) كما تزعمون (فاتبعوني يحببكم الله ويفرركم ذنوبكم) وقيل معناه إن كنتم تحبون دين الله فاتبعوا ديني يزدد لكم جبا عن ابن عباس وقيل إن كنتم صادقين في دعوة محبة الله تعالى فاتبعوني فإنكم إن فعلتم ذلك أحبكم الله ويفرركم (والله غفور رحيم) أي كثير المغفرة والرحمة (قل أطيعوا الله والرسول) أي قل يا محمد إن كنتم تحبون الله كما تدعون فأظهروا دلالة صدقكم بطاعة الله وطاعة رسوله فذلك امانة صدق الدعوى (فإن تولوا) أي فإن عرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله (فإن الله لا يحب الكافرين) معناه أنه يبغضهم ولا يريد ثوابهم فدل بالنفي على الإثبات وذلك أبلغ لأنه لو قال يبغضهم لجاز أن يتوهم أنه يبغضهم من وجه ويحبهم من وجه آخر كما يجوز أن يعلم الشيء من وجه ويجهل من وجه وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأنه إذا لم يحب الكافرين من أجل كفرهم ولم يرد ثوابهم لذلك فلا يريد إذا كفرهم لأنه لو أرادهم لم يكن نفي محبته لهم لكفرهم

قوله تعالى (٣٣) إن الله اصطفى آدمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ

(٣٤) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

الاصطفا. الاختيار والاجتبا. نظائر وهو اقتل من الصفة وهذا من أحسن البيان الذي يمثل به المعلوم بالمرئي وذلك ان الصافي هو النقي من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافي من سائر الأدناس وقد بينا معنى الآل فيما مضى عند قوله وإذ نجيناكم من آل فرعون الآية ومعنى الذرية وأصلها عند قوله ومن ذريتي

﴿ الاعراب ﴾

يحتل نصب فدية على وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون حالا والعامل فيها اصطفي ﴿ والثاني ﴾ أن يكون على البذل من مطروف اصطفي

﴿ المعنى ﴾

(إن الله اصطفى) أي اختار واجتبي (آدم ونوحا) لنبوته (وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) أي على عالمي زمانهم بأن جعل الأنبياء منهم وقيل اختار دينهم كقوله وأسئل القرية عن القراء وقيل اختارهم بالتفضيل على غيرهم بالنبوة وغيرها من الأمور الجليلة التي رتبها الله لهم في ذلك من مصالح الخلق وقيل اختار آدم بأن خلقه من غير واسطة وأسكنه جنته وأسجد له ملائكته وأرسله إلى الملائكة والإنس واختار نوحاً بالنبوة وطول العمر واجابة دعائه وغرق قومه ونجاته في السفينة واختار ابراهيم بالحلقة وتبريد النار واهلاك نمرود وقوله وآل ابراهيم وآل عمران قيل أراد به نفس ابراهيم ونفس عمران كقوله وبقيّة ما ترك آل موسى وآل هارون يعني موسى وهارون وقيل آل ابراهيم اولاده اسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وفيهم داود وسليمان ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وفيهم نبينا لأنه من ولد اسماعيل وقيل آل ابراهيم هم المؤمنون المتسكون بدينه وهو دين الإسلام عن ابن عباس والحسن وأما آل عمران فقيل هم من آل ابراهيم ايضاً كما قال (ذرية بعضها من بعض) فهم موسى وهارون ابنا عمران وهو عمران بن بصير بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقيل يعني بآل عمران مريم وعيسى وهو عمران بن المشم بن امون من ولد سليمان بن داود وهو أبو مريم لأن آل الرجل أهل البيت الذي ينتسب اليه عن الحسن ووهب وفي قراءة أهل البيت وآل محمد (ع) على العالمين وقالوا ايضاً ان آل ابراهيم هم آل محمد (ص) الذين هم أهلهم ويجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح لأنه تعالى لا يختار ولا يصطفى إلا من كان كذلك ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوماً من آل ابراهيم وآل عمران سواء كان نبياً أو إماماً ويقال الاصطفاء على وجهين ﴿ احدهما ﴾ انه اصطفاه لنفسه أي جعله خالصاً له يختص به ﴿ والثاني ﴾ انه اصطفاه على غيره أي اختصه بالتفضيل على غيره وعلى هذا الوجه معنى الآية فإن قيل كيف اختصهم الله بالتفضيل قبل العمل فالجواب انه إذا كان المعلوم ان صلاح المكلفين لا يتم إلا بهم فلا بد من تقديم البشارة بهم والاختبار بما يكون من حسن شأنهم وأفعالهم والتشويق اليهم كما يكون من جلالة اقدارهم وزكاهم خلاصاً ليكون ذلك داعياً للناس إلى القبول منهم والانتقاد لهم وفي هذه الآية دلالة على تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم أجمعين الصلاة والسلام لأن العالمين يعم الملائكة وغيرهم من المخلوقين وقد فضلهم سبحانه واختارهم على الكل وقوله (ذرية) أي اولادا واعقاباً بعضها من بعض قيل معناه في التناصر في الدين وهو الإسلام أي دين بعضها من دين بعض كما قال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض أي في التناصر والتعاقد على الضلال وهو قول الحسن وتادة وقيل بعضها من بعض في التناسل والتوالد فإنهم ذرية آدم ثم ذرية نوح ثم ذرية ابراهيم وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) لأنه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض واختاره ابو علي الجبائي (والله سميع عليم) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه سميع لما تقوله الذرية عليهم بما يضررونه فلذلك فضلهم على غيرهم لما في معلومه من استقامتهم في اقوالهم وأفعالهم ﴿ والثاني ﴾ ان معناه سميع لما تقوله امرأة عمران من النذر عليهم بما تضره ونبه بذلك على استحسان ذلك منها

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما وقعت المنازعة في ابراهيم وعيسى واختلف اقوال النصارى واليهود فيها فبين تعالى بأن من أطاع الرسول قال فيها ما يقوله هو وقيل انه لما أمر بطاعة نبيه (ص) وأبى ذلك المشركون بين تعالى انه كما اصطفاه لرسالته اصطفى من قبله من الأنبياء فلا وجه لا إنكارهم رسالته

قوله تعالى (٣٥) إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (آيَاتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب بما وضعت بضم التاء. وروي عن علي (ع) وقرأ الباقون وضعت على الحسابة

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بضم التاء جمعه من كلام أم مريم ومن قرأ بالسكان التاء جعل ذلك من قول الله تعالى ويقوي قول من أسكن التاء قوله والله أعلم بما وضعت ولو كان من قول أم مريم لقات وانت أعلم بما وضعت لأنها تخاطب الله تعالى

﴿ اللفظة ﴾

معنى للحرر في اللفظة يشمل أمرين ﴿ أحدهما ﴾ المعتق من الحرية يقال حررتة تحريرا اعتقه اي جعلته حرا ﴿ والآخر ﴾ من تحرير الكتاب يقال حررت الكتاب تحريرا اي أخلصته من الفساد واصلحته والتقبل اخذ الشيء على الرضا به كتقبل الهدية واصل التقبل المقابلة واصل الوضع الحط وضعت المرأة الولد بمعنى ولدت والموضع مكان الوضع والضة الحساسة لأنها تضع من قدر صاحبها والإيضاع في السير الرفق فيه لأنه حط عن شدة الاسراع والشيطان الرجيم مر تفسيرهما في اول الكتاب

﴿ الإعراب ﴾

في موضع إذ قالت اقوال ﴿ أحدها ﴾ انه نصب با ذكر عن الاخفش والمبرد ﴿ والثاني ﴾ انه متعلق باصطفى آل عمران عن الزجاج ﴿ والثالث ﴾ انه متعلق بسميع عليم فيعمل فيه معنى الصفتين تقديره والله مدرك لقولها ونيتها إذ قالت عن علي بن عيسى ﴿ والرابع ﴾ ان إذ زائدة فلا موضع لها من الإعراب عن ابى عبيدة وهذا خطأ عند البصريين ومحردا نصب على الحال من ما وتقديره نذرت لك الذي في بطني محردا والعامل فيه نذرت وقوله انشى نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه اصطفي آل عمران عقبه بذكر مريم بنت عمران فقال (إذ قالت امرأة عمران) وقد مضى القول فيه واسمها حنة جدة عيسى وكانتا اختين أحدهما عند عمران بن هشام من ولد سليمان بن داود وقيل هو عمران بن ماثان عن ابن عباس ومقاتل وليس بعمران ابى موسى وبينها الف وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل والأخرى كانت عند زكريا واسمها اشياع واسم ابها قاقود بن قبيل فيحيى ومريم ابنا خالة (رب إني نذرت لك ما في بطني) اي اوجبت لك بأن اجعل ما في بطني (محردا) أي خادما للبيعة يخدم في متبذاتنا عن مجاهد وقيل محردا للعباد مخلصاً لها عن الشعبي وقيل عتيقا خالصا لطاعتك لا استعمله في مناصفي ولا اصرفه في الحوائج عن محمد بن جعفر بن الزبير قالوا وكان المحرد إذا حرر جعل في الكتيبة يقوم

عليها ويكنفها ويخدمها لا يبرح حتى يبلغ الحلم ثم يخبر فإن أحب أن يقيم فيه أقام وإن أحب أن يذهب ذهب حيث شاء قالوا وكانت حنة قد أمسك عنها الولد حتى آيست فيينا هي تحت شجرة إذ رأته طائرا يزق فرخا له فتمركت نفسها للولد فدعت الله أن يرزقها ولدا فحملت بمریم وروى عن أبي عبد الله قال أوحى الله تعالى إلى عمران إني واهب لك ذكرا مباركا يبرئ الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله وجاعله رسولا إلى بني إسرائيل فحدث امرأته حنة بذلك وهي أم مريم فلما حملت بها قالت رب إني نذرت لك ما في بطني محررا (فتقبل مني) أي نذري قبول رضا (إنك انت السميع) لما أقوله (العليم) بها أنوي فلماذا صحت الثقة لي (فلما وضعتها) قيل إن عمران هلك وهي حامل فوضت بعد ذلك بعني ولدت مريم وكانت ترجو أن يكون غلاما فلما وضعتها خجلت واستحييت و (قالت) منكسة رأسها (رب إني وضعتها أنثى) وقيل فيه قولان ﴿أحدهما﴾ ان المراد به الاعتذار من العدول عن النذر لأنها أنثى ﴿والآخر﴾ ان المراد تقديم الذكر في السؤال لها بأنها أنثى لأن سميها اضعف وعقلها انقص فقدم ذكرها ليصح التصدي لها في السؤال بقولها وإني أعينها بك (والله اعلم بما وضعت) اخبار منه تعالى بأنه اعلم بوضعها لأنه هو الذي خلقها وصورها وعلى القراءة الأخرى وانت يا رب اعلم مني بما وضعت (وليس الذكر كالأنثى) لأنها لا تصلح لما يصلح الذكر له وإن كان يجوز لهم التحرير في الذكور دون الإناث لأنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة بيت المقدس لما يلحقها من الحيض والنفاس والصيانة عن التبرج للناس وقال قتادة لم يكن التحرير إلا في الغلمان فيما جرت به العادة وقيل ارادت ان الذكر افضل من الأنثى على العموم واصلح للاشياء والماء في قوله وضعتها كتابة عن ما في قوله ما في بطني وجاز ذلك لوقوع ما على موث ويحتدل ان يكون كتابة عن معلوم دل عليه الكلام (وإني سميتها) أي جعلت اسمها (مريم) وهي بلقتهم العابدة والخدمة فيا قيل وكانت مريم افضل النساء في وقتها واجملهن وروى الثعلبي بإسناده عن أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال حسبك من نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد (وإني أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) خافت عليها ما يغلب على النساء من الآفات فقالت ذلك وقيل انما استأذنتها من طمعة الشيطان في جنبها التي لها يستهل الصبي صارخا فوقها الله تعالى وولدها عيسى منه بحجاب فقد روى أبو هريرة ان النبي (ص) قال ما من مولود إلا والشيطان يمه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه إلا مريم وابنها وقيل إنها استأذنت من اغواء الشيطان الرجيم إياها عن الحسن

قوله تعالى (٣٧) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة كفلها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر زكريا مقصورا والباقون بالمد ونصب زكريا مع المد أبو بكر وحده والباقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي حجة من خفف كفلها قوله تعالى أيهم يكفل مريم وزكريا مرتفع لأن الكفالة مسندة إليه ومن شدد كفلها ففعله انضيم العائد إلى ربها من قوله فتقبلها ربها وصار زكريا مفعولا بعد تضعيف العين والمد

والقصر في ذكرها لثان

﴿ اللغة ﴾

انما جاء مصدر تقبلها على القبول دون التقبل لأن فيه معنى قبلها كما يقال تصكروم كرمًا لأن فيه معنى كرم ومثله وأنبتها نباتًا حسنًا لأن فيه معنى فتنبت وقال أبو عمرو ولا نظير لقبول في المصادر بفتح فاء الفعل والباب كله مضموم الفاء كالدخول والخروج وقال سيبيويه جاءت خمس مصادر على فاعول بالفتح قبول ووضوء وطهور وولوغ ووقود إلا أن الأكثر في وقود الضم إذا أريد المصدر وأجاز الزجاج في قبول الضم والقبيل الكفيل وهو الضامن يقال كفلته اكفله كفلاً وكفلاً وكفلاً وكفلاً فأنما كافل وإذا تكفلت موتته ومنه الحديث وانت خير المكفولين أي أحق من كفل في صفه وأرضع حتى نشأ والمكفول عنه في الفقه هو الذي عليه الدين والمكفول له هو الذي له الدين والمكفول به هو الدين والكفيل هو الذي ثبت عليه الدين والمحراب مقام الإمام من المسجد وأصله أكرم موضع في المجلس وأشرفه وقال الزجاج هو المكان العالي الشريف قال

ربة محراب إذا جثتها لم القها أو أرتقي سلمًا

ويقال للمسجد ايضاً محراب ومنه ما رثا من محارب اي مساجد وقيل انه اخذ من الحرب لأنه يحارب فيها الشيطان

﴿ المعنى ﴾

(فتقبلها ربها) مع انوثتها ورضي بها في النذر الذي نذرتة حنة للعبادة في بيت المقدس ولم يقبل قبلها انتهى في ذلك المعنى وقيل معناه تكفل بها في تربيتها والقيام بشأنها عن الحسن وقبوله ايها انه ما عرته ايلة ساعة من ليل او نهار (بقبول حسن) أصله بتقبل حسن ولكنه محمول على قوله فتقبلها قبولاً حسناً وقيل معناه سلك بها طريق السعداء عن ابن عباس (وانبتها نباتاً حسناً) اي جعل نشوئها نشواً حسناً وقيل سوى خلقها فكانت تنبت في يوم ما ينبت غيرها في عام عن ابن عباس وقيل انبتها في رزقها وغذائها حتى تمت امرأة بالغة تامة عن ابن جريج وقال ابن عباس لما بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل وتبثلت حتى غلبت الاحبار (وكفلها زكريا) بالتشديد معناه ضمها الله إلى زكريا وجعله كفيلها فيقوم بها وبالتخفيف معناه ضمها زكريا إلى نفسه وضمن القيام بأمرها وقالوا ان أم مريم آتت بها ملفوفة في خرقة إلى المسجد وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لأن خالتي عندي فقالت له الاحبار انها لو تركت لأحق الناس بها لتركها لأنها التي ولدتها ولكننا نقرع عليها فتكفون عند من خرج سهه فانطلقوا وهم تسعة وعشرون رجلاً إلى نهر جار فألقوا اقلامهم في الماء فابرز قلم زكريا وارتفع فوق الماء ورسبت اقلامهم عن ابن اسحق وجماعة وقيل بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين وجرت اقلامهم مع جرية الماء فذهب بها الماء عن السدي فهمهم زكريا وقرعهم وكان رأس الاحبار بينهم فذلك قوله وكفلها زكريا وزكريا كان من ولد سليمان بن داود وفيه ثلاث لغات المد والقصر وزكري مشدد قالوا فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتاً واسترضع لها فقال محمد بن اسحاق ضمها إلى خالتيها ام يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرمى إليها إلا بسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً) يعني وجد زكريا عندها فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف غضا طرياً عن ابن عباس وقاتدة ومجاهد والسدي وقيل انها لم ترضع قط وانما كان يأتيها رزقها من الجنة عن الحسن (قال يا مريم انى لك هذا) يعني قال لها زكريا كيف لك ومن اين لك هذا كالتعجب منه (قالت هو من عند الله) اي من الجنة وهذه تكريمة من الله تعالى لها وان كان ذلك خارقاً للعادة فإن عندنا يجوز ان تظهر الآيات الخارقة للعادة على غير الانبياء من

الأولياء والأصفياء. ومن منع ذلك من المعقولة قالوا فيه قولين ﴿أحدهما﴾ ان ذلك كان تأسيسا لنبوة عيسى عن البلخي ﴿والآخر﴾ انه كان بدعا. زكريا لها بالرزق في الجملة وكانت معجزة له عن الجبائي (ان الله يوزق من يشاء بغير حساب) تقدم تفسيره

﴿النظم﴾

ووجه اتصالها بما تقدم ان يكون حكاية لقول مريم وعلى هذا يكون معنى قوله بغير حساب الاستحقاق على العمل لأنه تفضل بيتدى به من يشاء. من خلقه ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى على الاستئناف

قوله تعالى [٣٨] هُنَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ أَدْنِكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) فَنادته الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَبِّحًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (آيتان)

﴿القراءة﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم فناداه الملائكة على التذكير والإمالة والباقون فنادته على التأنيث وقرأ ابن عامر وحزمة إن الله بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرأ حمزة والكسائي يبشرك بفتح الياء. والتخفيف والباقون بضم الياء. والتشديد

﴿الحجة﴾

من قرأ فنادته بالياء. فلموضع الجماعة كما تقول هي الرجال ومن قرأ فناداه فعلى المعنى ومن فتح ان كان المعنى فنادته بأن الله فحذف الجار وأصل الفعل في موضع نصب على قياس قول الخليل في موضع الجر ومن كسر اضمر القول كأنه نادته فقالت ان الله فحذف القول كما حذف في قول من كسر في قوله فدعا ربه لي في مغلوب واضمار القول كثير واما يبشرك فقال ابو عبيدة يبشرك ويبشرك واحد وقال الزجاج هذا من بشر يبشر إذا فرح واصل هذه كله ان بشرة الانسان تنبسط عند السرور

﴿اللغة﴾

الهة تمليك الشيء من غير ثمن والسيد مأخوذ من سواد الشخص فقيل سيد القوم بمعنى مالك السواد الأعظم وهو الشخص الذي يجب طاعته لما لكه هذا إذا استعمل مضافا او مقيدا فاما اذا اطلق فلا ينبغي الألف والحضور المستنع عن الجماع ومنه قيل للذي يتبع ان يخرج مع ندمائه شيئا للنفقة حضور قال الأخطل

وشارب مرتج بالكأس نادمني لا بالحضور ولا فيها بسواد

ويقال للذي يكتم سره حضور

﴿الإعراب﴾

هناك الاصل فيه الظرف من المكان نحو رأيت هنا وهناك وهناك والفرق ان هناك للتقريب وهناك للتبديد وهناك لما بينها قال الزجاج ويستعمل في الحال كقولك من هاهنا قلت كذا اي من هذا الوجه وفيه معنى الإشارة كقولك ذا وذاك وزيدت اللام لتأكيد التعريف وكسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت في ذلك وانما بني لدن ولم بين عند وان كان يمناه لانه استبهم استبهم الحروف لأنه لا يقع في جواب اين كما يقع عند في نحو قولهم اين زيد فيقال عندك ولا يقال لدنك وهو قائم جملة في موضع الحال من الهاء في نادته وقوله يصلي في المحراب جملة في موضع الحال من الضمير في قائم وقوله مصدقا نصب على الحال من يحيى وقوله من الصالحين من هاهنا

لتبين الصفة وليس المراد التبويض لأن النبي (ص) لا يكون إلا صالحا

المعنى ﴿﴾

(هناك) أي عند ذلك الذي رأى من فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف على خلاف ما جرت به العادة (دعا زكريا ربه) قال (رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) أي طمع في رزق الولد من العاقر على خلاف مجرى العادة فسأل ذلك وقوله طيبة أي مباركة عن السدي وقيل صالحة تقية نقية العمل وإنما أنت طيبة وإنما سأل ولدا ذكرا على لفظ الذرية كما قال الشاعر

ابوك خليفة ولدته أخرى وانت خليفة ذلك الكمال

(إنك سمع الدعاء) بمعنى قابل الدعاء. ومجيب له ومنه قول القائل سمع الله لمن حمده أي قبل الله دعاءه وإنما قيل السامع للقابل المجيب لأن من كان أهلا أن يسمع منه فهو أهل أن يقبل منه ومن لا يعتد بكلامه فكلامه بمقتله ما لا يسمع (فنادته الملائكة) قيل ناداه جبرائيل عن السدي فعلى هذا يكون المعنى أن النداء أتاه من هذا الجنس كما يقال ركب فلان السفن وإنما ركب سفينة واحدة والمراد جاءه النداء من جهة الملائكة وقيل نادته جماعة من الملائكة (وهو قائم يصلي في المحراب) أي في المسجد وقيل في محراب المسجد (إن الله يشرك بيحيى) ساء الله بهذا الاسم قبل مولده واختلف فيه لم سمي بيحيى فقيل لأن الله أحيأ به عقر أمه عن ابن عباس وقيل أنه تعالى أحيأه بالإيمان عن قتادة وقيل لأنه تعالى أحيأ قلبه بالنبوة ولم يسم قبله أحد يحيى (مصدقا بكلمة من الله) أي مصدقا بعبسى وعليه جميع المفسرين وأهل التأويل إلا ما حكى عن أبي عبيدة أنه قال بكتاب الله كما يقولون انشدت كلمة فلان أي قصيدته وانطالت وإنما سمي المسيح كلمة الله لأنه حصل بكلام الله من غير أب وقيل إنما سمي به لأن الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله كما سمي روح الله لأن الناس كانوا يحيون به في أديانهم كما يحيون بارواحهم وكان يحيى أكبر سنا من عيسى بستة أشهر وكلف التصديق به فكان أول من صدقه وشهد أنه كلمة الله وروحه وكان ذلك إحدى معجزات عيسى (ع) وأقوى الأسباب لإظهار أمره فإن الناس كانوا يقولون قول يحيى لمعرفتهم بصدقه وزهده (وسيدا) في العلم والعبادة عن قتادة وقيل في الحلم والتقوى وحسن الخلق عن الضحاك وقيل كريما على ربه عن ابن عباس وقيل فقيها عالما عن سعيد بن المسيب وقيل مطيحا لربه عن سعيد بن جبير وقيل مطاعا عن الخليل وقيل سيدا للمؤمنين بالرياسة عليهم عن الجبائي والجميع يرجع إلى أصل واحد وهو أنه أهل لتخليكه تديبير من يجب عليه طاعته لما هو عليه من هذه الأحوال (وحصورا) وهو الذي لا يأتي النساء. عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقاتدة وهو المروي عن ابن عباس ومعناه أنه يحصر نفسه عن الشهوات أي يمنعها وقيل الحصور الذي لا يدخل في اللعب والباطيل عن المبرد وقيل هو العين عن ابن المسيب والضحاك وهذا لا يجوز على الأنبياء. لأنه عيب وذم ولأن الكلام خرج مخرج المدح (ونبيا من الصالحين) أي رسولا شريفا رفيع المنزلة من جملة الأنبياء. لأن الأنبياء. كلهم كانوا صالحين وفي هذه الآية دلالة على أن زكريا إنما طمع في الولد لما رأى تلك المعجزات وهو أن كان عالما بأنه تعالى يقدر على أن يخلق الولد من العاقر فقد كان يجوز أن يفعل ذلك لبعض التدبير فلما رأى خرق العادة بخلق الفاكهة في غير وقتها قوي ظنه في أنه يفعل ذلك إذا اقتضته المصلحة كما أن إبراهيم وان كان عالما بأنه تعالى يقدر على أحياء الموتى سأل ذلك مشاهدة ليتأكد معرفته وفيها دلالة على أن الولد الصالح نعمة من الله تعالى على العبد فلذلك بشره به

قوله تعالى (٤٠) قَالَ رَبِّ انى يَكُونُ لى غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنى الكِبَرُ وَأَمْرأتى عاقِرٌ

قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ ما يَشَاءُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

العافر من الرجال الذي لا يولد له ومن النساء التي لا تلد يقال عقرت تعقر عقرأ فهي عافر قال عبيد
 أعاقر مثل ذات رحم ام غانم مثل من يخيب
 والمعردة فرج المرأة إذا غضبت نفسها وبيضة العقر آخر بيضة والعقر منحة القوم والعقر اصل كل شيء ويقال
 غلام بين العلومية والعلومة وهو الشاب من الناس والعلومة والاعتلام شدة طلب النكاح وسمي الغلام غلاما
 لأنه في حال يطلب في مثلها النكاح والتعلم يمنع الماء من الآبار لأنه طلب الظهور

﴿ المعنى ﴾

(قال) زكريا (يا رب) لله عز وجل لا لجبرائيل (أنى يكون) اي من اين يكون وقيل كيف يكون
 (لي غلام) أي ولد (وقد بلغني الكبر) اي اصابني الشيب ونالني الهرم وانما جاز أن يقول بلغني الكبر لأن
 الكبر بمنزلة الطالب له فهو يأتيه بحدوثه فيوالانسان ايضا يأتي الكبر بمرور السنين عليه ولو قلت بلغني البلد بمعنى
 بلغت البلد لم يجوز لأن البلد لا يأتيك اصلا وقال ابن عباس كان زكريا يوم بشر بالولد ابن عشرين ومائة سنة وكانت
 امرأته بنت ثمان وتسعين سنة (وامرأتي عافر) اي عقيم لا تلد فإن قيل لم راجع زكريا هذه المراجعة وقد بشره
 الله بأن يهب له ذرية طيبة بعد أن سأل ذلك قيل إنما قال ذلك على سبيل التعرف عن كيفية حصول الولد أي عطيا
 الله إياه وهما على ما كانا عليه من الشيب أم بصرفها إلى حال الشباب ثم يرزقها الولد عن الحسن ويحتمل أن
 يكون اشتبه الأمر عليه أي عطية الولد من امرأته العجوز ام من امرأة أخرى شابة فقال الله (كذلك) وتقديره
 كذلك الأمر الذي انما عليه وعلى تلك الحال (الله يفعل ما يشاء) معناه يرزقك الله الولد منها فإنه هين عليه
 كما انشأ كما ولم تكونا شيئا فإنه تعالى قادر يفعل ما يشاء وقيل فيه وجه آخر وهو انه إنما قال ذلك على سبيل
 الاستعظام لقدور الله والتعجب الذي يحصل للإنسان عند ظهور آية عظيمة كمن يقول لغيره كيف سمحت نفسك
 بإخراج ذلك المال النفيس من يدك تعجبا من جوده وقيل انه قال ذلك على وجه التعجب من انه كيف أجابه
 الله إلى مراده فيما دعا وكيف استحق ذلك ومن زعم انه إنما قال ذلك للوسوسة التي خالطت قلبه مسن قبل
 الشيطان وخيلت اليه ان النداء كان من غير الملائكة فقد أخطأ لأن الأنبياء لا بد أن يعرفوا الفرق بين كلام
 الملك ووسوسة الشيطان ولا يجوز أن يتلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الإفهام

قوله تعالى (٤١) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا
 وَأَذْكُرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالنَّسِيِّ وَالْإِبْكَارِ (آية)

﴿ الإعراب ﴾

في وزن آية فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ فعلة الا انه شذ من جهة اعلال العين مع كون اللام حرف
 علة وإنما القياس في مثله اعلال اللام نحو حياة ونواة ونظيرها راية وغاية وطاية ﴿ والثاني ﴾ فعلة وتقديره
 اية الا انها قلبت كراهة التضعيف نحو طائي من طي ﴿ والثالث ﴾ فاعلة منقوصة قال علي بن عيسى وهذا
 ضعيف لأن تصغيرها اية ولو كانت فاعلة لقالوا اوية إلا انه يجوز على ترخيم التصغير نحو قطيعة والرمز الأوياء
 بالشتين وقد يستعمل في الأوياء بالحاجب والعين واليد والأول اغلب وقال جوبية بن عابد

كأن تكلم الأبطال رمزا

والعشي من حين زوال الشمس إلى غروبها في قول مجاهد قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه ولا الفيء من برد العشي يذوق
والعشاء من لدن غروب الشمس إلى أن يولي صدر الليل والعشاء طعام العشي والعشاء مقصور ضعف العين
وأصل الباب الظلمة والابكار من حين طلوع الشمس إلى وقت الضحى وأصله التعجيل بالشيء يقال أبكر وبكر
بكرورا ومنه الباكورة

﴿ المعنى ﴾

ثم سأل الله تعالى زكريا علامة يعرف بها وقت حمل امرأته ليزيد في العبادة شكرا وقيل ليتعجل السرور
به عن الحسن (قال رب اجعل لي آية) أي علامة لوقت الحمل والولد فجعل الله تعالى تلك العلامة في امسك
لسانه عن الكلام إلا إيماء من غير آفة حدثت فيه بقوله (قال آيتك) أي قال الله ويحتمل أن يكون المراد قال
جبرائيل آيتك أي علامتك (ان لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) أي إيماء عن فتادة وقيل الرمز تحريك
الشفة عن مجاهد وقيل اراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزا عن عطاء (واذ كر
ربك كثيرا) أي في هذه الأيام الثلاثة ومعناه انه لما منع من الكلام عرف انه لم يمنع من الذكر لله تعالى والتسبيح
له وذلك أبلغ في الإعجاز (وسبح) أي تزه الله و اراد التسبيح المعروف وقيل معناه صل كما يقال فرغت من
سبحتي أي صلاتي (بالعشي والابكار) في آخر النهار وأوله

قوله تعالى (٤٢) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ
عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٣) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (آيَاتان)

﴿ المعنى ﴾

قدم تعالى ذكر امرأة عمران وفضل بنتها على الجملة ثم ذكر تفصيل تلك الجملة فقال (وإذ قالت الملائكة)
إذ هذه معطوفة على إذ في قوله إذ قالت امرأة عمران أو يكون معناه اذكر إذ قالت الملائكة وقيل يعني جبريل
وحده (يا مريم إن الله اصطفيك) أي اختارك والطف بك حتى تعرفت لعبادته واتباع مرضاته وقيل معناه اصطفيك لولادة
المسيح عن الزجاج (وطهرك) بالإيمان عن الكفر وبالطاعة عن المعصية عن الحسن وسعيد بن جبير وقيل طهرك
من الأدناس والأقذار التي تعرض للنساء من الحيض والنفاس حتى صرت صالحة لخدمة المسجد عن الزجاج وقيل
طهرك من الاخلاق الذميمة والطبائع الرديئة (واصطفيك على نساء العالمين) أي على نساء عالمي زمانك لأن
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليها وعلى آبيها وبنها سيدة نساء العالمين وهو قول أبي جعفر (ع) وروي
عن النبي (ص) انه قال فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين وقال أبو جعفر معنى الآية
اصطفيك من ذرية الأنبياء وطهرك من السفاح واصطفيك لولادة عيسى (ع) من غير فعل وخروج بهذا من أن
يكون تكريرا إذ يكون الاصطفا على معنيين مختلفين (يا مريم اقنتي لربك) أي اعبديه واخلصي له العبادة
عن سعيد بن جبير وقيل معناه أدعي الطاعة له عن فتادة وقيل أطلي القيام في الصلاة عن مجاهد (واسجدي
واركعي مع الراكمين) أي كما يعمل الساجدون والراكعون لا ان يكون ذلك امرا لها بأن تعمل السجود
والركوع معهم في الجماعة وقدم السجود على الركوع لأن الواو لا توجب التقريب فإنها في الأشياء المتنايزة
نظيرة التثنية في المئاتلة وإنما توجب الجمع والاشتراك وقيل معناه واسجدي لله شكرا واركعي أي وصلي مع
المصلين وقيل معناه صلي في الجماعة عن الجبائي

قوله تعالى (٤٤) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ

أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (آية)

اللغة

الأنبياء الأخبار الواحد نبأ والإيحاء هو القاء المعنى إلى الغير على وجه يخفى والإيحاء الإرسال إلى الأنبياء تقول أوحى الله إليه أي أرسل إليه ملكا والإيحاء الألهام ومنه قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل وقوله بأن ربك أوحى لها معناه ألقى إليها معنى ما أراد منها قال العجاج

أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

والإيحاء الإيحاء قال ﴿ فأوحى اليها والأنامل رسلها ﴾ ومنه قوله تعالى فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا أي أشار إليهم والوحي الكتابة قال روثبة «تقدر كان وحاء الواحي» وقال ﴿ في سور من ربنا موحية ﴾ والقلم الذي يكتب فيه والقلم الذي يحال بين القوم كل إنسان وقلمه وهو القدرح والقلم قص الظفر ومقالم الرمح كعبه وأصله قطع طرف الشيء

الإعراب

قال أبو علي إذ في قوله إذ يلغون متعلق بكنت وإذ في قوله إذ قالت الملائكة بعد يختصمون متعلق بيختصمون ويجوز أيضا أن يكون متعلقا بكنت كأنه قال وما كنت لديهم إذ قالت الملائكة وهذا إما يجوز عندي إذا قدرت إذ الثانية بدلا من الأولى فإن لم تقدره هذا التقدير لم يميز وإنما يجوز البدل في هذا إذا كان وقت اختصامهم وقت قول الملائكة ليكون البدل المبدل منه في المعنى

المعنى

(ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره من حديث مريم وزكريا ويحيى (من انباء الغيب) أي من أخبار ما غاب عنك وعن قومك (نوحية إليك) أي نلقيه إليك معجزة وتذكيرا وتبصرة وموعظة وعبرة ووجه الإعجاز فيه أن ما غاب عن الإنسان يمكن أن يحصل علمه بدراسة الكتب أو التعلم أو الوحي والنبي (ص) لم يشاهد هذه القصص ولا قرأها من الكتب ولا تعلمها إذ كان نشوئه بين أهل مكة ولم يكونوا أهل كتاب فوضح الله أن أوحى إليه بها وفي ذلك صحة نبوته (وما كنت) يا محمد (لديهم) عندهم (إذ يلغون أقلامهم) التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء على ما تقدم ذكره قبل وقيل أقلامهم أقلامهم للاقتراع جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة (أيهم يكفل مريم) وفيه حذف أي لينظروا أيهم تظفر قرعته ليكفل مريم وهذا تعجيب من الله نبيه (ص) من شدة حرصهم على كفالة مريم والقيام بأمرها عن قتادة وقيل هو تعجيب من تدافعهم لكفالتها لشدة الأمانة التي لحقتهم حتى وفق لها خير الكفلاء لها زكريا (وما كنت لديهم إذ يختصمون) فيه دلالة على أنهم قد بلغوا في التشاح عليها إلى حد الخصومة وفي وقت التشاح قولان ﴿ أحدهما ﴾ حين ولادتها وحملها إياها إلى الكنيسة تشاحوا في الذي يرضونها ويكفل تربيتها وهذا قول الأكثر وقال بعضهم كان ذلك وقت كبرها وعجز زكريا عن تربيتها وفي هذه الآية دلالة على أن القرعة مدخلا في تيز الحقوق وقد قال الصادق (ع) ماتقارع قوم ففوضوا أمورهم إلى الله تعالى إلا خرج بينهم المعق وقال أي قضية أعدل من القرعة إذا فوض الأمر إلى الله تعالى يقول فساهم فكان من المدحضين وقال الباقر أول من سوهم عليه مريم ابنة عمران ثم تلا وما كنت لديهم إذ يلغون أقلامهم الآية والسهم ستة ثم استهموا في يونس ثم كان عبد المطلب ولد له تسعة بنين فنذر في العاشر أن يرزقه الله غلاما أن يذبحه فلما ولد له عبد الله لم يقدر أن يذبحه ورسول الله في صلبه فجاه بمشرة من الإبل فساهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله فزاد شرا فلم تزل السهام

تخرج على عبد الله ويؤيد عشرًا فلما ان اخرجت مائة خرجت السهام على الإبل فقال عبد المطلب ما أنصفت ربي فأعاد السهام ثلاثًا فخرجت على الإبل فقال الآن علمت ان ربي قد رضي بها ففرحها

قوله تعالى (٤٥) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٦) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (آينان)

✽ القراءة ✽

ذكرنا القراءة في يشرك والقول فيه

✽ اللغة ✽

المسيح فعيل بمعنى مفعول واصله انه مسح من الاقدار وطهر والمسيح الذي احد شقي وجهه ممسوح لآعين له ولا حاجب ولذلك سمي الدجال به وقيل المسيح عيسى بفتح الميم والتخفيف وهو الصديق والمسيح بكسر الميم وتشديد السين نحو الشير الدجال عن ابراهيم النخعي وانكره غيره قال الشاعر « إذ المسيح يقتل المسيح » والوجه الكريم على من يسأله فلا يرد له كرم وجهه عنده خلاف من يبذل وجهه للسائلة فيرد يقال وجه الرجل يوجه وجهه له وجهه عند الناس ووجهه اي منزلة رفيعة والكهل ما بين الشاب والشيوخ ومنه اكتمل النبت اذا طال وقوي والمرأة كهلة قال الشاعر

ولا أعود بعدها كريا أمارس الكهولة والصيبا

ومنه الكاهل ما فوق الظهر الى ما يلي العنق وقيل الكهولة بلوغ اربع وثلاثين سنة

✽ الاعراب ✽

وجيها منصوب على الحال المعنى يشرك الله بهذا الولد وجيها ويكلم في موضع النصب ايضا على الحال عطفا على وجيها وجائز أن يعطف بلفظ يفعل على فاعل المضارعة يفعل فاعلا قال الشاعر

بات يغشيها بعضب بائر يقصد في اسوقها وجائر

اي قاصد اسوقها وجائر وكهلا حال من يكلم

✽ المعنى ✽

(إذ قالت الملائكة) قال ابن عباس يريد جبرائيل (يا مريم ان الله يشرك) يخبرك بها يسرك (بكلمة منه) فيه قولان احدهما انه المسيح سلمه كلمة عن ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وانما سمي بذلك لأنه كان بكلمة من الله من غير والد وهو قوله كن فيكون يدل عليه قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه الآية وقيل سمي بذلك لان الله بشر به في الكتب السابقة كما تقول الذي يخبرنا بالأمر اذا خرج موافقا لأمره قد جاء كلامي فما جاء من البشارة به في التوراة اتانا الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وساعير هو الموضع الذي بعث منه المسيح وقيل لأن الله يهدي به كما يهدي بكلمته والقول الثاني ان الكلمة بمعنى البشارة كانه قال ببشارة منه ولد (اسمه المسيح) فالاول اقوى ويؤيده قوله انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وانما ذكر الضمير في اسمه وهو عائد الى الكلمة لأنه واقع على مذكر فذهب إلى المعنى واختلف في انه لم يسم بالمسيح فقيل لانه مسيح بالبركة واليمن عن الحسن وقتادة وسعيد وقيل لأنه مسح بالتطهير من الذنوب وقيل لأنه مسح بدهن زيت يورك فيه وكانت الانبياء تمسح به عن الجبائي وقيل لأنه مسحه جبرائيل مجناحه وقت ولادته ليكون عوذة من الشيطان وقيل لأنه كان يمسح رأس اليتامى

له وقيل لأنه كان يمسح عين الأعمى فيبصر عن الكلبي وقيل لأنه كان لا يمسح ذاعاهة بيده الأبرى عن ابن عباس في رواية عطا والضحاك وقال ابو عبيدة هو بالسريانية مشيحا فعرته (العرب عيسى بن مريم) نسبة الى امه ردا على النصرارى قولهم انه ابن الله (وجيها) اذا جاءه وقدر وشرف (في الدنيا والآخرة ومن المقربين) الى ثواب الله وكرامته (ويكلم الناس في المهد) أي صغيرا والمهد الموضع الذي يهد لنوم الصبي ويعني بكلامه في المهد قوله انى عبد الله آتاني الكتاب الآية ووجه كلامه في المهد انه تبرئة لأمه مما قذفت به وجلالة له بالمعزة التي ظهرت فيه (وكهلا) اي ويكلمهم كهلا بالوحي الذي ياتي من الله اعلمها الله تعالى انه يبقى الى حال الكهولة وفي ذلك اعجاز لكون المخبر على وفق الخبر وقيل ان المراد به الرد على النصرارى بما كان فيه من التغلب في الاحوال لأن ذلك مناف لصفة الإله (ومن الصالحين) اي ومن النبيين مثل ابراهيم وموسى وقيل ان المراد بالآية ويكلمهم في المهد دعاء إلى الله وكهلا بعد نزوله من السماء ليقتل الدجال وذلك لأنه رفع الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وذلك قبل الكهولة عن زيد بن اسلم وفي ظهور المعزة في المهد قولان ﴿احدهما﴾ انها كانت مقرونة بنبوته المسيح لأنه تعالى اكمل عقده في تلك الحال وجعله نبيا وأوحى اليه بما تكلم به عن الجبائي وقيل كان ذلك على التأسيس والإرهاص لنبوته عن ابن الأخشيد ويجوز عندنا الوجان ويجوز أيضا أن يكون معزة لمريم تدل على طهارتها وبرائة ساحتها إذا لا مانع من ذلك وقد دلت الأدلة الواضحة على جوازه وإنما جعلت النصرارى كلام المسيح في المهد مع كونه آية ومعزة لأن في ذلك ابطالا لمذهبهم لأنه قال إني عبد الله وهذا ينافي قولهم انه ابن الله فاستمروا على تكذيب من اخبر انه شاهده كذلك

قوله تعالى (٤٧) قَالَتْ رَبِّ اَنى يَكُونُ لى وَلَدٌ وَاَمْ يَمَسِّنِى بَشْرًا قَال كَذَلِكَ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ اِذَا قَضَىٰ اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (آية)

﴿الاعراب﴾

فيكون هاهنا لا يجوز فيه غير الرفع لانه لا يصلح ان يكون جوابا للأمر الذي هو كنى لأن الجواب يجب بوجود الاول نحو اتنى فاكرمك وقم فاقوم معك ولا يجوز قم فتقوم لانه يكون على تقدير قم فإنك ان قم قم وهذا لا معنى له ولكن الوجه الرفع على الإخبار بأنه سيقوم ويجوز في قوله ان يقول له كنى فيكون النصب عطفا على يقول

﴿المعنى﴾

(قالت) مريم يا (رب انى يكون) اي كيف يكون (لى ولد ولم يمسني بشر) لم تقل ذلك استبعادا واستنكارا بل انما قالت استفهاما واستعظاما لقدرة الله لأن في طبع البشر التعجب مما خرج عن المعتاد وقيل انما قالت ذلك لتعلم ان الله تعالى يرزقها الولد وهي على حالتها لم يمسها بشر او يقدر لها زوجا ثم يرزقها الولد على وجه العادة (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) اي يخلق ما يشاء مثل ذلك وهو حكاية ما قال لها الملك اي يرزقك الولد وانت على هذه الحالة لم يسك بشر (اذا قضى امرا) اي خلق امرا وقيل إذا قد أمرنا (فإننا يقول له كنى فيكون) وقيل في معناه قولان ﴿احدهما﴾ انه اخبار بسرعة حصول مراد الله في كل شيء اراد حصوله من غير مهلة ولا معاناة ولا تكلف وسبب ولادة وانما كنى بهذا اللفظ لانه لا يدخل في وهم العباد شيء اسرع من كنى فيكون ﴿والآخر﴾ ان هذه الكلمة كلمة جعلها الله علامة للملائكة فيما يريد احدائه وايجاهه لما فيه من المصلحة والاعتبار وانما استعمل لفظه الامر فيما ليس بأمرهنا ليدل بذلك على ان فعله بمنزلة فعل الأمور في أنه لا تكلف فيه على الأمر

قوله تعالى (٤٨) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
 (٤٩) أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
 فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ
 بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (آياتان)

عد اهل الكوفة التوراة والانجيل آية ولم يعدوا بني إسرائيل لتسخر الاستئناف بأن المفتوحة وعد غيرهم
 بني إسرائيل ولم يعدوا الانجيل طلبوا تمام صفة المسيح لأن تقديره ومعلم ورسولا

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة وعاصم ويعقوب وسهل ويعلمه بالياء والباقون بالتون وقرأ نافع اني اخلق بكسر الالف
 والباقون اني بالفتح وقرأ اهل المدينة ويعقوب طائرا ومثله في المائدة وابو جعفر كهية الطائر فيهما والباقون
 طيرا بغير الف

﴿ الحجة ﴾

من قرأ ويعلمه عطفه على قوله ان الله يشرك ومن قرأ ونعلمه جعله على نحو نحن قدرنا بينكم الموت ومن
 فتح اني اخلق جعلها بدلا من آية كأنه قال وجئتكم بانني اخلق لكم ومن كسر احتمل وجهين ﴿٤٩﴾ احدهما ﴿٤٨﴾
 الاستئناف وقطع الكلام ما قبله ﴿٤٨﴾ والآخر ﴿٤٩﴾ انه فسر الآية بقوله اني اخلق كما فسر الوعد في قوله وعد
 الله الذين آمنوا بقوله لهم مغفرة وفسر المثل في قوله كمثل آدم بقوله خلقه من تراب وهذا الوجه احسن لانه
 في المعنى كمن فتح وأبدل من آية ومن قرأ طائرا اراد فيكون ما انفخ فيه او ما اخلقه طائرا فأفرد لذلك فسر
 او اراد يكون كل واحد من ذلك طائرا كما قال فاجلدوهم ثمانين جلدة اي اجلدوا كل واحد منهم

﴿ اللغة ﴾

الحكمة والحكم بمعنى ونظيره الذلة والذل والطين معروف وطلت الكتاب جعلت عليه طينا لأختمه به
 وطينت البيت تطينا وهيئة الحال الحاضرة هـ. فلان يها. هيئة والنفع معروف نفع ينفع نفعنا والنفاخة للماء.
 والكس العسى قال سويد بن ابى كاهل

كسحت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحي نفسه لما نزع

والادخار الافتعال من الدخر وجوز التحويون يذخرون بالذال

﴿ الإعراب ﴾

موضع يعلمه يحتمل أن يكون نصبا بالعطف على وجيها ويحتمل ان يكون لاموضع له من الإعراب لأنه
 عطف على جملة لا موضع لها من الإعراب وهي قوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل هو عطف على نوحه اليك
 وهذا لا يجوز لأنها تخرج من معنى البشارة لمريم ورسولا نصب على تقدير ونجعله رسولا فحذف لدلالة البشارة
 عليه ويجوز ان يكون نصبا على الحال عطف على وجيها إلا انه في ذلك الوقت يكون رسولا بل بمعنى انه يرسل
 رسولا وقال الزجاج المعنى يكلمهم رسولا بأنني قد جئتكم ولو قرأت بالكسر لاني قد جئتكم لكان صوابا
 والمعنى يقول لاني قد جئتكم وموضع اني اخلق لكم يحتمل أن يكون خفضا ورفعا فالخفض على البدل من آية
 والرفع على ما ذكرناه قبل وبما تأكلون جائز ان يكون ما هنا بمعنى الذي أي بما تأكلونه وتذخرونه ويجوز
 أن يكون بمعنى المصدر أي أنبئكم بأكلهم وادخارهم والأول اجود

﴿ المعنى ﴾

(ويعلمه الكتاب) اراد الكتابة عن ابن جريج قال اعطى الله عيسى تسعة اجزاء من الخط وسائر الناس جزء وقيل اراد به بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه سوى التوراة والإنجيل مثل الزبور وغيره عن ابي علي الجبائي وهو اليق بالظاهر (والحكمة) اي الفقه وعلم الحلال والحرام عن ابن عباس كما روي عن النبي (ص) انه قال أوتيت القرآن ومثليه قالوا اراد به السنن وقيل اراد بذلك جميع ما علمه من أصول الدين (والتوراة والإنجيل) ان قيل لم افردهما بالذكر مع دخولهما في الحكمة قيل تبيينها عن جلالة موقعها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقطع هاهنا قصة مريم وولادتها وإياي تمام قصتها في سورة مريم وابتدأ بقصة عيسى فقال (ورسولا إلى بني اسرائيل) وقد ذكرنا تقديره ومعناه يدور عليه (اني قد جئتكم) أي قال لهم وكلهم لما بعث اليهم بأني قد جئتكم (بأية) اي بدلالة وحجة (من ربكم) دالة على نبوتي ثم حذف الباء فوصل الفعل (أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير) معناه وهذه الآية اني اقدر لكم واصورلكم من الطين مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) اي في الطير المقدر من الطين وقال في موضع آخر فيها اي في الهيئة المقدرة (فيكون طيرا بإذن الله) وقدرته وقيل بأمر الله تعالى وإنا وصل قوله بإذن الله بقوله فيكون طيرا دون ما قبله لأن تصور الطين على هيئة الطير والنفخ فيه مما يدخل تحت مقدور العباد فاما جعل الطين طيرا حتى يكون لحما ودما وخلق الحياة فيه فما لا يقدر عليه غير الله فقال بإذن الله ليعلم انه من فعله تعالى وليس بفعل عيسى وفي التفسير انه صنع من الطين كهيئة الخفاش ونفخ فيه فصار طائرا (وأبى الأكمه) اي الذي ولد اعمى عن ابن عباس وقتادة وقيل هو الأعمى عن الحسن والسدي (والأبرص) الذي به وضع وقال وهب وربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم خمسون الفا من اطاق منهم أن يبلغه بلغه ومن لم يطق آتاه عيسى يشي اليه وإنا كان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان (وأحيى الموتى بإذن الله) إنما اضاف الإحياء إلى نفسه على وجه المجاز والتوسم ولأن الله تعالى كان يحيي الموتى عند دعائه وقيل انه أحيى اربعة أنفس عازر وكان صديقا له وكان قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلق بنا إلى قبره ثم قال اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع إنك ارسلتني إلى بني اسرائيل ادعوهم إلى دينك واخبرهم بأني أحيى الموتى فأحيى عازر فخرج من قبره وبقي وولد له وابن العجوز مر به ميتا على سريره فدعا الله عيسى (ع) فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه ورجع إلى اهله وبقي وولد له وابنة العاشر قيل له أتحيها وقد ماتت أمس فدعا الله فعاشت وبقيت وولدت وسام بن نوح دعا عليه باسم الله الأعظم قال ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان لأن سام بن نوح قد عاش خمس مائة سنة وهو شاب ثم قال له مت قال بشرط أن يعيدني الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل وقال الكلبي كان يحيي الأموات بياحي يا قيوم وإنا خص عيسى (ع) بهذه المعجزات لأن الغالب كان في زمانه الطب فأراهم الله الآيات من جنس ما هم عليه لتكون المعجزة اظهر كما ان الغالب لما كان في زمن موسى السحر أتاهم من جنس ذلك بما أعجزهم عن الإتيان بمثله وكان الغالب في زمان نبينا (ص) البيان والبلاغة والفضاحة فأراهم الله تعالى المعجزة بالقرآن الذي بهرهم ما فيه من عجائب النظم وغرائب البيان ليكون أبلغ في باب الإعجاز بأن يأتي كلام من أمم الأنبياء بمثل ما هم عليه ويعجزون عن الإتيان بمثله إذ لو أتاهم بما لا يعرفونه لكان يجوز أن يخطر ببالهم ان ذلك مقدور للبشر غير انهم لا يهتدون اليه (وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) اي اخبركم بالذي تأكلونه وتدخرونه كأن يقول للرجل تغديت بكذا وكذا ورفعت إلى الليل كذا وكذا (إن في ذلك) اي فيما ذكرت لكم (لآية) اي حجة ومعجزة ودلالة (لكم إن كنتم مؤمنين) بالله

إذ كان لا يصح العلم بمدلول المعجزة إلا لمن آمن بالله لأن العلم بالمرسل لا بد أن يكون قبل العلم بالرسول وفي الآية دلالة على أن عيسى (ع) كان مبعوثاً إلى جميع بني إسرائيل وقوله أني أخلق لكم يدل على أن العبد يحدث ويفعل ويخلق بخلاف قول المجبرة لكن الخالق على الإطلاق هو الله تعالى

قوله تعالى (٥٠) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا يُحِلُّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٥١) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين التصديق والتقليد أن التصديق لا يكون إلا فيما تبرهن عند صاحبه والتقليد قد يكون فيما لا يتبرهن ولهذا لا تكون مقلدين للنبي (ص) وإن كنا مصدقين له والاحلال هو الاطلاق للفعل بتحسينه والتحریم هو حظر الفعل بتقيحه والاستقامة خلاف الاعوجاج

﴿ الإعراب ﴾

مصدقا نصب على الحال وتقديره وجئتمكم مصدقا لأن اول الكلام يدل عليه ونظيره جئته بما يجب ومعرفة له ولا يكون عطفا لا على وجبها ولا رسولا لقوله لما بين يدي ولم يقل لما بين يديه وقال ابو عبيدة اراد بقوله بعض الذي حرم كل الذي حرم ويستشهد بقول لبيد

ترارك أمكنة إذا لم أرضها أو يمتلق بعض النفوس حمامها

قال معناه أو تعلق كل النفوس وانكر الزجاج ذلك وقال معناه أو تعلق نفسي حمامها وخطأ ابو عبيدة من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان البعض لا يكون بمعنى الكل ﴿ والثاني ﴾ انه لا يجوز تحليل جميع المحرمات لأنه يدخل الكذب والظلم والقتل في ذلك

﴿ المعنى ﴾

(ومصدقا لما بين يدي) اي لما انزل قبلي من التوراة وما فيه البشارة في ومن ارسل قبلي من الأنبياء (ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم) هذا معطوف على معنى قوله مصدقا وتقديره ولا صدق ما بين يدي من التوراة ولا حل لكم كما تقول جئته ممتذرا ولا تجلب عطفه وقيل ان الذي أحل لهم لحوم الإبل والشروب وبعض الطيور والحيتان ما كان قد حرم على بني إسرائيل عن قتادة والربيع وابن جريج ووهب وقيل أحل لكم الست عن الكلبي (وجئتمكم بآية من ربكم) اي بحجة تشهد بصدقني (فاتقوا الله) في مخالفتي وتكذبي (وأطيعوني) كما أمركم الله به (إن الله ربي وربكم) أي مالكمي ومالككم وإنما قال ذلك ليكون حجة على النصارى في قولهم المسيح ابن الله والمعنى لا تنسبوني إليه فانا عبده كما انكم عبيد له (فاعبدوه) وحده (هذا صراط مستقيم) أي دين الله أي عبادته دين مستقيم وقد استوفينا الكلام في الرب وفي الصراط المستقيم في سورة الحمد

قوله تعالى (٥٢) فَلَمَّا أَحْسَسَ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٣) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٤) وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (ثلاث آيات)

اللغة

الإحساس الادراك بالحاسة والحس القتل لأنه يحس بألمه والحس العطف لإحساس الرقة على صاحبه والأنصار جمع نصير كالاشراف جمع شريف واصل الحواري الحور وهو شدة البياض ومنه الحواري من الطعام لشدة بياضه قال الحرث بن حنظلة

فقل للحواريات تبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوايح

يعني النساء لبياضهن والشاهد هو المخبر بالشيء عن مشاهدة ويقال هذا شاهد اي ممد للشهادة والمكر الالتفاف ومنه قولهم شاهد بحق اي هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة ويقال هذا شاهد اي ممد للشهادة والمكر الالتفاف ومنه قولهم لضرب من الشجر مكر لالتفافه والمكورة من النساء المتلفة الخلق وهد المكرحج يجتدع به البعد لإيقاعه في الضر والفرق بين المكر والحيلة ان الحيلة قد تكون لإظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد الى الإضرار بالبعد والمكر حيلة على البعد توفعه في مثل الوهق

الاعراب

قيل ان إلى بمعنى مع كقولهم الذود إلى الذود ابل أي مع الذود قال الزجاج لا يجوز ان يقال أن بعض الحروف من حروف المعاني بمعنى الآخر وانما معنى هذا ان اللفظ لو عبر عنه بجمع افاد هذا المعنى لان إلى بمعنى مع لو قلت ذهب زيد الى عمرو لم يميز ان يقول ذهب زيد مع عمرو لأن إلى غاية ومع يضم الشيء الى الشيء والحروف قد تتقارب في الفائدة فيظن الضعيف العلم باللغة ان معناه واحد من ذلك قوله تعالى ولا صلبنكم في جذوع النخل ولو كانت على هاهنا لأدت هذه الفائدة واصل في انما هو للوعاء واصل على لما علا الشيء قولك التمر في الجراب لو قلت على الجراب لم يصح ذلك ولكن جاز في جذوع النخل لأن الجذع مشتمل على المصلوب لأنه قد أخذ من اقطاره ولو قلت زيد على الجبل او في الجبل يصلح لأن الجبل قد اشتمل على زيد فعلى هذا مجاز هذه الحروف

المعنى

(فلما احس) اي وجد وقيل ابصر ورأى وقيل علم (عيسى منهم الكفر) وانهم لا يزدادون الا اصرارا على الكفر بعد ظهور الآيات والمعجزات امتحن المؤمنين من قومه بالسؤال والتعريف عما في اعتقادهم من نصرته (قال من انصاري الى الله) وقيل انه لما عرف منهم العزم على قتله قال من انصاري الى الله وفيه أقوال * احدها * ان معناه من اعواني على هؤلاء الكفار مع معونة الله عن السدي وابن جريح * والثاني * ان معناه من انصاري في السبيل الى الله عن الحسن لأنه دعاهم الى سبيل الله * والثالث * ان معناه من اعواني على اقامة الدين المؤدي الى الله أي إلى نيل ثوابه كقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين وبما يسأل على هذا ان عيسى إنما بعث للوعظ دون الحرب فلم استنصر عليهم فيقال لهم للجماعة من الكافرين الذين أرادوا قتله عند إظهار الدعوة عن الحسن ومجاهد وقيل أيضاً يجوز أن يكون طلب النصر للتمكين من إقامة الحججة وتتميز المواقف من المخالف (قال الحواريون) واختلف في سبب تسميتهم بذلك على أقوال * اولها * انهم سمو بذلك لثبائهم عن سعيد بن جبير * وثانيها * انهم كانوا قصارين يبيضون الثياب عن ابن ابي نجيب عن ابي اريطة * وثالثها * انهم كانوا صيادين يصيدون السمك

عن ابن عباس والسدي **﴿ورابعها﴾** انهم كانوا خاصة الانبياء عن قتادة والضحاك وهذا أوجه لأنهم مدحوا بهذا الإسم كأنه ذهب إلى تقا. قلوبهم كبقاء الثوب الأبيض بالتحوير وروى عن النبي (ص) أنه قال الزبير بن عتي وحواريي من امتي وقال الحسن الحواري الناصر والحواريون الأنصار وقال الكلبي وابو روق الحواريون أصفياء عيسى وكانوا اثني عشر رجلا وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لأنهم كانوا ثورانيين عليهم اثر العبادة ونورها وحسنها كما قال تعالى سبحانه في وجوههم من اثر السجود (نحن أنصار الله) معناه نحن اعوان الله على الكافرين من قومك أي أعوان رسول الله «ص» او أعوان دين الله (آمنا بالله) أي صدقنا بالله انه واحد لا شريك له (واشهد) يا عيسى (بأننا مسلمون) أي لنا كن شهيدا عند الله اشهدوه على اسلامهم لأن الانبياء شهداء على خلقه يوم القيامة كما قال تعالى ويوم نبئت من كل أمة شهيدا (ربنا) أي يا ربنا (آمنا بما أنزلت) على عيسى (واتبعنا الرسول) أي اتبعناه (فاكتبنا مع الشاهدين) أي في جملة الشاهدين بجميع ما نزلت لنفوز بما فازوا به وننال ما نالوا من كرامتك وقيل معناه واجعلنا مع محمد (ص) وامته عن ابن عباس وقد ساهم الله شهداء بقوله لتكونوا شهداء على الناس أي من الشاهدين بالحق من عندك هذا كله حكاية قول الحواريين وروى أنهم اتبعوا عيسى وكانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل إنسان منهم رغيفين يأكلها وإذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده على الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج ماء فيشربون قالوا يا روح الله من أفضل منا إذا شئنا اطعمتنا وإذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك واتبعنا قال أفضل منكم من يعمل بيده وبأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكراء وقوله (ومكروا) يعني كفار بني اسرائيل الذين عناهم الله بقوله فلما احس عيسى منهم الكفر الآية ومعناه دبوا لقتل عيسى (ع) (ومكر الله) أي جازاهم على مكرهم وسمى المجازاة على المكر مكرًا كما قال الله تعالى الله يستهزئ بقتلهم وجاء في التفسير ان عيسى بعد اخراج قومه اياه من بين أظهرهم دعا اليهم مع الحواريين وصاح فيهم باندعوة فموا بقتله وتواطوا على الفتك به فذلك مكرهم به ومكر الله بهم القاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى حتى قتل وصلب ورفع عيسى إلى السماء وقال ابن عباس لما أراد ملك بني اسرائيل قتل عيسى (ع) دخل خوخته وفيها كوة فرمعه جبرائيل من الكوة إلى السماء وقال الملك لرجل منهم خبيث ادخل عليه فاقنله فدخل الخوخة فألقى الله عليه شبه عيسى فخرج إلى أصحابه يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وظنوا انه عيسى وقال وهب اسروه ونصبوا له خشبة ليصلبوه فأظلمت الأرض وارسل الله الملائكة فحالوا بينه وبينهم فأخذوا رجلا يقال له يهوذا وهو الذي دلهم على المسيح وذلك ان عيسى جمع الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصبح الديك ويبعني بدرهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين اليهم فقال ما تجملوا لي ان أدلكم عليه فجملوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فألقى الله عليه شبه عيسى (ع) لما دخل البيت ورفع عيسى فأخذ فقال أنا الذي دلتكم عليه فلم يفتتوا إلى قوله وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى (ع) واتي على ذلك سبعة أيام قال الله عز وجل لعيسى اهبط على مرئيم لتجمع لك الحواريين وتبشهم في الأرض دعاة فهبط فيها النصارى فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى «ع» اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين أي افضل المعاونين وقيل

انصف الماكرين وأعد لهم لأن مكرهم ظلم ومكره عدل وانصاف وإنما اضاف الله المكر الى نفسه على مزاجه الكلام كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والثاني لبس باعتداء وإنما هو جزاء وهذا احد وجوه البلاغة كالمجانسة والمطابقة والمقابلة فالمجانسة كقوله تغلب فيه القلوب والأبصار والمطابقة كقوله ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً بالنصب على مطابقة السؤال والمقابلة نحو قوله وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة

قوله تعالى (٥٥) اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك ايلي ومطهرتك من الذين كفروا وجاهل الذين أتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم ايلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (آية)

﴿ الإعراب ﴾

العامل في اذ قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال ويحتمل ان يكون تقديره ذلك اذ قال الله وتقبله ذلك واقم اذ قال الله ثم حذفت واقم وهو العامل في اذ واقبمت اذ مقامه وعيسى في موضع الضم لأنه منادى مفرد لكن لا يتبين فيه الإعراب لأنه منقوص وهو لا ينصرف لاجتماع المعجمة والتعريف

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه ما هم فيه قوم عيسى من المكروه وقتله عقبه بما انعم عليه من لطف التدبير وحسن التقدير قال (اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك) وقيل في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان المراد به اني قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة بموت عن الحسن وكعب وابن جريج وابن زيد والكاسبي وغيرهم وعلى هذا القول يكون للمتوفى تأويلان ﴿ احدها ﴾ اني رافعك ايلي وافيا لم ينالوا منك شيئاً من قولهم توفيت كذا واستوفيته أي أخذته تاماً ﴿ والآخر ﴾ اني متسلمك من قولهم توفيت منه كذا أي تسلمته ﴿ وثانيها ﴾ اني متوفيك وفاة نوم ورافعك ايلي في النوم عن الربيع قال رفعه نائماً وبدل عليه قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل ايلي بينكم لأن النوم اخو الموت وقال الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية ﴿ وثالثها ﴾ اني متوفيك وفاة نوم عن ابن عباس ووهب قال امانه الله ثلاث ساعات فأما النحويون فيقولون هو على التقديم والتأخير أي اني رافعك ومتوفيك لأن الواو لا توجب الترتيب بدلالة قوله فكيف كان عذابي ونذر والنذر قبل العذاب بدلالة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهذا مروى عن الضحاك وبدل عليه ما روي عن النبي (ص) أنه قال ان عيسى بن مريم لم يميت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة وقد صرح عنه «ص» انه قال كيف انتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم رواه البخاري ومسلم في الصحيح فلي هذا يكون تقديره اني قابضك بالموت بعد نزولك من السماء وقوله (ورافعك ايلي) فيه قولان ﴿ احدها ﴾ اني رافعك ايلي سمائي وسمي رفعه ايلي السماء رفعاً اليه تفخيماً لأمر السماء يعني رافعك لموضع لا يكون عليك الا امري ﴿ والآخر ﴾ أن معناه رافعك ايلي كرامتي كما قال حكاية عن ابراهيم (ع) اني ذاهب ايلي ربي سيهدين أي ايلي حيث أمرني ربي سمي ذهابه ايلي الشام ذهاباً ايلي ربه وقوله

(ومطهرك من الذين كفروا) وفيه قولان ﴿أحدهما﴾ مطهرك باخراجك من بينهم وانجائك منهم فإنهم أرجاس جعل مقامه فيما بينهم كحلافة النجاسة من حيث كان يحتاج إلى مجاورتهم . مجاراتهم ﴿والآخر﴾ ان تطهيره منهم من كفر يفعلونه بالقتل الذي كانوا هموا به لأن ذلك رجز طهره الله منه عن الجبائي وقوله (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) معناه وجاعل الذين آمنوا بك فوق الذين كذبوا عليك وكذبوك في العز والغلبة والظفر والنصرة وقيل في البرهان والحجة والمعني به النصرارى قال ابن زبد ولهذا لا ترى اليهود حيث كانوا الا أذل من النصرارى ولهذا أزال الملك عنهم وإن كان ثابتا في النصرارى على بلاد الروم وغيرها فهم أعز منهم وفوقهم الى يوم القيامة وقال الجبائي فيه دلالة على انه لا يكون لليهود مملكة الى يوم القيامة كما للروم وقيل المعني به أمة محمد (ص) وإنما ساهم تبعا وان كانت لهم شريعة على حدة لأنه وجد فيهم التبعية صورة ومعنى أما صورة فإنه يقال فلان يتبع فلانا اذا جاء بعده واما معنى فلان نبينا (ص) كان مصدقا بعيسى وبكتابه ويقال لمن يصدق غيره انه يتبعه على ان شريعة نبينا وسائر الأنبياء متحدة في أبواب التوحيد فعلى هذا هو متبع له إذ كان معتقدا اعتقاده وقائلا بقوله وهذا القول أوجه لأن فيه ترغيبا في الإسلام ودلالة على ان أمة محمد (ص) يكونون ظاهرين إلى يوم القيامة ولأن من دعاه إليها لا يكون في الحقيقة تابعا له (ثم الي مرجعكم) أي مصيركم (فأحكم بينكم) فأقضي بينكم (فيا كتبتم فيه تختلفون) من امر عيسى

قوله تعالى (٥٦) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٧) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٨) ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (ثلاث آيات)

— (القرأة) —

قرأ حفص ورويس عن يعقوب فيوفيههم بالياء والباقون بالنون

— (الحجة) —

من قرأ بالنون فهو مثل فأعذبهم ويحسنه قوله ذلك تلوه عليك من الآيات ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الله قد تقدم في قوله إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك أو صار من لفظ الخطاب إلى الغيبة كقوله فأولئك هم المضعفون بعد قوله وما آتيتم من زكاة

— (الاعراب) —

نتلوه عليك في موضع رفع بأنه خبر ذلك ويجوز أن يكون صلة لذلك ويكون ذلك بمعنى الذي فعل هذا لا موضع لقوله نتلوه وتقديره الذي نتلوه وقوله من الآيات في موضع رفع بأنه خبره وانشدوا في مثله
عدس ما لعباد عليك إماراة نجوت وهذا تحمليين طليق
تقديره والذي تجمليين طليق

✽ المعنى ✽

(فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة) عذابهم في الدنيا اذلالهم بالقتل والأسر

والسبي والخسف والجزية وكل ما فعل بهم على وجه الاستخفاف والإهانة وفي الآخرة عذاب الأبد في النار (وما لهم من ناصرين) اي اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى (واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهن) اي يوفرن عليهم ويتمم «اجورهم» اي جزاء اعمالهم (والله لا يحب الظالمين) اي لا يريد تعظيمهم واثابهم ولا يرحمهم ولا يثني عليهم وهذه الآية حجة على من قال بالإحباط لأنه سبحانه وعد بتوفية الاجر وهو الثواب والتوفية منافية للإحباط (ذلك) اشارة الى الاخبار عن عيسى وزكرا ويحيى وغيرهم (تتلوه عليك) نقرأ عليك ونكلمك به وقيل تأمر جبرائيل أن يتلوه عليك عن الجبائي (من الآيات) أي من جملة الآيات والحجج الدالة على صدق نبوتك اذا علمتهم بما لا يعلمه الا قارى كتاب او معلم ولست بواحد منها فلم يبق الا انك قد عرفته من طريق الوحي (والذكر الحكيم) القرآن المحكم وانما وصفه بأنه حكيم لأنه بما فيه من الحكمة كأنه ينطق بالحكمة كما تسمى الدلالة دليلا لأنها بما فيها من البيان كأنها تنطق بالبيان والبرهان وان كان الدليل في الحقيقة هو الدال

قوله تعالى (٥٩) إِنَّ مِثْلَ عَيْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٠) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦١) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَمَّأَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (ثلاث آيات)

اللغة

المثل ذكر سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول وتعالوا اصله من العلو يقال تعاليت أتعالى اي جئت واصله المجي الى ارتفاع الا انه كثر في الاستعمال حتى صار بمعنى هلم وقيل في الابتهاق قولان ﴿احدهما﴾ انه بمعنى الاتعان وافتعلوا بمعنى تفاعلوا كقولهم اشتوروا بمعنى تشاوروا بهله الله اي لعنه الله وعليه بهله الله اي لعنه الله ﴿والآخر﴾ انه بمعنى الدعاء بالهلاك قال لبيد «نظر الدهر اليهم فابتهل» اي دعا عليهم بالهلاك فالهمل كاللمن وهو المباعدة عن رحمة الله عقابا على معصيته ولذلك لا يجوز ان يلعن من ليس بعاص من طفل او بهيم أو نحوها

الإعراب

قوله خلقه من تراب لا موضع له من الإعراب لأنه لا يصلح أن يكون صفة لآدم من حيث هو نكرة ولا يكون حالا له لأنه ماض فهو متصل في المعنى غير متصل في اللفظ بعلامة من علامات الاتصال فيكون الرفع على تقدير فهو يكون والحق رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره ذلك الاخبار في أمر عيسى الحق من ربك فحذف ذلك لدلالة شاهد الحال عليه كما يقال الهلال والله أي هذا الهلال وقيل الحق مبتدأ وخبره قوله من ربك

التنزيل

قبل نزلت الآيات في وفد نجران العاقب والسيد ومن معها قالوا لرسول الله هل رأيت ولدا من غير ذكر فنزل إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم الآيات قرأها عليهم عن ابن عباس وقتادة والحسن فلما دعاهم رسول

الله أولى المباهلة استنظروه الى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما رجعوا الى رجالهم قال لهم الأسقف انظروا محمدا في غد فان غدا بولده واهله فاحذروا مباهاتته وان غدا بأصحابه فباهلوه فانه على غير شي فلما كان الند جاء النبي (ص) آخذا بيد علي بن ابي طالب (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) بين يديه عيشان وفاطمة (ع) تمشي خلفه وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي (ص) قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق اليه وهذان ابنا بنته من علي (ع) وهذه الجارية بنته فاطمة أعز الناس عليه واقربهم الى قلبه وتقدم رسول الله فجثا على ركبتيه قال ابو حارثة الاسقف جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة فرجع ولم يقدم على المباهلة فقال السيد ادن يا ابا حارثة للمباهلة فقال لا اذني لارى رجلا جثا على المباهلة وانا اخاف أن يكون صادقا ولئن كان صادقا لم يحل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الأسقف يا ابا القاسم إنا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به فصالحهم رسول الله (ص) على الفي حلة من حلل الاواقي قسمة كل حلة اربعون درهما فاذا نقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلاثين درعا وثلاثين درهما وثلاثين فرسا ان كانت باليمن كيد ورسول الله ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتابا وروي ان الاسقف قال لهم إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة وقال النبي والذي نفسي بيده لو لاعنوني لمسخوا قرودة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم نارا ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم قالوا فلما رجع وفد بخران لم يلبث السيد والمعاقب إلا يسيرا حتى رجعا الى النبي وأهدى المعاقبه حلة وعصا وقدحا ونملين واسلما

—* المعنى *

ثم رد الله تعالى على النصارى قولهم في المسيح انه ابن الله فقال (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) أي مثل عيسى في خلق الله اياه من غير أب كمثل آدم في خلق الله اياه من غير أب ولا أم فليس هو بأبدع ولا اعجب من ذلك فكيف أنكروا هذا واقرؤا بذلك ثم بين سبحانه كيف خلقه فقال (خلقته) اي انشأه (من تراب) وهذا اخبار عن آدم ومعناه خلق عيسى من الريح ولم يخلق قبل احدا من الريح كما خلق آدم من التراب ولم يخلق قبله احدا من التراب (ثم قال له) أي لا آدم وقيل لعيسى (كن) اي كن حيا بشرا سويا (فيكون) أي فكان في الحال على ما اراد وقد مر تفسير هذه الكلمة فيما قبل في سورة البقرة مشروحا وفي هذه الآية دلالة على صحة النظر والاستدلال لأن الله احتج على النصارى ودل على جواز خلق عيسى من غير أب كخلق آدم من غير أب ولا أم (الحق من ربك) أي هذا هو الحق من ربك اضافة الى نفسه تأكيدا وتعليلًا أي هو الحق لأنه من ربك (فلا تكن) ايها السامع (من المعتزين) وقد مر تفسيره في سورة البقرة (فمن حاجك) معناه فمن خاصمك وجادلك يا محمد (فيه) اي في قصة عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أي من البرهان الواضح على أنه عبدي ورسولي عن قتادة معناه وقيل فمن حاجك في الحق والماء في فيه عائدة الى قوله الحق من ربك قتل يا محمد طو لاء النصارى (تعالوا الى كلمة) أي هلموا الى حجة أخرى ماضية فاصلة تميز الصادق من الكاذب (ندع ابناؤنا وابناءكم) اجمع المفسرون على ان المراد بأبنائنا الحسن والحسين قال ابو بكر الرازي هذا يدل على ان الحسن والحسين ابنا رسول الله وان ولد الابنة ابن في الحقيقة وقال ابن ابي علان وهو احد أئمة المعتزلة هذا يدل على ان الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال لأن المباهلة

لا تجوز إلا مع البالغين وقال اصحابنا ان صغر السن وتقصاتها عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل وإنما جعل بلوغ الحلم حدا لتعلق الاحكام الشرعية وقد كانت منها في تلك الحال حسنا لا يمنع معها ان يكونوا كامل العقل على ان عندنا يجوز ان يخرق الله العادات للأئمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم فلو صح ان كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم ابانتهلم عن سواهم ودلالة على مكانهم من الله تعالى واختصاصهم وبما يؤيده من الاخبار قول النبي (ص) ابناي هذان إمامان قاما او قعدا (ونسأنا) اتفقوا على ان المراد به فاطمة (ع) لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء وبعضه ما جاء في الخبر أن النبي (ص) قال فاطمة بضعة مني بريئني ماراها وقال إن الله يغضب لغضب فاطمة وهرضى لرضائها وقد صح عن حذيفة انه قال سمعت النبي (ص) يقول اتاني ملك فبشرني ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ونساء امتي وعن الشعبي عن مسروق عن عائشة قال امر النبي إلى فاطمة شيئا فضحكت فسالها فقالت قال لي ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الأمة ونساء المؤمنين فضحكت لذلك (ونسأكم) اي من شتم من نساءكم (وانفسنا) يعني عليا خاصة ولا يجوز ان يكون المعني به النبي (ص) لأنه هو الداعي ولا يجوز ان يدعو الانسان نفسه وإنما يصح ان يدعو غيره واذا كان قوله وانفسنا لا بد ان يكون اشارة الى غير الرسول وجب ان يكون اشارة الى علي لأنه لا احد يدعي دخوله غير امير المؤمنين علي وزوجه وولديه في المباهلة وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه الى حيث لا يبلغه احد إذ جعله الله نفس الرسول وهذا ما لا يدانيه فيه احد ولا يقاربه وبما بعضه من الروايات ما صح عن النبي انه سئل عن بعض اصحابه فقال له قاتل فلي فقال ما سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي وقوله لبريدة الاسلمي يا بريدة لا تبغض عليا فإنه مني وانا منه ان الناس خلقوا من شجرتي وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة وقوله (ع) بأحد وقد ظهرت نكايته في المشركين ووقايته إياه بنفسه حتى قال جبرائيل ان هذا هي المواساة فقال يا جبرائيل انه مني وانا منه فقال جبرائيل وانا منك (وانفسكم) يعني من شتم من رجالكم (ثم نبهنا) اي تضرع في الدعاء عن ابن عباس وقيل نلتعن فنقول لعن الله الكاذب (فجعل لعنة الله على الكاذبين) منا وفي هذه الآية دلالة على انهم علموا ان الحق مع النبي لأنهم امتنعوا عن المباهلة واقرؤا بالذل والخزي لقبول الجزية فلو لم يعلموا ذلك لباهلوه فكان يظهر ما زعموا من بطلان قوله في الحال ولو لم يكن النبي (ص) متيقنا بنزول العقوبة بعده ودونه لما ادخل اولاده وخواص اهله في ذلك مع شدة اشفاقه عليهم

قوله تعالى (٦٢) **إِنْ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (٦٣) **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمُ بِالْمُفْسِدِينَ** (آيتان)

اللغة

القصص القصة وفعل بمعنى مفعول كالنقص والقبض والقصص جمع القصة ويقال اقتصصت الحديث وقصصته قصا وقصصا رويته على جهته وهو من اقتصصت الأثر اي اتبعته ومنه اشتق القصص والقصص الخبر الذي تابع فيه المعاني والتولي عن الحق اعتقاد خلافة لأنه كالأدبار عنه بعد الاقبال عليه واصل التولي كون الشيء بلي غيره من غير فصل بينه وبينه والافساد ايقاع الشيء على خلاف ما توجه الحكمة والإصلاح ايقاعه

على ما توجه الحكمة والفرق بين الفساد والقيح ان الفساد تغيير عن المقدار الذي تدعو اليه الحكمة وليس كذلك القيح لأنه ليس فيه معنى المقدار وانما هو ما تزجر عنه الحكمة كما ان الحسن ما تدعو اليه الحكمة

﴿ الاعراب ﴾

ما من إله إلا الله دخول من فيه لعموم النفي لكل إله غير الله وانما افادت من هذا المعنى لأن اصلها لا ابتداء الغاية فدل على استغراق النفي لا ابتداء الغاية الى انتهائها وقوله هو يجوز أن يكون هو فصلاً وبسمه الكوفيون عماداً فلا يكون له موضع من الاعراب ويكون القصص خبر إن ويجوز ان يكون مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر إن

﴿ المعنى ﴾

(ان هذا هو القصص الحق) معناه ان هذا الذي اوحينا اليك في امر عيسى (ع) وغيره هو الحديث الصدق فمن خالفك فيه مع وضوح الأمر فهو معاند (وما من إله إلا الله) وما لكم أحد يستحق إطلاق اسم الإلهية الا الله وان عيسى ليس بإله كما زعموا وانما هو عبد الله ورسوله ولو قالوا ما إله إلا الله بغير من لم يفد هذا المعنى (وان الله هو العزيز) أي القادر على الكمال (الحكيم) في الأقوال والأفعال والتقدير والتدبير (فإن تولوا) أي فإن أعرضوا عن اتباعك وتصديقك وعماتيت به من الدلالات والبيئات (فإن الله عليهم بالفسدين) أي من يفسده من خلقه فيجازيهم على افسادهم وانما ذكر ذلك على جهة الوعيد وإلا فانه تعالى عليهم بالفسد والمصلح جميعاً ونظيره قول القائل لغيره أنا عالم بشرك وفسادك وقيل معناه انه عليهم هؤلاء المجادلين بغير حق وبأنهم لا يقدمون على مباهلك لمعرفتهم بنبيوتك

قوله تعالى (٦٤) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَتَوَلَّوْا أَشْهَادُوا يَا نَأْمُسَلِمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

قال الزجاج معنى كلمة كلام فيه شرح قصة وان طال ولذلك تقول العرب للقصيدة كلمة يروي ان حسان بنت ثابت كان إذا قيل له انشدنا قال هل انشد كلمة الحويدرة يعني قصيدته التي أولها «بكرت سمية غدوة فتمتع» ومعنى سواء أي عدل وسوى بمعناه قال زهير

أروني خطة لا ضيم فيها

يسوي بيننا فيها السوا

فإن ترك السوا فليس بيني

وبينكم بني حصن بقاء

وقيل سواء مستور هو مصدر وضع موضع اسم الفاعل ومعناه إلى كلمة مستوية وهو عند الزجاج اسم

ليس بصفة وانما جر بتقدير ذات سواء وجوز نصبه على المصدر

﴿ الاعراب ﴾

موضع ان لا نعبد فيه وجهان - « احدهما » - ان يكون في موضع جر على البدل من كلمة فكأنه قال تعالوا الى أن لا نعبد الا الله « والآخر » ان يكون في موضع رفع على تقدير هي ان لا نعبد الا الله

ولو قرئ ان لا نعبد بالرفع كان ان هي المخففة من المثقلة فكأنه قال انه لا نعبد الا الله كقوله أفلا يرون
ألا يرجع اليهم قولا وعلى هذا يثبت النون في الخط ويكون ان من العوامل في الأسماء وعلى الأول يكون من
العوامل في الأفعال ولا يثبت في الخط النون ولو قرئ أن لا نعبد الا الله بالاسكان فإن مفسرة كالتي
في قوله ان امشوا ولا نعبد نهي

-(التزول)-

قيل في سبب نزول الآية اقوال « احدها » انها نزلت في نصارى نجران عن الحسن والسدي وابن زيد
ومحمد بن جعفر بن الزبير « وثانيها » انها نزلت في يهود المدينة عن قتادة والربيع وابن جريج وقد رواه اصحابنا
ايضا « ثالثها » انها نزلت في الفريقين من اهل الكتاب على الظاهر عن أبي علي الجبائي وهذا اولي لعمومه

-(المعنى)-

لما تم الحجاج على القوم دعاهم تعالى الى التوحيد والى الاقتداء بمن اتفقوا انه كان على الحق فقال
(قل) يا محمد (يا اهل الكتاب تعالوا) أي هادوا (الى كلمة سواء) اي عدل (بيننا وبينكم) اية عادلة
لاميل لها كما يقال رجل عدل اي عادل لا ميل فيه وقيل معناه كلمة مستوية بيننا وبينكم فيها ترك العبادة
لغير الله وهي (أن لا نعبد الا الله) لأن العبادة لا تحق الا له (ولا نشرك به) في العبادة (شيئا ولا
يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) اختلف في معناه فقبل معناه ولا يتخذ بعضنا عيسى ربا فإنه كان بعض
الناس وقيل معناه ان لا نتخذ الاحبار اربابا بأن نطيعهم طاعة الارباب كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله وروي عن ابي عبد الله انه قال ما عبدوهم من دون الله ولكن حرموا لهم حلالا وأحلوا
لهم حراما وكان ذلك اتخاذهم اربابا من دون الله وقد روي ايضا انه لما نزلت هذه الآية قال عددي بن
حاتم ما كنا نعبدكم يا رسول الله فقال (ص) اما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم فقال نعم فقال
النبي (ص) هو ذاك (فإن تولوا) اي عرضوا عن الاقرار بالمبودية وان احدا لا يستحق العبادة غيره
(فقولوا) انتم ايها المسلمون مقابلة لا اعراضهم عن الحق وتجهيدا للاقرار ومخالفتهم (اشهدوا باننا مسلمون)
اي مخلصون مقرون بالتوحيد وقيل مستسلمون منقادون لما أتى به النبي والانبيا من الله وقيل مقيمون
على الإسلام وهذا تأديب من الله لعبده المؤمن وتعليمه كيف يفعل عند اعراض المخالف بعد ظهور الحجة
ليعلم المبطل ان مخالفته لا يؤثر في حقه وليدل على ان الحق يجب اتباعه من غير اعتبار بالقلة والكثرة

قوله تعالى (٦٥) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَتَتْهُ التَّوْرَةُ
وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٦) هَآأَنْتُمْ هُوَ لَا حَآجَّ لَكُمْ بِهِ عِلْمُ
فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة ها انتم بالمد والمهمز وقرأ اهل المدينة وابو عمرو بن نير مد ولا همز إلا بقدر خروج الالف
الساكنة وقرأ ابن كثير ويعقوب بالهمز والقصر من غير مد على وزن هنتم وقرأ ابن عامر بالمد دون الهمز

﴿ الحجة ﴾

الكلام في المد والهمز كثير والوجه ان من حقق فعل الاصل لانها حرفان ها وانتم ومن لم يمد ولم يهمز فالتخفيف من غير اخلال

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين الحجاج والجدال ان الحجاج يتضمن اما حجة او شبهة في صورة الحجة والجدال هو فتل المخصص الى المذهب بحجة او شبهة او ايها في الحقيقة لان اصله من الجدل وهو شدة الفتل والحجة هي البيان الذي شهد بصحة المقال وهو والدلالة بمعنى واحد

﴿ الإعراب ﴾

ها انتم ها للتنبيه وقد كثر التنبيه في هذا ولم يكثر في هانت لان ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر والمعنى فيه واحد بعينه مما يصلح له فقوي بالتنبيه لتحريك النفس على طلبه بعينه وليس كذلك انت لانه لا يصلح لكل حاضر في الجملة وانما هو للمخاطب وخبر انتم يجوز ان يكون حاجتكم على ان يكون هو لا عطف بيان ويجوز ان يكون خبره هو لا على ان اولى بمعنى الذين وما بعده صلة له

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس والحسن وقتادة ان احبار اليهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله فتنازعوا في ابراهيم فقالت اليهود ما كان الا يهوديا وقالت النصارى ما كان الا نصرانيا فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم) اي لم تنازعون وتجادلون فيه وتدعون انه على دينكم (وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده) اي من بعد ابراهيم (اقلا تعقلون) ان الإقامة على الدعوى من غير برهان غير جائزة في العقل فكيف يجوز الإقامة على الدعوى بعد ما ظهر فسادها فان قيل لو دل نزول التوراة والانجيل بعد ابراهيم على انه لم يكن على اليهودية والنصرانية لوجب ان يدل نزول القرآن بهم على انه لم يكن على الاسلام فالجواب ان الكل متفقون على انه منسب باسم الاسلام غير ان اليهود ادعوا ان الاسلام هو اليهودية والنصارى ادعوا انه هو النصرانية والتوراة والانجيل انزلتا من بعد ابراهيم واسمه فيها اسم الاسلام وليس في واحد منها انه كان على دين اليهودية والنصرانية واما القرآن ان كان منزلا بعده ففيه وصف ابراهيم بدين الاسلام ونفي اليهودية والنصرانية عنه ففي هذا اوضح حجة على انه كان مسلما وأن محمدا (ص) وامته الذين لهم اسم الاسلام اولى به منهم وقد قبل ان اليهود اعتقدوا ان اليهودي اسم لمن تمسك بالتوراة واعتقد شريعته والنصارى اعتقدوا ان النصراني اسم لمن تمسك بالانجيل واعتقد شريعته فرد الله تعالى دعوى الفريقين واخبر ان التوراة والانجيل ما انزل الله الا من بعد ابراهيم فكيف يكون متمسكا بحكمها واما نحن فلم ندع ان المسلم هو المتمسك بحكم القرآن إذ الاسلام عبارة عن الدين دون احكام الشريعة فوصفناه بالاسلام كما وصفه الله به فان قيل فهل كان ابراهيم متمسكا بشرائع الاسلام كلها التي نحن عليها قلنا انه كان متمسكا بدين الاسلام وبعض احكام شريعة نبينا (ص) لا يجمعها لان

من حكم الشريعة قراءة القرآن في الصلاة ولم يكن ذلك في شريعته وإنما قلنا أنه مسلم وان كان متمسكا ببعض احكام الشريعة لأن اصحاب النبي (ص) في بدو الاسلام كانوا مسلمين قبل استكمال الشرع وقبل نزول تمام القرآن والواحد منا مسلم على الحقيقة وان لم يعمل بجميع احكام الشريعة (ها انتم) يا معشر اليهود والنصارى وهو في الظاهر تنبيهه على انفسهم والمراد به التنبيه على حاله اذ التنبيه إنما يكون فيما قد يفعله الانسان دون ما يعلمه (حاجبتم) جادلتم وخاصتمم (فيا لكم به علم) معناه حاجبتم ولكم به علم لوجود اسمه في التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) أي فلم تحاجون في دينه وشرعه وليس لكم به علم لم ينكر الله تعالى عليهم حاجبتم فيما علوه وإنما أنكر عليهم حاجبتم فيما لم يعلموا (والله يعلم) شأن ابراهيم ودينه وكل ما ليس عليه دليل لأنه العالم بجميع المعلومات (وانتم لا تعلمون) ذلك فلا تتكلموا فيه ولا تضيفوا اليه ما لا تعلمونه واطلبوا علم ذلك ممن يعلمه

قوله تعالى (٦٧) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٨) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَليُّ الْمُؤْمِنِينَ (آياتان)

﴿ اللغة ﴾

قد ذكرنا الاصل في اليهود والنصارى والحنيف في سورة البقرة واولى الذي هو بمعنى افضل من غيره لا يشئ ولا يجمع لأنه لا يتضمن معنى الفعل والمصدر على تقدير يزيد فضله على فضله في افضل منه ومعنى قولنا هذا الفعل أولى من غيره أي بأن يفعله وقولنا زيد أولى من غيره معناه انه على حال هو أحق بها من غيره والاتباع جريان الثاني على طريقة الأول من حيث هو عليه كالدلول الذي يتبع الدليل في سلوك الطريق أو في التصحيح لأنه إن صح الدليل صح المدلول عليه بصحته وكذلك المأموم الذي يتبع طريقة الإمام

﴿ المعنى ﴾

ثم كذب الله اليهود والنصارى فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) نزهة ابراهيم وبراه عن اليهودية والنصرانية لأنها صفتا ذم قد دل القرآن والاجماع على ذلك وهذا يدل على ان موسى ايضا لم يكن يهوديا ولم يكن عيسى نصرانيا فإن الدين عند الله الاسلام واليهودية ملة محرقة عن شرع موسى والنصرانية ملة محرقة عن شرع عيسى فهما صفتا ذم جريا على فرقتين ضاليتين (ولكن كان حنيفا) أي مائلا عن الأديان كلها الى دين الاسلام وقبل معناه مستقيا في دينه (مسلم) أي كائنا على دين الاسلام (وما كان من المشركين) قبل ان هذا يتضمن كون اليهودية والنصرانية شركا وقبل ان معناه لم يكن مشركا على ما يدعيه مشركو العرب (إن أولى الناس بإبراهيم) يعني ان احق الناس بنصرة ابراهيم بالحجة أو بالمعونة (للذين اتبعوه) في وقته وزمانه وتولوه بالنصرة على عدوه حتى ظهر أمره وعلت كلمته (وهذا النبي والذين آمنوا) يتولون نصرته بالحجة لما كان عليه من الحق وتبرئة كل عيب عنه أي هم الذين ينبغي

لم أن يقولوا انا على دين ابراهيم ولهم ولايته (والله ولي المحسنين) لأنه يتولى نصرتهم والمؤمن ولي الله لهذا المعنى بعينه وقيل لأنه يتولى نصرته ما أمر الله به من الدين وانما افرد الله النبي (ص) بالذكر تعظيما لأمره واجلالا لقدرة كما افرد جبرائيل وميكائيل وقيل ليدخل في الولاية وتعود اليه الكفاية فإن التقدير والذين آمنوا به وفي هذه الآية دلالة على ان الولاية تثبت بالدين لا بالنسب وبعض ذلك قول امير المؤمنين ان اولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤا به ثم تلا هذه الآية وقال ان ولي محمد من أطاع الله وان بعدت لحنته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته وروى عمر بن يزيد قال قال ابو عبد الله انتم والله من آل محمد قلت من انفسهم جعلت فداك قال نعم والله من انفسهم قالها ثلاثا ثم نظر إلي ونظرت اليه فقال يا عمر وان الله يقول في كتابه ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه الآية رواه علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن ابي عمير عن منصور بن يونس عنه

قوله تعالى (٦٩) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَوْ يَضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

ودت أي تمت فلما كان بمعنى تمنى صلح للماضي والحال والاستقبال فلذلك جاز بلو وليس كذلك المحبة والإرادة لأنها لا تتعلق الا بالمستقبل فلا يجوز أن يقال ارادوا لو يضلونكم لأن الإرادة يجري مجرى الاستدعاء الى الفعل او مجرى العلة في ترتيب الفعل فأما التمني فهو تقرير شيء في النفس يستمتع بتقريره والفرق بين ود لو تضله وبين ود ان تضله ان إن للاستقبال وليس كذلك لو

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ان هؤلاء كما ضلوا دعوا الى الضلال فقال (ودت) أي تمت وقيل ارادت (طائفة) أي جماعة (من أهل الكتاب) أي من اليهود والنصارى وقيل من اليهود خاصة (لو يضلونكم) أي يهلكونكم بإدخالكم في الضلال ودعائكم اليه ويستعمل الضلال بمعنى الهلاك نحو قوله إذا ضللتنا في الارض ومعناه هلكنا وبطلت صورنا (وما يضلون إلا انفسهم) معناه لا يرجع وبال اضلالهم الا على انفسهم ولا يلحق ضرره الا بهم فإن المسلمين لا يجيبونهم الى ما يدعونهم اليه من ترك الإسلام الى غيره من الأديان فيبقى عليهم إثم الكفر وبال الدعاء الى الكفر وقيل معناه وما يهلكون الا انفسهم أي لا يعتد بما يحصل لغريم من الهلاك في جنب ما يحصل لهم (وما يشعرون) أي وما يعلمون ان وبال ذلك يعود اليهم وقيل وما يشعرون ان الله تعالى يدل المؤمنين على ضلالهم واضلالهم وقيل وما يشعرون انهم ضلال لجهلهم عن ابي علي الجبائي

قوله تعالى (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧١) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلِيْسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آيتان)

﴿ الإعراب ﴾

لم اصله لما حذفت الألف لاتصالها بالحرف الجار مع وقوعها ظرفاً ولدلالة الفتحه عليها وكذلك بهو عم

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله الفريقين فقال (يا اهل الكتاب لم تكفرون) بما يتلى عليكم من (آيات الله) يعني القرآن (وانتم تشهدون) اي تعلمون وتشاهدون ما يدل على صحتها ووجوب الاقرار بها من التوراة والانجيل اذ فيها ذكر النبي والاخبار بصدق نبوته وبيان صفته وقيل يعني آيات الله ما في كتبهم من البشارة بنبوته وانتم تشهدون الحجج الدالة على نبوته وقيل يعني الآيات ما في كتبهم ان ابراهيم كان حنيفاً مسلماً وان الدين هو الاسلام وانتم تشهدون ذلك وقيل يعني بها ما يتلى عليكم من غرائب اخبارهم التي علموا انها في كتبهم عن ابي مسلم وقيل يعني بالآيات الحجج الدالة على نبوة محمد (ص) وانتم تشهدون ان الأول لمعجزة يدل على صدق الرسالة وثبوت النبوة وقيل وانتم تشهدون اذا خلوتهم بصحة دين الاسلام (يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) معناه لم تخلطون الحق بالباطل وفيه اقوال « احدها » ان المراد به تحريفهم التوراة والانجيل عن الحسن وابن زيد « وثانيها » ان المراد به اظهارهم الاسلام وابطالهم النفاق في قلوبهم من اليهودية والنصرانية لانهم تداعوا إلى إظهار الإسلام في صدر النهار والرجوع عنه في آخره تشكيكاً للناس عن ابن عباس وقتادة « وثالثها » ان المراد به الايمان بوسنى وعيسى والكفر بمحمد « ورابعها » ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من ان محمداً حق بما يظهره من تكذيبه عن الجبائي والي مسلم (وتكتمون الحق) أي نبوة محمد (ص) وما وجدتموه في كتبكم من نعته والبشارة به (وانتم تعلمون) انه حق وإنما نزلت هذه في طائفة من علمائهم لأن الكتابين إنما يجوز على الطائفة القليلة دون الكثيرة وقيل معناه وانتم تعلمون الأمور التي تصح بها التكليف والأول أصح لما في الآية من الذم على الكتابين

قوله تعالى (٧٢) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آيُنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٣) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِالْمَنِّ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٤) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير أن يؤتى احد مسدود والباقون أن يؤتى بغير مد واستفهام

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي من قرأ أن يؤتى احد فتقديره لا تؤمنوا بأن يؤتى احد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم وقوله قل إن الهدى هدى الله اعترض بين المفعول وفعله واذا حذف الجار من إن كان على الخلاف يكون في قول الخليل جراً وفي قول سيويه نصاً فأما اللام في قوله لمن تبع دينكم فلا يسهل أن تعلقه بتؤمنوا وأنت قد أوصلته بحرف آخر جار فتملق بالفعل جارين كما لا يستقيم ان تعديه إلى مفعولين إذا كان يتعدى إلى مفعول واحد

ألا ترى ان تعدية الفعل بالجار كتعديته بالهمز وتضعيف العين فكما لا يتكرر هذان كذلك لا يتكرر الجار فإذا لم يسهل تعليق المفعولين به حملته على المعنى والمعنى لا تقرؤا بأن يوتى احد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم كما تقول أفرت لزيد بالف فيكون اللام متعلقا بالمعنى ولا تكون زائدة على حد ان كنتم للرويا تعبرون ولكن يتعلق بالاقرار وإن شئت عملت الكلام على معنى الجحود فكأنه قال اجحدوا الناس إلا لمن تبع دينكم فيكون اللام على هذا زائدة وقد تعدى آمن بالللام في غير هذا قال الله تعالى فما آمن لموسى إلا ذريته وقال آمنتهم له قبل ان آذن لكم وقال يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين فتعدى مرة بالباء ومرة بالللام ووجه قراءة ابن كثير ان في موضع رفع بالابتداء لأنه لا يجوز أن يحمل على ما قبله من الفعل بقطع الاستفهام بينها وخبره تصدقون به وتعترفون به ونحو ذلك بما دل عليه قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم هذا على قول من قال ازيد ضربته ومن قال ازيدا ضربته كان ان عنده في موضع نصب ويجوز أن يكون موضع ان نصبا على معنى تذكرون أن يوتى احد مثل ما أوتيتم او تشيعون ويدل على ذلك قوله تعالى أتحدثونهم بما فتح الله عليكم فحدثهم بذلك إشاعة منهم واتشاء وبخ بعضهم بعضا بالحديث للعلمه من أمر النبي (ص) وعرفوه من وصفه فهذه الآية في معنى قراءة ابن كثير ولعله اعتبرها في قراءة

✽ اللغة ✽

الطائفة الجماعة وفي أصلها قولان ﴿احدهما﴾ انه كالرفعة التي من شأنها أن تطوف البلاد في السفر الذي يقع عليه الاجتماع ﴿والآخر﴾ انها جماعة يستوي بها حلقة يطاف حولها ووجه النهار اوله وسمي وجها لأنه اول ما يواجهك منه كما يقال لأول الثوب وجه الثوب وقيل لأنه كالوجه في انه أعلاه وأشرف ما فيه قال الربيع بن زياد

من كان سرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار

✽ النزول ✽

قال الحسن والسدي تواطأ اثنا عشر رجلا من اجداد يهود خيبر وقرى عرينه وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرننا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك وظهر لنا كذبه في بطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينه وقالوا انهم اهل الكتاب وهم أعلم به منا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي كان هذا في شأن القبلة لما حوت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كتب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بالله وبما أنزل على محمد (ص) من أمر الكعبة وصلوا إليها اول النهار وارجعوا إلى قبلكم آخره لعلمهم يشكون

✽ المعنى ✽

لما ذكر تعالى صدرا من كبار القوم عقبه بذكر هذه المكيدة الشديدة فقال (وقالت طائفة) أي جماعة (من اهل الكتاب) أي بعضهم لبعض (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) يعنون النبي واصحابه (وجه النهار واكفروا آخره) واختلف في معناه اقوال «احدها» اظهروا الايمان لهم اول النهار وارجعوا عنه في آخره فانه أخرى أن ينقلبوا عن دينهم عن الحسن وجماعة «وثانيها» آمنوا بصلاتهم إلى الكعبة اول النهار واكفروا آخره ليرجعوا بذلك عن دينهم عن مجاهد «وثالثها» اظهروا الايمان في صدر النهار بما سلف لكم من الاقرار بصفة محمد (ص) ثم ارجعوا في آخره لتوهمهم انه كان قد وقع غلط في صفته (لعلمهم يرجعون) عن دينهم الإسلام عن ابن عباس وجماعة (ولا تؤمنوا) أي ولا تصدقوا (إلا لمن تبع دينكم) اليهودية وقام بشرائكمم وهو

عطف على ما مضى واختلف في معنى الآية على اقوال « احدها » ان معناه ولا تصدقوا (بأن يوتى احد مثل ما أوتيتهم) من العلم والحكمة والبيان والحجة إلا لمن تبع دينكم من اهل الكتاب وقيل إنا قال ذلك يهود خبير ليهود المدينة لتلايمتقروا به فيلومونهم به لاقرارهم بصحته وقيل معناه لا تعترفوا بالحق إلا لمن تبع دينكم وقوله (او يحاجوكم عند ربكم) لأنكم أصبح ديننا منهم فلا تكون لهم الحجة عليكم عند الله فيكون هذا كله من كلام اليهود وقوله (قل إن الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء) كلام الله جوابا لليهود وردا عليهم أي قل يا محمد ان الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله فلا ينبغي لهم أن ينكروا أن يوتى أحد مثل ما أوتوا وهذا معنى قول الحسن وأبي علي الفارسي « وثانيها » أن يكون قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كلام اليهود وما بعده من الله ويكون المعنى قل ان الهدى هدى الله أن يوتى احد مثل ما أوتيتهم أيها المسلمون كقوله يبين الله لكم أن تضلوا أي أن لا تضلوا وان لا يحاجوكم عند ربكم وهذا قول السدي وابن جريج وقال ابو العباس المبرد أن لا ليست مما تحذف هاهنا ويكون هدى بدلان من الهدى والخبر أن لا يوتى احد مثل ما أوتيتهم ولكن الإضافة منامعلومة فحذفت الأول واقامت الثانية مقامه والمعنى قل ان الهدى هدى الله كراهة (أن يوتى أحد مثل ما أوتيتهم) أي ممن خالف دين الله لأن لا يهدي من هو كاذب كفار فهدى الله بعيد من غير المؤمنين وكذلك تقدير قوله يبين الله لكم كراهة أن تضلوا وقال قوم ان تقديره قل يا محمد ان الهدى إلى الخير هدى الله فلا تجحدوا ايها اليهود أن يوتى احد مثل ما أوتيتهم من النبوة (او ان) يحاجوكم بذلك (عند ربكم) إن لم تقبلوا ذلك منهم عن قتادة والربيع والجبائي وقيل ان الهدى هدى الله معناه ان الحق ما أمر الله ثم فسر الهدى فقال أن يوتى أحد مثل ما أوتيتهم او يحاجوكم فلموتى هو الشرع وما يحتاج به هو العقل وتقدير الكلام ان هدى الله ما شرع او ما عهد به في العقل فهذه اربعة اقوال « وثالثها » ان يكون الكلام من اول الآية إلى آخرها لله تعالى وتقديره ولا تؤمنوا ايها المؤمنون إلا لمن تبع دينكم وهو دين الإسلام ولا تصدقوا بأن يوتى احد مثل ما أوتيتهم من الدين فلا نبي بعد نبيكم ولا شريعة بعد شريعتكم إلى يوم القيامة ولا تصدقوا بأن يكون لأحد حجة عليكم عند ربكم لأن دينكم خير الأديان وان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله فتكون الآية كلها عطافا للمؤمنين من الله تعالى عند تلبس اليهود عليهم لتلا يزلوا ويدل عليه ما قاله الضحاك ان اليهود قالوا إنا نحاج عند ربنا من خالفنا في ديننا فبين الله تعالى انهم هم المدحضون المغلوبون وان المؤمنين هم الغالبون وقوله (قل ان الفضل بيد الله) قيل يريد به النبوة وقيل الحجج التي أوتيتها محمد (ص) ومن معه وقيل نعم الدين والدنيا وقوله بيد الله أي في ملكه وهو القادر عليه العالم بحله (يوتيه من يشاء) وفي هذه دلالة على ان النبوة ليست بمستحقة وكذلك الإمامة لأن الله سبحانه علقه بالمشية (والله واسع) الرحمة جواد وقيل واسع المقدور يفعل ما يشاء (علم) بمصالح الخلق وقيل يعلم حيث يجعل رسالته (يختص برحمته من يشاء) والله ذو الفضل العظيم) مر تفسيره في سورة البقرة في العشر التي بعد المائة وفي هذه الآيات معجزة باهرة لتبيننا إذ فيها اخبار عن سرائر القوم التي لا يعلمها إلا علام الغيوب وفيها دفع لمكائدهم ولطف للمؤمنين في الثبات على عقائدهم

قوله تعالى (٧٥) وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤْذِمُ إِيَّاكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤْذِمُ إِيَّاكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٦) بلى من أوتى بعقوبته
أَتَمَّى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وابو بكر عن عاصم يؤده بسكون الهاء. وروي نحوه عن أبي عمرو وقرأ أبو جعفر ويعقوب بكسر الهاء مع الاختلاس وهو الصحيح من مذهب أبي عمرو والباقون بالكسر والإشباع

﴿ الحجة ﴾

أما سكون الهاء. فإن أكثر النحويين على أنه لا يجوز وغلط الزجاج الرازي فيه عن أبي عمرو قال وحكي سيبويه عنه وهو ضابط لمثل هذا أنه كان يكسر كسرا خفيفا قال الفراء هذا مذهب بعض العرب يسكنون الهاء إذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته كما يسكنون ميم انتم وقتمم وأما الاختلاس فإنه للاكتفاء بالكسرة عن الياء. وأما الإشباع فعلى الأصل

﴿ اللغة ﴾

القنطار قد ذكرنا الخلاف في مقداره في أول السورة والدينار أصله دينار بنونين فقلبت إحدى النونين ياء لكثرة الاستعمال طلبا للخفة وجمعه دنانير ودمت ودمت لثتان مثل متومت ولكن من كسر الدال والهميم قال في المضارع غات وتدام وهي لغة أزد السراة ووفى ووفى لثتان وأهل الحجاز يقولون أوفيت وأهل نجد يقولون وفيت

﴿ الإعراب ﴾

الفرق بين أن تقول تأمنه بقنطار وبين أن تقول على قنطار أن معنى الباء الصاق الأمانة ومعنى على استعمالا. لأمانة وهما يتعاقبان في هذا الموضع لتقارب المعنى كما تقول مررت به ومررت عليه وبلى يحتمل معنيين (أحدهما) الأضراب عن الأول على جهة الإنكار للأول وعلى هذا الوجه يكون من أوفى بعده مكثفيه نحو قولك ما قدم زيد فيقال بلى أي بلى قد قدم زيد قال الزجاج هاهنا وقف تام ثم استأنف من أوفى إلى الآخرة لأنهم لما قالوا ليس علينا في الأميين سبيل قيل بلى عليهم وسبيل (الثاني) الأضراب عن الأول والاعتماد على البيان الثاني وعلى هذا الوجه لا تكون مكثفية والفرق بين بسلى ونعم أن بلى جواب النبي ونعم جواب الإثبات إنما جاز أمالة بلى لمشابتها الأوسم من وجهين ﴿ أحدهما ﴾ أنه توقف عليها كما توقف على الإسم ﴿ والآخر ﴾ على ثلاثة أحرف ولذلك خالفت لا في الإمالة

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس قال يعني بقوله من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك عبد الله بن سلام أودعه رجل الفا ومائتي أوقية من ذهب قاداه إليه فمدحه الله سبحانه يعني بقوله من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك فخاص بن عازوزاء. وذلك أن رجلا من قريش استودعه دينارا فخافه وفي بعض التفاسير أن الذي يؤدي الأمانة النصارى والذين لا يؤدونه اليهود

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه معائب القوم وإن فيهم من تخرج عن العيب فقال (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه) أي تجعله أمينا على قنطار أي مال كثير على ما قيل فيه من الأقوال التي مضى ذكرها في أول السورة (يؤده إليك) عند المطالبة ولا يجوز فيه (ومنهم من إن تأمنه بدينار) أي على ثمن دينار والمراد تجعله أمينا على قليل من المال (لا يؤده إليك) عند المطالبة وهم كفار اليهود بالأوجماع (أما دمت عليه قائما) معناه إلا أن تلازمه وتتقاضاه عن الحسن وابن زيد وقيل إلا أن تدوم قائما بالتقاضي والمطالبة عن قتادة ومجاهد وقيل إلا ما دمت عليه قائما بالاجتماع معه

والملازمة من السدي قال ما دمت عليه قائماً أي ملجأً عن ابن عباس (ذلك) أي ذلك الاستحلال والحيانة (بأنهم قالوا ليس علينا في الأيمان سبيل) هذا بيان العلة التي كانوا لأجلها لا يؤدون الأمانة ويميلون إلى الخيانة أي قالت اليهود ليس علينا في أموال العرب التي أصبنا سبيل لأنهم مشركون عن قتادة والسدي وقيل لأنهم تحولوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه وذلك أنهم عاملوا جماعة منهم ثم أسلم من له الحق وامتنع من عليه الحق من أداء الحق وقالوا إنما عاملناكم واتم على ديننا فإذا فارقتموه سقطت حقاكم وادعوا أن ذلك في كتبهم فكذبهم الله في ذلك بقوله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أنهم يكذبون لأن الله أمرهم بخلاف ما قالوا عن الحسن وابن جريح وإغاسمهم أميين لعدم كونهم من أهل الكتاب أو لكونهم من مكة وهي أم القرى ثم الله تعالى رد عليهم قولهم فقال (بلى) وفيه نفي لما قبله وثابت لما بعده كأنه قال ما أمر الله بذلك ولا أحبه ولا أراد بل أوجب الوفاء بالعهد وأداء الأمانة (من أوفى بعهد) يحتل أن يكون لها في عهده عائدة على اسم الله في قوله ويقولون على الله الكذب فيكون معناه بعهد الله وعهد الله إلى عباده أمره ونهيه ويحتل أن يكون عائدة إلى من ومعناه من أوفى بعهد نفسه لأن العهد يضاف تارة إلى المعاهد وتارة إلى المعهود له واتقى الحيانة ونقض العهد فإن الله يحب المتقين معناه فإن الله يحب إلا أنه عدل إلى ذكر المتقين ليبين الصفة التي يجبها محبة الله وهذه صفة المؤمن فكانه قال والله يحب المؤمنين ولا يجب لليهود وروي عن النبي أنه قال لما قرأ هذه الآية قال كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها موداة إلى البر والفاجر وعنه قال ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مؤمن من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا التفتن خان وعنه (ص) قال من اتهم على الأمانة فادأه ولو شاء لم يؤدها زوجته الله من الحور العين ما شاء.

قوله تعالى (٧٧) **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَأَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ** (آية)

التزول

نزلت في جماعة من أجداد اليهود أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وحي بن الأخطب وكعب بن الأشرف كتبوا ما في التوراة من أمر محمد وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لتلافتهم الرياسة وما كان لهم على اتباعهم عن عكرمة وقيل نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له في أرض قام ليحلف عند رسول الله فلما نزلت الآية نكل الأشعث واعترف بالحق ورد الأرض عن ابن جريح وقيل نزلت في رجل حلف بيننا فاجرة في تنفيق سلعة عن مجاهد والشعبي

المعنى

ثم ذكر تعالى الوعيد لهم على أفعالهم الخبيثة فقال (إن الذين يشترون بعهد الله) أي يستبدلون بعهد الله أي بأمر الله وما يلزمهم الوفاء به وقيل معناه أن الذين يحصلون بنكث عهد الله ونقضه وأيمانهم أي وبالآيمان الكاذبة (ثمناً قليلاً) أي عوضاً نزرًا وسهواً قليلاً لأنه قليل في جنب ما يفوتهم من الثواب ويحصل لهم من العقاب وقيل العهد وما أوجبه الله على الإنسان من الطاعة والكف عن المعصية وقيل هو ما في عقل الإنسان من الزجر عن الباطل والالتقياد بالحق (أولئك لا خلاق لهم) أي لا نصيب وافر لهم في نعم الآخرة (ولا يكلمهم الله) فيه قولان (١) أحدهما (٢) أنه لا يكلمهم بما يسره بل بما يسوهم وقت الحساب لهم عن الجبائي

﴿والآخر﴾ انه لا يكلمهم اصلا وتكون المحاسبة بكلام الملائكة لهم بأمر الله اياهم استهانة بهم (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) معناه لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقول القائل للغير انظر إلي يريد ارحمني وفي هذا دلالة على ان النظر إذا عدي بحرف إلى لا يفيد الروية لأنه لا يجوز حملها هنا على انه لا يراهم بلا خلاف (ولا يذكهم) أي لا يطهرهم وقيل لا ينزلهم منزلة الازكيا. عن الجبائي وقيل لا يطهرهم من دنس الذنوب والأوزار بالمنفرة بل يعاقبهم وقيل لا يحكم بأنهم أذكيا. ولا يسميهم بذلك بل يحكم بأنهم كفرة فجرة عن القاضي (ولهم عذاب أليم) مؤلم مومج وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله يقول من حلف على بين كاذبة ليقطع بها مال أخيه المسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وتلا هذه الآية وروى مسلم بن الحجاج في الصحيح بإسناده من عدة طرق عن ابي ذر الأنفاري عن النبي (ص) قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر لهم ولا يذكهم ولهم عذاب اليم المنان الذي لا يعطي شيئا إلا منة والمنفق سلته بالخلف الفاجر والمسبل ازاره وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (ص) قال من حلف على بين صير يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان أوردته مسلم أيضا في الصحيح

قوله تعالى (٧٨) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ السُّتُومَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (آية)

اللغة

أصل اللي القتل من قولك لويت يده اذا قتلها ومنه لويت الغريم لوبا وليانا إذا مطلته حقه قال الشاعر
تطيلين لياني وأنت مليه واحسن يا ذات الوشاح التقاضيا
ومنه الحديث لي الواجد ظلم والألسنة جمع اللسان على التذكير كجمل واحمرة ويقال السن على التأنيث
كمناق واعتق والفرق بين حبت وزعت ان زعت يحتمل ان يكون يقينا وانا وحسبت لا يحتمل
اليقين أصلا

الإعراب

لفريقا نصب بأنه اسم ان واللام للتأكيد دخلت على اسم ان إذا كان مؤنثا ولا يجوز ان يزيدا في الدار لتلا يجتمع حرفا تأكيد كما لا يجوز دخول التعريف على التعريف فأما قولهم جاء في القوم كلهم اجمعون فكلهم تأكيد للقوم وأجمعون تأكيد لكل

التزول

قيل نزلت في جماعة من ابحار اليهود كتبوا بأيديهم ما ليس في كتاب الله من بعث النبي (ص) وغيره وأضافوه إلى كتاب الله وقيل نزلت في اليهود والنصارى حرفوا التوراة والإنجيل وضرخوا كتاب الله بعضه ببعض وألحقوا به ما ليس منه وأسقطوا منه الدين الحنيف عن ابن عباس

المعنى

(وان منهم) أي من أهل الكتاب وهو عطف على قوله وان من أهل الكتاب مسن ان تأمنه بقنطار (لفريقا) أي طائفة (يلون الستهم بالكتاب) معناه يحرفون الكتاب عن جهته ويمعدلون به عن القصد

بالتهم فجعل الله تحريف الكتاب عن الجهة ليا باللسان وهذا قول مجاهد وقتادة وابن جريج والربيع وقيل يفسرونه بخلاف الحق (لتحسبوه من الكتاب) أي لتظنوه أيها المسلمون من كتاب الله تعالى وما هو من الكتاب المنزل على موسى ولكنهم يخترعونه ويبتدعونه ويقولون هو من عند الله (وما هو من عند الله) وفي هذا دليل على أن المعاصي ليست من عند الله ولا من فعله لأنها لو كانت من فعله لكانت من عنده على أكد الوجوه فلم يجز إطلاق النفي بأنها ليست من عند الله وكما لا يجوز أن يكون من الكتاب على وجه مسن الوجوه لإطلاق النفي بأنه ليست من الكتاب كله لا يجوز أن يكون من عند الله لإطلاق النفي بأنه ليس من عند الله (ويقولون على الله الكذب) في نسبتهم ذلك إلى الكتاب (وهم يعلمون) أن ذلك كذب وقيل وهم يعلمون ما عليهم من العقاب

قوله تعالى (٧٩) مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٨٠) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (آياتان)

(- القراءة -)

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة تعلمون بالتشديد والباقون تعلمون وقرأ عاصم غيره وعن الأعشى والبرجمي وحزمه وابن عامر ويعقوب ولا يأمركم بنصب الرأء والباقون بالرفع

(- الحجة -)

حجة من قال تعلمون بالتشديد أن التعليم أبلغ في هذا الموضع لأنه إذا علم الناس ولم يعمل بعلمه كان مع استحقاق الذم يترك علمه داخلا في جملة من وبخ بقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وحجة من قرأ تعلمون أن العالم الدارس قد يدرك بعلمه ودرسه مما يكون داعيا إلى التمسك بعلمه والعمل به ما لا يدركه العالم المعلم في تدريسه ومن قرأ يأمركم فعلى القطع من الأول أراد ولا يأمركم الله ومن نصبه فعلى قوله وما كان لبشر أن يأمركم أن تتخذوا وبما يقوي الرفع ما روي في حرف ابن مسعود يأمركم فهذا يدل على الانقطاع من الأول وما يقوي النصب ما جاء في السير أن اليهود قالوا للنبي (ص) يا محمد أتريد أن تتخذك ربا فقال الله عز وجل ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ولا أن يأمركم

﴿ اللغة ﴾

البشر يقع على القليل والكثير فهو بمنزلة المصدر مثل الخلق تقول هذا بشر وهؤلاء بشر كما تقول هذا خلق وهؤلاء خلق وإنما وقع المصدر على القليل والكثير لأنه جنس الفعل فصار كأسماء الأجناس مثل الماء والقراب ونحوه والرباني هو الرب يرب أمر الناس بتدبيره واصلاحه إياه يقال رب فلان أمره ربانية وهو ربان إذا دبره واصلحه ونظيره نفس ينفس وهو نفسان وأكثر ما يجيء فعلان من فعل يفعل فيكون العالم ربانيا لأنه بالعلم يلي الأمر ويصلحه وقيل أنه مضاف إلى علم الرب وهو علم الدين الذي يأمره به إلا أنه غير في الإضافة ليدل على هذا المعنى كما قيل في الإضافة إلى البحرين بحراني وكما قيل للعظيم الرقبة رقباني وللعظيم اللحية لحياتي فقيل لصاحب علم الدين الذي أمر به الرب رباني

- ﴿ النزول ﴾ -

قيل ان ابا رافع القرظي من اليهود ورئيس وفد نجران قال يا محمد أتريد ان تعبدك وتخذلك إلهما فقال معاذ الله أن اعبد غير الله أو أمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثي ولا بذلك أمرني فأنزل الله الآية عن ابن عباس وعطاء رقيب نزلت في نصارى نجران عن الضحاك ومقاتل وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لأحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله فأنزل الله الآية

- ﴿ المعنى ﴾ -

لما تقدم ذكر أهل الكتاب وانهم أضافوا ما يتدينون به إلى الأنبياء. نزههم الله عن ذلك فقال (ما كان لبشر) يعني ما ينبغي لبشر كقوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا وما كان لنا أن نتكلم بهذا أي لا ينبغي وقيل لا يجوز معناه لبشر ولا يجل له (أن يوتيئه الله) ان يعطيه الله (الكتاب والحكمة والنبوة) أي العلم أو الرسالة إلى الخلق (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) أي عبدوني من دونه أو عبدوني معه عن الجبائي وقيل معناه ليس من صفة الأنبياء الذين خصهم الله لرسالاته واجتباهم لنبوته وانزل عليهم كتبه وجعلهم حكما. علماء ان يدعوا الناس إلى عبادتهم وانما قال ذلك على جهة التنزيه للنبي (ص) عن مثل هذا القول لا على وجه النهي وقوله عبادا هو من العبادة قال القاضي وتبيد بخلافه لأنه بمعنى المبودية ولا يتنع ان يكونوا عبيدا لغير الله ويتنع ان يكونوا عبادا لغيره (ولكن كونوا ربانيين) فيه حذف أي لا ينبغي لهذا النبي ان يقول للناس عبدوني ولكن ينبغي ان يقول لهم كونوا ربانيين وفيه اقوال (أحدها) أن معناه كونوا علماء فقها. عن علي وابن عباس والحسن (وثانيها) كونوا علماء حكما. عن قتادة والسدي وابن أبي ذر (وثالثها) كونوا حكما. اتقياء عن سعيد بن جبير (ورابعها) كونوا مدبري امر الناس في الولاية بالإصلاح عن ابن زيد (وخامسها) كونوا معلمين للناس من علمكم كما يقال أنفق بمالك أي أنفق من مالك عن الزجاج وروى عن النبي انه قال ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا حر ولا مملوك إلا والله عليه حق واجب أن يتعلم من العلم ويتفقه فيه وقال ابو عبيدة سمعت رجلا عالما بقول الرباني العالم بالحلل والحرام والأمر بالنهي وما كان وما يكون وقال ابو عبيدة لم تعرف العرب الرباني وهذا فاسد لأن القرآن نزل بلغتهم وروى عن محمد بن الحنفية انه قال يوم مات ابن عباس مات رباني هذه الأمة وقد ذكرنا اشتقاقه قبل (بما كنتم تعلمون الكتاب) أي القرآن (وبما كنتم تدرسون) أي الفقه ومن قرأ بالتشديد اراد تعلمونه لسواكم فيفيد انهم يعلمون ويعلمون غيرهم والتخفيف لا يفيد أكثر من كونهم عالمين ودخلت الباء في قوله بما كنتم تعلمون لأحد ثلاثة أشياء اما ان يريد كونوا معلمي الناس بعلمكم كما يقال أنفقوا بمالك ويريد كونوا ربانيين في علمكم ودراستكم ووقعت الباء موقع في او يريد كونوا ممن يستحق أن يطلق له صفة عالم بعلمه على جهة المدح بأن تعلموا ما علمتم وذلك الإنسان انما يستحق الوصف بأنه عالم اذا عمل بعلمه ويدل عليه قوله انما يخشى الله من عباده العلماء (ولا يأمركم) أي ولا يأمركم الله عن الزجاج وقيل ولا يأمركم محمد عن ابن جريج وقيل ولا يأمركم عيسى ومن نصب الرأء عطفه على أن يوتيئه الله نعمته ولا كان لهذا النبي أن يأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) أي آلهة كما فعله الصابئون والنصاري (يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) الف انكار اصله الاستفهام وانما استعمل في الانكار لأنه مما لو

أقربه المخاطب لظهرت فضيخته فلذلك جاء على السؤال وان لم يكن الغرض تعرف الجواب ومعناه ان الله تعالى وإنما يبعث النبي (ص) ليدعو الناس الى الإيمان فلا يبعث من يدعو المسلمين الى الكفر

قوله تعالى (٨١) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨٢) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وحده لما آتيتكم بكسر اللام والباقون بفتحها وقرأ نافع آتيناكم على الجمع والباقون آتيتكم

﴿ الحجة ﴾

الوجه في قراءة حمزة لما آتيتكم بكسر اللام انه يتعلق بالأخذ كأن المعنى أخذ ميثاقهم لهذا ويكون ماعلى هذا موصولة والعائد الى الموصول من الجملة المعطوفة على صلته وهي قوله جاءكم رسول مصدق لما معكم مظهر بمنزلة المضمر وهي قوله مامعكم لأنه بمنزلة ما اوتوه من الكتاب والحكمة فهذا يكون مثل قوله انه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين لأنه في معنى لا يضيع اجرهم ويجوز أن يكون ماعلى هذه القراءة حرفا فيكون بمعنى المصدر قال ابو علي ومن فتح اللام فقال لما آتيتكم فإن ما فيه يحتمل تأويلين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون موصولة ﴿ والآخر ﴾ ان يكون للجزاء فمن قدر ما موصولة فالقول فيما يقتضيه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم من الراجع الى الموصول ما تقدم ذكره في قراءة حمزة وأما الراجع الى الموصول من الجملة الأولى فالضمير المحذوف من الصلة تقديره لما آتيتكموه واللام في لمامين قدر ماموصولة لام ابتداء وهي المتلقية لما اجري مجرى القسم من قوله واذا أخذ الله ميثاق النبيين وموضع ما رفعه بالابتداء والخبر لتؤمنن به وتؤمنن متعلق بقسم محذوف المعنى والله لتؤمنن به والذكر الذي في به يعود الى الذي آتيتكموه الذي هو المبتدأ ونحوه قولك لعبد الله والله لتأبينه والذكر الذي في لتنصرنه يعود الى رسول الله المتقدم ذكره واذا قدرت ما للجزاء كانت ما في موضع نصب بآيتكم وآتيتكم في موضع جزم بالشرط وجاءكم في موضع جزم بالعطف على آيتكم واللام الداخلة على ما لا يكون المتلقية للقسم ولكن يكون بمنزلة اللام في لئن لم يتن المنافقون والمتلقية قوله لتؤمنن به كما انها في قوله لئن لم يتن المنافقون وقوله لتغرينك بهم وهذه اللام الداخلة على ان لا يعتمد القسم عليها فلذلك جاز حذفها تارة وثباتها تارة كما قال وان لم يتنوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا فيلحق هذه اللام ان مرة ولا تلحق أخرى كما ان كذلك في قوله والله لو فعلت لفعلت والله لو فعلت لفعلت

﴿ المعنى ﴾

ما تقدم ذكر النبيين عقبه سبحانه بذكر زينا وما اخذ من عهده عليهم اجمعين فقال (واذا أخذ الله ميثاق النبيين) العامل في إذ محذوف وتقديره واذا ذكر إذ أخذ الله وقبل هو عطف على ما تقدم من قوله واذا قالت

الملائكة وروى عن أمير المؤمنين (ع) وابن عباس وقادة ان الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا (ص) أن يخبروا أمهم ببعثه ورفعه ويشروهم به ويأمرهم بتصديقه وقال طاووس أخذ الله الميثاق على الأنبياء (ع) على الأول والآخر فأخذ الله ميثاق الأول لتؤمنن بما جاء به الآخر وقال الصادق تقديره واذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين بتصديق نبيها والعمل بما جاءهم به وانهم خالفوه مما بعد وما وفوا به وتركوا كثيرا من شريعته وحرفوا كثيرا منها وقوله (لما آتيتكم) بفتح اللام إذا كانت ما موصولة فتقديره الذي آتيتكموه أي أعطيتكموه (من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول) أي نبي وقيل يعني محمد (ص) (مصدق لما معكم) أي لما آتيتكم من الكتب (لتؤمنن به) أي لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه أو يريد لتؤمنن بالذي آتيتكموه ولتنصرن الرسول وعلى هذا يكون المعنى انه إنما أخذ الميثاق على الأنبياء ليصدق بعضهم بعضا ويأمر بعضهم بالإيمان ببعض ويكون النصرة بالتصديق والحجة وهو المروي عن الحسن وسعد بن جبير وطاووس وإذا كانت ما للجزء فتقديره أي شيء آتيتكم ومما آتيتكم من كتاب لتؤمنن فالشرط ابتاؤه أيام الكتاب والحكمة ومجيء الرسول والجزء القسم والمقسم عليه وهو قوله لتؤمنن به فأغنى جواب القسم عن الجزاء كقوله لئن اشركت ليحطن عملك وقوله من كتاب من هذه للتبيين لما نحو قولك ما عندك من ورق وعين وهذا خانم من فضة ويكون على هذا تقديره ان الله تعالى قال لم مما آتيتكم كتابا وحكمة ثم يبشركم به رسول مصدق لما معكم من ذلك الكتاب والحكمة والله لتؤمنن به ولتنصرنه فأقروا بذلك واعطوا عليه موافقتهم وهذا أشبه بما ذكر ان الميثاق اخذ على الأنبياء ليأخذوا على أمهم بتصديق محمد إذا بعث ويأمرهم بنصرته على أعدائه ان ادركوه وهو المروي عن علي وابن عباس وقادة والسدي واختاره ابو علي الجبائي وابو مسلم ويكون معنى قوله جاءكم جاء أممكم واتباعكم وإنما خرج الكلام على النبيين لأن ما لهم لزمهم لزم أمهم ومن قرأ لما آتيتكم بكسر اللام فالمعنى أخذ الله ميثاقهم لما أتوه أي لأجل ما أتوه من الكتاب والحكمة ولأنهم الافاضل وخيار الناس ويكون اللام للتعليل فيقتضي أن يكون الإبتاء سابقا لأخذ الميثاق وقوله لتؤمنن متعلق بأخذ الميثاق وهو في الحاصل راجع الى معنى الشرط والجزء وقوله ولتنصرنه أي البشارة للأمم به قال ابي قال الله لأنبيائه (أقرنتم به) وصدقتموه (وأخذتم على ذلكم إصري) معناه وقبلتم على ذلكم عهدي ونظيره فإن آتيتهم هذا فخذوه وقيل معناه وأخذتم العهد بذلك على أممكم (قالوا) أي قال الأنبياء وأمهم (أقرننا) بما امرتنا بالإقرار به (قال) الله (فاشهدوا) بذلك على أممكم (وانامعكم من الشاهدين) عليكم وعلي أممكم عن علي وقيل فاشهدوا أي فاعلموا بذلك اننا معكم اعلم عن ابن عباس وقيل معناه ليشهد بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا عليهم فيكون ذلك كناية عن غير مذكور عن سعيد بن المسيب وهذه الآية من مشكلات آيات القرآن وقد غاص النحويون في وجوه اعرابها وتحقيقها وشقوا الشعر في تدقيقها ولا تراها في موضع اوجز لفظا واكثر فائدة وأشد تهديا ما ذكرته هنا وبالله التوفيق (فمن تولى بعد ذلك) أي فمن اعرض عن الإيمان بمحمد بعد هذه الدلالات والحجج وبعد أخذ الميثاق على النبيين الذين سبق ذكرهم والمقصود بهذا الأتم دون النبيين لأنه قد مضى ازمانهم وجاز ذلك لأن اخذ الميثاق على النبيين يتضمن الأخذ على أمهم وقد روي عن علي (ع) انه قال لم يبعث الله نبيا آدم ومن بعده الا اخذ عليه العهد لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولنصرنه وأمره بأن أخذ العهد بذلك على

قومه (فأولئك هم الفاسقون) ولم يقل الكافرون لأن المراد الخارجون في الكفر الى افحش مراتب الكفر بتمردهم وذلك ان اصل الفسق الخروج عن أمر الله الى حال توقفه وفي الكفر ما هو اكبر كما ان فيما دون الكفر من المعاصي ما هو اكبر وما هو اصغر بالاضافة اليه

قوله تعالى (٨٣) أفتغير دين الله بيغون ولاه أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإني راجعون (٨٤) قل آمناً بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأبساط وما أوتي موسى وعيسى والشيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (٨٥) ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (ثلاث آيات)

— ﴿ القراءة ﴾ —

قرأ أبو عمرو بيغون بالياء واليه ترجعون بالتاء مضمومة وقرأ بالياء فيها ابن عباس وحفص ويعقوب وسهل والباقون بالتاء فيها جميعاً

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالتاء فيها فلان اول الآية خطاب للنبي ومن قرأ بالياء فعل تقدير قل لهم أفتغير دين الله بيغون فجاء على لفظ الغيبة لأنه غيب وقد تقدم القول في يرجعون وترجعون

﴿ الإعراب ﴾

أفتغير دين الله بيغون عطف جملة على جملة كما لو قيل او غير دين الله بيغون الا ان الفاء رُبَّت فكانه قبل أبعثتلك الآيات غير دين الله بيغون وطوعوا وكرها مصدران وقع موقع الحال وتقديره طائعين وكارهين كما يقال أتاني ركضاً اي راكضاً ولا يجوز ان تقول اتاني كلاماً اي متكلاً لأن الكلام ليس بضرب من الإتيان والركض ضرب منه

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس قال اختص اهل الكتاب إلى رسول الله (ص) فيما اختلفوا بينهم من دين ابراهيم كل فرق فزعمت أنهم اولى بدينه فقال النبي (ص) كلا الفرقين بري من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله أفتغير دين الله بيغون

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه بطلان اليهودية وسائر الممال غير الإسلام بين عقبيه ان من يبتغ غير دينه فهو ضال لا يجوز القبول منه فقال أفتغير دين الله بيغون اي فبعد هذه الآيات والحجج يطلبون ديناً غير دين الله (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه أسلم من في السماوات والأرض بمجاله الناطقة عنه الدالة عليه عند اخذ الميثاق عليه عن ابن عباس — « وثانيها » — أسلم اي

أقر بالمبودية وإن كان فيهم من اشرك بالعبادة كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ومعناه ما ركب الله في عقول الخلائق من الدعاء إلى الإقرار له بالربوبية ليتنبهوا على ما فيه من الدلالة عن مجاهد وابي العالية - « وثالثها » - أسلم المؤمن طوعاً والكافر كرهاً عند موته كقوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا عن قتادة واختاره البلخي ومعناه التخفيف لهم من التأخر عما هذه سبيله - « ورابعها » - ان معناه استسلم له بالانقياد والذكر كقوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا أي استسلمنا عن الشعبي والجبائي والزجاج - « وخامسها » - ان معناه اكره أقوام على الإسلام وجاء أقوام طائنين عن الحسن وهو المروي عن ابي عبد الله قال كرها أي فرأى من السيف وقال الحسن والمفضل الطوع لأهل السماوات خاصة وأما أهل الأرض فمنهم من أسلم طوعاً ومنهم من أسلم كرهاً (واليه ترجعون) أي إلى جزائه تصيرون فبادروا إلى دينه ولا تخالفوا الإسلام (قل آمنا بالله) خطاب للنبي (ص) وأمر له بأن يقول عن نفسه وعن أمته آمنا بالله (وما انزل علينا) الآية كما يخاطب رئيس القوم بأن يقول عن نفسه وعن رعيته وقد سبق معنى الآية في سورة البقرة فإن قيل ما معنى قوله ونحن له مسلمون بعدما سبق من الإقرار بالإيمان على التفصيل قلنا معناه ونحن له مسلمون بالطاعة والانقياد في جميع ما أمر به ونهى عنه وأيضاً فإن أهل الملل المخالفة للإسلام كانوا يقولون كلهم بالإيمان ولكن لم يقولوا بل بلفظ الإسلام فلماذا قال ونحن له مسلمون (ومن يتبع غير الإسلام) أي يطلب (ديناً) يدين به (فلن يقبل منه) بل يعاقب عليه ويبدل عليه قوله (وهو في الآخرة من الخاسرين) أي من المالكين لأن الخسران ذهاب رأس المال وفي هذه الآية دلالة على ان من اتقى الإسلام ديناً يقبل منه فذلك على ان الدين والإسلام والإيمان واحد وهي عبارات من معبر واحد

قوله تعالى (٨٦) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٧) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمُ أَعْتَقَهُ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةَ وَالنَّاسَ أَجْمِينَ (٨٨) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (أربع آيات)

اللغة

الخلود في اللغة طول المكث ولذلك يقال خلد فلان في السجن وقبل للثاني خوالد ما دامت في مواضعها وإذا زالت لا يسمى خوالد والفرق بين الخلود والدوام ان الخلود يقتضي طول المكث في نحو قولك خلد فلان في الحبس ولا يقتضي ذلك الدوام ولذلك وصف سبحانه بالدوام دون الخلود إلا أن خلود الكفار المراد به التأيد بلا خلاف بين الأمة والإنتظار التأخير للمبد لينظر في امره والفرق بينه وبين الإمهال ان الإمهال هو تأخيره لتسهيل ما يتكلف من غير عمله

(الإعراب) -

كيف أصله الاستفهام والمراد به هنا الإنكار لأنه لا تقع هذه الهداية من الله أي لا يهديهم الله كقوله

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله أي لا يكون قال الشاعر

كيف توما على الفراش ولا يشمل الشام غارة شعواء

وانما دخله معنى الإنكار مع ان اصله الاستفهام لأن المسوؤل يسأل عن اغراض مختلفة فقد يسأل للتعجيز عن اقامة البرهان وقد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب في السؤال وقد يسأل لما يظهر فيه من الإنكار وانما عطف قوله شهدوا وهو فعل على إيمانهم وهو اسم لأن الإيمان مصدر والمراد به الفعل والتقدير بعد ان آمنوا وشهدوا وأجمعين تأكيد للناس ودخلت الفاء في قوله فإن الله غفور رحيم لأنه يشبه الجزاء اذا كان الكلام قد تضمن معنى ان تابوا فإن الله يغفر لهم ولا يجوز ان يكون في موضع خبر الذين لأن الذين في موضع نصب بالاستثناء من الجملة التي هي قوله أو تلك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله ولا يحمل على المنقطع مع حسن الاتصال لأنه الأصل في الكلام وإلا سبق إلى الألفاظ

= [النزول] =

قبل نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال له حارث بن سويد بن الصامت وكان قتل المحذرين زياد البلوي غدرا وهرب وارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم ندم فأرسل إلى قومه ان يسألوا رسول الله (ص) هل لي من توبة فسألوا فنزلت الآية الى قوله إلا الذين تابوا فحملها اليه رجل من قومه فقال اني لأعلم انك لصدوق ورسول الله اصدق منك وان الله اصدق الثلاثة ورجع الى المدينة وتاب وحسن إسلامه عن مجاهد والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقبل نزلت في اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي (ص) قبل مبثته ثم كفروا بعد البعثة حسداً وبغيا عن الحسن والجبائي وابي مسلم

✽ المعنى ✽

لما بين تعالى ان الإسلام هو الدين الذي به النجاة بين حال من خالفه فقال (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم) فيه وجوه - « احدها » - ان معناه كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالإجابة لهم والثناء عندهم وقد كفروا بعد إيمانهم - « وثانيها » - انه على طريق التبعيد كما يقال كيف اهديت الى الطريق وقد تركته أي لا طريق يهديهم به الى الإيمان الا من الوجه الذي هدام به وقد تركوه ولا طريق غيره - « وثالثها » - ان المراد كيف يهديهم الله الى الجنة ويشيهم والحال هذه وقوله (وشهدوا ان الرسول حق) عطف على قوله بعد إيمانهم دون قوله فكفروا وتقديره بعد ان آمنوا وشهدوا ان الرسول حق (وجاءهم البيئات) أي البراهين والحجج وقيل القرآن وقيل جاءهم ما في كتبهم من البشارة لمحمد (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يسلك بالقوم الظالمين مسلك المهتدين ولا يشيهم ولا يهديهم الى طريق الجنة لأن المراد الهداية المختصة بالمهتدين دون الهداية العامة المرادة في قوله فاما ثمود فهديتهم والمراد بالإيمان هاهنا اظهار الإيمان دون الإيمان الذي يستحق به الثواب وليس في الآية ما يدل على انهم قد كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقين الثواب فزال ذلك بالكفر فلا متعلق للمخالف به (أو تلك جزاؤهم) على اعمالهم (ان عليهم لعنة الله) وهي ابعاده إياهم من رحمته ومغفرته (والملائكة والناس اجمعين) وهي دعاؤهم عليهم باللعة وبأن يبعدهم الله من رحمته (خالدون فيها) أي في اللعة نخلوهم فيها استحقوا باللعة وهو العذاب (لا يخفف عنهم العذاب) لا يسهل عليهم (ولا هم ينظرون) أي ولا يميلون للتوبة ولا يؤخر عنهم العذاب من وقت

الى وقت آخر وانما نفى انظارهم للتوبة والانتابة لما علم من حالهم انه لا ينبغي ولا يتوبون كما قال ولو ردوا لادوا لما نهوا عنه على ان التوبة ليست بواجبة وان علم انه لو ابقاه لتاب واناب عند اكثر المتكلمين (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) أي تابوا من الكفر ورجعوا الى الإيمان وأصلحوا ضمائرهم وعزموا على ان يشتوا على الإسلام وهذا أحسن من قول من قال واصلحوا أعمالهم بعد التوبة وصلوا وصاموا فإن ذلك ليس بشرط في صحة التوبة إذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمناً بالإجماع (فإن الله غفور) يغفر ذنوبهم (رحيم) يوجب الجنة لهم وذكر المغفرة دليل على ان اسقاط العقاب بالتوبة تفضل منه سبحانه وان ما لا يجوز المواخذة به اصلاً ولا يجوز تعلقه بالمغفرة وان ما يطاق بالمغفرة ما يكون له المواخذة به

قوله تعالى (٩٠) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ [آية]**

= [التزول] =

قيل نزلت في أهل الكتاب الذين آمنوا برسول الله (ص) قبل مبثته ثم كفروا به بعد مبثته عن الحسن وقيل نزلت في اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم وكتبهم ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بحمد القرآن عن قتادة وعطاء وقيل نزلت في احد عشر من اصحاب الحرث بن سويد لما رجع الحرث قالوا نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا فتى ما اردنا الرجعة رجعتنا فينزل فينا ما نزل في الحرث فلما افتتح رسول الله (ص) مكة دخل في الإسلام مسن دخل منهم فقبلت توبته فنزل فيمن مات منهم كافراً إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية

= [المعنى] =

لما تقدم ذكر التوبة المقبولة عقبه الله بما لا يقبل منها فقال (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً) قد ذكرنا الاختلاف في سبب نزوله وعلى ذلك يدور معناه وقيل كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا كفراً الى كفرهم (لن نقبل توبتهم) لأنهم لم تقع على وجه الإخلاص وبدل عليه قوله وأولئك هم الضالون ولو حققوا في التوبة لكانوا مهتدين وقيل لن نقبل توبتهم عند روية اليأس لأنها تكون في حال الإلجام ومعناه انهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت والمعاينة عن الحسن وقاتادة والجبائي وقيل لأنها اظهرت الإسلام توبة فاطلع الله تعالى ورسوله على سرائرهم عن ابن عباس وقد دل السمع على وجوب قبول التوبة إذا حصلت شرائطها وعليه اجماع الأمة (وأولئك هم الضالون) عن الحق والصواب وقيل لما لكون المعذبون

قوله تعالى (٩١) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ نَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلًّا فِي الْأَرْضِ ذَهَبًا وَكَوْا أَقْدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ [آية]**

= [اللفظة] =

الميل أصله الملاء وهو تطفيح الإيحاء ومنه الملاء الاشراف لأنهم يملون العين هيبة وجلالة ومنه رجل ملى بالامر وهو املاً به من غيره فالملى اسم للمقدار الذي يملأ والميل المصدر والفدية البدل من الشيء في

ازالة الأذية ومنه فداء الأسير لأنه بدل منه في ازالة القتل والأسر عنه اذا كسر مد واذا فتح قصر تقول فدى لك او فداء لك ويجوز قصر هذا الممدود للضرورة والافتداء افعال من الفدية

❖ الاعراب ❖

ذهبا منصوب على التمييز وإنما استحق النصب لاشتغال العامل بالإضافة او ما عاقبها من النون الزائدة فجرى ذلك مجرى الحال في اشتغال العامل بصاحبها ومجرى المفعول في اشتغال العامل عنه بالفاعل وقوله ولو افتدى به قال الفراء هذه الواو زائدة وغلطه الزجاج لأن الكلام اذا امكن حمله على فائدة يحمل عليها ولا يحمل على الزيادة وقال إذا دخلت الواو في مثل هذا كان ابلغ في التأكيذ كقولك لا آتيك وإن اعطيني لأنها دخلت لتفصيل نفي القبول بعد الإجمال ولو جعلنا الواو زائدة لأوهم ذلك انه لا يقبل منه ملء الأرض ذهباً في الافتداء ويقبل في غيره

= [المعنى] =

(إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) اي على كفرهم (فان يقبل من احدم ملء الأرض ذهباً) اي مقدار ما يملأ الأرض من الذهب (ولو افتدى به) بذاه عوضاً ومعناه ان الكافر الذي يعتقد الكفر وان أظهر الإيمان لا ينفعه الاتفاق بمعنى انه لا يوجب له الثواب وقيل معناه انه لا يقبل منه في الآخرة لو وجد اليه السبيل قال قتادة يبيأ بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً لكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت ايسر من ذلك فلم تفعل ورواه ايضاً انس عن النبي (أو لك لم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) قد ذكرنا معناه

قوله تعالى (٩٢) لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (آية)

= [اللغة] =

البر اصله من السعة ومنه البر خلاف البحر والفرق بين البر والخير ان البر هو النفع الواصل الى الغير مع مقصد الى ذلك والخير يكون خيراً وان وقع عن سهو وضد البر العتوق وضد الخير الشر

= [المعنى] =

(لن تناولوا البر) اي لن تدركوا بر الله تعالى بأهل طاعته واختلف في البر هنا فقيل هو الجنة عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الطاعة والتقوى عن مقاتل وعطاء وقيل معناه لن تكونوا ابرارا اي صالحين اتقياء عن الحسن (حتى تنفقوا مما تحبون) أي حتى تنفقوا المال وإنما كني بهذا اللفظ عن المال لأن جميع الناس يحبون المال وقيل معناه ما تحبون من نفاس اموالكم دون ارضاها كقوله تعالى ولا تميموا الخبيث منه تنفقون وقيل هذا الزكاة الواجبة وما فرضه الله في الأموال عن ابن عباس والحسن وقيل هو جميع ما ينفقه المرء في سبيل الخيرات عن مجاهد وجماعة وقد روي عن أبي الطفيل قال اشترى علي ثوباً فأعجبه فتصدق به وقال سمعت رسول الله يقول من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة ومن أحب شيئاً فجعله لله قال الله تعالى يوم القيامة قد كان العباد يكافون فيما بينهم بالمعروف وانا اكافيك اليوم بالجنة وروي ان ابا طلحة قسم

حائطاً له في أقاربه عند نزول هذه الآية وكان أحب أمواله إليه فقال له رسول الله (ص) يخ بئذ ذلك مال رايح لك وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله (ص) اسامة بن زيد فكان زيد اوجد في نفسه وقال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله اما ان الله قد قبلها منك واعتق ابن عمر جارية كان يحبها وتلا هذه الآية وقال لولا اني لا اعود في شيء جعلته لله تعالى لنكحتها وازاد أبو ذر الغفاري ضيقاً فقال للضيف اني مشغول وان لي ابلاً فاخرج وآتيني بخيرها فذهب فجاء بناقة مهزولة فقال له ابو ذر حستني بهذه فقال وجدت خير الابل فعلمها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ابو ذر ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي مع ان الله يقول لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال ابو ذر في المال ثلاثة شركاء القدر لا يستأمن أن يذهب بخيرها او شرها من هلك او موت والوارث ينتظر ان تضع رأسك ثم يستاقها وانت ذميم وانت الثالث فإن استطعت أن لا تكون اعجز الثلاثة فلا تكن ان الله يقول لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان هذا الجمل كان مما أحب من مالي فأحببت ان اقدمه لنفسي وقال بعضهم دلم بهذه الآية على الفتوة فقال لن تناولوا البر أي بري بكم إلا ببركم باخوانكم والافتاق عليهم من مالكم وجاهكم وما تحبون فإذا فعلتم ذلك نالكم بري وعطفي (وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) جاء بالفاء على جواب الشرط وإن كان الله يعلم ذلك على كل حال وفيه وجهان * احدهما * ان تقديره وما تنفقوا من شيء فإن الله يجازيكم به قل أو كثير لأنه عليم لا يخفى عليه شيء منه * والآخر * ان تقديره فانه يعلمه الله موجوداً على الحد الذي يفعلونه من حسن النية او قبحها فإن قيل كيف قال سبحانه لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والفقير ينال الجنة وان لم ينفق قيل الكلام خرج مخرج الحث على الافتاق وهو مقيد بالإمكان وإنما أطلق على سبيل المبالغة في الترغيب والأولى ان يكون المراد لن تناولوا البر الكامل الواقع على اشرف الوجوه حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن ابن عمر ان النبي (ص) سأل عن هذه الآية فقال هو أن ينفق العبد المال وهو شحيح بأمل الدنيا ويخاف الفقر

- [النظم] -

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما ذكر في الآية الأولى لن يقبل من احدكم ملء الأرض ذهباً وصل ذلك بقوله لن تناولوا البر حتى تنفقوا لئلا يؤدي امتناع غناء الغنية الى الفتور في الصدقة وما جر من مجراها من وجوه الطاعة

قوله تعالى (٩٣) كُلُّ الطَّامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَإِن لَّوْهَانٌ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) فَمَنْ أَقْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (آياتان)

﴿ اللغة ﴾

الافتراء: افتراء الكذب وأصله قطع ما قدر من الأديم يفريه فرياً اذا قطعه وعلى للاستعلاء ومعناه هنا اضافة الكذب إلى النبي (ص) من جهة انه أمر بما لم يأمر به الله وأوجب ما لم يوجب الله وفرق بين من كذب عليه وكذب له لأن من كذب عليه يفيد انه كذب فيما يكرهه وكذب له يجوز أن يكون فيما يريد

﴿ النزول ﴾

انكر اليهود تحليل النبي لحوم الايبل فقال كل ذلك كان حلالاً لابراهيم فقالت اليهود كل شيء تحرمه فإنه محرم على نوح وابراهيم وهلم جرا حتى انتهى اليها فنزلت الآية عن الكلبي وابي روق

-(المعنى)-

(كل الطعام) أي كل المأكولات (كان حلالاً) أي كان حلالاً (لبني إسرائيل) أو إسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (إلا ما حرم إسرائيل) أي يعقوب (على نفسه) اختلفوا في ذلك الطعام فقيل أن يعقوب أخذه وجع العرق الذي يقال له عرق النساء فنذر إن شفاه الله أن يحرم العروق ولحم الايبل وهو أحب الطعام اليه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل حرم إسرائيل على نفسه لحم الجزور تبعداً لله تعالى وسأل الله أن يبيز له فحرم الله ذلك على ولده عن الحسن وقيل حرم زائدتي الكبد والكليتين والشحم إلا ما حلته الظهور عن عكرمة واختلف في انه عرق كيف حرمه على نفسه فقيل بالاجتهاد وقيل بالنزول وقيل بنص ورد عليه وقيل حرمه كما يحرم المستظهر في دينه من الزهاد اللذة على نفسه (من قبل أن تنزل التوراة) معناه ان كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل قبل أن تنزل التوراة على موسى فإنها تضمنت تحريم بعض ما كان حلالاً لبني إسرائيل واختلفوا فيما حرم عليهم وحالها بعد نزول التوراة فقيل انه حرم عليهم ما كانوا يحرمونه قبل نزولها اقتداءً بأبيهم يعقوب (ع) عن السدي وقيل لم يحرم الله عليهم في التوراة وإنما حرم عليهم بعد التوراة بظلمهم وكفرهم وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنباً عظيماً حرم الله عليهم طعاماً طيباً وصب عليهم رجلاً وهو الموت وذلك قوله فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم عن الكلبي وقيل لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم في التوراة وإنما هو شيء حرموا على انفسهم اتباعاً لأبيهم وأضافوا تحريمه إلى الله تعالى عن الضحاك فكذبهم الله وقال قل يا محمد (فأتوا بالتوراة فاتواها) حتى يتبين انه كما قلت لا كما قلتم (ان كنتم صادقين) في دعواكم فاحتج عليهم بالتوراة وأمرهم بالإتيان بها وإن لم يقرأوا ما فيها فإن كان في التوراة انها كانت حلالاً للأنبياء وإنما حرمها إسرائيل فلم يجسروا على إتيان التوراة لعلهم بصدق النبي (ص) وبكذبهم وكان ذلك دليلاً ظاهراً على صحة نبوة نبينا محمد إذ علم بأن في التوراة ما يدل على كذبهم من غير تعلم التوراة وقراءتها (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك) أي فمن افترى الكذب على الله تعالى من بعد قيام الحججة وظهور البينة (فأولئك) هم المفترون على الله الكذب وهم الظالمون لأنفسهم بفعل ماوجب العقاب عليهم وإنما قال من بعد ذلك مع انه يستحق الوعيد بالكذب على الله على كل حال لأنه أراد البيان إنه إنما يؤخذ به بعد إقامة الحججة عليه ومن كذب فيما ليس بمحجوج فيه جرى مجرى الصبي الذي لا يستحق الوعيد بكذبه

[-النظم]-

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه تفصيل للجملة المتقدمة فإنه ذكر الترغيب في الإيفاق من المحبوب والطعام مما يجب فرغ فيه وذكر حكمه عن علي بن عيسى وقيل انه لما تقدم محتجهم في ملة ابراهيم وكان فيما انكروا على نبينا (ص) تحليل لحم الجزور وادعوا تحريمه على ابراهيم (ع) وان ذلك مذكور في التوراة فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم

قوله تعالى (٩٥) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الاتباع لحاق الثاني بالأول لما له به من التعلق فالقوة للأول والثاني يستمد منه والتابع ثان متدبر له بتدبير الأول متصرف بتصرفه في نفسه واصل الحنيف الاستقامة وإنما وصف المائل القدم بأحرف تفاعلا وقبل أصله المبل فالحنيف هو المائل إلى الحق فيما كان عليه إبراهيم من الشرع

﴿ المعنى ﴾

ثم بين تعالى أن الصدق فيما أخبر به فقال (قل صدق الله) في أن كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه وفي أن محمدا (ص) على دين إبراهيم وأن دينه الإسلام (فاتبعوا ملة إبراهيم) في استباحة لحوم الإبل وألبانها (حنيفا) أي مستقيا على الدين الذي هو شريعته في حجه ونسكه وطهيب ما كله وتلك الشريعة هي الحنيفية وقبل ماثلا عن سائر الأديان الناطلة إلى دين الحق (وما كان من المشركين) برأ الله تعالى إبراهيم مما كان ينسبه اليهود والنصارى إليه بزعمهم أنهم على دينه وكذلك مشركو العرب واخبر أن إبراهيم كان بريئا من المشركين ودينهم والصحيح أن نبينا (ص) لم يكن متمعبدا بشريعته من تقدم من الأنبياء ولكن وافقت شريعته شريعة إبراهيم فذلك قال فاتبعوا ملة إبراهيم والافاله تعالى هو الذي أوحى بها إليه وأوجبها عليه وكانت شريعة له وإنما رغب الله في شريعة الإسلام بانها ملة إبراهيم لأن المصالح إذا وافقت ما تسكن إليه النفس ويقبله العقل بغير كلفة كانت احق بالرغبة فيها وكان المشركون يميلون إلى اتباع ملة إبراهيم «ع» فذلك خوطبوا بذلك

قوله تعالى (٩٦) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٧) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مِثَّمَّ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَنَحْنُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر وأبي جعفر حج البيت بكسر الحاء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

قال سيويه حج حجا مثل ذكر ذكر فحج على هذا مصدر فهذا حجة لمن كسر الحاء وقال أبو زيد الحجج السنون واحدها حجة قال أبو علي يدل على ذلك قوله ثمانى حجج قال الحجة من حج البيت الواحدة قال سيويه قالوا حجة أرادوا عمل سنة ولم يجيئوا بها على الأصل ولكنه اسم له فقوله يجيئوا بها على الأصل أراد أنه للدفعة من الفعل ولكن كسروه فجعلوه اسما لهذا المعنى كما قالوا غزاة لعمل وجه واحد ولم يجيئ فيه وكان القياس الغزوة

﴿ اللغة ﴾

أول الشيء ابتداءه ويجوز أن يكون المبند له آخر ويجوز أن لا يكون آخر له لأن الواحد اول العدد ولا نهاية لآخره ونعيم أهل الجنة له اول ولا نهاية له واصل بكة البك هو الزحم يقال بكه بكه بكه إذا زحمه وتباك الناس إذا ازدحموا فبكة مزدحم الناس للطواف وهو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام وقيل سميت بكة لأنها تبتك اعناق الجبابرة إذا الحدوا فيها بظلم ولم يمهلوا والبك دق العنق وأما مكة فيجوز أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة وابدال الميم من الباء كقوله ضربة لازب ولازم ويجوز أن يكون من قولهم امتك الفصيل ما في ضرع الناقة إذا مص مصاً شديداً حتى لا يبقى منه شيء وملك المشاش مكة إذا تمشش بغيره فسميت مكة بذلك لقلة ماؤها وأصل البركة الثبوت من قولهم برك بروكا أو بركا إذا ثبت على حاله فالبركة بثبوت الخير نموؤه ومنه البركة شبه الحوض يمسك الماء لثبوته فيه ومنه قول الناس وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال وحده

﴿ الإعراب ﴾

قوله تعالى مباركا نصب على الحال بالظرف من بكة على معنى الذي استقر بيكته مباركا ويجوز أن يكون من الضمير في وضع كأنه قيل وضع مباركا وعلى هذا يجوز أن يكون قد وضع قبله بيت ولا يجوز في التقدير الأول وأما رفع مقام إبراهيم فلأنه خير مبتدأ محذوف وتقديره هي مقام إبراهيم عن الاخفش وقيل هو بدل من آيات عن أبي مسلم ومن استطاع إليه سبيلا في موضع جر بدلا من الآيات وهو بدل البعض من الكل

﴿ التزول ﴾

قال مجاهد تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء والأرض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فأنزل الله تعالى إن أول بيت

﴿ المعنى ﴾

(إن أول بيت وضع للناس) أي بني للناس ولم يكن قبله بيت مبني وإنما دحيت الأرض من تحتها وهو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الله تعالى السماء والأرض من تحتها وهو خلقه الله قبل الأرض بألفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء عن مجاهد وقتادة والسدي وروى عن أبي عبد الله (ع) قال إنها كانت مهابة بيضاء يعني درة بيضاء وروى أبو خديجة عنه (ع) قال إن الله أنزله لآدم من الجنة وكان درة بيضاء فرفعه الله تعالى إلى السماء وبقي أسه وهو بجبال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً فأمر الله تعالى إبراهيم (ع) وإسماعيل (ع) بينان البيت على القواعد وقيل معناه إن أول بيت وضع للعبادة ولم يكن قبله بيت يحج إليه البيت الحرام وقد كانت قبله بيوت كثيرة ولكنها أول بيت مبارك وهدى وضع للناس عن علي (ع) والحسن وقيل أول بيت رغب فيه وطلب منه البركة مكة عن الضحاك وروى أصحابنا إن أول شيء خلقه الله من الأرض موضع الكعبة ثم دحيت الأرض من تحتها وروى أبو ذر أنه سئل النبي (ص) عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس (الذي بيكته) قيل بكة المسجد ومكة الحرم كله يدخل فيه البيوت عن الزهري وضمرة بن ربيعة وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل بكة بطن مكة عن أبي عبيدة وقيل مكة موضع البيت والمطاف ومكة اسم البلدة وعليه الأكثر وقيل بكة هي مكة والعرب

تبدل الباء ميا مثل سبد رأسه وسمده عن مجاهد والضحاك (مباركا) يعني كثير الخير والبركة وقبل مبارك
لثبوت العبادة فيه دائما حتى يحكى على ان الطواف به لا ينقطع ابدا وقبل لأنه يضاعف فيه ثواب العبادة
عن ابن عباس ورووا فيه حديثا طويلا وقيل لأنه ينفر فيه الذنوب ويحوز حمله على الجميع اذ لا تنافي (وهدى
للعالمين) أي دلالة لهم على الله تعالى لاهلاكه كل من قصده من الجابرة كأصحاب الغيل وغيرهم
وباجتماع الظبي في حرمه مع الكلب والذئب فلا ينفر عنه مع نفرتة عنه في غيره من البلاد وبالحاق الجمار على
كثرة الرماة فلولا انها ترفع لكان يجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال وباستئناس الطيور فيه بالناس وباستئناس
المريض بالبيت وبأن لا يعطه طير إعظاما له إلى غير ذلك من الدلالات وقيل معناه انهم يهتدون به إلى جهة
صلاتهم او يهتدون إلى الجنة بحجه وطوافه (فيه آيات بينات) أي دلالات واضحات والماء في فيه عائد إلى
البيت وروي عن ابن عباس أنه قرأ فيه آية بيعة (مقام ابراهيم) فجعل مقام ابراهيم وحده هو الآية وقال أثر
قدميه في المقام آية بيعة والأول عليه القراء والمفسرون ارادوا مقام ابراهيم والحجر الأسود والحطيم وزمزم
والمشاعر كلها واركان البيت وازدحام الناس عليها وتعظيمهم لها وقد مضى ذكر مقام ابراهيم في سورة البقرة
وسئل الصادق (ع) عن الحطيم فقال هو ما بين الحجر الأسود والباب قيل ولم سمي الحطيم قال لأن الناس
يحطم بعضهم بعضا وهو الموضع الذي فيه تاب الله على آدم وقال (ع) إن تبيأ لك أن تصلي صلاتك كلها الفرائض
وغيرها عند الحطيم فافعل فإنه افضل بقعة على وجه الارض وبعده الصلاة في الحجر افضل وروي عن ابي حمزة
الثالثي قال قال لنا علي بن الحسين اي البقاع افضل قلنا الله تعالى ورسوله وابن رسوله اعلم فقال لنا افضل البقاع
ما بين الركن والمقام ولو ان رجلا عمر ما عمر نوح في قومه الف سنة إلا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم الليل في
ذلك المكان ثم لقي الله تعالى بغير ولايتنا لا ينفعه ذلك شيئا وقال الصادق (ع) الركن الياقي بابنا الذي ندخل
منه الجنة وروي انه من روي من ما زمزم احدث له به شفاء وصرف عنه داء قال المفسرون ومن تلك الآيات
مقام ابراهيم (ع) وأمن الداخل فيه وأمن الوحوش من السباع الضارية وانه ما علا عبد على الكعبة إلا عتق
وإذا كان الغيث من ناحية الركن الياقي كان الحصب باليمن وإذا كان من ناحية الركن الشامي كان الحصب
بالشام وإذا عم البيت كان في جميع البلدان وسائر ما ذكرناه قبل من الآيات وقوله (ومن دخله كان آمنا)
عطف على مقام ابراهيم وفي مقام ابراهيم دلالة واضحة لأنه حجر صلد يري فيه أثر قدميه ولا يقدر احد أن يجعل
الحجر كاطلين إلا الله وروي عن ابن عباس انه قال ان الحرم كله مقام ابراهيم ومن دخل مقام ابراهيم
يعني الحرم كان آمنا وقيل فيه أقوال **«** احدها **»** ان الله عطف قلوب العرب في الجاهلية على ترك التعرض
لمن لاذ بالحرم والتجأ اليه وإن كثرت جريته ولم يزد الإسلام إلا شدة عن الحسن **«** وثانيها **»** انه خبر
والمراد به الأمر ومعناه ان من وجب عليه حد فلاذ بالحرم لا يبايع ولا يشارى ولا يعامل حتى يخرج من الحرم
فيقام عليه الحد عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) وعلى هذا يكون تقديره
ومن دخله فأمنوه **«** وقالها **»** ان معناه من دخله عارفا بجميع ما أوجبه الله عليه كان آمنا في الآخرة من
العذاب الدائم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأجمت الأمة على ان ما اصاب فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد
فيه ثم لما بين الله فضيلة بيته الحرام عقبه بذكر وجوب حجة الإسلام فقال (وفه على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا) ومعناه وفه على من استطاع إلى حج البيت سبيلا من الناس حج البيت أي من وجد اليه
طريقا بنفسه وماله واختلف في الاستطاعة فقيل هي الزاد والراحلة عن ابن عباس وابن عمر وقيل ما يمكنه معه
بلوغ مكة بأي وجه يمكن عن الحسن ومعناه القدوة على الوصول اليه والمروي عن أنسنا انه وجود الزاد والراحلة
ونفقة من يلزمه نفقته والرجوع إلى كفاية إما من مال او ضياع او حرمة مع الصحة في النفس وتخليئة السرب

من الموانع وامكان السير (ومن كفر) معناه ومن جحد فرض الحج ولم يره واجبا عن ابن عباس والحسن (فإن الله غني عن العالمين) لمن يتبعدهم بالعبادة حاجته اليها وإنما تبعدهم بها لما علم فيها من مصالحهم وقيل ان المعنى به اليهود فإنه لما نزل قوله ومن يتبع غير الإسلام ديننا فلن يقبل منه قالوا نحن مسلمون فأمرنا بالحج فلم يجبروا وعلى هذا يكون معنى من كفر من ترك الحج من هؤلاء فهو كافر والله غني عن العالمين وقيل المراد به كفوران النعمة لأن امتثال أمر الله شكر لنعمة وقد روي عن ابي امامة عن النبي (ص) انه قال من لم يجسه حاجة ظاهرة من مرض حابس أو سلطان جائر ولم يجح فليست إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا وروي عن ابي عبد الله (ع) قال قال رسول الله (ص) الحج والعمرة بفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من قال ان الاستطاعة مع الفعل لأن الله أوجب الحج على المستطيع ولم يوجب على غير المستطيع وذلك لا يمكن إلا قبل فعل الحج

« النظم »

وجه اتصال الآية باقبلها ان الله تعالى أمر أهل الكتاب اتباع ملة ابراهيم ومن ملته تعظيم بيت الله الحرام فذكر تعالى البيت وفضله وحرمة وما يتعلق به في قوله ان أول بيت وضع للناس

قوله تعالى (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ يَا بَنَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ
(٩٩) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِن آمَنَ تَبِغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (آياتان)

﴿ اللغة ﴾

البغية الطلب يقال بغيت الشيء أبغيه قال عبد بنى الحساس

بغاك وما تبغيه حتى وجدته كأنك قد واعدته أمس موعدا

أي طلبك وما تطلبه ويقال أبغني بكذا بكسر المزة أي اطلبه لي واصله ابغ لي فحذفت اللام لكثرة الاستعمال وإذا قلت أبغني بفتح المزة فمعناه أعني على طلبه ومثله احماني واحمل لي واحلب لي واحلبني أي اعني على الحلبه والعوج العين ميل كل شيء منتصب نحو القنطرة والحائط وبكسر العين هو الميل عسن طريق الاستواء في طريق الدين وفي القول وفي الأرض ومنه قوله لا ترى فيه عوجا ولا أمنا

﴿ الإعراب ﴾

من آمن في موضع نصب بأنه مفعول تصدون والكتابة في قوله تبغونها راجعة إلى السبيل

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه الكلام إلى حجاج أهل الكتاب فقال مخاطبا للنبي يأمره بنشاط اليهود والنصارى وقيل اليهود خاصة (قل يا أهل الكتاب) أي قل يا محمد لهم (لم تكفرون بايات الله) أي بالمعجزات التي أتاهها محمد (ص) والعلامات التي وافقت في صفته ما تقدمت البشارة به وسأهم أهل الكتاب وان لم يعملوا به ولم يجزم مثل ذلك في أهل القرآن لوجهين ﴿ احدهما ﴾ ان القرآن اسم خاص لكتاب الله تعالى واما الكتاب فلا يبنى عن ذلك بل يجوز أن يراد به يا أهل الكتاب المعروف عن وجهته ﴿ والثاني ﴾ الاحتجاج عليهم بالكتاب لإقرارهم به فكأنه قيل يا من يقر بأنه من أهل كتاب الله لم تكفرون بايات الله واللفظ لفظ الاستفهام والمراد

به التوبيخ وإنما جاز التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث انه سؤال يعجز عن اقامة العذر فكأنه قال هاتوا العذر في ذلك ان امكنكم (والله شهيد على ما تعملون) أي حفيظ على اعمالكم محص لما ليجازيكم عليها وقيل معناه مطلع عليها عالم بها مع قيام الحججة عليكم فيها وقال عز اسمه في هذا الموضع قل يا أهل الكتاب وفي موضع آخر يا أهل الكتاب لأنه تعالى خاطبهم في موضع على جهة التلطف في استدعائهم إلى الإيمان وارض عن خطابهم في موضع آخر وأمر سبحانه نبيه استخفافا بهم لصدهم عن الحق (قل) يا محمد (يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) أي لم تمنعون المؤمنين عن دين الإسلام الذي هو دين الله وسبيله واختلف في كيفية صدهم عن سبيل الله فقيل انهم كانوا يغزون بين الأوس والخزرج بتذكيرهم الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية حتى تدخلهم الحمية والعصبية فينسلخون عن الدين عن زيد بن اسلم فعلى هذا يكون الآية في اليهود خاصة وقيل الآية في اليهود والنصارى ومعناه لم تصدون بالتكذيب بالنبي (ص) وان صفة ليست في كتبكم عن الحسن وقيل بالتحريف والبهت عن الأصم (تبغونها عوجا) أي تطلبون لسبيل الله عوجا عن سبيل الحق وهو الضلال فكأنه قال تبغونها ضلالا بالشبه التي تدخلونها على الناس وقيل معناه تطلبون ذلك السبيل لا على وجه الاستقامة أي على غير الوجه الذي ينبغي أن يطلب وقوله (واتم شهداء) فيه قولان - « احدها » - ان معناه اتم شهداء بتقديم البشارة بجمد في كتبكم فكيف تصدون عنه من يطلبه وتريدون عدوله عنه - « والآخر » - المراد واتم عقلاء كما قال والتمى السمع وهو شهيد اي عاقل وذلك انه يشهد الذي يميز به بين الحق والباطل فيا يتعلق بالدين (وما الله بغافل عما تعملون) هذا تهديد لهم على الكفر

قوله تعالى (١٠٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠١) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (آيَاتان)

اللغة

الطاعة موافقة الإرادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه والأجابة موافقة الإرادة الداعية إلى الفعل ولذلك يجوز ان يكون الله مجيبا إلى عبده إذا فعل ما دعا العبد به ولم يجز ان يكون مطيعا له وأصل الاعتصام الامتناع وعصه يعصه إذا منعه ولا عاصم اليوم من أمر الله أي ولا مانع والعصام الجليل لأنه يعتصم به والعصم الاعمال لامتناعها بالحيال

النزول

نزلت في الأوس والخزرج لما أغرى قوم من اليهود بينهم بذكر حروبهم في الجاهلية ليفتنوهم عن دينهم عن زيد بن اسلم والسدي وقيل نزل قوله وكيف تكفرون في مشركي العرب عن الحسن

المعنى

ثم حذر المؤمنين عن قبول قولهم فقال (يا ايها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله وهو خطاب للأوس والخزرج ويدخل غيرهم من المؤمنين في عموم اللفظ (ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) معناه ان تطيعوا هؤلاء اليهود في قبول قولهم واحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهلية (يردوكم بعد إيمانكم كافرين) اي يرجعوك كفارا بعد إيمانكم ثم أكد تعالى الأمر وعظم الشأن فقال (وكيف تكفرون) اي وعلى اي حال يقع منكم الكفر (وأنتم تلى عليكم آيات الله) وهذا استبعاد ان يقع منهم الكفر مع معرفتهم بآيات الله

وفيهم داع يدعوهم إلى الإيمان وقيل هو على التعجيب أي لا ينبغي لكم أن تكفروا مع ما يقرأ عليكم في القرآن المجيد من الآيات الدالة على وحدانية الله ونبوة نبيه (ص) (وفيكم رسوله يعني محمدا ترون معجزاته والكفر وإن كان فظيما في كل حال فهو في مثل هذه الحالة أفضح ويجوز أن يكون المراد بقوله وفيكم رسوله القوم الذين كان النبي (ص) بين أظهرهم خاصة ويجوز أن يكون المراد به جميع أمته لأن آثاره وعلاماته من القرآن وغيره فينا قائمة باقية وذلك بمنزلة وجوده فينا حيا (ومن يعصم بالله) أي يتمسك بكتابه وآياته وبدينه قبل أن يمتنع بالله عن سواه بأن يعبد لا يشرك به شيئا وقيل من يمتنع عن الكفر والهلاك بالإيمان بالله ورسوله (فقد هدي إلى صراط مستقيم) أي إلى طريق واضح قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله ونبي الله فأما نبي الله فقد مضى وأما كتاب الله فأبقاه الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقيل أنهم قد شاهدوا في نفسه (ص) معجزات كثيرة منها أنه كان يرى من خلفه كما يرى من قدمه ومنها أنه كان ينام عينه ولا ينام قلبه ومنها أن ظله لم يقع على الأرض ومنها أن الذباب لم يقع عليه ومنها أن الأرض كانت تبلع ما يخرج منه وكان لا يرى له بول ولا غائط ومنه أنه كان لا يطوله أحد وإن طال ومنها أنه كان بين كفيه خاتم النبوة ومنها أنه كان إذا مر بوضع يعلمه الناس لطيبه ومنها أنه كان يسطع نور من جبهته في الليلة المظلمة ومنها أنه قد ولد مختونا إلى غير ذلك من الآيات

قوله تعالى (١٠٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تُمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٣) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ أَلَمْ تَكُونُمْ تَهْتَدُونَ (آيتان)

(- اللغة -)

تقاة من وقيت قال الزجاج يجوز فيه ثلاثة أوجه تقاة ووقاة واقاة حملة على قياس وجوه واجوه وإن كان هذا المثال لم يجز منه شيء على الأصل نحو تخمة وتكاة غير أنه حملة على الأكثر من نظائره والحبل السبب الذي يوصل به إلى البنية كالحبل الذي يتمسك به بالنجاة من بئر أو نحوها ومنه الحبل للأمان لأنه سبب النجاة قال الأعشى

إذا تجوزها جبال قبيلة أخذت من الأخرى اليك حبالها

ومنه الحبل للحمل في البطن واصل الحبل المقول قال ذو الرمة

هل جبل خرقاء بعد اليوم مرموم أم هل لها آخر الأيام تكليم

وشفا الشيء مقصور حرفه ويشى شفوان وجمعه اشفاء واشفى على الشيء اشرف عليه واشفى المريض

على الموت من ذلك

﴿ الإعراب ﴾

قوله وانتم تعلمون جملة في موضع الحال وقوله جميعا نصب على الحال أيضا أي واعتصموا في حال اجتماعكم أي كونوا مجتمعين على الاعتصام لا تفرقوا أصله أي لا تفرقوا فحذف أحد التاءين كراهة لاجتماع المثليين والمحدوفة الثانية لأن الأولى علامة للاستقبال وهو مجزوم بالنهي وعلامة الجزم سقوط النون وقوله تعالى فانقذكم منها الكتابة في منها عادت إلى الحفرة وترك شفا ومثله قول العجاج

طول الليالي أسرع في تقضي
طوبين طولي وطوبين عرضي
فترك الطول واخبر عن الليالي

(- النزول -)

قال مقاتل اقتصر جلان من الأوس والحزرج ثعلبة بن غنم من الأوس وسعد بن زرارة من الحزرج فقال الأوسي منا خزيمه بن ثابت ذو الشهادة ومننا حفصه غسيل الملائكة ومننا عاصم بن ثابت بن ابي لهب ومننا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الحزرجي منا اربعة احكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومننا سعد بن عباد حطيب الأنصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وتفاخرا وناديا فجا. الأوس إلى الأوسي والحزرج إلى الحزرجي ومعهم السلاح فبلغ ذلك النبي (ص) فركب حمارا وأتاهم فأنزل الله هذه الآيات فقرأها عليهم فاصطلحوا

المعنى

لما نهى تعالى عن قبول اقوال الكافرين بين في هذه الآية ما يجب قبوله فقال (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) معناه واتقوا عذاب الله أي احترسوا وامتنعوا بالطاعة من عذاب الله كما يحق فكما يجب أن يتقى ينبغي أن يحترس منه وذكر في قوله حق تقاته وجوه **أحدها** **﴿** ان معناه ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر وبذكر فلا ينسى عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن ابن عبد الله (ع) **﴿** وثانيها **﴿** انه اتقا. جميع معاصيه عن أبي علي الجبائي **﴿** وثالثها **﴿** انه المجاهدة في الله تعالى وان لا تأخذه فيه لومة لائم وان يقام له بالقسط في الحرف والأمن عن مجاهد ثم اختلف فيه ايضا على قولين **﴿** أحدهما **﴿** انه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم عن قتادة والربيع والسدي وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله **﴿** والآخر **﴿** انه غير منسوخ عن ابن عباس وطاووس وأبى الجبائي نسخ الآية لما فيه من اباحة بعض المعاصي قال الرماني والذي عندي انه إذا وجه قوله واتقوا الله حق تقاته على ان يقوموا له بالحق في الحرف والأمن لم يدخل عليه ما ذكره ابو علي لأنه لا يستع أن يكون أوجب عليهم أن يتقوا الله على كل حال ثم أبح ترك الواجب عند الحرف على النفس كما قال إلا من اكراه وقلبه مطمئن بالإيمان وقوله ولا تخونن إلا وانتم مسلمون) وقد ذكرنا في سورة البقرة أن معناه لا تتركوا الإسلام وكفونا عليه حتى إذا ورد عليكم الموت صاذقكم عليه وانما كان بلفظ النهي عن الموت من حيث ان الموت لا بد منه وإنما النهي في الحقيقة عن ترك الإسلام لأن لا يهلكوا بالانقطاع عن التمسك منه بالموت إلا انه وضع كلام موضع كلام على جهة التصرف والابدال بحسن الاستعارة وزوال اللبس ودوي عن أبي عبد الله (ع) وأنتم مسلمون بالتشديد ومعناه مستسلمون لما أتى به النبي (ص) متقادون له (واعتصموا بحبل الله) أي تمسكوا به وقيل امتنعوا به من غيره وقيل في معنى حبل الله اقوال **﴿** أحدها **﴿** انه القرآن عن أبي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدي ويروي ذلك مرفوعا **﴿** وثانيها **﴿** انه دين الله الإسلام عن ابن عباس وأبي زيد **﴿** وثالثها **﴿** ما رواه ابان بن تغلب عن جعفر ابن محمد (ع) قال نحن حبل الله الذي قال واعتصموا بحبل الله (جميعا) والاولى حمل على الجميع والذي يريد ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي (ص) انه قال ايها الناس إني قد تركت فيكم حبلين ان اخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعقدي اهل بيتي الا وانها لا يفترقا حتى يردا على الحوض ولا تفرقوا معناه ولا تفرقوا عن دين الله الذي امركم فيه بلزوم الجماعة والاتلاف على الطاعة واثبتوا عليه عن ابن مسعود وقتادة وقيل معناه لا تفرقوا عن رسول الله (ص) عن الحسن وقيل عن القرآن بترك العمل به (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء. فألف بين قلوبكم) قيل اراد ما كان بين الأوس

والخروج من الحروب التي تطارت مائة وعشرين سنة إلى ان الف الله بين قلوبهم بالإسلام فزال تلك الاحقاد عن ابن عباس وقيل هو ما كان بين مشركي العرب من الطوائف عن الحسن والمعنى احفظوا نعمة الله ومثمه عليكم بالإسلام وبالائتلاف ورفع ما كان بينكم من التنازع والاختلاف فهذا هو النفع الحاصل لكم في العاجل مع ما اعد لكم من الثواب الجزيل في الآجل اذ كنتم اعداء. فألف بين قلوبكم بجمعكم على الإسلام ورفع البغضاء والشحناء عن قلوبكم (فأصبهتم بنعمته) أي بنعمة الله (إخوانا) متواصلين واحبابا متحابين بعد ان كنتم متحاربين متعادين وصرتم بحيث يقصد كل واحد منكم إخوان الآخرين لأن اصل الاخ من توخيت الشيء إذا قصدته وطلبته (وكنتم على شفا حفرة من النار) أي وكنتم يا اصحاب محمد (ص) على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينها وبينكم إلا الموت فأنقذكم الله منها بأن ارسل اليكم رسولا وهداكم للإيمان ودعاكم اليه فنجوتم بإجابته من النار وإنما قال فأنقذكم منها وإن لم يكونوا فيها لأنهم كانوا بمأزقة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها قال ابو الجوزاء قرأ ابن عباس وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها واعرابي يسمع فقال والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يمعهم فيها فقال ابن عباس اكتبوها من غير قيبه (كذلك بين الله) أي مثل البيان الذي تلي عليكم يبين الله لكم الآيات أي الدلالات والحجج فيما امركم به ونهاكم عنه لعلكم تهتدون أي لكي تهتدوا إلى الحق والصواب

قوله تعالى (١٠٤) وَلتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (١٠٥) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (آياتان)

﴿ اللغة ﴾

الامة اشتقاقها من الأم الذي هو القصد في الامة تستعمل على ثمانية أوجه منها الجماعة ومنها اتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد ومنها القدوة لأنه يأتي به الجماعة ومنها الدين والملة كقوله إنا وجدنا آباءنا على أمة ومنها الحين والزمان كقوله تعالى وادكر بعد أمة وإلى أمة معدودة ومنها القامة بمعنى الأم يقال رجل حسن الامة أي القامة

﴿ الإعراب ﴾

منكم أمة من هاهنا للتبويض على قول اكثر المفسرين لأن الأمر بالمعروف وإنكار المنكر ليسا بفرضين على الأعيان وهما من فروض الكفايات فأبي فرقة قامت بها سقطا عن الباقيين ومن قال انها من فروض الأيمان قال ان من هاهنا للتبيين ولتخصيص المخاطبة دون سائر الأجناس كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان وقول الشاعر

أخو رغائب يعطيها وسلبها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

لأنه وصفه باعطاء الرغائب والنوفل الكثير الإيعطاء والزفر الذي يحمل الانتقال

﴿ المعنى ﴾

(ولتكن منكم أمة) أي جماعة (يدعون إلى الخير) أي إلى الدين (ويأمرون بالمعروف) أي بالطاعة (وينهون عن المنكر) أي عن المعصية (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون وقيل كل ما أمر الله ورسوله به فهو معروف وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر وقيل المعروف ما يعرف حسنه عقلا او شرعا والمنكر ما ينكره

العقل او الشرع وهذا يرجع في المعنى إلى الأول ويروى عن أبي عبد الله (ع) ولتكن منكم أئمة وكنتم خير أئمة أخرجت للناس وفي هذه الآية دلالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظم موقعها ومحلها من الدين لأنه تعالى علق الفلاح بها واكثر المتكلمين على انها من فروض الكفايات ومنهم من قال انها من فروض الأيمان واختاره الشيخ ابو جعفر (ره) والصحيح ان ذلك إنما يجب في السمع وليس في العقل ما يدل على وجوبه إلا إذا كان على سبيل دفع الضرر وقال ابو علي الجبائي يجب عقلا والسمع يؤكده وبما ورد فيه ما رواه الحسن عن النبي (ص) قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فله خليفة الله في ارضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن ددة ابن ابي لهب قال جاء رجل إلى النبي (ص) وهو على المنبر فقال يا رسول الله من خير الناس قال أمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأرضاهم وقال ابو الدرداء لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او يسلمطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يميل كبيركم ولا يرحم صغيركم وتدعو خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغيثون فلا تغاثون وتستغفرون فلا تغفرون وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن يكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم أمر سبحانه بالجماعة وترك التفرق فقال سبحانه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) في الدين وهم اليهود والنصارى (واختلفوا) قيل معناه تفرقوا ايضا وذكرهما للتأكيد واختلاف اللفظين كقول الشاعر «متى ادن منه يئأ عني ويبعد» وقيل معناه كالذين تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الديانة (من بعد ما جاءهم البينات) اي الحجج والكتب وبين لهم الطرق (وأولئك لهم عذاب عظيم) عقوبة لهم على تفرقهم واختلافهم بعد مجي الآيات والبيانات والآية تدل على تحريم الاختلاف في الدين وان ذلك مذموم قبيح منهبي عنه

قوله تعالى (١٠٦) **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ** (١٠٧) **وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (آيتان)

﴿ الإعراب ﴾

العامل في قوله يوم قوله عظيم وتقديره عظيم عذابهم يوم تبيض وجوه ولا يجوز ان يكون العامل فيه عذاب لأنه موصوف قد فصلت صفة بينه وبين معموله لكن يجوز أن تعمل فيه الجملة لأنها في معنى يعذبون كما يقال المال يزيد يوم الجمعة فالعامل الفعل والجملة خلف منه وجواب اما في قوله فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم فحذفت دلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كأنه ناطق به وقد يجذف القول في مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان كقوله ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا ابصرنا لدلالة تنكيس الرأس من المجرمين على سؤال الإقالة ومثله كثير

﴿ المعنى ﴾

(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) اخبر سبحانه بوقت ذلك العذاب أي ثبت لهم العذاب في يوم هذه صفة وإنما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثوابا لهم على الايمان والطاعة وتسود فيه الوجوه للكافرين عقوبة لهم على الكفر والسيئات بدلالة ما بعده وهو قوله (فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم) أي يقال لهم اكفرتم بعد إيمانكم واختلف فيمن عنوا به على اقوال **﴿١﴾** احدها **﴿٢﴾** انهم الذين كفروا بعد اظهار الايمان بالنفاق عن الحسن **﴿٣﴾** وثانيها **﴿٤﴾** انهم جميع الكفار لاوعراضهم مما وجب عليهم الإقرار به من التوحيد حين اشهدهم على أنفسهم

الست بربكم قالوا بلى فيقول اكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق عن أبي بن كعب رضي الله عنه وثالثها رضي الله عنه انهم اهل الكتاب كفروا بالنبي (ص) بعد إيمانهم به أي بنعته وصفته قبل مبثته عن عكرمة واختاره الزجاج والجبالي رضي الله عنه ورابعها رضي الله عنه انهم اهل البدع والاهواء من هذه الأمة عن علي (ع) ومثله عن قتادة انهم الذين كفروا بالارتداد ويروى عن النبي (ص) انه قال والذي نفسي بيده ليردن علي الحوض من صبحني اقوام حتى إذا رأيتهم اختلجوا دوني فلاقولن اصحابي اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعد إيمانهم ارتدوا على اعقابهم القهقري ذكره الثعلبي في تفسيره فقال ابو امامة الباهلي هم الموارج ويروى عن النبي (ص) انهم يسرقون من الدين كما يسرق السهم من الرمية والأنف في اكفرتم اصله الاستفهام والمراد به هنا التقريع اي لم كفرتم وقيل المراد التقريع اي قد كفرتم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) التي بلفظ الذوق على التوسع ومعناه انظروا ما صار اليه عاقبتكم من عذاب الله بما كنتم تكفرون اي بكفركم (واما الذين ابضت وجوههم) وهم المؤمنون (ففي رحمة الله) اي ثواب الله وقيل جنة الله (هم فيها خالدون) اعاد كلمة الظرف وهي قوله فيها تأكيداً لتسكين المعنى في النفس وقيل إننا أعادها لأنه دل بقوله ففي رحمة الله على ادخاله إياه في الرحمة وبقوله هم فيها خالدون على خلودهم فيها وسمى الله تعالى الثواب رحمة والرحمة نعمة يستحق بها الشكر وكل نعمة تفضل والوجه في ذلك ان سبب الثواب الذي هو التكليف تفضل فيكون الثواب على هذا الوجه تفضلاً وقيل إننا جاز أن يكون تفضلاً لأنه بمنزلة إنجاز الوعد في انه تفضل مستحق لأن المستدعي به قد كان له أن لا يفعل فلما فعله وجب عليه الرقاب به لأن الخلف قبيح وهو مع ذلك تفضل لأنه جر اليه تفضل وقال بعضهم المراد بابيضاض الوجوه اشراقها واسفارها بالسرور ونيل البقية والظفر بالنية والاستبشار بما يصير اليه من الثواب كقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والمراد باسودادها ظهور أثر الحزن عليها لما يصير اليه من العقاب كقوله وجوه يومئذ باسرة ووجوه يومئذ عليها غبرة وفي هذا القول عدول عن حقيقة اللفظ من غير ضرورة والأصح الأول

قوله تعالى (١٠٨) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْمَآئِينَ

(١٠٩) وَفِيهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (آيتان)

المعنى

(تلك آيات الله) اي تلك التي قد جرى ذكرها حجج الله وعلاماته وبياناته (نتلوها عليك بالحق) نقرأها عليك بالحق يا محمد (ص) وعلى أمتك ونذكرها لك ونعرفك إياها ونقصها عليك (بالحق) اي بالحكمة والصواب (وما الله يريد ظلماً للعالين) معناه لا يظلمهم بأن يحملهم من العقاب ما لم يستحقوه او ينقصهم من الثواب عما استحقوه وإنما يظلم من يظلم لجهلهم بقرينة الظلم او الحاجة إليه من دفع ضرر وجبر نفع وتعالى الله عن صفة الجهل والحاجة وسائر صفات النقص علواً كبيراً وكيف يجوز أن يظلم احداً وهو الذي خلقهم وأنشأهم وابتدعهم وآتاهم من النعم ما لا تسوا اليه همهم وعرضهم بها لما هو أعظم منها قدراً وأجل خطراً وهو نعيم الآخرة ثم ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال (وفيه ما في السموات وما في الارض) ملكاً وخلقاً (وإلى الله ترجع الأمور) اختلافوا في كيفية رجوع الأمر إلى الله تعالى فقيل ان الأمور تذهب بالفناء ثم يعيدها الله للجزاء وقيل ان الله تعالى قد ملك عباده في الدنيا أمورا وجعل لهم تصرفاً ويزول جميع ذلك في الآخرة ويرجع اليه كله كما قال لمن الملك اليوم وفي وقوع المظهر موقع المضمر في قوله وإلى الله ترجع الأمور وقولان ﴿ أحدهما ﴾ ليكون كل واحد من الكلامين مكفياً بنفسه ﴿ والآخر ﴾ ليكون افخم في الذكر والموضع موضع التفضيم وليس كقول الشاعر

لا أرى الموت يسبق الموت شي
لأن البيت مفتقر إلى الضير والآية مستغنية عنه
نقض الموت ذو الغنى والفقير

قوله تعالى (١١٠) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَانَ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (آية)

— المعنى —

لما تقدم ذكر الأمر والنهي عقبه تعالى بذكر من تصدى للقيام بذلك ومدحهم تركيبياً في الاقتداء بهم فقال (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قيل فيه اقوال (١) أحدها (٢) أن معناه انتم خير أمة وإنما قال كنتم لتقدم البشارة لهم في الكتب الماضية عن الحسن وبعضه ما روي عن النبي (ص) انه قال انتم زينتم ستين أمة انتم خيرها واكرمها على الله (٣) وثانيها (٤) ان المراد كنتم خير أمة عند الله في الروح المحفوظ عن الفراء والزجاج (٥) وثالثها (٦) أن كان هاهنا تامة وخير أمة نصب على الحال ومعناه وجدتم خير أمة وخلقتهم خير أمة (٧) ورابعها (٨) أن كان مزيدة دخلها كخروجها إلا ان فيها تأكيداً لوقوع الأمر لا محالة لأنه بمنزلة ما قد كان في الحقيقة فهي بمنزلة قوله تعالى واذكروا إذ انتم قليل وفي موضع آخر ان كنتم قليلاً فكثركم ونظيره قوله وكان الله غفوراً رحيماً لأن مغفرته المستأنفة كالماضية في تحقيق الوقوع (٩) وخامسها (١٠) أن كان بمعنى صار كما في قول الشاعر
فخر على الآلا بوسده (١١)
وقد كان الدماء له خمارا

ومعناه صرتم خير أمة خلقت لأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وإيمانكم بالله فيصير هذه الحاصل على هذا القول شرطاً في كونهم خيراً وقد روي عن بعض الصحابة انه قال من أراد أن يكون خير هذه الأمة فليؤد شرط الله فيه من الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واختلف في المعنى بالخطاب فقيل هم المهاجرون وخاصة عن ابن عباس والسدي وقيل تزلت في ابن مسعود والبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة عن عكرمة وقيل اراد بهم اصحاب رسول الله (ص) خاصة عن الضحاك وقيل هو خطاب للصحابة ولكنه يعم سائر الأمة ثم ذكر مناقبهم فقال تأمرون بالمعروف بالطاعات وتنهون عن المنكر عن المعاصي ويسأل فيقال ان القبيح ايضاً يعرف انه قبيح فلم خص الحسن باسم المعروف وجوابه ان القبيح جعل بمنزلة ما لا يعرف لحمله وسقوطه وجعل الحسن بمنزلة النبيه الجليل القدر يعرف لنباهته وعلو قدره وتؤمنون بالله أي بتوحيده وعدله ودينه (ولو آمن اهل الكتاب) أي لو صدقوا بالنبي (ص) وبما جاء به (لكان خيراً لهم) أي لكان ذلك الإيمان خيراً لهم في الدنيا والآخرة لأنهم ينجون بها في الدنيا من القتل وفي الآخرة من العذاب ويفوزون بالجنة (منهم) أي من اهل الكتاب (المؤمنون) أي المعترفون بما دلت عليه كتبهم من صفة نبينا والبشارة به كعبد الله بن سلام واصحابه من اليهود والنجاشي واصحابه من النصارى (واكثرهم الفاسقون) أي الخارجون عن طاعة الله تعالى وإنما وصفهم بالسق دون الكفر الذي هو اعظم لأن الغرض الايذان بأنهم خرجوا عما يوجب كتابهم من الاقرار بالحق في نبوة نبينا وقيل لأنهم في الكفار بمنزلة الفساق العصاة لخروجهم إلى الحال الفاحشة التي هي اشنع وأفظع

قوله تعالى (١١١) لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذى وَإِنْ يُعَاتِلُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَدْيَارُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ

(١١٢) ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّ مَا تَقْتُلُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِمَغْضَبِ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ الْآتِيَاءَ يَغْتَبِرَ حَقَّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (آيتان)

الإعراب

إلا أذى استثنا. متصل وقوله أذى في تقدير النصب ومعناه لن يضروكم إلا ضررا يسيرا فالأذى وقع موقع المصدر وقيل هو استثنا. منقطع لأن الأذى ليس من الضرر كقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميا وغساقا قال علي بن عيسى هذا ليس بصحيح لأن الكلام إذا أمكن قبله الاستثنا. الحقيقي لم يجر حملة على المنقطع وإن يقاتلوكم شرط ويولوكم جزاء. وعلامة الجزم فيها سقوط النون وقوله ثم لا ينصرون رفع على الاستثنا ولم يجرم على العطف لأن سبب التولية القتال وليس كذلك منع النصرا لأن سببه الكفر ولأن الرفع اشكل برونوس الآي المتقدمة وهو مع ذلك عطف جملة على جملة والعامل في الباء. من قوله بجبل من الله ضربت على معنى ضربت عليهم الذلة بكل حال إلا بجبل وقال الفراء العامل فيه محذوف وتقديره إلا أن يعتصموا بجبل من الله وأنشد

رأتني بجبليها فصدت مخافة
أراد راتني أقبلت بجبليها فحذف الفاعل في الباء. وقال آخر

قصير الخطو يحسب من رأني
ولست مقيدا اني بقيد

أراد انني قيدت بقيد قال علي بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين ﴿أحدهما﴾ ان حذف الموصول عند البصريين لا يجوز لأنه إذا احتاج إلى الصلة تبين عنه فالحاجة إلى البيان عنه بذكره أشد وإنما يجوز حذف الشيء للاستثنا. عنه بدلالة غيره عليه ولو دل عليه لحذف مع صلته لأنه معها بمنزلة شيء واحد والوجه ﴿الأخر﴾ ان الكلام إذا صح معناه من غير حذف لم يجر تأويله على الحذف وقيل في هذا الاستثنا. انه منقطع لأن الذلة لازمة لهم على كل حال فجري مجرى قوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ فاعمل الإعراب موجود المعنى على الانقطاع ومثله لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما فكل انقطاع فيه ازالة الإيهام الذي يلحق الكلام فقوله لا يسمعون فيها لغوا قد يوهم انهم من حيث لا يسمعون فيها لغوا لا يسمعون كلاما فليل لذلك الا خطأ إلا سلاما وكذلك قوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا قد يتوهم انه لا يقتل مؤمنا على وجه فقيل لذلك إلا خطأ وكذلك ضربت عليهم الذلة قد توهم انه من غير جواز موادة فقيل إلا بجبل من الله قيل إن الاستثنا. متصل لأن عز المسلمين عز لهم بالذمة وهذا لا يخرجهم من الذلة في أنفسهم

النزول

قال مقاتل ان رونس اليهود مثل كعب واني رافع واني يسر وكنانة وابن صوريا عمدوا إلى مؤمنهم كعب الله بن سلام واصحابه فأنبؤهم لاؤسلامهم فزلت الآية

المعنى

(لن يضروكم إلا أذى) وعد الله المؤمنين انهم منصورون وان اهل الكتاب لا يقدرن عليهم ولا ينالهم من جهتهم مضرة إلا أذى من جهة القول ثم اختلفوا في هذا القول فقيل هو كذبهم على الله وتحريفهم كتاب الله وقيل هو ما كانوا يسمعون المؤمنين من الكلام المؤذي (وان يقاتلوكم) اي وان يجاوزوا عن الإيذاء باللسان

إلى القتال والمحاربة (يولولم الادبار) منهزمين (ثم لا ينصرون) أي ثم لا يعاونون لكفرهم ففي هذه الآية دلالة على صحة نبوة نبينا (ص) لوقوع مخبره على وفق خبره لأن يهود المدينة من بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر الذين حاربوا النبي والمسلمين لم يثبتوا لهم قط وانهمزوا ولم ينالوا من المسلمين إلا بالسب والظن (ضربت عليهم الذلة) أي أثبت لهم الذلة وانزلت بهم وجعلت محيطة بهم وهو استعارة في ضرب القباب والحياض عن أبي مسلم قيل معناه الزموا الذلة فثبتت فيه من قولهم ضرب فلان الضريبة على عبده أي الزمها إليه قال الحسن ضربت الذلة على اليهود فلا يكون لها منعة أبدا وقيل معناه فرضت عليهم الجزية والهوان فلا يكونون في موضع إلا بالجزية ولقد ادركهم الإسلام وهم يؤدون الجزية إلى المجوس (أينا تقفوا) أي وجدوا ويقال اخذوا وظفر بهم (إلا بجبل من الله) أي بعهد من الله (وحبل من الناس) أي وعهد من الناس على وجه الذمة وغيرها من وجوه الأمان عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وسي العهد جبلا لأنه يعقد به الأمان كما يعقد الشيء بالحبل (وبأوا بغضب من الله) أي رجعوا بغضب الله الذي هو عقابه ولعنه وقيل معناه استوجبوا غضبا من الله (وضربت عليهم المسكنة) أي الذلة لأن المسكين لا يكون إلا ذليلا فسمى الذلة مسكنة عن أبي مسلم وقيل المراد به الفقر لأن اليهود أبدا يتفارقون وإن كانوا أغنيا. وقد ذكرنا تفسير ما بقي من الآية في سورة البقرة

- [النظم] -

وجه اتصال الآية بما قبلها اتصال البشارة بالظفر لما تقدم امر المحاربة لأن الأمر قد تقدم بإنكار المنكر وقيل أنه لما تقدم أن أكثرهم الفاسقون اتصل به ما يمكن قلوب المؤمنين من عاديتهم ويؤمن مضرتهم

قوله تعالى (١١٣) لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٤) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآيَاتُ مَرْوَانَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (آيتان)

❖ اللغة ❖

قيل في واحد اناه قولان ❖ احدهما ❖ اني مثل نحي والآخر اني مثل معي قال الشاعر
 حلو ومر كعطف القدح مرته بكل إني قضاك الليل ينتعل
 وحكي الأخفش انو بالواو والمسارة المبادرة وهي من السرعة والفرق بين السرعة والمجلة ان السرعة هي التقدم فيما يجوز أن يتقدم فيه وهي محمودة وضدها الإبطاء وهو مذموم والمجلة هي التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه وهي مذمومة وضدها الأناة وهي محمودة

❖ النزول ❖

قيل سبب نزول هذه الآية أنه لما أسلم عبد الله بن سلام وجماعة قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد (ص) إلا شارانا فنزل الله ليسوا سواء إلى قوله من الصالحين عن ابن عباس وقتادة وابن جريح وقيل إنها نزلت في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على عهد عيسى (ع) فصدقوا بمحمد (ص) عن عطاء

المعنى

(ليسوا سواء) اخذوا في تقديره والقول الصحيح ان هذا وقف تام وقوله (من اهل الكتاب) ابتداء

كلام ومعناه ليس الذين ذكرنا من اهل الكتاب سواء اي ليس الذين آمنوا من اهل الكتاب (امة قائمة) كعبد الله بن سلام واصحابه والذين لم يؤمنوا سواء في الدرجة والمنزلة ثم استأنف وبين اقتراحهم فقال من اهل الكتاب امة قائمة فحصل بهذا بيان الافتراق وهذا كما لو اخبر القائل عن قوم بخبر فقال بنو فلان يعملون كذا وكذا ثم قال ليسوا سواء فإن منهم من يفعل كذا وكذا وكذلك لو ذم قبيلة بالبخل والجبن فقال غيره ليسوا سواء منهم الجواد ومنهم الشجاع فيكون منهم الجواد ومنهم الشجاع ابتداء كلام وقال ابو عبيدة هو على لغة اكلوتي البراغيث ومثله قوله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم وقال الشاعر

وأين الغواني الشيب لاح بعارضي فأعرضن عني بالحدود النواضر

قال الزجاج والرماني وليس الأمر كما قال لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى فأخبر الله أنهم غير متساويين ولأن هذه اللغة رديئة في القياس والاستعمال وقال الفراء المعنى منهم امة قائمة وامة غير قائمة اكتفاء بذكر احد الفريقين كما قال ابو ذؤيب

عصيت اليها القلب إني لأمرها مطيع فما أدري ارشد طلابها

ولم يقل أم غي وقال آخر

أراك فلا أدري أهم همته وذوالمهم قدما خاشع متضائل

ولم يقل أم غيره لأن حاله في التغير ينجي ان المهم غيره أم غيره فلي هذا يكون رفع امة على معنى الفعل وتقديره لا يستوي امة هادية وامة ضالة على القول الأول رفع بالابتداء وانكر الزجاج هذا القول وقال ما بنا حاجة هنا إلى محذوف لأن ذكر الفريقين قد جرى في قوله منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم قال ليسوا سواء ولا يحتاج إلى أن بقدر وامة غير قائمة وقد تقدم صفتهم في قوله ويكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء وقوله امة قائمة فيه وجوه **١** احدها **٢** ان معناها جماعة ثابتة على أمر الله عن ابن عباس وقادة الربيع **٣** وثانيها **٤** عادلة عن الحسن ومجاهد وابن جريج **٥** وثالثها **٦** قائمة بطاعة الله عن السدي - « ورابعها » - ان التقدير ذو امة قائمة أي ذو طريقة مستقيمة عن الزجاج واتشد للثابتة (وهل يأتمر ذو امة وهو طائم) أي ذو طريقة من طرائق الدين قال علي بن عيسى وهذا القول ضعيف لأنه عدول عن الظن وحكم بالحذف من غير دلالة (يتلون آيات الله) يقرأون كتاب الله وهو القرآن (آناه الليل) ساعاته واوقاته عن الحسن والربيع وقيل يعني جوف الليل عن السدي وقيل أراد به وقت صلاة العتمة لأن أهل الكتاب لا يصلونها يعني انهم يصلون صلاة العتمة عن ابن مسعود وقيل انه الصلاة ما بين المغرب والعشاء الآخرة عن الثوري وهي الساعة التي تسمى ساعة النغلة (وهم يسجدون) قيل اراد السجود المعروف في الصلاة فلي هذا يكون معناه وهم مع ذلك يسجدون ويكون الواو لمطف جملة على جملة وقيل معناه يصلون بغير السجود فبغير السجود عن الصلاة لأن السجود بلغ الأركان في النواضع عن الزجاج والفراء والبلخي قالوا لأن القراءة لا تكون في السجود ولا في الركوع وعلى هذا يكون الواو للحال أي يتلون آيات الله بالليل في صلاتهم وهو قول الجبائي أيضا (يؤمنون بالله) أي بتوحيده وصفاته (واليوم الآخر) المتأخر عن الدنيا يعني البعث يوم القيامة (ويأمرون بالمعروف) بالإقرار بنبوته محمد (ص) (وينهون عن المنكر) عن إنكار نبوته (ويسارعون في الخيرات) أي يبادرون إلى فعل الخيرات والطاعات خوف الفوات

بالموت وقيل معناه يعملون الأعمال الصالحة غير متساقلين فيها لعلهم بجلالة موقعها وحسن عاقبتها (وأولئك من الصالحين) أي من جملتهم وفي عدادهم وهذا نفي لقولهم ما آمن به الا شرارنا وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع صلاة الليل من الله تعالى وقد صح عن النبي (ص) انه قال ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الأخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا اني اشق على امتي لفرضتها عليهم وقال ابو عبد الله ان البيوت التي يصلى فيها بالليل بتلاوة القرآن تضيء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض وقال (ع) عليكم بصلاة الليل فإنها سنة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ومطرودة الداء عن اجسادكم

قوله تعالى (١١٥) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِم بِالْمُتَّقِينَ (آية)

-(القرائة)-

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بالياء فيها والباقون بالتاء إلا أبا عمرو فإنه كان يخير

-(الحجة)-

وجه القراءة بالياء ان يكون كناية عن تقدم ذكره من أهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة ووجه التاء انه خلطهم بغيرهم من المكلفين ويكون خطابا للجميع في أن حكمهم واحد

-(الإعراب)-

وما تفعلوا ما للمجازاة وتفعلوا مجزوم بالشرط وانما جازى بما ولم يجاز بكيف لأن ما أمكن من كيف لأنها تكون معرفة ونكرة لأنها للجنس وكيف لا تكون إلا نكرة لأنها للحال والحال لا يكون إلا نكرة لأنها للفائدة

﴿ المعنى ﴾

(وما تفعلوا من خير) أي من طاعة (فلن تكفروه) أي لم يمنع عنكم جزاؤه وسمي منع الجزاء كفرا على الانساع لأنه بمنزلة الجحد والستر له ومعناه لا تجحد طاعتكم ولا تستر بمنع الجزاء وهذا كما يوصف الله تعالى بأنه شاكر وحقيقه انه يثيب على الطاعة ثواب الشاكرين على النعمة فلما استعير للثواب الشكر استعير لينقضه من منع الثواب الكفر لأن الشكر في الأصل هو الاعتراف بالنعمة والكفر ستر النعمة في المنعم عليه بتضييع حقها (والله عليهم بالمتقين) أي بأحوالهم فيجازيهم وإنما خص المتقين بالذكر وان كان عليا بالكل لأن الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين فنبه بذلك على انه لا يضيع شي من عملهم قل أم كثر لأن المجازي عليهم بكل ذلك وهذه الآية تدل على ان شيئا من أعمال الخير والطاعة لا يبطل البتة خلافا لقول من قال بالإحباط

قوله تعالى (١١٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٧) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

يقال اغنى عنه إذا دفع عنه ضرر الولا. النازل به وإذا قيل أغناه كذا عن كذا أفاد أن أحد الشئيين صار بدلا من الآخر في نفي الحاجة والمعنى الاختصاص بما ينفي الحاجة فإن اخص بال ينفي الحاجة فذلك غني وكذلك الغنى بالجاه والأصحاب وغير ذلك فأما المعنى في صفات الله فهو اختصاصه بكونه قادرا على وجه لا يعجزه شيء وقولنا فيه انه غني معناه انه لا تجوز عليه الحاجة أصحاب النار إنما سموا بذلك لملازمتهم فيها كما يقال هؤلاء أصحاب الصحراء إذا كانوا ملازمين لها وقد يقال أصحاب المقار بمعنى ملاكته وأصحاب الرجل أتباعه وأعدائه وأصحاب العالم المتعلمون منه فالإضافات مختلفة وأصل المصاحبة الصحابة الملازمة والنار أصله من النور وهو جسم لطيف فيه حرارة ونور واعتماد علوي والريح واحدة الرياح ومنه الروح لدخول الريح الطيبة على النفس وكذلك الارتياح والروح والراحة من التعب ومنه الروح لأنها كالريح في اللطافة ومنه الرائحة لأن الريح تحملها إلى الحس والصر البرد الشديد وأصله من الصرير وهو الصوت قال الزجاج الصر صوت لهب النار التي كانت في تلك الريح ويجوز ان يكون الصر صوت الريح الباردة الشديدة وكذلك من صفات الشمال فإنها توصف بأن لها قفطة والصرعة شدة الصياح

- (المعنى) -

لما تقدم وصف المؤمنين عقبه سبحانه بيان حال الكافرين فقال (إن الذين كفروا بالله ورسوله لن تعني عنهم) أي لن تدفع عنهم (أموالهم ولا أولادهم من) عذاب (الله شيئا) وإنما خص الأموال والأولاد بالذكر لأن هذين معتمد الخلق وأعز الأشياء عليهم فإذا لم يقنيا عن الإنسان شيئا فغيرها غناؤه أبعد (وأولئك أصحاب النار) أي ملازموها (م فيها خالدون) أي دائمون ثم ضرب مثلا لا ينفقه فقال (مثل ما ينفقون) أي شبه ما ينفقون من أموالهم (في هذه الحياة الدنيا) قبل هو ما ينفقون على الكفار في عداوة الرسول وقيل هو ما انفق أبو سفيان وأصحابه بدر واحد لما تظاهروا على النبي (ص) وقيل هو ما انفقته سفلة اليهود على علمائهم وقيل هو مثل لجميع صدقات الكفار ونفقاتهم في الدنيا عن مجاهد وفي الآية حذف وتقديره مثل ما ينفقون كمثل اهلاك ربح فيها صر فحذف الاهلاك لدلالة آخر الكلام عليه وفيه تقدير آخر مثل ما ينفقون كمثل مهلك ربح فيكون تشبيه ذلك الإففاق من الحرث بالربح فيها صر قيل برد شديد عن ابن عباس والحسن وقادة وجماعة وقيل السموم الحارة القائدة عن ابن عباس أيضا (أصاب حث قوم) أي زرع قوم (ظلموا أنفسهم) بالمعاصي فظلمهم اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم وقيل ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزراعة أو في غير وقتها فجاءت الريح (فأهلكته) تأديبا لهم من الله في وضع الشيء غير موضعه الذي هو حقه (وما ظلمهم الله) في اهلاك زرعهم لأنهم استحقوا ذلك بظلمهم وقيل في قتلهم وسيبهم لأنهم استحقوا بكفرهم (ولكن انفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به ذلك

قوله تعالى (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُمْ تَعْقِلُونَ (آية)

اللغة

البطانة خاصة الرجل الذين يستبطنون أمره مأخوذ من بطانة الثوب الذي يلي البدن لقربه منه وهو تقيض الظهارة ويسمى بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الشاعر

أو آتاك خلصاني نعم وبطانتي وهم عيبتني من دون كل قريب
لا يألونكم أي لا يقصرون في أمركم خبالا ولا يتركون جهدهم يقال ألا يألوا إذا فر وضعف
وقصر وما الوته خيرا وشرا أي ما قصرت في فعل ذلك وقال امرؤ القيس

وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا ألي
أي مقصر في الطلب والخبال الشر والفساد ومنه انجبل بفتح الباء وسكونها للجنون لأنه فساد العقل
ورجل مخبل الرأي أي فاسد الرأي ومنه الاستخبال طلب إعادة المال لفساد الزمان قال زهير

هنالك ان يستخبلوا المال يجبلوا * وان يسألوا يعطوا وان يسروا يغلوا
واصل العنت الشقة عنت الرجل يمنت عنتا دخلت عليه المشقة واكمة عنت صعبة المسلك لمشقة
السلوك فيها واعنت فلان فلانا حملة على المشقة الشديدة فيما يطالبه فيه ومنه قوله تعالى ولو شاء الله لأعتكم

الإعراب

من دونكم من لتبويض والتقدير لا تتخذوا بعض المخالفين من الدين بطانة ويجوز ان يكون لتبيين
الصفة فكأنه قال لا تتخذوا بطانة من المشركين وهذا أولى لأنه أعم ولا يجوز ان يتخذ المؤمن من الكافر بطانة على
كل حال وقيل ان من هاهنا زائدة وهذا غير حسن لأن الحرف إذا صح حملة في الفائدة لا يحكم فيه
بالزيادة وقوله خبالا نصب بأنه المفعول الثاني لأن الألو يعمد إلى مفعولين ويجوز أن يكون مصدر الألو
المعنى يجبلونكم خبالا وموضع قوله ودوا ما عتتم يجوز أن يكون نصبا لأنه صفة لبطانة ويجوز ان يكون
لا موضع له من الإعراب لأنه استئناف جملة وما في قوله ما عتتم مصدرية وتقديره ودوا ما عتتم

= [التزول] =

نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الصداقة والقرابة
والجوار والحلف والرضاع عن ابن عباس وقيل نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصادقون المنافقين
ويخالطونهم عن مجاهد

= [المعنى] =

نهى الله المؤمنين عن موالاته الكفار ومخالطتهم خوف الفتنة منهم عليهم فقال (يا ايها الذين آمنوا)
أي صدقوا (لا تتخذوا بطانة من دونكم) أي لاتتخذوا الكافرين أولياء وخواص من دون المؤمنين تفشون
اليهم اسراركم وقوله من دونكم أي من غير أهل ملتكم ثم بين تعالى العلة في المنع من مواسلتهم فقال (لا يألونكم
خبالا) أي لا يقصرون فيما يؤدي إلى فساد أمركم ولا يدعون جهدهم في مضرركم وقال الزجاج لا يتقون
في الثائكم فيما يضركم قال واصل الخبال ذهاب الشيء وقوله (ودوا ما عتتم) معناه تمنوا إدخال المشقة عليكم
وقيل تمنوا إضلالكم عن دينكم عن السدي وقيل تمنوا ان يعتوكم في دينكم أي يحملونكم على المشقة فيه عن ابن عباس

وقوله (قد بدت البغضاء من افواههم) معناه ظهرت إمارة العداوة لكم على ألسنتهم وفي فحوى أقوالهم وفلمات كلامهم (وما تخفي صدورهم من البغضاء اكبر) مما يبدون بألسنتهم (قد بينا لكم الآيات) اي اظهرنا لكم الدلالات الواضحات التي بها يتميز الولي من العدو (ان كنتم تعلمون) اي تعلمون الفضل بين الولي والعدو وقيل ان كنتم تعلمون مواعظ الله ومناصها وقيل ان كنتم عقلاء قد آتاكم الله من البيان الشافي

قوله تعالى (١١٩) هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتَوَمَّنُونَ يَا لِكِتَابِ كَلِمَةٍ
وَإِذَا لَقُّوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ التَّغِيْظِ قُلْ مُؤْتَايَاتِيْظِكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (آية)

= [اللغة] =

العض بالأصابع والمعروف ومنه العض علف الأضراس لأن له مضغ في العض يسن عليها المال ورجل
عض لزاز الخضم لأنه يعضه بالخصومة والأنامل اطراف الأصابع واصله النمل المعروف فهي مشبهة به
في الدقة والتصرف بالحركة ومنه رجل نمل اي غام لأنه ينقل الأحاديث الكرهة كتنقل النملة
في الخفاء والكثرة

✽ الإعراب ✽

قال الأزهري يحتمل ان يكون اولاء منادى كأنه قال يا اولاء وقال غيره ها للتنبية وانتم مبتدأ واولاء
خبره وتجبونهم حال وقال الزجاج جائز ان يكون اولاء في معنى الذين كأنه قال ها أنتم الذين تجبونهم
ولا يجبونكم وجائز ان يكون تجبونهم حالا وتوتمنون عطف على يجبون ولا يجوز ان يقول ها قومك اولاء
لأن المضمرة أحق بالهاء التي للتنبية لأنه كالمبهم في عموم ما يصلح له وليس كذلك الظاهر
= [المعنى] =

ثم بين سبحانه ما هم عليه من عداوة المؤمنين تأكيداً للنهي عن مصافاتهم فقال (ها أنتم اولاء تجبونهم)
وقدم ذكر معناه في الإعراب وتقديره ها أنتم الذين تجبونهم او ها أنتم اولاء محبين إذا قلنا انه بمعنى الحال
اي تنبهوا في حال محبتكم ايام ولا يجبونكم هم لما بينكم من مخالفة الدين وقيل تجبونهم لأنكم تريدون لهم
الإسلام وتدعونهم إلى الجنة (ولا يجبونكم) لأنهم يريدون لكم الكفر والضلال وفيه الهلاك (وتوتمنون
بالكتاب) كاه الكتاب واحد في معنى الجمع لأنه أراد الجنس كما يقال كثر الدرهم في ايدي الناس ويجوز
ان يكون مصدرًا من قولك كتبت كتابا والمراد به كتب الله التي انزلها على انبيائه وفي افراده ضرب من
الإيجاز واشعار بالتفصيل في الاعتقاد ومعناه انكم تصدقون بها في الجملة والتفصيل من حيث توتمنون بما انزل
على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) وعليهم وعلى سائر الانبياء وهم لا يصدقون بكتابكم (واذا لققوكم
قالوا آمنا) معناه إذا رأوكم قالوا صدقنا (واذا خلوا) مع انفسهم (عضوا عليكم الأنامل) اي اطراف
الأصابع (من التغيط) اي من الغضب والحنق لما يرون من اختلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ونصرة الله
ايام وهذا مثل وليس هناك عض كقول الشاعر

إذا رأوني أطال الله غيظهم
 وعضوا من الغيظ أطراف الأباهم
 وقول ابي طالب (بعضون غيظا خلفنا بالانامل) (قل) يا محمد لهم (موتوا بغيظكم) صبيته صيغة الامر
 والمعنى الدعاء عليهم فكأنه قال أمانكم الله بغيظكم وفيه معنى الذم لهم لأنه لا يجوز ان يدعى عليهم هذا الدعاء
 إلا وقد استحقوه بما اتوه من القبيح وقيل معناه دام لكم هذا الغيظ لما ترون من علو كلمة الإسلام إلى ان
 تموتوا (ان الله علم بذات الصدور) أي بما يضررونه من النفاق والغيظ على المسلمين

قوله تعالى (١٢٠) **إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرُحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن كثير وابوعمر و يعقوب لا يضركم خفيفة مكسورة الضاد والباقون مشددة مضمومة الضاد
 والراء وقرأ الحسن وابو حاتم يعملون بالتاء على الخطاب والقراءة المشهورة بالياء

﴿ الحجة ﴾

من قرأ لا يضركم فهو من ضاره يضره ضيرا ومن قرأ لا يضركم فهو من ضره يضره ضرا والضير
 والضر بمعنى واحد وقد جاء في القرآن لا ضير وإذا مسك الضر ولا يضركم أصله لا يضرركم نقلت ضمة
 الراء الأولى إلى الضاد وأدغمت في الراء الثانية بعد ان ضمت إبتاعا لأقرب الحركات اليها والعرب
 تدغم في موضع الجزم واهل الحجاز يظهرون التضعيف قال الزجاج وهذه الآية جاءت فيها اللتان جميعا قوله
 إن تمسككم على لغة اهل الحجاز وقوله يضركم على لغة غيرهم من العرب ويجوز لا يضركم ولا يضركم فمن قال
 بالفتح فلأن الفتح خفيف يستعمل في التقاء الساكنين في التضعيف ومن قال بالكسر فعلى اصل التقاء الساكنين

﴿ اللفظة ﴾

الكيد والمكيدة المكر الذي ينتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع في مكروه به واصله المشقة يقال
 رأيت فلانا يكيد بنفسه أي يقاسي المشقة في سياق المنية ومنه المكائدة لا يراد ما فيه من المشقة

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عن حال من تقدم ذكرهم فقال (إن تمسككم حسنة) أي تصبكم أيها المؤمنون نعمة
 من الله تعالى عليكم بها مؤلفة أو اجتماع كلمة أو ظفر بالاعداء (تسوهم) أي تخزيم (وإن تصبكم سيئة)
 أي محنة بإصابة العدو منكم لا اختلاف الكلمة وما يؤدي إليه من الفرقة يفرحوا بها هنا قول الحسن وقيادة
 والربيع وجماعة من المفسرين (وان تصبروا) على أذيابهم وعلى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله والجهاد في
 سبيله (وتتقوا) الله بالامتناع عن معاصيه وفعل طاعته (لا يضركم) أي الموحدون (كيدهم) أي مكر
 المنافقين وما يمتثلون به عليكم (شئنا) أي لا قليلا ولا كثيرا لأنه تعالى ينصركم ويدفع شرهم عنكم (إن
 الله بما تعملون محيط) أي عالم بذلك من جميع جهاته مقتدر عليه لأن اصل المحيط بالشيء هو المضيف به
 من حوالبه وذلك من صفات الاجسام فلا يليق به سبحانه

قوله تعالى (١٢١) وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢٢) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (آياتان)

﴿ اللغنة ﴾

التبوءة اتخاذ الموضع للتعبير يقال بوأت القوم منازلهم وبوأت لهم ايضا أي اوطنتهم واسكنتهم ايها وتبوؤواهم اي توطنوا ومنه المباءة المراح لأنه رجوع الى المستقر المتخذ ومنه بوأت بالذنب اي رجعت به بحملاله والفشل الجبن يقال فشل بفشل فشلا والفشل الرجل الضعيف

﴿ الأعراب ﴾

العامل في إذا محذوف وتقديره واذا ذكر اذ غدوت وقيل هو عطف على ما تقدم في السورة من قوله قد كان لكم آية في فتنين التقيا اي في نصرة تلك الطائفة القليلة على الطائفة الكثيرة إذ غدا النبي (ص) عن ابي مسلم وقيل العامل فيه قوله محيط وتقديره والله عالم بأحوالكم واحوالهم إذ غدوت من اهلك وتبوى حال من غدوت

﴿ المعنى ﴾

واذ كرى يا محمد (إذ غدوت من اهلك) اي خرجت من المدينة غدوة (تبوى المؤمنون مقاعد) اي تبوى المؤمنون مواطن (القتال) وقيل معناه تجلسهم وتقدم في مواضع القتال ليقفوا فيها ولا يفارقوها واختلف في اي يوم كان ذلك فقبل يوم احد عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والسدي وابن أبي اسحاق وهو المروزي عن ابي جعفر (ع) وقبل كان يوم الاحزاب عن مقاتل وقيل يوم بدر عن الحسن (والله سميع) اي يسمع ما يقوله النبي (ص) (عليم) بما يضررونه لأنهم اختلفوا فمنهم من اشار بالخروج ومنهم من اشار بالمقام وفيه تزكية للراكي وتهديد للعاوي وقيل سميع بقول المشيرين على النبي (ص) عليهم بضائرهم وقيل سميع بجميع السموعات عليم بجميع المعلومات (إذ همت) اي قصدت وعزمت (طائفتان) اي فرقان (منكم) اي من المسلمين (ان تغشلا) اي تجبنا والطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الانصار عن ابن عباس وجابر بن عبد الله والحسن وقتادة ومجاهد والربيع وابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وقال الجبائي نزلت في طائفة من المهاجرين وطائفة من الانصار وكان سبب مهمم بالفشل ان عبد الله بن ابي سلول دعاها الى الرجوع الى المدينة عن لقاء المشركين يوم احد فعما به ولم يفعلاه (والله وليها) اي ناصرهما روي عن جابر بن عبد الله انه قال فينا نزلت وما أحب انهما لم تكن لتقوله والله وليها وقال بعض المحققين هذا هم خطرة لا هم عزيمة لأن الله تعالى مدحها واخبر انه وليها ولو كان هم عزيمة وقصد لكان ذمهم اولى من مدحهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في جميع احوالهم وأمورهم

ذكر غزوة احد * عن ابي عبد الله (ع) انه قال كان سبب غزوة احد ان قريشا لما رجعت من بدر الى مكة وقد اصابهم ما اصابهم من القتل والأسر لأنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون قال ابو سفيان يومئذ

قريش لا تدعوا نساءكم تبيكين صلى قتلاكم فإن الدمعة اذا خرجت اذهبت الحزن والعداوة لمحمد فلما غزوا رسول الله (ص) يوم أحد اذنوا لنسائهم في البكاء والنوح وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس والفي راجل واخرجوا معهم النساء فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك جمع اصحابه وحثمهم على الجهاد فقال عبد الله ابن ابي سلول يا رسول الله لا نخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها فنقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على افواه السكك وعلى السطوح فما ارادها قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودروبنا وما خرجنا الى عدولنا قط إلا كان الظفر لم علينا فقام سعيد بن معاذ وغيره من الاوس فقالوا يا رسول الله ما طعم فينا احد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يطعمون فينا وانت فينا لا حتى نخرج اليهم فنقاتلهم فن قتل منا كان شهيداً ومن نجنا منا كان قد جاهد في سبيل الله فقبل رسول الله رآه وخرج مع نفر من اصحابه يتبوون موضع القتال كما قال تعالى واذ غدوت من اهلك الآية وقعد عنه عبد الله بن ابي سلول وجماعة من الخزرج اتبعوا رآه ووافقت قريش الى احد وكان رسول الله عباً اصحابه وكتابوا سبع مائة رجل ووضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب واشفق ان يأتي كمينهم من ذلك المكان فقال لعبد الله بن جبير واصحابه ان رايتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وان رايتمهم قد هزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزمو مرا كزكم ووضع ابو سفيان خالد ابن الوليد في مائتي فارس كميناً وقال اذا رايتمونا قد اختلفنا فأخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم وعباً رسول الله اصحابه ودفع الراية الى امير المؤمنين (ع) وحمل الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة ووضع اصحاب رسول الله (ص) في سوادهم وانحط خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبد الله ابن جبير فاستقبلوهم بالسهم فرجع ونظر اصحاب عبد الله بن جبير الى اصحاب رسول الله (ص) ينتهبون سواد القوم فقالوا لعبد الله بن جبير قد غنم اصحابنا وبقى نحن بلا غنمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله فإن رسول الله (ص) قد تقدم لنا ان لا نبرح فلم يقبلوا منه واقبلوا ينسل رجل فرجل حتى اخلوا مرا كزهم وبقى عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلاً وكانت راية قريش مع طلحة بن ابي طلحة العبدي من بني عبد الدار فقتله علي (ع) واخذ الراية ابو سعيد بن ابي طلحة فقتله علي وسقطت الراية فأخذها مسافع بن ابي طلحة فقتله علي حتى قتل تسعة نفر من بني عبد الدار حتى صار لواهم الى عبد لهم اسود يقال له ثواب فاتهم اليه علي (ع) فقطع يده اليمنى فأخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذماوين الى صدره ثم التفت الى ابي سفيان فقال هل غدرت في بني عبد الدار فضربه علي على رأسه فقتله وسقط اللواء فأخذتها غمرة بنت علقمة الكنانية فرقتها وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر اصحابه وبقى في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ثم أتى المسلمين من ادبارهم ونظرت قريش في هزيمتها الى الراية قد رفعت فلاذوا بها وانهزم اصحاب رسول الله هزيمة عظيمة واقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه فلما رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال لولي انا رسول الله إلى ابن نفرون عن الله تعالى وعن رسوله وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكما انهزم رجل من قريش دفعت اليه ميلاً ومكحلة وقالت إنما انت امرأة فاكنتل بهذا وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فإذا رآه انهزموا ولم يثبت له احد وكان هند قد اعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً او علياً او حمزة لا اعطيتك كذا وكذا وكان وحشي عبداً لجبير بن

مطعم حبشيا فقال وحشي اما محمد فلم اقدر عليه واما علي فرائته حذرا كثيرا الالتفات فلا مطعم فيه فكنت
لحزة فرائته يهد الناس هذا فربي فوطي على جرف نهر فسقط واخذت حربتي فهزتها ورميته بها فوقعت
في خاصرته وخرجت من ثنته فسقط فأتيته فشققت بطنه واخذت كبده وجئت به الى هند فقلت هذه كبد
حزة فأخذتها في فمها فلا كتبها فجعله الله في فمها مثل الداعضة وهي عظم رأس الركبة فلفظتها ورمت بها
فقال رسول الله (ص) فبعث الله ملكا فحملة ورده الى موضعه قال فجات اليه فقطعت مذا كبره وقطعت
أذنيه وقطعت يده ورجله ولم يبق مع رسول الله إلا ابو دجانة وساك بن خرشة وعلي فكلما حلت طائفة علي
رسول الله (ص) استقبلهم علي فدفعهم عنه حتى تقطع سيفه فدفع اليه رسول الله (ص) سيفه ذو الفقار وانحاز
رسول الله (ص) الى ناحية احد فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل علي (ع) يقائلهم حتى اصابه
في رأسه ووجهه وبديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة كذا اوردته علي بن ابراهيم في تفسيره فقال جبرائيل
ان هذه لمي المواساة يا محمد فقال محمد انه مني وانا منه فقال جبرائيل وانا منك قال ابو عبد الله نظر رسول
الله (ص) الى جبرائيل بين السماء والارض على كرسي من ذهب وهو يقول لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى
إلا علي وروى ابن أبي اسحاق والسدي والواقدي وابن جرير وغيرهم قالوا كان المشركون نزلوا بأحد يوم
الاربعاء في شوال سنة ثلاث من الهجرة وخرج رسول الله يوم الجمعة وكان القتال يوم السبت للنصف
من الشهر وكسرت رباغية رسول الله (ص) وشج في وجهه ثم رجع المهاجرون والانصار بعد الهزيمة وقد قتل
من المسلمين سبعون وشد رسول الله بن معه حتى كشفهم وكان الكفار مثلوا بجماعة وكان حزة اعظم
مثلة وضربت يد طلحة فشلت وسعد بن ابي وقاص كان يرمي بين يديه وهو (ع) يقول ارم فذاك ابي وأمي

- [النظم] -

لما امر تعالى بالصبر في قوله وان تصبروا وتتقوا عقبه بنصرة المسلمين يوم بدر وصبرهم على القتال ثم
ذكر امتحانهم يوم احد لما تركوا الصبر وقيل نظمه وان تصبروا ينصركم كما نصركم يوم بدر وان لم تصبروا
نزل بكم ما نزل يوم احد حيث خالفتم امر رسول الله (ص) وذكر ابو مسلم انه منصل بقوله قد كان لكم آية
في فثيب كما تقدم ذكره

قوله تعالى (١٢٣) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
(١٢٤) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ
(١٢٥) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَاتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ قُدُورِهِمْ هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٦) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (اربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر منزلة مشددة الزاي وقرأ الآخرون منزلة مخففة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم
مسومين بكسر الواو وقرأ الباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ منزليين بالتخفيف قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا ولأن الانزال يعم التنزيل وغيره وحجة ابن عامر ما أنزل الملائكة وتنزل الملائكة والروح فيها لأن تنزل مطاوع نزل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة فقال ابو الحسن من قرأ مسومين بالكسر فلأنهم سوموا الخيل ومن قرأ مسومين فلأنهم سوموا وقال مسومين معلين ويكون مرسلين من سوم الخيل إذا أرسلها ومنه السائمة وقال علي بن عيسى ان اختيار الكسر لتظاهر الأخبار بأنهم سوموا خيلهم بعلامة وقال رسول الله (ص) سوموا فإن الملائكة قد سومت

= [اللغة] =

بدر ما بين مكة والمدينة وقال الشعبي سمي بدر لأن هناك ماء لرجل يسمى بدر فسمي الموضع باسم صاحبه وقال الواقدي هو اسم للموضع وكل شي تم فهو بدر وسمي بدر السماء بدر لثلمه وامتلأه وعين بدرة ممتلئة يقال استكفيتها الامر فكفاني وكفاك هذا الامر اي حسبك والفرق بين الاكتفاء والاستفناء ان الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفي الحاجة والاستفناء الاتساع فيما ينفي الحاجة والإمداد هو اعطاء الشيء حالا بعد حال والمد في السير هو الاستمرار عليه وامتد بهم السير اذا طال واستمر وامتدت الجيش بمدد وامتد الجرح فهو بمددا صارت فيه المدة ومد النهر إذا جرى يقال مد النهر ومدته نهر آخر ويقال مدته في الشر ومدته في الخير واصيل الفور فور القدر فهو غليانها عند شدة الحمى ومنه فورة الغضب لانه كفور القدر ومنه فارت العين بالماء اذا جاشت به ومنه الفواراة لأنها تفور بالماء كما تفور القدر بما فيها ومنه جاء على الفور أي على ابتداء الحمى قبل ان تجرد عنه نفسه وقيل الفور القصد الى الشيء بحدة

﴿ الإعراب ﴾

وانتم اذلة في موضع نصب على الحال وان يدكم ربكم في موضع رفع بانه فاعل الن يكفيكم امدادكم وقوله من فورهم هذا في موضع جر صفة لفورهم وقوله وتطمئن قلوبكم به معطوف على قوله بشرى لكم لأن تقديره تبشروا به وتطمئن

﴿ المعنى ﴾

ثم بين الله تعالى ما فعله بهم من النصر يوم بدر فقال (ولقد نصركم الله) ايها المؤمنون (ببدر) بتقوية قلوبكم وبما امدكم به من الملائكة وبالقاء الرعب في قلوب اعدائكم (وانتم اذلة) اي ضعاء عن المقاومة قليلو العدد قليلو العدة جمع ذليل وروي عن ابن عباس انه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا والانصار مائتين وستة وثلاثين رجلا الجميع ثلاثمائة وثلاث عشر رجلا وكان المشركون نحواً من الف رجل وروي عن بعض الصادقين انه قرأ وانتم ضعاء وقال لا يجوز وصفهم بأنهم اذلة وفيهم رسول الله (ص) وكان صاحب راية رسول الله يوم بدر امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وقيل سعد بن معاذ (فاتقوا الله) اي اجتنبوا معاصيه واعملوا بطاعته (لعلكم تشكرون) اي لتقوموا بشكر نعمته (اذ تقول) خطاب للنبي (ص) اي اذ تقول يا محمد للمؤمنين من اصحابك (ان يكفيكم ان يدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) هو اخبار بأن النبي (ص) قال لقومه ان يكفيكم يوم بدر ان جعل ربكم ثلاثة آلاف من الملائكة مددا لكم قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم ان الامداد بالملائكة كان يوم بدر وقال ابن عباس لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وكانوا في غيره من الايام عدة ومددا وقال الحسن كان جميعهم خمسة آلاف فعناه يمدكم ربكم بتمام خمسة آلاف وقال غيره كانوا ثمانية آلاف فعناه بخمسة آلاف اخر وقيل

ان الوعد بالإمداد بالملائكة كان يوم احد وعدمه الله المدد ان صبروا عن عكرمة والضحاك (مقزلين) اتزلهم
الله من السماء الى الارض لنصرتكم (بلى) تصديق للوعد اي يفعل كما وعدكم ويزيدكم (ان تصبروا) معناه
ان صبرتم على الجهاد وعلى ما امركم الله (تعالى) (وتتقوا) معاصي الله ومخالفة رسوله (ص) (ويأتوكم)
يعني المشركين ان رجعوا اليكم (من فورهم هذا) اي من وجههم هذا عن ابن عباس والحسن وقتادة والربيع
والسدي على هذا فإنها هو من فور الابتدار لهم وهو ابتداؤهم وقيل معناه من غضبهم هذا عن مجاهد والي
صالح والضحاك وكانوا قد غضبوا يوم احد ليوم بدر بما لقوا فهو من فور الغضب وهو غليانه (يمددكم بخمسة
آلاف من الملائكة) اي يعطكم مددا لكم ونصرة وانما قال ذلك لأن الكفار في غزوة احد ندموا بعد
انصرافهم لم يعبروا المدينة وغموا بالرجوع فادعى الله الى نبيه (ص) ان يأمر أصحابه بالتهيؤ للرجوع
اليهم وقال لهم ان يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ثم قال ان صبرتم على الجهاد وراجعتكم الكفار
امدكم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين واخذوا في الجهاد وخرجوا يتبعون الكفار على ما كان بهم
من الجراح فاجبر المشركين من مر برسول الله انه خرج يتبعكم فخاف المشركون ان رجعوا ان تكون الغلبة
للمسلمين وان يكون قد التام اليهم من كان تأخر عنهم وانضم اليهم غيرهم فدسوا نعيم بن مسعود الاشجعي حتى
يصدهم بتعظيم امر قريش واسرعوا في الذهاب الى مكة وكفى الله المسلمين امرهم والقصة معروفة ولذلك قال
قوم من المفسرين ان جميعهم ثمانية آلاف وقال الحسن خمسة آلاف جميعهم منهم ثلاثة آلاف المقزلين
على ان الظاهر يقتضي ان الإمداد بثلاثة آلاف كان يوم بدر لأن قوله اذ تقول للمؤمنين الآية يتعلق بقوله ولقد
نصركم ببدر الآية ثم استأنف حكم يوم احد فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا اي ان رجعوا
اليكم بعد انصرافهم امدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وهذا قول البلخي رواه عن عمرو بن
دينار عن عكرمة قال لم يدوا يوم احد ولا بئلك واحد وعلى هذا فلا تنافي بين الآيتين فمتى يسأل كيف لم يدوا
بالملائكة في سائر الحروب فالجواب ان ذلك تابع المصلحة فإذا علم الله في إمدادهم المصلحة امددهم وقوله
(مسومين) بالكسر اي معلمين اعلمو انفسهم ومسومين بالفتح سومهم الله اي اعلهم قال ابن عباس والحسن
وقتادة وغيرهم كانوا اعلمو بالصوف في نواصي الخيل واذنابها وقال عروة تزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلقي
وعليهم عمامة صفراء وقال علي وابن عباس كانت عليهم عمامة بيضاء وارسلوا اذنابها بين اكتافهم قال السدي
معنى مسومين بالفتح مرسلين من الناقة السائمة الى المرعى (وما جعله الله الا بشري لكم) اي وما
جعل الله الإمداد والوعد به فالها عائدة على غير مذكور باسمه وهو معلوم بدلالته عليه لأن يمدد يدل على
الإمداد وبشري لكم اي بشارة لكم لتستبشروا به وتطمئن قلوبكم به اي وتستن قلوبكم فلا تخافوا
كثرة عدد العدو وقلة عددكم (وما النصر) أي وما المعونة (الامن عند الله) ومعناه ان الحاجة الى الله تعالى
لازمة في المعونة وان امدكم بالملائكة فلا استغناء لكم عن معونة طرفة عين في تقوية قلوبكم وخذلان عدوكم
بضعف قلوبهم الى غير ذلك وقيل ان معناه وما هذا النصر الا بالإمداد الملائكة الا من عند الله (العزيز) اي القادر
على انتقامه من الكفار بايدي المؤمنين (الحكيم) في تدبيره للمؤمنين العالمين وانما قال ذلك ايعلمهم ان
حربهم للمشركين انما هو لاوغزاز الدين وقيل العزيز المنيع باقتداره والحكيم في تدبيره للخلق

﴿ فصل وجيز في ذكر مغازي رسول الله (ص) ﴾

قال المفسرون جميع ما غزا رسول الله بنفسه ستة وعشرون غزاة وأول غزاة غزاها غزوة الایوا. ثم غزوة
بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة بدر الاولى ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم ثم غزوة سويق ثم غزوة
ذي مر ثم غزوة احد ثم غزوة الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع ثم غزوة بدر الاخرة ثم غزوة

دومة الجندل ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان ثم غزوة بني قرد ثم غزوة بني المصطلق ثم غزوة الحديبية ثم غزوة خيبر ثم غزوة الفتح فتح مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها في تسع غزاة غزوة بدر الكبرى وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة واحد من شوال سنة ثلاث من الهجرة والحندق وبني قريظة في شوال سنة اربع وبني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس وخيبر سنة ست والفتح في رمضان ثمان وخيبر والطائف في شوال سنة ثمان فاول غزوة غزاها بنفسه فقاتل فيها بدر وأخرها تبوك واما عدد سراياه فسته وثلاثون سرية على ما عد في مواضعه

قوله تعالى (١٢٧) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبْهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ
(١٢٨) كَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (آيتان)

— (اللغة) —

الكبت الحزى وهو صدر كبت الله العدو أي اخزاه واذله وقال الخليل الكبت صرع الشيء على وجه كبتهم الله فانكبتوا وحقيقة الكبت شدة الوهن الذي يقع في القلب وربما صرع الانسان لوجهه للخور الذي يدخله والخائب المنقطع عما امل ولا يكون الحية الا بعد الامل لأنها امتناع نيل ما امل والياس قد يكون قبل الأمل وقد يكون بعده والياس والرجاء نقيضان يتعاقبان كتعاقب الحية والنظر

﴿ الإعراب ﴾

نصب او يتوب عليهم على وجهين احدهما ان يكون عطفا على ليقطع ويكون قوله ليس لك من الأمر شيء اعراضا بين المعلوم والمعلوم عليه كما تقول ضربت زيدا فافهم ذلك وعمرا والآخر أن يكون اوجهي الا ان فكأنه قال ليس لك من الأمر شيء الا ان يتوب الله عليهم او يعذبهم فيكون امرك تابعا لأمر الله لرضاك بتدبيره فيهم

﴿ المعنى ﴾

(ليقطع طرفا من الذين كفروا) اختلف في وجه اتصاله بما قبله فقيل يتصل بقوله (وما النصر الا من عند الله) ومعناه اعطاكم الله هذا النصر وخصكم به ليقطع طائفة من الذين كفروا بالأسر والقتل وقيل هو متصل بقوله ولقد نصركم الله بيده اي واعد نصركم الله بيده ليقطع طرفا وقيل معناه ذلك أكتدير ليقطع طرفا اي قطعة منهم والمعنى ليهلك طائفة منهم وقيل ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر واما اليوم الذي قطع الله فيه الطرف من الذين كفروا فيوم بدر قتل فيه صناديدهم وروساهم وقادتهم الى الكفر في قول الحسن والربيع وقتادة وقيل هو يوم احد قتل فيه منهم ثمانية عشر رجلا وانما قال ليقطع طرفا منهم ولم يقل ليقطع وسطا منهم لانه لا يوصل الى الوسط منهم الا بقطع الطرف ولأن الطرف اقرب الى المؤمنين فهو كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار (او يكبتهم) معناه او يجزيهم بالحية مما املوا من الظفر بكم عن قتادة والربيع وقيل معناه يردهم عنكم منهزمين عن الجباب والكليبي وقيل يصرعهم الله على وجوههم وقيل يظفركم عليهم عن المبرد وقيل يلصقهم عن السدي وقيل يهلكهم عن ابي عبيدة فينقلبوا (خائبن) لم ينالوا مما املوا شيئا (ليس لك من الامر شيء) قيل هو متصل بقوله وما النصر الا من عند الله فيكون معناه نصركم الله ليقطع طرفا منها ويكبتهم وليس لك ولا لتبرك من هذا النصر شيء عن ابي مسلم وقيل انه اعراض بين الكلامين وقوله او يتوب عليهم متصل بقوله ليقطع طرفا فيكون التقدير ليقطع طرفا منهم او يكبتهم او يتوب عليهم

او يعذبهم فإنهم قد استحقوا العذاب وليس لك اي ليس لك من هذه الاربعة شي وذلك الى الله تعالى واختلف في سبب نزوله فروي عن انس بن مالك وابن عباس والحسن وقتادة والربيع انه لما كان من المشركين يوم احد ما كان من كسر رباعية الرسول وشجه حتى جرت الدماء على وجهه قال كيف يفاح قوم نالوا هذا من نبيهم (ص) وهو مع ذلك حريص على دعائهم الى ربهم فاعلمه الله انه ليس اليه فلاحهم وانه ليس اليه الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وإنما ذلك الى الله تعالى وكان الذي كسر رباعيته وشجه في وجهه عتبة بن ابي وقاص فدعا عليه بأن لا يجوز عليه الحول حتى يموت كافرين فأت كافرين قبل ان يجوز الحول وادمى وجهه رجل من هذيل يقال له عبد الله بن قية فدعا عليه فكان حثفه ان ساط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله وروي انه كان يمسح الدم على وجهه ويقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فعلى هذا يسكن ان يكون على وجل من عنادهم واصرارهم على الكفر فاخبره تعالى انه ليس اليه الا ما امر به من تبليغ الرسالة ودعائهم الى الهدى وذلك مثل قوله فلعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقيل انه استأذن ربه في يوم احد في الدعاء عليهم فنزلت الآية فلم يدع عليهم بعذاب الاستيصال وانما لم يؤذن له فيه لما كان في المعلوم من توبة بعض عن ابي علي الجبائي وقيل اراد رسول الله (ص) ان يدعو على المنهزمين عنه من اصحابه يوم احد فنجاه الله عن ذلك وتاب عليهم ونزلت الآية ليس لك من الأمر شي اي ليس لك ان تلعنهم وتدعو عليهم عن عبد الله بن مسعود وقيل لما رأى رسول الله (ص) والمسلمون ما فعل باصحابه وبعنه حمزة من المثلة من جدد الانوف والآذان وقطع المذاكير قالوا لئن ادانا الله منهم لتفعلن بهم مثل ما فعلوا بنا ولننثلن بهم مثله لم يثلمها احد من العرب باحد قط فنزلت الآية عن محمد بن اسحاق والشعبي وقيل نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من قراء اصحاب رسول الله واميرهم المنذر بن عمرو وبشهم رسول الله (ص) الى بئر معونة في صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة اشهر من احد ليعطوا الناس القرآن والعلم فقتلهم جميعاً عامر بن الطفيل وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر فوجد رسول الله (ص) من ذلك وجداً شديداً وقتت عليهم شهراً فنزل ليس لك من الأمر شي عن مقاتل والاصح انها نزلت في احد لأن أكثر العلماء عليه ويتضمنه سياق الكلام وانما قال ليس لك من الأمر شي مع ان له (ص) ان يدعوهم الى الله ويؤذي اليهم بتبليغهم لأن معناه ليس لك شي من امر عقابهم واستيصالهم او الدعاء عليهم او لعنهم حتى تقع انابتهم فجاء الكلام على الایجاز لأن المعنى مفهوم لدلالة الكلام عليه وايضا فانه لا يعتد بما له (ص) في تدبيرهم مع تدبير الله لهم فكانه قال ليس لك من الأمر شي على وجه من الوجوه وقوله (او يتوب عليهم) قيل في معناه وجهان احدهما او يطف لهم بما يقع معه توبتهم فيتوب عليهم بطفه لهم والآخر او يقبل توبتهم اذا تلوا كقوله غافر الذنب وقابل التوب ولا يصح هذه الصفة الا لله تعالى لأنه يملك الجزاء والثواب والعقاب (او يعذبهم) اي يعذبهم الله تعالى ان لم يتوبوا (فإنهم ظالمون) اي مستحقون للعذاب بظلمهم وفي هذه الآية دلالة على ان ما يتعلق بالنصر والظفر وقبول التوبة والتعذيب فإنما هو الى الله وليس للنبي (ص) من ذلك شي وانما اليه الهداية والدعاء فكانه قال لا ترفع عنهم السيف الى ان يتوبوا فيتوب عليهم أو يقوموا على كفرهم فيعذبهم بظلمهم

قوله تعالى (١٢٩) وَثَقُلْنَا مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَنْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

اللغة

انما ذكر لفظ ما لأنها اعم من من فإنها تتناول ما يعقل وما لا يعقل لانها تفيد الجنس ولو قال من في السموات لم يدخل فيه الا العقلاء إلا ان يحمل على التليب وذلك ليس بحقيقة.

﴿ المعنى ﴾

لما قال تعالى ليس لك من الامر شيء عقب ذلك بأن الامر كله له فقال (وقد ما في السهوات وما في الارض) ملكا وملكاً وخلقا واقتدارا على الجميع يصرفهم كيف يشاء. وايجادا وافناء. واعادة (ينفر لمن يشاء). من المؤمنين ذنوبهم فلا يوآخذهم بها ولا يعاقبهم عليها رحمة منه وفضلا (ويعذب من يشاء). اي ويعذب الكافرين ومن يشاء. من مذنبي المؤمنين ان مات قبل التوبة عدلا ويدل عليه مفسرا قوله ان الله لا ينفر ان يشرك به وينفر ما دون ذلك لمن يشاء. ولولا ذلك لكانت تجوز العفو على الجميع عقلا وقيل انما ابهم الله الأمر بالتعذيب والمنفرة فلم يبين من ينفر له ومن يشاء. تعذيبه ليقف المكلف بين الخوف والرجاء. فلا يأمن من عذاب الله تعالى ولا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون ويلتفت الى هذا قول الصادق لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لا عدلا وقيل لتعلق القرآن او العذاب بالمشيئة لأن المشيئة مطابقة للحكمة فلا يشاء. الا ما تقتضي الحكمة مشيئة وسئل بعضهم كيف يعذب الله عباده بالأجرام مع سعة رحمته فقال رحمته لا تغلب حكمته إذ لا تكون رحمته بركة القلب كما تكون الرحمة منا وعن ابن عباس قال معنى الآية ينفر لمن يشاء. ويعذب من يشاء. ممن لم يت

قوله تعالى (١٣٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ
كَمَا لَكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣١) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣٢) وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (ثلاث آيات)

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه ان له التعذيب لمن يشاء. والمنفرة لمن يشاء. وصل ذلك بالنهي عما لو فعلوا لاستحقوا عليه العذاب وهو الربا فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (لا تأكلوا الربا) ذكر الاكل لأنه معظم الانتفاع وان كان غيره من التصرفات ايضا منهيها عنه والربا. الزيادة على اصل المال بالتأخير عن الاجل الحال وقيل هو ربا جاهلية عن عطا ومجاهد اضمافا (مضاعفة) قيل في معناه قولان احدهما ان يضاعف بالتأخير اجلا بعد اجل كلما نخر عن اجل الى غيره زيد زيادة على المال والثاني معناه تضاعفون به اموالكم ويدخل فيه كل زيادة محرمة في المعاملة من جهة المضاعفة ووجه تحريم الربا هو المصلحة التي عليها الله وذكر فيه وجوه على وجه التقريب منها انه للفصل بينه وبين البيع ومنها انه يدعو الى العدل ويحض عليه ومنها انه يدعو الى مكارم الاخلاق بالاقراض وانظار المعسر من غير زيادة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وانما اعاد تحريم الربا مع ما سبق ذكره في سورة البقرة لأمرين احدهما التصريح بالنهي عنه بعد الاخبار بتحريمه لما في ذلك من تصريف الخطر له وشدة التحذير منه والثاني لتأكيد النهي عن هذا الضرب منه الذي يجري على الاضغاف والمضاعفة (واتقوا الله) اي اتقوا معاصيه وقيل اتقوا عقابه بترك معاصيه (لعلكم تفلحون) لكي تنجحوا بادراك ما تملكونه وتقوزوا بشواب الجنة (واتقوا النار) اي اتقوا الافعال الموجبة لدخول النار التي (أعدت للكافرين) أي هيت واتخذت للكافرين والوجه في تخصيص الكفار بأعداد النار لهم انهم معظم أهل النار فهم العمدة في اعداد النار لهم وغيرهم من الفاسقين يدخلونها على وجه التبع فهو كقولها أعدت للمتقين ومعلوم انه قد يدخلها غير المتقين من الاطفال والمجانين وقال الحسن تخصيص الكفار بأعداد النار لهم لا يمنع من مشاركة غيرهم ايهم كما ان تخصيص المرتدين بأسوداد الوجوه لا يمنع من مشاركة سائر الكفار ايهم ومثله في القرآن كثير والاصل ان تخصيص الشيء بالذكر

لا يدل على ان ما عداه بخلافه (واطيعوا الله) فيما امركم به واطيعوا الرسول فيما شرع لكم (لعلكم ترحمون) اي لكي ترحموا فلا يعذبكم وبما يسأل على هذا ان يقال اذا كانت طاعة الرسول طاعة الله فما وجه التكرار فالجواب عنه شيان ﴿ اهدمها ﴾ ان المقصد بها طاعة الرسول فيادعا اليه مع القصد بطاعة الله ﴿ والثاني ﴾ انما قال ذلك ليعلم ان من اطاعه فيما دعا اليه فهو كمن اطاع الله فيسارع إلى ذلك بامر الله

« النظم »

وقد قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان ﴿ اهدمها ﴾ الاتصال الامر بالطاعة بالنهي عن اكل الربا فكانه قال واطيعوا الله فيما نهاكم عنه من اكل الربا وغيره ﴿ والثاني ﴾ ما قاله محمد بن اسحاق بن يسار انه معاتبه للذين عصوا رسول الله لما امرهم به يوم احد من لزوم مراكرهم فخانفوا واشتغلوا بالغنيمة وكان ذلك سبب هزيمة اصحاب رسول الله (ص)

قوله تعالى (١٣٣) وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٤) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (آيتان)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة والشام سارع بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم والباقيون بالواو وكذلك هو في مصاحف مكة والعراق

﴿ الحجة ﴾

والفرق بينها استئناف الكلام إذا كان بغير واو ووصلها بما تقدم اذا قرئ يواو لأنه يكون عطفا على ما تقدم ويجوز أيضاً ترك الواو لأن الجملة الثانية ملتبسة بالأولى مستغنية بذلك عن عطفها بالواو كما جاء في التبريل ثلاثة رابعهم كلهم وقال شعبة وثامنهم كلهم

﴿ اللغة ﴾

اصل الكظم شد رأس القربة عن ملتها تقول كظمت القربة اذا ملأتها ماء ثم شددت رأسها وفلان كظم ومكظوم إذا كان ممتلئاً حزناً وكذلك إذا كان ممتلئاً غضباً لم ينتقم وكظم البعير إذا لم يمرر الكظامة القنائة التي تجري تحت الارض سميت بذلك لامتلأها تحت الأرض وفي غريب الحديث لأبي عبيدة عن اوس بن ابي اوس انه رأى النبي (ص) اتى كظامة قوم فتوضأ ومسح على قدميه ويقال أخذ بكظبه اي مجرى نفسه لأنه موضع الامتلاء بالنفس والفرق بين الغيظ والغضب ان الغضب ضد الرضا وهو ارادة العقاب المستحق بالمعاصي ولنه وليس كذلك الغيظ لأنه هيجان الطبع بكثرة ما يكون من المعاصي ولذلك يقال غضب الله على الكفار ولا يقال اعتاظ منهم

(المعنى) -

لما حذر الله تعالى عن الأفعال الموجبة للعقاب عقبه بالحث على الأفعال الموجبة للثواب فقال (وسارعوا) اي بادروا (إلى مغفرة من ربكم) باجتنب معاصيه ومعناه إلى الأعمال التي توجب المغفرة واختلف في ذلك قيل سارعوا إلى الإسلام عن ابن عباس وقيل إلى اداء الفرائض عن علي بن ابي طالب (ع) وقيل إلى الهجرة عن ابي العالية وقيل إلى التكبيرة الأولى عن انس بن مالك وقيل إلى أداء الطاعات عن سعيد بن جبير وقيل إلى الصلوات

الحمس عن يمان وقيل إلى الجهاد عن الضحاك وقيل إلى التوبة عن عكرمة (جنة) أي وإلى جنة (عرضها السهوات والأرض) واختلف في معناه على أقوال أحدها أن المعنى عرضها كعرض السهوات السبع والأرضين السبع إذا ضم بعض ذلك إلى بعض عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي والبخاري وإنما ذكر العرض بالعظم دون الطول لأنه يدل على أن الطول أعظم من العرض وليس كذلك لو ذكر الطول دون العرض ومثل الآية قوله ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة ومعناه إلا كخلق وبعث نفس واحدة وقال الشاعر

كأن غد يرهم بجنوب سلمى نعم فاق في بلد قفار
أي غد ير نعم وقال آخر

حسبت نعم راحلتي عناقا وما هي ويب غيرك بالعناق

أي صوت عناق وثانيها أن معناه ثمنها لو بيعت كسمن السهوات والأرض لو بيعتا كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها وأنه لا يساويها شيء وإن عظم عن أبي مسلم الأصفهاني وهذا وجه مليح إلا أن فيه تسفها وثالثها أن عرضها لم يرد به العرض الذي هو خلاف الطول وإنما أراد سعتها وعظمتها والعرب إذا وصفت الشيء بالسعة وصفته بالعرض قال امرؤ القيس

بلاد عريضة وأرض عريضة (?) مواقع غيث في فضا عريض

وقال ذو الرمة (فأعرض في المكارم واستطالا) أي توسع فيها ويسأل فيقال إذا كانت الجنة عرضها كعرض السماء والأرض فإين تكون النار فجوابه أنه روي أن النبي (ص) سئل عن ذلك فقال سبحانه الله إذا جاء النهار فإين الليل وهذه معارضة فيها إسقاط المسألة لأن القادر على أن يذهب بالليل حيث شاء قادر على أن يخلق النهار حيث شاء ويسأل أيضاً فيقال إذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون لها هذا العرض والجواب أنه قيل أن الجنة فوق السهوات السبع تحت العرش عن أنس بن مالك وقيل إن الجنة فوق السهوات السبع والنار تحت الأرضين السبع عن قتادة وقيل إن معنى قولهم أن الجنة في السماء أنها في ناحية السماء وجهة السماء لأن السماء تحويها ولا ينكر أن يخلق الله في العلو أمثال السماوات والأرضين وإن صح الخبر أنها في السماء الرابعة كان كما يقال في الدار بستان لاتصاله بها وكونه في ناحية منها أو يشرع إليها بابها وإن كان أضعاف الدار وقيل إن الله يريد في عرضها يوم القيامة فيكون المراد عرضها السهوات والأرض يوم القيامة لا في الخال عن أبي بكر أحمد بن علي مع تسليم أنها في السماء وقوله (أعدت للمتقين) أي المطيعين لله ولرسوله لاجتنابهم المقبحات وفعلهم الطاعات ويجوز لاحتجاجهم بالطاعة عن العقوبة وإنما أضيف المتقين لأنهم المقصودون بها وإن دخلها غيرهم من الأطفال والمجانين فعلى وجه التبع وكذلك حكم الفساق لو عفا عنهم وقيل معناه أنه لولا المتقون لما خلقت الجنة كما يقال وضعت المائدة للأمير وهذا يدل على أن الجنة مخلوقة اليوم لأنها لا تكون معدة إلا وهي مخلوقة (الذين يتفقون في السراء والضراء) صفة للمتقين وفي معنى السراء والضراء قولان ﴿أحدهما﴾ أن معناه في اليسر والعسر عن ابن عباس أي في حال كثرة المال وقلته ﴿والثاني﴾ في حال السرور والإغترار أي لا يقطعهم شيء من ذلك عن انفاق المال في وجوه البر (والكاظمين الغيظ) أي المتجرعين للغيظ عند امتلاء نفوسهم منه فلا يتفقون ممن يدخل عليهم الضر بل يصبرون على ذلك (والعافين عن الناس) يعني الصافحين عن الناس المتجاوزين عما يجوز العفو والتجاوز عنه مما لا يؤدي إلى الإخلال بحق الله تعالى وقيل العافين عن الملوك (والله يحب المحسنين) أي من فعل ذلك فهو محسن والله يحب بالإنجاب الثواب له ويحتمل أن يكون الإحسان شرطاً مضموماً إلى هذه الشرائط قال الثوري الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك فأما من أحسن إليك فإنه متاجرة كنتقد السوق خذ مني وهات

﴿ فصل ﴾

فأول ما عدد الله من أخلاق أهل الجنة السخاء. وما يزيد ذلك من الأخبار ما رواه انس بن مالك عن النبي (ص) أنه قال السخاء شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا من تعلق بغصن من أغصانها قادت إلى الجنة والبخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا فمن تعلق بغصن من أغصانها قادت إلى النار وقال علي (ع) الجنة دار الأسخياء. وقال (ع) السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخل بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ثم عدّ تعالى بعد ذلك من أخلاق أهل الجنة كظم الغيظ وما جاء فيه من الأخبار ما رواه ابوامامة قال قال رسول الله من كظم غيظه وهو قادر على انفاذه ملأه الله يوم القيامة رضا وفي خبر آخر ملأه الله يوم القيامة أمناً وإيماناً وقال أيضاً كظم الغيظ كضارب السيف في سبيل الله في وجه عدوه وملأه الله قلبه رضاً وفي خبر آخر ملأه الله قلبه يوم القيامة أمناً واماناً وقال (ع) ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ثم ذكر العافين عن الناس وروى أن رسول الله (ص) قال إن هولاء في امتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت وفي هذا دليل واضح على أن العفو عن المعاصي مرغّب فيه مندوب إليه وإن لم يكن واجباً وقال النبي (ص) ما عفا رجل عن مظلمة قط إلا أزاله الله بها عزا ثم ذكر سبحانه أنه يجب للمحسنين والمحسن هو المنعم على غيره على وجه عار من وجوه القبح ويكون المحسن أيضاً الفاعل للأفعال الحسنة من وجوه الطاعات والقربات وروى أن جارية لعلي بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء ليتبها للصلاة فسقط الأبريق مسن يدها فشجّه فرفع رأسه إليها فقالت له الجارية إن الله تعالى يقول والكاملين الغيظ فقال لها قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفا الله عنك قالت والله يجب المحسنين قال اذهبي فانت حرة لوجه الله

قوله تعالى (١٣٥) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا
لذُؤُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ
(١٣٦) أُولَئِكَ جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (آيَاتان)

[اللغة] =

اصل الفاحشة الفحش وهو الخروج الى عظيم القبح او رأي العين فيه ولذلك قيل للظويل المفرط انه لفاحش الطول وافحش فلان اذا افصح بذكر الفحش والاصرار اصله الشد من الصرة والصرشة البرد فكانت هوارتباط الذنب بالإقامة عليه وقيل اصله الثبات على الشيء وقال الخطيب يصف الخيل

عوابس بالشعث الكهامة إذا انتفوا غلاتها بالمحصدات اصرت (?)

اي إذا اختاروا بقية جريها بالسياط ثبتت على جريها

﴿ الإعراب ﴾

والذين عطف على المتعين وقيل رفع على الاستئناف كأنه عطف جملة على جملة فعلى القول الأول هم فرقة واحدة وعلى القول الثاني هم فرقتان ويجوز أن يكون راجعا إلى الأولين ويكون محله رفعا على المدح وقوله إلا الله يرتفع الله حملا على المعنى لا على اللفظ إذ ليس قبله جحد وتقديره وهل يغفر الذنوب أحد إلا الله أو هل رأى أحد يغفر الذنوب إلا الله ومعناه لا يغفر الذنوب إلا الله لأن الاستفهام قد يقع موقعا للنفي ونعم أجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف وتقديره ونعم أجر العاملين أجرهم

﴿ النزول ﴾

روي أن قوما من المؤمنين قالوا يا رسول الله بنو إسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم إذا اذنب أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابيه اجده انفك أو اذنتك افعل كذا فسكت رسول الله (ص) فزلت الآية فقال الا اخبركم بخبر من ذلكم وقرأ عليهم هذه الآية عن ابن مسعود وفي ذلك تسهيل لما كان قد شدد فيه على بني إسرائيل إذ جعل الاستغفار بدلا منه وقيل نزلت في نهان التمار انه امرأة تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس يجيد وفي البيت اجود منه وذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه فقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم واتى النبي (ص) وذكر له ذلك فنزلت الآية عن عطاء

﴿ المعنى ﴾

(والذين إذا فعلوا فاحشة وظلموا أنفسهم) اختلفوا في الفاحشة وظلم النفس قيل الفاحشة الزنا وظلم النفس سائر المعاصي عن السدي وجابر وقيل الفاحشة الكبائر وظلم النفس الصغائر عن القاضي عبد الجبار ابن احمد الهمداني وقيل الفاحشة اسم لكل معصية ظاهرة وباطنة الا انها لا تكاد تقع الاعلى الكبيرة عن علي بن عيسى وقيل فعلوا فاحشة فعلا وظلموا أنفسهم قولاً (ذكروا الله) اي ذكروا وعبد الله فانزجر عن المعصية واستغفروا لذنوبهم فيكون من الذكر بعد النسيان وانما مدحهم لانهم تعرضوا للذكر وقيل ذكروا الله بأن قالوا اللهم اغفر لنا ذنوبنا فاننا نأتينا نادمين عليها مقلعين عنها وقوله ومن يغفر الذنوب الا الله من لطيف فضل الله تعالى وبلغ كرمه وجزيل منته وهو الغاية في ترغيب العاصين في التوبة وطلب المغفرة والنهاية في تحسين الظن للمذنبين وتقوية رجاء المجرمين وهذا كما يقول السيد لعده وقد اذنب ذنباً اعتذر الي ومن يقبل عندك سواي واذا سئل ان العباد قد يغفر بعضهم لبعض الاساءة فالجواب ان الذنوب التي يستحق عليها العقاب لا يغفرها الا الله وايضا فإنه اراد سبحانه غفران الكبائر العظام والاساءة من بعضنا الى بعض صغيرة بالاضافة اليها (ولم يصروا على ما فعلوا) اي لم يقيموا على المعصية ولم يواظبوا عليها ولم يلزموها وقال الحسن هو فعل الذنب من غير توبة وهو قريب من الاول وذلك لا يكفي ان التوبة مجرد الاستغفار مع الاصرار وذلك ان الاستغفار انما يؤثر عند ترك الاصرار وقد روي عن النبي (ص) انه قال لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار يعني لا تبقى الكبيرة كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا تبقى الصغيرة صغيرة مع الاصرار وفي تفسير ابن عباس الاصرار السكون على الذنب بترك التوبة والاستغفار منه وقوله (وهم يعلمون) يحتمل وجوها ﴿ احدها ﴾ ان معناه وهم يعلمون الخطيئة ذا كرين لها غير ساهين ولا ناسين لانه تعالى يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه وان لم يتب منه بعينه عن الجبائي والسدي ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه وهم يعلمون الحجة في انها خطيئة فاذا لم يعلموا ولا طريق له الى العلم به وكان الاثم موضوعاً عنهم كمن تزوج امة من الرضاع والنسب وهو لا يعلم به فإنه لا ياثم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة ذنوبهم عن الضحاك (او لك) اشارة الى من تقدم وصفهم من المتقين الذين ينتفون في السراء والضراء الى آخر الكلام اي هؤلاء (جزاؤهم) على اعمالهم وتوبتهم (مغفرة من ربهم) اي ستر لذنوبهم (وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) قد مر تفسيرها في سورة البقرة (ونعم اجر العاملين) هذا يعني ما وصفه من الجنات وانواع الثواب والمغفرة

يستر الذنوب حتى يصير كأنها لم تعمل في زوال العار بها والمعقوبة عليها والله تعالى متفضل بذلك لأن اسقاط العقاب عند التوبة تفضل منه واما استحقاق الثواب بالتوبة فواجب لا محالة عقلا لأنه لو لم يكن مستحقا بالتوبة لتعيب تكليفه التوبة لما فيها من المشقة

- [النظم] -

قبل إنب الآية انصلت بما قبلها لأنها من صفة المتقين وقيل بل هنا فرقان بين تعالى ان الجنة للمتقين المنفقين في السراء والضراء الى آخر الآية ولين عشر ثم تاب ولم يصر

قوله تعالى (١٣٧) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١٣٨) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (آيتان)

❖ اللغة ❖

السنة الطريقة المجرولة ليقضى بها ومن ذلك سنة رسول الله (ص) قال لبيد

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وامامها
وقال سليمان بن قتيبة

وان الأولى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وأصل السنة الاستمرار في جهة يقال سن الماء إذا صبه حتى يفيض من الأيوان وسن السكين بالسن إذا أمره عليه لتحديده ومنه السن واحد الأسنان لاستمرارها على منهاج الأسنان لاستمرار الطعن به والسنن استمرار الطريق والعاقبة ما يؤدي إليها السبب المتقدم وليس كذلك الآخرة لأنه قد كان يمكن أن تجعل هي الأولى في العدة والموعظة ما يبين القلب ويدعو إلى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح والدعاء إلى الجميل وقيل الموعظة هو ما يدعو بالرغبة والرغبة إلى الحسنة بدلا من السيئة

❖ المعنى ❖

لما بين سبحانه ما يفعله بالمؤمن والكافر في الدنيا والآخرة بين ان ذلك عادته في خلقه فقال (قد خلت) أي قد مضت (من قبلكم) يا اصحاب محمد (ص) وقيل هو خطاب لمن انهم يوم أحد (سنن من الله) في الأمم السالفة إذا كذبوا رسله وجحدوا نبوتهم بالاستيصال وتبقي آثارهم في الديار للاعتبار والاتعاظ عن الحسن وابن اسحاق وقيل سنن أي أمثال عن ابن زهد وقيل سنن أم والسنة الأمة عن المفضل وقال الشاعر

ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا مثلكم في سالف السنن

وقيل معناه أهل سنن وقيل معناه قد مضت لكل أمة سنة ومنهاج إذا اتبعوها رضي الله عنهم عن الكلبي (سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي تعرفوا أخبار المكذبين وما نزل بهم لتعظوا بذلك وتنتهوا عن مثل ما فعلوه ولا تسلكوا في التكذيب والانكار طريقهم فيحل بكم من العذاب ما حل بهم وأراد بالمكذبين الجاحدين للبعث والنشور والثواب والعقاب جازاها الله تعالى في الدنيا بعذاب الاستيصال وفي الآخرة بأليم العذاب وعظيم النكال (هذا) إشارة إلى القرآن (بيان للناس) أي دلالة

وحجة لم كافة عن الحسن وقتادة وقيل إشارة إلى ما تقدم من قوله قد خلت من قبلكم سنن أي هذا الذي عرفتمكم بيان للناس عن ابن ابي اسحاق واختاره البلخي والطبري (وهدي) قال علي بن عيسى الفرق بين البيان والهدى ان البيان اظهار المعنى للغير كأننا ما كان والهدى بيان لطريق الرش ليسلك دون طريق النبي (وموعظة للمتقين) وإنما خص المتقين به مع كونه بيانا وهدى وموعظة للناس كافة لأن المتقين هم المتفعمون به والمهتدون بهداه والمتعظون بمواعظه

قوله تعالى (١٣٩) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
(١٤٠) إِنْ يَنْسَكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ
وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (آياتان)

-(القراة)-

قرأ أهل الكوفة غير حفص قرح بضم القاف فيها وكذلك قوله من بعد ما أصابهم القرع والباقون بفتح القاف

-(الحجة)-

قال ابو علي قرح وقرح مثل ضعف وضعف والكره والدف والدف والشهد والشهد قال ابو الحسين قرح يقرح قرحاً وقرحاً فهذا يدل على انها مصدران ومن قال ان القرع الجراحات باعنائها والقرح ألم الجراحات قبل ذلك منه إذا أتى فيه برواية لأن ذلك مما لا يعلم بالقياس

✽ اللغة ✽

الوهن الضعف والوهن والموهن ساعة تمضي في الليل الأعلون واحده الأعلى وموتته العليا وجمعه العليات والعلى والفرق بين اللمس والمس ان اللمس لصوق بإحساس والمس لصوق فقط والدولة الكرة لفرق بنيل المراد وادال الله فلانا من فلان إذا جعل الكرة له عليه وتداول القوم الشيء إذا صار من بعضهم إلى بعض وضم الدال في الدولة وفتحها لنتان وقيل الضم في المال والفتح في الحرب

-(الإعراب)-

وأنتم الأعلون جملة في موضع الحال كأنه قال لا تحزنوا عالين أي منصورين على الأعداء ويحتمل أن يكون لاموضع لها في الإعراب لأنها اعتراض بوعدهم مؤكدة وتقديره ولا تهنوا ولا تحزنوا إن كنتم مؤمنين وأنتم الأعلون مع ذلك وقوله ليعلم الله العامل في اللام محذوف يدل عليه أول الكلام وتقديره وليعلم الله الذين آمنوا نداولها ويجوز أن يعمل فيه نداولها الذي في اللفظ وتقديره نداولها بين الناس بضروب من التدبير وليعلم الله الذين آمنوا

✽ النزول ✽

قبل نزلت الآية تسلياً للمؤمنين لما نالهم يوم أحد من القتل والجراح عن الزهري وقتادة وابن أبي نجيع وقبل لما انهزم المسلمون في الشعب وأقبل خالد بن الوليد بجيئ من المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال

النبي اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك اللهم ليس يبعدك بهذه البداة إلا هو لا نفر فأنزله الله تعالى الآية وثاب نفر رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزمهم وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الأعلون عن ابن عباس وقيل نزلت الآية بعد يوم أحد حين أمر رسول الله (ص) أصحابه بطلب القوم وقد أصابهم من الجراح ما أصابهم وقال (ص) لا يخرج إلا من شهد معنا بالأمس فاشتد ذلك على المسلمين فأنزله الله تعالى هذه الآية عن الكاظمي ودليله قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم الآية

= [المعنى] =

ثم حث الله تعالى المسلمين على التجدد ونهاهم عن الوهن والحزن ووعدهم الغلبة في الحال وحسن العاقبة في المال فقال (لا تهنوا) أي لا تضعفوا عن قتال عدوكم ولا تحزنوا بما يصيبكم في أموالكم وأبدانكم وقيل لا تضعفوا بما نالكم من الجراح (ولا تحزنوا) على ما نالكم من المصائب بقتل الإخوان وقيل لا تهنوا بما نالكم من الهزيمة ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنمة (وأنتم الأعلون) أي الظافرون المنصورون الغالبون عليهم في العاقبة وقيل أراد وأنتم الأعلون في المكان (إن كنتم مؤمنين) معناه إن من كان مؤمناً يجب أن لا يهن ولا يحزن لثقتة بالله ويحتمل أن يكون معناه إن كنتم مصدقين بوعدني لكم بالنصرة والظفر على عدوكم فلا تهنوا ولا تحزنوا ثم أخذ سبحانه في تسوية المؤمنين فقال (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) معناه إن يصبكم جراح فقد أصاب القوم جراح مثله عن ابن عباس وقيل إن يصبكم ألم وجراح يوم أحد فقد أصاب القوم ذلك يوم بدر وقال أنس بن مالك أتى رسول الله (ص) بعلي (ع) يومئذ وفيه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله (ص) يمسحها وهي تلتئم بإذن الله كأن لم تكن وعن ابن عباس قال لما كان يوم أحد ضعد أبو سفيان الجبل فقال رسول الله (ص) اللهم انه ليس لم أب يعلونا فمكث أبو سفيان ساعة وقال يوماً بيوم وإن الأيام دول وإن الحرب سجال فقال (ع) أجيبوه فقالوا لا سواء قتلاتنا في الجنة وقتلاتكم في النار فقال لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي (ص) والله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان اهل الجنة وقاتلنا في النار فقال (ص) الله تعالى أعلى وأجل (وتلك الأيام نداؤها بين الناس) أي نصر فهاجرة لفرقة ومرة عليها عن الحسن وقاتلة والربيع والسدي وابن اسحاق وإنما يصرف الله الأيام بين المسلمين وبين الكفار بتخفيف المحنة عن المسلمين أحياناً وتشديدها عليهم أحياناً لا بنصرة الكفار عليهم لأن الله لا ينصر الكفار على المسلمين لأن النصره تدل على المحبة والله تعالى لا يحب الكافرين وإنما جعل الله الدنيا متقلبة لكيلا يطمئن المسلم اليها ولتقل رغبته فيها أو حرصه عليها إذ نفى لذاتها ويطعن مقيمها ويسعى للآخرة التي يدوم نعيمها وإنما جعل الدولة مرة للمؤمنين ومرة عليهم ليدخل الناس في الإيمان على الوجه الذي يجب الدخول فيه كذلك وهو قيام الحججة فإنه لو كانت الدولة أبداً للمؤمنين لكان الناس يدخلون في الإيمان على سبيل اليمن والقال على أن كل موضع حضره النبي (ص) لم يخل من ظفر أما في ابتداء الأمر وأما في انتهائه وإنما لم يستمر ذلك لما بيناه وقوله (وليعلم الله الذين آمنوا) المفعول الثاني ليعلم محذوف وتقديره وتلك الأيام نداؤها بين الناس لوجوه من المصالح وضروب من الحكمة ويعلم الله الذين آمنوا متميزين بالإيمان من غيرهم وعلى هذا لا يكون يعلم بمعنى يعرف لأنه ليس المعنى انه يعرف الذوات بل المعنى انه يعلم تميزها بالإيمان ويجوز أن يكون المعنى ليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد

عدوم أي بعاملمهم معاملة من يعرفهم بهذه الحال وإذا كان الله تعالى يعلمهم قبل اظهارهم الايمان كما يعلمهم بعده فإنما يعلم قبل الاظهار انهم سيميزون فإذا أظهره عليهم متميزين ويكون التغير حاصلًا في المعلوم لافي العالم كما ان أحدنا يعلم القدر قبل مجيئه على معنى انه سيجي فإذا جاء علمه جانيًا وعلمه يوما لا غدا فإذا انقضى فإنما يعلمه الأمس لا يوما ولا غدا ويكون التغير واقعا في المعلوم لافي العالم وقيل معناه وليعلم أولياء الله الذين آمنوا وإنما أضاف إلى نفسه تفخييا وقيل معناه ليظهر المعلوم من صبر من يصبر وجزع من يجزع وإيمان من يؤمن وقيل ليظهر المعلوم من الإخلاص والتفاني ومعناه ليعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر احدهما عن الآخر وقوله (ويتخذ منكم شهداء) قيل فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه ليكرم بال شهادة من قتل يوم أحد عن الحسن و قتادة وابن اسحاق ﴿والآخر﴾ ويتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان لما لكم في ذلك من جلالة القدر وعلو المرتبة والشهداء يكون جمع شاهد وجميع شهيد عن أبي علي الجبائي وإنما سموا شهداء لمشاهدتهم الأعمال التي يشهدون بها وأما في جمع الشهيد فلانهم بذلوا الروح عند شهود الواقعة ولم يفروا (والله لا يحب الظالمين) ظاهر المعنى وفائدته انه تعالى بين انه لا يمكن الظالمين منهم لمحبته لهم ولكن لا أحد المعاني التي ذكرها وللمحصى ذنوب المؤمنين كما قاله فيما بعد

قوله تعالى (١٤١) وَلِيَمْحِصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (آية)

اللغة

أصل التمحيص التخليص قال الخليل المحص الخلوص من العيب ومحصته محصه محصاً إذا خلصته من كل عيب ويقال اللهم محص عنا ذنوبنا أي اذهبها عنا لأنه تخليص الحسنات بتكفير السيئات وأصل المحق فناء الشيء حالاً بعد حال ولهذا دخل معنى النقصان وانحرف الشيء انحراقاً وامتحق الشيء وتمحق إذا ذهبت بركنه حالاً بعد حال والمحاق آخر الشهر لذهاب ضوء الهلال حالاً بعد حال

المعنى

ثم بين تعالى وجه المصلحة في مداولة الأيام بين الناس فقال (وليمحص الله الذين آمنوا) قيل في معنى الآية أقوال ﴿احدها﴾ ولیمحص الله أي وليبتلي الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ينقصهم عن ابن عباس ومجاهد والسدي ﴿وثانيها﴾ ليخلص الله ذنوب المؤمنين عن الزجاج — «وثالثها» — ينجي الله الذين آمنوا من الذنوب بالابتلاء ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء عن علي بن عيسى وإنما قابل بين التمحيص والمحق لأن محص هو لا يهلك ذنوبهم نظير محق أو تلك باهلاك أنفسهم وهذه مقابلة في المعنى وفي هذه الآية دلالة على انه تعالى إنما يداول بين الناس لتمحيص ذنوب المؤمنين ومحق الكافرين وإنما يحصهم بالمداولة لشبهتين — «احدهما» — ان في تخليصهم وتمكين الكافرين منهم تعريضا لهم للصبر الذي يستحقون به عظيم الأجر ويحيط به عنهم كثيرا من أثقال الوزر — «والثاني» — ان في ذلك لطفًا لهم بعصمهم عن اقتراف نفوسهم الاثم

قوله تعالى (١٤٢) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ

وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٣) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين التمني والإرادة ان الإرادة من أفعال القلوب والتمني قول القائل ليت كان كذا او ليت
لم يكن وقيل إن التمني معنى في القول بطابق هذا القول والصحيح هو الأول

﴿ الإعراب ﴾

ام في قوله ام حسبتم هي المنقطعة وتقديره بل احسبتم وهل استفهام على وجه الانكار والفرق بين
لم ولما ان لما جواب لقول القائل قد فعل فلان يريد به الحال واذا قال فعل فجوابه لم يفعل لما كان اصلها لم
مؤكدة بحرف كانت جوابا لما هو مؤكدة بحرف وقوله ويعلم الصابرين نصب على الظرف الصرف عن العطف
اذ ليس المعنى على نفي الثاني والأول وانما هو على نفي اجتماع الثاني والأول وتقديره وان يعلم فيكون منصوبا
بإضمار ان والمعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين وروي عن الحسن انه قرأ ويعلم الصابرين بالكسر
عطفًا على الأول

﴿ المعنى ﴾

لما حاش الله على الجهاد ورجب فيه زاد في البيان والأخبار بأن الجنة لا تنال إلا بالبلوى والاختبار
فقال (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) المراد به الانكار أي أظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة (ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) أي ولما يعلم يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم ويصبر
الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال وإنما اجاز ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم على معنى نفي الجهاد دون
العلم لما في ذلك من الايجاز في انتفاء جهادهم لأنه لو كان لعلمه وتقديره ولما لم يكن المعلوم من الجهاد الذي
أوجب عليكم لأن المعنى مفهوم لا يشبهه (ولقد كنتم) يا اصحاب محمد (ص) (تمنون الموت) أي تتمنون
الموت فحذف إحدى التائين للتخفيف وذلك ان قوما ممن فاتهم شهود بدر كانوا يتمنون الموت بالشهادة
بعد بدر قبل احد فلما رأوه يوم احد عرض كثير منهم عنه فانهزموا فاقبهم الله على ذلك عن الحسن ومجاهد
والربيع وقتادة والسدي (من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه) الهاء في تلقوه ورأيتموه راجعة إلى الموت اي
من قبل ان تلقوا أسباب الموت وهو الحرب فقد رأيتموها لأن الموت لا يرعى ونحو ذلك قول الشاعر
(والموت تحت لواء مثلك محلم) أي أسباب الموت وقيل الهاء راجعة إلى الجهاد وانتم تنظرون وقيل انه تأكيد
للروية كما يقال رأيت عيانتا فرأيت بعيني وسمعت بأذني لأن لا يتوهم روية القلب وسمع العلم وقيل معناه
وانتم تأملون الحال في ذلك كيف هي فعل هذا يكون النظر بمعنى الفكر وقيل معناه وانتم تنظرون إلى
محمد (ص) وفيه حذف أي فلم انهزمتم لأنه موضع عتاب فإن قيل كيف يتمنى قتل المشركين لم ينالوا
منزلة الشهادة وهل يجوز ذلك قلنا ذلك لا يجوز لأن قتل المشركين لهم منصبة ولا يجوز تمني المعاصي كما
لا يجوز ارادتها ولا الأمر بها فإذا ثبت ذلك فإنما تمنوا الشهادة بالصبر على الجهاد إلى أن يقتلوا

قوله تعالى (١٤٤) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ

أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ [آية]

﴿ اللغة ﴾

محمد أخذ من الحمد والتحميد فوق الحمد فمعناه المستغرق لجميع المحامد لأن التحميد لا يستوجه
إلا المستولي على الأمر في الكمال فأكرم الله عز اسمه نبيه وحببه (ص) بأسمين مشتقين من اسمه تعالى
محمد (ص) واحمد واليه أشار حسان بن ثابت في قوله

نبي أتانا بعد بأس وقرة من الدين والأوثان في الأرض يعبد
ألم تر أن الله أرسل عبده يبرهانه والله أعلى وأجبد
وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

﴿ الإعراب ﴾

إنما دخل حرف الاستفهام على حرف الشرط وتقديره انقلبون ان مات او قتل لأن الشرط لما انعقد
به صار جملة واحدة وخبراً واحداً فكان بمنزلة تقديم الاسم على الفعل في الذكر إذا قيل أزيد قام فكذلك
تقديمه في القسم والاكتفاء بجواب الشرط عن جواب القسم كما قال الشاعر

حلفت له ان تدلج الليل لا يزل أمامك بيت من يوتي سائر

﴿ النزول ﴾

قال اهل التفسير سبب نزول هذه الآية انه لما ارجف بأن النبي (ص) قد قتل يوم احد واشيع ذلك
قال الناس لو كان نبيا لما قتل وقال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به وارتد بعضهم وانهمزم
بعضهم وكان سبب انهزامهم وتضعفهم اخلال الرماة لمكانهم من الشعب وكان رسول الله (ص) ناهم عن
الاخلال به وأمر عبد الله بن جبير وهو اخو خوات ابن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وقال لا تبرحوا
مكانيكم فإننا لا نزال غالبين ما ثبتتم بمكانيكم وجاءت قريش على ميمتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة
بن ابي جهل ومعهم النساء يضرين بالدخوف وينشدن الأشعار فقالت هند

نحن بنات طارق نمشي على النارق
ان تقبلوا نعانق او تدبروا نفارق

فراق غير وامق

وكان ابو عامر عبد عمرو بن الصيفي اول من لقبهم بالأحاشيش وعبيد أهل مكة قاتلهم قتالا
شديدا وحميت الحروب فقال رسول الله من يأخذ هذا السيف بجمته ويضرب به العدو أو العبيد حتى ينحني
فأخذه ابو دجاجة ساك بن خرشة الأنصاري فلما أخذ السيف اعتم بعامة حمراء وجعل يفتخر تبخترا ويقول

أنا الذي عاهدني خليلي أن لا أقيم الدهر في الكبول

أضرب بسيف الله والرسول

فقال رسول الله (ص) انها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموضع ثم حل النبي (ص) واصحابه

على المشركين فهزمهم وقتل علي بن ابي طالب (ع) اصحاب اللوا. كما تقدم بيانه وانزل الله نصرته على المسلمين قال الزبير فرأيت هنداً وصواحبها هاربات مصعدات في الجبال نادية خدامهن ما دون أخذهن شيئا فلما نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا النبي واصحابه يتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب واختلفوا فقال بعضهم لا تتركوا امر الرسول وقال بعضهم ما بقي من الأمر شيئا ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالمسكر فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيئه من المشركين وحمل على اصحاب النبي (ص) من خلفهم فهزمهم وقتلهم ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله بججر وكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فأتقه وتفرق عنه اصحابه واقبل يريد قتله فذنب مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله يوم بدر ويوم احد وكان اسم رايته العقاب عن رسول الله (ص) حتى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قمية فرجع وهو يرى ان قتل رسول الله (ص) وقال إني قتلت محمدا وصاح صائح ألا ان محمدا قد قتل ويقال ان ذلك الصائح كان ابليس لعنه الله فانكف الناس وجعل رسول الله (ص) يدعو الناس ويقول إلى عبادة الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية قوسه واصيبت يد طلحة بن ابي عبيد الله فيميت واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجهه فردها رسول الله مكانها فعادت كأحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله (ص) أدركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه احد منا فقال دعوه حتى إذا دنا منه وكان ابي قبل ذلك يلتقي رسول الله فيقول عندي رمكة أعفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فقال رسول الله بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد ودنا منه تناول رسول الله الحربة من الحرث بن الصمة ثم استقبله فطمعه في عنقه وخذشه خدشه فندها عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور وهو يقول قتلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه بريعة ومضر لقتلهم اليس قال لي اقتلك فلو برز علي بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث إلا يوما حتى مات قال وفشا في الناس ان رسول الله قد قتل فقال بعض المسلمين لبت لنا رسولا إلى عبد الله بن ابي فيأخذ لنا أمانا من ابي سفيان وبعضهم جلسوا والقوا بأيديهم وقال أناس من أهل النفاق إن كانت محمدا قد قتل فالحقوا بدينكم الأول فقال أنس بن نضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قد قتل محمد فرب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وابره اليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شد سيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله كعب بن مالك قال عرف عيني تحت المنفر تزهران فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا فهذا رسول الله فأشار إلي أن اسكت فانحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم النبي على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا أنانا الخبير بأنك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مديرين فأنزل الله تعالى وما محمد إلا رسول الآيات

= [المعنى] =

ثم بين سبحانه انه لا ينبغي أن يترك امر الله تعالى كان الرسول بيننا ظهرهم ولم يكن فقال (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) يعني انه بشر اختاره الله لرسالته إلى خلقه قد مضت قبله رسل بعثوا فأدوا الرسالة

ومضوا وماتوا وقتل بعضهم وانه يموت كما ماتت الرسل قبله فليس الموت بمستحيل عليه ولا القتل وقيل اراد ان اصحاب الانبياء لم يرتدوا عند موتهم أو قتلهم فاقصدوا بهم ثم أكد ذلك فقال (أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) معناه أفان أمانته الله أو قتله الكفار ارتدتم كفارا بعد إيمانكم فسي الارتداد انقلابا على العقب وهو الرجوع القهقري لأن الردة خروج إلى أقبح الأديان كما ان الانقلاب خروج إلى أقبح ما يكون من المشي والآف في قوله أفان مات الف انكار صورت صورة الاستفهام ومثله المختار الفساد على الصلاح والخطأ على الصواب وفي قوله مات أو قتل دلالة على ان الموت غير القتل لأن الشيء لا يعطف على نفسه فالقتل هو نقض بنية الحياة والموت افساد البنية التي تحتاج اليها الحياة وقيل الموت معنى يضاد الحياة والصحيح الأول (ومن يتقلب على عقبيه) يعني من يرتد عن دينه (فلن يضر الله شيئا) لأنه لا يجوز عليه الضار بل مضرة عائدة عليه لأنه مستحق للعقاب الدائم (وسيجزي الله الشاكرين) أي يثيب الله الشاكرين على شكرهم لنعم الله واعترافهم بها وقيل المراد بالشاكرين المطيعين لأن الطاعات هي شكر الله على نعمه وهذا يتصل بما قبله اتصال الوعد بالوعد لأن قوله فلن يضر الله شيئا دليل على معنى الوعد فكانه قال من يرتد عاد ضرره عليه ومن شكر وآمن فنفعه يعود اليه

﴿ فصل في ذكر ما جاء في اسم محمد (ص) ﴾

كانت كفار قريش يشتنون مذمما يعنون اسم النبي (ص) فروى ابو هريرة عن النبي قال ألم تروا كيف صرف الله عني لعن قريش وشتمهم يشتنون مذمما وأنا محمد وفي مسند علي بن موسى الرضا عن أبياته عن النبي (ص) انه قال إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه واوسعوا له في المجلس ولا تبجوا له وجها وما من قوم كان لهم مشورة فحضر معهم من اسمه محمدا واحمد فأدخلوه في مشورتهم إلا خير لهم وما من مائدة وضعت فحضرها من اسمه محمدا أو احمد الا قدس في كل يوم ذلك المنزل مرتين وعن انس بن مالك قال قال رسول الله لا تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) انما ادعو ذلك فقال رسول الله لا تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي أنا ابو القاسم الله يعطي وانا اقدم ثم رخص في ذلك لابي (ع) وابنه وعن علي بن ابي طالب قال قال لي رسول الله ان ولد لك غلام فحمله اسمي وكنيتي

قوله تعالى (١٤٥) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ (آية)

﴿ الإعراب ﴾

كتابا نصب على المصدر لقعل محذوف دل عليه أول الكلام مع العلم بأن كل ما يكون فقد كتبه الله فتدبره كتب الله ذلك كتابا وقال الأخفش اللام في قوله وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله منقولة عما دخل عليه في غيره وتقدره وما كان لنفس لتموت أي لأن تموت.

﴿ المعنى ﴾

(وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله) ومعناه ما كان لنفس لتموت إلا بإذن الله ومثله وما كان

الله ان يتخذ من ولد أي وما كان الله ليتخذ ولداً وقوله وما كان لكم ان تنتبوا شجرها ومعناه ما كتتم
لنتبوا شجرها لأن انبات الشجر لا يدخل تحت قدرة البشر ففي الآية أخبار بأن الموت لا يكون إلا
بإذن الله وهذا تسلية عما لحق النفوس بموت النبي (ص) من جهة انه بإذن الله ومعناه انه إن مات فإنه يموت
بإذن الله وعلمه كغيره من الناس فلا عذر لأحد في ترك دينه بعد موته وقيل ان فيه حضا على الجهاد من
حيث لا يموت احد إلا بإذن الله اي لا تتركوا الجهاد خشية القتل فإن ذلك لا يؤخر أجلا قد حضر
ولا يقدم الجهاد اجلا لم يحضر فلا معنى للالتزام وقوله بإذن الله يحتل أمرين ﴿ احدهما ﴾ يعلم الله
- « والثاني » - بأمر الله وقال ابو علي الجبائي فيه دلالة على انه لا يقدر على الموت غير الله كما لا يقدر على
ضده من الحياة غير الله ولو كان من مقدور غيره لم يكن باذنه وقوله (كتابا موجلا) معناه كتب الله لكل
حي اجلا ووقتا لحياته ووقتا لموته لا يتقدم ولا يتأخر وقيل حتما موقتا وحكما لازما مبرما (ومن يرد
ثواب الدنيا نوته منها) قيل في معناه اقوال - « احدها » - ان المراد من عمل للدنيا لم تحرمه ما قسمنا له
فيها من غير حظ في الآخرة عن ابن اسحاق أي فلا يغتر بحاله في الدنيا - « وثانيها » - من أراد بجهاده
ثواب الدنيا وهو النصيب من الغنمة نوته منها فبين ان حصول الدنيا للإنسان ليس بموضع غبطة لأنها بذوثة
للبر والفاجر عن ابي علي الجبائي - « وثالثها » - من تعرض لثواب الدنيا بعمل النوازل مع مواجهة الكبائر
جوزي بها في الدنيا دون الآخرة لا يجباط عمله بنفسه وهذا على مذهب من يقول بالاجباط (ومن يرد
ثواب الآخرة نوته منها) أي ومن يرد بالجهاد واعماله ثواب الآخرة نوته منها فلا ينبغي لأحد ان يطلب
بطاعته غير ثواب الله ومثله قوله تعالى من كانت يريد حث الآخرة نزله في حثه الآية وقريب منها
قول النبي من طلب الدنيا بعمل الآخرة فاله في الآخرة من نصيب ومن في قوله منها يحتل ان تكون
زائدة ويحتمل ان تكون للتبويض لأنه انما يستحق الثواب على قدر العمل (وسيجزي الشاكرين) أي يعطيهم
جزاء الشكر وفي تكراره قولان - « احدهما » - انه للتأكيد وللتنبية على عظم منزلة الشاكرين « والثاني »
ان معناه وسيجزي الشاكرين من الرزق في الدنيا لئلا يتوهم ان الشاكر يحرم ما يعطى الكافر من نعيم
الدنيا عن ابن اسحاق وروى ابان بن عثمان عن ابي جعفر (ع) انه أصاب عليا (ع) يوم احد ستون جراحة
وان النبي (ص) أمر أم سليم وأم عطية ان تدأوا بهما فقاتلنا انا لا نعالج منه مكانا الا انفتق مكان آخر وقد
خفنا عليه فدخل رسول الله (ص) والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة فحصل بمسحه يده ويقول ان رجلا
لقي هذا في الله فقد ايلي واعذر وكان القرح الذي بمسحه رسول الله (ص) يلتئم فقال علي (ع) الحمد لله إذ
لم افر ولم اولي الدبر فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن وهو قوله وسيجزي الله الشاكرين من الرزق
في الدنيا وسيجزي الشاكرين قال ابو علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على ان اجل الانسان إنما هو أجل
واحد وهو الوقت الذي يموت فيه لأنه لا ينقطع بالقتل عن الأجل الذي اخبر الله بأنه أجل لموته وقال ابن
الاشيد لا دليل فيه على ذلك لأن للإنسان اجلين أجلا يموت فيه لا بحالة واجلا هو هوبة من الله ومع
ذلك فلن يموت إلا عند الأجل الذي جملة الله أجلا لموته والأقوى الأول

- [النظم] -

اتصل قوله وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله بما قبله لأنه حث على الجهاد وقيل لأنه تسلية عما

لحق النفوس من الوجوم بموت النبي (ص) وقبل البيان بأن حالم لا تختلف في التكليف بأن يموت النبي (ص) فهينغي ان يتمك بأمره في حياته وبعد وفاته

قوله تعالى (١٤٦) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَأُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٧) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتَوَتَّيْتُمْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٨) فَأَتَيْهِمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير كائن على وزن كاعن وابو جعفر يلبث الهمزة وهو قراءة الحسن والباقون كائين على وزن كمين وقرأ اهل البصرة وابن كثير ونافع قتل بضم القاف بغير الالف وهي قراءة ابن عباس والباقون قاتل بالالف وهي قراءة ابن مسعود

♦ الحجة ٦

اصل كائين اي دخلت عليه كاف التشبيه كما دخلت على ذا من كذا وعلى ان من كان وكثر استعمال الكلمة فصارت ككلمة واحدة فقلت قلب الكلمة الواحدة فصار كياءين فحذفت الياء الثانية كما حذفت في كينونة فصار كيان مثل كيعن ثم ابدلت من الياء الالف كما ابدلت من طائي فصار كائن ثم لبنت الهمزة على قراءة ابي جعفر قال الشاعر

و كائن رددنا عنكم من مدجج
يحيي امام القوم يردي مقنما
وقال آخر

و كائن اليكم قاد من رأس فتية
وقد حذفت الياء من اي في قول الفرزدق

تنورت نصرا والسماكين ايها
علي من الغيث استهلته مواطره

واما قتل فيجوز ان يكون مستندا إلى ضمير بني واذا اسند هذا إلى الضمير احتمل هذا معه ريبون امرين «أحدهما» ان يكون صفة لنبي فإذا قدرته هذا التقدير كان قوله ريبون مرتفعا بالظرف بلا خلاف لأن الظرف اذا اعتمد على ما قبله جاز ان يرفع على مذهب سيبويه ايضا «والآخر» الا تجعله صفة ولكن حالا من الضمير في قتل والاحسن ان يكون الاسم الذي اسند اليه قتل قوله ريبون فيكون على هذا التقدير قوله معه متعلقا بقتل وعلى القيلتين الآخرين اللذين هما الصفة والحال متعلقا في الأصل بمحذوف وكذلك من قرأ قاتل معه ريبون فهو يجوز فيه ما جاز في قراءة من قرأ قتل وحجة من قرأ قتل قوله أفان مات او قتل وحجة من قرأ قاتل ان القاتل قد مدح كما يمدح القتول قال تعالى وقتلوا وقتلوا ومن جعل قوله معه ريبون صفة ضمير للمبتدأ الذي هو كائين خبرا وموضع الكاف الجارة هي في كائين مع المجرور رفع كما ان موضع الكاف في قوله كذا وكذا رفع ولا معنى للتشبيه فيها كما انه لا معنى للتشبيه في كذا وكذا

= [اللغة] =

الوهن الضعف وقال وما ضعفوا من حيث أن أنكسار الجسم بالخوف وغيره والضعف نقصان القوة والاستكانة أصلها من الكنية وهي الحالة السبئية يقال فلان بات بكنية أي بنية سوية والأسراف مجاوزة المقدار والافراط بمعناه وضدهما التفتير وقيل الإسراف مجاوزة الحق إلى الباطل بزيادة أو نقصان والأول أظهر يقال اسرفت الشيء أي نسبته لأنه جاوزه إلى غيره بالسهو عنه

-(المعنى)-

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله (وكأين من نبي) أي ولم من رسول (قاتل) أي حارب أو قتل معه (ربيون كثير) ذكرنا تقديره في الحجة وقيل في ربيون اقوالاً ﴿ أحدها ﴾ أنهم علماء فقهاء صبر عن ابن عباس والحسن ﴿ وثانيها ﴾ أنهم جموع كثيرة عن مجاهد وقتادة ﴿ وثالثها ﴾ أنهم منسوبون إلى الرب ومعناه المتسكون بعبادة الله عن الأخص وقال غيره أنهم منسوبون إلى علم الرب ﴿ ورابعها ﴾ أن الربيون عشرة آلاف عن الزجاج وهو المروي عن أبي جعفر ﴿ وخامسها ﴾ أن الربيون الاتباع والربانيون الولاة عن ابن زيد ومن أسند الضمير الذي في قتل إلى نبي فالمعنى كم من نبي قتل ذلك النبي وكان معه جماعة كثيرة فقاتل أصحابه بعده (وما وهنوا) وما فتروا ومن أسند قتل إلى الربيين دون ضمير نبي فالمعنى ما وهن بأيتهم بعد ما قتل كثير منهم في سبيل الله إلى هذا ذهب الحسن لأنه كان يقول لم يقتل النبي قط في معركة وإلى الأول ذهب ابن اسحاق وقتادة والربيع والسدي فعلى هذا يكون النبي المقتول والذين معه لا يهنون بين الله سبحانه لو كان قتل النبي كما أوجب بذلك يوم أحد لما أوجب ذلك أن يضعفوا ويهنوا كما لم يهن من كان مع الأنبياء بقتلهم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل معناه فما وهنوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوهم ولا استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن دينهم عن ابن عباس وقيل فما وهنوا أي فما جنوا عن قتال عدوهم وما ضعفوا أي ما فتروا (وما استكانوا) أي وما خضعوا لعدوهم عن الزجاج (والله يحب الصابرين) في الجهاد قال ابن الأثيري أي فقد كان واجباً عليكم أن تقاتلوا على أمر نبيكم أو قتل كما قاتل أمم الأنبياء بعد قتلهم ولم يرجعوا عن دينهم (وما كان قولهم) عند لقاء العدو (إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) والمعنى ما كان قولهم إلا استغفارهم أي إلا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقولهم ان قالوا اسم كان وقولهم خبره والضمير يعود إلى النبي ومن معه على أحد القولين وإلى الربيين في قول الآخر وقوله اغفر لنا ذنوبنا أي استغفرت علينا بترك عقابنا ومجازاتنا عليها (وسرافنا في أمرنا) أي تجاوزنا الحد وتفريطنا وتصيرنا رغب الله تعالى أصحاب الرسول في أن يقولوا هذا القول ولا يقولوا قولاً يدل على الضعف فيطمع الأعداء فيهم (وثبت أقدامنا) في جهاد عدوك بتقوية القلوب وفعل اللطاف التي معها تثبت الأقدام فلا تزول للانتهزام وقيل معناه ثبتنا على الدين فثبت به أقدامنا (وانصرنا على القوم) أو أعاننا على القوم (الكافرين) بالقاء العرب في قلوبهم وامتدادنا بالملائكة ثم بين تعالى ما آتاهم عقيب دعائهم فقال (فآتاهم الله) يعني الذين وصفهم اعطاهم الله (ثواب الدنيا) وهو نصرهم على عدوهم حتى ظفروا بهم وقهرهم وغلبهم ونالوا منهم الغنمية وحسن ثواب الآخرة وهو الجنة والمغفرة ولا يجوز أن يكون ما آتاهم في الدين من الظفر والفتح والنصر وأخذ الغنمية ثواباً مستحقاً لهم على طاعتهم لأن في ذلك التنظير لهم والجلال ولذلك تقول ان المدح على فعل الطاعة والتسمية بالأسماء الشريفة بعض الثواب ويجوز أن يكون اعطاهم الله ذلك تفضلاً منه تعالى أو لما لهم فيه من اللطف فيكون تسمية بأنه ثواب مجاز أو توسعاً والثواب هو النفع الخالص المستحق المقارن للتنظيم والتبجيل (والله يحب المحسنين) في أقوالهم وأفعالهم والمحسن فاعل الحسن وقيل المحسن الذي يحسن إلى نفسه وطاعة ربه وقيل الذي يحسن إلى غيره

قوله تعالى (١٤٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٥٠) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (آيتان)

❖ اللغة ❖

الطاعة موافقة الإرادة المرغبة في الفعل وبالترغيب ينفصل عن الإجابة وإن كان موافقة الإرادة حاصلية وفي الناس من قال الطاعة هي موافقة الأمر والأول أصح لأن من فعل ما يقتضي العقل وجوبه أو حسنه كان مطيعاً لله وإن لم يكن هناك أمر

❖ الإعراب ❖

يردوكم جزم لأنه جواب الشرط فتنقلبوا عطف عليه وخاسرين نصب على الحال وبإل حقيقة الاضراب عن الأول إلى الثاني

❖ النزول ❖

قيل نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أحد يوم الهزيمة ارجعوا إلى اخوانكم وارجعوا إلى دينهم عن علي (ع) وقيل هم اليهود والنصارى عن الحسن وابن جريح

❖ المعنى ❖

ثم أمر سبحانه بترك الاثثار لمن تبطهم عن الجهاد من الكفار وقال (يا أيها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (إن تطيعوا الذين كفروا) أي إن صغيتم إلى قول اليهود والمنافقين ان محمداً (ص) قتل فارجعوا إلى عشائركم (يردوكم على اعقابكم) أي يرجعوكم كفاراً كما كنتم (فتنقلبوا) أي ترجعوا (خاسرين) لأنفسكم فلا خسران أعظم من أن تبدلوا الكفر بالإيمان والنار بالجنة (بل الله مولاكم) أي هو أولى بأن تطيعوه وهو أولى بنصرتكم (وهو خير الناصرين) إنساناً قال ذلك وإن كان نصر غيره لا يعتد به مع نصره استظهاراً في الحجة أي إن اعتد بنصرة غيره فهو خير ناصر لأنه لا يجوز أن يغلّب وغيره يجوز أن يغلّب وإن نصر فهو الناصر في الحقيقة إن شاء. أمدمكم بأهل الأرض وإن شاء. نصركم باللقاء. الرعب في قلوب أعدائكم

قوله تعالى (١٥١) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَأْشُرُ كُوا بِاللَّهِ مَا كُمْ يُنَزَّلُ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ وَيَسْ مَشْوَى الظَّالِمِينَ (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن عامر وابو جعفر والكسائي ويعقوب وأبو حاتم الرعب بضم العين وقد تقدم القول في مثله

❖ اللغة ❖

السلطان هنا معناه الحجة والبرهان وأصله القوة فسلطان الملك قوته والسلطان والبرهان لقوته على دفع الباطل والتسليط على الشيء التقوية على الشيء مع الاغراء. به والسلطة حدة اللسان مع شدة الصخب للقوة على ذلك مع ايثار فعله والسليط الزيت لقوة استعماله بجدته واللقاء. أصله في الأعيان. يدل عليه قوله ونلقى الأرواح والقوا

جباهم واستعمل في غير عين اتساعا إذ ليس الربيع بعين وكذلك قوله والقيت عليك محبة مني ومثل الإلقاء في ذلك الرمي قال سبحانه الذين يرمون أزواجهم أي بالزنا فهذا اتساع لأنه ليس بعين وكذلك قوله
 رماني بأمر كنت منه ووالدي بريا ومن حول الطوي رماني
 والمتوى المتزل وأصله من التواء وهو طول الإقامة وأم المتوى ربة البيت والمتوى الضيف لأنه مقيم مع القوم
 ﴿النزول﴾ =

قال السدي لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة قالوا بنس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك التقى الله في قلوبهم الرب حتى رجعوا عما هموا به وستأتي هذه القصة فيما بعد إن شاء الله فترت الآية
 ﴿المعنى﴾

ثم بين سبحانه أن من جملة نصرته للمؤمنين القائه الرب في قلوب المشركين فقال (سنلقي) أي سنقذف (في قلوب الذين كفروا الرب) أي الخوف والفرع (بما أشركوا بالله) أي بشركهم بالله وقولهم عليه مالا يجوز من الند والشريك (ما لم ينزل منه سلطانا) أي برهانا وحجة يعني لم يجعل لهم في ذلك حجة (ومأويهم) أي مستقرهم النار ويعذبون بها (وبنس مشوى الظالمين) معناه وبنس مقام الظالمين النار وروي أن الكفار دخلوا مكة كاللهزمين مخافة أن يكون لرسول الله واصحابه الكرة عليهم وقال رسول الله (ص) نصرت بالرب مسيرة شهر

قوله تعالى (١٥٢) **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أُرِيكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ تَمَّ صَلَافَكُمُ عَنْهُمْ يُضَيِّبُكُمْ وَأَلْفَدَّ عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (آيَة)**

— (اللغة) —

الحس القتل على وجه الاستئصال وأصله من الإحساس ومنه هل تحس منهم من أحد وسمي القتل حسا لأنه يبطل الحس والفشل الجبن

﴿الإعراب﴾

صدق يتعدى إلى مفعولين وجواب إذا في قوله حتى إذا فشلتم قيل فيه وجهان ﴿أحدهما﴾ أنه محذوف وتقديره حتى إذا فشلتم امتحنتم ﴿والثاني﴾ أنه على زيادة الواو والتقديم والتأخير وتقديره حتى إذا تنازعت في الأمر فشلتم عن الفراء وقال هذا كقوله فلما أسلم وتله للجبن ونادينا ومعناه نادينا والواو زيادة وحتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وأنشد

حتى إذا قلت بطونكم ورأيتم أبناءكم شبوا
 وقلبتم ظهر الجبن لنا إن اللئيم العاجز الحب

والبصريون لا يميزون هذا ويؤولون جميع ما استشهد به على الحذف لأنه أبلغ في الكلام وأحسن

[النزول] =

ذكر ابن عباس والبراء بن عازب والحسن وقتادة ان الوعيد المذكور في الآية كان يوم أحد لأن المسلمين كانوا يقتلون المشركين حتى إذا أدخل الرماة بمكانهم الذي أمرهم الرسول بالمقام عنده فأتاهم خالد من ورائهم وقتل عبد الله بن جبير ومن معه وتراجع المشركون وقتل من المسلمين سبعون رجلا ونادى مناد قتل محمد ثم من الله على المسلمين فرجعوا وفي ذلك تزلت الآية

المعنى

ثم بين تعالى انه صدقهم وعده فقال (ولقد صدقكم الله وعده) معناه وفي الله لكم بما وعدكم من النصر على عدوكم في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية وقيل كان الوعد قول رسول الله للرماة لا تبرحوا هذا المكان فإنما الاتزال غالبين ما ثبتتم مكانكم (إذ تحصونهم) أي تقتلونهم (بلؤذنه) أي بعلمه وقيل بلطفه لأن أصل الإذن هو الاطلاق في الفعل واللفظ تيسير للفعل كما ان الإذن كذلك فحسن اجراء اسمه عليه (حتى إذا فشتتم) معناه جيتهم عن عدوكم وكفتمتم (وتنازعتهم في الأمر) أي اختلقتهم (وعصيتهم) أمر نبيكم في حفظ المكان (من بعد ما أراكم ما تحبون) من النصرة على الكفار وهزيمتهم والظفر بهم والغنية واكثر المفسرين على ان المراد بالجميع يوم أحد وقال ابو علي الجبائي معناه ان تحصونهم يوم بدر حتى إذا فشتتم يوم أحد وتنازعتهم وعصيتهم يوم أحد من بعد ما أراكم ما تحبون يوم بدر والأولى أن يكون حكاية عن يوم أحد على ما بيناه وجواب إذا هاهنا محذوف بدل الكلام عليه وتقديره حتى إذا فعلتم ذلك ابتلاكهم وامتنعكم ورفع النصرة عنكم (منكم من يريد الدنيا) يعني الغنية وهم الذين أدخلوا المكان الذي رتبهم النبي (ص) فيه وأمرهم بلزومهم (منكم من يريد الآخرة) أراد عبد الله بن جبير ومن ثبت مكانه أي يقصد بجهاده إلى ما عند الله وروى عن ابن مسعود قال ما كنت أدري ان احدا من اصحاب رسول الله (ص) يريد الدنيا حتى تزلت فينا هذه الآية يوم حد (ثم صدقكم عنهم) قد ذكرنا في اضافة انصرافهم إلى الله سبحانه وجوه **١** **٢** **٣** **٤** **٥** **٦** **٧** **٨** **٩** **١٠** **١١** **١٢** **١٣** **١٤** **١٥** **١٦** **١٧** **١٨** **١٩** **٢٠** **٢١** **٢٢** **٢٣** **٢٤** **٢٥** **٢٦** **٢٧** **٢٨** **٢٩** **٣٠** **٣١** **٣٢** **٣٣** **٣٤** **٣٥** **٣٦** **٣٧** **٣٨** **٣٩** **٤٠** **٤١** **٤٢** **٤٣** **٤٤** **٤٥** **٤٦** **٤٧** **٤٨** **٤٩** **٥٠** **٥١** **٥٢** **٥٣** **٥٤** **٥٥** **٥٦** **٥٧** **٥٨** **٥٩** **٦٠** **٦١** **٦٢** **٦٣** **٦٤** **٦٥** **٦٦** **٦٧** **٦٨** **٦٩** **٧٠** **٧١** **٧٢** **٧٣** **٧٤** **٧٥** **٧٦** **٧٧** **٧٨** **٧٩** **٨٠** **٨١** **٨٢** **٨٣** **٨٤** **٨٥** **٨٦** **٨٧** **٨٨** **٨٩** **٩٠** **٩١** **٩٢** **٩٣** **٩٤** **٩٥** **٩٦** **٩٧** **٩٨** **٩٩** **١٠٠** **١٠١** **١٠٢** **١٠٣** **١٠٤** **١٠٥** **١٠٦** **١٠٧** **١٠٨** **١٠٩** **١١٠** **١١١** **١١٢** **١١٣** **١١٤** **١١٥** **١١٦** **١١٧** **١١٨** **١١٩** **١٢٠** **١٢١** **١٢٢** **١٢٣** **١٢٤** **١٢٥** **١٢٦** **١٢٧** **١٢٨** **١٢٩** **١٣٠** **١٣١** **١٣٢** **١٣٣** **١٣٤** **١٣٥** **١٣٦** **١٣٧** **١٣٨** **١٣٩** **١٤٠** **١٤١** **١٤٢** **١٤٣** **١٤٤** **١٤٥** **١٤٦** **١٤٧** **١٤٨** **١٤٩** **١٥٠** **١٥١** **١٥٢** **١٥٣** **١٥٤** **١٥٥** **١٥٦** **١٥٧** **١٥٨** **١٥٩** **١٦٠** **١٦١** **١٦٢** **١٦٣** **١٦٤** **١٦٥** **١٦٦** **١٦٧** **١٦٨** **١٦٩** **١٧٠** **١٧١** **١٧٢** **١٧٣** **١٧٤** **١٧٥** **١٧٦** **١٧٧** **١٧٨** **١٧٩** **١٨٠** **١٨١** **١٨٢** **١٨٣** **١٨٤** **١٨٥** **١٨٦** **١٨٧** **١٨٨** **١٨٩** **١٩٠** **١٩١** **١٩٢** **١٩٣** **١٩٤** **١٩٥** **١٩٦** **١٩٧** **١٩٨** **١٩٩** **٢٠٠** **٢٠١** **٢٠٢** **٢٠٣** **٢٠٤** **٢٠٥** **٢٠٦** **٢٠٧** **٢٠٨** **٢٠٩** **٢١٠** **٢١١** **٢١٢** **٢١٣** **٢١٤** **٢١٥** **٢١٦** **٢١٧** **٢١٨** **٢١٩** **٢٢٠** **٢٢١** **٢٢٢** **٢٢٣** **٢٢٤** **٢٢٥** **٢٢٦** **٢٢٧** **٢٢٨** **٢٢٩** **٢٣٠** **٢٣١** **٢٣٢** **٢٣٣** **٢٣٤** **٢٣٥** **٢٣٦** **٢٣٧** **٢٣٨** **٢٣٩** **٢٤٠** **٢٤١** **٢٤٢** **٢٤٣** **٢٤٤** **٢٤٥** **٢٤٦** **٢٤٧** **٢٤٨** **٢٤٩** **٢٥٠** **٢٥١** **٢٥٢** **٢٥٣** **٢٥٤** **٢٥٥** **٢٥٦** **٢٥٧** **٢٥٨** **٢٥٩** **٢٦٠** **٢٦١** **٢٦٢** **٢٦٣** **٢٦٤** **٢٦٥** **٢٦٦** **٢٦٧** **٢٦٨** **٢٦٩** **٢٧٠** **٢٧١** **٢٧٢** **٢٧٣** **٢٧٤** **٢٧٥** **٢٧٦** **٢٧٧** **٢٧٨** **٢٧٩** **٢٨٠** **٢٨١** **٢٨٢** **٢٨٣** **٢٨٤** **٢٨٥** **٢٨٦** **٢٨٧** **٢٨٨** **٢٨٩** **٢٩٠** **٢٩١** **٢٩٢** **٢٩٣** **٢٩٤** **٢٩٥** **٢٩٦** **٢٩٧** **٢٩٨** **٢٩٩** **٣٠٠** **٣٠١** **٣٠٢** **٣٠٣** **٣٠٤** **٣٠٥** **٣٠٦** **٣٠٧** **٣٠٨** **٣٠٩** **٣١٠** **٣١١** **٣١٢** **٣١٣** **٣١٤** **٣١٥** **٣١٦** **٣١٧** **٣١٨** **٣١٩** **٣٢٠** **٣٢١** **٣٢٢** **٣٢٣** **٣٢٤** **٣٢٥** **٣٢٦** **٣٢٧** **٣٢٨** **٣٢٩** **٣٣٠** **٣٣١** **٣٣٢** **٣٣٣** **٣٣٤** **٣٣٥** **٣٣٦** **٣٣٧** **٣٣٨** **٣٣٩** **٣٤٠** **٣٤١** **٣٤٢** **٣٤٣** **٣٤٤** **٣٤٥** **٣٤٦** **٣٤٧** **٣٤٨** **٣٤٩** **٣٥٠** **٣٥١** **٣٥٢** **٣٥٣** **٣٥٤** **٣٥٥** **٣٥٦** **٣٥٧** **٣٥٨** **٣٥٩** **٣٦٠** **٣٦١** **٣٦٢** **٣٦٣** **٣٦٤** **٣٦٥** **٣٦٦** **٣٦٧** **٣٦٨** **٣٦٩** **٣٧٠** **٣٧١** **٣٧٢** **٣٧٣** **٣٧٤** **٣٧٥** **٣٧٦** **٣٧٧** **٣٧٨** **٣٧٩** **٣٨٠** **٣٨١** **٣٨٢** **٣٨٣** **٣٨٤** **٣٨٥** **٣٨٦** **٣٨٧** **٣٨٨** **٣٨٩** **٣٩٠** **٣٩١** **٣٩٢** **٣٩٣** **٣٩٤** **٣٩٥** **٣٩٦** **٣٩٧** **٣٩٨** **٣٩٩** **٤٠٠** **٤٠١** **٤٠٢** **٤٠٣** **٤٠٤** **٤٠٥** **٤٠٦** **٤٠٧** **٤٠٨** **٤٠٩** **٤١٠** **٤١١** **٤١٢** **٤١٣** **٤١٤** **٤١٥** **٤١٦** **٤١٧** **٤١٨** **٤١٩** **٤٢٠** **٤٢١** **٤٢٢** **٤٢٣** **٤٢٤** **٤٢٥** **٤٢٦** **٤٢٧** **٤٢٨** **٤٢٩** **٤٣٠** **٤٣١** **٤٣٢** **٤٣٣** **٤٣٤** **٤٣٥** **٤٣٦** **٤٣٧** **٤٣٨** **٤٣٩** **٤٤٠** **٤٤١** **٤٤٢** **٤٤٣** **٤٤٤** **٤٤٥** **٤٤٦** **٤٤٧** **٤٤٨** **٤٤٩** **٤٥٠** **٤٥١** **٤٥٢** **٤٥٣** **٤٥٤** **٤٥٥** **٤٥٦** **٤٥٧** **٤٥٨** **٤٥٩** **٤٦٠** **٤٦١** **٤٦٢** **٤٦٣** **٤٦٤** **٤٦٥** **٤٦٦** **٤٦٧** **٤٦٨** **٤٦٩** **٤٧٠** **٤٧١** **٤٧٢** **٤٧٣** **٤٧٤** **٤٧٥** **٤٧٦** **٤٧٧** **٤٧٨** **٤٧٩** **٤٨٠** **٤٨١** **٤٨٢** **٤٨٣** **٤٨٤** **٤٨٥** **٤٨٦** **٤٨٧** **٤٨٨** **٤٨٩** **٤٩٠** **٤٩١** **٤٩٢** **٤٩٣** **٤٩٤** **٤٩٥** **٤٩٦** **٤٩٧** **٤٩٨** **٤٩٩** **٥٠٠** **٥٠١** **٥٠٢** **٥٠٣** **٥٠٤** **٥٠٥** **٥٠٦** **٥٠٧** **٥٠٨** **٥٠٩** **٥١٠** **٥١١** **٥١٢** **٥١٣** **٥١٤** **٥١٥** **٥١٦** **٥١٧** **٥١٨** **٥١٩** **٥٢٠** **٥٢١** **٥٢٢** **٥٢٣** **٥٢٤** **٥٢٥** **٥٢٦** **٥٢٧** **٥٢٨** **٥٢٩** **٥٣٠** **٥٣١** **٥٣٢** **٥٣٣** **٥٣٤** **٥٣٥** **٥٣٦** **٥٣٧** **٥٣٨** **٥٣٩** **٥٤٠** **٥٤١** **٥٤٢** **٥٤٣** **٥٤٤** **٥٤٥** **٥٤٦** **٥٤٧** **٥٤٨** **٥٤٩** **٥٥٠** **٥٥١** **٥٥٢** **٥٥٣** **٥٥٤** **٥٥٥** **٥٥٦** **٥٥٧** **٥٥٨** **٥٥٩** **٥٦٠** **٥٦١** **٥٦٢** **٥٦٣** **٥٦٤** **٥٦٥** **٥٦٦** **٥٦٧** **٥٦٨** **٥٦٩** **٥٧٠** **٥٧١** **٥٧٢** **٥٧٣** **٥٧٤** **٥٧٥** **٥٧٦** **٥٧٧** **٥٧٨** **٥٧٩** **٥٨٠** **٥٨١** **٥٨٢** **٥٨٣** **٥٨٤** **٥٨٥** **٥٨٦** **٥٨٧** **٥٨٨** **٥٨٩** **٥٩٠** **٥٩١** **٥٩٢** **٥٩٣** **٥٩٤** **٥٩٥** **٥٩٦** **٥٩٧** **٥٩٨** **٥٩٩** **٦٠٠** **٦٠١** **٦٠٢** **٦٠٣** **٦٠٤** **٦٠٥** **٦٠٦** **٦٠٧** **٦٠٨** **٦٠٩** **٦١٠** **٦١١** **٦١٢** **٦١٣** **٦١٤** **٦١٥** **٦١٦** **٦١٧** **٦١٨** **٦١٩** **٦٢٠** **٦٢١** **٦٢٢** **٦٢٣** **٦٢٤** **٦٢٥** **٦٢٦** **٦٢٧** **٦٢٨** **٦٢٩** **٦٣٠** **٦٣١** **٦٣٢** **٦٣٣** **٦٣٤** **٦٣٥** **٦٣٦** **٦٣٧** **٦٣٨** **٦٣٩** **٦٤٠** **٦٤١** **٦٤٢** **٦٤٣** **٦٤٤** **٦٤٥** **٦٤٦** **٦٤٧** **٦٤٨** **٦٤٩** **٦٥٠** **٦٥١** **٦٥٢** **٦٥٣** **٦٥٤** **٦٥٥** **٦٥٦** **٦٥٧** **٦٥٨** **٦٥٩** **٦٦٠** **٦٦١** **٦٦٢** **٦٦٣** **٦٦٤** **٦٦٥** **٦٦٦** **٦٦٧** **٦٦٨** **٦٦٩** **٦٧٠** **٦٧١** **٦٧٢** **٦٧٣** **٦٧٤** **٦٧٥** **٦٧٦** **٦٧٧** **٦٧٨** **٦٧٩** **٦٨٠** **٦٨١** **٦٨٢** **٦٨٣** **٦٨٤** **٦٨٥** **٦٨٦** **٦٨٧** **٦٨٨** **٦٨٩** **٦٩٠** **٦٩١** **٦٩٢** **٦٩٣** **٦٩٤** **٦٩٥** **٦٩٦** **٦٩٧** **٦٩٨** **٦٩٩** **٧٠٠** **٧٠١** **٧٠٢** **٧٠٣** **٧٠٤** **٧٠٥** **٧٠٦** **٧٠٧** **٧٠٨** **٧٠٩** **٧١٠** **٧١١** **٧١٢** **٧١٣** **٧١٤** **٧١٥** **٧١٦** **٧١٧** **٧١٨** **٧١٩** **٧٢٠** **٧٢١** **٧٢٢** **٧٢٣** **٧٢٤** **٧٢٥** **٧٢٦** **٧٢٧** **٧٢٨** **٧٢٩** **٧٣٠** **٧٣١** **٧٣٢** **٧٣٣** **٧٣٤** **٧٣٥** **٧٣٦** **٧٣٧** **٧٣٨** **٧٣٩** **٧٤٠** **٧٤١** **٧٤٢** **٧٤٣** **٧٤٤** **٧٤٥** **٧٤٦** **٧٤٧** **٧٤٨** **٧٤٩** **٧٥٠** **٧٥١** **٧٥٢** **٧٥٣** **٧٥٤** **٧٥٥** **٧٥٦** **٧٥٧** **٧٥٨** **٧٥٩** **٧٦٠** **٧٦١** **٧٦٢** **٧٦٣** **٧٦٤** **٧٦٥** **٧٦٦** **٧٦٧** **٧٦٨** **٧٦٩** **٧٧٠** **٧٧١** **٧٧٢** **٧٧٣** **٧٧٤** **٧٧٥** **٧٧٦** **٧٧٧** **٧٧٨** **٧٧٩** **٧٨٠** **٧٨١** **٧٨٢** **٧٨٣** **٧٨٤** **٧٨٥** **٧٨٦** **٧٨٧** **٧٨٨** **٧٨٩** **٧٩٠** **٧٩١** **٧٩٢** **٧٩٣** **٧٩٤** **٧٩٥** **٧٩٦** **٧٩٧** **٧٩٨** **٧٩٩** **٨٠٠** **٨٠١** **٨٠٢** **٨٠٣** **٨٠٤** **٨٠٥** **٨٠٦** **٨٠٧** **٨٠٨** **٨٠٩** **٨١٠** **٨١١** **٨١٢** **٨١٣** **٨١٤** **٨١٥** **٨١٦** **٨١٧** **٨١٨** **٨١٩** **٨٢٠** **٨٢١** **٨٢٢** **٨٢٣** **٨٢٤** **٨٢٥** **٨٢٦** **٨٢٧** **٨٢٨** **٨٢٩** **٨٣٠** **٨٣١** **٨٣٢** **٨٣٣** **٨٣٤** **٨٣٥** **٨٣٦** **٨٣٧** **٨٣٨** **٨٣٩** **٨٤٠** **٨٤١** **٨٤٢** **٨٤٣** **٨٤٤** **٨٤٥** **٨٤٦** **٨٤٧** **٨٤٨** **٨٤٩** **٨٥٠** **٨٥١** **٨٥٢** **٨٥٣** **٨٥٤** **٨٥٥** **٨٥٦** **٨٥٧** **٨٥٨** **٨٥٩** **٨٦٠** **٨٦١** **٨٦٢** **٨٦٣** **٨٦٤** **٨٦٥** **٨٦٦** **٨٦٧** **٨٦٨** **٨٦٩** **٨٧٠** **٨٧١** **٨٧٢** **٨٧٣** **٨٧٤** **٨٧٥** **٨٧٦** **٨٧٧** **٨٧٨** **٨٧٩** **٨٨٠** **٨٨١** **٨٨٢** **٨٨٣** **٨٨٤** **٨٨٥** **٨٨٦** **٨٨٧** **٨٨٨** **٨٨٩** **٨٩٠** **٨٩١** **٨٩٢** **٨٩٣** **٨٩٤** **٨٩٥** **٨٩٦** **٨٩٧** **٨٩٨** **٨٩٩** **٩٠٠** **٩٠١** **٩٠٢** **٩٠٣** **٩٠٤** **٩٠٥** **٩٠٦** **٩٠٧** **٩٠٨** **٩٠٩** **٩١٠** **٩١١** **٩١٢** **٩١٣** **٩١٤** **٩١٥** **٩١٦** **٩١٧** **٩١٨** **٩١٩** **٩٢٠** **٩٢١** **٩٢٢** **٩٢٣** **٩٢٤** **٩٢٥** **٩٢٦** **٩٢٧** **٩٢٨** **٩٢٩** **٩٣٠** **٩٣١** **٩٣٢** **٩٣٣** **٩٣٤** **٩٣٥** **٩٣٦** **٩٣٧** **٩٣٨** **٩٣٩** **٩٤٠** **٩٤١** **٩٤٢** **٩٤٣** **٩٤٤** **٩٤٥** **٩٤٦** **٩٤٧** **٩٤٨** **٩٤٩** **٩٥٠** **٩٥١** **٩٥٢** **٩٥٣** **٩٥٤** **٩٥٥** **٩٥٦** **٩٥٧** **٩٥٨** **٩٥٩** **٩٦٠** **٩٦١** **٩٦٢** **٩٦٣** **٩٦٤** **٩٦٥** **٩٦٦** **٩٦٧** **٩٦٨** **٩٦٩** **٩٧٠** **٩٧١** **٩٧٢** **٩٧٣** **٩٧٤** **٩٧٥** **٩٧٦** **٩٧٧** **٩٧٨** **٩٧٩** **٩٨٠** **٩٨١** **٩٨٢** **٩٨٣** **٩٨٤** **٩٨٥** **٩٨٦** **٩٨**

قوله تعالى (١٥٣) اذ تصعدون ولا تلوّن على احدى والرّسول يدعوكم في اخر اكم فانابكم عما نعم اكيلا تحزّونوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خير بما تعملون
(١٥٤) ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاما يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهتمهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبذون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتي الله ما في صدوركم ولينحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور (آيتان)

= [القراءة] =

قرأ اهل الكوفة غير عامم تغشى طائفة بالتاء. والباقون يغشى بالياء. وقرأ اهل البصرة كله لله بالرفع والباقون بالنصب

- الحجة -

قال ابو علي حجة من قرأ يغشى بالياء قوله اذ يغشيكم النعاس امنة والنعاس هو النعاشي ولأن يغشى اقرب الى النعاس فاسناد الفعل اليه أولى ويقال غشيتي النعاس وغلب علي النعاس ولا يسهل غشيتي الامنة وحجة من قرأ بالتاء ان النعاس وإن كان بدلا من الامنة فليس المبدل منه في طريق ما يسقط من الكلام بذلك على ذلك قولهم الذي مررت به زيد ابو عبد الله وقال

وكانه لهق السراة كأنه ما حاجبيه معين بسواد

فجعل الخبر على الذي ابدل منه وحجة من نصب كله ان كله بتزلة اجمعين في انه بالاحاطة والعموم فالوجه أن لا يلي العوامل كما لا يليها اجمعون وحجة ابي عمرو في رفعه كله وابتدائه به انه وإن كان في اكثر الامر بتزلة اجمعين لعمومها فقد ابتدئ بها كما ابتدئ بسائر الاسماء نحو قولهم وكلهم آتية يوم القيامة فردا فابتدأ به في الآية

- اللغة -

الفرق بين الإصعاد والصعود ان الإصعاد في مستوى من الأرض والصعود في ارتفاع يقال اصعدنا من مكة إذا ابتدأنا السفر منها ومنه قول الشاعر

هو ابي مع الركب اليماني مصعد جنيب وجناني بمكة موثق

وروي عن الحسن انه قرأ تصعدون بفتح التاء والعين وقال إنهم صعدوا في الجبل فرارا وقال الفراء الإصعاد الابتداء في كل سفر والانحدار الرجوع عنه ولا تلوّن اي لا تعرجون على احد كما يفعل المنهزم ولا يذكر هذه إلا في النفي لا يقال لويت على كذا واصله من لي العنق للالتفات والنعاس الوسن وناقعة نعوس يوصف بالسباحة في الدر

- الإعراب -

قوله اذ تصعدون العامل في اذ قوله ولقد عفا عنكم واللام في قوله لكيلا تحزّونوا يتعلق به ايضا وقيل يتعلق بقوله فانابكم ولا تحزّونوا منصوب بكسي وامنة مفعول انزل ونعاسا بدل منها وطائفة الأولى مفعول يغشى وطائفة الثانية مرفوعة بالابتداء. وخبرها يظنون وقد اهتمهم انفسهم في موضع دفع بالصفة ويجوز ان يكون قد اهتمهم انفسهم خبرا والوار في وطائفة او الحال على تقدير يغشى النعاس طائفة في حال ما اهتم طائفة منهم

انفسهم فالجملة في موضع الحال ويجوز النصب على ان يجعل الواو واو العطف كما تقول ضربت زيدا وعمرا اكرمه فيكون منصوبا على اضرار فعل الذي قد ظهر تفسيره

المعنى

ثم ذكر تعالى المنهزمين من اصحاب رسول الله يوم احد فقال (إذ تصعدون) معناه ولقد عفا عنكم إذ تذهبون في وادي احد للانهازم فرارا من العدو عن قتادة والربيع (ولا تلوون على احد) أي لا تقيمون على من خلفتم في الحرب ولا تلتفتون اليهم ولا يقف احد منكم على احد (والرسول) يعني محمدا (ص) (يدعوكم في أخراكم) أي يتناديكم من ورائكم فيقول ارجعوا إلي عباد الله ارجعوا إلي أنا رسول الله يقال فلان جاء في آخر الناس وآخره الناس وأخرى الناس إذا جاء خلفهم (ذئابكم غما بغم) اختلف فيه على أقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه جعل مكان ما ترجونه من الثواب ان غمكم بالهزيمة وظفر المشركين بكم بغمكم رسول الله إذ عصيتوه وضيعتم أمره فالغم الأول لهم والثاني للنبي (ص) واختاره الزجاج ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه غما على غم أو غما بغم أو غما بعد غم كما يقال نزلت بفلان وعلى فلان حتى فعل كذا ويقال ما نزلت يزيد حتى فعل أي مع زيد واراد به كثرة الغم بالندم على ما فعلوا وبما أصابهم من الشدائد وانهم لا يدرون ما استحقوا به من عقاب الله ﴿ وثالثها ﴾ ان الغم الأول القتل والجراح والثاني الارجاف بقتل محمد (ص) عن قتادة والربيع ﴿ ورابعها ﴾ اثابكم غما يوم احد بغم لحق المشركين يوم بدر عن الحسن وفي هذا القول نظر لأن ما لحق المشركين من الغم يوم بدر من جهة المسلمين انما توجب المجازاة بالكرامة دون الغم ﴿ وخامسها ﴾ ان المراد غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم وخروجهم إلى حمراء الأسد فجعل هذا الغم عوضا عن غم المسلمين بما تبيل منهم عن الحسن بن علي المغربي وإنما قيل في الغم ثواب لأن اصله ما يرجع إلى المجازاة على الفعل طاعة كان او معصية ثم كثر في جزاء الطاعة فهو كما قال الشاعر

وأراني طربا في إثرهم طرب الواله او كالمختبل

وقيل انه مما وضع مكان غيظه كقوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم أي ضعه موضع البشارة فهو كما قال الشاعر

أخاف زيادا ان يكون عطاؤه أداهم سوداً أو مدحرجة سمرا

(لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) معناه فعل بكم هذا الغم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا تتركوأ أمر النبي (ص) ولئلا تحزنوا على ما أصابكم من الشدائد في سبيل الله وليكن غمكم بان خالفتهم النبي فقط وتقديره ليشغلكم حزنكم على سوء ما صنعتم عن الحزن على غيره وقيل معناه ولقد عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فإن عفا الله تعالى يذهب كل حزن (والله خير بما تعملون) فيه ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم ذكر ما انعم به عليهم بعد ذلك حتى تراجعوا وأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله (ص) فأنزل النعاس عليهم في تلك الحالة حتى كانوا يسقطون على الأرض وكان المنافقون لا يستقرون حتى طارت عقولهم فقال (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا) لفظ الانزال توسع ومعناه ثم وهب الله لكم ايها المؤمنون بعد ما نالكم من يوم احد من الغم امانة يعني أماناً نعاساً أي نوماً وهو بدل الاشتغال عن امانة لأن النوم يشتمل على الأمن لأن الخائف لا ينام ثم ذكر سبحانه ان تلك الأمانة لم تكن عامة بل كانت لأهل الاخلاص وبقي لأهل النفاق الخوف والسهر فقال (يغشى طائفة منكم) يعني المؤمنون القى عليهم النوم وكان السبب في ذلك توعد المشركين لهم بالرجوع إلى القتال فقدم المسلمون تحت الجحف متهيبين للحرب فأنزل الله الأمانة على المؤمنين فتناموا دون المنافقين الذين ازعجهم الخوف بأن يرجع الكفار عليهم او يغيروا على المدينة لسوء

الظن فطير عنهم النوم عن ابن اسحاق وابن زيد وقتادة والربيع (وطائفة قد اهتمهم انفسهم) أي وجماعة قد شغلتهم انفسهم وقيل حملتهم على الهم ومنه قول العرب همك ما أهيك ومعناه كان همهم خلاص انفسهم والعرب تطلق هذا اللفظ على كل خائف وجل شغله هم نفسه عن غيره (فيظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) أي يتوهمون ان الله لا ينصر محمدا وأصحابه كظنهم في الجاهلية وقيل كظن أهل الجاهلية وهم الكفار والمكذبون بوعد الله ووعيده فكان ظن المنافقين كظنهم وقيل ظنهم ما ذكر بعده من قوله (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) فهذا تفسير لظنهم يعني يقول بعضهم لبعض هل لنا من النصر والفتح والظفر نصيب قالوا ذلك على سبيل التعجب والانتكار أي أنطع أن يكون لنا الغلبة على هؤلاء أي ليس لنا من ذلك شيء وقيل ان معناه انا اخرجنا كرها ولو كان الأمر لنا ما اخرجنا عن الحسن وكان هذا القائل عبد الله بن أبي معتب بن قشير واصحابها عن الزبير بن العوام وابن جريح (قل) يا محمد (ان الأمر كله لله) ينصر من يشاء ويخذل من يشاء لا خاذل لمن نصره ولا ناصر لمن خذله وربما عجل النصر وربما أخره اضرب من الحكمة ولا يكون لوعده خلف والمراد بالأمر في الموضوعين النصر (يخفون في انفسهم ما لا يبديون لك) أي يخفون في انفسهم الشك والنفاق وما لا يستطيعون اظهاره لك (يقولون لو كان لنا من الأمر) أي من الظفر كما وعدنا (شيء ماقتلنا هاهنا) أي ماقتل اصحابنا شكابهم فيها وعده الله تعالى نبيه من الاستعلاء على أهل الشرك وتكذيبه (قل) يا محمد لهم في جواب ذلك (لو كنتم في بيوتكم) ومنازلكم (لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) قيل فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه لو كنتم في بيوتكم ايها المنافقون والمراتبون وتختلفتم عن القتال فخرج إلى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محسبين فيقتلون ويقتلون والتقدير ولو تختلفتم عن القتال لما تخلف المؤمنون ﴿والثاني﴾ ان معناه لو كنتم في منازلكم فخرج الذين كتب عليهم القتل أي كتب آجالهم وموتهم وقتلهم في اللوح المحفوظ في ذلك الوقت إلى مصارعهم وذلك ان ما علم الله كونه فإنه يكون كما علمه لا محالة وليس في ذلك ان المشركين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله ذلك منهم وكتبه لأنه كما علم انهم لا يمتارون ذلك علم انهم قادرين ولو وجب ذلك لوجب ان يكون تعالى قادرا على ما علم انه لا يفعله والقول بذلك كفر (وليتلي الله ما في صدوركم) أي يمتبر الله ما في صدوركم بأعمالكم لأنه قد علمه غيبا فيعلمه شهادة لأن المجازاة إذا تقع على ما علم مشاهدة لا على ما هو معلوم منهم غير معمول عن الزجاج وقيل معناه ليعلمكم معاملة المبشرين مظهرة في العدل عليكم وقيل انه عطف على قوله ثم صرفهم عنكم ليتليكم وليتلي ما في صدوركم (وليمحص ما في قلوبكم) أي يخلص هذا خطاب للمنافقين أي يأمرهم بالخروج فلا تخرجون فيظهر للمسلمين معاداتكم لهم وتكشف اسراركم فلا يعدكم المسلمون من حملتهم وقيل معناه ليتلي اوليا الله ما في صدورهم كما في قوله الذين يجارون الله ورسوله ويؤذون الله ورسوله وقيل انه عطف على قوله امنة نعاسا ليظهر عند هذه أي الأحوال موافقة باطنكم ظاهرهم ويمحص ما في قلوبكم أي يظهرها من الشك بما يريكم من عجائب صنعه ويخلص نياتكم وهذا التحجيص خاص للمؤمنين دون المنافقين (والله عليم بذات الصدور) معناه ان الله لا يتليكم ليعلم ما في صدوركم فإن الله عليم بذلك وانما ابتلاكم ليظهر اسراركم فيقع الجزاء على ما ظهر

قوله تعالى (١٥٥) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَمَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (آية)

(المعنى) -

ثم ذكر الله الذين انهزموا يوم أحد ايضا فقال (إن الذين تولوا منكم) اي إن الذين ولوا الدبر على المشركين بأحد منكم ايها المسلمون عن قتادة والربيع وقيل هم الذين هربوا إلى المدينة في وقت الهزيمة عن السدي (يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وسيدهم رسول الله وجمع المشركين ورئيسهم ابو سفيان إنما استلهم الشيطان اي طلب زلتهم عن القتيبي وقيل ازل واستزل يعني (بعض ما كسبوا) من معاصيهم السالفة فلحقهم شرمها وقيل استلهم بحببتهم للفتنة مع حرصهم على تبقية الحياة عن الجبائي قال وفي ذلك الزجر عما يؤذي إلى الفتور فيما يلزم من الأمور وقيل استلهم بذكر خطايا سلفت لهم فكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة فيها عن الزجاج (ولقد عفا الله عنهم) أعاد تعالى ذكر العفو تأكيداً لطمع المذنبين في العفو منعا لهم عن اليأس وتحسينا لظنون المؤمنين (إن الله غفور حلیم) قد مر معناه وذكر ابو القاسم البلخي انه لم يبق مع النبي (ص) يوم أحد إلا ثلاثة عشر نفساً خمسة من المهاجرين وثمانية من الأنصار فأما المهاجرون فعلي (ع) وابو بكر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وقد اختلف في الجميع إلا في علي (ع) وطلحة وقد روي عن عمر بن الخطاب انه قال ورأيتني اصعد في الجبل كأني اروي ولم يرجع عثمان من الهزيمة إلا بعد ثلاث فقال له النبي (ص) لقد ذهبت فيها عريضة

قوله تعالى (١٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى أَوْ كَانُوا عِدَّةً نَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُبَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٧) وَأَن تَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ تَمُوتُوا مَغْتَرَةً مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٨) وَلَئِن مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (ثلاث آيات)

❁ القراءة ❁

قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم بما يعملون بالياء والباقون بالتاء. وقرأ نافع واهل الكوفة غير عاصم متم بالكسر وواقفهم حفص في سائر المواضع إلا هاهنا وقرأ الباقرن متم بضم الميم وقرأ بما يجمعون بالياء. حفص عن عاصم والباقرن يجمعون بالتاء.

❁ الحجة ❁

قال ابو علي حجة من قرأ بالتاء. قوله ولا تكونوا كالذين كفروا وحجة من قرأ بالياء. ان قبلها ايضاً نية وهو قوله وقالوا لاخوانهم وما بعده فحمل الكلام على النية والاشهر الاقيس في متم ضم الميم والكسر شاذ في القياس ونحوه مما شذ فضل بفضل في الصحيح وانشدوا

ذكرت ابن عباس بدار ابن عامر وما مر من عمري ذكرت وما فضل

واما يجمعون بالتاء فالمعنى على يجمعون ايها المتقولون في سبيل الله والماتون ومعنى الياء انه لمغفرة من الله خير مما يجمعه غيركم

❁ اللغة ❁

الضرب في الأرض السير فيها واصله الضرب باليد وقيل هو الاينغال في السير وغزى جمع غاز نحو ضارب وضرب وطالب وطلب

﴿ الإعراب ﴾

قوله وقالوا لاخوانهم إذا ضربوا في الأرض وضع إذا موضع إذ لأحد امرين أما لأنه متصل بلا تكونوا كهؤلاء إذا ضرب اخوانهم في الأرض وأما لأن الذي إذا كان مبهما غير موقت مجري مجرى ما في الجزاء فيقع الماضي فيه موضع المستقبل نحو إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله معناه يكفرون ويصدون ويجوز لا تكونم الذي اكرمك إذا زرته لا بهام الذي ولا يجوز لا تكونم هذا الذي اكرمك إذا زرته لتوقيت الذي من أجل الإشارة إليه بهذا وقوله ليحعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اللام فيه يتعلق بلا تكونوا اي لا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذا القول ليحعل الله ذلك حسرة في قلوبهم دونكم وقيل انه يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم فيكون لام العاقبة عن ابي علي الجبائي وقوله لئن قتلتم استغنى عن جواب الجزاء فيه بجواب القسم في قوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وقد اجتمع شيان كل واحد منها يحتاج الى جواب وكان جواب القسم أولى بالذكر لأن له صدر الكلام مما يذكر في حشوه واللام في قوله ولئن متم يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون خلفا من القسم ويكون اللام في قوله لاولى الله جوابا كقولك والله إن متم او قتلتم لتحشرون إلى الله ﴿ والثاني ﴾ ان تكون مؤكدة لما بعدها كما تؤكد ان ما بعدها وتكون الثانية جوابا لقسم محذوف والنون لا بد منها في الفعل المضارع مع لام القسم لأن القسم أحق بالتأكيد من كل ما يدخله النون من جهة ان ذكر القسم دليل على انهم مواضع التأكيد فإذا جازت في غيره من الأمر والنهي والاستفهام والعرض والجزاء مع ما لزمته في القسم لأنه أحق بها من غيره والفرق بين لام القسم ولام الابتداء ان لام الابتداء يصرف لاسم اليه فلا يعمل فيه ما قبلها نحو قد علمت لزيد خير منك وقد علمت ان زيدا ليقوم وليس كذلك لام القسم لأنها لا تدخل على الاسم ولا يكسر لها ان نحو قد علمت ان زيدا ليقوم ويلزمها النون في المستقبل

﴿ المعنى ﴾

ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن الاقتداء بالمنافقين في اقوالهم وافعالهم فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يريد عبد الله بن ابي سؤل واصحابه من المنافقين عن السدي ومجاهد وقيل هو عام (وقالوا لاخوانهم) من أهل النفاق (إذا ضربوا في الأرض) اي سافروا فيها لتجارة او طلب معاش فأتوا عن السدي وابن اسحاق وإنما خص الأرض بالذكر لأن لكثير اسفارهم كان في البر وقيل اكفى بذكر البر عن ذكر البحر كقوله تعالى سراييل تقيكم الحر وقيل لأن الأرض تشتمل على البر والبحر (او كانوا غزى) اي غزاة محاربين للعدو قتلوا (لو كانوا) مقيمين (عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليحعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) معناه قالوا هذا القول ليثبطوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك وخرجوا ونالوا العز والغنيمة فصار حسرة في قلوبهم واللام على هذا في ليحعل لام العاقبة وقيل معناه ولا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذه المقالة لكي يجعل الله تلك المقالة سببا لالزام الحسرة والحزن في قلوبهم لما يحصل لهم من الحسرة فيا أملوا من الموافقة ولما فاتهم من عز الظفر والغنيمة والله يجي ويميت اي هو الذي يجي ويميت في السفر والحضر عند حضور الأجل لا مقدر لما أخر ولا مؤخر لما قدم ولا راد لما قضى ولا يحصى عما قدر وهذا يتضمن منع الناس عن التخلف في الجهاد خشية القتل فإن الأحياء والاماتة بيد الله سبحانه فلا حياة لمن قدر الله موته ولا موت لمن قدر الله حياته (والله يا تعملون بصير) اي مبصر وقيل عليم وهذا يتضمن الترغيب في الطاعة والترهيب عن المعصية ثم حث سبحانه على الجهاد وبين ان الشهادة خير من اموال الدنيا المستفادة بأن قال (ولئن قتلتم) ايها المؤمنون (في سبيل الله) اي في الجهاد (او متم) قاصدين مجاهدة الكفار استوجبتم (لمغفرة) من الله (ورحمة) والمغفرة الصفاة عن الذنوب والرحمة الثواب والجنة وهاتان (خير مما يجمعون) من الأموال والمقاصد الدنيوية وهذا يتضمن تعزية المؤمنين

وتسليتهم عما أصابهم في سبيل الله وفيه تقوية لقلوبهم وتهوين للموت والقتل عليهم ثم قال (ولئن متم أو قتلتم
لإلى الله تحشرون) أي سواء متم أو قتلتم فإن مرجعكم إلى الله فيجزى كلامكم كما يستحقه المحسن على
إحسانه والمسي على إساءته فاثروا ما يقربكم منه ويوجب لكم رضا من العمل بطاعته والجهاد في سبيله ولا
تركوا إلى الدنيا وفي هذا المعنى البيت الذي ينسب إلى الإمام الحسين بن علي

فإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل

﴿ سؤال ﴾ إن قيل كيف عادل بين مغفرة الله ورحمته وبين حطام الدنيا مع تفاوت ما بينها ولا يقول
أحد الدرّة خير من البعرة ﴿ فجاوبه ﴾ ان الناس يوثقون الدنيا على الآخرة حتى أنهم يتكفرون بالجهاد في سبيل
الله محبة للاستكثار من الدنيا أو إيثارا للمقام فيها فعلى هذا جاز ذلك

قوله تعالى (١٥٩) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا
مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الفظ الغليظ الجافي القاسي القلب يقال منه فظظت تفظ فظاظة وأنت فظ علي وزن فعل إلا أنه أدغم
كصب والفظاظة خشونة الكلام والافتظاظ شرب ماء الكرش لطفاته على الطبايع فإن أصل الفظاظة الجفوة
والفظ ماء الكرش والفض بالضاد تفريق الشيء والانفضاض التفريق وشاورت الرجل مشاورة وشوارا والاسم
المشورة وقيل المشورة وفلان حسن الشورة والصورة أي الهيئة واللباس وأنه لصبر شير وهو حسن الشارة
ومعنى قولهم شاورت فلانا أظهرت في الرأي ما عندي وما عنده وشرت الدابة أشورها إذا منحتها لتعرف
هيئتها في سيرها وشرت العسل وأشرته إذا أخذته من مواضع النحل وعسل مشور ومشار قال الشاعر

كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأرباً مشورا

وقال عدي بن زيد

وقناع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار

والعزم عقد القلب على الشيء تريد أن تفعله والعزيمة كذلك قال ابن دريد يقال عزمت عليك يعني
أقسمت عليك والتوكل إظهار العجز والاعتماد على الغير والتوكل على الله هو تفويض الأمر إليه والثقة بحسن
تدبيره وأصله الانتكال وهو الاكتفاء في فعل ما يحتاج إليه ممن يستند إليه ومنه الوكالة لأنه عقد على الكفاية
بالنيابة والوكيل هو المنكّل عليه بتفويض الأمر إليه

-(الإعراب)-

فبأرحمة مازائدة بإجماع المفسرين ومثله قوله عما قليل جاءت مأمومة كدة الكلام ودخولها تحسن النظم
كدخولها لاتزان الشعر في نحو قول عترة

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم

وقال الفرزدق

ناديت انك إن نجوت فبعدهما بأس وقد نظرت إلي شعوب
وذلك ليتمكن المعنى في النفس فجرى مجرى التكرير
- ❁ المعنى ❁ -

ثم بين سبحانه ان مساهمة النبي (ص) اياهم ومجاورته عنهم من رحمة تعالى حيث جعله لين العطف حسن الخلق (فبا رحمة) أي فبرحمة (من الله لنت لهم) معناه ان لبتك لهم مما يوجب دخولهم في الدين لأنك تأتيهم مع سماحة اخلاقك وكرم سجيبتك بالحجج والبراهين (ولو كنت) يا محمد (فظا) أي جافيا سيء الخلق (غليظ القلب) أي قاسي الفؤاد غير ذي رحمة ولا رأفة (لانفضوا من حولك) أي لتفرق اصحابك عنك ونفروا منك وقيل انما جمع بين الغظاظه والغلظة وان كانا متقاربين لأن الغظاظه في الكلام فنفى الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه (فاعف عنهم) ما بينك وبينهم (واستغفر لهم) ما بينهم وبينني وقيل معناه فاعف عنهم فرارهم من أحد واستغفر لهم من ذلك الذنب (وشاورهم في الأمر) أي استخرج آراهم واعلم ما عندهم واختلفوا في فائدة مشاورته اياهم مع استغنائه بالوحي عن تعرف صواب الرأي من العبادة على أقوال «احدها» ان ذلك على وجه التطيب لفسهم والتألف لهم والرفع من أقدارهم ليعين انه ممن يوثق بأقوالهم ويرجع الى آرائهم عن قتادة والربيع وابن اسحاق «وثانيها» ان ذلك لتقتدي به امته في المشاورة ولولم يروها تقيصة لما مدحوا بأن أمرهم شورى بينهم عن سفيان بن عيينه «وثالثها» ان ذلك لأمرين لا لجلال أصحابه ولتقتدي امته في ذلك عن الحسن والضحاك «ورابعها» ان ذلك ليتمتعهم بالمشاورة ليميز الناصح من الغاش «وخامسها» ان ذلك في أمور الدنيا ومكائد الحرب ولقاء العدو وفي مثل ذلك يجوز ان يستعين بأرائهم عن ابي علي الجبائي (فاذا عزمت) أي فاذا عقدت قلبك على الفعل وامضائه ورووا عن جعفر بن محمد وعن جابر بن يزيد فاذا عزمت بالضم فلي هذا يكون معناه فاذا عزمت لك ووقتتك وارشدتك (فتوكل على الله) أي فاعتمد على الله وثق به وفوض امرك اليه (إن الله يحب المتوكلين) يعني الواثقين به والمعتمدين عليه والمتطمئين اليه الواكئين أمرهم الى لطفه وتديبه وفي هذه الآية دلالة على تخصيص نبينا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ومن عجيب أمره (ص) انه كان أجمع الناس لدواعي الترفع ثم كان أدناهم الى التواضع وذلك انه كان أوسط الناس نسبا وأوفرهم حسبا وأسخامهم وأشجعهم وأزكاهم وأفصحهم وهذه كلها من دواعي الترفع ثم كان من تواضعه انه كان يرقع الثوب ويخسف النمل ويركب الحمار ويعلف الناضح ويحجب دعوة المملوك ويجلس في الأرض ويأكل على الأرض وكان يدعو الى الله من غير زبر ولا كهر ولا زجر ولقد أحسن من مدحه في قوله

فما حملت من ناقة فوق ظهرها أبر وأوفى ذمة من محمد

وفي الآية أيضا ترغيب للمؤمنين في العفو عن المسيء وحثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم وعلى مشاورة بعضهم بعضا فيما يعرض لهم من الأمور ونهيمهم عن الغظاظه في القول والغلظة والجفاء في الفعل ودعائهم الى التوكل عليه وفقويض الأمر اليه وفيها أيضا دلالة على ما تقوله في اللطف لأنه سبحانه نبه على انه لولا رحمة لم يقع اللين والتواضع ولو لم يكن كذلك لما أجابوه فيمن ان الأمور المنفرة منفية عنه وعن سائر الأنبياء ومن يحري مجراهم في انه حجة على الخلق وهذا يوجب تنزيههم ايضا عن الكباير لأن التنفير في ذلك أكثر

قوله تعالى (١٦٠) **إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (آية)

= [المعنى] =

لما أمر الله سبحانه نبيه بالتوكل بين معنى وجوب التوكل عليه فقال (ان ينصركم الله) على من ناوأكم (فلا غالب لكم) أي فلا يقدر واحد على غلبتكم وإن كثر عدد من يناوتكم وقل عددكم (وإن يخذلكم) أي يمنعكم معونه ويخل بينكم وبين أعدائكم بمصيبتكم إياه (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) الها عائدة إلى إسم الله على الظن والمعنى على حذف المضاف وتقديره من بعد خذلانه يعني انه لا ناصر لكم ينصركم بعد خذلان الله إياكم ومن هاهنا معناه التقرير بالنفي في صورة الاستفهام أي لا ينصركم احد من بعده وإنما تضمن حرف الاستفهام معنى النفي لأن جوابه يجب ان يكون بالنفي فصار ذكره يعني عن ذكر جوابه وكان ابلغ لتقرير المخاطب فيه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ظن المراد وتضمنت الآية الترغيب في طاعة الله التي يستحق بها النصر والتحذير من معصية الله التي يستحق بها الخذلان مع ايجاب التوكل عليه الذي يؤمن معه ان يكلمهم الى أنفسهم فيهلكوا قال ابو علي الجبائي وفي الآية دليل على ان من غلبه أعداء الله من الباغين لم ينصره الله لأنه لو نصره لما غلبوه وذلك بحسب ما في المعلوم من مصالح العباد مع تعريض المؤمنين لمنازل الابرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على امان من غلبة الفجار وهذا إنما هو في النصر بالغلبة فأما النصر بالحجة فإن الله نصر المؤمنين من حيث هداهم الى طريق الحق بما نصب لهم من الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة ولولا ذلك لما حسن التكليف وقال ابو القاسم البلخي المؤمنون منصورون ابدأ إن غلبوا فهم المنصورون بالغلبة وإن غلبوا فهم المنصورون بالحجة ولا يجوز أن ينصر الله الكافر على وجه وقال الجبائي النصر بالغلبة ثواب لأنه لا يجوز أن ينصر الله الظالمين من حيث لا يريد استعلاهم بالظلم على غيرهم وقال ابن الاثير ليس بجواب كيف نصرفت الحال لأن الله تعالى امرنا ان نصر الفئة المبني عليها وقد لا تكون مستحقة للثواب فأما الخذلان فلا خلاف انه عقاب والخذلان هو الامتناع من المعونة على عدو في وقت الحاجة اليها لأنه لو امتنع انسان من معونة من يستغني عن معونه لم يكن خاذلاً له

قوله تعالى (١٦١) **وَمَا كَانَ لِإِتِّبَاعِ أَنْ يُغْلَ وَمَنْ يُغْلَ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**
ثُمَّ تُؤْتَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (آية)

-(القراءة)-

قرأ ابن كثير وابو عمير وعاصم ان يغل بفتح الياء وضم الفين وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الفين

-(الحجة)-

من قرأ يغل فعناه يظنون . يقال غل في النسيمة يغل اذا خاف فيها واغل بمعناه . وقال النمر بن توبل

جزى الله عنا جمرة بنت نوفل
جزاء مغل بالأمانة كاذب
بما سألت عني الوشاة ليكذبوا
علي وقد أوليتها في النوائب
ومن قرأ يقل فعناه على وجهين * أحدهما * ما كان لني أن يخون أي ينسب إلى الخيانة أي يقال
له غلت كقولك أسقيته أي قلت له سقاك الله قال ذو الرمة
واسقيه حتى كاد مما ابشه
تكلمني احجاره وملاعبه
وقال الكعبيت

وطائفة قد أكرتني بحبكم
وطائفة قالت مسي ومذنب
أي نسبتني إلى الكفر * والآخر * ما كان لني أن يخان بمعنى يسرق منه ويؤخذ من الغنيمة التي
حازها ويكون تخصص النبي بذلك تعظيماً لمذنب قال ابو علي الفسوي الحجة لمن قرأ ان يقل إنما جاء
في التنزيل من هذا النحو اسند الفعل فيه إلى الفاعل نحو ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وما كان ليأخذ
أخاه وما كان لنفس ان تموت وما كان الله ليضل قوماً وما كان الله ليطلمكم على النيب ولا يكاد يقال ما كان
لزيد أن يضرب وما كان لزيد ليضرب فيسند الفعل فيه إلى المفعول به فكذلك قوله وما كان لني
أن يقل يسند الفعل فيه إلى الفاعل وروى عن ابن عباس أنه قرأ يقل قيل له ان عبد الله قرأ يقل قال
ابن عباس بلى والله ويقتل وروى عن ابن عباس أيضاً أنه قال وقد كان النبي يقتل فكيف لا يخون

[اللغة] =

أصل المغلول من الغل وهو دخول الماء في خلل الشجر يقال انفل الماء في اصول الشجر والغلول الخيانة
لأنها تجري في الملك على خفاء من غير الوجه الذي يحل كالغلول ومنه الغليل حرارة العطش فالغلة الخيانة
لأنها تجري في الملك على جفاء من غير الوجه والغل الحسد لأنه يجري في النفس كالغلول ومنه الغليل
حرارة العطش والغلة كأنها تجري في الملك من جهات مختلفة والغلاة لأنها شعار تحت البدن

* التزول *

روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير انها نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم فقال بعضهم
لعل النبي (ص) أخذها وفي رواية الضحاك عنه ان رجلاً غل بمخيط أي بآبرة من غنائم هوازن يوم حنين
فنزلت الآية وعن مقاتل انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلباً للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول
رسول الله من أخذ شيئاً فهو له ولا يقسم كما لم يقسم يوم بدر ووقعوا في الغنائم فقال رسول الله أنظمتهم فانفل
ولا تقسم لكم فانزل الله الآية وقيل انه قسم المغنم ولم يقسم للطلائع فلما قدمت الطلائع قالوا اقسم الفيء ولم
يقسم لنا فرفه الله الحكم فنزلت الآية وقيل نزلت في اداء الوحي كان النبي (ص) يقرأ القرآن وفيه غيب
دينهم وسب آلهتهم فسألوه ان يطوي ذلك فانزل الله الآية

* المعنى *

لما قدم تعالى أمر الجهاد وذكر بعده ما يتعلق به من حديث الغنائم والنهي عن الخيانة فيها فقال
(وما كان لني أن يقل) وتقديره وما كانت لني الخيانة لأن ان مع الفعل بمعنى المصدر أي لا تجتمع

النبوة والحياة وقبل معناه ما كان له ان يكتم شيئا من الوحي عن ابن اسحاق وتقديره ما كان له ان يغفل
 امته فيما يوذي اليهم وقبل اللام منقولة وتقديره ما كان النبي ليغفل كقوله ما كان الله ليتخذ من ولد معناه
 ما كان الله ليتخذ ولدا وعلى القراءة الأخرى ما كان لنبي ان يخون أي يخونه اصحابه أو بمعنى يكتمونه
 شيئا من المغنم على ما مضى القول فيه وخاصة بالذكر وان كان لا يجوز ان يغفل غيره من إمام أم امير
 للمسلمين لوجهين ﴿احدهما﴾ لعظم خيائته وانما أعظم من خيانة غيره وهذا كقوله فاجتنبوا الرجس
 من الأوثان وإن كان اجتناب جميع الأرجاس واجبا ﴿والآخر﴾ ان النبي إنما خص بالذكر لأنه
 القائم بأمر الغنائم فإذا حرمت الخيانة عليه وهو صاحب الأمر فحرمتها على غيره أولى وأجدد وقوله (ومن
 يغفل يأت بما غفل يوم القيامة) معناه انه يأتي حاملا على ظهره كما روي في حديث طويل الا لا يغفل أحد
 بعير فيأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء الا لا يغفل أحد فرسا فيأتي به على ظهره له حمحمة فيقول يا محمد
 يا محمد فأقول قد بلغت قد بلغت لا أملك لك من الله شيئا عن ابن عباس وابي حميد احمد الساعدي وابن
 عمر وقتادة وقال الجبائي وذلك ليفضح به على رؤوس الأشهاد وقال البخاري فيجوز ان يكون ما تضمنه
 الخبر على وجه المثل كان الله اذا فضحه يوم القيامة جرسه ذلك مجرى ان يكون حاملا له وله صوت وقد
 روي في خبر آخر ان النبي (ص) كان يأمر مناديا فينادي في الناس ردوا الخيط والمخيط فإن الغلول عار
 وشنار يوم القيامة فجاء رجل بكبة شعر فقال اني اخذتها لا خيط بردة بعيري فقال النبي (ص) اما نصيب منها
 فهو لك فقال الرجل اما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا حاجة لي فيها والأولى ان يكون معناه ومن يغفل يوافي بما غفل
 يوم القيامة فيكون حمل غلوله على عنقه اماره يعرف بها وذلك حكم الله تعالى في كل من وافى يوم القيامة بمعصيته
 لم يتب منها او أراد الله تعالى ان يعامله بالعدل اظهر عليه من معصيته علامة تليق بمعصيته ليعلمه اهل القيامة
 بها ويعلموا سبب استحقاقه العقوبة كما قال تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وهكذا حكمه تعالى
 في كل من وافى القيامة بطاعة فإنه تعالى يظهر من طاعته علامة يعرف بها (ثم توفي كل نفس ما كسبت) اي
 يعطي كل نفس جزاء ما عملت تماما وافيا (وم لا يظلمون) اي لا ينقص احد مقدار ما يستحقه من الثواب
 ولا يزداد احد عن مقدار ما استحقه من العذاب وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة ان الله لو عذب
 اوليائه لم يكن ذلك منه ظلما لأنه قد بين انه لو لم يوفها ما كسبت لكان ظلما

قوله تعالى (١٦٢) **أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ**
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٣) هُمْ ذَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ (آياتان)

اللغة

باء اي رجوع يقال باء بذنبه يوبؤا إذا رجع به وبؤاته منزلا اي هياته له لأنه يرجع اليه والسخط من
 الله هو ارادة العقاب لمستحقه ولعنه وهو مخالف للغيظ لأن الغيظ هو هيجان الطبع وانزعاج النفس فلا يجوز
 اطلاقه على الله تعالى المصير المرجع ويفرق بينها بأن المرجع هو انقلاب الشيء الى حال قد كالت عليهما
 والمصير انقلاب الشيء إلى خلاف الحال التي هو عليها نحو مصير الطين خرفا ولا يقال رجع الطين خرفا لأنه

لم يكن قبل خزفا والدرجة الرتبة والدرجات مشي الصبي لتقارب الرتب والترقي في العلم ودرجة بعد درجة
اي منزلة بعد منزلة كالدرجة المعروفة

﴿ النزول ﴾

لما امر رسول الله (ص) بالخروج إلى أحد قعد عنه جماعة من المناقبين واتبعة المؤمنين فانزل الله
تعالى هذه الآية

= [المعنى] =

لما بين تعالى ان كل نفس توفي جزاء ما كسبت من خير وشر عقبه ببيان من كسب الخير والشر فقال
(أفمن اتبع رضوان الله) وفيه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه أفمن اتبع رضوان الله في العمل بطاعته كمن باء
بسخط منه في العمل بمعصيته عن ابن اسحاق ﴿ وثانيها ﴾ أفمن اتبع رضوان الله في ترك العلول كمن باء
بسخط من الله في فعل العلول عن الحسن والضحاك واختاره الطبري لأنه اشبه بما تقدم ﴿ وثالثها ﴾ أفمن
اتبع رضوان الله بالجهد في سبيله (كمن باء بسخط من الله) في الفرار منه رغبة عنه عن الزجاج والجبائي
وهذا الوجه يطابق ما سبق ذكره من سبب النزول (وما أواء جهنم) أي مصيره مرجعه جهنم (وبنس المصير)
أي المكان الذي صار إليه والمستقر والألف استفهام والمراد به التقرير والفرق بين الفريقين أي ليس من
اتبع رضوان الله أي رضاه كمن باء بسخطه (هم درجات) أي هم ذوو درجات (عند الله) فالمؤمنون ذوو
درجة رفيعة والكافرون ذوو درجة خسيصة وقيل في معناه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان المراد اختلاف مراتبهم
أهل الثواب والعقاب بما هو لواء من النعيم والكرامة ولا أولئك من العقاب والمهانة وعبر من ذلك بدرجات
مجازا وتوسعا - « والثاني » - ان المراد اختلاف مراتب كل من الفريقين فإن الجنة طبقات بعضها أعلى
من بعض كما جاء في الخبر ان أهل الجنة ليرون أهل عليين كما يرى النجم في افق السماء والناذر دركات
بعضها اسفل من بعض ومثله في حذف المضاف قول ابن هرمة انشده سبيويه

أنصب للمنية تعترتهم رجالي أم هم درج السيول

أي هم ذوو درج (والله بصير بما يعملون) أي عليهم وفي هذا ترغيب للناس في اتباع مرضاة الله تعالى
وتحذيرهم عما يوجب سخطه واعلام بأن اسرار العبادة عنده علانية وفيه توثيق بأنه لا يضيع عمل عامل
لديه إذ لا يخفى شيء من ذلك عليه فيثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية

قوله تعالى (١٦٤) لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ لَنِّي ضَلَّالًا
مُّبِينًا (آية)

﴿ اللغة ﴾

أصل المن القطع يقال منه بمنه إذا قطعه والمن النعمة لأنه يقطع بها عن البلية يقال من فلان علي بكذا
أي استغفني به وما أنا فيه والمن تكدير النعمة لأنه قطع لها عن وجوب الشكر عليها والمنة القوة لأنه يقطع
بها الأعمال

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه عظيم نعمته على الخلق بيئته نبينا فقال (لقد من الله) أي انعم الله (على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا) منهم خص المؤمنين بالذكر وان كان (ص) مبعوثا الى جميع الخلق لأن النعمة عليهم اعظم لا هتداتهم به وانتفاعهم ببيانه ونظير ذلك ما تقدم بيانه من قوله هدى للمتقين وقوله (من أنفسهم) فيه اقوال « احدها » ان المراد به من رهطهم يعرفون منشأه وصدقه وأمانته وكونه أميا لم يكتب كتابا ولم يقرأه ليعلموا ان ما أتى به وحي منزل ويكون ذلك شرفا لم وداعبا إياهم الى الايمان « وثانيها » ان المراد به انه يتكلم بلسانهم فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصا بالعرب « وثالثها » انه علم لجميع المؤمنين والمراد بأنفسهم انه من جنسهم لم يبعث ملكا ولا جنيا وموضع المنة فيه انه بعث فيهم من عرفوا أمره وخبروا شأنه وقوله (يتلو عليهم آياته) يعني القرآن (وبركهم وعلّمهم الكتاب والحكمة) مضى بيانه في سورة البقرة (وان كانوا من قبل لاني ضلال مبين) يعني انهم كانوا في ضلال ظاهر بين اي كفارا وكفرهم هو ضلالهم فأقدم الله بالنبى (ص)

قوله تعالى (١٦٥) **أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (آية)

﴿ الإعراب ﴾

إنما دخلت الواو في اولما لعطف جملة على جملة الا انه تقدمها الف الاستفهام لأن له صدر الكلام وإنما وصلت هذه الواو الكلام الثاني بالأول ليدل على تعلقه به في المعنى وذلك انها وصلت التفريع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام إلى ذكر الجهاد فقال (اولما اصابتمكم مصيبة قد اصبتم مثلها) اي حين اصابكم القتل والجرح وذلك ما اصاب المسلمين يوم أحد فإنه قتل من المسلمين سبعون رجلا وكانوا هم اصابوا من المشركين يوم بدر مثلها فانهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين رجلا وأسروا سبعين عن قتادة وعكرمة والربيع والسدي وقد اصبتم ايها المسلمون يوم بدر مثلها وقيل قتلتم منهم بيدر سبعين وبأحد سبعين عن الزجاج وهذا ضعيف لأنه خلاف ما ذكره اهل السير فإنه لا خلاف بينهم انه قتل منهم بأحد نفر يسير فقوله خلاف الجمهور (وقلتم أنى يكون هذا) أي من اي وجه اصابنا هذا ونحن مسلمون وفينا رسول الله (ص) وينزل عليه الوحي وهم مشركون وقيل انهم إنما استنكروا ذلك لأنه وعدمهم بالنصر من الله إن أطاعوه عن الجبائي وقوله (قل هو من عند أنفسكم) أي قل يا محمد ما اصابكم من الهزيمة والقتل من عند أنفسكم أي بخلافكم امر ربكم وترككم طاعة الرسول (ص) وفيه اقوال « احدها » ان ذلك بمخالفتهم الرسول في الخروج من المدينة للقتال يوم أحد وكان النبي (ص) دعاهم إلى ان يتحصنوا بها ويدعوا المشركين الى أن يقصدوهم فيها فقالوا كنا نمتنع من ذلك في الجاهلية ونحن الآن في الإسلام وأنت يا رسول الله نبينا أحق بالامتناع وأعز

عن قتادة والربيع « وثانيها » ان ذلك باختيارهم الفداء من الأسرى يوم بدر وكان الحكم فيهم القتل وشرط عليكم انكم إن قبلتم الفداء قتل منكم في القابل بعدتهم فقالوا رضينا فإننا نأخذ الفداء او ننتقم به واذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء عن علي (ع) وعبيدة السلماني وهو المروي عن الباقر (ع) « وثالثها » ان ذلك بخلاف الرماة يوم أحد لما أمرهم رسول الله (ص) به من ملازمة مراكزهم (ان الله على كل شيء قدير) اي فهو قادر على نصركم فيما بعد وإن لم ينصركم في الحال لما خالفتمكم

قوله تعالى (١٦٦) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّيِّبِ أَجْمَعِينَ فَيُؤْذِنُ اللَّهُ وَيَلْعَلَهُ أَعْمُوٌّ مُبِينٌ (١٦٧) وَيَلْعَلَهُ الَّذِينَ نَاقَهُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَانَوْا فَانلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ هُمْ الْكُفْرُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (آياتان)

﴿ الإعراب ﴾

الفاء وإنما دخلت في قوله فليؤذن الله لأن خبر ما الذي بمعنى الذي يشبه جواب الجزاء لأنه معلق بالفعل في الصلة كنعليته بالفعل في الشرط كقولك الذي قام فن أجل انه كريم اي لأجل قيامه صح انه كريم ومن أجل كرمه قام

﴿ المعنى ﴾

(وما اصابكم) ايها المؤمنون (يوم التقي الجمعان) جمع المسلمين وجمع المشركين يعني يوم أحد من النكبة بقتل من قتل منكم (فليؤذن الله) اي بعزم الله ومنه قوله واذا من الله اي اعلام وقيل بتجليه الله بينكم وبينهم التي تقوم مقام الاطلاق في الفعل رفع الموانع والتمكين من الفعل الذي يصح معه التكليف وقيل بعقوبة الله فإن الله تعالى جعل لكل ذنب عقوبة وكان ذلك عقوبة لهم من الله على ترك أمر رسول الله ولا يجوز أن يكون المراد بالاذن هاهنا الاياحة والاطلاق كما يقتضيه اللفظ لأن الله لا يبيح المعاصي ولا يطلقها وقتل الكافر المسلم من أعظم المعاصي فكيف يأذن فيه (وليعلم الله المؤمنين الذين ناقهوا) معناه وليميز المؤمنين من المنافقين لأن الله عالم بالأشياء قبل كونها فلا يجوز أن يعلم عند ذلك ما لم يكن عالماً به إلا ان الله أجبر على المعلوم لفظ العلم مجازاً اي ليظهر المعلوم من المؤمن والمنافق (وقيل لهم) اي للمنافقين (تعالوا قاتلوا في سبيل الله) قالوا إن عبد الله بن أبي المنافقين معه من اصحابه اتخذوا يوم أحد نحواً من ثلاثمائة رجل وقالوا اعلام نقتل أنفسنا وقال لهم عبد الله عمرو بن حزام الأنصاري تعالوا قاتلوا في سبيل الله واتقوا الله ولا تحدلوا نبيكم (وادفعوا) عن حريمكم وأنفسكم إن لم تقاتلوا في سبيل الله وقيل معناه اقيموا معنواو كثروا سوادنا وهذا يدل على ان تكثير سواد المجاهدين معدود في الجهاد وبمنزلة القتال (قالوا لو نعلم قتالاً لا تبعنكم) يعني قال المنافقون لو عدنا قتالاً لقاتلناهم قالوا ذلك بلا لمدرم في ترك القتال والرجوع إلى المدينة فقال لهم أبعدهم الله الله يعني عنكم وقيل إنما القائل لذلك رسول الله يدعوهم إلى القتال عن الأعداء (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) يعني بإظهار هذا القول صاروا أقرب إلى الكفر إذ كانوا

قبل ذلك في ظاهر اجوالهم اقرب إلى الإيمان حتى هتكوا الستر فعمل المؤمنون منهم ما لم يعلموه واللام بمعنى إلى يعني هم إلى الكفر اقرب منهم إلى الإيمان كقوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي الى هذا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) ذكر الأفواه تأكيداً لأن القول قد يضاف إليها وقيل إنما ذكر الأفواه فرقا بين قول اللسان وقول الكتاب والمراد به قولهم لو نعلم قتالاً لا تبناكم واضرارهم انه لو كان قتال لم يقاتلوا معهم ولم ينصروا النبي (ص) وقيل معناه (يقولون بأفواههم) من التقرب إلى الرسول والإيمان (ما ليس في قلوبهم) فإن في قلوبهم الكفر (والله أعلم بما يكتمون) أي بما يضمرونه من النفاق والشرك

قوله تعالى (١٦٨) الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرؤْا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الدرء الدفع يقال درء عنه اي دفع عنه قال الشاعر

نقول إذا درأت لها وضيئي أهذا دينه أبدا وديني

﴿ الاعراب ﴾

موضع الذين يحتمل أن يكون نصبا على البدل من الضمير في تكتمون ويحتمل ان يكون رفعا على خبر الابتداء على تقديرهم الذين قالوا

— (المعنى) —

(الذين قالوا) يعني المنافقين (لاخوانهم) في النسب لا في الدين يعني عبد الله بن أبي واصحابه قالوا في قتلى أحد (وقعدوا) هم يعني هؤلاء القائلون عن جابر وقتادة والسدي والريم (لو أطاعونا) في القعود في البيت وترك الخروج الى القتال (ما قتلوا) قل لهم يا محمد (ص) (فادروا) اي فدعوا (عن أنفسكم الموت) ان كنتم صادقين في هذه المقالة ولا يمكنهم دفع الموت لأنه يجوز ان يدخل عليهم العدو فيقتلهم في قمر بيوتهم وانما الزمهم الله دفع الموت عن أنفسهم بمقاتلتهم انهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا لأن من علم الغيب في السلامة من القتل يحسب ان يمكنه ان يدفع عن نفسه الموت فينبغي أن يدفعه هذا القائل فإنه اجدى عليه وفي هذا ترغيب في الجهاد وبيان ان كل احد يموت باجله . فلا ينبغي ان يجعل ذلك عذرا في القعود عن الجهاد لأن المجاهد ربما يسلم والقاعد ربما يموت فيجب ان يكون على الله التكلان .

قوله تعالى (١٦٩) وَلَا تَحْزَبَنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٧٠) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧١) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (ثلاث آيات بلاخلاف يرزقون آية ويحزون آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ الكسائي وحده ان الله لا يضيع بكسر الالف والباقون بالفتح

﴿ الحجة ﴾

من قرأ قتلوا بالتخفيف فالوجه فيه ان التخفيف يصلح القليل والكثير ووجه الفتح في أن ان المعنى ويستبشرون بأن الله لا يضع اجرهم ويتوفر ذلك عليهم ويوصله اليهم من غير قبض وبخس ووجه الكسر على الاستئناف = [اللغة] =

أصل البشارة من البشارة لظهور السرور فيها ومنه البشر لظهور بشرته والمنبشر من طلب السرور في البشارة فوجده ولحقت الشيء والحقته غيري وقبل لحقت والحقت لنتان بمعنى واحد وجاء في الدعاء ان عذابك بالكفار ملحق بكسر الحاء أي لاحق والنعمة هي المنفعة التي يستحق بها الشكر إذا كانت خالصة من وجود القبح لأن المنفعة على ضربين - «احدهما» - منفعة اغترار وحيلة - «والآخر» - منفعة خالصة من شائبة الإساءة والنعمة تعظم بفعل غير المنعم كنعمة النبي (ص) على من دعاه إلى الإسلام فاستجاب له لأن دعاؤه انفع من وجهين - «احدهما» - حسن النية في دعائه إلى الحق ليستجيب له «والآخر» بقصده الدعاء إلى حق يعلم ان يستجيب له المدعو وانما يستدل بفعل غير المنعم على موضع النعمة في الجلالة وعظمة المنزلة

﴿ الإعراب ﴾

احياء رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أي بل احياء ولا يجوز نصب فيه بحال لأنه يصير التقدير فيه بل احسبهم احياء والمراد بل اعلمهم احياء ويرزقون في موضع رفع صفة لأحياء وفرحين نصب على الحال من يرزقون وهو اولى من رفعه عطفه على بل احياء لأن النصب ينبئ عن اجتماع الرزق والفرح في حال واحدة ولورفع على الاستئناف كان جائزاً وقال الخليل موضع أن لا خوف عليهم جر بالباء على تقدير بأن لا خوف عليهم وقال غيره موضعه نصب على انه بدل من قوله الذين لم يلحقوا وهو بدل الاشتغال مثل قوله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه

﴿ النزول ﴾

قبل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين وقبل نزلت في شهداء احد وكانوا سبعين رجلاً اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان ابن شماس وعبد الله بن جحش وسائرهم من الأنصار عن ابن مسعود والربيع وقتادة وقال الباقر (ع) وكثيرون من المفسرين انها تناول قتلى بدر وأحد معا وقيل نزلت في شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك ما رواه محمد بن اسحاق بن يسار بإسناده عن انس بن مالك وغيره قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله المدينة واهدى له هدية فأبى رسول الله (ص) ان يقبلها وقال يا ابا براء لا اقبل هدية مشرك فأسلم إن أردت أن اقبل هديتك وقراء عليه القرآن فلم يسلم ولم يعد وقال يا محمد ان أمرك هذا الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجلاً من اصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله (ص) اني أخشى عليهم أهل نجد فقال ابو براء انا لم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى امرك فبعث رسول الله (ص) المنذر ابن عمرو واخني ساعدة في سبعين رجلاً من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وخزام بن ملجان وعروة

ابن اسمان صلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة أشهر من احد فصاروا حتى نزلوا بئر معونة فلما نزلوا قال بعضهم من منكم يبلغ رسالة رسول الله اهل هذه الماء فقال خزيم بن ملجان انا فخرج بكتاب رسول الله (ص) إلى عامر بن الطفيل فلما اتاه لم ينظر عامر في كتاب رسول الله فقال خزيم يا اهل بئر معونة اني رسول رسول الله اليكم واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فآمنوا بالله تعالى ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت يرمع فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا ان يجيبوه على مادعاهم اليه وقالوا لن نظفر ابا براء قد عقد لم عهداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عضبة ودعلا وذكوانا فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فأنهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فمأش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري ورجل من الأنصار احد بني عمرو بن عوف فلم ينسهما بمصاب اصحابهما الا الطير يحوم حول المسكر فقالوا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا اليه فاذا القوم في دماهم واذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو بن امية ما ذا ترى قال اترى ان نلحق برسول الله فنخبره بالخبر فقال الأنصاري لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذوا عمرو بن امية أسيراً فلما اخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أبيه فقدم عمرو بن امية على رسول الله واخبره الخبر فقال رسول الله (ص) هذا عمل ابي براء وقد كنت لهذا كارها متخوفاً فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما اصاب رسول الله بسببه فقال حسان بن ثابت يجرض ابا براء على عامر بن الطفيل

بنو ام البنين ألم يوعكم	وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبي براء	لنخفزه وما خطأ كعمد
إلا أبلغ ربيعة ذا المساعي	فما حدثت في الحدائق بعدي
ابوك ابو الحروب ابو براء	وخالك ماجد حكم بن سعد

وقال كعب بن مالك

لقد طارت شعاعا كل وجه	خفارة ما اجار ابو براء
بنو أم البنين أما سمعتم	دعاء المستغيث مع النساء
وتنويه الصريخ بلي ولكن	عرفتم انه صدق اللقاء

فلما بلغ ربيعة ابن ابي براء قول حسان وقول كعب حمل على عامر بن الطفيل وطمعته فخر عن فرسه فقال هذا عمل ابي براء ان مت فدمي لعمي ولا يتبعن سواي وان عشت فسأرى فيه الرأي قال فأنزل الله في شهداء بئر معونة قرآناً بلغوا قومنا عناباًنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخت ورفضت بعد ما قرأناها وانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآيات

- [المعنى] -

لما حكى الله سبحانه قول المناهقين في المتولين الشهداء . تشييطا للمؤمنين عن جهاد الأعداء ذكر بعده ما أعد الله للشهداء من الكرامة وخصهم به من النعيم في دار المقامة فقال (ولا تحسبن) والخطاب للنبي او يكون على معنى لا تحسبن ايها السامع او ايها الإنسان (الذين قتلوا في سبيل الله) اي في الجهاد وفي نصرة دين الله (امواتا) اي موتي كما مات من لم يقتل في سبيل الله في الجهاد (بل احياء) اي بل هم احياء وقد مر تفسيره في سورة البقرة عند قوله ولا تقولن لمن يقتل في سبيل الله اموات الآية وقوله (عند ربهم) فيه وجهان « احدهما » انهم بحيث لا يملك لهم احد نفعا ولا ضرا الا ربهم وليس المراد بذلك قرب المسافة لأن ذلك من صفة الأجسام وذلك مستحيل على الله تعالى « والآخر » انهم عند ربهم احياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس عن ابي علي الجبائي وروي عن ابن عباس وابن مسعود وجابر ان النبي (ص) قال لما اصاب اخواتكم بأحد جعل الله ارواحهم في حواصل طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وروي عنه انه قال لجعفر بن ابي طالب وقد استشهد في غزاة موته رايت له جناحان يطير بهما مع الملائكة في الجنة وانكر بعضهم حديث الأرواح وقال الروح عرض لا يجوز أن يتنعم وهذا لا يصح لأن الروح جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح وبدل على ذلك انه يخرج من البدن ويرد اليه وهي الحاسة الفعالة دون البدن وليست من الحياة في شيء لأن ضد الحياة الموت وليس كذلك الروح وهذا قول علي بن عيسى (يرزقون) من نعيم الجنة غدوا وعشيا وقبل يرزقون النعيم في قبورهم (فرحين بما آتاهم الله من فضله) اي يسرون بما اعطاهم الله من ضروب نعمه في الجنة وقيل في قبورهم وقيل معناه فرحين بما نالوا من الشهادة وجزائها (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) اي يسرون باخوانهم الذين فارقوهم وهم احياء في الدنيا على مناهجهم من الايمان والجهاد لهمم بأنهم ان استشهدوا لحقوا بهم وصاروا من كرامة الله إلى مثل ما صارواهم اليه يقولون اخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من النعيم مثل ما أصبنا عن ابن جريح وقادة وقيل انه يوتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من اخوانه فيسير بذلك ويستبشركا يستبشراهل الغائب بقدمه في الدنيا عن السدي وقيل معناه لم يلحقوا في الفضل الا ان لم فضلا عظيما بتصديقهم وايمانهم عن الزجاج (أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اي يستبشرون بأن لا خوف عليهم وذلك لأنه بدل من قوله الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم لأن الذين يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن فلا استبشار هنا وإنما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاحقين ومعناه لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم لأن الله تعالى يتولاهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا من اموالهم لأن الله قد أجزل ما عوضهم وقيل معناه لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لأن الله محص ذنوبهم بالشهادة ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا فرحا بالآخرة (يستبشرون) يعني هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله الذي وصفهم الله بأنهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله بنعمة من الله وفضل الفضل والنعمة عبارتان يعبر بها عن معنى واحد قيل في تكراره قولان ﴿ احدهما ﴾ ان المراد انها ليست نعمة على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور واللذة فالنعمة ما استحقوه بطاعتهم والفضل ما زادهم من المضاعفة في الأجر ﴿ والآخر ﴾ للتأكيد وتمكين المعنى في النفس والمبالغة (وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) اي يوفى جزاءهم وإنما ذكر ذلك وان كان غيرهم يعلم ذلك لأنهم يعلمونه بعد

الموت ضرورة وإنما يعلمونه في دار التكليف استدلالا وليس الاستدلال كالشاهدة ولا الخبر كالمعينة فإن مع
الضرورة والعيان يتضاعف سرورهم ويشدد ارتباطهم وفيه دلالة على ان الثواب مستحق وان الله لا يبطل البتة
وان الاثابة لا تكون إلا من قبله تعالى واذك أضاف نفي الإضاعة إلى نفسه وما روي في الأخبار من ثواب
الشهداء أكثر من ان يحصى أعلاها اسنادا ما رواه علي بن موسى الرضا (ع) عن الحسين بن علي (ع) قال بينا
أمير المؤمنين يخطب ويحضهم على الجهاد إذ قام اليه شاب فقال يا امير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل
الله فقال كنت رديف رسول الله (ص) على ناقته الفضا. ونحن منقلبون عن غزوة ذات السلاسل فأسأله عما سألتني
عنه فقال الغزاة إذا هموا بالنزول كتب الله لهم براة من النار فإذا تجهزوا لغزورهم باهى الله بهم الملائكة فإذا
ودعهم اهلهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من الذنوب كما تخرج الحية من سلخها ويوكل الله
بكل رجل اربعين ملكا يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يعمل حسنة إلا ضعف له
ويكتب له كل يوم عبادة الف رجل يعبدون الف سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما مثل عمر الدنيا وإذا
صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم اهل الدنيا عن ثواب الله إياهم فإذا برزوا لعدوهم وأشرعت الأسنة وفوقت
السهام وتقدم الرجل إلى الرجل حقتهم الملائكة بأجنحتها يدعون الله بالنصرة والتثبيت فينادي مناد الجنة تحت
ظلال السيوف فتكون الطعنة والضربة على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف وإذا زال الشهيد
من فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله اليه زوجته من الحور العين فتبشره بما اعد الله له من
الكرامة فإذا وصل إلى الأرض تقول له الأرض مرحبا بالروح الطيبة الذي اخرج من البدن الطيب أبشر فإن
لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويقول الله عز وجل أنا خليقته في أهله من أرضاهم
قد ارضاني ومن استخطهم فقد استخطني ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث يشاء تأكل
من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس سلوك
كل غرفة ما بين صنعا والشام يلا نورها ما بين الحاققين في كل غرفة سبعون بابا على كل باب سبعون مصراعا من
ذهب على كل باب سبعون غرفة مسبلة في كل غرفة سبعون خيمة في كل خيمة سبعون سريرا من ذهب قوائها
الدر والزرجد مرمولة بقضبان الزمرد على كل سرير اربعون فراشا غلظ كل فراش اربعون ذراعا على كل فراش
زوجة من الحور العين عريا اترابا فقال اخبرني يا امير المؤمنين عن العروبة فقال هي الفنجة الرضية الشهية لها سبعون
الف وصيف وسبعون الف وصيفة صفر الحلى بيض الوجوه عليهن تيجان اللؤلؤ على رقابهم المناديل بأيديهم
الاكوبة والأباريق فإذا كان يوم القيامة فوالذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لرجلوا لهم لما يرون
من بهائمهم حتى يأتوا إلى موائد من الجواهر فيقعدون عليها ويشفع الرجل منهم في سبعين الفا من اهل بيته وجيرانه
حتى ان الجارين يتخاصمان ايها اقرب جوارا فيقعدون معي ومع ابراهيم على مائدة الخلد فينظرون إلى الله عز
وجل في كل يوم بكرة وعشيا

قوله تعالى (١٧٢). الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرُّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا صَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٣) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٤) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ
إِلَى أَرْضِهِمْ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ. (ثلاث آيات)

اللغة

استجاب وأجاب بمعنى وقيل استجاب طلب الإجابة وأجاب فعل الإجابة والترح الجرح واصله الخلو من

الكدر ومنه ما قراح أي خالص والقراح من الأرض ما خلص طينه من النبع وغيره والقريحة خالص الطبيعة واقترحت عليه كذا أي اشتهته عليه خلوصي على ما تتوق نفسه إليه كأنه قال استخلصته وفرس قارح طلع نابه خلوصه عن نقص الصغار ببلوغ تلك الحال والقرح الجراح خلوص ألمه إلى النفس والاحسان هو النفع الحسن والافضال النفع الزائد على اقل المقدار حسبنا الله أي كافينا الله وأصله من الحساب لأن الكفاية بحسب الحاجة وبحساب الحاجة ومنه الحساب وهو الظن والوكيل الحفيظ وقيل هو الوالي واصله القيام بالتدبير فمعنى الوكيل في صفات الله هو المتولي للقيام بتدبير خلقه لأنه مالكمم الرحيم بهم وهو في صفة غيره وإنما يعقد بالتوكيل

- (الاعراب) -

موضع الذين يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب الخبر على ان يكون نعتا للمؤمنين والأحسن والأشبه بالآية ان يكون في موضع الرفع على الابتداء وخبره الجملة التي هي للذين أحسنوا منهم وانقروا اجر عظيم ويجوز النصب على المدح وتقديره اعني الذين استجابوا اذا ذكروا وكذلك القول في موضع الذين في الآية الثانية لانها نعت لموصوف واحد قوله لم يسهم سوه في موضع نصب على الحال وتقديره فانقلبوا بتعمة من الله وفضل سالمين والعامل فيه فانقلبوا

= [النزول] =

لما انصرف ابو سفيان واصحابه من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرفهم عن المسلمين وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردتم قتلتموهم حتى إذ لم يبق منهم إلا الشريد تر كتبوهم فارجموا فاستأصلوهم فبلغ ذلك الخبر رسول الله (ص) فأراد أن يهرب العدو وبريهم عن نفسه واصحابه قوة فنذب أصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال الاعصابة تشدد لأمر الله تطلب عدوها فإنها أنكسا للعدو وأبعد للسمع فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من القراح والجراح الذي أصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله الا لا يخرجن احد إلا من حضر يومنا بالأمس وإنما خرج رسول الله (ص) يهرب العدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وان الذي أصابهم لم يوهنهم من عدوهم فينصرفوا فخرج في سبعين رجلا حتى بلغ حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره ان رسول الله (ص) قال هل من رجل يأتينا بجبر القوم فلم يجب احد فقال أمير المؤمنين أنا أتيتك بجبرهم قال اذهب فإن كانوا ركبوا الحيل وجنبوا الابل فإنهم يريدون المدينة وإن كانوا ركبوا الابل وجنبوا الحيل فإنهم يريدون مكة فمضى أمير المؤمنين (ع) على ما به من الألم والجراح حتى كان قريبا من القوم فرأهم قد ركبوا الابل وجنبوا الحيل فرجع وأخبر رسول الله (ص) بذلك فقال أرادوا مكة فلما دخل رسول الله المدينة نزل جبرائيل فقال يا محمد (ص) إن الله عز وجل يأمرك ان تخرج ولا يخرج معك إلا من به جراحة فأقبلوا يكمدون جراحاتهم ويدأونها فأنزل الله تعالى على نبيه (ص) ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح حتى بلغوا حمراء الأسد وروى محمد بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابي السائب ان رجلا من أصحاب النبي (ص) من بني عبد الأشهل كان شهد أحدا قال شهدت أحدا أنا وأخي لي فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله (ص) بالخروج في طلب العدو قلنا لا تقوتنا غزوة مع رسول الله فوالله ما لنا دابة نركبها وما منا إلا جريح يقتل فخرجنا مع رسول الله (ص) وكنت ايسر جرحا من أخي فكنت إذا غلب حملته عقبه ومشى عقبه حتى انتهينا مع رسول الله (ص) إلى حمراء الأسد فمر برسول الله معبد الحزامي بحمراء الأسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله بتهمته صفتهم معه لا يخفون عنه شيئا ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد (ص) والله لقد عز علينا ما أصابك في قومك واصحابك ولوددنا ان الله كان اعفأك فيهم ثم خرج

من عند رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء. واجمروا الرجعة إلى رسول الله (ص) وقالوا قد أصبنا أحد اصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم رجعنا قبل ان نستأصلهم فلما رأى ابا سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد (ص) قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع عليه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيه من اطلق عليكم ما لم أر مثله قط قال ويملك ما تقول قال فأنا والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم قال فأنا والله انهاك عن ذلك فوالله لقد سميتني ما رأيت على ان قلت ابياتا من شعر قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الأصوات راحلتي	إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل
تردى بأسد كرام لا تنابلة	عند اللقاء ولا خرق معازيل
فطلت عدوا أظن الأرض مائلة	لما سموا برئيس غير مخذول
وقلت ويل لابن حرب من لقاءكم	إذا تغطمطت البطحاء بالخيل
إني نذير لأهل السبل ضاحية	لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وحش تنابلة	وليس يوصف ما أثبت بالقييل

قال فتني ذلك ابا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد قيس فقال أين تريدون فقالوا نريد المدينة قال فهل انتم مبلغون عني محمدا رسالة ارسلكم بها اليه واحمل لكم ابلكم هذه زيبا بعكاظ غدا إذا وافيتونا قالوا نعم قال فإذا جئتوه فأخبروه أنا قد اجمعنا الكرة عليه وعلى اصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف ابا سفيان إلى مكة ومر الراكب برسول الله وهو بحمراء الأسد فأخبره بقول ابي سفيان فقال رسول الله واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله إلى المدينة بعد الثالثة وقد ظفر في وجهه ذلك بمعونة ابن المغيرة بن العاص واني مرة الجمحي وهذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآيات في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان قال يوم احد حين أراد أن ينصرف يا محمد موعد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت فقال رسول الله ذلك بيننا وبينك فلما كان العلم المقبل خرج ابا سفيان في اهل مكة حتى مجنة مسن ناحية الظهران ثم التقى الله عليه الرب فبدا له فقهي نعم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابا سفيان إني واعدت محمدا واصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى وان هذه عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمدا ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جرأة فالحق بالمدينة فشبهم واك عندي عشرة من الاول اضعها على يد سهيل بن عمرو فألقى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال لهم بش الرأي رأيكم أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا شريد فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد فكره رسول الله وقال والذي نفسي بيده لا أخرجن ولو وحدي فلما الجبان فإنه رجع واما الشجاع فإنه تاهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية ايام فأقام ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابا سفيان مسن مجنة إلى مكة فسأهم اهل مكة جيش السويق ويقولون إنا خرجتم تشربون السويق ولم يلق رسول الله واصحابه احدا من المشركين ببدر ووافق السوق وكانت لهم تجارات فباعوا وأصابوا للدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين وقد روى ذلك ابو الجارود عن الباقر (ع)

المعنى

(الذين استجابوا لله والرسول) أي اطاعوا الله في أوامره وأطاعوا رسوله (من بعد ما أصابهم القرح) أي تألم الجراح يوم أحد (للذين أحسنوا منهم) بطاعة رسول الله وإجابته إلى الغزو (واقفوا) معاصي الله (لهم أجر عظيم) أي ثواب جزيل (الذين قال لهم الناس) في المعنى به بالناس الأول ثلاثة أقوال ﴿أحدها﴾ أنهم الركب الذين دسهم أبو سفيان إلى المسلمين ليجنّبوهم عند منصرفهم من أحد لما أرادوا الرجوع إليهم من ابن عباس وابن إسحاق وقد مضت قصتهم ﴿والثاني﴾ أنه نعيم بن مسعود الأشجعي وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله ﴿والثالث﴾ أنهم المنافقون عن السدي (إن الناس قد جمعوا لكم) المعنى به أبو سفيان وأصحابه عند أكثر المفسرين أي جمعوا جمعاً كثيرة لكم وقيل جمعوا الأوثان والرجال وإنما عبر بلفظ الواحد عن الجميع في قوله قال لهم الناس لأمري ﴿أحدهما﴾ أنه قد جاءهم من جهة الناس فأقيم كلامه مقام كلامهم وسمي باسمهم ﴿والآخر﴾ أنه لتفخيم الشأن فأخبرهم أي خافوهم ثم بين (ص) أن ذلك القول زادهم إيماناً وثباتاً على دينهم وإقامة على نصرته نبيهم بأن قال (فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) أي كافينا الله وولينا وحفيظنا والمتولي لأمرنا ونعم الوكيل أي نعم الكافي والمتمدد والملجأ الذي يوكل إليه الأمور (فانقلبوا) أي فرجع النبي ومن معه من أصحابه (بنتعة من الله وفضل) أي بعافية من السوء وتجارة رابعة (لم يسهم سؤ) أي قتل عن السدي ومجاهد وقيل النعمة هاهنا الثبوت عن الأيمان في طاعة الله والفضل الربح في التجارة عن الزجاج وقيل إن أقل ما يفعله الله فهو نعمة وما زاد على ذلك فهو الموصوف بأنه فضل والفرق بين النعمة والمنفعة أن النعمة لا تكون نعمة إلا إذا كانت حسنة والمنفعة قد تكون حسنة وقد تكون قبيحة وهذا لأن النعمة يستحق بها الشكر ولا يستحق الشكر بالقبيح (واتبعوا رضوان الله) بالخروج إلى لقاء العدو (والله ذو فضل عظيم) على المؤمنين وقد تضمنت الآية التنبية على أن كل من دهمه أمره فينبغي أن يفرغ إلى هذه الكلمة وقد صحت الرواية عن الصادق (ع) أنه قال عجبت لمن خاف كيف لا يفرغ إلى قوله (حسبنا الله ونعم الوكيل) فأولني سمعت الله يقول بعقبها (فانقلبوا بنتعة من الله وفضل لم يسهم سؤ) وروي عن ابن عباس أنه قال آخر كلام إبراهيم (ع) حين القي في النار حسبنا الله ونعم الوكيل وقال نبيكم مثلها وتلا هذه الآية

قوله تعالى (١٧٥) **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** (آية)

الإعراب

كم من ذلكم للخطاب لا للضمير فلا موضع لها من الإعراب وقوله يخوف يتعدى إلى مفعولين يقال خاف زيد القتال وخوفته القتال

المعنى

ثم ذكر أن ذلك التخويف والتثبيط عن الجهاد من عمل الشيطان فقال (إنما ذلك الشيطان يخوف أولياءه) والمعنى إنما ذلك التخويف الذي كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان وبأغوائه وتوسيله يخوف أولياءه المؤمنين قال ابن عباس ومجاهد وقادة يخوف المؤمنين بالكافرين وقال الزجاج وأبو علي الفارسي وغيرها أن تقديره ويخوفكم أولياءه أي من أوليائه بدلالة قوله (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) أي إن كنتم

مصدقين بالله فقد أعلمتكم اني أنصركم عليهم ومثله قوله لينذر بأساً شديداً اي لينذركم بأساً شديداً فلما حذف الجار نصبه وقيل معناه ان الشيطان يخوف المنافقين الذين هم أولياؤه وانهم هم الذين يخافون من ذلك التخويف بأن يوسوس اليهم ويرهبهم ويعظم أمر العدو في قلوبهم فيقعدها عن متابعة الرسول والمسلمون لا يخافونه لأنهم يشقون بالنصر الموعود ونظيره قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والأول أصح

قوله تعالى (١٧٦) وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ الْأَبْجَلَ لَهُمْ حَقّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٧) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ كُن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آريان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع في جميع القرآن يحزن بضم اليا. وكسر الزاي إلا قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر فإنه فتحها وضم الزاي وقرأ الباقون في جميع القرآن بفتح اليا. وضم الزاي وقرأ أبو جعفر عكس ما قرأ نافع فإنه فتح اليا. في جميع القرآن إلا قوله لا يحزنهم فإنه ضم اليا.

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي قال سيويه تقول فتن الرجل وفتنته وحزن الرجل وحزنته وزعم الحليل انك حيث قلت فتنته وحزنته لم ترد ان تقول جعلته حزينا وجعلته فاتنا كما انك حين تقول ادخلته جعلته داخلا ولكنك أردت أن تقول جعلت فيه حزناً وفتنة كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودعته جعلت فيه دهنا فجئت بفتنته على حدة ولم ترد بفتنته هاهنا تغيير قولك حزن وفتن ولو اردت ذلك لقلت أحزنته وأفتنته قال وقال بعض العرب أفتنت الرجل وأحزنته إذا جعلته فاتنا وحزينا فقروا فعل قال أبو علي فهذا الذي حكيت عن بعض العرب حجة نافع فأما قراءة لا يحزنهم الفزع الأكبر فيشبه أن يكون اتبع فيه أثرا واجب الأخذ بالوجهين

﴿ الإعراب ﴾

قوله شيئا نصب على انه وقع موقع المصدر ويحتمل ان يكون نصبا بحذف اليا. كأنه قال بشي مما يضر به كما يقال ما ضررت زيدا شيئا من نقص مال ولا غيره

﴿ المعنى ﴾

لما علم الله تعالى المؤمنين ما يصلحهم عند تخويف الشيطان إياهم خص رسوله بضرب من التعليل في هذه الآية فقال (ولا يحزنك) ايها الرسول (الذين يسارعون في الكفر) يعني المنافقين عن مجاهد وابن اسحاق وقوم من العرب ارتدوا عن الإسلام عن أبي علي الجبائي (انهم لن يضروا الله شيئا) بكفرهم ونفاقهم وارتدادهم لأن الله تعالى لا يجوز عليه المنافع والمضار وإنما قال ذلك على جهة التسلية لئيه (ص) لأنه كان يصعب عليه كفر هؤلاء. ويعظم عليه امتناعهم عن الإيمان ولا يبعد انه ربما كان يخطر بباله ان مسارعتهم إلى الكفر وامتناعهم عن الإيمان لتفريط حصل من قبله فأمنه الله مسن ذلك واخبر ان ضرر كفرهم راجع اليهم ومقصود عليهم (يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة) اي نصيبا في الجنة وإذا كانت الإرادة تتعلق بما يصح حدوثه ولا يتعلق بأن لا يكون الشيء فلا بد من حذف في الكلام ومعناه انه يريد أن يحكم بحرمان ثوابهم الذي عرضوا له في تكليفهم وان يعاقبهم في الآخرة على سبيل الجزاء لكفرهم ونفاقهم (ولهم عذاب عظيم) هذا ظاهر المعنى وهذا يدل على بطلان مذهب المجبرة لأنه تعالى نسب اليهم المسارعة إلى الكفر وإذا كان ذلك

قد خلقه فيهم فكيف يصح نسبه اليهم ثم استأنف تعالى الاخبار بأن من اشترى الكفر بالايمن وهم جميع الكفار بهذه الصفة فقال (إن الذين اشتروا الكفر بالايمن) اي استبدلوا الكفر بالايمن وقد بينا فيما تقدم ان اطلاق لفظ الشراء على ذلك مجاز وتوسع وإنما شبه استبدالهم الكفر بالايمن بشراء السلعة بالثمن (لن يضروا الله شيئا) إنما ذكر هذا لأنه إنما ذكر في الآية الأولى على طريقة العلة لما يجب من التسلية عن المسارعة إلى الضلالة وذكر في هذه الآية على وجه العلة لاختصاص المضرة بالعاصي دون المعصي والفرق بين المضرة والاساءة ان الاساءة لا تكون إلا قبيحة والمضرة قد تكون حسنة إذا كانت مستحقة او على وجه اللطف او فيها نفع يوفي عليها او دفع ضرر اعظم منها (ولهم عذاب أليم) اي مؤلم

قوله تعالى (١٧٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرًا لَّا نَفْسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَكَأَنَّهُمْ عَذَابٌ مُّبِينٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يبخلون ولا يحسبن الذين يفرحون كلهن بالياء وكسر السين وكذلك فلا يحسبنهم بضم الباء وبالياء وكسر العين وقرأ حمزة كلها بالياء وفتح السين وفتح الباء من يحسبنهم وقرأ اهل المدينة والشام ويعقوب كلها بالياء إلا قوله فلا تحسبنهم بالياء وفتح الباء إلا ان اهل المدينة ويعقوب كسروا السين وفتحها الشامي وقرأ عاصم والكسائي وخلف كل ما في هذه السورة بالياء إلا حرفين ولا يحسبن الذين كفروا ، ولا يحسبن الذين يبخلون فإنها بالياء غير ان عاصم فتح السين وكسرها الكسائي

« الحجة والأعراب »

من قرأ بالياء فالذين في هذه الآية في موضع الرفع بانه فاعل وإذا كان الذين فاعلا ويقتضي حسب مفعولين او مايسد مسد المفعولين نحو حسبت ان زيدا منطلق وحسبت أن يقوم عمرو فقوله تعالى انما نملي لهم خيرا لانفسهم قد سد مسد مفعولين للذين يقتضيه يحسبن وما يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بمعنى الذي فيكون تقديره لا يحسبن الذين كفروا ان الذي نمليه لهم خيرا لانفسهم ﴿ والآخر ﴾ ان يكون ما نملي بمنزلة الاملاء فيكون مصدرا وإذا كان مصدرا لم يقتض راجعا اليه وقال المبرد من قرأ يحسبن بالياء فتح ان ويقبح الكسر مع الياء وهو جائز على قبحه لأن الحساب ليس بفعل حقيقي فهو يبطل عمله مع ان المكسورة كما يبطل مع اللام كما يجوز حسبت لعبد الله منطلق يجوز على بعد حسبت ان عبد الله منطلق وقال ابو علي الوجه فيه ان يتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء وتدخل كل واحد منهما على الابتداء والحبر فكانه قال لا يحسبن الذين كفروا للأخرة خيرا لهم واما قراءة حمزة بالياء من تحسبن ويقبح ان فقد خطأ البصريون في ذلك لأنه يصير المعنى ولا تحسبن الذين كفروا املاءنا وذلك لا يصح غير ان الزجاج قال يجوز على البدل من الذين والمعنى ولا تحسبن املاءنا الذين كفروا خيرا لهم ومثله في الشعر

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بيان قوم تهدما

قال ابو علي لا يجوز ذلك لأنك إذا ابدلت إن من الذين كفروا لزمك ان تنصب خيرا من حيث كان المفعول الثاني ولم ينصب احد من القراء وإذا لم يصح البدل لم يجز فيه الاكسران على ان يكون ان وخبرها في موضع المفعول الثاني من تحسبن

﴿ اللغة ﴾

الإملاء اطالة المدة والملي الحين الطويل والملاّ الدهر والملوان الليل والنهار لطول تعاقبها

﴿ النزول ﴾ =

تزلت في مشركي مكة عن مقاتل وفي قريظة والنضير عن عطاء.

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ان امهال الكفار لا ينفعهم إذا كان يؤدي إلى العقاب فقال (ولا يحسبن) اي لا يظنن (الذين كفروا إننا ننلي لهم خير لأنفسهم) اي ان اطالتنا لأعمارهم وامهالنا ايامهم خير لهم من القتل في سبيل الله بأحد لأن قتل الشهداء اداهم إلى الجنة وبقاء هؤلاء في الكفر يؤديهم إلى العقاب ثم ابتدأ سبحانه فقال (إننا ننلي لهم) اي اننا نطيل عمرهم ونترك المعاملة لعقوبتهم فيزدادوا انما اي لتكون عاقبة امرهم بازيدادهم الاثم فيكون اللام لام العاقبة مثل اللام في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم إننا أخذوه ليكون لهم سرورا وقررة عين ولكن لما علم الله انه يصير في آخر عمره عدوا وحزنا قال كذلك ومثله في قول الشاعر

أموالنا لذوي الميراث نجتمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها
وقول الآخر

أم سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالده
وقول الآخر

فللموت تغزو الوالدات سخاها كما لخراب الدهر تبني المساكن

وقول الآخر (لدوا للموت وابنوا للخراب) ولا يجوز أن يكون اللام لام الارادة والغرض لوجهين ﴿ أحدهما ﴾ ان ارادة القبيح قبيحة وتلك عنه سبحانه منفية « والآخر » لو انها كانت لام الارادة لوجب أن يكون الكفار مطيعين لله تعالى من حيث فعلوا ما وافق ارادته وذلك خلاف الاجماع وقد قال عز اسمه وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله وما أمروا إلا ليعبدوا الله والقرآن يصدق بعضه بعضا وعلى هذا فلا بد من تخصيص الآية فيمن علم منه انه لا يؤمن لأنه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه اليهم هذا الوعيد المخصوص وقال ابو القاسم البلخي معناه ولا يحسبن الذين كفروا ان املائنا لهم رضا بأفعالهم وقبول لها بل هو شر لهم لأننا ننلي لهم وهم يزدادون انما يستحقون به العذاب الأليم ومثله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اي ذرأنا كثيرا من الخلق سيصيرون إلى جهنم بسوء افعالهم وقد يقول الرجل لغيره وقد نصحه فلم يقبل نصحه ما زادك نصحي إلا شرا ووعظي الافسادا ونظيره قوله حتى انسوكم ذكرى ومعلوم ان الرسل ما أنسوهم ذكر الله على الحقيقة وما بشوا إلا للتذكير والتنبيه دون الانسا. مع ان الانسا ليس من فعلهم فلا يجوز اضافته اليهم ولكنه إننا أضيف اليهم لأن دعاءهم إياهم لما كان لا ينجع فيهم ولا يرددهم عن معاصيهم فأضيف الانسا اليهم وفي هذا المعنى قوله حكاية عن نوح فلم يزددهم دعائي إلا فرارا وروي عن أبي الحسن الأخفش والاسكافي انها قالوا ان في الآية تقديما وتأخيرا وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا إننا ننلي لهم ليزدادوا انما اي اننا ننلي لهم خيرا لأنفسهم وهذا بعيد لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون انما الأخيرة مفتوحة الهزة لأنها معمول ليحسبن على هذا القول وان يكون انما الأولى مكسورة الهزة لأنها مبتدأ على هذا القول والتقديم والتأخير لا يغيران الاعراب عن استحقاقه وذلك خلاف ما عليه القراءة لأن القراء قد أجمعوا على كسر الثانية واكثرهم على فتح الأولى (ولهم عذاب مهين) يعنيهم في نار جهنم

قوله تعالى (١٧٩) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَأَمَّنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (آية)

= [القراءه] =

قرأ أهل الحجاز والشام وابو عمرو وعاصم حتى يميز وليبزر بالتخفيف والباقون بالشديد وضم الياء الأولى
- [الحجة] -

ماز يميز فعل متعد إلى مفعول واحد كما ان ميز فعل متعد إلى مفعول واحد ويقال ميزته فلم يميز وزلته فلم يزل والتضيف في ميز ليس للتعدي والنقل كما ان التضيف في عوض ليس للنقل من عوض لأن عوض متعد إلى مفعولين كما في قول الشاعر

عاضها الله غلاماً بعد ما شابت الأصداع والضرس فقد

فلو كان التضيف في عوض للنقل لتعدى إلى ثلاثة مفاعيل فعوض وعاض لثان في معنى واحد مثل ميزوماز

﴿ النزول ﴾

قبل ان المشركين قالوا لآبي طالب ان كان محمدا صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فإن وجدنا مخبره كما اخبر آمتنا به فذكر ذلك للنبي (ص) فأنزل الله هذه الآية عن السدي والكلبي وقيل سأل المؤمنون أن يعطوا علامة ليعرفون بها بين المؤمن والمنافق فنزلت الآية عن ابي العالية والضحاك

- (المعنى) -

(ما كان الله ليدر المؤمنين) اي ليدع ومعناه لا يدع الله المؤمنين على ما اتم عليهم يا أهل الكفر من الابهام واشتباه المخلص بالمنافق اي لم يكن يجوز في حكم الله ان يذرهم على ما كنتم عليه قبل مبعث النبي بل يتعدكم حتى يميز الخبيث من الطيب أي الكافر من المؤمن عن قتادة والسدي وقيل حتى يميز المنافق من المخلص يوم احد على ما مضى شرحه عن مجاهد وابن اسحاق وابن جريح وقيل هو خطاب للمؤمنين وتقديره ما كان الله ليدركم يا معشر المؤمنين على ما اتم عليكم من التباس المؤمن بالمنافق وعلى هذا فيكون قد رجع من الخبر إلى الخطاب كقوله حتى إذا كنتم في الغلغلة وجريتم بهم واختلقت في انه بأي شيء يميز بين الخبيث والطيب فقيل بالامتحان وتكليف الجهاد ونحوه بما يظهر به الحال كما ظهر يوم احد بأن ثبت المؤمنون وتخلت المنافقون عن الجبائي وقيل بالآيات والدلالات التي يستدل بها عليهم وقيل بأن ينصر الله المؤمنين ويكفرهم ويعز الدين ويذل الكافرين والمنافقين عن ابي مسلم وقيل بأن يفرض الفرائض فيثبت المؤمن على إيمانه ويتميز من ينقلب على عقبيه (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أي ما كان الله ليظهر على غيبه أحدا منكم فتعلموا ما في القلوب ان هذا مؤمن وهذا منافق (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) اي يختار من يشاء فيطعمه على التيب اي يوقفه على علم الغيب ويعرفه إياه (فأمنوا بالله ورسوله) كما أمرهم (وان تؤمنوا) أي تصدقوا (وتتقوا) عقابه بلزوم امره واجتناب نهيه (فللكم) في ذلك (اجر عظيم) وقيل معناه يصطفي من رسله من يشاء ممن يصلح له ولا يطلعه على الغيب عن السدي وفي هذه الآية دلالة على انه يجوز ان يصلح جماعة لرسائله فيختار منهم من يشاء اما لانه اصلح وبالتالي اقوم وعن المنفقات ابعد واما لأنهم قد تساوا في جميع الوجوه فيختار من يشاء من بينهم لأن النبوة ليست مستحقة ولا جزاء وفيها دلالة على ان الثواب مستحق بالايان والتقوى خلافا لمن قال انه تفضل

قوله تعالى (١٨٠) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ
بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ الْمِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (آية)

— (القراءة) —

ذكرنا اختلاف القراءة فيه فمن قرأ يحسبن بالياء فالذين يبخلون فاعل يحسبن والمفعول الأول محذوف من اللفظ لدلالة اللفظ عليه وهو مثل قولك من كذب كان شره له أي كان الكذب شره له وكذلك في الآية لا يحسبن الذين يبخلون بأمتهم الله من فضله البخل هو خير لهم فدخلت هو فصلا لأن تقدم يبخلون بمنزلة تقدم البخل ومن قرأ بالتاء فالفاعل للمخاطب وهو النبي والذين يبخلون مفعول أول تحسبن وخير لهم المفعول الثاني وفي الكلام حذف تقديره ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون خير لهم وهو فصل وإنما احتجت إلى هذا المحذوف ليكون المفعول الثاني هو الأول في المعنى لأن هذه الأفعال انما تدخل على المبتدأ والخبر وإذا كان الخبر مفردا فيجب ان يكون هو المبتدأ في المعنى والبخل هو منع الواجب لأنه توعد عليه وذم به واصله في اللغة المشقة في الاعطاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب يعلون بالياء كناية عن الذين يبخلون والباقون بالتاء على الخطاب

﴿ المعنى ﴾

(ولا يحسبن) الباخلون (الذين يبخلون بأمتهم الله من فضله) أي اعطاهم الله من الأموال فيبخلون باخراج الحقوق الواجبة فيها ذلك البخل هو خير لهم بل هو شر لهم وعلى القراءة الأخرى لا تحسبن أيها السامع اولا تظنن يا محمد فالخطاب له والمراد غيره بخل الذين يبخلون خير لهم بل هو شر لهم أي ليس كذلك كما يظنون بل ذلك البخل شر لهم (سيطون ما يجلبو به يوم القيامة) اختلف في معناه فقيل يجعل ما بخل به من المال طوقا في عنقه والآية نزلت في معاني الزكاة وهو المروي عن أبي جعفر وهو قول ابن مسعود وابن عباس والسدي والشعبي وغيرهم وروي عن النبي انه قال ما من رجل لا يؤدي الزكاة إلا جعل في عنقه شجاع يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وقال ما من ذي رحم يأتي داره من بسأله من فضل اعطاه الله إياه فيبخل به عنه إلا اخرج الله له من جهنم شجاعاً يتلمظ بلسانه حتى يبلوقه وتلا هذه الآية وقيل معناه يجعل في عنقه يوم القيامة طوقا من نار عن النخعي وقيل معناه يكلفون يوم القيامة ان يأتوا بأبخلوا به من أموالهم عن مجاهد وقيل هو كقوله يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فمعناه انه يجعل طوقا فيعذب بها عن الجبائي وقيل معناه انه يعود عليهم وباله فيصير ملوقا لأعناقهم كقوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه عن ابن مسلم قال والعرب يعبر بالرقبة والعنق عن جميع البدن الا ترى الى قوله فتحرير رقبة ويروي عن ابن عباس ايضا ان المراد بالآية الذين يبخلون بيان صفة محمد (ص) والفضل هو التوراة التي فيها صفته والاول اليق بسياق الآية (وله ميراث السماوات والارض) معناه يموت من في السماوات والارض ويبقى تعالى هو جل جلاله لم يزل ولا يزال فيطل ملك كل مالك إلا ملكه وقد تضمنت الآية الحث على الاتفاق والمنع عن الإمساك من قبل ان الأموال إذا كانت بعرض الزوال اما بالموت او بغيره من الآفات فأجدر بالعاقل ان لا يبخل بانفاقه ولا يعرض عن أمساكه فيكون عليه وزره وغيره نفعه (والله بما تعملون خبير) هذا تأكيد للوعد والوعيد في انفاق المال لأجر الثواب والأجر والسلامة من الأثم والوزر

« النظم »

الوجه في اتصال الآية بما قبلها هو انهم كما مجلوا بالجهاد مجلوا بالاتفاق والزكاة عن علي بن عيسى وقيل انهم مع ما تقدم من احوالهم كتبوا أمر محمد (ص) ومجلوا ببيانته

قوله تعالى (١٨١) لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهُ فَاقِرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨٢) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (آيتان)

-(القراة)-

قرأ حمزة سيكتب بضم الياء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء. وقرأ الباقون سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب ونقول بالنون

-(الحجة)-

الوجه في قراة من قرأ سنكتب ان النون هاءنا بعد الاسم الموضوع للنية فهو مثل قوله بل الله مولاكم ثم قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ولو قال سيكتب بالياء. امكن في الافراد كتوله وقذف في قلوبهم الرعب وقوله كتب الله لاغلبن أنا ورسلي وقوله ونقول معطوف على سنكتب والوجه في قراة حمزة وقتلهم انه عطف على ما قالوا وهو في موضع رفع ومن قال وقتلهم فإنه عطفه على ما قالوا ايضا وهو في موضع نصب بأنه مفعول به

« اللغة »

يقال سمع يسمع سماعا إذا أدرك بهاسة الاذن والله يسمع من غير ادراك بهاسة والسميع من هو على حالة يسمع لأجلها المسوعات إذا وجدت والسماع المدرك لذلك وقال المحققون ان الله تعالى سميع فيا لم يزل وسماع عند وجود المسوع وكونه سميحا بصيرا ليس بصفة زائدة على كونه حيا وكونه مدر كصفة زائدة على كونه حيا وكونه سامعا مبصرا علما بمعناه وقال ابو القاسم البلخي فائدة كونه سميحا بصيرا انه يعلم المسوعات والمبصرات وهو لا يثبت للتدبير تعالى صفة الادراك وقال الخليل كل ما تزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه إلا انه توسع وجاء في الخبر حتى تذوقني من عسيلته ويذوق من عسيلتك كني بذلك عن الجماع وهذا من الكنايات المليحة والحريق النار وكذلك الحرق بفتح الراء والحرق بسكونه المصدر لقولهم حرقت الشيء اذا بردته بالبرد

﴿ الإعراب ﴾

موضع الباء في قوله بما قدمت ايديكم رفع لأنها في موضع خبر المبتدأ وهو ذلك وهي متصلة بالاستقرار كأنه قيل ذلك استقر بما قدمت ايديكم وان الله إنما فتح ان لأنه معطوف على ما عمل فيه الباء وتقديره بان الله موضعه فهو جر

﴿ النزول ﴾

لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنيا. وقائله حي ابن اخطب عن الحسن ومجاهد وقيل كتب النبي (ص) مع أبي بكر الى يهود بني قينقاع يدعهم الى اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فدخّل أبو بكر بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا منهم اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فتاح بن عازورا فدعاهم الى الإسلام والصلاة والزكاة فقال فتاح ان كان

ما تقول حقا فإن الله إذا لفقير ونحن أغنياء ولو كان غنيا لما استقرضنا أموالنا فنضرب أبو بكر وضرب وجهه
فأنزل الله هذه الآية عن عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق

المعنى

ثم ذكر سبحانه خصلة أخرى من خصالم الذميمة فقال (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير)
قيل معناه ادرك قولهم وقيل علم ذلك عن البلخي (أن الله فقير) أي ذو حاجة لأنه يستقرض منا (ونحن
أغنياء) عن الحاجة وقد علموا أن الله لا يطلب القرض وإنما ذلك لتلطيف في الاستدعاء الى الإنفاق وإنما
قالوه تليسا على اعوامهم وقيل معناه قالوا ان الله فقير لأنه يضيق علينا الرزق ونحن أغنياء لأننا نوسع الرزق
على أهلينا (سنكتب ما قالوا) قيل معناه سنحفظ ما قالوا وكفى بالكتابة عن الحفظ لأنه طريق الى الحفظ
وقيل تأمر بكتبت ذلك في صحائف اعمالهم وإنما يفعل ذلك مبالغة في الزجر عن المعصية لأن المكلف إذا علم ان
افعله واقواله مكتوبة في الصحائف وانه لا بد من عرضها عليه ومن قراءته على روثوس الأَشهاد يوم التناد
كان ذلك أبلغ له في الزجر عن المآثم وامنع عن ارتكاب الجرائم (وقتلهم الأنبياء بغير حق) أي وسنكتب
قتل اسلافهم الأنبياء ورضى هؤلاء به فيجازي كلا بفعله وفيه دلالة على ان الرضا بفعل القبيح يجري مجراه
في عظم الجرم لأن اليهود الذين وصفوا بقتل الأنبياء لم يتولوا ذلك بأنفسهم وإنما ذموا بذلك لأنهم بمنزلة
من تولاه في عظم الاثم (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) يعني المحرق وإنما الفائدة فيه ان يعلم ان العذاب
بالتار التي تحرق وهي المتهبة لأن ما لم يتهب لا يسمى حريقا وقد يكون العذاب بغير النار ويفيد قوله ذوقوا
انكم لا تخلصون من ذلك ويقال ذق هذا البلاء أي انك لست بتاج منه (ذلك) اشارة الى ما سبق أي
ذلك العقاب (بما قدمت ايديكم) معناه بما كنتم عملموه وجنتموه على أنفسكم (وان الله ليس بظلام للمبيد)
أي بأن الله لا يظلم احدا من عباده وإنما أضافه الى اليد وإن كانت تكتسب الذنوب بجميع الجوارح لأن
عامة ما يكسبه الانسان إنما يكسبه بيده ولأن العادة قد جرت باضافة الاعمال التي يلبسها الانسان الى
اليد وان كانت اكنسبها بجارحة أخرى فجرى خطاب القديم تعالى على عاداتهم وفي هذا دلالة على بطلان
مذهب المجبرة لأنه يدل على انه لو وقع العقاب من غير جرم سلف من العبد لكان ظلما وذلك على خلاف
ما يذهبون اليه من انه سبحانه يعذب الكفار من غير جرم سلف منهم وانه يخلق فيهم الكفر ثم يعذبهم عليه
لأنه لا ظلم أعظم من ذلك وإنما ذكر لفظ الظلام وهو للتكثير تأكيذا لنفي الظلم عنه

قوله تعالى (١٨٣) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ اِلَيْنَا اَلَّا نُوْمِنَ بِرُسُوْلِ حَتَّى يَأْتِيَنَا
بِظُرْبَانٍ تَأْكُلُ النَّارُ قُلُوبَهُمْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَاَلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ
اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ (١٨٤) فَاِنْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ نَكْتُمُوكُمْ فَكَيْفَ تَكْفُرُوْنَ (١٨٥) فَاِنْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ نَكْتُمُوكُمْ فَكَيْفَ تَكْفُرُوْنَ
وَالزُّبُرِ وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ (آيتان)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده وبالزبر بالباء وكذلك هي في مصاحف الشام كما في فاطر والباقون بغير باء

﴿ الحجة ﴾

من حذف فلان واو العطف أغنت عن تكرار العامل ومن أثبتنا فلان كرر العامل تأكيداً وكلاهما حسن

﴿ اللغة ﴾

القربان مصدر على وزن عدوان وخسران تقول قربت قربانا وقد يكون اسماً كالبرهان والسلطان وهو كل يرقب به العبد الى الله والزبر جمع زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور قال امرؤ القيس
لمن طلل أبصرته فشحاني كخط زبور في عسيب يمان
تقول زبرت الكتاب إذا كتبه وزبرت الرجل إذا زجرته والزبرة مجتمع الشعر على كتف الأسد
وزبرت البئر إذا أحكمت طيها بالحجارة فهي مزبورة والزبر العقل وإنما جمع بين الزبر والكتاب ومعناها
واحد لأن أصلها يختلف فهو كتاب يضم حروف بعضها الى بعض وزبور لما فيه من الزجر على خلاف
الحق وإنما سمي كتاب داود زبوراً لكثرة ما فيه من المواعظ والزواجر

﴿ الإعراب ﴾

الذين قالوا محله جر رداً على الذين قالوا ان الله فقير على تقدير وسمع قول الذين

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت الآية في جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا
وفنحاص بن عازورا قالوا يا محمد (ص) ان الله عهد الينا في التوراة ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان
تأكله النار فان زعمت ان الله بعثك الينا فنجثنا به نصدقك فأنزل الله هذه الآية عن الكابري وقيل ان الله
أمر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه نبي فلا تصدقوه حتى يأتي بقربان تأكله النار حتى يأتيكم
عيسى ومحمد فإذا أتياكم فآمنوا بهما بغير قربان

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر قولهم الآخر فقال (الذين قالوا) لئيبهم (ان الله عهد الينا) أي أمرنا وقيل اوصانا في كتبه
وعلى السن رسله (أن لا نؤمن لرسول) أي لا نصدق رسولا فيما يقول من انه جاء به من عند الله تعالى
(حتى يأتينا بقربان) أي حتى يبيثنا بما يتقرب به الى الله من صدقة او بر تقبل منه وقوله تأكله النار بيان
لعلامة التقبل فإنه كان علامة قبول قربانهم أن تنزل النار من السماء فتأكله وكان يكون ذلك دلالة على
صدق المقرب فيما ادعاه عن ابن عباس (قل) يا محمد هو لولا اليهود (قد جاءكم رسل من قبلي) يعني
جاء اسلافكم (بالبينات) أي بالحجج الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم وحقيقة قولهم كما كنتم تقتربون
وتطلبون منهم (وبالذي قتلتم) معناه وبالقربان الذي قتلتم (فلم تقتلتموه) أراد بذلك زكريا ويحيى وجميع
من قتلهم اليهود من الأنبياء يعني لم تقتلتموه وانتم مقرون بأن الذي جاؤوكم به من ذلك كان حجة لهم
عليكم (ان كنتم صادقين) فيما عهد إليكم مما ادعيتهموه وهذا تكذيب لهم في قولهم ودلالة على عنادهم وعلى
ان النبي (ص) لو أتاهم بالقربان المتقبل كما ارادوه لم يؤمنوا به كما لم يؤمن آباؤهم بالأنبياء الذين أتوا به
وبغيره من المعجزات وإنما لم يقطع الله عذرهم بما سألوه من القربان الذي تأكله النار ولعله تعالى بأن في

الإتيان به مفسدة لهم والمعجزات تابعة للمصالح ولأن ذلك اقتراح في الأدلة على الله والذي يلزم في ذلك أن يزيح عنهم بنصب الأدلة فقط (فإن كذبك فقد كذب رسل من قبلك) هذا تسلية للنبي (ص) في تكذيب الكفار إياه وذلك بأنه تعالى أخبر بأنه ليس بأول مكذب من الرسل بل كذب قبله رسل (جاؤوا بالبينات) أي المعجزات الباهرات (والزبير) أي الكتب التي فيها الحكم والزواجر (والكتاب المنير) قيل المراد به التوراة والانجيل لأن اليهود كذبت عيسى وما جاء به من الانجيل وحرفت ما جاء به موسى من صفة النبي (ص) وبدلت عهده اليهم فيه والنصارى أيضا جحدت ما في الانجيل من نعمته وغيرت ما أمرهم به فيه والمنير الذي ينير الحق لمن اشتبه عليه وقيل المنير الهادي إلى الحق

قوله تعالى (١٨٥) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (آية)

= [اللغة] =

يقال لكل من نجا من هلكة وكل من لقي ما يهبط به فقد فاز وتأويل فاز تباعد عن المكروه ولقي ما يجب ومعنى قولهم مغازة للمهلكة التغال وإنما المغازة المنجاة كما سموا الذئب سليبا والأعشى بصيرا

= [المعنى] =

ثم بين سبحانه ان مرجع الخلق اليه فيجازي المكذبين رسله على اعلمهم من حيث حتم الموت على جميع خلقه فقال (كل نفس ذائقة الموت) أي ينزل فيها الموت لا محالة فكأنها ذائقة وقيل معناه كل نفس ذائقة مقدمات الموت وشدائده وسكرته كقوله تعالى حتى إذا جاء أحدهم الموت وعلى هذا جاء قوله (ع) لقنوا أمواتكم شهادة أن لا إله إلا الله وهذا الظاهر يدل على ان كل نفس تذوق الموت وان كانت مقتولة وان القتل لا ينفك من الموت الذي هو فعل الله وقيل ان المراد بالموت هنا اتفان الحياة والقنيل قد اتفت الحياة منه والقنيل فهو داخل في الآية (وإنا توفون أجوركم) معناه وإنما تعطون جزاء أعمالكم وإياها (يوم القيامة) ان خير أفضيها وثوابها وإن شرافتها وعقابها فإن الدنيا ليست بدار جزاء وإنما هي دار عمل والآخرة دار جزاء وليست بدار عمل (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة) أي بوعده عن نار جهنم ونجى عنها وأدخل الجنة (فقد فاز) نال المنية وظفر بالبقية ونجا من الهلكة (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) ومعناه ما لذات الدنيا وشهواتها وزينتها إلا متعة متمكموها الغرور والخذاع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الاختبار لأنكم تلتذون بها ثم إنهم تعود عليكم بالرزايا والفجائع ولا تكونوا البها ولا تغتروا بها فإنها هي غرور صاحبها مغرور وقيل متاع الغرور القوادير وهي في الأصل ما لا بقاء له عن عكرمة وفي الآية دلالة على ان أقل نعيم من الآخرة خير من نعيم الدنيا بأسره ولذلك قال (ع) موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وفيها دلالة على ان كل حي سيموت ولولا ورود السمع بذلك لكان يجوز في العقل ان يتصل حياتهم إلى وقت المجازاة وإذ قيل أليس من قولكم لا بد من القطع بين حال التكليف وحال المجازاة فجوابه ان ذلك القطع كان يجوز ان يحصل مع بقاء الحياة وفيها دلالة على ان المقتول يحصل فيه الموت وقد اختلف في الموت قول أبي علي وأبي هاشم فعند أبي علي الموت معنى يصاد الحياة وعند أبي هاشم عدم الحياة فعلى كلا المذهبين يجوز حصوله في المقتول

قوله تعالى (١٨٦) تَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَتَسْمَعُونَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (آية)

﴿ الإعراب ﴾

اللام في قوله لتبلون لام التأكيد وفيه معنى القسم والتون تأكيد القسم وإنما ضمت الواو في لتبلون ولم تكرر لالتقاء الساكنين لأنها واو الضمير حركت بما كان يجب لما قبلها من الضم ومثله اشتروا الضلالة بالهدى ولو كانت الواو حرف الإعراب لفتحت نحو هل تغزون زيدا

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية في كعب بن الأشرف وكان هجو النبي (ص) والمؤمنين ويحرض المشركين عليهم ويشبها بنساء المسلمين فقال (ص) من لي بأبن الأشرف فقال محمد بن سلمة أنا يا رسول الله فخرج هو وأبو نائلة مع جماعة فقتلوه غيلة وأتوا برأسه إلى النبي (ص) آخر الليل وهو قائم يصلي عن الزهري وقيل نزلت في فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع لما بعث رسول الله أبا بكر إليه ليستمده وكتب إليه كتابا فلما قرأه قال قد احتاج ربكم إلى أن غده فهم أبو بكر بضربه ثم ذكر قول النبي (ص) لا تفتانني بشي حتى ترجع فكف عن عكرمة ومقاتل

= [المعنى] =

ثم بين تعالى أن الدنيا دار محنة وابتلاء وإنما أتى زويت عن المؤمنين ليصبروا فيؤجروا فقال (لتبلون) أي لتوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدائد (في أموالكم) بذهايا ونقصانها (وفي أنفسكم) أيها المؤمنون بالقتل والمصاب مثل ما نالكم يوم أحد ويقال بفرض الجهاد وغيره من الفرائض والقرب التي أمرنا بها وإنما سماه بلوس مجازا فإن حقيقة الاختبار والتجربة لا يجوز على الله لأنه العالم بالأشياء قبل كونها وإنما يفعل ذلك لتمييز المحق من المبطل عن أبي علي الجبائي (وتسمع من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا) يعني كفار مكة وغيرهم (أذى كثيرا) يعني ما سمعوه من تكذيب النبي (ص) ومن الكلام الذي يفهمه « وان تصبروا وتتقوا » يعني ان صبرتم على ذلكم وتمسكتم بالطاعة ولم تجزعوا عنده جزعا يبلغ الإثم « فإن ذلك من عزم الأمور » أي مما بان رشده وضوابه ووجب على العاقل العزم عليه وقبل من عزم الأمور

قوله تعالى (١٨٧) وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَاذْكَرَهُمْ وَنُهُ قَبْدُوهُ وَرَأَوْ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم لبيئته بالياء ولا يكتبونه بالياء أيضا والباقون بالتاء فهم

- (الحجّة) -

حجة من قرأ بالثاء واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم والاتفاق عليه وكذلك قوله واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله وقد تقدم القول في ذلك وحجة من قرأ بالياء ان الكلام حمل على الغيبة لأنهم غيب

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عنهم تقض الميثاق والعهود بعد حكايتهم عنهم التكذيب بالرسول قال (واذا أخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب) قيل اراد به اليهود خاصة وقيل اراد اليهود والنصارى وقيل اراد به كل من اوتي علماً بشي من الكتب (لتبينه للناس) أي لئظهرنه للناس والهاء عائدة إلى محمد (ص) في قول سعيد ابن جبير والسدي لان في كتابهم ان محمداً رسول الله (ص) وان الدين هو الإسلام وقيل الهاء عائدة إلى الكتاب فيدخل فيها بيان أمر النبي (ص) لأنه في الكتاب عن الحسن وقتادة (ولا تكتمونه) أي ولا تخفونهم عند الحاجة (فنبذوه وراء ظهورهم) ومعناه ضيعوه وتركوه وراء ظهورهم فلم يعملوا به وإن كانوا مقرين به عن ابن عباس ويقال لمن يطرح الشي ولا يعأ به رماه بظهره قال الفرزدق

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعأ علي جوابها

(واشتروا به ثمناً قليلاً) أي استبدلوا بهد الله عليه ومخالفتهم وميثاقه عوضاً يسيراً من حطام الدنيا يعني ما حصلوه لأنفسهم من المأكله والرشا والهدايا التي اخذوها من شيوخهم (فبئس ما يشترون) أي بئس الشي ذلك اذ يستحقون به العذاب الأليم وان كان نفعا عاجلاً ودلت الآية على وجوب اظهار الحق وتحريم كتمانه فيدخل فيه بيان الدين والأحكام والفتاوى والشهادات وغير ذلك من الأمور التي يختص بها العلماء وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن الحسن بن عمار قال اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فألفيته على بابيه فقلت ان رأيت ان تحدثني فقال او ما علمت اني تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن نجم الجزائر قال سمعت علي بن ابي طالب (ع) يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثاً

قوله تعالى (١٨٨) لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا رباً لم يفعلوا فلا تحسبتهم بمقازة من العذاب ولهم عذاب أليم (آية)

- (القراءة) -

قد ذكرنا اختلاف القراءة في تحسبن وتحسبتهم فيما قبل

﴿ الحجّة ﴾

قال ابو علي من قرأ لا يحسبن بالياء فلا يحسبهم فالذين في موضع رفع بأنه فاعل يحسبن ولم يوقع يحسبن على شي قال ابو الحسن لا يعجبني قراءة من قرأ الأولى بالياء لأنه لم يوقعه على شي ويرى نفسه لم يستحسن ان لا يعدي حسب لأنه قد جرى مجرى اليعسب في نحو علم الله لافعلن ولقد علمت لتأتين

منيتي وظنوا ما لهم من محبص فكأن القسم لا يتكلم به حتى يعلق بالمقسم عليه فكذلك ظننت وعلمت في هذا الباب وايضا فقد جرى في كلامهم لغوا وما جرى لغوا لا يكون في حكم الجمل المفيدة ومن ثم جاء نحوه وما خلت ابقي بيننا من مودة عراض المذاكي المستغاث القلايصا وانما هو وما ابقى بيننا فالوجه في هذه القراءة انه لم يعد حسبت إلى مفعوليه اللذين يقتضيهما لأن حسبت في قوله فلا تحسبنهم بمغازة من العذاب لما جعل بدلا من الأول وعدي إلى مفعوليه استغنى بهما عن تعدية الأول اليها كما استغنى في قوله

بأي كتاب أو بأية سنة ترى حبههم عارأعلي وتحسب

بتعدية أحد الفعلين إلى المفعولين عن تعدية الآخر اليها والقاء زايدة فالتقدير لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا بمغازة من العذاب واما قراءة فلا تحسبنهم بضم الباء فإن فعل الفاعل الذي هو يحسبن تعدى إلى ضميره وحذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة فإن قيل هلا لم تحذف الواو من تحبون وأثبتها كما ثبتت في ثمود واتحاجوني ونحو ذلك مما يثبت فيه التقاء الساكنين لما في الساكن الأول من زيادة المد التي تقوم مقام الحركة فالتقول فيه انه حذفت كما حذفت مع الخفيفة ألا ترى انك لو قلت لا تحسبن زيدا ذاهب لم يلزمك الحذف فاجرى الثقيلة مجرى الخفيفة في هذا وقوله بمغازة من العذاب في موضع المفعول الثاني وفيه ذكر للمفعول الأول وفعل الفاعل في هذا الباب يتعدى إلى ضمير نفسه نحو ظننتني أخاك لأن هذه الأفعال لما كانت تدخل على المبتدأ والخبر اشبهت ان واخواتها في دخولها على المبتدأ والخبر كدخول هذه الأفعال عليهما وذلك قولك ظننتني ذاهبا كما تقول اني ذاهب وبما يدل على ذلك قبح دخول النفس عليها لو قلت اظن نفسي تفعل كذا لم يحسن كما يحسن اظنني فاعلا فأما قراءة نافع وابي جعفر وابن عامر لا يحسبن بالياء فلا تحسبنهم بالياء وفتح الباء فمثل قراءة ابن كثير وابي عمرو إلا في قوله فلا تحسبنهم والمفعولان اللذان يقتضيهما الحسبان في قوله لا يحسبن الذين يفرحون محذوفان لدلالة ما ذكر من بعد عليهما ولا يجوز البدل هنا كما جاز هناك لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما وأما قراءة حمزة بالياء فليهما محذوف المفعول الثاني الذي يقتضيه تحسبن لأن ما يجيء من بعد قوله فلا تحسبنهم بمغازة من العذاب يدل عليه ويجوز ان يجعل تحسبنهم بدلا من تحسبن والقاء زائدة كما في قوله (فإذا هلكت فمعد ذلك فاجزعي)

﴿ النزول ﴾

نزلت في اليهود حيث كانوا يفرحون باجلال الناس لهم ونسبتهم اياهم إلى العلم عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل النفاق لأنهم كانوا يجمعون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله (ص) فإذا رجعوا اعتذروا وأجروا أن يقبل منهم العذر ويحمدوا بما ليسوا عليه من الايمان عن ابي سعيد الخدرى وزيد بن ثابت وقيل أتت يهود خيبر إلى النبي (ص) فقالوا نحن نعرفك ونؤمن بك وليس ذلك في قلوبهم فحمدهم المسلمون فنزلت فيهم الآية عن قتادة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه خصلة اخرى ذميمة من خصال اليهود فقال (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) أي الفارحون الذين يفرحون بالنفاق (ويحيون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أي بالايمان وقيل هم اليهود الذين فرحوا بكتبان

أمر النبي (ص) واحبوا ان يحمداوا بأنهم أئمة وليسوا كذلك وقد عرفت المعنى في القراءة بالتاء والياء في الحجية فلامعنى لا عادتو قال ابو القاسم البخاري ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحبواوه وأهل الصلاة والصوم وليسوا اولياء الله ولا أحبابه ولا أهل الصلاة والصوم ولكنهم أهل الشرك والنفاق وهو المروي عن ابي جعفر الباقر «ع» وقيل معناه انهم يحبون ان يحمداوا على ابطالهم امر محمد وتكذيبهم به والاقوى ان يكون المعنى بالآية من اخبر الله عنهم انه اخذ ميثاقهم في ان يبينوا امر محمد ولا يكتمونه وعليه اكثر أهل التأويل وقوله فلا تحسبنهم بفازة من النار اي تظننهم بمنجاة وبعد من النار (ولم عذاب اليم) أي موالم موجب

قوله تعالى (١٨٩) وَفِيهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

— ﴿ المعنى ﴾ —

لما ذكر سبحانه في الآية المتقدمة من فرح بمصيبة ركبها وأحب أن يحمد بما لم يفعله وأخبر انه لا نجاة لهم من عذابه قال (والله ملك السماوات والأرض) أي هو مالك ما في السماوات والأرض بمعنى انه يملك تدبيرها وتصرفها على ما يشاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فكيف يطعم والحال هذه في الخلاص منه (والله على كل شيء قدير) فيه تنبيه على انه قادر على اهلاك من أراد اهلاكه وعلى الانشاء والافناء كما يشاء.

قوله تعالى (١٩٠) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩١) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ (١٩٣) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآبِرَارِ (١٩٤) رَبَّنَا وَإِنَّا مَأْوَعِدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (خمس آيات)

— ﴿ فضلها ﴾ —

روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن محمد بن الحنفية عن علي بن ابي طالب (ع) ان رسول الله (ص) كان اذا قام من الليل استاك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السماوات والأرض الى قوله فقنا عذاب النار وقد اشتهرت الرواية عن النبي (ص) انه لما نزلت هذه الآيات قال ويل لمن لا كفا بين فكبه ولم يتأمل ما فيها وورد عن الأئمة من آل محمد (ص) الأمر بقراءة هذه الآيات الخمس وقت القيام بالليل للصلاة وفي الضبعة وبعد ركعتي الفجر وروى محمد بن علي بن محبوب عن العباس بن معروف عن عبد الله بن المغيرة عن معوية بن وهب قال سمعت أبا عبد الله (ع) وذكر ان النبي قال كان يوتى بطهور فيخمر عند رأسه وبوضه

سواك تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فإذا استيقظ جلس ثم قلب بصره الى السماء وتلا الآيات من آل عمران إن في خلق السموات والارض الآيات ثم يستاك ويتطهر ثم يقوم الى المسجد فيركع اربع ركعات على قدر قراءته ركوعه يركع حتى يقال متى يرفع رأسه ويسجد حتى يقال متى يرفع رأسه ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلى الآيات من آل عمران وقلب بصره في السماء ثم يستاك ويتطهر ويقوم الى المسجد فيصلي اربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلى الآيات من آل عمران وقلب بصره في السماء ثم يستاك ويتطهر ويقوم الى المسجد فيوتر ويصلي ركعتين ثم يخرج الى الصلاة

﴿ اللغة ﴾

اللب العقل سمي به لأنه خير ما في الانسان واللب من كل شيء خيره وخالصة سبحانهك معناه تنزيها لك من أن تكون خلقها باطلا وبراءة مما لا يليق بصفانك قال الشاعر

سبحانه ثم سبحانا يعود له
والأبرار جمع بر وهو الذي بر الله بطاعته إياه حتى ارضاه واصل البر الاتساع فالبر الواسع من
الارض خلاف البحر والبرصلة الرحم والبر العمل الصالح والبر الحنطة وأبر الرجل على اصحابه أي زاد عليهم

﴿ الإعراب ﴾

الذين يذكرون في موضع جر صفة لأولي الأبواب قياما وقعودا نصب على الحال وعلى جنوبهم ايضا في موضع نصب على الحال ولذلك عطف على قياما وقعودا اي ومضطجعين لأن الظرف يكون حالا للمعرفة كما يكون نمنا للنكرة لما فيه من معنى الاستقرار تقول مررت برجل على الحائط أي مستقر على الحائط وكذا مررت برجل في الدار وتقول انا صير الى فلان ماشيا وعلى الفرس فيكون موضع على الفرس نصبا على الحال من الضمير في اصير وقوله ما خلقت هذا باطلا اي يقولون ما خلقت هذا الخلق ولذلك لم يقل هذه ولا هو لاء وباطلا نصب على انه المفعول الثاني وقيل تقديره بالباطل والباطل ثم نزع الحرف فوصل الفعل وخبر ان في قوله إنك من تدخل النار فقد أخزيتة جملة مركبة من الشرط والجزاء والأصل فيها جملتان كل واحدة منها من فعل وفاعل لأن موضع من نصب بتدخل على انه مفعول به وقوله ان آمنوا يحتمل أن يكون ان هذه هي المفردة بمعنى اي ويحتمل ان يكون الناصبة للفعل لأنه يصلح في مثله دخول الباء نحو ينادي بأن آمنوا

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه بأن له ملك السموات والارض عقبه ببيان الدلالات على ذلك فقال (إن في خلق السموات والارض) اي في إيجادها بما فيها من العجائب والبدائع (واختلاف الليل والنهار) اي تعاقبها وعجي كل واحد منهما خلف الآخر (لآيات) اي دلالات على توحيد الله وصفاته العلى (لأولي الأبواب) اي لذوي البصائر والعقول ووجه الدلالة في خلق السموات والارض ان وجودها متضمن باعراض حادثة وما لا يتفك عن الحادث فهو حادث مثله والمحدث لا بد له من محدث يحدثه وموجد يوجده فدل وجودها وحدوثها على ان لها محدثا قادرا ودل ابداعها بما فيها من البدائع والأمور الجارية على غاية الانتظام والاتساق على ان مبدعها عالم لأن الفعل المحكم المتظم لا يصح إلا من عالم

كما ان الابدان لا يصح الا من قادر ودل ذلك ايضا على ان صانعهما قديم لم يزل لانه لو كان محدثا لاحتاج الى محدث فيؤدي الى التسلسل ووجه الدلالة في تعاقب الليل والنهار ان في ترادفهما على مقدار معلوم لا يزيدان عليه ولا ينقصان منه وتقصان كل واحد منهما عن الآخر في حال زيادته عليه في حال وازدياد احدهما بقدر نقصان الآخر دلالة ظاهرة على ان لها صانعا قادرا حكما لا يدركه عجز ولا يلحقه سهو ثم وصف سبحانه اولي الاباب فقال (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) اية هؤلاء الذين يستدلون على توحيد الله بخلق السماوات والارض هم الذين يذكرون الله قائمين قاعدين ومضطجعين اي في سائر الاحوال لان الاحوال المكلفين لا تخلو من هذه الاحوال الثلاثة وقد امر بذكر الله تعالى في جميعها وقبل معناه يصلون لله على قدر امكانهم في صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلي قائما والسقيم يصلي جالسا وعلى جنبه اي مضطجعا فسمى الصلاة ذكرا رواه علي بن ابراهيم في تفسيره ولا تنافي بين التفسيرين لانه غير ممتنع وصفهم بالذكر في هذه الاحوال وهم في الصلاة وهو قول ابن جريح وقناة (ويتفكرون في خلق السماوات والارض) اي ومن صفة اولي الاباب ان يتفكروا في خلق السماوات والارض ويتدبروا في ذلك ليستدلوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم يقولون (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه) اي ما خلقت هذا الخلق عبثا وقيل بالباطل والباطل بل خلقته لتعرض صحيح وحكمة ومصالحة ليكون دليلا على وحدانيتك وحجة على كمال حكمتك ثم بنزهونه عن كل ما لا يليق بصفاته او يلحق نقصا بذاته فيقولون (سبحانك) اي تنزيها لك عما لا يجوز عليك فلم تخلقها عبثا ولا لمبا بل ترضى الثواب والامن من العقاب (فتعذب النار) بلطفك الذي يتمسك معه بطاعتك وفي هذه الآية دلالة على ان الكفر والتبائح . سلال ليست خلقا لله لان هذه الاشياء كلها باطلة بلا خلاف وقد نفى الله تعالى ذلك بحكاية عن اولي الاباب الذين رضي اقوالهم بأنه لا باطل فيها خلقه فيجب بذلك القطع على ان التبائح كلها غير مضافة اليه ومنفية عنه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم حكى عن اولي الاباب الذين وصفهم بأنهم ايضا يقولون (ربنا انك من تدخل النار فقد آخزيت) قبل فيه وجوه * احدها * ان معناه فضحته رايته فيكون منقولا من الخزي ونظيره قوله ولا تخزون في صهي * وثانيها * قول المفضل ان معناه اهلكته وأنشد

أخزي الآله من الصليب إلهه واللابسين ملابس الرهبان

* وثالثها * ان معناه أحلته محلا ووقفته موقفا يستحيا منه فيكون منقولا من الخزية التي معناها الاستحيا وقال ذو الرمة

خزية أدركته بعد جولته من جانب الدف مخلوطا به الغضب

واختلف اهل التأويل في المعنى بهذه الآية فروى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وقناة وابن جريح ان الاخزاء يكون بالتأييد في النار وهي خاصة بمن لا يخرج منها وقال جابر بن عبد الله ان الخزي يكون بالدخول فيها وروى عنه عمرو بن دينار وعطاء انه قال وما أخزاء حين أحرقه بالنار وان دون ذا الخزيان وهذا هو الأقوى لأن الخزي إنما هو هتك الخزي وفضيحه ومن عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه وهذا غير مناف لما نذهب اليه من جواز العقوب عن المذنبين لأن على قول من قال ان الخزي هو الخلود في النار

فمن عفا الله عنه لا يكون أخزاه إن أدخله النار ثم أخرجه منها بعد استيفاء العقاب على قول من أثبت الخزي بنفس الدخول فإنه وإن كان خزيا فليس كمثل خزي الكفار ويمحوز حمل قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه على كلا الوجهين وعلى قول من جعله من الخزاة التي هي الاستحياء فيكون أخزاه المؤمنين محمولة على الاستحياء وأخزاه الكافرين على الإهانة والخلود في النار وقوله (وما للظالمين من أنصار) أي ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه المغالبة والتهر لأن الناصر هو الذي يدفع عن المنصور على وجه المغالبة ولا ينافي ذلك ما صحح من شفاعته النبي (ص) والأولياء لأهل الكبائر لأن الشفاعة على سبيل المسألة والخضوع والتضرع إلى الله وليست من النصرة في شيء وصح عن النبي (ص) أنه قال ليصيب أقواماً شفع بذنوب أصابوها ثم يخرجون فيسميهم أهل الجنة الجهنميين رواه البخاري بإسناده في الصحيح عن أنس بن مالك وفيما رواه أبو سعيد الخدري عنه (ع) قال فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حملاً قال فيلقون في نهر يقال له نهر الحياة قال فينبئون فيه كما تنبت الحبة في جبل السيل ورواه البخاري ومسلم أيضاً في الصحيح وما روي في مثل ذلك من الأخبار لا يحصى وهذا كما تراه صريح في وقوع العفو عن مرتكبي الكبائر (ربنا إنا سمعنا منادياً) قبل المنادي محمد عن ابن عباس وابن مسعود وابن جريح واختاره الجبائي وقيل إنه القرآن عن محمد بن كعب القرظي وقناة واختاره الطبري قال لأنه ليس يسمع كل أحد قول النبي (ص) ولا يراه والقرآن سمعه من رآه ولم يره كما قال مخبراً عن الجن إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشد ولن نصر القول الأول أن يقول من بلغه قول النبي (ص) ودعونه جاز أن يقول سمعنا منادياً وإن كان فيه ضرب من التجوز ومعنى قوله سمعنا منادياً نداء مناد لأن المنادي لا يسمع وقوله (ينادي بالإيمان) معناه إلى الإيمان كقوله الحمد لله الذي هدانا لهذا ومعناه إلى هذا وكقول الرازي

أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الشيت

ومثله قوله بأن ربك أوحى لها فالمعنى ربنا إنا سمعنا داعياً يدعو إلى الإيمان والتصديق بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك واتباع أمره ونهيه وقوله أن آمنوا بربكم معناه بأن آمنوا بربكم فحذف الباء وقيل معناه قال لنا آمنوا بربكم فآمننا أي فصدقنا الداعي فيما دعا إليه من التوحيد والدين واجبناه فأغفر لنا ذنوبنا معناه استرها علينا ولا تفضحنا بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد بعقوبتك وكفرنا سيئاتنا معناه أمحنا بفضلك ورحمتك إيانا وتوفنا مع الأبرار معناه واقبضنا إليك في جملة الأبرار واحشرتنا معهم فإن قيل ما معنى قوله وكفرنا سيئاتنا وقد اغنى عنه قوله فأغفر لنا فالجواب عنه من وجهين أحدهما أن معناه اغفر لنا ذنوبنا ابتداءً بلا توبة وكفرنا ان تبنا والثاني أن معناه اغفر لنا ذنوبنا بالتوبة وكفرنا باجتناب الكبائر من السيئات لأن التفران قد يكون ابتداءً ومن سبب والتكفير لا يكون الا عند فعل من العبد والأول البق بمذهبنا (ربنا آتانا ما وعدتنا على رسلك) هذه حكاية عن تقدم وصفهم بأنهم يقولون اعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب (ولا تخزنا) أي لا تفضحنا أو لا تهلكنا (يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) وهو كلام مستأنف بدلالة أنه كسر إن والمعنى إنك وعدت الجنة لمن آمن بك وأنت لا تخلف وعبدك فإن قيل ما وجه المسألة في انجاز الوعد والمعلوم أنه يفعله لا محالة فالجواب عنه من وجوه

﴿ أحدها ﴾ أن ذلك على وجه الانقطاع إلى الله والتضرع له والتعبد كما قال وقل رب احكم بالحق واختاره

علي بن عيسى والجبائي **﴿١٩٥﴾** والثاني **﴿١٩٦﴾** ان الكلام خرج مخرج المسألة والمراد الخبر أي توفاهم الأبرار لتوطيننا ما وعدتنا به على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انهم علموا ان ما وعد الله به حق ولا بد أن ينجزه **﴿١٩٧﴾** والثالث **﴿١٩٨﴾** معناه السؤال والدعاء بأن يجعلهم ممن أتاهم ما وعدهم من الكرامة على السن رسله لأنهم اقد استحقوا منزلة الكرامة عند الله في انفسهم وشهدوا ثم سأله ان يوتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند انفسهم لأنه لو كان كذا لكانوا قد ذكروا انفسهم وشهدوا بأنهم استوجبوا كرامة الله ولا يليق ذلك بصفة اهل الفضل من المؤمنين **﴿١٩٩﴾** والرابع **﴿٢٠٠﴾** انهم انما سألوا ذلك على وجه الرخصة منهم إلى الله في أن يوتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر وإعلاء كلمة الحق على الباطل ليعجل ذلك لهم لأنه لا يجوز ان يكونوا مع ما وصفهم الله به غير واقين ولا على غير يقين ان الله لا يخلف الميعاد فرغبوا اليه في تعجيل ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم في ذلك وقت فرغبوا اليه في تعجيل ذلك لهم لما لهم في ذلك من السرور بالفطر وهو اختيار الطبري وقال الآية مختصة بن هاجر من اصحاب النبي الذين رغبوا في تعجيل النصر على أعدائهم وقالوا لا صبر لنا على اتانك وحملك وقوي ذلك بما بعد هذه الآية من قوله فاستجاب لهم ربهم الآيات وإلى هذا أومى ابو القاسم البلخي ايضا

قوله تعالى (١٩٥) فاستجاب لهم ربهم أي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فأذنبوا وهاجروا وأخروا من ديارهم وأوذوا في سبيلهم وقاتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم ولا دخلت عليهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي وخلف قتلوا وقتلوا بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني للفاعل والتخفيف وقرأ الباقون بتقديم قاتلوا على قتلوا وشدد التاء من قتلوا ابن كثير وعامر

﴿ الحجة ﴾

أما تقديم قاتلوا على قتلوا فلأن القتال قبل القتل وحسن التشديد لتكرار الفعل فهو مثل مفتحة لهم الابواب ومن خفف قتلوا فلأن فعلوا يقع على الكثير والقليل والتشديد يختص بالكثير واما تقديم قتلوا على قاتلوا فلأن المطوف بالواو يجوز أن يكون اولاً في المعنى وإن كان مؤخرًا في اللفظ ويمكن ان الوجه فيه ان يكون لما قتل منهم قاتلوا ولم يهنوا ولم يضعفوا للقتل الذي وقع بهم كقوله فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله

﴿ اللغة ﴾

الإضاءة الإهلاك شيء يضع ضياعا اذا هلك واضاع وضع بمعنى ومنه الضيعة للقرية واما قولهم كل رجل وضيعه فان الضيعة ههنا بمعنى الحرفة هاجروا فاعل من الهجر وهو ضد الوصل يقال هاجر القوم من دار الى دار أي ترك الأولى للثانية وتهجر الرجل أي تشبه بالمهاجرين

﴿ الإعراب ﴾

من في قوله من ذكر أو أنثى للتبيين والتفسير عن قوله منكم أي لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور والإناث فهو بيان لجنس من أضيف اليه العمل ويقال انها مؤكدة بمعنى النفي في لا أضيع أي لا أضيع عمل

ذكر وأنسى منكم وبعضكم مبتدأ وقوله من بعض في موضع رفع بأنه خبره وثوابا مصدر مؤكد لأن معنى ولا دخلتهم جنات ولا نبيتهم ومثله قوله كتاب الله عليكم لأن معنى قوله حرمت عليكم أمهاتكم كتب الله عليكم هذا فكتاب الله مصدر مؤكد

﴿ النزول ﴾

روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء. فأترل الله هذه الآية قال البلخي نزلت الآية وما قبلها في المتبعين للنبي (ص) والمهاجرين معه ثم هي في جميع من سلك سبيلهم وحذا حذوهم من المسلمين

﴿ المعنى ﴾

ثم عقب سبحانه دعوة المؤمنين بذكر الإجابة فقال (فاستجاب لهم ربهم) أي أجاب المؤمنين الذين تقدم الخبر عنهم (اني لا اضيع) أي بأني لا ابطل (عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) رجل أو امرأة (بعضكم من بعض) في النصرة والدين والموالاتة فحكمني في جميعكم حكم واحد فلا أضيع عمل واحد منكم لاتفاقكم في صفة الايمان وهذا يتضمن الحث على مواظبة الأدعية التي في الآيات المتقدمة والإشارة إلى انها ما تعبد الله تعالى بها وندب اليها وذلك لأنه تضمن الإجابة لمن دعا بها (فالذين هاجروا) إلى المدينة وفارقوا قومهم من أهل الكفر (واخرجوا من ديارهم) أخرجهم المشركون من مكة (وأوذوا في سبيلي) أي في طاعتي وعبادتي ودينني وذلك هو سبيل الله فتحملوا الأذى لأجل الدين (وقالوا) في سبيل الله (وقتلوا) فيها (لا كفرن عنهم سيئاتهم) يعني لا يحونها عنهم ولا تفضلن عليهم بغفوي ومغفرتي ورحمتي وهذا يدل على ان اسقاط العقاب تفضل من الله (ولا دخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت ابنتها وأشجارها (ثوابا) أي جزاء لهم (من عند الله) على أعمالهم (والله عنده حسن الثواب) أي عنده من حسن الجزاء على الأعمال ما لا يبلغه وصف واصف ولا يدركه نعت ناعت مما لا رأت عين ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل حسن الثواب في دوامه وسلامته عن كل شوب من النقصان والتكدير

قوله تعالى (١٩٦) وَلَا يَمُرُّنَّكَ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٧) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَأَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ إِلَيْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رِبُّهُمْ لَهُمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب برواية رويس وزيد لا يفرنك ولا يحطمنكم ولا يستخفك واما نذهبن بك أو زينك خفيفة في الجميع والباقون بالتشديد وقرأ ابو جعفر لكن الذين اتقوا بتشديد النون والباقون لكن بالتخفيف

[اللغة] =

الفرود ايها حال السرور في الأمر بخلافه في العلو وليس كل ايهام غرورا لأنه قد يتوهمه تخوفا فيحذر منه فلا يقال غره والفرر نظير الحظر والفرق بينهما ان الفرر قبيح كله لأنه ترك الحزم فيما يمكن ان يتوثق منه والحظر قد يحسن على بعض الوجوه لأنه من العظم من قولهم رجل خطير أي عظيم والمتاع النفع الذي يتعجل

به اللة اما بوجود اللة او بما يكون به اللة نحو المال الجليل والملك والاولاد والاخوان والمهاد الذي يسكن فيه الإنسان ويفترشه وواحد الابرار تقول برت والدي فأنا بر واصله برر ولكن الراء ادغمت للتضيف

❖ الإعراب ❖

بني المضارع مع نون التأكيد لأنه بمنزلة ضم اسم إلى اسم كخمسه عشر ونحوه ومتاع خبر مبتدأ محذوف وتقديره تغلبهم متاع قليل حذف المبتدأ ادلالة ما تقدم عليه وبس المهاد حذف المخصوص بالذم من الكلام لدلالة ما تقدم عليه تقديره بس المهاد جهنم ونزلا مصدر مؤكد ايضا مثل ما تقدم ذكره في قوله ثوابا من عند الله لأن خلودهم في الجنة انزالهم فيها فصار كأنه قال نزلوها نزلا وهو بمعنى نزلوها انزالا وقيل هو نصب على التفسير كما يقال هو لك هبة او صدقة عن الفراء خالدين فيها منصوب على الحال أي مقدرًا لهم الخلود فيها
= [التزول] =

نزلت في مشركي العرب وكانوا يتجرون ويتنعمون بها فقال بعض المسلمين ان اعداء الله في العيش الرخي وقد هلكنا من الجوع فنزلت الآية وقال الفراء كانت اليهود تضرب في الأرض فتصيب الأموال فانزل الله تعالى لا يفرنك الآية

❖ المعنى ❖

(لا يفرنك) يا محمد الخطاب له والمراد غيره وقيل معناه لا يفرنك ايها الإنسان او ايها السامع (تقلب الذين كفروا) اي تصرفهم (في البلاد) سالمين غانمين غير مؤخذين بأجرهم أعلم الله تعالى ان ذلك مهال ينبغي أن يبطوا به لأن مأواهم ومصيرهم إلى النار بكفرهم ولا خير بخير بعده النار وقوله (متاع قليل) معناه تصرفهم في البلاد والنعمة متاع قليل اي يتنعمون بذلك قليلا ثم يزول وسلبهم متاعا لأنهم متعوا به في الدنيا (ثم مأواهم) أي مصيرهم ومرجعهم جهنم (وبس المهاد) اي ساء المستقر هي ثم أعلم تعالى ان من اراد الله او اتقاه فله الجنة فقال (لكن الذين اتقوا ربهم) لكن للاستدراك فيكون بخلاف المعنى المتقدم فمعناه ليس الكفار عاقبة خير إنسا هي للمؤمنين المتقين الذين اتقوا ربهم بفعل الطاعات وترك المعاصي (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله) بين سبحانه ما يصيرون اليه من النعيم المقيم في دار القرار المعدة للأبرار والنزل ما يعد للضيف من الكرامة والبر والطعام والشراب (وما عند الله) من الثواب والكرامة (خير الأبرار) ما يتقلب فيه الذين كفروا لأن ذلك عن قريب سيزول وما عند الله تعالى دائم لا يزول ويروى عن عبد الله ابن مسعود انه قال ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة فأما الأبرار فقد قال الله وما سئد الله خير للأبرار واما الفجار فقال تعالى ولا تحسبن الذين كفروا اننا نملئ لهم خيرا لأنفسهم الآية وقوله في النفس الفاجرة ان الموت خير لها انما يعني بذلك إذا كانت تدوم على فجورها

قوله تعالى (١٩٩) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (آية)

❖ اللغة ❖

أصل الحشوع السهولة من قولهم الحشمة وهي السهولة في الرمل كالرطوبة والحاشع من الأرض الذي لا يهتدي

لأن الرمل يعني آثاره والخاصع الخاضع يبصره والخشوع هو التذلل خلاف التصب

- (الإعراب) -

خاشعين نصب على الحال من الضمير في يؤمن وهو عائد إلى من وقيل هو حال من الضمير في انزل اليهم
لجورهم إلى والأول احسن

- (التزول) -

اختلفوا في نزولها فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعام جبرائيل لرسول الله في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله إلى البقيع وكشف له من المدينة إلى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علع نصراني حبشي لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله هذه الآية عن جابر بن عبد الله وابن عباس وانس وقتادة وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلاثين من ارض الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فآمنوا بالنبي (ص) عن عطاء وقيل نزلت في جماعة من اليهود كانوا أسلموا منهم عبد الله بن سلام ومن معه عن ابن جريح وابن زيد وابن اسحاق وقيل نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم لأن الآية قد تنزل على سبب وتكون عامة في كل ما يتناوله عن مجاهد

- [المعنى] -

لما ذم تعالى أهل الكتاب فيما تقدم وصف طائفة منهم بالآيمان وإظهار الحق والصدق فقال (وإن من أهل الكتاب) أي من اليهود والنصارى (لمن يؤمن بالله) أي يصدق بالله ويقرب بوحديته (وما أنزل اليكم) أيها المؤمنون وهو القرآن (وما أنزل اليهم) وهو التوراة والانجيل (خاشعين لله) أي خاضعين له مستكينين له بالطاعة متذللين بها قال ابن زيد الخاصع المتذلل الخائف وقال الحسن الخشوع الخوف اللازم للقلب من الله (لا يشعرون بآيات الله ثمنا قليلا) أي لا يأخذون عوضا يسيرا على تحريف الكتاب وكتان الحق من الرشي والمأكل كما فعله غيرهم ممن وصفهم تعالى في قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولكن يتقادون إلى الحق يعملون بما أمرهم الله به ويتتهون عما نهاهم عنه ثم قال (أولئك) يعني هؤلاء الذين وصفناهم (لهم اجرهم عند ربهم) معناه لهم ثواب أعمالهم وأجر طاعتهم عند الله مذخورة حتى يوفيهم الله يوم القيامة (إن الله سريع الحساب) وصف الحساب بالسرعة لأنه تعالى لا يؤخر الجزاء عن يستحقه بطول الحساب لأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد أن عملوها فلا حاجة به إلى إحصاء عدد فيقع في الإحصاء إبطاء وقيل معناه انه يحاسب كل الخلق مما فإذا حاسب واحدا فقد حاسب الجميع لأنه قادر على أن يكلمهم في حالتهم واحدة كل واحد بكلام يخصه لأنه القادر لنفسه عن أبي علي الجبائي وإنما خص الله تعالى هذه الطائفة بالوعد ليبين ان جزاء أعمالهم مؤفر عليهم ولا يضرهم كفر من كفر منهم

قوله تعالى (٢٠٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آية)

❖ اللغة ❖

أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو والربط الشد ومنه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ثم استعمل في كل مقيم

في ثمر يدفع عن وراءه ممن ارادهم بسوء. والرباط ايضا اسم لما يشد به

✽ المعنى ✽

لما حكي الله تعالى أقوال المؤمنين والكافرين فيما تقدمت بعد ذلك على الصبر على الطاعة ولزوم الدين في الجهاد في سبيل الله فقال (يا أيها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (اصبروا وصابروا ورابطوا) اختلف في معناه على وجوه **➤ احدها** ان المعنى اصبروا على دينكم أي اثبتوا عليه وصابروا الكفار ورابطوهم في سبيل الله عن الحسن وقتادة وابن جريح والضحاك فعلى هذا يكون معناه اصبروا على طاعة الله وعن معاصيه وقاتلوا العدو وصابروا على قتالهم في الحق كما يصبرون على قتالكم في الباطل وإنما أتى بلفظ صابروا هاهنا لأن فاعل إنما يأتي لما يكون بين اثنين والرباط هو المرابطة فيكون بين اثنين أيضا يعني اعدوا لهم من الخيل ما يعدونه لكم كقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة **➤ وثانيها** ان المراد اصبروا على دينكم وصابروا وعدي إياكم ورابطوا عدوي وعدوكم عن محمد بن كعب القرظي **➤ وثالثها** أن المراد اصبروا على الجهاد عن زيد بن اسلم وقيل ان معنى رابطوا أي رابطوا الصلوات ومعناه انتظروها واحدة بعد واحدة لأن المرابطة لم تكن حينئذ روي ذلك عن علي بن ابي طالب عليه أفضل الصلوات واكمل التحيات عن جابر بن عبد الله وابي سلمة ابن عبد الرحمن وروي عن النبي (ص) انه سئل عن أفضل الأعمال فقال اسباغ الوضوء في السبرات ونقل الاقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال معناه اصبروا على المصائب وصابروا على عدوكم ورابطوا عدوكم وهو قريب من القول الأول وقوله (واقفوا الله لعلكم تفلحون) معناه واقفوا ان تغالفوا الله فيما يأمركم به لكي تفلحوا بنعيم الأبد وقيل معناه اتقوا عذاب الله بلزوم امره واجتناب نهيه لكي تظفروا وتفوزوا بنيل المنية ودرك البغية والوصول إلى النجح في الطلبة وذلك حقيقة الفلاح وهذه الآية تتضمن جميع ما يتناوله المكلف لأن قوله اصبروا يتناول لزوم العبادات واجتناب المحرمات وصابروا يتناول ما يتصل بالغير كمجاهدة الجن والانس وما هو اعظم منها من جهاد النفس ورابطوا يدخل فيه الدفاع عن المسلمين والذب عن الدين واتقوا الله يتناول الانتهاء عن جميع المناهي والزواجر والاثام بجميع الأوامر ثم يتبع جميع ذلك الفلاح والنجاح

هذا آخر المجلدة الثانية من كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن

من المجلدات العشر من الأصل

فهرس المجلد الأول من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء الأول والثاني حسب تجزئة المصنف

وفيه تفسير سورتي البقرة وآل عمران

صفحة	صفحة	ب كلمة الناشر
١٠٤	٦٣	ج ترجمة المؤلف
١٠٦	٦٤	١ كلمة في التفسير
١٠٨	٦٥	٩ مقدمة الكتاب
١١٠	٦٦	١٧ تفسير فاتحة الكتاب
١١١	٧٠	
١١١	٧١	﴿ سورة البقرة ﴾
١١٤		٣٢ تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ألم
١١٥	٧٢	٣٤ ذلك الكتاب لا ريب فيه
١١٦	٧٥	٣٦ الذين يؤمنون بالغييب
١١٧	٧٧	٣٩ والذين يؤمنون بما أنزل إليك
١١٩	٧٨	٤٠ أو أنك على هدى من ربهم
	٨٠	٤١ إن الذين كفروا
١٢٠	٨١	٤٣ حتم الله على قلوبهم
١٢١		٤٥ ومن الناس من يقول آمنا
	٨٦	٤٦ يخادعون الله والذين آمنوا
١٢٥		٤٧ في قلوبهم مرض
١٢٧	٨٨	٤٨ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض
١٢٨	٩٠	٥٠ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس
١٢٩	٩١	٥٠ وإذا لقوا الذين آمنوا
	٩٢	٥١ الله يستهزئ بهم
١٣٠	٩٤	٥٢ أو أنك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
١٣٠	٩٦	٥٤ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً
	٩٥	٥٥ صم بكم عمي فهم لا يرجعون
١٣٦	٩٧	٥٦ أو كصيب من السماء
١٣٨	٩٩	٥٨ يصكاد البرق يخطف أبصارهم
١٤١	١٠٠	٥٩ يأنسها الناس أعيادهم
١٤٢	١٠٢	٦٠ الذي جعل لكم الأرض فراشا
١٤٣	١٠٢	٦١ وإن كنتم في ريب مما نزلنا
		على عبدنا
		عن نفس شيتنا

صفحة	صفحة	صفحة
١٤٣	١٧٩	٢١٢
تفسير ومنهم اميون لا يعلمون	ما ننسخ من آية او ننسها	اذ قال له ربه اسلم
الكتاب	١٨٢	٢١٣
١٤٥	السموات والارض	ووصى بها ابراهيم بنيه
فويل للذين يكتبون الكتاب	١٨٣	٢١٤
وقالوا لن نمسنا النار الا	ام تريدون ان تسألوا رسولكم	ام كنتم شهداء اذ حضر
اياما معدودة	١٨٤	يعقوب الموت
١٤٧	١٨٥	٢١٤
بلى من كسب سيئة واحاطت	واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	تلك امة قد خلت
به خطيئته	١٨٥	٢١٥
١٤٨	١٨٥	٢١٧
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل	وقالوا لن يدخل الجنة	قولوا آمنا بالله وما اتزل اليانا
واذ اخذنا ميثاقكم	١٨٦	٢١٨
ثم انتم هولاء تقتلون انفسكم	بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن	فان آمنوا بمثل ما آمنتم به
١٥٤	١٨٧	٢١٩
او آتلك الذين اشقوا الحياة	وقالت اليهود ليست النصارى	صبغة الله ومن احسن من الله صبغة
الدنيا بالآخرة	على شي	٢١٩
١٥٤	١٨٩	٢١٩
ولقد آتينا موسى الكتاب	ومن اظلم ممن منع مساجد	قل اتحاجوننا في الله
وقالوا قلوبنا غلف	الله ان يذكر فيها اسمه	٢٢٠
١٥٧	١٩٠	٢٢٢
ولما جاءهم كتاب من عند الله	وهو المشرق والمغرب	تلك امة قد دخلت
مصدق لما معهم	١٩٢	٢٢٢
١٥٩	١٩٢	٢٢٣
بشها اشقوا به انفسهم	وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه	وكذلك جعلناكم امة وسطا
١٦١	١٩٢	٢٢٦
واذا قيل لهم آمنوا بما اتزل الله	بديع السموات والارض	قد زى قلب وجهك في السماء
١٦٢	١٩٥	٢٢٨
ولقد جاءكم موسى بالبينات	وقال الذين لا يعلمون لولا	ولئن اتيت الذين اتوا الكتاب
١٦٢	يكلمننا الله	الذين آتيناهم الكتاب
واذ اخذنا ميثاقكم	١٩٦	٢٢٩
قل إن كانت لكم الدار الآخرة	إن ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا	الحق من ربك
١٦٤	١٩٧	٢٣٠
ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم	ولن ترضى عنك اليهود	ولكل وجهة هو موليها
١٦٤	١٩٨	٢٣١
ولتجدنهم احص الناس على حياة	الذين آتيناهم الكتاب	ومن حيث خرجت فول
١٦٦	١٩٨	٢٣١
قل من كان عدوا لجبريل	يا بني اسرائيل اذكروا	وجهك شطر المسجد الحرام
١٦٨	نعمتي التي انعمت عليكم	ومن حيث خرجت فول وجهك
الى قوله فان الله عدو للكافرين	١٩٩	شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم
١٦٨	١٩٩	٢٣٣
ولقد اتزلنا إليك آيات بينات	نفس شيئا	فك ارسلنا فيكم رسولا منكم
١٦٨	٢٠٢	٢٣٤
او كلما عاهدوا عهدا	واذ جعلنا البيت مثابة للناس	فاذكروني اذ كركم
١٦٩	٢٠٥	٢٣٤
ولما جاءهم رسول من عند الله	واذ قال ابراهيم رب اجعل	يا ايها الذين آمنوا
١٧٠	هذا بلدا آمنا	٢٣٥
واتبعوا ما تتلوا الشياطين	٢٠٦	٢٣٧
على ملك سليمان	واذ يرفع ابراهيم القواعد	ولنبشرونكم بشي من الخوف
١٧٢	من البيت	الذين إذا أصابتهم مصيبة
ولو انهم آمنوا واتقوا	٢٠٩	٢٣٨
١٧٨	ربنا واجعلنا مسلمين لك	ان الصفا والمرودة من شعائر الله
يا ايها الذين آمنوا اتقوا اراعتنا	٢١٠	٢٤١
١٧٨	ربنا وابعث فيهم رسولا منهم	ان الذين يكتمون ما اتزلنا
ما يود الذين كفروا من	ومن يرغب عن ملة ابراهيم	من البيئات
اهل الكتاب	٢١١	٢٤١
		إلا الذين تلبوا واصلحوا
		٢٤٢
		ان الذين كفروا وما تروا كفار

صفحة	صفحة	صفحة
٣٣٧	٣٦٨	٣٦٨
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء.	او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها	وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة
٣٣٩	٣٧١	٣٩٤
لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن	واذ قال ابراهيم رب انني كيف تحبي الموتي	واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
٣٤١	٣٧٣	٣٩٥
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن	مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله	يا ايها الذين آمنوا اذا تدابرتهم بدينين الى اجل مسمى فاكتبوه
٣٤٢	٣٧٤	٣٩٩
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى	الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله	وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فراهنا مقبوضة
٣٤٣	٣٧٥	٤٠٠
فان خفتهم فرجالا او ركباناً	قول معروف ومغفرة	لله ما في السموات وما في الارض
٣٤٤	٣٧٥	٤٠٢
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية لأزواجهم	يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والاذى	آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
٣٤٥	٣٧٧	٤٠٢
وللمطلقات متاع بالمعروف الى قوله لعلكم تعقلون	مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله	لا يكلف الله نفساً الا وسعها
٣٤٦	٣٧٨	٤٠٥
ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الرف	أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب	الم الله لا إله الا هو الحي القيوم
٣٤٧	٣٧٩	٤٠٨
وقاتلوا في سبيل الله	يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم	هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
٣٤٧	٣٨١	٤٠٨
من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً	الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء	هو الذي انزل عليك الكتاب
٣٤٩	٣٨٢	٤١١
ألم تر الى الملا من بني اسرائيل وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً	يوتي الحكمة من يشاء	ربنا لاترغ قلوبنا بعداذهديتنا
٣٥١	٣٨٢	٤١٢
وقال لهم نبيهم إن آية ملكه	وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر	ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
٣٥٢	٣٨٣	٤١٢
وقال لهم نبيهم إن آية ملكه	ان تبدوا الصدقات فنعما هي	كذاب آل فرعون والذين آمنوا
٣٥٤	٣٨٥	٤١٣
فلما فصل طالوت بالجنود	ليس عليك هدامهم ولكن الله يهدي من يشاء	من قبلهم
٣٥٥	٣٨٦	٤١٤
ولما برزوا لجالوت وجنوده	للفقراء الذين أحصروا	قل للذين كفروا ستعذبون
٣٥٦	٣٨٦	٤١٤
فهزموهم باذن الله	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	لقد كان لكم آية في فتنتنا
٣٥٧	٣٨٦	٤١٦
تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	زين للناس حب الشهوات
٣٥٨	٣٨٨	٤١٨
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	الذين يأكلون الربى لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس	قل او نبشكم بغير من ذلكم
٣٥٩	٣٩٠	٤١٨
يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم	يحقق الله الربى ويربي الصدقات	الذين يقولون ربنا آمتنا الى قوله والمستغفرين بالاسحار
٣٦٠	٣٩١	٤١٩
الله لا إله الا هو الحي القيوم	ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات	شهد الله انه لا إله الا هو الى قوله ان الله سريع الحساب
٣٦٣	٣٩١	٤٢٢
لا اكراه في الدين	يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربى	فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله
٣٦٤	٣٩١	٤٢٣
الله ولي الذين آمنوا		ان الذين يكفرون بايات الله
٣٦٦		الى قوله وما لهم من ناصرين

﴿سورة آل عمران﴾

صفحة	صفحة	صفحة
٤٦٩	٤٤٦	٤٢٤
افغير دين الله يبغون الى قوله وهو في الآية من الخاسرين	ومصدق المابين يدي من التوراة الى قوله هذا صراط مستقيم	لم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله ما كانوا يفترون
٤٧٠	٤٤٩	٤٢٥
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله فان الله غفور رحيم	اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا الى قوله والذكر الحكيم	فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه
٤٧٢	٤٥١	٤٢٧
ان الذين كفروا بعد ايمانهم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار	ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى قوله فنجعل لعنة الله على الكاذبين	قل اللهم مالك الملك الى قوله وترزق من تشاء بغير حساب
٤٧٣	٤٥٣	٤٢٩
ان تناولوا البر حتى تصفوا ما تحبون	ان هذا هو القصص الحق الى قوله فان الله عليم بالفسدين	لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
٤٧٤	٤٥٤	٤٣٠
كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل الى قوله فاولئك هم الظالمون	قل يا اهل الكتاب	قل ان تحفوا ما في صدوركم او تبدوه بعامة الله
٤٧٦	٤٥٥	٤٣١
قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا	يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم الى قوله والله يعلم وانتم لا تعلمون	يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
٤٧٦	٤٥٧	٤٣١
ان اول بيت وضع للناس الى قوله فان الله غني عن العالمين	ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الى قوله والله ولي المؤمنين	قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الى قوله فان الله لا يحب الكافرين
٤٧٩	٤٥٨	٤٣٢
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله الى قوله وما الله بناقل عما تعملون	ودت طائفة من اهل الكتاب يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله الى قوله وانتم تعلمون	ان الله اصطفى آدم ونوحا الى قوله والله مسيح عليم
٤٨٠	٤٥٩	٤٣٤
يا ايها الذين آمنوا الى قوله قد هدي الى صراط مستقيم	وقالت طائفة من اهل الكتاب الى قوله والله ذو الفضل العظيم	اذ قالت امراتة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الى قوله واني اعذها وذريتها من الشيطان الرجيم
٤٨١	٤٦١	٤٣٥
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حتى تقاته الى قوله لعلمكم تهتدون	ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقطار يوده اليك الى قوله فان الله يحب المتقين	فتقبلها ربهما بقبول حسن هنالك دعا زكريا ربه الى قوله ونبيا من الصالحين
٤٨٣	٤٦٣	٤٣٨
ولكن منكم امة يدعون الى الخير الى قوله فاولئك لهم عذاب عظيم	ان الذين يشتركون بالله وان ايمانهم ثمنا قليلا وان منهم لفريقا يلون استهم بالكتاب	قال رب انى يكون لي غلام قال رب اجعل لي آية واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفىك
٤٨٤	٤٦٤	٤٣٩
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى قوله هم فيها خالدون	ما كان بشر ان يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة الى قوله بعد اذ انتم مسلمون	قال رب اجعل لي آية واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفىك
٤٨٥	٤٦٥	٤٤٠
تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق الى قوله والى الله ترجع الامور	واخذ الله ميثاق النبيين الى قوله فاولئك هم الفاسقون	ذلك من انباء النيب نوحية اليك اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه
٤٨٦	٤٦٧	٤٤٢
كنتم خير امة اخرجت للناس	الى قوله فاولئك هم الفاسقون	قال رب انى يكون لي ولد ويعلمه الكتاب والحكمة الى قوله ان كنتم مؤمنين

صفحة	صفحة	صفحة
١٨٦	٥١٠	لا يضيع اجر المؤمنين
قوله وكانوا يمتدون	٥١٠	الذين استجابوا لله والرسول
١٨٨	٥١٢	الى قوله والله ذو فضل عظيم
الى قوله وأولئك من الصالحين	٥١٢	انما ذلكم الشيطان يخوف
١٩٠	٥١٤	اولياؤه
وما يفعلوا من خير فلن يكفروه	٥١٤	ولا يميزنك الذين يسارعون
١٩٠	٥١٦	في الكفر الى قوله ولهم عذاب اليم
ان الذين كفروا لن تغني	٥١٦	ولا يحسبن الذين كفروا انما
عنهم أموالهم الى قوله ولكن	٥١٨	غلي لهم خير لأنفسهم
انفسهم يظلمون	٥١٨	ما كان الله ليذر المؤمنين
١٩١	٥١٩	على ما انتم عليه
يا ايها الذين آمنوا لاتخذوا	٥١٩	ولا يحسبن الذين يبخلون بما
بطانة من دونكم	٥٢١	آتاهم الله من فضله هو خير لهم
١٩٣	٥٢٣	لقد سمع الله قول الذين قالوا
ها أنتم أولاء تحبونهم	٥٢٣	ان الله فقير ونحن أغنياء الى
ولا يحبونكم	٥٢٣	قوله وان الله ليس بظلام للعبيد
١٩٤	٥٢٤	الذين قالوا ان الله عهد الينا
إن تمسكم حسنة تسوهم	٥٢٤	الى قوله والكتاب المنير
١٩٥	٥٢٤	كل نفس ذائقة الموت
وإذ غدوت من اهلك الى قوله	٥٢٤	تلبون في أموالكم وأنفسكم
وعلى الله فليتوكل المؤمنون	٥٢٤	وإذ اخذ الله ميثاق الذين
١٩٧	٥٢٤	اوتوا الكتاب
وقد نصركم الله بيد الى قوله	٥٢٤	لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا
وما النصر الا من عند الله	٥٢٤	ولله ملك السماوات والارض
العزيز الحكيم	٥٢٤	إن في خلق السماوات والارض
٥٠٠	٥٢٤	إلى قوله إنك لاتختلف الميعاد
ليقطع طرفا من الذين كفروا	٥٢٤	فاستجاب لهم ربهم أني لا
٥٠١	٥٢٤	أضيع عمل عامل منكم
الى قوله فإنهم ظالمون	٥٢٤	ولا يفرنك قلب الذين كفروا
٥٠١	٥٢٤	الى قوله وما عند الله خير للأبرار
وقه في السموات وما في	٥٢٤	وإن من أهل الكتاب لمن
الارض	٥٢٤	يؤمن بالله
٥٠٢	٥٢٤	يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا
الربي أضعافا مضاعفة الى قوله	٥٢٤	يا ايها الذين آمنوا اصبروا
لعلكم ترخسون	٥٢٤	وصابروا
٥٠٣	٥٢٤	
وسارعوا الى مغفرة من ربكم	٥٢٤	
٥٠٥	٥٢٤	
الى قوله والله يحب المحسنين	٥٢٤	
والذين إذا فعلوا فاحشة أو	٥٢٤	
ظلموا انفسهم الى قوله ونعم	٥٢٤	
اجر العاملين	٥٢٤	
٥٠٧	٥٢٤	
قد خلت من قبلكم سنن	٥٢٤	
٥٠٨	٥٢٤	
إلى قوله وموعظة للمتقين	٥٢٤	
ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم	٥٢٤	
الاعلون الى قوله والله لا يحب الظالمين	٥٢٤	

تنبيه وتصحيح

لا يعرف مقدار ما قاسيناه في تصحيح هذا التفسير إلا من يراجع الطبقات الاعجمية
وسقمها وكثرة اغلاطها وقد بذلنا الجهد في أن يخرج الكتاب خاليا من الاغلاط لكن تلك غاية
لا تدرك لذلك لم زبدا من التنبيه لما وقع من الاغلاط الطفيفة لتصحيح بالقلم وعلى الله الاتكال

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢	١٨	زرين حبيش	زرين حبيش	١١٨	٢	مجتمعين	مجتمعين
٣٨	٢٨	ـ	ـ	١١١	٣٢	الأرض	الأرض
٤٨	٨	كذِبَ	كذِبَ	١٢٩	١٢	كائنين منكم	كائنين منكم
٩٠	١	اهبطوا	اهبطوا			في قوله في السبت	في قوله في السبت
٩٧	١٠	فارهبون	فارهبون			متعلق	متعلق
٩٨	٣	وحقيقتة	وحقيقتة	١٣١	٢٣	يلبس	يلبس
١١١	١٨	نفقاً	نفقاً	١٣٢	١٨	للأزدراع	للأزدراع
١١٧	٥١	المحسين	المحسين	١٥٢	٣٠	فادي	فادي

هذا ما عثرنا عليه في الجزء الأول وربما كانت بعض الغلطات في بعض النسخ دون
البعض الآخر . اما الجزء الثاني وهو الذي صدر الآن فلم يتسن لنا مراجعته ومقابلته بدقة
وقد رأينا في صفحة ٤٣ سطر ٢٤ وشارب مرتح والصواب (وشارب مريح) ومتى تيسر لنا
مراجعته ننبه لغلطاته في صفحة خاصة والذي نرجحه ان غلطاته طفيفة جدا

بيان

في الجزء الأول من هذا المجلد عدا المقدمات تفسير الفاتحة وهي سبع آيات وتفسير

١٨٢ آية من سورة البقرة

وفي الجزء الثاني تفسير بقية سورة البقرة وهي ١٠٣ آيات وتفسير سورة آل عمران

وهي مائتا آية فمجموع المفسر ٤٩٣ آية أو اربعة اجزاء إلا ان نصف حزب من ثلاثين جزءاً

لكنها تقدر بخمس مجموع التفسير

